د. جمال نصّار حسين

نشوء وإرتقاء

آدم وحواء

قراءةٌ في اصولِ المشكلةِ الإنسانية وحلّها...



نشوء وارتقاء

آدم وحواء

د. جمال نصّار حسين

نشوء وإرتقاء آدم وحواء

الطبعة الأولى
كانون الثاني / يناير ٢٠٠٥

محتويات الكتاب

الإهداء ١١

المقدمة ١٣

تقديم ١٥

القسم الأول ٣٣

الظواهر الخارقة ظواهر غير بشرية ٣٣

لابشرية الظواهر الخارقة! ٣٥

١. البشري واللابشري في الظاهرة الخارقة ٣٥

٢. البايوالكترونيك أساس ما هو بشري في الظاهرة الخارقة ٤١

٣. نظريات العلم التقليدي ونظرية المعرفة الجديدة ٥٦

٤. المتزامنات مادة نظرية المعرفة الجديدة ٦٩

القسم الثاني ٨١

الظاهرة الإنسانية ظاهرة خارقة ٨١

الفصل الأول ٨٣

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ ٨٣

الروح والإنسان ٨٣

١ ـ ١ الأشكال البايولوجية ليست أنماط التجلّي الوحيدة للحياة! ٨٣

١ ـ ٢ الأشكال غير البايولوجية للحياة! ٨٧

١ ـ ٣ طاقة الطريق الإلهي الى الله والأشكال البايولوجية غير التقليدية للحياة البشرية! ٨٨

١ ـ ٤ الروح الإنسانية والبايولوجيا غير التقليدية! ٩٠

١ ـ ٥ القرآن العظيم والماضي الإنساني السحيق ٩٤
١ ـ ٦ الأصل الإلهي للروح البشرية ٩٦
١ ـ ٧ الروح الإنسانية والبعث من بعد الموت ٩٨
١ ـ ٨ الخلق من عدم: خرافة مازَجَها وَهْم! ١٠٦
١ ـ ٩ النفخة الإلهية والروح الإنسانية ١١٠
١ ـ ١٠ الطبيعة البشرية بين المرئي واللامرئي ١١٦
١ ـ ١١ عالم الأرواح مآل الأرواح لا مصدرها! ١٢٠
١ ـ ١٢ هل الإنسان كيان بايولوجي ١٠٠٪؟ ١٢٥
الفصل الثاني ١٣١
﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ ١٣١
الإنسان وجسمه ١٣١
٢ ـ ١ الحضارة الإنسانية: ثورة الإنسان على بيئته! ١٣١
٢ ـ ٢ الإنسان: الحيوان اللامنتمي للطبيعة! ١٣٣
٢ ـ ٣ العقل البشري ظاهرة خارقة! ١٣٦
٢ ـ ٤ الظاهرة الإنسانية ومفرداتها الخارقة! ١٤٢
٢ ـ ٥ الظاهرة الإنسانية الخارقة والماضي الإنساني! ١٤٧
٢ ـ ٦ الظاهرة الإنسانية الخارقة والروح البشرية! ١٥٥
٢ ـ ٧ القرآن العظيم والظاهرة الإنسانية ١٥٨
٢ ـ ٨ الإصابة الفايروسية وجذور الظاهرة الإنسانية! ١٦٩
الفصل الثالث ١٨٥
﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ١٨٥
آدم الإنسان ظاهرة خارقة! ١٨٥
٣ ـ ١ القرآن العظيم والخليفة ١٨٥
٣ ـ ٢ رحلة الخليفة من الأرض الى الجنة! ١٨٧
٣ ـ ٣ لغز الأسماء وتتويج آدم خليفةً! ٢٠٢
٣ ـ ٤ آدم والعودة الى الماضي! ٢٠٨

٣ ـ ٥ سَوءة آدم: جِسمُه أم عَورتُه! ٢١٩
٣ ـ ٦ آدم يفقد صلته بروحه! ٢٣١
٣ ـ ٧ آدم والعودة الى العدوان الظالم! ٢٣٢
٣ ـ ٨ آدم والعدوان الظالم على الآخر! ٢٣٩
٣ ـ ٩ آدم والعدوان الظالم على الذات! ٢٤٥
٣ ـ ١٠ آدم والتدنّي المناعي للجسم الإنساني! ٢٥٠
٣ ـ ١١ آدم والنشاط الجنسي الإنساني الفائق! ٢٦٩
٣ ـ ١٢ آدم العهدَين أم آدم القرآن العظيم؟! ٢٨٤
الفصل الرابع ٢٨٨
﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ ٢٨٨
آدم يفقد شعره ٢٨٨
٤ ـ ١ العري الإنساني ظاهرة خارقة للطبيعة! ٢٨٨
٤ ـ ٢ العري الإنساني: لغزٌ لا حلَّ غيرَ إلهيٍّ له! ٢٩٠
٤ ـ ٣ الشعر الجسمي والشعر الجنسي! ٢٩٣
٤ ـ ٤ الصلَع والماضي الآدمي للإنسان! ٣٠٠
٤ ـ ٥ آدم: ما معنى اسمه؟ ٣٠٢
٤ ـ ٦ العري البشري والأصل الإنساني الواحد! ٣٠٣
٤ ـ ٧ بكاء الطفل الإنساني والبيئة الحقيقية للإنسان! ٣٠٤
٤ ـ ٨ العري البشري آيةٌ على وجود الله! ٣٠٥
الفصل الخامس ٣٠٧
﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ ٣٠٧
قانون الوجود الإنساني على الأرض ٣٠٧
٥ ـ ١ العدوان الإنساني الظالم: قدَرٌ إلهي لا مفر للإنسان منه إلا بالله! . ٣٠٧
٥ ـ ٢ الحضارة الإنسانية الأعظم: حضارة الغرب إذا ما هي سارت على الطريق الإلهي إلى الله! ٣١٢
٥ ـ ٣ العدوانية الإنسانية وحشٌ أسير! ٣١٨

٥ ـ ٤ بابل: برج خرافي أم مَهبط المَلَكَين؟! ٣١٩
٥ ـ ٥ الإصابة الفايروسية: هل هي خطيئة أصلية أخرى؟ ٣٢١
٥ ـ ٦ الخطيئة الأصلية: قَصَصٌ من أنباء الغَيب نارُها وأصلُها وابتداعٌ من مُخيِّلة البشر سمُّها ودُخانها!! ٣٢٢
٥ ـ ٧ الكَثرة الباغية والقِلَّة الناجية! ٣٢٣
٥ ـ ٨ العمل الصالح والعدوان الإنساني الظالم على الآخر! ٣٢٦
الفصل السادس ٣٣٠
﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ ٣٣٠
سر البقاء الإنساني على الأرض! ٣٣٠
٦ ـ ١ التكثير الحيواني: نكاح أم تنكيح؟ ٣٣٠
٦ ـ ٢ السلوك الجنسي لذكر الإنسان والماضي الحيواني للمنظومة الجنسية الإنسانية! ٣٣٠
٦ ـ ٣ الرسالة الجنسية للإنسان: مفرداتٌ حيوانية ومعنى إنساني! ٣٣٢
٦ ـ ٤ العقل الإنساني وازدواجية الإنسان! ٣٣٨
٦ ـ ٥ الإنسان ذلك الكائن المتضخِّم! ٣٤٠
٦ ـ ٦ الجمال الإنساني: ظاهرة خارقة! ٣٤١
٦ ـ ٧ المراهقة: الولادة الحقيقية للإنسان! ٣٤٧
الفصل السابع ٣٥٨
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ٣٥٨
الإنسان وأصوله ٣٥٨
٧ ـ ١ الأصل الترابي للإنسان: خلقٌ تطوري أم خلقٌ آني؟! ٣٥٨
٧ ـ ٢ الأصل الحيواني للإنسان حقٌّ لا شك فيه! ٣٧٢
٧ ـ ٣ الطفولة الطويلة للإنسان وماضيه الحيواني! ٣٧٩
٧ ـ ٤ اللغات الإنسانية: جذرٌ حيواني وسُوقٌ بشرية! ٣٨٢
٧ ـ ٥ الحلقة المفقودة والإبادة الجماعية لأشباه الإنسان! ٣٨٤

٧ ـ ٦ آدم والحلقة المفقودة في سلسلة الارتقاء الإنساني! ٣٨٦
٧ ـ ٧ س: الإنسان، هل هو أحادي الماضي؟ ج: الإنسان جسدٌ واحد برسالتين! ٣٨٦
٧ ـ ٨ عقل الإنسان وازدواجية الماضي الإنساني! Doubledness of Human Past ٣٩٣
٧ ـ ٩ التدخُّل الإلهي المباشر: فعْل إعجازي وتجلٍّ ربّاني! ٣٩٦
٧ ـ ١٠ التدخُّل الإلهي المباشر في خلق الإنسان الأول (الخلق الإعجازي لآدم)! ٤٠١
٧ ـ ١١ الإنسان: حيوانٌ ترقّى أم آدمٌ تدنّى؟! ٤٠٥
٧ ـ ١٢ القرآن العظيم والأصل الفضائي للظاهرة الإنسانية! ٤٠٨
٧ ـ ١٣ جنة المَلأ الأعلى: هل هي جنة المأوى أم جنات عدن أم جنة أخرى؟ ٤١٢
٧ ـ ١٤ الجذر الفضائي للإصابة الفايروسية! ٤١٨
٧ ـ ١٥ الإصابة الفايروسية الأولى: أول مؤامرة في التاريخ! ٤١٩
٧ ـ ١٦ البيئة الحقيقية للإنسان! ٤٢١
الفصل الثامن (الجزء الأول) ٤٢٥
﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾ ٤٢٥
كأسُ الشِفاء المُقدَّسة طَلْعُ الشجرةِ الطيِّبة ٤٢٥
٨ ـ ١ الإيمان والعمل الصالح أداتا إصلاح البُنية الانسية! ٤٢٥
٨ ـ ٢ شجرة الخُلد بين الحقيقة والخيال! ٤٣٠
٨ ـ ٣ البارامانيات والقدرات الخارقة للإنسان المُستقبلي! ٤٣٢
٨ ـ ٤ الإنسان الجديد: جسم سليم ودماغ سليم! ٤٣٤
٨ ـ ٥ المرض الإنساني: مشكلة جماعية حلّها فردي! ٤٤٢
٨ ـ ٦ ظواهر الدرباشة: رسالة خارقة متعدِّدة المضامين! ٤٤٤
٨ ـ ٧ عودة الروح مفتاح العودة إلى الله! ٤٤٨
الفصل الثامن (الجزء الثاني) ٤٥٠

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ ٤٥٠
آدم يعود إلى الله ٤٥٠
٨ ـ ٨ التوبة الإنسانية: فرضُ عينٍ أم فرضُ كِفاية؟! ٤٥٠
٨ ـ ٩ الروح والحياة البايولوجية! ٤٥١
٨ ـ ١٠ الفناء في الله: فناء كل حجاب بين العبد والله! ٤٥٨
٨ ـ ١١ الفعل الإنساني بين الجريمة والعقاب! ٤٥٨
٨ ـ ١٢ الإنسان التائه Flying Homo sapiens! ٤٦٣
٨ ـ ١٣ القائد الوقتي والقائد الحقيقي ٤٧١
٨ ـ ١٤ الآدمولوجيا Adamology: المشكلة الإنسانية والحل الإلهي! ٤٧٧
٨ ـ ١٥ (أ) نظرية المعرفة الجديدة: تمسُّك بالقرآن العظيم نوراً وكتاباً مُبيناً ٤٨٢
٨ ـ ١٥ (ب) الحقيقة القرآنية: طاقة غيبية ونورٌ من أنباء الغيب ٤٨٩
٨ ـ ١٦ أستاذ الطريقة: القائد الضرورة على الطريق الإلهي إلى الله ٤٩٢
٨ ـ ١٧ الأستاذ المحمدي: نورٌ وسُنَّةٌ نبوية ناطقة ٤٩٧
٨ ـ ١٨ الحقيقة المحمدية (الاستنارة المحمدية): حقيقة تجريبية ـ اختبارية! ٥٠٢
٨ ـ ١٩ النور المحمدي: نورٌ أزلي أم نورٌ أبدي؟ الحقيقة المحمدية بين الأزلية والأبدية ٥٠٦
٨ ـ ٢٠ الإيمان بين الادِّعاء وشهادة ليلى! ٥١١
٨ ـ ٢١ كُن فيكون: حضارة جديدة لإنسان جديد! ٥١٧
٨ ـ ٢٢ العالم الجديد: انسانٌ جديد بقلبٍ سليم وعقل سليم! ٥٢٠
٨ ـ ٢٣ تعالَ معي إلى الله وسوف ترى! ٥٢١
٨ ـ ٢٤ العبادة: خط شروع واحد وخطوط نهايات مُتعدِّدة ٥٢٢
٨ ـ ٢٥ شجرة آدم وشجرة المسيح! ٥٢٤
٨ ـ ٢٦ الآخرة.. الحقيقة القرآنية المنسيَّة ٥٢٧
٨ ـ ٢٧ الحقيقة المحمدية رحمةٌ مُهداة ٥٣٣
٨ ـ ٢٨ الحضارة المحمدية حضارة الآخرة في الحياة الدنيا ٥٣٨
٨ ـ ٢٩ العصر الإنساني الجديد: عصر الأخوّة الإنسانية في الله! ٥٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهُمَّ صَلِّ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الوَصْفِ وَالْوَحْيِ وَالرِّسالَةِ وَالْحِكْمَةِ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيماً

الإهداء

إلى درويش الأستاذ جعفر الصادق قدّس الله سرّه العزيز ورائد المدرسة التجريبية ـ الاختبارية في العلم . . .

جابر بن حيّان الذي أهدى الباحثين عن الحقيقة من أمّته هذا الدعاء:

«يا سيّدي ما اهتديتُ إلا بِكَ ولا علِمتُ إلا بِكَ ولا قصدتُ إلا إليكَ ولا أقصِدُ ولا أرجو غيرَكَ. اللهُمَّ لا تُضيِّعْ زِمامَ قصدِي ورجائي لك، إنكَ لا تُضيعُ أجرَ المُحسنين، وإنك تَقضي ولا يُقضى عليك. اللهُمَّ قد وعدتَ الصابرينَ خيرَ الجزاءِ فيك، وَلأصبِرَنَّ بك لَما خفَّفْتَ عني وصبَّرتَني على امتحانِك، اللهُمَّ قد وعدتَ بعدَ العُسرِ يُسرا، اللهُمَّ فامحُ أوقاتَ العُسرِ واجعلْها زيادةً في أوقات اليُسر واجعلْ ذلكَ حظّاً مِنَ الدنيا وحظوظاً مِنَ الآخرة. اللهُمَّ إنَّ وسيلتي إليكَ عبدُكَ سيّدُنا محمدٌ ﷺ وصفوةُ أهلِ بيته. اللهُمَّ إنك أكرَمُ من أن يَتوسَّلَ إليكَ إنسانٌ بحَبيبِك محمدٍ ﷺ فتردَّهُ خائباً. فاجعلِ اللهُمَّ بعدَ عُسر يُسرا واستعمِلنا فيما يُرضيكَ عنا ووفِّقنا لما خلقتَنا لأجلِهِ ولا تُشغِلْنا بما نهيْتَنا عنِ الانشغالِ به دونك، برحمتك يا أرحمَ الراحمين».

اللهُمَّ صَلِّ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ الوَصْفِ وَالْوَحْيِ وَالرِّسالَةِ وَالْحِكْمَةِ وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيماً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

المقدمة

يتألّف هذا الكتاب من قسمين؛ قسمه الثاني مُكوَّن من ثمانية فصول؛ ثامنها مُقسَّم الى جزءين. يهدف القسم الأول من هذا الكتاب الى التوسُّع في تبيان حقيقة الظواهر الخارقة وذلك بارجاعه للسبب في حدوثها الى تلازم قائم بين طاقة خارقة، غير بشرية ضرورةً، وقابلية بشرية خارقة. اما القسم الثاني فهوَ قائم على أساسٍ من استعراض الظاهرة الانسانية بمفرداتها المألوفة والتي لم يسبق وان تم التعرُّض اليها على انها ظواهر خارقة وذلك من قِبَل نظريات العلم السائد. يلاحق هذا القسم المفردات المألوفة للظاهرة الانسانية وذلك بُغية اقامة الحجّة على انها ظواهر لا يمكن ان تكون غير خارقة وهو لذلك يستعين بكمٍّ هائل من المعلومات التي ثبُت صوابها؛ منطقاً وملاحظةً؛ تجريباً واختباراً. يتسلسل هذا القسم الثاني فصولاً ثمانية تستوعب الظاهرة الانسانية وتُشبعها تشريحاً وتجريحاً وهي لذلك تستعين بجانب من النتائج المختبرية التي تمخَّض عنها البحث في مختبرات برنامج باراماان على قدر تعلُّق الأمر بالبايولوجيا البشرية.

ان هذا الكتاب اذ يكشف عن عجز العلم المعاصر، وكل علم مستقبلي آخر مادام بشرياً، عن التعليل للظاهرة الانسانية تعليلاً يطال جميع مفرداتها، الخارقة منها والمألوفة، فانه يُقيم الحُجَّة على استحالة ان يكون بوسع الانسان التوصل الى تحديد صائب لجذور المشكلة الانسانية، التي يُعاني منها كل البشر وجوباً، مادام هذا التحديد يتطلّب، لامحالة، ضرورة العودة الى الماضي

الانساني السحيق الذي يستحيل على الانسان ان يعود اليه بهذا العقل العاجز، بكل تأكيد، عن اختراق عالم الغيب. لذا كانت نظرية المعرفة الجديدة، التي يدعو لصياغتها هذا الكتاب، قادرةً على تبيان عجز نظريات العلم البشري عن تقديم أي حل حقيقي لانقاذ الانسانية من مشكلتها التي أنقضت منها الظهر منذ أول ظهور للانسان على ارض هذا الكوكب. اذ كيف يكون بوسع الانسان ان ينجح في التوصل الى حل لمشكلته وهو، من باب أولى، عاجز عن صياغة دقيقة لهذه المشكلة بجذورها التي تضرب عميقاً في غيبٍ لا سبيل له، على الاطلاق، لسبر أغواره السحيقة؟! لذا كان على نظرية المعرفة الجديدة ان تلجأ الى مَن وحده بمستطاعه ان يُقدِّم الحل الحقيقي مادام هو وحده عالِم الغيب الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. ولأنها نظرية معرفة، قبل ان تكون أي شيء آخر، فلقد كان على كتاب «نشوء وارتقاء آدم وحواء» ان ينكب على تدبُّر جميع ما بين يديه من علم لابشري؛ صادق الصلة بالله أو مُزيَّفها. لذا لم يكن هناك من حل الا بأن يسمح لكل مَن يدَّعي وصلاً بليلى علَّه أن يعثر على مَن تُقر له ليلى بذاكا. وكان أن وجدت نظرية المعرفة الجديدة في القرآن العظيم ضالَّتها المنشودة من بعد طول بحث معرفي رصين. فلقد تبيّن لها ان هذا الكتاب الكريم لا يمكن ان يكون من عند غير الله طالما لم يكن ما فيه قابلاً للرد الى ما بالامكان ان يُردَّ اليه محتوى أي كتاب آخر سطرته يد الانسان. وهذا الذي تيسَّر لكتاب نشوء وارتقاء آدم وحواء أن يجده في القرآن العظيم، من بعد تدبُّره حق التدبُّر، هو لب هذا الكتاب. لذا كان حقيقاً على نظرية المعرفة الجديدة أن تدعو جهاراً الى القرآن العظيم مادام هو الكتاب الالهي الذي تعرَّض للظاهرة الانسانية: تشخيصاً صائباً لمفرداتها وتحديداً دقيقاً لمشكلة انسانها وصياغةً مقتدرة للحل الذي يتوجّب على الانسان ان يتشبَّث به للخلاص. لذا لم يكن أمام نظرية المعرفة الجديدة التي يدعو اليها هذا الكتاب غير ان تدعو الى الالتزام الحرفي بالقرآن العظيم وذلك بالانضباط بنصِّه المقدَّس تطبيقاً وتنفيذاً.

فيلادلفيا ٩/٤/٢٠٠٣

ملاحظة: بامكان من يرغب من القراء الكرام بالتواصل مع المؤلف التراسل معه على العنوان التالي: jmlhussein@yahoo.com

تقديم
«مدخل الى أبستمولوجيا الخوارق»

قد يبدو مصطلح «**أبستمولوجيا الخوارق**» لأول وهلة غريباً بعض الشيء! اذ تستدعي كلمة «**الأبستمولوجيا**» الى الذهن كل ما له علاقة بذلك المبحث من نظرية المعرفة ذي الصلة بتقصي وسائط المعرفة والادراك وامكانية الوصول الى الحقيقة بشأن ما يحدث في هذا الوجود وماهية المعارف المستحصلة بوسائل التنظير والتجريب على اختلاف مقارباتها. كما أن كلمة «**الخوارق**» تستدعي الى الذهن كل ما هو ذو صلة بما يتجاوز المعرفة الحالية من نظريات سائدة صيغت لتفسر الكم الأكبر مما يحدث حولنا من ظواهر وتجارب. الا أن التفحص الدقيق لكلتي الكلمتين مفضٍ بنا لا محالة الى استبيان حقيقة مؤداها أن هذين المصطلحين، «**الأبستمولوجيا**» و«**الخوارق**»، اذا ما هما تشاركا لنحت مصطلح آخر جديد هو «**أبستمولوجيا الخوارق**» فان ذلك أمر مسوّغ له ومشروع معرفياً طالما كانت الخوارق ظواهر تحدث كما تحدث غيرها من ظواهر الوجود التي تم الاصطلاح على الاشارة اليها بأنها ظواهر غير خارقة. اذ ما الذي يميز الظواهر الخارقة عن غيرها من ظواهر الوجود غير الخارقة ان لم يكن هذا الذي تمتاز به الخوارق هو استعصاؤها على ما تأتّى لنا الوصول اليه من أنساق تفسيرية قولبنا داخلاً منها ظواهر الوجود الأخرى غير الخارقة؟ وهنا مربط الفرس، فليس هناك من تناقض حقيقي بين المصطلحين، «**الأبستمولوجيا**» و«**الخوارق**»، مادامت الأبستمولوجيا هي وسيلتنا المعرفية لمقاربة الخوارق بغية استكناه طبيعتها المميزة لها والتي تجعل منها ظواهر تند عما تحقق لنا الوقوع عليه من ضابط رابط يجمع بين ظواهر الوجود الأخرى. ان الوقت قد حان لإيلاء الخوارق ما تستحقه من اهتمام معرفي من لدُنّا، لعل أول مفرداته إرجاعها الى حومة نظرية المعرفة ليتبدى لنا ما بمستطاع هذه النظرية أن ترفد به المشروع العلمي الساعي الى دراستها بحثاً

لنا ما بمستطاع هذه النظرية أن ترفد به المشروع العلمي الساعي الى دراستها بحثاً فيما يميزها واستقصاءً لمدياتها وتدبراً في الآفاق التي بوسعنا أن نبلغها اذا ما نحن وفّقنا للإلمام بمعارف جديدة هي وسيلتنا الوحيدة لجعل الخوارق في متناول يد التنظير الصائب المستند الى منظومة معرفية، مؤمنة لا محالة، وذلك بالانطلاق من خط شروع فكري جديد يتجاوز خطوط الشروع السائدة. ان خطوط الشروع هذه ينبغي أن يُستخلص منها كل ما هو جدير بالإبقاء عليه واطّراح ما هو جدير بأن يكون بائداً غير فاعل ولا مؤثراً مادامت الأيام قد برهنت لنا وبما لا يقبل الشك أننا لم نصل انطلاقاً من هكذا منطلقات إلا الى التوغل عميقاً داخل ظلمات الجهالة وغيبيات التنظير غير الصائب.

ان الناظر الى الوجود بقلبٍ غير أعمى لن يستطيع رؤية ظواهره كما يراها اصحّاء البصر ممن لا قدرة لديهم على النظر بغير عين الرأس. فالنظر العادي عاجز عن التوقّف عند الظواهر والتدبُّر فيها دون القيام بالتهامها بفكّي هذا العقل الذي يستسهل «عقلنة» ما تراه العينان على مجرد «التفكُّر» في المرئي بعيداً عن إفساد محتواه ومضمونه بشوائب لا تنتمي اليه! كما ان العين الانسانية دأبها النظر الى وقائع الوجود متوسلةً بضوء هذا العقل الذي سبق له وان أوهمها بأنه وسيلتها الوحيدة للإبصار السليم في عالمٍ لا يكفي نورُه الفيزيائي لجعل اشيائه مرئية! لذا لم يكن بوسع الانسان استعمالُ عينه في النظر الى احداث الوجود دونما تدخُّلٍ سافرٍ من عقله، فلكأنه يرى الاشياء بعقله لا بعينه! والعقل هنا فعالية للدماغ الانساني تتجاوز الوظيفة الفسيولوجية لمادته البايولوجية. فهو لا يكتفي بدوره في عملية الإبصار، كمفردة من مفردات المنظومة البصرية البشرية، بل يتجاوزه الى دور لا علاقة له بالرؤية من قريب او بعيد وذلك لتعلُّقه بتأويل عقلي للمرئي يتجاوز مفرداته كما تبصرها العينان! لذا لم يكن للانسان الا ان يُعمل عقله في النظر الى أحداث الوجود بعينه التي لن يعود بمقدورها ان تراها خالصةً من «**أحكامه السابقة للرؤية**». وهذا هو السبب في عجْز الانسان عن تصديق ما يراه بعينيه مادام عقله غير قادر على تصديق المرئي لفرْط تناقضه مع هذه الاحكام العقلية السابقة للرؤية. ومن هنا نستطيع ان نتلمّس السبب في إِنكار الانسان لوجود «**الظواهر الخارقة للعادة**»؛ هذه الظواهر التي أصدر عقله حكماً قاطعاً

باستحالة وجودها مادامت تخرق منظومته الفكرية التي تعجز عن عقلنة وتأويل ما يحدث فيها من خرْق بيِّن لمفرداتها المعرفية. فحتى لو نجحت «ظاهرة خارقة» ما في استيقاف نظر الانسان فان عقله سرعان ما سيبادر الى اطِّراحها جانباً خارج مدى رؤية العين التي سبق لها وان ابصرت هذه الظاهرة تحدث اماماً من ناظريها! فلأن نسبة حدوث **«الظواهر الخارقة للعادة»** واطئة للغاية مقارنةً بالظواهر غير الخارقة، والتي تحدث كل حين وعلى الدوام، قام العقل البشري ببناء منظومته الفكرية مستعيناً بظواهر الوجود شائعة الحدوث مستبعداً بذلك تلك الظواهر التي تمتاز بأنها ذات حدوث نادر التكرار. لذا لم يكن بمقدور هذا العقل النظر الى ظواهر نادرة الحدوث بعين تراها كما ترى ظواهر الوجود التي يتكرّر حدوثها على الدوام. ولقد فاقم في عجْز العقل عن رؤية **«الظواهر الخارقة للعادة»** انها ظواهر تستفز أحكامه التي أطلقها من بعد ترسُّخ اعتقاده بأوحدية الظواهر التي شيَّد من مادتها صرح بنيانه المعرفي. فلأنها الظواهر الاكثر حدوثاً على الاطلاق لم يكن امام هذا العقل الا ان يُعمِّم احكامه القاضية باستحالة وجود ما يناقضها وذلك بوجود ظواهر تتناقض وهذه الظواهر شائعة الحدوث. فلو ان هذه الظواهر لم تنفرد بمعامل تكرارية مرتفع بالمقارنة بما يناقضها من ظواهر لا يتكرر حدوثها دائماً لما كان بمستطاع العقل البشري التذرُّع بمناقضتها هذه وذلك للتدليل على استحالة حدوثها! فعندها كان العقل سيخرج لا محالة بنتيجة مفادها ان الظاهرة ونقيضها في الحدوث سواء. ان الحكم العقلي باستحالة حدوث ظاهرة ما نقيضة لظاهرة اخرى لا يستند لغير ندرة حدوث الظاهرة النقيضة مقارنةً بشيوع حدوث الظاهرة المُناقَضة!

فلو ان ظاهرةً خارقةً كظاهرة السير على النار لم تكن نادرة الحدوث، مقارنةً بظواهر الاحتراق بالنار والتي تتصف بتكراريتها العالية للغاية، لما تم اعتبارها ظاهرةً خارقة ولما تسنى للعقل البشري التوصل الى تعميم مؤدّاه ان النار محرقة لا محالة. ان حدوث ظاهرة ما بنسبة واطئة هو السبب وراء نظرة العقل لها على انها ظاهرة مستحيلة وذلك طالما كان حدوثها يتناقض مع حكم اطلقه هذا العقل بشأن ظاهرة اخرى تحدث على الدوام باستحالة حدوث نقيضها. والآن اما وقد تبيّن لنا ان **«استحالة»** حدوث ظاهرة ما هي رهنٌ بمعامل تكرار

حدوثها فان حدوث الظواهر الخارقة للعادة لم يَعُد بالامر المستحيل!

لقد بالغ الانسان في ثقته المطلقة بقدرة عقله على التوصل الى احكام صائبة تُتيح له الاطمئنان الى صواب نظرته للوجود. ولقد وقع الانسان في وهم قاتل خُيِّل اليه معه ان عقله هذا عاجز عن قول ما ليس بصواب وانه قادرٌ بعقله هذا على إِصدار ما شاء من الاحكام التي تقضي باستحالة حدوث أيّة ظاهرة تتناقض مع ظاهرة اخرى جعل منه حدوثُها المتكرر عاجزاً عن تخيُّل نقيضها. والا فكيف نُفسّر هذا الاصرار الجماعي على التمسُّك بالثوابت العقلية التي تقضي بعدم جواز التفكير بوجود ظواهر تناقض الظواهر المألوفة؟! ولماذا يطالبنا المشككون بوجود الظواهر المناقضة لما نألفه من ظواهر الوجود بوجوب العودة لهذه الثوابت المرجعية التي توهمّوا بأنها ذات وجود حقيقي إِن لم يكن خارج عقل الانسان فداخله لا محالة؟! ان عقل الانسان عاجز عن التيقّن المطلق من صواب هكذا ثوابت وذلك عن طريق الاستعانة برصيده من الظواهر المألوفة التي يكفي للتشكيك في قدرتها على تشكيل البنيان المعرفي لهذه الثوابت المرجعية انها ظواهر لا تتمتع بحدوث متفرّد وذلك على قدر تعلّق الامر بحدوث ما يناقضها من ظواهر غير مألوفة وان كان حدوث هذه الاخيرة لا يتمتّع بمعامل تكرارٍ عالٍ للغاية. لقد اتّضح لنا اذاً ان ليس هنالك من استحالة موضوعية تُجوِّز لنا الاطمئنان الى احكام منطقية، سابقة للملاحظة او التجربة، تقضي بعدم جواز التفكير بوجود ظواهر غير مألوفة تتناقض والظواهر شائعة الحدوث في هذا الوجود.

والآن وبعد ان تبيّن لنا ان لا منطق بمقدوره الحكم باستحالة حدوث ظاهرة تُناقض ظاهرة اخرى «اعتدنا» على النظر اليها على انها الظاهرة ـ القانون في هذا الوجود، فهل لنا ان نخرج من حومة الجدل هذه الى أرض الواقع لنتعرّف على ما تقوله أحداثُ هذا الواقع بخصوص ما يحدث فيه من ظواهر. فهل هناك حقاً ظواهر غير مألوفة تُناقض المألوف الذي استقر عليه حال الوجود كما يعيه الانسان بعقله العاجز عن إبصار ما يُناقض منظومته المعرفية الا بشق الانفس؟! ان الاجابة على هذا السؤال لن تكون سهلة كما يتمنى المؤمنون بوجود الظواهر غير المألوفة والمنكرون لها على حد سواء! الا ان هذا الكتاب

ينطلق من إقرار مؤلّفه بوجود هكذا ظواهر مناقضة للظواهر المألوفة في هذا الوجود. وهذا الإقرار لم يتأتَّ للمؤلف ان يجد نفسه مُلزَم به الا من بعد قيامه بنفسه بدراسة اختبارية - مختبرية لهذه الظواهر استغرقت منه سنوات طوال. لذا لم يكن لهذا الكتاب ان يقدم دليلاً على وجود «**الظواهر الخارقة للعادة**» على طبق من ذهب! فالامر ليس على هذا القدر من البساطة حتى يُصار للتوصل الى قرار نهائي وقاطع بشأنه في ساعات قلائل قد تقتضيها قراءة هذا الكتاب من الغلاف للغلاف! ان «**الظواهر الخارقة للعادة**» تستدعي من الباحث فيها ان يكون اولاً وقبل كل شيء متجرداً، قدر الامكان، من أية احكام مسبقة قد تعيقه عن النظر الصائب والحكم السليم. وهذا التجرُّد ليس هو الآخر بالامر اليسير! فالعقل البشري، وكما لاحظنا، مُغرم بالنظر الى الوجود لا ليرى ما فيه ولكن ليرى ذاته فيه! لذا لم يكن بوسع الانسان ان يفيد من أداته المعرفية هذه في رؤية ما يحدث حوله بعين لا تستبعد من مدى رؤيتها ما يرفضه هذا العقل لتناقضه مع ثوابته المرجعية؛ هذه الثوابت التي توهّم لها وجوداً خارج مادته الدماغية. ان إجماع البشر، في معظم الازمان وأغلب الاماكن، على النظر الى «**الظواهر الخارقة للعادة**» بعين لا تراها الا وفقاً للمنظومة الفكرية السائدة، في مكان وزمان مُعيَّنين، جعل من هذه الظواهر تفقد قدرتها على ايصال الرسالة التي خُلِقت لتُبلِّغها للانسان على هذا الكوكب.

ان هذا الكتاب يوجّه دعوة للفكر البشري للكف عن النظر الى ظواهر الوجود قاطبةً بعين ثوابته المرجعية التي طالما أعمته عن رؤية الحقيقة لفرط هَوَسها المرَضي بالنظر الى ذاتها! فلكأن الوجود، بكل ما فيه من موجودات وكائنات، مرآة عملاقة ما خُلِقت الا لينظر فيها الانسان فلا يرى الا نفسه. فهل ينتبه الانسان من غفلته هذه ليعود الى الوجود من بعد تحطيمه لهذه المرآة الشريرة التي اشغلته عن النظر الى غير ذاته ليتسنّى له بذلك رؤية الآخر بدل رؤية نفسه؟! ان الدعوة للتدبّر في الوجود بعين لا تراه مجرد مرآة هي دعوة للتحرّر من أسر كثير من الثوابت المرجعية التي أعمتنا عن رؤية الحق. وهي، بعدُ، «**دعوة للعودة الى الوجود**» من بعد طول ابتعاد عنه. لقد تُهنا عن الوجود في متاهات حتّمها علينا دوامُ نظرنا في المرآة التي أوهمتنا انها الوجود بعينه!

فهل من «**عودة الى الوجود**» من بعد هذا الاغتراب الطويل الذي ما عاد علينا الا بما جعل منا نرزح تحت نير عبوديتنا لانفسنا ونحن ننظر الى الوجود فلا نرى سواها؟! ان الدعوة لاعادة الاعتبار للظواهر غير المألوفة، وذلك بالنظر اليها بغير عين الثوابت المرجعية وأحكامها السابقة للملاحظة والتجربة، هي دعوة «**لاعادة صياغة هذه الثوابت**» وذلك من بعد النظر الى ظواهر الوجود بعينٍ جديدة تراها دون تمييز عرقي يُصنِّفها الى «**أغلبية**» و«**أقلية**» وفقاً لشيوع حدوثها او ندرته. ان «**اعادة صياغة الثوابت المرجعية للعقل الانساني**» هي السبيل الوحيد للعودة الى الوجود من بعد التيه والشتات في ظلُمات النفس وعشق الذات! لذا لم يكن هذا الكتاب مجرد حديث عن الظواهر الخارقة للعادة يطال الجدل القائم بشأنها منذ بدايات الفكر البشري والى يومنا هذا. فالدعوة للتدبّر في هذه الظواهر هي دعوة «**لتأسيس منظومة معرفية جديدة**» لا تعجز عن النظر الى أيّة ظاهرة لهذا السبب او ذاك من الاسباب ذات الصلة بالثوابت المرجعية للعقل الانساني. ان عودةً كهذه الى الظواهر الخارقة للعادة سوف تكفل للفكر البشري ولوج عالم جديد لم يسبق لنا وان تعرفنا اليه من قبل. وهذا العالم لا يكتسب جِدّته لفرْط عجائبيّة وغرائبية هذه الظواهر فحسب بل هو جديد بمعنى الكلمة لأنه الوجود وقد عُدنا اليه بعقل جديد لا قدرة له على النظر الى غير وقائعه وأحداثه وظواهره. ان حضارةً جديدة تنتظر هكذا عقل حُرٍ من كل ثوابت لا علاقة لها بالوجود كما خُلِق لنتعرف اليه ونعرفه! أفلم يأنِ للانسان ان يعود الى الوجود؟ أفلا يكفيه غُربة عن هذا العالم الذي خُلِق لينظر اليه فيراه على ما هو عليه في واقع الامر؛ عالماً آخر ليس عالم ذاته ونفسها المريضة؟! الا يجدر بالانسان ان يتحرر من ربقة عبوديته لهذه النفس التي لا تريده لسواها؟! ان هذا الكتاب اذ يدعو الى الاستعانة بالظواهر الخارقة للعادة، من بعد رؤيتها بعين سليمة، «**لإعادة بناء المنظومة العقلية للفكر البشري**» فانه لا يطالب بما هو مُعجِز. فهكذا «**إعادة بناء**» لا تتطلّب غير نبذ ما بين ايدينا من ثوابت مرجعية ثبت لدينا عجزها عن رفدنا بما هو صائب اذ أقنعتنا بعدم وجود ظواهر غير مألوفة بامكانها ان تخرق المنظومة المعرفية التي سبق لها وان قامت بتشييدها على اركان استبعادها لكل ما يُناقض ظواهر الوجود شائعة الحدوث. والآن حان الوقت لنتدبّر في «**نظرة عين العقل**» الى الظواهر الخارقة للعادة وذلك كما بامكاننا الوقوع على أمثلة حية

عليها بقيامنا بقراءة واقع اهتمام الفكر البشري بهذه الظواهر من خلال مرورنا بصورة عاجلة بثلاث مراحل لهذا الفكر اختيرت لا على التعيين زماناً أو مكاناً او تعاقُباً. لنبدأ بنظرة الاقوام البائدة لهذه الظواهر والتي كانت في زمانهم خليطاً من ظواهر شتى امتزج فيه الحق بالباطل بسببٍ من ظهور السحر ونزول تقنيات الاتصال بالقوى غير المنظورة وارسال الانبياء مؤيَّدين بمعجزات خرق الله لهم بها حجاب العادة والمألوف. وهنا لن نتوسع ونستفيض في الحديث الا عن أمر واحد غريب للغاية! فبينما انكر الاقوام المُبادون ما جاء به الانبياء المُرسَلون عن الله الذي أيّدهم ببرهان آياتٍ بيناتٍ ليس بوسع العقل الا ان يسجد صاغراً للقوة التي أحدثتها، نجد ان هؤلاء المنكرين انفسهم قد اتّبعوا كهنتهم وسحرتهم الذين جاؤوهم بسحر عجيب وظواهر غير مألوفة بالغة الغرابة. فلِمَ كُذِّب الانبياء ولِمَ لم يُكذَّب السحرة والكهنة؟ لقد طالب الرسُلُ أقوامهم بالعودة الى الله والخضوع له عبادةً وتقوى بينما لم يطالب الكهنةُ أقوامهم بغير قليل من المال والاحترام! فهل لنا بعدُ ان نعجب لإنكار هؤلاء وجود العجائب والغرائب مادامت هذه وسيلةً يستعين بها الرسول لالزامهم بوجوب التذكُّر والتدبُّر ومن ثم الرجوع الى الله؟ فالسحرة لم يطالبوهم بعبادة مرهقة وتقوى خالصة كما فعل الانبياء المُرسَلون فلِمَ اذاً ينكرون عجائب الكهنة وسحرهم؟ لقد كان حظ الانبياء من اقوامهم السخرية منهم وإنكار ما أيّدهم الله به من خوارق للعادات بينما كان حظ السحرة مكانة متميزة وتصديقاً لما جاؤوا به من كذب وبهتان. فهل لنا الا ان نعجب لهذا الانسان وعقله الذي فُتن به عن ان يتدبَّر في ما يراه من الوجود بعين لا تراه كما يهوى ولكن على ما هو في واقع الامر عليه؟!

والآن، لنتدبّر مثالاً معاصراً على سوء تعامل انسان حضارتنا الحالية مع الظواهر الخارقة للعادة. فالملاحظ على انسان هذه الحضارة انه يتعامل مع ظواهر الوجود غير المألوفة بازدواجٍ سافرٍ يتجلّى بكل وضوح في تذبذبه في الحكم على حدوثها بين إنكار له وايمان به وذلك وفقاً للكيفية التي تُعرض بها هذه الظواهر اماماً من ناظريه. فهو يُصدِّق بوجودها اذا ما كان تصديقه هذا لا يتطلّب منه غير ما تقتضيه دواعي الإثارة والتشويق في افلام الرعب والخيال العلمي وذلك طالما كان في هذا امتاعٌ له وتسلية يُغادر بهما واقعه الرتيب الذي

يعجز عن رفده بغير ما هو مُضجِر ومُمل! اما ان كان تصديقه بوجود الظواهر الخارقة للعادة يستدعي منه إِعادة نظر في موقفه اللاآبالي من أحداث الوجود وطريقته المُثلى في الحياة العابثة فيه، فان انسان هذه الحضارة لن يجد أمامه من مهرب من هكذا مواجهة اضطُر اليها سوى بتكذيب مَن اورد له أحاديث هذه الظواهر وإن كان الناقل هو من الشهود الثِقاة الذين نادراً ما يجود بهم الزمان! فالظواهر الخارقة للعادة موجودة مادامت لا تغادر سياق الاثارة والتشويق الى سياق آخر يُذكّر الانسان فينا بما كان الانبياء المُرسَلون يُسمِعون أقوامهم من حق انزله الله مُؤيَّداً بتلك العجائب التي خرق لهم بها ستار الثوابت المرجعية للعقل البشري؛ ذلك الستار الزائف الذي توهّم ناسجوه انه الرداء الذي لا قدرة للوجود على نزعه. ان الانسان فينا هو ذاته انسان الحضارات المُبادة وان تسلّح بمخالب نووية وانياب ليزرية! فهو يظن، كما ظن اسلافه في القرون الخالية، ان الوجود عارياً من الثياب التي اَلبسها له عقلُه البشري لا وجود له. والا فكيف نفسر اذاً ما سنراه في المرحلة الثالثة والتي اخترناها من داخل حومة ميدان «الباراسايكولوجيا»؛ هذا العلم الذي استُحدث ليقوم بمهام رصد ودراسة الظواهر الخارقة للعادة وذلك بتفسيرها، بدايةً وقبل كل شيء من بعد النظر اليها بعين العقل البشري وثوابته المرجعية التي قام الانسان بصياغتها من مادة واقعه المتكوّن بصورة اساسية من ظواهر الوجود شائعة الحدوث فحسب؟ فلقد قام «علم الباراسايكولوجيا» بالبحث في مضمار الظواهر غير المألوفة منطلقاً من خط شروع اَملته عليه ظروفُ نشأته بين ربوع الافكار التي افرزتها المنظومةُ المعرفية للعلم النظري السائد. ولقد أوجبت عليه افكارُ هذه المنظومة النظرية ضرورة النظر الى ظواهر الوجود نادرة الحدوث بمنظار انتقائي سمح له باقتطاع جانب بسيط من جوانب عالَم الظواهر الخارقة للعادة. ولم يكن مسموحاً له بالتالي اجتزاء ما يشاء من ظواهر حتى وان كانت تتميز بأنها ظواهر خارقة لما آلفه العقل البشري. كما ان وجوب انصياعه للبُنية النظرية للعلم المعاصر حتّم عليه النظر الى القليل جداً من الظواهر التي قام بدراستها بعين لم تستطع ان ترى فيها الا برهاناً على صواب النموذج التفسيري الذي طُرح على انه الوصف الحقيقي الوحيد لما يحدث في هذه الظواهر. لذا لم يكن لـ «الباراسايكولوجيا» الا ان تتوهّم الانسان مصدراً وحيداً للطاقة الفيزيائية التي يتطلّبها حدوث الظواهر

الخارقة للعادة التي قامت بدراستها. ولقد جعل هذا الوهم منها عاجزةً عن ان تتناول بالبحث أيّة ظاهرة تتناقض وذلك التفسير العاجز بدوره عن التعليل المُقنع لما يحدث في القليل من الظواهر التي استُقدِم ليفسّرها. لذا وجدت «**الباراسايكولوجيا**» نفسها في مأزق معرفي لم يسبق لعلم نظري وان عانى منه على امتداد مسار الفكر الانساني. فـ «**الباراسايكولوجيا**» لم تقُم بدراسة كل ما بالامكان الوقوع عليه من ظواهر خارقة، وهي لم تستطع ان تقنعنا بتفسيرها المُبتسر للقليل جداً من الظواهر غير المألوفة التي قامت بدراستها. ناهيك عن انها أرادت ان تفرض وصاية مطلقة على الظواهر الخارقة للعادة عموماً وذلك باستبعادها لغيرها من العلوم والمعارف التي بالامكان الافادة منها في التقرّب معرفياً من هذه الظواهر. لذا لم يكن امام الباحث عن حقيقة ما يحدث في الظواهر غير المألوفة غير ان يزّاور عن هذه «**الباراسايكولوجيا**» كحل لمشكلة هذه الظواهر وان يحاول ان يمد لها يد العون لتفيق من غرورها الذي زيّن لها فشلها نجاحاً وركودها المعرفي تطوراً وارتقاءً! ان المطابقة ما بين الظواهر الخارقة للعادة كمشكلة تبحث عن حل و«**الباراسايكولوجيا**» كحل لهذه المشكلة لا تستند الى اساسٍ سليم سواءً كان بتلمُّس واقع هذه الظواهر كما بالامكان الوقوع عليه ملاحظةً وتجريباً او بتحسُّس حال هذا «**العلم**» كما يُجلّيه التمعُّنُ في بُنيته المعرفية. لذلك توجّب على الباحث عن حقيقة ما يحدث في «**الظواهر الخارقة للعادة**» التوقّف عن النظر الى «**الباراسايكولوجيا**» على انها جودو Godot الذي طال انتظاره ليقوم بالانتصار لهذه الظواهر المنبوذة وذلك بانصافها تقبُّلاً وتفسيراً!

وازاء هذا العجز المعرفي الذي تجلّى في عدم قدرة «**الباراسايكولوجيا**» عن استيعاب ظواهر الوجود نادرة الحدوث قام مؤلف هذا الكتاب بمحاولة لانقاذ المادة «**الباراسايكولوجية**» وذلك عن طريق اعادة تشكيلها من بعد تعريضها لتقنية المطرقة والسندان[1]. الا ان تعريض «**الباراسايكولوجيا المعاصرة**» لعملية اعادة التشكيل هذه لم تُسفر الا عن تبدّي العجز الكامن في صُلب مادتها وهي تخضع لفعل المطرقة ورد فعل السندان! لذا لم يكن امام المؤلّف من حل سوى العمل

---

(١) انظر كتاب «الباراسايكولوجيا بين المطرقة والسندان: بحث تجريبي رائد في الخوارق المحمدية للطريقة الكسنزانية».

على إطلاق دعوة لتأسيس باراسايكولوجيا جديدة[1] تستوعب الباراسايكولوجيا المعاصرة نصاً وتتجاوزها روحاً. ولقد تم طرح نموذج لهذه الباراسايكولوجيا وذلك بالانطلاق من خط شروع جديد يسمح لها بتجاوز العقبات القاتلة التي فتكت بالباراسايكولوجيا المعاصرة من قبل. كان هذا النموذج عربياً مؤمناً بالضرورة وذلك لأن المشاكل المعرفية التي خنقت الباراسايكولوجيا المعاصرة قد أوقعها فيها كونُها غربية ملحدة. ولقد قام المؤلف بصياغة مفردات النموذج المقترح للباراسايكولوجيا الجديدة استناداً لخط الشروع الجديد هذا والذي حدا به لاعادة النظر في مادة الظواهر الخارقة للعادة عموماً. وكان ان تم طرح نموذج تفسيري جديد استوعب الظاهرة الخارقة مادةً وطاقة[2]. ولقد تم بموجب هذا النموذج التفسيري الجديد دراسة الظواهر الخارقة للعادة وذلك وفقاً للطاقة المسببة لحدوثها فيزيائياً وللقابلية البايولوجية المسؤولة عن هذا الحدوث. ولقد قام المؤلف بتعزيز نموذجه التفسيري الجديد بدراسة مسهبة لموضوع التزامن وظواهره داعياً الى تأسيس باراسايكولوجيا خبراتية[3] تستند الى خبرة الشاهد على حدوث الظاهرة الخارقة هو ذاته. دعا المؤلف في كتبه ومقالاته ومحاضراته[4] الى ضرورة الالتزام بالمنهج التجريبي ـ الاختباري في التعامل مع الظواهر الخارقة للعادة والى وجوب الابتعاد عن الوقوع في اخطاء الباراسايكولوجيا المعاصرة. الا ان التعمُّق في دراسة عالم الظواهر الخارقة للعادة حدا بالمؤلف الى التفكير بضرورة التنازل عن اسم الباراسايكولوجيا حتى وان تم تحويره الى «**باراسايكولوجيا جديدة**» او «**باراسايكولوجيا عربية مؤمنة**» او «**باراسايكولوجيا خبراتية**» وذلك لقصور هذا المصطلح عن استيعاب ما يحدث في الظاهرة الخارقة عموماً. وهذا هو السبب الرئيس وراء قيام المؤلف بنحت مصطلح جديد هو «**علم خوارق العادات او البارانورمالوجيا**» ليكون هو العلم

---

(١) انظر كتاب «الباراسايكولوجيا المعاصرة من الإلحاد إلى الإيمان: دعوة لتأسيس باراسايكولوجيا جديدة».

(٢) انظر كتاب «حقيقة الظواهر الخارقة: قراءات في الباراسايكولوجيا العربية المؤمنة».

(٣) انظر كتاب «المتزامنات... خوارق الذكاء غير البشري: دعوة لتأسيس باراسايكولوجيا خبراتية».

(٤) انظر كتاب «حطين الجديدة معركة الارتقاء إلى حضارةٍ إنسانيةٍ جديدة».

الذي يقوم بدراسة الظواهر غير المألوفة في هذا الوجود. والآن، لنحاول سويةً استعراض اهم ملامح هذا العلم الجديد الذي هو بحق وسيلة الانسان الوحيدة للولوج الى عالم جديد بظواهره غير المألوفة وظواهره المألوفة من بعد القيام بالنظر اليها من زاوية جديدة مخالفة لزاوية نظر العلم النظري المعاصر بمنظومته المعرفية القائمة على التفسير الالحادي لظواهر الوجود.

ان اول ما يتوجب على هذا العلم الجديد ان يتقيد به هو ضرورة الابتعاد عن كل ما من شأنه ان يجعل منه نسخة اخرى للباراسايكولوجيا بصيغتها الحالية. فلابد وان يقوم هذا العلم بوضع ضوابط منهجية جديدة تحول دون وقوعه في ذات الاخطاء التي جعلت من باراسايكولوجيا أواخر هذا القرن علماً زائفاً Pseudo Science بعيداً كل البعد عن كل علم من علوم العصر! لقد كان على السايكولوجيا (علم النفس) ان تُنجب الباراسايكولوجيا لتقوم بدراسة الظواهر غير المألوفة وذلك على قدر تعلّق الامر بالجوانب السايكولوجية لهذه الظواهر إن وجدت. ولكن السايكولوجيا، وللاسف الشديد، لم تكن هي الام التي قامت بانجاب الباراسايكولوجيا وذلك على الرغم من تشدّق هذه الاخيرة بأنها الابنة البارة بوالدتها السايكولوجيا! فالباراسايكولوجيا تحاول إلصاق نفسها قسراً وعنوةً بعلم النفس وذلك عن طريق قيامها بتفسير الظواهر الخارقة للعادة، التي شغلت نفسها بها، وفقاً لما تقول به النظرياتُ السايكولوجية. وهي بذلك تظن، واهمةً ولاشك، انها قد نجحت في محاولاتها لاثبات بُنوَّتها وصلتها بعلم النفس. لكن الباراسايكولوجيا كانت قد ولدت من رَحَم آخر الا وهو رحم الدراسة المختبرية التي كان يقوم بها باحث مختص بعلم بايولوجيا النبات هو (جوزيف راين) في مضمار بعض القابليات البشرية الخارقة. لم يكن اختيار راين مُوفَّقاً لمصطلح الباراسايكولوجيا ليصف به «العلم الجديد» الذي أراد له ان يقوم بدراسة قابليات خارقة تتجلى في ظواهر الادراك بغير وساطة الحواس المألوفة وظواهر «التحريك النفسي للاشياء». لقد كان على راين ان يقوم باشتقاق مصطلح لا علاقة له بعلم النفس وذلك لتكون «للعلم الجديد» القدرة على السير في الارض الجديدة Terra Nova بحرية واستقلالية تبعدانه عن اية محاولة لفرض الوصاية على ظواهره الجديدة من قِبل نظريات السايكولوجيا التي أصبحت، بموجب التسمية

الباراسايكولوجية لهذا العلم الجديد، اماً له على الرغم من عدم حملها به! ولكن لَمَ اختار راين تسمية الباراسايكولوجيا ليصف بها علمه الجديد؟ لقد توهم راين بظنه ان علم النفس هو العلم المختص بدراسة القدرات البشرية ادراكية كانت ام تحريكية! لذا كان عليه ان يعزو ما رآه في ظواهر الادراك بغير وساطة الحواس الخمس وظواهر **«التحريك النفسي للاشياء»** الى وجود قدرات غير تقليدية للنفس البشرية تستدعي بالضرورة ايجاد فرع جديد لعلم النفس يُعنى بدراسة هذه القدرات غير السايكولوجية! ولكن مَن قال بأن علم النفس (السايكولوجيا) هو حقاً علم دراسة القدرات البشرية التقليدية حتى تكون الباراسايكولوجيا هي علم دراسة القدرات البشرية غير التقليدية؟! ان دراسة ادراك الاشياء وتحريكها، ليست قصراً على علم النفس حتى يكون **«ما وراء علم النفس»** هو العلم المختص بدراسة **«ما وراء القدرات التقليدية»** على الادراك والتحريك! فالطب، بعلومه المتعددة، والفيزياء وعلم النفس شركاء كلّهم جميعاً في دراسة هذه الظواهر وذلك من دون ان تكون هنالك وصاية تُفرَض عليها من قِبل أي من هذه العلوم. الا ان راين لم يدرك هذا عندما قام بنحت مصطلح الباراسايكولوجيا في محاولة فاشلة منه لتعريف العلم الذي ينبغي تأسيسه ليقوم بدراسة ظواهر الادراك غير التقليدي والتحريك غير المألوف للاشياء. اذاً لم تكن تسمية الباراسايكولوجيا لتدل على المُسمَّى الذي برز للوجود بدراسة راين لهذه الظواهر الخارقة للعادة! فلقد اكتشف راين جانباً من واقع غير مألوف سبق لآخرين الوقوع على جوانب اخرى منه، الا انه لم يُحسن صياغة المصطلح الذي يَصلُح لوصف العلم الجديد الواجب تأسيسه لدراسة هذا الواقع غير المألوف. كانت هذه اذاً خلاصة موجزة لظروف نشأة الباراسايكولوجيا كتسمية خاطئة أريد لها ان تكون الاسم الدال على هذا العلم الجديد! لقد أخطأ راين، الذي تبعه في هذا الخطأ آخرون كثيرون يتعذّر حصرهم، حين ظن بعلم النفس الجديد الذي أراد ان يكون من رواده القدرة على الاحاطة المعرفية المطلقة بالظواهر الخارقة للعادة التي كانت محور دراسته المختبرية. فعلم النفس عاجز عن فرض وصايته المعرفية المطلقة على أية ظاهرة من ظواهر السلوك البشري حتى يكون لعلم النفس الجديد (الباراسايكولوجيا) هكذا وصاية مطلقة على ما هو خارق للمألوف من هذه الظواهر! الا ان الباراسايكولوجيين نهجوا في دراستهم للظواهر الخارقة التي

اهتموا بها نهجاً أملته عليهم هذه الاعتقادات الباطلة والتي سوّلت لهم إبعاد كل العلوم الاخرى عن الميدان لا لشيء الا لأنهم هم اهل الدراية والمعرفة بكل ما له علاقة بهذه الظواهر وذلك من دون إسناد شرعي لهكذا وصاية انتحلوها ظلماً وعدواناً. الا ان الباراسايكولوجيين، وفي غمرة فرحهم بعلمهم الزائف الجديد، فاتهم ان يدركوا انهم ما اتبعوا الا الضلالة حين اتّخذوا لانفسهم هذه الصنعة التي لا علاقة لها بالعلم من قريب او بعيد! فما يقومون به من دراسة لا علاقة لها بالباراسايكولوجيا اولاً وقبل أي شيء. فالعلم الذي نشأ على انه باراسايكولوجيا لا علاقة له بالباراسايكولوجيا كتسمية تفيد الدلالة على علم يبحث في الظواهر غير المألوفة من زاوية نظر سايكولوجية! اننا في حقيقة الامر وواقعه لم نحظَ حتى يومنا هذا بعلم تنطبق عليه تسمية الباراسايكولوجيا بهذا المعنى المحدد الفحوى والدلالة! فما بين ايدينا من علم يدّعي انه باراسايكولوجيا ما هو الا تخبّط لتيارات فكرية شتى في ظلمات بعضها فوق بعض! ولكننا مرغمون على اعتبار هذه التيارات علم باراسايكولوجيا وذلك لشيوع الخطأ وتواتره حتى اصبح هو الصواب المُلزِم بوجوب الاخذ به على انه الحق الذي ليس وراءه الا الباطل. اننا ننتظر ولادة الباراسايكولوجيا لتحل محل هذا الخليط العجيب من الافكار والذي أشاع في الاجواء انه الباراسايكولوجيا! ولكن ما هي هذه الباراسايكولوجيا المنتظرة التي آن اوان ولادتها وذلك بقيامنا بتحديد السمات المميّزة للعلم الجديد الذي نريد له ان يكون علماً، حقيقياً هذه المرة، يدرس الظواهر الخارقة للعادة دون استثناء او استبعاد لأية ظاهرة ودون إبعاد وإقصاء لأي علم بمقدوره ان يقول الحق في حق هذه الظواهر؟ ان الباراسايكولوجيا التي ننتظر لها ولادةً عاجلةً هي تلك التي ظن وتوهم راين ومن تبعه من الباراسايكولوجيين انهم قد استحدثوها وهم ما قاموا الا باستحداث مبحث فكري جديد، بكل تأكيد، الا انه غير باراسايكولوجي دون اي شك! فالباراسايكولوجيا هذه يجب ان تكون بحق «**علم نفس الظواهر الخارقة للعادة**» وليس شيئاً آخر على الاطلاق! فما بين ايدينا من باراسايكولوجيا مُدّعاة تريد ان تكون شيئاً آخر لا مجرد علم نفس يدرس الظواهر الخارقة للعادة مستعيناً بحقائقه السايكولوجية. ان الباراسايكولوجيا التي ننتظر هي المُسمى الذي لم يقم راين بصناعته وتأسيسه كما قام بصياغة وتأثيل الاسم الذي أراد له ان يدل على العلم

الذي يجب ان يُعنى بدراسة تجاربه غير المألوفة! ان ما درسه راين كان شيئاً آخر ولم يكن باراسايكولوجيا. لقد ظلت تسمية الباراسايكولوجيا تبحث عن مُسمى وذلك منذ ان نحتها راين وتوهَّم انها هي الاسم الذي يدل على علمه الجديد! والآن اذا كنا ما نزال في انتظار ولادة الباراسايكولوجيا، كعلم نفس يدرس الظواهر الخارقة للعادة وليس كعلم زائف كحال الباراسايكولوجيا المعاصرة اليوم، فماذا نفعل بالتراث الفكري الذي صنعته اجيال الباراسايكولوجيين وهم يظنون بأنهم يدرسون الظاهرة الخارقة دراسة باراسايكولوجية؟! هل نأخذ به على انه حق أخطأت تسميته ام ننبذه كُلاً وجزءاً بلا تمحيص؟! ان الدعوة موجهة ايضاً لهذه الباراسايكولوجيا المُدعاة لتكون هي ايضاً طرفاً، وليس أكثر، من الاطراف المعرفية التي تقوم بدراسة الظواهر الخارقة للعادة ولكن من بعد ان تكف عن محاولة اقناعنا بأنها صاحبة الوصاية المطلقة على هذه الظواهر! ان الامر يستدعي اذاً ان تتخلى عن اسمها كباراسايكولوجيا مادامت لا تقنع بأن تكون مجرد علم نفس الظواهر الخارقة للعادة وذلك ليعود الحق الى صاحبه الشرعي. فالباراسايكولوجيا الحقيقية هي صاحبة الحق الشرعي في هذا الاسم وذلك مادامت هي علم نفس الظواهر الخارقة للعادة. والظواهر الخارقة للعادة هي صاحبة الحق الشرعي في ان يكون لها علم يدرسها بما تستحقه وليس بما يمليه عليها من حقوق له يتوجب عليها العمل بموجبها! اننا بانتظار باراسايكولوجيا جديدة لتكون هذه المرة بحق هي الباراسايكولوجيا الحقيقية لا الزائفة. والآن، ومن بعد فراغنا من امر هذه التَرِكة الثقيلة التي أرهقتنا بمُسمياتها وتسمياتها وقديمها وجديدها، وبعد ان ادركنا ان الباراسايكولوجيا، كإسم يدل على مسمى هو علم نفس الظواهر الخارقة للعادة، لا وجود له حتى يومنا هذا، فان علمَي «الباراسايكولوجيا المعاصرة» و«البارانورمالوجيا» كليهما مدعوان للمشاركة في تأسيس العلم الجديد مع باقي العلوم ذات الصلة بدراسة هذه الظواهر.

لقد اضطرّتنا الظواهر الخارقة للعادة الى التفكير بضرورة استحداث علم جديد يستوعبها كلها جميعاً دونما انحياز لفئة وذلك على حساب الانشغال عن فئة اخرى. ولقد أخذنا ندرك ضرورة ألا يكون هذا العلم باراسايكولوجيا بالمعنى الحرفي لهذا المصطلح. كما اننا تلمّسنا ضرورة قيام جمهرة من العلوم بتناول

هذه الظواهر بالدراسة المنهجية والبحث العلمي كل حسب تخصصه وذلك من دون ان يقوم أي من هذه العلوم بفرض وصايته المطلقة عليها كما فعلت «الباراسايكولوجيا» منذ نشأتها وحتى يومنا هذا. والآن، اذا كانت هذه الباراسايكولوجيا المدعاة بعيدة عن ان تكون اسماً على مُسمى كما سبق وان رأينا قبل قليل، واذا كنا بانتظار ولادة الباراسايكولوجيا كفرع لعلم النفس مختص بدراسة الظواهر الخارقة للعادة دراسة سايكولوجية ليس الا، فهل لنا ان نستنتج اننا ايضاً بانتظار ولادات اخرى لعلوم اخرى غير علم النفس؟ فاذا كان على الطب ان يبادر الى دراسة الظواهر الخارقة للعادة وذلك على قدر تعلّقها بالمنظومة البايولوجية للانسان فان هذا يستدعي وجوب تأسيس فرع جديد لعلم الطب يتوجّب علينا اولاً وقبل كل شيء المبادرة الى تسميته تسمية مناظرة لتسمية الباراسايكولوجيا. فاذا كانت هذه لا أكثر من «**علم نفس الظواهر الخارقة للعادة**» فان الفرع الطبي الجديد، والذي هو «**علم طب الظواهر الخارقة للعادة**»، يجب ان يُصار الى تسميته باراطب او Paramedicine. وهكذا تتوالى التسميات الاخرى لفروع العلوم الاخرى. فعلم اجتماع الظواهر الخارقة للعادة والذي يقوم بدراستها وفقاً لما بامكان علم الاجتماع ان يرفدنا به عن طريق تناولها بمنظار منظومته المعرفية التخصصية هو الباراسوسيولوجيا Parasociology. وعلم فيزياء الظواهر الخارقة للعادة والذي يقوم بدراسة هذه الظواهر وفقاً للطاقة المستهلكة في عملية حدوثها هو البارافيزياء او Paraphysics. وعلم انثروبولوجيا الظواهر الخارقة للعادة والذي يبحث فيها من زاوية علم الانسان هو البارانثروبولوجيا او Paranthropology. ان هذه الفروع الجديدة من العلوم المختلفة التي ينبغي علينا إشراكها في دراسة الظواهر الخارقة للعادة سوف تستدعي بالضرورة ان يُصار الى تسمية العلم الناشيء من جراء عملية اجتماعها وتشاركها هذه. ان العلم الجديد الناشيء عن اشتراك فروع العلوم التي تم ذكرها، والتي لم يتم، في دراسة هذه الظواهر هو «**علم الظواهر الخارقة للعادة**». وأنسب تسمية لهذا العلم الجديد، المتكوّن من هذا العدد الكبير من الفروع العلمية الجديدة، هي الباراعلم او Parascience. اذاً نحن الآن بانتظار ولادة هذا العلم الجديد بفروعه الجديدة التي ينبغي على كل علم يملك ان يقول شيئاً بشأن الظواهر الخارقة للعادة الاسراع الى استحداث ما يُمكّنه من المشاركة في دراستها. فنحن ننتظر ولادة

الباراسايكولوجيا والباراسوسيولوجيا والبارانثروبولوجيا والباراطب والبارافيزياء وحتى البارافينومينولوجيا Paraphenomenology علم ظواهر الظواهر الخارقة للعادة! والآن ومن بعد فراغنا من هذا الواجب الذي تُمليه علينا ضرورةُ تحديد المصطلحات التي يتوجب على العلم الجديد استقدام مسمياتها لتكون لها مادةً وفحوى، فان الواجب يُحتّم علينا ضرورة القيام بمراجعة المصطلح المستخدم للدلالة على الظواهر التي يدرسها هذا العلم الجديد هي ذاتها!! فالظواهر الخارقة اوصلتنا الى هذا الادراك لقصور المعرفة الانسانية الحالية عن تناولها بالتفسير والتأويل المقنعَين. وهي الآن، من بعد نجاحها هذا في ايصالنا لهذه المرحلة الحاسمة في مسار تطور وارتقاء الفكر البشري، يتوجب عليها ان تتخلّى عن دورها الذي قامت بتأديته بكل اتقان وذلك بقيامنا بالتخلي عنها مصطلحاً وليس مسمى تدل عليه! فمصطلح الظواهر الخارقة هو الآخر لا يملك ما يجعل منه متفقاً مع واقع هذه الظواهر وحقيقة ما يحدث فيها. فهذه الظواهر لا تخرق الطبيعة كما تُلزمنا بالقول بذلك التسميةُ الانكليزية Supernatural phenomena ؛ هذه التسمية التي كانت الاصل الذي تفرّع بالترجمة الى مصطلح الظواهر الخارقة للطبيعة. فما يحدث في هذه الظواهر لا يمكن النظر اليه على انه يُمثّل خرقاً للطبيعة وذلك كما توهم واضعو المصطلح والمتواضعون على استخدامه بهذه الدلالة الملحدة الكافرة! فما يحدث في هذه الظواهر يمثل خرقاً بيّناً لما آلفناه واعتدنا عليه؛ أي لمنظومتنا المعرفية فحسب! لذا فلا صحة للقول بما يتوجب علينا القول به اذا ما نحن واظبنا على استعمالنا الخاطيء لمصطلح الظواهر الخارقة؛ هذا المصطلح الذي ينبغي علينا التوقّف عن استعماله من بعد نجاحنا في الافادة منه، على قصوره والنقص المتبدي عليه، في توصلنا الى ضرورة قيامنا باستحداث علم جديد يتناول ما يحدث في هذه الظواهر بالدراسة الجادة والبحث الرصين. ان خير معين لنا في حيرتنا حيال هذه الظواهر هو فكرنا العربي المؤمن الذي لم يرَ فيما يحدث فيها ما يوجب التردد في تسميتها على ما هي عليه حقاً؛ أي خوارق للعادات. فخير تسمية لهكذا ظواهر تخرق المألوف الذي اعتدنا عليه واصطلحنا على اعتباره مادة منظومتنا المعرفية الانسانية هي «**خوارق العادات**». فالعلم الجديد الذي ينبغي عليه دراسة ما يحدث في خوارق العادات هو «**علم خوارق العادات**» وأنسب ترجمة لهذا المصطلح العربي المؤمن

هو Paranormalogy البارانورمالوجيا.

ان البارانورمالوجيا Paranormalogy هو العلم الذي بالامكان وصفه بالانكليزية على انه The science of the paranormal. وعليه، فان الباراسايكولوجيا سيكون بالامكان وصفها على انها علم نفس خوارق العادات Psychology of the paranormal وهكذا تتوالى تسميات بقية فروع العلم الجديد Parascience ليصبح بمقدورنا تعريف البارافيزياء Paraphysics على انها فيزياء خوارق العادات physics of the paranormal والباراسوسيولوجيا Parasociology على انها علم اجتماع خوارق العادات sociology of the paranormal والباراطب على انه علم طب خوارق العادات medicine of the paranormal والبارفينومينولوجيا على انها علم ظواهر خوارق العادات phenomenology of the paranormal. والآن، هل من منافع اخرى بامكان هذا العلم الجديد ان يعدنا بها ان نحن بادرنا الى تأسيسه وفق الضوابط المنهجية التي يقتضيها علمٌ جديدٌ بظواهر غير مألوفة؟ لِنَقُم بتلخيص ما افادنا به هذا العلم ونحن بعدُ في طور الدعوة لتأسيسه! لقد لفت علم خوارق العادات البارانورمالوجيا Paranormalogy انظارنا الى وجوب قيامنا بمراجعة منهجية للبُنى المعرفية التي تتشكّل منها الثوابت المرجعية للفكر البشري وذلك ليتسنى لنا اعادة النظر في موقعنا من الوجود وما فيه من موجودات من بينها هذا الانسان! فهذا العلم الجديد هو ليس مجرد دراسة جديدة لظواهر لم يسبق وان قامت بدراستها منظومةٌ معرفية خالصة من الدوغمائيات التي تُمليها على الفكر الانساني بشريتُه ورغبتُه في إسباغ بشريته هذه على كل ما في الوجود. كما انه لا يكتفي بمجرد الدعوة لتأسيس بُنيته المعرفية باشتراك لفيف من العلوم التخصصية التي يدعو لتأسيس فروع لها تختص بدراسة خوارق العادات كل حسب اختصاصه المعلوماتي وبُنيته المعرفية. فهو ليس مجرد دعوة لتأسيس البارانورمالوجيا والباراسايكولوجيا والباراسوسيولوجيا والبارانثروبولوجيا والبارافيزياء والباراطب و... الى آخره من العلوم الجديدة. فعلم خوارق العادات Paranormalogy هو، اولاً وقبل اي شيء، علم ايماني بمستطاعه تقديم البرهان الحاسم الذي يملك ان يقطع بوجود الله وجوداً فوق كل شك او تشكيك وذلك بدراسته للظواهر غير المألوفة التي ترافق السير على

الطريق الى الله؛ هذه الظواهر التي تعجز معارفُنا عن تفسيرها وفقاً لمنظوماتها النظرية الملحدة وذلك لفرْط خرْقها للاسس التي استندت اليها هذه المنظومات المعرفية في دراستها للظواهر المألوفة في هذا الوجود. كما ان علم خوارق العادات البارانورمالوجيا يمثل دراسة للظاهرة الالهية في مجال جديد لتجلّيها واضحةً دونما ريب او لبس. فالظاهرة الالهية المتجلية في الوجود بظواهره شائعة الحدوث لا تملك ان تُلزِم المتشكك بوجود الله سبحانه وتعالى بالقول بأن الله موجود لا محالة. بينما يتوجب على هذا المتشكك الايمان بوجود الله وذلك اذا ما جُوبه بالظاهرة الالهية متجليةً في خوارق العادات وذلك لأن القول بوجود الله هو وحده الذي يملك ان يحطم الغموض المطبق الذي يكتنف هذه الظواهر غير المألوفة فائقة الخارقية والتي بالامكان على الدوام إحداثها وتوليدها شريطة التزام الانسان بالسير على الطريق الإلهي الى الله وفقاً لضوابطه المنهجية.

القسم الأول

الظواهر الخارقة ظواهر غير بشرية

لابشرية الظواهر الخارقة!

١ - البشري واللابشري في الظاهرة الخارقة

لا تُفرّق الباراسايكولوجيا التقليدية ما بين القابلية على القيام بفعالية خارقة وبين الطاقة التي هي السبب وراء حدوث الظاهرة الخارقة للعادة المرتبطة بهذه الفعالية. فحدوث معظم الظواهر الخارقة التي تدور الباراسايكولوجيا الغربية من حولها يتطلّب وجوب توفّر عنصرين مُتلازِمين لا سبيل للتفريق بينهما على الإطلاق. وهذان العنصران المتلازمان وجوباً هما: الطاقة المسؤولة عن حدوث الظاهرة الخارقة والقابلية على التفاعل مع هذه الطاقة تفاعلاً ينتج عنه هذا الحدوث. ان شرط التلازُم ما بين هذه الطاقة وتلك القابلية لا يمكن التفريط فيه؛ هذا اذا ما أردنا للظاهرة الخارقة أن تحظى بما يُمكّنها من الحدوث! فتوفّر أحد هذين العنصرين لا يُلزِم الظاهرة الخارقة بالحدوث وجوباً؛ فوجود شخص ما ذي قابلية على التفاعل مع طاقةٍ مُشخصَنة عند تواجدها على مقربة منه كما يحدث في ظاهرة ما يُسمى بجلسات تحضير الأرواح لا يُحتِّم حدوث الفعاليات الغريبة التي ترافق عادةً هذه الجلَسات الاّ اذا ما تواجدت هذه الطاقة بالقرب منه. وهذا ما يجعل من جلسات تحضير الأرواح لا تنجح الا بوجود كلٍّ من هذا الشخص الذي يُسمّى بالوسيط والطاقة المسؤولة عن تلك الفعاليات الغريبة الخارقة والتي يُطلق عليها اسم الروح أو الحضور. ان حضور هذه الروح جلسة التحضير سوف يكون حضوراً سلبيا بغياب الوسيط: الشخص المتميز بالقابلية على التفاعل معها تفاعلاً ينتج عنه حدوث فعاليات خارقة. كما أن وجود هذا الوسيط سوف لن يكون كافياً لجعلها تحدث اذا ما أحجمت، لسبب أو لآخر، أرواحُ جلسات التحضير عن حضور الجلسة أو اذا ما قرّرت، لهذا السبب أو ذاك، عدم البَوح عن وجودها! كما لو اننا تأملنا في ظواهر الإتّصال الخارق

والإحساس الفائق أو ما يُسمّى عادة بتوارد الخواطر لوجدنا ان الثابت مختبريا بخصوص هذه الظواهر الخارقة أن الشخص الذي بامكانه استعراض هذه الفعاليات لا يستطيع النجاح دوماً في القيام بذلك. فهو لا يستطيع أن يقوم بفعالية توارد الأفكار ما بينه وبين شخص آخر على الدوام وكلّما طُلب منه ذلك كما تقتضي ذلك ضوابطُ المنهج التجريبي في التجارب المختبرية. ان اللاتكرارية هي سِمة مميّزة لمُجمل الظواهر الخارقة التي اختارت الباراسايكولوجيا التقليدية الدوران من حولها. ولكن، ما السبب في وجود هذه اللاتكرارية؟ تكمن الإجابة على هذا السؤال في استذكار حقيقة كون هذه الظواهر هي نِتاج التفاعل ما بين الطاقة غير البشرية المسؤولة عن ظهورها والقابلية البشرية على التأثر بهذه الطاقة تأثّراً يتجلّى في ظهور هذه الظواهر بهذا الشكل الخارق. فالمُلاحَظ عن هذه الظواهر أنها تخُص قلّة قليلة من البشر يمتازون بالمقدرة على إحداثها لا عندما يُطلب منهم ذلك وليس عندما يريدون هم القيام بذلك ولكن فقط عندما تختار هذه الظواهر ذلك! اي أن هذه الظواهر لا تحدث الاّ لقلّة من البشر وهي لا تحدث لهم الاّ قليلاً. فاذا كانت الطاقة المسؤولة عن حدوث هذه الظواهر الخارقة موجودةً على الدوام فان عدم تمتّع هذه الظواهر بسمة التكرارية يعني ضرورة أن تكون قابلية الشخص، ذي المقدرات الخارقة، على إظهار الخوارق لا تتمتّع بصفة الدوام على ذلك. أي ان هذا الشخص يكون بمقدوره أحياناً التفاعل ايجاباً مع الطاقة غير البشرية تفاعلاً ينتج عنه حدوث الظاهرة الخارقة ولا يستطيع أحياناً اخرى كثيرة القيام بهذا التفاعل فلا تحدث بذلك الظاهرة الخارقة. ان هذا هو ما يحدث في الظواهر الخارقة الناجمة عن التفاعل ما بين طاقة غير بشرية وغير مُشخصَنة وبين شخص يتمتّع بالقابلية على القيام بهذا التفاعل. فهذه الطاقة (غير البشرية وغير المُشخصَنة) هي طاقة بلا شخصية ولا تملك أن تُحجم حيناً عن الإشتراك في التفاعل؛ فهي دوماً على استعداد للدخول في تفاعل مع هذا الشخص الموهوب ولكن شَريطة أن يكون هذا الشخص هو دائماً على حاله الموهوب هذا! ان هذا يلقي الضوء على السبب الذي يجعل من هذا النوع من ظواهر الباراسايكولوجيا التقليدية يمتاز باللاتكرارية؛ فتوفّر الطاقة اللازمة لظهور الظاهرة الخارقة من هذا النوع لا يكفي وحده طالما كان الشخص الموهوب فاقداً، فقداناً وقتياً، لقابليّته على الإفادة من هذه الطاقة عبر تفاعله

معها وبما يجعل منها تتجلّى في الظاهرة الخارقة تأثيراً ومقدرةً. ان ظواهر الإتّصال الخارق وتحريك الأشياء عن بُعد هي ظواهرٌ هذه هي ظروف ظهورها. فشرط الحدوث هنا مرتبط بتحقّق وجود قابلية الشخص الموهوب. وهذه القابلية تجيء وتذهب وذلك اعتماداً على الظرف البايولوجي لهذا الشخص؛ ذلك الظرف الذي تُشكّله جملةُ متغيّرات بايوكيميائية تخص بُنيته البايولوجية المتميزة أصلاً عن غير الموهوبين من أفراد النوع الانساني. ان الذي جعل من هذا الشخص الموهوب يختلف عن جملة أفراد النوع الإنساني هو هذا الظرف البايولوجي المميّز له عنهم وهذا الظرف لا يتمتّع هو ذاته باستقرارٍ على حاله هذا؛ فهو يتغيّر من حالٍ الى حال بتغيّر يَطال عناصر تشكّله بايوكيميائياً. فهذا الشخص الموهوب بمستطاعه الإفادة من الطاقة المسؤولة عن حدوث الظاهرة الخارقة اذا، واذا فقط، كان في ظرفٍ بايولوجي مناسب لا يكون فيه الا من بعد تحقّق حصوله على تلك العناصر البايوكيميائية التي تتفاعل فيما بينها لتُهيّء له التمتّع بهذه القابلية الخارقة على التفاعل مع هذه الطاقة. أما تلك الظواهر الخارقة التي تكون الطاقة المسبّبة لحدوثها طاقة غير بشرية، ولكن مُشخصَنة، فهي تمتاز باللاتكرارية التي يعود مرجعها ليس فقط الى الظرف البايولوجي بعناصره البايوكيميائية ولكن أيضاً الى تمتّع هذه الطاقة بشخصية تختار وتقرّر؛ توافق على الدخول في التفاعل أو تحجم عن ذلك. وهذا هو عين ما يحدث عادةً في ظواهر جلسات التحضير.

اذاً فاللاتكرارية في معظم الظواهر الخارقة التي هي محور دوران الباراسايكولوجيا التقليدية يعود سببها، بشكلٍ رئيسي، الى عدم استقرار قابلية الأشخاص الموهوبين على حالها دوماً.

أما اذا ما نحن تدبّرنا في الظواهر الخارقة التي تحدث للانسان بعد شروعه بالسير على الطريق الإلهي الى الله فاننا سنجد ان الأمر مختلف تماماً. فالطريقة تسعى جاهدةً الى جعل مَن يتقيّد بالسير على الطريق الإلهي الى الله وفق ضوابط نهجها التعبّدي، بكل اخلاص وتفانٍ والتزام، يصل الى حالٍ دائم ثابت من القابلية على التفاعل الإيجابي مع ما يتعرّض له من نورٍ على هذا الطريق. ان هذا الدوام سوف يجعل منه غير قادر على التقلّب من حال الى حال فيكون ذا قابلية

على إتمام التفاعل على وجهه الصحيح حيناً ويفقد قابليّته هذه أحياناً اخرى. فطاقة هذا النور موجودة على الدوام وهي بانتظار من يبادر بالسير، باخلاص وتفانٍ وانضباط، على الطريق الإلهي الى الله. وهذه الطاقة تُعبّر عن ذاتها على أتم وجه وبأقوى تجلٍ عندما يكون السائر على الطريق ملتزماً بقواعد السير والسلوك عليه حق الإلتزام؛ حيث يفوز بحالٍ من القابلية المستديمة على الإفادة القصوى من هذه الطاقة وبما يجعل منه غير قادر على الرجوع الى سابق وجوده البشري المألوف. ان استحالة تحوّل السائر على الطريق الإلهي الى الله عن هذا الحال المُقيم ناجمةٌ عن فرط مُباينته لما اعتاد عليه، قبل شروعه بالسير على هذا الطريق، من تشاغُلٍ عن الله لتحقّق انشغاله بسواه. ان حظ السائر على هذا الطريق من طاقته، التي ليست كمثلها طاقة، يُقدِّره نجاحُه في التحلّي بما يُمكِّنه من استقبال أكبر قدْرٍ ممكن من هذه الطاقة. وهذا يستدعي تحقّق حصوله على قابلية عالية الإستقرار على حال واحد لا تفارقه. ان هذا الإلتزام العقائدي المنضبط من قِبل السائر على الطريق الإلهي الى الله سوف يجعل منه يغادر بُنيته البايولوجية المألوفة (التي كان يتمتّع بها قبل التزامه بالسير على الطريق) الى اخرى تخالفها في المقدرة على التفاعل ايجاباً مع طاقة الطريق الالهي الى الله. وهذا التغيّر البايولوجي هو، بشكل رئيسي، بايوكيميائي الفحوى والمضمون. ان تغيّراً بايوكيميائياً خارقاً كهذا هو المسؤول عن هذه القابلية فائقة الخارقية التي اكتسبها السائر على الطريق فأصبح بوسعه أن يستقبل من طاقة الطريق بقدْرٍ يتناسب طرداً معها. ان الإنضباط العقائدي وفق منهاج الطريق الالهي الى الله التعبّدي كفيل بإحداث هذا التغيّر البايوكيميائي الأساس والذي ينجم عنه، لامحالة، نشوء تلك القابلية على استقبال طاقة الطريق بقدْرٍ يتناسب مع ما تحقّق للسائر عليه من نجاح في الإفادة من مفردات وتفاصيل منهاج العبادات في إِحداث التغيّر البايوكيميائي هذا. ان هذه المفردات التعبّدية مسؤولة عن تغيير الأنماط التقليدية التي يتميز بها النظام البايوكيميائي للسائر على الطريق وذلك قبل شروعه بالسير الملتزم عليه. وهذا التغيير سوف يعمل على ظهور نمط جديد غير مألوف هو الأساس في نشوء قابلية السائر على الطريق على التفاعل مع الطاقة التي لابد وأن يتعرّض لها عند سيره عليه.

الاّ ان هناك ظواهراً خارقة للعادة اخرى تمتاز بكونها لا تحتاج الى العنصر البشري لحدوثها؛ فهي نِتاج صرْف لطاقة غير بشرية؛ سواء كانت مُشخصَنة أو غير مُشخصَنة. فهي ظواهر خارقة لا تحدث بوساطةٍ بشرية؛ حيث ان الطاقة المسؤولة عن ظهورها (وهي طاقة غير بشرية غير مُشخصَنة) لا تحتاج أية قابلية بشرية ليتسنّى لها التجلّي تأثيراتٍ خارقة. وكمثال على هذه الظواهر نذكر ظاهرة البيوت المسكونة التي تحدث بسببٍ من تدخّل كائنات غير بشرية عالية الطاقة فائقة المجهرية Super Microscopic. ان ظاهرةً خارقةً كهذه لا تحتاج توفّر عنصر بشري كيما تحدث؛ فهي، على خلافٍ من ظاهرة جلسات التحضير، لا تشترط وجود وسيط بشري ليتسنّى للحضور غير البشري ان يتجلّى فعالياتٍ خارقة.

ان معظم ظواهر الباراسايكولوجيا التقليدية هي ظواهر تحدث بسببٍ من تفاعلات تجري بين طاقات غير بشرية وبين قابليات بشرية يكون بمقدورها الإفادة من هذه الطاقات وبما يحقّق للظاهرة الخارقة حدوثها المُشترَط بحتمية هذا التلازُم ما بينهما. ان هذا التلازُم، الشَرطي والظرفي، يشبه، والى حد بعيد، تلازُم الطاقة الضوئية مع القابلية على الإبصار في ظاهرة الرؤية. فهذا التلازم لابد منه كيما يستطيع الإنسان الرؤية. ان عدم توفّر أيٍّ من هذين العنصرين، المُتلازمَين ضرورةً، يُحتّم استحالة تحقّق ظاهرة الرؤية! فوجود الإنسان، بعينٍ ثاقبة وبصر حديد، داخلاً من غرفة حالكة الظلام، لا ينفذ اليها أي ضوء على الإطلاق، يجعل منه عاجزاً عن النظر الى ما حواليه ليرى أشياء الغرفة أو أجزاء جسمه على ما هي عليه في الضوء. كما أن انعدام القابلية على الإبصار عند حسيري البصر وفاقدي النظر لا يجعل من أيّهم بمقدوره الإفادة من ضوء الشمس أو المصباح الكهربائي في رؤية الأشياء. وهذا صحيح أيضاً عند تدبّر التلازُم الحتمي ما بين الطاقة الصوتية، كطاقة غير بشرية غير مُشخصَنة أيضاً شأنها في هذا شأن الضوء، والقابلية على السمع؛ هذا التلازُم الذي لا مفرَّ من توفّره حتى يكون بوسع الإنسان سماع الأصوات ممكنة السَماع. وهكذا فان غالبية ظواهر الباراسايكولوجيا التقليدية تشترط هذا التلازُم ما بين الطاقة غير البشرية، مُشخصَنة كانت أم غير مُشخصَنة، وبين القابلية على التفاعل معها وبما يكفل لها أن يتحقّق لها الظهور والحدوث. وعلى غرار ما تقدّم ذكره بشأن استحالة

الإبصار أو السَماع بمجرد توفّر أحد عنصرَي الظاهرة الرؤيوية أو السمعية فانه من المستحيل كذلك الحصول على ظاهرة خارقة، كتوارد الأفكار أو تحريك الأشياء عن بُعد، بمجرد توفّر أحد عنصرَيها واجبَي التلازم. ان توفّر الطاقة غير البشرية لا يُغْني عن وجود شخص ذي قابلية خارقة على الإفادة الفاعلة من هذه الطاقة وبما يكفل للظاهرة الخارقة، المرتبطة بتلك القابلية، الحدوث. كما ان هذه القابلية الخارقة لا تكتسب معناها الا بوجود الطاقة غير البشرية التي تستطيع أن تتفاعل معها لتعملا سوية على إظهار وإحداث الظاهرة الخارقة. فالقابلية الخارقة هي لاشيء بدون هذه الطاقة!

والآن، ما الذي بمستطاع ظواهر البارانورمالوجيا أن تُقدّمه من جديد لا تملكه ظواهر الباراسايكولوجيا التقليدية بخوارقها المألوفة؟

١ ـ تتّصف ظواهر البارانورمالوجيا بأنها لا تحتاج أن تكون مشروطةً بوجوب التلازُم ما بين عنصرَي الظاهرة الباراسايكولوجية التقليدية؛ أي: الطاقة غير البشرية والقابلية البشرية الخارقة. فظواهر المناعة الفائقة ورد الفعل الخارق والشفاء غير التقليدي للجروح المتعمّد إحداثها في الجسم هي ظواهر لا تشترط توفّر قابلية خارقة عند الشخص الذي يروم إحداثها شَريطة إلتزامه بشرطها المُلزِم بضرورة التقيّد بقانونها المفروض من قِبَل الطريقة؛ أي أن تكون هذه الظواهر فائقة الخارقية غير مقصودة لذاتها بل ان يكون المَقصد من وراء إحداثها هو ايرادها في سياق التدليل والبرهان على ان الطريق الإلهي الى الله هو الحق. وهذا الفارق الجوهري ما بين الظواهر الخارقة التقليدية والظواهر الخارقة غير التقليدية يبرهن على تفوّق الطاقة غير البشرية على القابلية البشرية وذلك عند الشروع بمقارنة هذه بتلك. ان ظواهر الدرباشة هي ظواهر لا تحتاج البشري قابليةً خارقةً ولكن فقط مجالاً لظهور تأثير طاقة الطريق الإلهي الى الله على جسم الدرويش.

٢ ـ ليس هناك في ظواهر الباراسايكولوجيا التقليدية، التي بوسع الإنسان استعراضها، ما يشبه ظواهر الدرباشة في كونها تحدث من غيرما حاجة لتوفُّر قابلية بشرية يكون من الضروري، بل من المحتّم، وجودها كشرط أساسي لهذا الحدوث! فكل هذه الظواهر الخارقة التقليدية تستدعي وجوب تواجد قابلية بشرية خارقة وطاقة لابشرية. فليس هناك في الباراسايكولوجيا التقليدية ظواهر خارقة،

يستطيع الإنسان استعراضها، تحدث في ظل غياب القابلية البشرية الخارقة!

٣ ـ تعمل البارانورمالوجيا، بواسطةٍ من طاقة الطريق الإلهي الى الله، على خلق قابليات بشرية خارقة غير مألوفة حتى من قِبَل الباراسايكولوجيا التقليدية. ويكون بمستطاع هذه القابليات الخارقة الإستفادة، على نحو خارق للغاية، من الطاقة التي يتعرّض لها، وجوباً، أيُّ فرد من أفراد الجنس البشري اختار اتّخاذ الطريق الإلهي الى الله مساره الذي لا يحيد عنه اطلاقاً. وهذه الإفادة سوف تجعل منه بشراً ليس كباقي من ينتمي للنوع الإنساني وذلك لفرط تميزه بمقدرة فذّة على إحداث خوارق غير مألوفة على الإطلاق.

٤ ـ بوسع البارانورمالوجيا تنمية القابليات البشرية الخارقة التي يتمتّع بها بعض أفراد الجنس البشري وذلك شرط التزام مَن يسعى لتطوير قابليّته الخارقة بالقواعد التي حدّدتها الطريقة ضوابطَ للسير على الطريق الإلهي الى الله. ان هذه القابليات البشرية الخارقة سوف تنمو في ظلٍّ ظليل من نور طاقة الطريق الإلهي الى الله الى حدٍّ لا يُقارَن به أيُّ حدٍّ آخر وصل اليه من تميز بقابليات خارقة مماثلة من غير السائرين على هذا الطريق. ان أصحاب القابليات الخارقة بوسعهم الإفادة من طاقة الطريق الإلهي الى الله التي ليس كمثلها طاقة اذا ما هم تقيّدوا بالضوابط التعبّدية الصارمة التي فصّلتها وبيّنتها الطريقة؛ فيَصلون بذلك الى مَصافٍ لم يصلها أحد غيرهم ممّن فاتهم اتّخاذ هذا الطريق الإلهي الى الله مساراً لا يرمشون عنه طَرف عين.

٥ ـ تستطيع البارانورمالوجيا تقديم الدليل القاطع على تفرّد طاقة الطريق الإلهي الى الله بالمقدرة على إحداث ظواهر خارقة لابشرية مادةً ومجالَ تأثيرٍ كما هي، بالتعريف، لابشرية طاقةً. ان ظواهر من مثل تطهير البيوت المسكونة بواسطة إقامة حلقات الذكر الكسنزاني تُبرهن على عدم اشتراط الوجود البشري لحدوث الظاهرة الخارقة في البارانورمالوجيا.

٢ ـ البايوالكترونيك أساس ما هو بشري في الظاهرة الخارقة

ان كل ما هو بشري في الظاهرة الخارقة للعادة لا يتجاوز القابلية الخارقة على الإفادة من الطاقة غير البشرية وذلك ليتسنّى لهذه الظاهرة ان تحدث. وهذه القابلية الخارقة هي لاشيء أكثر من فعالية بايو ألكترونية Bioelectronic

(الكترونية حيوية). ان هذه الفعالية مشابهة الى حد بعيد للفعاليات الالكترونية المألوفة والتي هي أساس التقنية المعاصرة. الاّ ان هذه الفعالية البايوالكترونية وعلى الرغم من شدّة شبهها بالفعالية الالكترونية التقليدية فانها تتميز بكونها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمادة الحية وبنوع خاص جداً منها يمتاز بكونه فائق التعقيد وبالغ التطور بالقياس الى المنظومات البايولوجية التقليدية. وهذا النوع الخاص من الفعالية البايوالكترونية يختلف بدوره هو أيضاً عن أنماط الفعاليات البايوالكترونية التقليدية المألوفة والتي هي أساس كل عمليات الدماغ كمنظومة بايوالكترونية لها المقدرة على التفاعل فائق التعقيد مع باقي أجزاء الجسم. ان أساس عمل الدماغ البشري هو هذه الفعاليات البايوالكترونية والتي تمكّنه من القيام بوظائف شديدة التباين تمتد من سيطرته شبه المطلقة على معظم فعاليات المنظومة البايولوجية والفسيولوجية للإنسان الى عمله كنظام تفكير بالغ الدقّة ينجح بواسطته هذا الانسان في التفاعل مع البيئة المحيطة به نجاحه في التعامل مع ذاته كوحدة منفصلةٍ عن بيئته. الا ان هذه الفعاليات البايوالكترونية التقليدية لا علاقة لها بما يحدث في الظاهرة الخارقة للعادة بسببٍ مما هو بشري فيها. فالقابلية الخارقة أساسها هو بايوالكتروني الا ان هذا الأساس يختلف عن ذاك الذي يُميّز الفعاليات الدماغية التي ينتج عنها التفكير وباقي العمليات العقلية. والاختلاف هنا هو شبيه بذاك الذي يجعل من الكومبيوتر يختلف عن جهاز الراديو مثلاً. ان العقل هو احدى فعاليات الدماغ البشري وهذا يعني ان اساس عمل هذا العقل هو بايوالكتروني أيضاً. لذلك فمن الممكن النظر الى العقل (عقل الدماغ البشري) على انه المشابه البايولوجي للعقل الالكتروني الذي اصطُلِح على تسميته بالكومبيوتر. واذا كان الكومبيوتر يستند في كيفية عمله الى المنظومة الالكترونية التي تحكمها قوانين الالكترونيكس (الالكترونيات) فان العقل البشري يستند في اشتغاله الى منظومة الكترونية أساس عملها قوانين البايوالكترونكس (الالكترونيات الحيوية). فالبايوالكترونكس Bioelectronics هو العلم الذي ينظر الى عمليات الدماغ على أساس من كونها فعاليات الكترونية شبيهة بالفعاليات التي تجري داخلاً من الدماغ الالكتروني (الكومبيوتر)، إلاّ أنها تختلف عنها بكونها لا تتكوّن من الأجزاء الالكترونية التي يتشكّل منها الكومبيوتر ولكن من أجزاء بايوالكترونية أي من مادة حية بمقدورها القيام بفعاليات شبيهة للغاية بتلك التي تقوم بها

الأجزاء الالكترونية المكوّنة للكومبيوتر. واذا كانت هذه الأجزاء من المادة الحية تقوم بهكذا فعاليات مشابهة لما تقوم به الأجزاء الالكترونية التقليدية المألوفة فانها تُشابهها أيضاً في كونها لا تحتاج حجماً كبيراً يستوعبها بأعدادها المهولة. فكما تستطيع التقنية المعاصرة تكديس مئات الآلاف من الأجزاء الالكترونية داخلاً من حيز صغير لا تتجاوز أبعاده أجزاء المليمتر فان الأجزاء البايوالكترونية لا تحتاج تفريغ مساحات شاسعة لاستيعاب أعدادها التي تتجاوز الملايين حيث يكفي لذلك توفّر حيز صغير بأبعاد صغيرة للغاية.

لقد دأب العلماء على النظر الى الدماغ البشري على أساسٍ من كونه لا أكثر من أعداد هائلة من الخلايا العصبية تتشابك فيما بينها بعلاقات كيميائية أو كيميائية ـ كهربائية. ان هذه النظرة محدودة للغاية حيث لا يمكن انطلاقاً من هكذا افتراض تدبّر عمليات غاية في التعقيد كتلك الفعاليات الدماغية المسؤولة عن التفكير وباقي الوظائف والظواهر العقلية. ان الإكتفاء بالنظر الى الدماغ البشري على أنه ذلك الجزء الذي بالإمكان الإحاطة به فهماً وبفعالياته تفسيراً، وذلك عن طريق الإستعانة بعلم التشريح وعلم وظائف الأعصاب (النيوروفسيولوجي)، لا يمكن أن يقود الا الى الحصول على نموذج بديل عن هذا الدماغ! ان هذا النموذج الدماغي الإصطناعي Model Artificial لا يمت بصلة الى الدماغ الحقيقي بكل تأكيد. ان نزعة العلم السائد الى اقامة بنيانه على أساسٍ من الذي يمكن الحصول عليه، حتى وان كان هذا الذي هو بالإمكان الحصول عليه لا يمثّل غير جزء محدود للغاية من الظاهرة قيد الدرس، وذلك على حساب الإهمال المتعمّد لكل ما لا يمكن، لأي سبب كان، الحصول عليه قد أدّت بهذا العلم الى الإبتعاد عن الظواهر التي يدرسها والتجارب التي يقوم بها ابتعاداً حتّمته عليه روحُه الإنتقائية هذه فأوصلته الى حال بائس بات معه لا يُحسن غير إبداع ما هو غير موجود ليُعوّض به عن الذي لم يستطع الحصول عليه مما هو موجود! فالعلم التقليدي لم ينزع الى التعامل مع الأجزاء الناقصة في الظاهرة قيد الدرس وذلك على أساسٍ من كونها لا يمكن الحصول عليها لسببٍ قد يرجع الى نقصٍ تقني في أدوات الملاحقة التجريبية ومناهج الإقتناص المعرفي أو الى استحالة تحقيق هذا الإستكمال لما ينقص الظاهرة من أجزاء وذلك لسببٍ

اونتولوجي Ontological لا علاقة له بمفردات ووسائط الأبستمولوجيا. فاستحالة تحقيق هذا الاستكمال هي قدَرٌ مفروضٌ على الإنسان كما هو مفروض عليه عدم قدرته على تجاوز كثيرٍ من الحدود ما بين المعرفة والجهل! ان الإستعاضة بمنتوجات التخيُّل العلمي، وذلك لإستكمال النقص الحاصل في الظاهرة قيد التشكيل عقلنةً وتفسيراً، عما ينقص الظاهرة الأصلية من أجزائها الحقيقية سوف يجعل من هذه الظاهرة الهجينة، المولَّدة من جماع غير شرعي ما بين ما ينتمي للظاهرة الحقيقية وما تم خلقه من قِبَل العلم من أجزاء لا تنتمي اليها، ظاهرةً لا علاقة لها بالظاهرة الأصلية! وهذا هو ما يجعل من معظم ما يدرسه العلم التقليدي، من ظواهر وتجارب، لا ينتمي الى الواقع الذي يروم هذا العلم دراسته ولا صلة له بالحقيقة التي يسعى للكشف عنها! ان هذا الإختلاق المستكمل للنقص المعرفي قد جعل من العلم يبتعد كثيراً عن التأمل المُجدي فيما ينقصه من أجزاء لإستكمال معرفته بالظاهرة التي يقوم بدراستها مما أدّى به الى تشاغله عمّا يُمليه عليه هذا التأمل من تحديد علمي دقيق لهذا النقص وذلك بُغية تشخيص هويّته وصولاً الى معرفة ما اذا كان بالإمكان تعويضه بالأجزاء التي تُشكّله عن طريق تحسين وسائط الكشف عنها أو ابداع وسائل اكتشاف أكثر دقّة وأعظم مقدرة على الوصول اليها. ان هذا التشاغل غير المبرَّر قد جعل من العلم ينشغل باختراع أجزاء وهمية أخذ بلصقها عنوة بتلك الأجزاء، من الظاهرة المدروسة، التي نجح في الوصول اليها آملاً باستكمال صورته المعرفية عنها. ولقد ساعده في اتمام عملية اللصق اللاعلمي هذه ما وجده في نظرية المعرفة التقليدية من أعتدة ابستمولوجية استعان بها مناهجاً ووسائل بحث يسّرت له إجتزاء الظاهرة قيد الدرس مادام بامكانه دوماً الإفادة من مفردات خياله الخصب في اكمال ما ينقصها من أجزاء بما يستطيع بكل سهولة خلقه والإتيان به من عندياته!! ان نظرية المعرفة التقليدية قد شاركت العلم فِعلته المنكرة هذه عندما لم تُحجِم عن مد يد العون والمؤازرة له بل قامت بالتسويغ لفعلته هذه وتبريرها على أساسٍ من وجوب اللجوء الى الإستقراء والإستنتاج اذا ما عزَّ عليه الحصول على ما ينقصه. لقد كان بامكان الأبستمولوجيا التقليدية انتشال العلم من ولوغه هذا في اختراع النظريات الخيالية والنماذج الوهمية وذلك عبر تقديمها له حبل انقاذ معرفي يجعله يسارع الخطى صوب اكتشاف حقيقة هذا النقص المعرفي في الظاهرة قيد الدرس

علّه لا يكون اونتولوجي العلّة فيستحيل عليه بذلك استكماله مهما حاول تحسين تقنيّته وجعلها أكثر مقدرة على الوصول الى أجزائه. اذاً فالدماغ البشري كما يعرفه العلم التقليدي هو دماغ هجين أجزاؤه الأصلية التي تنتمي للدماغ الحقيقي لا يفوقها عدداً الاّ أجزاؤه الاخرى التي لا تنتمي اليه طالما كان هذا العلم اللاعلمي هو مَن شكّلها ضمن بُنيته الشائهة هذه! ان هذه الأجزاء الوهمية الدخيلة المُتخيّلة قد جعلت من علم الدماغ البشري يجنح صوب اختلاق أدوار وتخيّل وظائف لها ولأجزاء الدماغ الحقيقية وذلك حتى يتسنّى له إِحكام موديله التفسيري إِحكاماً ظن به المقدرة الفائقة على تحدّي كل ما يتناقض ويتعارض معه من حقائق. وهكذا فلم يكتفِ هذا العلم الإنتقائي الاجتزائي الخيالي باصطناعه لأجزاء وهمية ألصقها قسراً بأجزاء الدماغ الحقيقية بل قام بإعزاء وظائف غير حقيقية ونسبة أدوار متوهّمة الى هذه الأجزاء وذلك استكمالاً لقتل كل ما هو حقيقي فيها ووصولاً الى تحقيق ما يجعل من هذا الدماغ العلمي دماغاً لا علاقة له اطلاقاً بالدماغ البشري على ما هو عليه حقيقةً! لقد قام العلم التقليدي، متسلّحاً بعلم التشريح وعلم وظائف الأعصاب ومؤازَراً من قِبَل عديد من العلوم الاخرى، باصطناع دماغ جديد أخذ يدرسه على أساسٍ من كونه الدماغ البشري! ولقد حاول أن يبرهن على علميَّته ونزاهته وذلك بقيامه بالتصريح تارةً وبالتلميح تارة اخرى الى أن ما يعرفه عن هذا الدماغ الأعجوبة هو غيض من فيض واننا لانزال نحبو على طريق معرفتنا به!

والآن، اذا كان العقل البشري هو احدى فعاليات الدماغ الانساني واذا كان هذا العقل هو المشابه البايولوجي للكومبيوتر (العقل الألكتروني) واذا كان أساس هذا التشابُه ليس براجع الى مجرد شَبَهٍ وظائفي فحسب بل يتعدّاه الى شَبَهٍ أكثر عمقاً يرقى الى أساس عمل كل منهما، فان القابلية الخارقة هي الاخرى احدى فعاليات هذا الدماغ وهي أيضاً تتميز بكونها تُشابِهُ بايولوجياً فعاليات الكترونية تقوم بها أجهزة صنعتها يد الإنسان! ان النظر الى قابلية خارقة من مثل توارد الأفكار على أساسٍ من زاوية النظر هذه كفيل بجعلها تتمظهر على أنها لا أكثر من المُشابِه البايولوجي لجهاز الراديو أو التلفزيون أو غيرها من أجهزة البث والإستقبال. ان هذا الطيف المفرط في التنوّع من الأجهزة الالكترونية كفيل بجعل

كل القابليات البشرية الخارقة تفقد لامألوفيّتها اذا ما تناولها المرء تناولاً ينزع الى اعتبارها مُشابهات بايولوجية لهذه الأجهزة! ان النظر الى الأجهزة الالكترونية على أساسٍ من كونها لا يمكن لها أن تكون على غير شكلها التقليدي هذا هو ضرب من التعسّف لا يليق الاّ بعلماء العلم التقليدي الذين يظنّون ان الالكترونيات التقليدية هي كل ما يمكن أن يكون هنالك وان لاشيء من قبيل الالكترونيات البايولوجية يمكن أن يكون موجوداً! ان الالكترونيات التقليدية Traditional Electronics هي المُشابه الإصطناعي للالكترونيات البايولوجية التي سبقتها في الظهور بملايين الأعوام! اذاً فمَن هو المُشابِه لِمَن على وجه الدقّة؟! هل يكون الكومبيوتر غيرَ مشابه اصطناعي للعقل البشري! وهل يكون الراديو غير مُشابِه اصطناعي لقابلية الدماغ الخارقة على الاتّصال غير التقليدي! ان الإعتقاد بأن لا الكترونيات إلاّ بهذه الصفة التي خلقَتها فأحسنت خلقها يدُ الإنسان هو محض هراء! فلا تحديد لخلْق الله الذي أعطى كل شيء خَلْقه ثم هدى. ان الالكترونيات البايولوجية دليل على أن المُشابِهات الإنسانية الإصطناعية Artificial للأجهزة والفعاليات البايولوجية لا يمكن ان تكون هي الصيغة النهائية والوحيدة لها.

ان الإعتقاد بأوحدية الصيغة التي بامكان فعالية ما أن تتّخذها ظهوراً وتجلياً يمثّل سمة بارزة من سمات التفكير العلمي التقليدي المستند الى خلفية فكرية يتميز بها العقل البشري بصورة عامة. فالثابت بهذا الخصوص ان الإنسان قد دأب على اعتبار ما يَعرِض له من ظواهر وفعاليات على انه المثال الأوحد الذي لا تنوّع خِلافه! فالعقل البشري مجبول على هكذا نظرة غير موضوعية تسعى الى الحكم على الظاهرة، معرض النظر، بموجب عقلنةٍ مُسبَقة لها ترى فيها أوحدية لا تنتمي اليها في واقع الحال وحقيقة الأمر! فالظاهرة لا تملك هذا الذي يجعل من العقل البشري ينظر اليها فيراها الانموذج الوحيد الأوحد الذي لا يوجد في الكون من نماذج اخرى غيره الاّ ما هو مماثل له ونسخة عنه! ان العقل، بتطبّعه غير السليم هذا على اعتماد ما يَعرِض له أساساً يبني عليه أحكامه بشأن المعروض أماماً منه حتى لا يعود بوسعه النظر اليه الاّ على أنه المثال الذي لا مُغاير له ولا وجود لما ليس بنسخة عنه، قد سَوَّغ للإنسان اصدار حكم عام مفاده ان لا واقع آخر هناك غير هذا الواقع الذي يستطيع الإحاطة به بحواسه وتفكيره!

وهكذا فلا حياة هناك إلاّ كما أظهرها هذا الواقع عضوية بايولوجية! وليس هناك من ذكاء آخر غير ذكاء الإنسان ناهيك عن شيء آخر يفوق هذا الذكاء الإنساني! لذا كان من العسير على هذا العقل فائق الذكاء أن يتصوّر امكانية ان تكون هناك أنواع اخرى من الحياة غير ما اعتاد عليه وأن تكون هناك أرض اخرى غير هذه الأرض التي يحيا عليها! ان علماء الحضارة المعاصرة، بعلمها التقليدي القائم على عقيدة ميتافيزيقية لا تختلف كثيراً عن عقيدة انسان الكهف بعقله البدائي المشابه لعقل منظّريها وصائغي ايديولوجيّتها، يجدون أنفسهم في وضع شبيه بعلماء الحضارة القَروَسطية، بعلمها البائد القائم على عقيدة لاهوتية تتشابه كثيراً مع عقائد الوثنية المعاصرة، الذين استحال عليهم تصديق مَن كان يتجاسر على تقديم كل دليل مقنع على كروية الأرض ولامركزيّتها في النظام الشمسي! ان علماء هذا العصر يجدون ان من الصعب جداً التفكير في أشكال اخرى للحياة غير شكلها هذا الذي يدرسه علم البايولوجيا! لذلك تراهم يسارعون الى سد آذانهم حتى لا يسمعوا أي دليل، يُقدَّم اليهم على طبق من ذهب، يبرهن على وجود ذكاء غير بشري وأشكال حياة غير بايولوجية! فكيف اذاً لا يظنون بالفعالية الالكترونية كما تتجلّى في الأجهزة الالكترونية المميّزة للحضارة المعاصرة ظناً مشابهاً لظن نظرائهم من علماء القرون الخالية بالكرة الأرضية فينظرون اليها فلا يرونها الا التجلّي الالكتروني الوحيد!! ان الفعالية البايوالكترونية تُظهر، وبكل وضوح، مدى حماقة عقل مَن يظن ان لا الكترونيات بغير أشباه الموصلات التي عرّفها علم الالكترونيات Electronics! ان الأجهزة البايوالكترونية قد سبقت نظائرها وشبيهاتها من الأجهزة الالكترونية التي صنعها الإنسان؛ وهي على درجة عالية جداً من التعقيد على خلاف مثيلاتها الإصطناعية. ان عدم وجود ترانزستورات ودوائر متكاملة IC وشرائح (رقائق) مجهرية Microchips داخلاً من دماغ الإنسان لا يحتّم عدم تميز هذا الدماغ بالقابلية على القيام بفعاليات مشابهة للفعاليات الالكترونية التقليدية Quasi-electronic! ان تشريح الدماغ البشري بحثاً عن هذه الأجزاء والدوائر الالكترونية لا يمكن أن يقود الى ضرورة الإستنتاج بأن لا قابلية لهذا الدماغ على القيام بأية فعالية الكترونية طالما استحال على القائم بهذا التشريح التقاط وتجميع أي من هذه الأجزاء والدوائر! ان الإستمرار في النظر الى الفعالية الالكترونية على أنها مرتبطة حتماً بأجزاء ودوائر علم

الالكترونيات التقليدي لا يمكن أن يكون مستنداً الى أي دليل موضوعي طالما كان هناك احتمال بأن تكون قابليات الدماغ البشري مستندة على فعاليات الكترونية تقوم بها مكوِّنات من ضمن مادته الحية! ان علم الإنسان الآلي Robotics يبرهن على ان الفعاليات التي تقوم بها اليد البشرية لا يمكن أن تكون حكراً على هذه اليد البايولوجية التكوين طالما كان بامكان يد الكترونية التكوين القيام بالكثير جداً من فعاليات مشابهة لها تماماً! ان العلم الجديد، المستند الى نظرية معرفة جديدة بالضرورة، يجب أن يتدبّر في الحل البايوالكتروني اذا ما أراد حقاً ان يكون حلاً انقاذياً يخرج بالعلم التقليدي من مأزقه المعرفي! ان البايوالكترونيات Bioelectronics هي أساس عمل كل فعاليات الدماغ سواء المألوفة منها أم الخارقة. وهذا ما سوف تكشف عنه الأيام القادمة بكل تأكيد.

ان النظر الى الشكل البايولوجي على انه الصيغة الوحيدة التي بامكان الحياة أن تتمظهر متجسّدةً متجلّيةً بها لا يقل تحديداً وقصوراً عن النظر الى الالكترونيات المألوفة على انها النمط الوحيد الذي ليس للفعاليات الالكترونية من سبيل سواه ظهوراً وتجلّياً! ان الطاقات الكائناتية المُشخصَنة هي، بكل تأكيد، كائنات حية ذات شخصية؛ أي انها تمتاز بصفة الحياة المشابهة لصفتها التي تميز بَني البشر. ان كون هذه الكائنات غير البشرية لا تتمتّع بأشكال بايولوجية نمطية لا يمكن أن يجعل منها كائنات غير حية وذلك طالما كان بإمكانها القيام بالكثير جداً مما يُحكم عليه بأنه النمط المميّز للفعاليات الحيوية. فالأشكال التي تظهر الحياة متجسّدةً متجلّيةً بها لا يمكن أن تكون مقتصرة على النمط البايولوجي المألوف. ان الربط ما بين الحياة والأشكال البايولوجية التقليدية ليس يسنده دليل قاطع طالما استحال على العلم التقليدي البرهان على عدم وجود كائنات غير بشرية لا تملك شكلاً بايولوجياً الا انها على الرغم من ذلك بمقدورها القيام بكل ما من شأنه تقديم البرهان الكافي على أنها ذات حياة! وهكذا فان الأشكال التي تظهر بها الحياة أو يتمظهر بها العقل والذكاء أو تحدث بواسطةٍ منها الفعاليات الالكترونية لا يمكن أن يحدّدها ما هو واقع منها تحت سيطرة حواس الجسم البشري وتفكيره المحدود بها والمحدَّد، لذلك، بعدم قدرته على التفاعل مع غيرها تفاعلاً يجعل منه ينظر اليها فيراها تنويعات اخرى لما يعرفه منها! ان الظواهر الخارقة بمستطاعها القاء الضوء

وتسليطه بكل قوّة على جوانب الضعف التي تُميّز نظرية المعرفة التقليدية؛ وهي بمقدورها ، بعدُ أيضاً ، تقديم حبل انقاذ لها تستطيع اذا ما هي عمدت من فورها الى التشبّث به النجاة من مأزقها الذي لن تنجح على الإطلاق في الخلاص منه الا بواسطةٍ من هذا الحل الذي بوسع هذه الظواهر إسعافها به. فالبايوالكترونيات هي ليست، مع الالكترونيات التقليدية، كل ما هنالك في هذا الوجود من أنماط تتجلّى بها الفعاليات الالكترونية!

ان الدماغ البشري هو مستقَر الفعاليات البايوالكترونية ذات العلاقة بنشوء القابليات الانسانية الخارقة؛ اذ توجد فيه مادة حية على درجة عالية جداً من التعقيد مما يسمح بتكوّن هكذا فعاليات أساسها هو النظام البايوالكتروني بمفرداته وأجزائه ودوائره التي لا تَشابُه على الإطلاق بينها وبين مفردات وأجزاء ودوائر النظام الالكتروني التقليدي الا في النتائج التي تنجم عن تفاعلها وعملها ككل متكامل. ان كل ما له علاقة بنشوء القابليات الخارقة عند الإنسان يؤثّر بصورة رئيسية على مادة الدماغ البشري التي بامكانها الإفادة من هكذا تأثير بما يجعل منها تُغيِّر من نظامها البايوالكتروني التقليدي الى منظومة جديدة هي المسؤولة عن ظهور هكذا قابليات غير تقليدية. ان الطرق التي يلجأ اليها البعض من الساعين وراء القابليات الخارقة تعمل على انشاء هذه المنظومات البايوالكترونية غير التقليدية وذلك عبر تأثيرها على مادة الدماغ البشري المسؤولة عن التكيّف مع أفعال المؤثرات المستجدة. ان التقنيات العديدة التي يلجأ اليها هذا البعض هي مؤثرات غير مألوفة تتضمّن استعمال الحواس بصورة غير تقليدية او الإحجام عن استعمالها بالصورة المألوفة التي تعوّد عليها الدماغ. ان مَن يستذكر ما يقوم به البعض من ممارسي تقنيات التأمل واليوغا وغيرها من المذاهب التي تأخذ بفرض نظام صارم وقاس جداً على المتمذهب السالك يطال كل مفردات حياته جملة وتفصيلاً سوف يجد ان هذه التقنيات تُحتّم على ممارسها ان يغيّر من عاداته في الأكل والشرب واسلوبه في النوم والتعامل مع النفس والآخرين. ان هذا التغيّر في الأنماط المألوفة التي اعتاد عليها الدماغ منذ صغر صاحبه سوف يعمل على إحداث تغييرات كثيرة في دوائر المنظومة البايوالكترونية للمادة الدماغية التي بوسع هذه التقنيات السلوكية التأثير فيها بصورة أو باخرى وذلك عن طريق

الإخلال بالنظام العامل داخلاً من دوائر هذه المنظومة.

ان هذا الإخلال في نظام عمل المنظومة البايوالكترونية (التقليدية) سوف يؤدي الى اعادة تشكيل مفرداتها وذلك في محاولة تقوم بها المنظومة للدفاع عن نظامها الداخلي في وجه التغيّرات المفاجئة التي سبّبتها هذه التقنيات. واعادة تشكيل المفردات هذه قد تؤدّي، بتوافر عوامل ومؤثّرات اخرى، الى ظهور نظام جديد للمنظومة البايوالكترونية، أو لبعض تشعُّباتها على الأقل، ينجم عنه توفّر ما من شأنه السماح بظهور قابليات غير تقليدية (خارقة) يكون بمستطاعها التأثّر تفاعلاً ايجابياً مع الطاقات غير البشرية التي لم يكن باستطاعة النظام التقليدي لمنظومة الدماغ البايوالكترونية التأثّر بها، ناهيك عن تحسّسها، من قبل. ان هذه القابليات الجديدة سوف تجعل من فعل هذه الطاقات لا يذهب سدى بل يُقابل برد فعل ايجابي يتناسب مع قوة الطاقة ومدى القابلية الخارقة على التحسس بها والتفاعل معها. فممارس رياضة الخلوة الصوفية، وفق قواعد الطريقة وأحكامها الصارمة المقيِّدة لحركات وسكنات كل جزء من أجزاء جسمه بقيود منهجها التعبّدي، سوف يحظى بقابليات خارقة تفوق أية قابليات مماثلة ناشئة بسبب الإلتزام بتطبيق أية تقنيات اخرى بديلة. كما ان الطاقة التي يتعرّض لها ممارس رياضة الخلوة الصوفية لا يمكن اطلاقاً مقارنتها بأية طاقات مغايرة قد تنجح التقنيات الاخرى في التفاعل ايجاباً معها. فطاقة الطريقة، التي يتعرّض لها حتماً كل مَن سار على الطريق الإلهي الى الله وفق قواعد السير والسلوك، هي قبس من الطاقة الأعظم في الكون: طاقة الله الذي ليس كمثله شيء. ان ممارسي تقنيات التأمل، بمدارسه المختلفة، قد ينجح البعض منهم في الإفادة من التغييرات الدماغية الناشئة عن ممارسة هذه التقنيات وذلك بالحصول على قابليات خارقة. الاّ ان الأمر المهم هنا هو ان الطاقة التي سوف يصبح بامكان هذا البعض التحسس بها والتفاعل بالتالي معها هي طاقة لا يمكن الوثوق بمعاييرها الأخلاقية؛ هذا اذا ما كانت هذه الطاقة كائناتية مُشخصَنةً. فهذه الطاقات ذات الشخصية غير البشرية لا تملك ان تجعل من ممارس تقنيات الوصول الى التحسّس بها والتفاعل بالنتيجة معها يحصل على شيء يتجاوز حدود هذا التفاعل ونتائجه التي قد تكون في أحيان كثيرة كارثية طالما كانت هكذا طاقات لا تأبه

اطلاقاً لمصير الساعي ورائها! ان العزلة الكهنوتية بمقدورها هي أيضاً ان تطلق شرارة التغيير داخلاً من نظام عمل المنظومة البايوالكترونية لمن يمارسها مما يؤدّي بالضرورة الى اعادة تشكيل لمفرداتها ينجم عنه ظهور قابليات خارقة هي السبب وراء ما تواتر عن القدّيسين من خوارق تحفل بها السجلات الكنسية؛ المعلن منها والمخفي.

ان دراسة علمية موضوعية جادة لهذه السجلاّت، الموثّقة بشكل ممتاز في حالات عديدة، سوف تكشف عن المديات التي بلغتها قابليات القديسين الخارقة والحدود التي عجزت عن تجاوزها والنفاذ ما ورائها انطلاقاً لما هو بعدها. فهكذا دراسة توضح وبكل جلاء حقيقةً مفادها ان خوارق القديسين، والقديسات، هي أمر واقع لا يمكن إنكاره أو التنكّر له. الاّ انها توضح، بعدُ، وبكل جلاء أيضاً ان هذه الخوارق محدودة بأنماط معينة لا سبيل لها للحيود عنها ولا قدرة لها على تجاوزها اطلاقاً. ان هذا الأمر، في حال ثبوته بصورة قاطعة جازمة، سوف يُلقي الضوء على طبيعة هذه القدرات الخارقة، بمدياتها المحدودة، ويكشف عن نوع الطاقة غير البشرية والمُشخصَنة المسؤولة عن ظهور الظواهر الخارقة المنسوبة للقديسين والقديسات.

وهذا يصح حتماً على كل نمط قابليات خارقة مرتبط بالسير على طريقٍ الى الله. فهو المنهاج الذي بمقدوره، الكشف، بالاختبار والتجريب العلميين، عن نمط القابليات الخارقة الأوسع احتواءً على عديد من هذه القابليات وعلى أعظمها حيازةً لما من شأنه التوسّط لإظهار وإحداث الظواهر الخارقة ذات الخارقية الفائقة وعن الطاقة الأعظم المسؤولة عن التفاعل مع هذه القابليات الخارقة الأعظم.

الا ان الاختلال الحادث في نظام عمل المنظومة البايوالكترونية قد ينشأ لا عن إخلال متعمّد إحداثه، وذلك عن طريق ممارسة أي من التقنيات التي بوسعها إحداثه، فحسب ولكن قد يكون هذا غير متعمَّد الحدوث! فقد ينشأ هذا الاختلال نتيجةً لتأثير بعض المؤثّرات التي بمقدورها إحداثه والتي تنجم عن تعرُّض أفراد معينين، ذوي مادة دماغية غير تقليدية، لحوادث معيَّنة او إجهادات غير مألوفة. ان هذا الاختلال العَرَضي Accidental قد ينجم أيضاً عن بذل مجهود غير طبيعي إثر التعرّض لضغوط معينة أو نتيجة لتناول عقاقير خاصة. ان

سجلات الظواهر الخارقة التي تحفل بالكثير من الخوارق التي ظهرت من بعد تعرّض أفراد عاديين (طبيعيين) لحوادث مفاجئة بسقوطهم عن سلّم أو بصدم سيارة مسرعة لهم أو بنجاتهم من غرق محقّق تبرهن وبما لا يقبل أي شك أو تشكيك ان قابليات خارقة (غير نمطية) قد تنشأ نتيجةً لتعرّض بعض البشر لحوادث مفاجئة. كما ان هذه السجلات، الموثّقة بشكل علمي رصين، تُبيّن أيضاً ان هناك من بني البشر مَن أصبح بوسعه القيام بفعاليات غير نمطية (خارقة) وذلك من بعد قيامه بتناول عقاقير خاصة.

ان الموقع الوحيد الذي تحدث فيه الفعاليات البايوالكترونية داخل الجسم بالصورة التي ينجم عنها ظهور قابليات خارقة غير نمطية هو ذاته المتميز بكونه المكان الوحيد الذي لا تحدث في موقع آخر غيره الفعاليات التي تنظّم جميع نشاطات أجهزة ومنظومات الجسم؛ وهذا الموقع هو بكل تأكيد: الدماغ! ان الدماغ هو مادة حية فائقة التعقيد لا تَشابُه اطلاقاً بينها وبين أية مادة حية اخرى داخل الجسم البشري. وتعقيدها الفائق هذا هو السبب في كونها فائقة الحساسية تجاه أية مؤثرات خارجية أو داخلية بامكانها تغيير نظام عمل المنظومة البايوالكترونية. ان هذه التغييرات سوف ينتج عنها تولُّد ما من شأنه جعل منظومة الدماغ البايوالكترونية، بتشكيلها الجديد هذا، تعمل على تغيير الطاقة الخارجية غير المشخصنة الى أنواع اخرى تتّسم بلاحياديّتها المطلقة وذلك على عكس ما كانت عليه قبل دخولها في تفاعل مع التشكيل الجديد للمنظومة البايوالكترونية. ان هذه الأنواع الجديدة من الأشكال الطاقية مسؤولة عن ظواهر الاتّصال الخارق والإحساس الفائق والإحتراق الذاتي التلقائي والتحريك الخارق للأشياء بلا وساطةٍ من أجزاء الجسم. ان تولّد هذه الطاقات اللاحيادية (التي تتفاعل مع الجسم وغيره من الأجسام والأشياء بنشاط بالغ وفعالية ملحوظة) داخل مادة الدماغ الحية بسببٍ من التفاعل ما بين المنظومة البايوالكترونية، بتشكيلها الجديد، والطاقة الخارجية لا يُحتّم ضرورة ان يكون الدماغ هو الجزء الوحيد الذي بامكانه اشعاعها، من بعد تولّدها، بحيث لا تنبعث الاّ منه حصراً. ففي كثير من الأحيان تقوم اليدان، على سبيل المثال، باشعاع يفوق ما تبعثه مادة الدماغ الحية من هذه الطاقات وذلك على الرغم من كونها قد تولّدت داخلاً من

الدماغ أصلاً! ان فعل اليدين هنا يُشابِه فعل هوائي جهاز الإرسال الذي يبعث بالبث الراديوي أو التلفزيوني كما لا تستطيعه محطة توليد هذا البث! ان هذا هو ما يلاحظه الباحثون عند قيامهم بدراسة ظاهرة الشفاء الخارق باستعمال اليدين عند ممارسي ما يسمّى بالعلاج الروحي وبالإشفاء بوضع الأيدي وكثير من ظواهر الإشفاء الخارق الاخرى.

لقد كان من المستحيل على علماء الدماغ البشري التوصل الى اكتشاف منظومات البايوالكترونيكس داخلاً من الدماغ البشري وذلك لأنهم افترضوا ان هذا الدماغ هو لاشيء خلاف ما يكشفه علم التشريح من أجزائه وتلافيفه! لقد فاتهم أن يدركوا استحالة التوصل الى حقيقة عمل الدماغ البشري بمجرد القيام بدراسته تشريحياً وذلك لأن هذا التشريح لا يمكن أن يطال شيئاً سوى مادة ميتة لا علاقة لها على الإطلاق بالدماغ البشري! ان الفعاليات الدماغية تتوقّف بموت هذا الدماغ مِيتة علمية حسبما هو مُثبَّت وموثَّق عند علماء الدماغ. لذلك فان دراسة البُنية التشريحية للدماغ الميّت بالإنطلاق من فرضية تَشابُه مادته مع مادة باقي أجزاء الجسم، والتي يمكن القيام بدراستها تشريحياً دراسة وافية للغاية من دون اشتراط كون المادة قيد الدرس حية، لا يمكن أن تؤدّي الى الحصول على نتائج صحيحة صحة النتائج التي تتمخّض عنها الدراسة التشريحية لباقي أجزاء الجسم غير الحي! فمثلاً لا تختلف اليد الحية تشريحياً اختلافاً ذا شأن يُذكر عن اليد غير الحية، بينما لا يمكن القول بأن تشريح الدماغ الحي هو ذاته تشريح الدماغ الميت! ان اعتبار الدماغ ليس أكثر من مجموع جبري لمفرداته التشريحية وأجزائه التكوينية لا ينطلق من إقرار علمي رصين بانعدام التشابُه بين المادة الحية للدماغ البشري ومادة باقي أجزاء الجسم البشري وهو على قيد الحياة! ان الفعاليات الدماغية هي فعاليات لا تُشابهها أية فعاليات اخرى تجري في أجزاء الجسم الاخرى؛ فهي فعاليات غاية في التعقيد لا تَشابُه على الإطلاق بينها وبين فعالية تحريك اليدين أو الساقين مثلاً! ان الأساس البايوالكتروني للفعاليات الدماغية يجعل من العسير للغاية التوصل الى الكشف عن هذه الفعاليات باتّباع اسلوب التشريح، والذي لا يمكن القيام به الاّ على الدماغ الميّت، طالما كانت هذه الفعاليات مرتبطة وجوباً بحياة الدماغ! ان مَن يروم اكتشاف طبيعة هذه الفعاليات باستخدام تقنية التشريح عليه أولاً أن يدرسها

دراسة طبيعية؛ أي والدماغ على قيد الحياة؛ وهذا بكل تأكيد مستحيل تحقيقه وفق حدود التقنية المعاصرة التي لم تُعرَّف بعد بالبايوالكترونكس. ان البايوالكترونكس هو أساس اشتغال الفعاليات الدماغية وهو أساس لا يمكن الكشف عنه تشريحياً بالبداهة. الاّ ان تقنية التشريح هي ليست الوسيلة الوحيدة التي يستحيل بدونها التحقّق من وجود هكذا نظام الكتروني داخلاً من المادة الحية للدماغ. ان البايوالكترونكس، بأساسه المرتبط بحياة الدماغ وعدم موته، يُحتِّم عدم اللجوء للتشريح وصولاً الى التثبُّت من وجوده، وهو مع هذا يفتح باباً للولوج اليه وذلك عن طريق استعمال تقنيات معاصرة تأخذ بنظر الإعتبار هذا الأساس الالكتروني، المُشابِه للغاية للأساس المُميّز للفعالية الالكترونية التقليدية Electronics على قدر تعلّق الأمر بنتائج الفعاليتين على المستوى الماكروي Macroscopic ، والذي يجعل من الممكن جعل هذه التقنيات تُبدِع ما هو كفيل بالتحقّق التجرُبي المختبري من هذا النظام. ان في حوزة التقنية المعاصرة من الأجهزة والتسهيلات المختبرية ما يُحتّم على مَن يروم القيام بهذا التحقق التعلق بأمل كبير جداً في الوصول الى هدفه المنشود.

ان نظرية المعرفة الجديدة لا تبغي استبعاد كل ما أبدعه العلم التقليدي من نظريات تفسيرية ونماذج فكرية أراد بها تفسير هذا الوجود بكل ما فيه ومَن فيه وحَكمَ بوساطةٍ منها باستحالة وجود ما يتناقض وجودُه مع أسس نظرية المعرفة المستند اليها! ان السبيل الوحيد للإبقاء على مُبدَعات وابداعات العلم التقليدي هذه هو بتجريدها المطلق من كامل ثيابها التي ألبسها اياها هذا العلم عندما سعى الى التباهي بها في معرض تبجّحه الفارغ بكونه قد توصل الى فهم الوجود ومَن فيه وما يحدث داخله فهماً خُيّل اليه انّه يُمكّنه من تحديد حالات الموجودية، استحالةً وامكاناً ووجوباً، فيستطيع، من ثم، الحكم بصورة مطلقة واثقة أكيدة من أن لا اِله هناك وان لا وجود لما لا تراه العين وتُشاركها في عدم الإحساس به باقي الحواس الاّ للغيبيات التي توصل اليها لفرط عبقريّته وشديد ذكائه؛ فلا وجود الاّ للطاقة بأنواعها وللقوّة بأشكالها وللمجالات والأمواج! ان تعرية العلم من لَبوسه التفسيري هذا لا تعني ابقاءه عارياً من دون أن يستره شيء! كما ان ثيابه التي نُزعت عنه سوف لن يُرمى بها في سلّة مهملات التاريخ! ان هذا

التجريد العلمي الرصين للعلم التقليدي من جميع ملابسه التي أُلبِسها ليتفاخر بها، من بعدُ، منظِّروه وأساتيذه، سوف يكون على حساب إِكسائه حُلّة جديدة لحمتها وسداتها الإختبار والتجريب بعيداً عن التنظير والتفسير. ان التواضع في الملبس هذا كفيل بجعل العلم ينزع عنه ما فُرض عليه لبسه ليُقعد به في مجلس التفاخر والتكاثر وذلك حتى يصبح بامكانه الجلوس، بثيابه الجديدة هذه، في مجلس الفقراء الى الحقيقة! ان العلم الجديد، المتواضع عن قوة والمتمكّن لا عن كبرياء لا تليق بمخلوق، بثيابه البسيطة هذه لن يعود بامكان أحد تسييسه والمتاجرة به بُغية تحقيق ما لا علاقة له بشرطه المعرفي الرصين. اما ما يتوجّب علينا فعله بخصوص ملابس العلم القديمة (ملابس الامبراطور العجيبة!) فمكانها هو متحف تاريخ العلم حيث ستجد لها هناك موقعاً تكون فيه في خدمة الباحثين والدارسين الذين سيجدون فيها مادة خصبة لدراسة خصائص التفكير البشري الذي أبدع هذه النظريات التفسيرية ساعياً من ورائها الى فهم الوجود والتسلّط عليه ناسياً ان لا سبيل للتمكّن من هذا الوجود إِلاّ بالتحكّم به تقنياً وليس تفسيرياً! ان التسلّط على الوجود لا يكون باخراج النظريات التي تبغي تفسيره توصلاً الى الإحاطة المعرفية المطلقة به ولكنه يتحقّق باستخراج التقنيات التي بمقدورها السيطرة التامة على ما يمكن الاحاطة التقنية المطلقة به من مفرداته.

ان كتب العلم التقليدي التي تناولت نظرياته وجسباراته التفسيرية لا ينبغي ان يُصار الى احراقها كما فعل السفهاء من كهنة القرون الوسطى! ان ما ينبغي فعْله حيالها هو تحويل مكانها داخلاً من المكتبات فقط! فهذه الكتب لا ينبغي الإستمرار في وضعها داخل خانات وعلى رفوف تصانيف العلم الرصين، العلم الحق، بل يجب اخراجها لتوضع مع كتب الخيال العلمي وروايات الأدب وباقي الكتب التي سطرها خيال الإنسان! وسوف تكون هذه الكتب مادةً دراسية غنية بمقدور علماء التحليل النفسي وعلماء الإجتماع الانكباب عليها والتفرّغ لدراستها وذلك لمعرفة الأسباب التي أدّت بالإنسان، عندما يكون عالماً، الى إِبداع واختراع هذه النظريات وتلك التفسيرات وصولاً الى تحديد السمات المميّزة للعقل الإنساني وهو يسعى لفهم الوجود فلا يصل الاّ الى انتاج خيالات يحسبها حقائق! ان العلم التقليدي، بتخلّصه من هذه الأطنان من الأثقال غير المجدية،

سوف يغدو بامكانه العدوّ والجري مسرعاً صوب حقائق لا خيال يمازجها أبداً. ولا ضير بعدها من بقاء قلّة من العلماء يسيرون على نهج مَن سبقهم من مُنظّري العلم التقليدي في إبداعهم خيالات تفسيرية تروم، كسابقاتها، تفسير الواقع وذلك طالما كانت هذه الدراسات تؤول بالنتيجة الى أيدي باحثي علم التحليل النفسي وعلم الإجتماع وباقي العلوم التي تستطيع الإفادة من هذه الدراسات الخيالية في إحكام أحكامها على السمات النمطية التي يتّصف بها التفكير البشري في محاولاته المستمرة للحكم على الوجود بعقله المحدود!

٣ ـ نظريات العلم التقليدي ونظرية المعرفة الجديدة

يبدو ان العقل البشري مُغرم بنزعة التفكير بالأشياء على أساسٍ من كون ما يحدث من ظواهر وفعاليات تُشارك فيها هذه الأشياء، فعلاً وتفاعلاً ورد فعل، انما يحدث بسببٍ من تدخّلٍ طاقي مصدر طاقته هذه لا علاقة له بما يتجاوز حدود الشيء المَعني بالتفاعل قيد الدرس؛ فالطاقة المسؤولة عن حدوث الظاهرة، المرتبطة بهذا الشيء أو ذاك، هي طاقة ذاتية داخلية موجودة بصورة كامنة داخلاً من كيان الشيء لا خارجه. فالظاهرة لا ينبغي اللجوء، عند التفكير بشأنها، الى ما يتجاوز الشيء، المرتبطة به في حدوثها وظهورها، بحثاً عن مصدر الطاقة، المسبِّب لهذا الظهور لها، طالما كان بالإمكان تفسير ما يحدث استناداً الى فعالية داخلية، تنحصر داخل الشيء هذا ولا تتعدّاه الى خارجه، مادام ليس هناك من شيء آخر متواجد على مقربة منه حتى يدخل في مجال الرؤية فيصبح مفردة يستطيع العقل أن يستعين به اذا ما أعوزه، وهذا ما يحدث غالباً، ان يجد في الشيء الأول السبب في ظهور وحدوث الظاهرة قيد الدرس والتفكير! ان العقل لَيَفِر الى الشيء الثاني، في حال اَنْ تَواجَد على مقربة من الشيء الأول، بعيداً عن اختلاق فعالية يتخيّلها تجري داخلاً من الشيء الأول، وذلك لأن الأسهل عليه، وهو دوماً يبحث عمّا هو أسهل، ان يستعين بالمرئي عوضاً وبدلاً عن اللامرئي في تفسيره لما يحدث؛ خصوصاً وان المرئي قريب جداً من متناول تفكيره، وذلك لوجوده بالقرب من الشيء الأول وليس بعيداً في غياهبٍ لا يرى لها ضرورة اَما وقد تواجد بالقرب منه الشيءُ الثاني هذا! ان موت حيوانٍ وحيد ليس من أحد بجواره يستدعي من العقل البشري أن يسارع الى التفكير

بحتمية كون ميتته هذه قد نجمت عن سبب داخلي يتعلّق بالحيوان المعني ذاته. فليس من داعٍ لإفتراض تدخّل خارجي الاّ اذا ما تواجد على مقربة منه انسان، قد لا يكون بالضرورة هو مَن قتله، فيسارع عندها هذا العقل الى الربط ما بين هذين الوجودين ليخرج بنتيجة سريعة مَفادها ان هذا التواجد لابد وان يكون السبب فيما حدث لذلك الحيوان! ان هذه النزعة المميّزة للعقل البشري قد جعلت منه يسيء التفكير بشأن معظم ما في هذا الوجود، ناهيك عمّا يحدث فيه من أحداث وما يظهر فيه من ظواهر؛ فيتوهّم ما ليس موجوداً ويتلهى عمّا هو موجود بحق. ونحن اذا ما نظرنا الى ما ابدعته مخيلة العلم من نظريات مُتوهَّمة وكيانات وهمية لوجدنا فيما تقدّم بيانه وتفصيله بشأن خاصية العقل البشري الإختلاقِية هذه ما يساعد على تفهّم ما حدا بالعلم الى اللجوء الى هذه الخيالات غير الحقيقية؛ خصوصاً عندما لا يكون بمقدوره تشخيص تواجد شيء آخر بجوار الشيء قيد الدرس! ان هذا الشَبَق المَرَضي المُميِّز لعلماء هذا العلم الذين يسارعون الى افتراض وجود كيانات داخل الأشياء ليستعينوا بها على تفسير ما يحدث من أحداث وما يظهر من ظواهر بسببٍ من هذه الأشياء قد جعل منهم ينشغلون بعلم أُقيم على أساس من هذا الإفتراض غير المُسوَّغ له وذلك على حساب انشغالهم الواجب والمُحتَّم بعلم يجب ان يؤسَّس على تقدير صائب للأشياء لا يتخيّلها عوالماً خرافية تحوي كل عجيب وغريب! لقد دأب العلم التقليدي على الإنجراف وراء هذه العوالم فخرج علينا بكائنات وكيانات ألحقها بالوجود وأسبغ عليها موجودية لا أساس لها على أرض الواقع أوالحقيقة. لقد أراد العلم بهذا الإخراج أن يكون مكتشفاً لما هو موجود بحق في الوجود ولكنه لم يكن غير مخترع جاء الى الوجود بموجودات لا تنتمي اليه حقاً ولم يسبق لها وان كانت من مفرداته قبل قيامه بإبداعها وخلقها من مفردات أفكاره! ان الوجود، كما يراه مُنظِّرو هذا العلم الخرافي، هو حقاً كما يدّعي أنصار المذهب المثالي؛ نِتاج العقل ونتيجة تفكيره! فالوجود اذا كان مُكوَّناً وفق نظريات الفيزياء النظرية، بموديلاتها التفسيرية المعاصرة، من جسيمات أولية هي أساس الأجسام الأساسية المكوّنة للذرّات التي تتألف منها مادة الكون؛ وهو اذا كان محكوماً بطاقات وقوى تتفاعل مع هذه المادة وفق السياقات النظرية المزعومة تلك فان هذا الوجود لا وجود له بالتالي غير في مخيّلة العلماء هؤلاء! ان كون هذا

الوجود هو صنيعة الفكر البشري، كما يزعم المثاليّون، حقيقة تثبتها مزاعم هؤلاء المنظّرين الذين خلقوا وجوداً بديلاً عن الوجود الحقيقي وشكّلوه على أساسٍ من تلك النماذج النظرية الخيالية!

ان كيانات العلم التقليدي هذه موجودة حقاً ولكن ليس وجودها بوجودٍ حقيقي يقابل واقعاً موجوداً خارج العقل البشري! لقد أبدع العلم هذه الكيانات فوُجدت من بعد عدم. وهي لذلك موجودة! ان مَن يتخيّل وجوداً لهذه الكيانات المُدّعاة يتجاوز وجودها الخيالي هذا في مُخيّلة مُنظّريها انما يقع في وهم كبير؛ فهي لا تملك أرضاً، غير هذا العقل البشري، لتستقر عليها. ان العلم التقليدي، بكياناته النظرية هذه، انما يُعزّز من قوّة اعتقاد المثاليين بمذهبهم غير الحقيقي وذلك لأنه لا يُقدِّم لهم الوجود كما ينبغي له التعامل الصحيح معه! فهو يقدّم لهم بدلاً عن ذلك وجوداً خيالياً مثالياً، مِن صُنعِهِ هو، جاء به العقل البشري! ان هذه الكيانات المُتوهَّمة لم يسبق لها وان ظهرت قبل إبداعها من قِبَل هذا العقل، وهي مِن بعد خلقها هذا قد أصبحت موجودة لا كما يتوهّم خالقوها مفرداتٍ للوجود الحقيقي، بصورته الواقعية الممكنة رؤيتها من قِبَل الإنسان، ولكن مفردات تنتمي لعالم الخيال الموجود داخلاً من عقله فحسب.

ان فيزياء العلم التقليدي ليست هي الوحيدة من فروعه التي قامت بإبداع هكذا كيانات لا وجود لها الا في العقل البشري؛ فالباراسايكولوجيا التقليدية قد قامت هي الاخرى باختراع كيانات وهمية لا وجود لها الاّ في هذا العقل! الا ان وجودها في العقل، كمفردات تُميِّز تفكيره الإنحرافي هذا، لا يعني انها تنتمي حقاً اليه كمفردات يتكوّن فعلاً منها! ان نظرية الفيزياء التقليدية عن أصل الطاقة النووية تُشابِه نظرية الباراسايكولوجيا التقليدية عن أصل الطاقة النفسية. فكلتا النظريّتين أبدِعتا بواسطة العقل البشري الذي لم يجد غَضاضة في عزو هذا الأصل لكلَيهما الى كيان ميتافيزيقي توهّم له وجوداً داخل المادة والدماغ! فكما ان لا تفسير من الداخل بمقدوره ان يُعلِّل للطاقة النووية فيُرجِعها الى فعالية تجري في نوى المادة، تلك النوى التي لا وجود لها داخلها، فكذلك فلا تفسير من الداخل بوسعه ان يُعلِّل للطاقة النفسية فيعود بها الى فعاليات دماغية تجري في كيانات لمّا تُعرَف بعد، ولكنّها موجودة بكل تأكيد داخل الدماغ البشري كما

يتوهّم الباراسايكولوجيّون التقليديّون! فالطاقة المسؤولة عن حدوث الظواهر الخارقة قد كشفت البارانورمالوجيا (علم خوارق العادات) النقاب عن وجهها الحقيقي وذلك عندما بيّنت ان هذه الطاقة لا يمكن ان تكون بشرية وانها تتواجد على مقربة من الانسان ولم يتم تخليقها داخله من عِندياته؛ فهي طاقة خارجية وليست داخلية. والطاقة المسؤولة عن حدوث الظواهر النووية ستُبيّن الفيزياء الجديدة انها هي الاخرى لا وجود لها داخل المادة ولكنها تتواجد على مقربة منها؛ فهي كذلك طاقة خارجية وليست داخلية.

وهكذا فقد تبنّت الفيزياء التقليدية نظرة ميتافيزيقية الى الأشياء والظواهر التي تدرسها جعلت منها تبحث عن اللامرئي داخلاً من الأشياء فجرفها بحثها الإفتراضي هذا الى متاهات لم يعد بامكانها الخلاص منها من بعدما تعثّرت بما توهّمت له وجوداً داخل هذه المتاهات، وهي لمّا تعثر على حقائق أو وقائع تنتمي حقاً الى هذا الوجود! ان هذه الكيانات المُتوهَّمة التي تعثّرت بها الفيزياء النظرية المعاصرة، ولم تعثر لها على أثر لعدم وجود مُؤثِّر يُنتِج هذا الأثر، هي صنيعة ذلك الخوض المتعمّد في تلك المتاهات الخيالية التي تجعل من الخائض فيها باخلاص يسقط في شرك الأوهام فيشرع بتخيّل ما ليس له وجود فيتصوّر انه موجود بحق وهو في ذلك لا يختلف في شيء عن نظرائه وانداده من متعاطي عقارات الهلوسة الذين يتهيّأ لهم انهم يكشفون النقاب عن موجودات لا يصل الى اكتشافها أحد غيرهم! ان الإستمرار في هذا النهج غير السوي كفيل بجعل الفيزياء المعاصرة في تدهور معرفي متواصل طالما كانت حصيلة استمرارها في نهجها الخيالي هذا لا تتجاوز تعثّرها بكيانات لا تنتمي لهذا الوجود. ان النظر الى الأشياء بحثاً عن اللامرئي فيها، وذلك بُغية تفسير الظواهر التي تحدث بوساطةٍ من هذه الأشياء، ينطلق من زاوية خاطئة طالما لم تكن نقطة الشروع قد تم تحديدها، على ضوء معطيات تجريبية القالب اختبارية الفحوى، وبما يجعل من الإنطلاق منها مشروعاً اذ يتّجه صوب اللامرئي داخلاً من الشيء بدلاً من اللامرئي خارجاً عن الشيء! فما الذي يمنع من البحث عن اللامرئي خارج الشيء وذلك لتفسير الظاهرة المرتبطة به طالما كنا قد شرعنا أصلاً بالبحث عن اللامرئي داخله! ان اللامرئي داخل الشيء وخارجه هما في اللامرئية سواء! فسواء علينا أن بحثنا عن اللامرئيات داخلاً من

الأشياء أو قمنا بالبحث عنها خارجاً عنها.

ان فخر الفيزياء المعاصرة، بل تاجها وعرشها ومملكتها، موجود داخل المادة لا خارجها! فاذا كانت التقنية المعاصرة تفخر بالمادة وسيطرتها عليها فان الفيزياء المعاصرة تفاخر بما هو داخل المادة! ان الإنطلاق بعيداً عن المادة لا يتحقّق فقط بالتوجّه خارجها، بحثاً عن اللامرئي، وذلك لفهم ما يحدث لها بسببٍ منه، وذلك كما تدعو اليه الفيزياء اللاتقليدية، طالما كانت الفيزياء التقليدية تنطلق بعيداً عن المادة داخلاً منها، بحثاً عن اللامرئي أيضاً، لتُفسِّر بوساطته الظواهر المرتبطة بها!

والآن، اذا كانت البارانورمالوجيا (علم خوارق العادات) قد أقامت بنيانها على أساس من اللامرئي خارج الجسم البشري، غير مبالغة في ابتعادها عن هذا الجسم بما يجعل منها تُهمل ما يُساهم به من مفردات وفاعليات في حدوث الظاهرة الخارقة، قابلياتٍ ومقدرات، فان الفيزياء الجديدة مُطالَبة هي أيضاً بأن تقوم بتصحيح مسار تراثها التقليدي وذلك بأن تعمد الى جعل أنظارها تتّجه صوب اللامرئي خارج الشيء مِن غير مبالَغةٍ في النأي عنه حدَّ اهمال ما لابد من أخذه بنظر الإعتبار من كيانات لامرئية داخله. فاذا كانت الظاهرة الخارقة تحدث بتوسّطٍ من عنصرين أساسيين هما: طاقة غير بشرية خارجية لامرئية وقابلية بشرية داخلية لامرئية أيضاً، فان الظاهرة غير الخارقة (التقليدية) يتوسّط من أجل حدوثها عنصران رئيسيان هما: طاقة غير شيئية خارجية، قد تكون مرئية، وقابلية شيئية داخلية، قد تكون مرئية هي أيضاً. ان الوقت قد حان للشروع الفوري بهكذا مراجعة معرفية للمنطلقات النظرية التي أقامت الفيزياء المعاصرة بنيانها الفكري على أساسٍ منها. ان تخيّل ما لا وجود له داخل المادة هو ما تقوم به هذه الفيزياء ونحن الآن مطالبون بالعمل على تصحيح زاوية النظر هذه وذلك بدءاً بالتخلّي عن كل تلك الكيانات الزائفة التي ادّعت الفيزياء المعاصرة انها قد نجحت في الكشف عنها داخل المادة والقيام من بعد ذلك بالنظر الى المادة لا على أنها كل ما هنالك من شيء وذلك بالإنطلاق من ما هنالك من أشياء غير مرئية خارجها هي السبب في حدوث كثير من ظواهرها.

ان الفشل الذي واجهته الباراسايكولوجيا المعاصرة في تفسير الظواهر الخارقة، وفق نظريات الفيزياء التقليدية، يستدعي منّا عدم تفويت فرصة هزيمتها

هذه هكذا ومن دون أن نعمل على الإفادة المعرفية منها وذلك بأن نعمد الى مساءلة هذه النظريات عن أسباب فشلها في التعليل لهذه الظواهر مساءلةً تتطرّق بالتالي الى التشكيك بكل النجاحات التي ادّعت هذه النظريات انها قد حقّقتها على قدْر تعلّق الأمر بالظواهر الفيزيائية (غير الخارقة)! ان عدم نجاح الفيزياء التقليدية في تفسير ما يحدث في الظواهر الخارقة من خرق واضح فاضح لكل أُسس بنيانها النظري يتطلّب منّا ان نشرع فوراً في النظر الى هذه الفيزياء، بأسسها الميتافيزيقية هذه، على أنها لا يمكن أن تطالبنا باعتبارها النظام المعرفي الأوحد الذي بمستطاعه تفسير الوجود طالما عجزت عن تلبية ما نطالبها به من تعليل للظواهر الخارقة في الباراسايكولوجيا التقليدية والجديدة! لقد كان بامكان الفيزياء المعاصرة الاستمرار في التوهُّم الخادع بأنها تُمثّل بحق أرقى بنيان معرفي شيّده فكر الإنسان لولا هذا الزلزال الذي أحدثه عجزُها عن التعليل لعدم قدرتها على تفسير خرق الظواهر الخارقة لأسسها المعرفية. لقد قامت البارانورمالوجيا بجعل الفيزياء التقليدية تواجه مأزقاً معرفياً لا خلاص لها منه مهما حاولت وجاهدت لذلك مستعينة برصيدها من نظريات وموديلات! ان البارانورمالوجيا بمقدورها تقديم العون المعرفي الذي يلزمنا للخروج بالفيزياء المعاصرة من مأزقها هذا وذلك بأن نعمد الى التدبّر في النظرة التي أقامت استناداً اليها وانطلاقاً منها بنيانها المعرفي وذلك بُغية التوصل الى ما من شأنه تصحيح مسار الفيزياء وصولاً الى جعلها تنحو هذه المرة منحى صائباً تنجح به في التعليل للظواهر كلها خارقة كانت أم مألوفة. فاذا كانت الباراسايكولوجيا التقليدية قد أقامت بنيانها الميتافيزيقي على شفا جُرُفٍ هارٍ من نظريات أرادت لها أن تكون مشابهة لنظريات الفيزياء التقليدية ظناً منها واهماً بأن النجاح سيحالفها في تفسير الظواهر الخارقة التي تقوم بدراستها كما حالف النجاح من قبلُ الفيزياء في تفسيرها ظواهر الوجود المألوفة باستخدام سلاحها النظري، فان على الفيزياء المعاصرة أن تقيم بنيانها المعرفي الجديد على غرار البنيان الذي ارتفعت به البارانورمالوجيا. لقد ارتفعت البارانورمالوجيا هذه على انقاض الباراسايكولوجيا التقليدية فاستطاعت تجاوز المأزق الذي عجزت الأخيرة عن التغلّب عليه. ولم يكن نجاحها في تحقيق هذا الإنتصار المعرفي الساحق الاّ لأنها لم تقع في فخ البحث عن اللامرئي داخل الدماغ البشري، كما وقعت فيه الباراسايكولوجيا التقليدية، بل انطلقت من

إقرارها بأن اللامرئي خارج الإنسان يستحق ان يُولى عناية واهتماماً على قدْر كبير يتجاوز في عِظَمه حتى قدْر اللامرئي داخل عقل الإنسان كما كانت قد اختلقته الباراسايكولوجيا القديمة. ان اللامرئي خارج جسم الإنسان هو السبب الرئيس في ظهور الظواهر الخارقة وهكذا يجب أن يكون الحال فيما يخص الظواهر الفيزيائية التي تحدث بسببٍ رئيسٍ هو اللامرئي خارج الأشياء التي ترتبط بها هذه الظواهر. الاّ ان هذا لا يعني اطلاقاً ان حدوث الظواهر الخارقة لا علاقة له البتَّة بالدماغ البشري وان ظهور الظواهر المألوفة لا علاقة له بالأشياء!! ان اقامة علاقة متوازنة صحيحة ما بين الشيء وخارجه هي الحل لفهم ما يحدث بسببٍ من هذا الشيء وخارجه! كما ان اقامة علاقة متوازنة صائبة ما بين الدماغ البشري وخارجه هي الأساس الوحيد لفهم ما يحدث في تلك الظواهر الخارقة التي لا تحدث الاّ بسببٍ من الدماغ البشري وخارجه.

ان هذه العلاقة البيئية الصحيحة هي أساس فهم الظواهر خارقها ومألوفها. والآن، اذا كانت الطاقة المسؤولة عن حدوث الظواهر الخارقة هي طاقة غير بشرية (خارجية) لا توجد داخل الدماغ البشري بل توجد خارجه بشكل مُشخصَن أو غير مُشخصَن، فماذا يمكن القول بخصوص الطاقة المسؤولة عن ظهور الظواهر الفيزيائية؟

ان الطاقات المسؤولة عن حدوث هذه الظواهر هي في الغالب الأعم ليست بداخلية؛ فهي لا توجد داخل الأشياء بل خارجها، تستوي في ذلك الطاقة المسؤولة عن حدوث الظاهرة المغناطيسية والطاقة المسؤولة عن حدوث ما يُسمّى بالظاهرة النووية! ان الظاهرة النووية لا تحدث بسببٍ مما يحدث داخلاً من النواة التي يزعم علماء الفيزياء المعاصرة انها موجودة داخل المادة انسياقاً مع ما يذهب اليه علمهم الذي يظن بالمادة انها تتكون من نوى هي الأساس لذرّاتها! ان علماً كالفيزياء المعاصرة يعجز عن تعليل خرق الظواهر الخارقة للعادة لبنيانه المعرفي، الذي أقامه على أساسٍ من دراسته للظواهر المألوفة، مُطالَب بالكف عن مواصلة المسير انطلاقاً من نهجه الميتافيزيقي الذي ألزمه بوجوب أن ينظر الى الوجود فيراه عبارة عن تشكيلة هائلة من أشياء وظواهر لا داعٍ على الإطلاق هناك لإفتراض ما هو ليس بمرئي خارجها طالما كان اللامرئيّ داخلها بمقدوره أن

يعوّض عن اللامرئي خارجها ويقوم مقامه تفسيراً وتعليلاً لما يحدث في الوجود. ان بنياناً معرفياً لم يأخذ في حسبانه غير جزء يسير مما في الوجود من ظواهر لابد وان يصل الى ارتفاع يعجز بعده عن التقدّم الى اعلى لفرط الثقل الذي يُسلِّطه على أساسه الذي لم يكن قوياً بما فيه الكفاية لتحمّل هكذا علو! ان اعادة اقامة البنيان العقائدي للعلم على أساسٍ معرفي جديد يجب أن تأخذ بنظر الإعتبار كل ما في الوجود من ظواهر، مع التحسُّب والترقُّب لكل ما يستجد من ظواهر جديدة. ان تفاعل الظواهر الخارقة للعادة، التي استبعدها علم الفيزياء المعاصرة من منظومته المعرفية، مع الظواهر التي قام هذا العلم بدراستها لابد وان يقود الى ظهور نظرية معرفة جديدة ناهيك عن علم فيزياء جديد. فاذا كان اللامرئي داخل المادة قد عجز عن تفسير الظواهر الخارقة فلماذا لا نتّجه بالفيزياء الجديدة الى اللامرئي خارج المادة علَّ الحظ يحالفها فتنجح حيث فشلت الفيزياء التي سبقتها! ان الأخذ باللامرئي خارج المادة سوف لن يعمل على جعل الفيزياء الجديدة تنجح في تفسير الظواهر الخارقة، التي استعصت تفسيراً على الفيزياء التقليدية، فحسب ولكنه سيجعل من تفسير الظواهر المألوفة، التي قامت على أساسٍ منها الفيزياء المعاصرة، يتّخذ منحى جديداً بعيداً كل البعد عمّا هو خيالي وغير حقيقي! الاّ ان الإتجاه بالعلم بعيداً عن اللامرئي داخل المادة يجب ألاّ يكون مبالغاً فيه حد الحكم قطعياً باستحالة وجود ما هو ليس بمرئي داخلاً من المادة. ان هكذا حكم لا يمكن اصداره بجزم مطلق ما لم يتم البرهان تجريبياً على ان كل ظواهر المادة هي قابلة للتفسير وذلك باعتبار اللامرئي خارج المادة فحسب. ان النظرة المتوازنة لا يمكن ان تهمل اللامرئي داخل المادة مادامت هناك براهين تجريبية على وجوده داخلها حقاً. ان الخطأ الذي وقعت فيه علوم الحضارة المعاصرة عندما تشبثت باللامرئي داخل المادة على حساب اهمال، بل وانكار، ما هو ليس بمرئي خارجها لا يجب ان نمر عليه مروراً سريعاً فلا نفيد من الدرس البليغ الذي بوسعه ان يقدمه لنا وذلك بأن نحرص على أن لا نقع في خطأ مماثل فنسارع الى القطع يقيناً بعدم وجود اللامرئي داخل المادة. ان ظواهر المادة تبرهن بصورة قاطعة وبحُجَّة بيّنة على ان وجوداً لامرئياً هناك داخل المادة. الا ان هذه الظواهر ذاتها تقطع أيضاً، بدليل حازم وحاسم، على أن هذا الوجود اللامرئي داخل المادة لا يمكن أن يكون البديل عن الوجود اللامرئي خارجها

بحيث يمكن أن نستعيض عن اللامرئي خارج المادة باللامرئي داخلها! ان العلم الجديد لابد وان يقوم على أساسٍ جديد قوامه العلاقة المتوازنة ما بين اللامرئيَين داخل المادة وخارجها. ان في هكذا علاقة تضمن حدود ما هو ليس بمرئي داخل المادة فلا يتجاوزها ضمانها لحدود ما هو ليس بمرئي خارج المادة فلا يتجاوزها الضمانة الأكيدة للخلاص من مأزق العلم المعاصر الذي لن ينجح في التخلّص من براثنه وأنيابه الاّ بواسطةٍ منها. ولأننا لابد وأن نتكلم عن اللامرئي، سواء داخل المادة أم خارجها، فلابد لنا بدءاً من تحديد العلاقة الواجب تكوينها ما بين معطيات التجربة والبُنى النظرية التي يؤتى بها لتفسّر النتائج المختبرية تفسيراً يقود الى تلمُّس ما هو ليس بمرئي في الظواهر التي دُرست بوساطة التجريب والإختبار. ان المُلاحظ على الدور الذي تقوم به النظرية في بُنية العلم المعاصر انه يتجاوز بكثير الحدود المنظَّمة للتعامل المنضبط مع النتائج التي تتمخَّض عنها الدراسات التجريبية. فالنظرية في العلم المعاصر هي ليست كما يدّعي منظِّروه وصائغوها من انها ليست أكثر من أداة معرفية يتم تجاوزها والإستغناء عنها عندما تُثبِت فشلها الوقائعُ المختبرية أو الظواهرُ المُلاحَظة؛ هذا من بعد أن تكون قد أدّت خدمات كبيرة للعلم عن طريق ما قامت به من لملمة شتات نتائج الحس والتجريب وذلك بصياغتها لهذا النتاج المختبري، الذي لا يملك ان يكون ذا دلالة رسالية، على هيئة جديدة تنظر اليها فلا ترى غير النظام وسط فوضى التجارب! ان العلم المعاصر يدّعي ان النظرية هي مجرد أداة معرفية تساعده على ردم الهوّة وتقليص الفجوة ما بين المرئي في الظاهرة قيد الدرس واللامرئي فيها وانه دوماً على أتم الاستعداد للتنازل والتخلي عنها فور تجلّي البرهان الكافي على عدم أهليتها واستحقاقها للدور الذي اوكل اليها وذلك بعجزها عن استيعاب جديد الظواهر ومُستحدَث التجارب ضمن صيغتها البنيوية. الا ان واقع الحال يثبت ان هكذا نزاهة في تعامل العلم مع نظرياته، التي هي عزّه وفخاره، بعيدة عن أن تكون سمة مميزة له! صحيح ان العلم قد استقدم النظرية لتكون له عوناً وأداةً تساعده في عبور الحاجز ما بين المرئي واللامرئي، ولكن صحيح أيضاً أنه قد وقع في هوى هذه الأداة المعرفية الى درجة انه ما عاد بامكانه الخلاص من غرامها هذا الذي أدى به بالنتيجة الى نسيان الظاهرة قيد الدرس واهمالها وذلك على حساب ما أولاه من تعلّقٍ مَرَضي بالنظرية ومتاهاتها

التفسيرية التي أخذت بابتداع وجود جديد أخذ ينافس الوجود الأصلي الذي ما استُقدِمت الا من أجل تقديم العون لتفسيره بما هو فيه من مرئي ولامرئي وليس بما لا ينتمي اليه مما يعجز هذا العلم عن التثبّت من عدم وجوده حقاً بسببٍ من كونه لامرئياً! لقد انقلبت النظرية من خادمٍ مطيع الى سيد آمرٍ وناهٍ وذلك بسببٍ من جمالها الأخّاذ وسحرها الفتّان الخلاّب الذي أخذ بعقلِ مُنظّريها وسلبهم حيادهم العلمي الذي يجب أن يحافظ عليه جاهداً كل مَن ارتضى لنفسه السير على درب العلم الشائك! ان هذه السطوة للنظرية على عقول العلماء وهذه الحظوة التي لها عندهم لا يمكن أن يتم تفسير أي منهما بدون الرجوع الى ما يُميّز العقل البشري من تعلّق بالنظام، وان كان مُختلَقاً، ونفور من الفوضى، وان كانت مُتوهَّمة! لقد وقع في ظن العلماء التقليديين ان لا نظام في الوجود بغير النظرية التي تستكمل نواقصه مما يعوزه وتعجز العينان عن رؤيته ببدائل تقوم مقام هذا النقص وتؤدي أي دور منسوب اليها وعلى أحسن وجه! ان الفوضى التي توهمتها عقولُ هؤلاء العلماء في الوجود هي ليست سمة لهذا الوجود القائم على النظام في أية صورة تجلى فيها. الاّ ان التسرع والجري وراء زُخرُف النظرية وجمال ملبسها الأخّاذ كفيلان بجعل واحد العلماء يفقد عقله لفرط تعرّضه لهذا الجمال الخيالي الذي كان بامكانه أن يبقى على ما هو عليه من جمال ولكن بصفته هذه، والتي لا يمكن أن تفارقه مادام قائماً على ما هو غير موجود، مضافاً الى الجمال الحقيقي للوجود والذي كان بامكان العلماء الكشف عنه لو أنهم كانوا أقل حرصاً على الهرب من أمام الحقائق والوقائع عند المجابهة في ساحة الإقتتال المعرفي سؤالاً وجواباً كرّاً وفرّاً! لقد أدَّت هذه الإنهزامية الى ترك الساحة واللجوء الى عالم خيالي، جميل ولاشك، ولكنه غير واقعي أيضاً فما نفعه اذاً لمن كان يريد الوصول الى الحقيقة؟! ان الصبر عند مواجهة الحقائق والوقائع في هذا الوجود لابد وان تكون عاقبته خيراً يطال من صبر فيظفر عندها بنصر أكيد يتجلّى معه جمال الوجود على حقيقته الممكنة فلا تعود النظرية بعدها بوسعها أن تجرؤ على منافسة هذا الجمال الحقيقي مهما وضعت على وجهها من جديد مساحيق الجمال!

ولكن قد يتساءل البعض فيقول منتقداً هذا الذي قمنا بايضاحه ان تاريخ

العلم يكشف بوضوح تام حقيقة كون نظريات العلم لا تتمتع بما يجعل منها غير قابلة للإحلال والإبدال؛ حيث يتم التنازل عن أية نظرية، مهما كانت تمتلك من اجماع على صوابها، حالما يُكشف عن كونها لا قدرة لها على مواجهة المستجدّات التجريبية التي جاءت بنتائج تتناقض مع بُنيتها المعرفية. ان في هذا الإعتراض تجاهلاً وتغافلاً عن حقيقةٍ جوهرية تتكشف بجلاء ووضوح تامَّين لكل مَن حرص على دراسة تاريخ العلم وتطور نظرياته دراسةً تقوم على التوثيق التاريخي لظهور واختفاء النظريات العلمية. ان خلاصة هكذا دراسة بوسعها ان تقدم البرهان القاطع على كون العلم لا يتنازل عن نظرياته بروح رياضية كما يدّعي منظّروه العقائديون ولكن، وعلى العكس من ذلك تماماً، فان هذا التنازل يتم من بعد صراع دموي عنيف بين النظريات السائدة والنظرية الجديدة المنافِسة يذهب فيه ضحايا وشهداء نتيجة التعصب الدوغماتي المميز للمؤسسة العلمية في كل زمان ومكان سواء كانت هذه المؤسسة هي كنائس القرون الوسطى بمحاكم تفتيشها القاسية أم محافل العلم الأكاديمي المعاصر بماكنته الدعائية الرهيبة! ان الحقيقة الجلية التي يستطيع المرء ان يعثر عليها بكل يُسر وبساطة اذا ما هو تتبَّع، بتجرد ونزاهة، مسيرة العلم منذ نشأته الأولى في كنف الأساطير والمعتقدات البدائية لإنسان القرون الأولى مروراً بتأثره بالأديان الإلهية، وصيغها المحرَّفة بيد الإنسان، وانتهاءً بزمان النهضة العلمية الحديثة التي هي نواة حضارتنا العلمية المعاصرة هي ان العلم دأبه الدائم هو التمسُّك التام بنظرياته السائدة والإلتزام المطلق بها في وجه أية محاولة لانتزاع الكرسي الذي تشغله هذه النظريات وذلك لتُجلَس عليه نظرية بديلةٌ أكثر منها نجاحاً في تفسير ظواهر الوجود! ان انتزاع البساط من تحت أقدام نظريات العلم السائدة لم يتم يوماً بالطرق السلمية. فلم يحدث في تاريخ العلم اطلاقاً ان قام العلم طوعاً بالتنازل عن نظرياته وبقبول نظريات منافِسة لتحل محلها. ان تاريخ العلم قد سطرته دماء مَن سقطوا دفاعاً عن آرائهم المناقضة لعقيدة الجماعة المهيمنة على المؤسّسة العلمية في كل زمان ومكان! فلو كان حقاً ما يزعم أنصار التغيير السلمي للنظريات داخل المؤسّسة العلمية من أن العلم لا يتوانى لحظةً عن استبدال نظرياته السائدة باخرى بديلة حالما يتبيّن له عجز الأولى عن مسايرة ركب التطور العلمي وعدم قدرتها على احتواء المستجدات التجريبية تفسيراً وعقلنةً داخل منظومتها المعرفية فلمَ اذاً كان

تنازله عن هذه النظريات مصحوباً بتنازلٍ يسبقه عن كل ما هو نزيه ونبيل في خُلُق التعامل مع مَن جاء بالجديد منافساً للقديم! لماذا لم يتم إِدخال الحق الجديد بيُسر ورحابة صدر بدلاً من ذلك الجمود العقائدي والتعفن الفكري والإصرار على التشبُّث بالقديم الباطل مهما كان الثمن! نعم، لقد تنازل العلم، عبر مسيرته الطويلة من دياجير ظلمات الكهوف الى ضياء التقنية المعاصرة، عن معظم نظرياته التي أحلَّ محلها بدائل اخرى لتقوم مقامها ولكن هل كان تنازله عن القديم الا وهو مُرغَم على ذلك؟ لقد وقع العلم في هذا الدَرَك من التعامل المنحرف مع الجديد بسببٍ من إِصراره غير المُسوَّغ له على اعتبار القديم جزءاً لا يتجزأ من كيانه المعرفي لا يتنازل عنه الا وهو راغم. ان العلم لم يصدق فيما عاهد عليه نفسه عندما أقسم بحياته على أن لا تكون النظرية غير أداة معرفية لا تمت بصلة الى الوجود الذي يستعين بها عليه ليصل بوساطةٍ منها الى ما استعصى عليه ادراكه، بسببٍ من كونه لامرئياً، في الظاهرة التي يقوم بدراستها. لقد استقدم العلمُ النظريةَ بُغية استخدامها معرفياً لتجاوز البَرزَخ القائم ما بين المرئي واللامرئي وصولاً الى تحديد ما لا يستطيع رؤيته بسببٍ من نقص تقني وما يستحيل عليه رؤيته لسببٍ اونتولوجي لا علاقة له بأدوات بحثه واستكشافه. وهكذا فقد سقط العلم في فخ هذه الأداة التي ما جاء بها لتشغله عن الوجود بل لتُعينه على كشف ما يمكنه الوصول معرفياً اليه. ان انشغال العلم بأداته هذه جعل منه يتوهم بالتدريج انها جزء من الوجود الذي يسعى لمعرفته مما أدى بالنتيجة الى استقراره على حكم عام مَفاده ان النظرية، التي كانت بالأمس أداةً ووسيلةً، هي جوهر الوجود وأساسه الذي استقامت عليه الظواهر التي قام العلم بدراستها بوساطةٍ من هذه النظرية ذاتها! ان هذا التحوّل Metamorphosis الخرافي الأسطوري للنظرية بين عشية وضُحاها من أداة ووسيلة الى جوهر وغاية قد جعل من العلم يستقتل في الدفاع عن نظرياته لا لمجرد كونها جوهره الفكري وأساسه العقائدي فحسب ولكن لأنها أصبحت جزءاً لا سبيل لفصمه من هذا الوجود الذي قام العلم على أساسٍ من محاولة فهمه وتفسير ظواهره! فلو لم تتحول النظرية من أداة بيد العلم الى جزء عزيز عليه كيَده، بل كعينه، لما قام العلم بالدفاع المستميت عنها في وجه مَن يحاول تذكيره بأنها ليست كما يتوهم وانها لا أكثر من أداة معرفية ينبغي عليه الإستغناء عنها عند تثبُّته من قصورها عن أداء ما

استُقدمت لأجله! من هنا جاءت نزعة العلم العدوانية في الهجوم على كل مَن يحاول التشكيك في مشروعية انتماء نظرياته الى كيانه المعرفي. ان كل تنازل للعلم عن أيٍ من نظرياته لم يتم إِثر ثورة بيضاء ومن بعد اقتناع من جانبه، بل كان هذا التنازلُ من قِبَله من بعد توقيعه على وثيقة استسلام بلا قيد أو شرط إِثر هزيمة ساحقة له في ساحةٍ سقط فيها مَن سقط وسقطت قبل الجميع قيمةُ العلم ومصداقيته وكل ما ألصقه به مُنظِّروه وعقائديوه من جميل صفاتٍ وكريم أخلاقٍ هو منها براء! ولكن، هل قدَر العلم أن يبقى أسير أداته المعرفية هذه الى الأبد؟ هل يستحيل عليه حقّاً ادراك انها ليست بأكثر من مسطرةٍ يستعملها أداةَ قياسٍ أو فرجالٍ يرسم به دوائر أو حاسوبٍ يستعين معلوماتياً به؟ هل يستعصي عليه أن يعي حقيقة كون النظرية لا تنتمي بحال الى البنيان الوجودي ولا تستحق بهذا أن يتم استيعابها داخلاً من البُنية المعرفية للعلم على انها جزء أصيل من أجزائه المكوّنة له؟

على ان العلم الجديد لا يمكن أن يقوم باستبعاد النظرية استبعاداً تاماً وذلك لأن قدَر العلم البشري أن يعجز عن ادراك أشياء كثيرة كما أن قدَره أيضاً انه يستحيل عليه التوصل الى أشياء اخرى غيرها كثيرة. ان العلم، مادام بشرياً، لا يستطيع أن يتخلص من قدَره هذا الذي يجعل من المحتم عليه أن يكون اللامرئي في الظواهر التي يقوم بدراستها عنصراً أساسياً في بُنيته المعرفية لا سبيل لتفادي تضمينه. كما ان هذا القدَر هو الذي يجعل من العلم عاجزاً عن ان يكون بمنأى عن اللجوء راغماً الى الإستعانة بالنظرية. فهو يستقدمها لتُعينه على التعامل الصائب مع اللامرئيات وذلك حتى يصبح بمقدوره تحديدها على الصورة التي بالإمكان أن تتجلّى بها أماماً من الوعي البشري. فاذا استحال على العلم أن يتخلص من قدَره بأن يكون اللامرئي عنصراً من عناصر بُنيته المعرفية واذا استعصى عليه أن يتعامل معه من غير وساطة النظرية فان هذا لا يعني على الاطلاق ان النظرية، بالرغم من فائق أهميتها وعظيم شأنها، يجب أن تُعطى الدور الأول وأن يُصار الى اعتبارها العنصر الأهم في بُنية العلم! ان اعتبارها كذلك سيجعل من العلم الجديد ينساق الى ذات المنحدر فيصل الى نفس الهاوية التي انحدر اليها العلم التقليدي وذلك عندما أساء فهم حقيقة النظرية ولم يتصورها بحجمها الطبيعي بل بالغ في تضخيمه لدورها وحجمها حتى بات من

المستحيل عليه التخلص منها من بعد أن ثبت لديه بالدليل القاطع، تجريبياً واختبارياً، عجزها عن أن تكون جزءاً من بُنيته المعرفية ناهيك عن ان تكون جزءً من الوجود الذي ما قام العلم الا على أساسٍ من السعي الجاد لدراسته! ان النظر الى النظرية على انها عنصر ضمن عناصر البُنية المعرفية للعلم وليست العنصر الأهم كفيل بجعلها تتخذ حجمها الحقيقي فتؤدي بالتالي دورها الذي استُقدِمت لأجله وتكون دواءً ناجعاً وأداةً فاعلةً. ان النظرية وفق هذا الاعتبار يجب ان لا تكون غير محددة بمواصفات استعمال واستخدام يتم تحديدها من قبل الشروع باستقدامها. فالنظرية يجب أن لا تكون عنصراً دائمياً من عناصر البُنية المعرفية للعلم بل عاملاً أجيراً وقتياً يتم استخدامه لأجل محدد ولمدة معيّنة يجري بعدها الإستغناء عن خدماته! ان هذا هو الإجراء السليم في التعامل المنضبط مع النظرية حتى لا نقع من جديد في أسرها فنتخيلها لا كما هي عليه بل كما تهوى عقولنا وتحب؛ وهي عقول دأبها الوقوع في فخ الخيال والإبتعاد به عن الواقع! ان تحديد الأدوات المعرفية الاخرى التي بمقدورها تعيين المدة التي يجب أن يتم من بعدها الإستغناء عن خدمات النظرية ضرورة أساسية قبل الشروع باستخدام النظرية أداةً معرفية لتجسير الهوّة ما بين المرئي واللامرئي. ان التجربة كفيلة بتعيين هذه المدة وذلك لأنها تستطيع أن تطالب النظرية اذا ما هي عجزت عن ايفاء شروط اقامتها داخل البُنية المعرفية للعلم بالرحيل والى الأبد!

٤ ـ المتزامنات مادة نظرية المعرفة الجديدة

ان المتزامنات لا تحدث عفوياً ومن دون أن يكون هنالك مقصد من وراء إحداثها. ان العلاقة الوثيقة ما بين كثرة حدوث وظهور المتزامنات وبين السير بالتزام على الطريق الإلهي الى الله تُبيّن بوضوح تام حقيقة كون هذه الظواهر، فائقة الخارقية، ذات دلالة بعيدة المرمى تتجاوز حدود ظهورها المجرد. ان شروع هذه الظواهر بالحدوث، المستمر والمتكرّر، فور التزام السائر على الطريق الإلهي الى الله بقواعد السير والسلوك، كما حددتها الطريقة، يبرهن على ان من ورائها رسالة مُحمّلة بالمعاني يُراد بها ان تسترعي انتباه السائر على الطريق اليها. ان ارتباط تلاحُق ظهور المتزامنات بالسعي المُجِد على الطريق الإلهي الى الله يدل على انها هادفةٌ وذات مغزى رسالي محدّد. ان استذكار حقيقة كون الفاعل

المُستتر من وراء هذه المتزامنات هو الله الحكيم الخبير يقود العقل الى الإقرار بأن إظهار هذه الظواهر فائقة الخارقية، بهذه الوتيرة العالية للغاية، يقف وراءه سبب على قدْر كبير من الأهمية. ان التباين الكبير في ماهية ومفردات هكذا ظواهر تتصف بكونها مترابطة تزامنياً فيما بينها اذا ما قرنه المرء بحقيقة كون الفاعل الذي تسبّب في ظهورها هو إله واحد، وليس آلهة متعددة، فانه سيخرج لامحالة بنتيجة واحدة مفادها ان هذا الإله على قدْر غير معقول من القدرة والإحاطة والتغلغل؛ فهو لا يحدِّد فاعليّته بظاهرة معينة ولكنه يُطلقها حرةً غير مقيدة لا تعرف حدوداً ولا تواجه حواجزاً الاّ وخرقتها. فهل يكون هذا هو المغزى من وراء حدوث المتزامنات والرسالة التي يريد الله أن يوصلها الى مَن التزم في سيره على الطريق اليه بقواعد الطريقة؟ هل يبغي الله من وراء هذا الإظهار المعجز ان يلفت وعي السائر على الطريق الى ضرورة أن يعي القدرة المطلقة لربِّه؟ أم أن هناك أمراً آخر يريده الله بهذه المتزامنات غير هذا؟ لماذا لا تكون هذه الظواهر ذات الخارقية الفائقة أدوات تعليمٍ إلهي الهدف من ورائه تدريب السائر على الطريق الإلهي الى الله على التقاط رموز ذات دلالات معرفية يترقّى ادراكه لها بنجاحه في التعلّم مستفيداً من هذا التعليم في الوصول الى الإلمام بمفردات تُعينه على التعامل مع الوجود وظواهره لا كما كان دأبه قبل المسير ولكن كما ينبغي لمن يتعرّض لأعظم ما في الكون من طاقة هي النور الذي ليس كمثله شيء؟

ان رد الفعل الصائب الذي ينبغي أن يُظهِره مَن تأخذ المتزامنات بملاحقته والظهور بصورة متكررة متجددة في حياته هو الإلتفات اليها بصورة جدية وعدم الإنشغال عنها بالتركيز على غرابة هذا الظهور المُميِّز لها وذلك حتى لا يكون فرط انبهاره بها حاجباً لما يتوجّب عليه أن يُبديه من عظيم اهتمام بها يتجاوز التوقُّف منشدهاً بدلالات ظهورها الى التفرّغ التام لدراسة هذه الدلالات على قدْر تعلّق الأمر بمضمونها الرسالي وذلك طالما كانت المتزامنات إلهية الإحداث والإظهار. ان ظواهر التزامن هي من أبرز مفردات الواقع الجديد للسائر على الطريق الإلهي الى الله؛ هذا الواقع الذي يتميز بتسلّط الوجود الإلهي على الواقع البشري وهيمنته عليه بالصورة التي لا يعود فيها ما يحدث يحدث بسببٍ يمكن

تشخيصه على أنه ينتمي بصورة مطلقة للواقع القديم الذي كان هو كل واقع السالك قبل التزامه بالرحلة على الطريق الإلهي الى الله. ان أول عمل يتوجّب على مَن تتمحور المتزامنات مِن حوله الإنشغال به هو القيام بتجميع مفرداتها بصورة علمية رصينة وذلك ليتسنّى له الحصول على أكبر قدْر ممكن من المعلومات ذات العلاقة بمضامين ودلالات الرسالة الالهية التي تحملها، وبكل أمانة، بِيَدَيها ظواهر التزامن. ان صدور هذه الرسالة عن ذكاء فائق ليس كمثله ذكاء يُحتّم أن تكون عملية التوصل الى تحديد مضامينها ودلالاتها ليست بالأمر الهيّن طالما كان الذكاء البشري، الذي يقوم بهذه المهمّة العسيرة، محدوداً بهذا العقل المُحدَّد بقوانين طبعته بسِمات وخصائص تجعل من الصعب عليه التجرّد من أحكامه المسبقة وتنظيراته الجاهزة وشغفه بقولبة ما يعرض له داخلاً من أنماط صاغها بخبرته السابقة وما تطبّع عليه عبر مراحل نشأته مجتمعياً. الا ان صعوبة هذا الأمر لا تعني كونه مستحيلاً. فالعقل البشري يتميز بقدرة فذّة على تغيير طبيعته القائمة على أساسٍ من طبعه الذي توارثه وتطبُّعه الذي نُشّأ عليه وذلك اذا ما جهد صاحبه على تغييره بكل حزم وارادة. ان دراسة الواقع الجديد من قِبَل عقل السائر على الطريق الإلهي الى الله تتطلّب منه الإنكباب على تدبّر كل مفرداته وعلى رأسها، وبصورة مكثّفة، المتزامنات وذلك لأنها الظواهر الأكثر مُلاحَقة له والتي لن تني تظهر مِن حواليه كلّما جد واجتهد في سيره. فالواقع الجديد هذا، بمفرداته المُشكَّلة من ظواهر خارقة ليست كمثلها ظواهر، يختلف بداهةً عن واقعه القديم الذي ألِفه قبل المسير؛ وهو لذلك لن يكون بمقدوره على الإطلاق فهمه والتعايش بالتالي معه بالإستعانة بمفردات من ذلك الواقع القديم الذي اتّسمت ظواهره بنمطيّتها ومُشابَهتها للمألوف والمعتاد اللذين يُميّزان نمط حياة الغالبية العظمى من البشر الذين لم يلتزموا بالسير على الطريق الإلهي الى الله. ان فهم الواقع الجديد والتعايش معه بنجاح يتطلّبان القيام بهكذا دراسة علمية رصينة لكل مفرداته طالما لم يكن بمقدور ما مضى من خبرات قامت على أساسٍ من مفردات الواقع القديم ان تقدّم يد العون. اذاً فجانب من جوانب البُعد الرِسالي والمغزى الهادف لظواهر التزامن المُلاحِقة والمُلاصِقة للسائر على الطريق الإلهي الى الله هو هذا الإعداد التدريجي لعقله الجديد ليصبح بوسعه التعامل مع واقعه الجديد بصورة لم يألفها من قبل وذلك عندما كان يتعايش بعقله

القديم مع واقعه القديم. ان مفردات الواقع الجديد هذا تتشكّل من علامات يتميز بها الطريق الإلهي الى الله عن باقي الطرق؛ وهذه العلامات يستدل بها السائر على هذا الطريق فيتيقّن من كونه قد اتّخذ القرار الصائب باختياره هذا الطريق بدلاً من مئات غيره من الطرق المنافِسة والتي لا يملك أيُّها ما هو مُشابِه لها ولو من بعيد. ان التعامل بصورة قويمة صائبة مع واقعه الجديد يتطلّب من السالك أن يستعد لمواجهة مفردات هذا الواقع وبما يجعل منه يحظى دوماً بالنجاح في حل الإشكالات الناشئة عن تعارض الجديد هذا والقديم الذي كان مألوفه والذي هو في الوقت عينه مألوف مَن يحيا بين ظهرانيهم من بشر. فالسير على الطريق الإلهي الى الله ليس محفوفاً بالورود والسائر عليه لا يأمل بأن يحيا في سلام ودِعة مادام هو قد اتّخذ لنفسه طريقاً يخالف الطرق التي ألِفها البشر ومادام قد شقَّ لنفسه بعيداً عنهم مساراً على هذا الطريق المخالِف غير المألوف! ان المجابهة الحتمية بينه وبينهم لا يمكن تفاديها وهو لن يستطيع تحقيق الغَلَبة عليهم ان هو لم يتسلّح بمفردات واقعه الجديد المخالف لمألوفهم تسلّحاً عُدّته فهمه لواقعه الجديد هذا ونجاحه في الإفادة من مفرداته افادةً تجعل منه لا يخشى مجابهةً عقائدية مع مَن لم يلتزم بالسير على الطريق الإلهي الى الله بل يسعى جاهداً الى اصطناعها وخلْقها خلْقاً طالما كانت هذه هي فرصته التي يتحيّن لتقديم يد العون لمن يجابهه علّه ينجح في جعله يُشاركه المسير على الطريق. ان التدبُّر في هذه الملاحقة العجيبة للمتزامنات بصورة خاصة، ولباقي الظواهر فائقة الخارقية بصورة عامة، للسائر على الطريق الإلهي الى الله يكشف عن حقيقة كونها هادفة الى جعله ينجح في التكيُّف مع واقعه الجديد المخالف لما اعتاد عليه قبل المسير توصلاً الى تغيير أنماط تفكيره الذي ألِفه من قبل وذلك حتى لا يعود بمقدور عقله أن يتعامل مع مفردات الواقع الجديد بما يجعل منه لا يرى فيها أدلةً على صحة اختياره وعلى حقانية كون هذا الطريق هو بحق الطريق الإلهي الى الله من بين المئات من الطرق الأخرى المنافِسة. ان هذا التكيّف لا يستهدف السائر على الطريق وحده بل هو يرمي الى جعل السائر على الطريق الإلهي الى الله داعياً الى الله بإذنه طالما كان الإعداد الذي سبق هذا كلّه قد قام على أساسٍ من تأهيل تدريجي للقيام بمستلزماته وذلك عن طريق هذا الظهور المتلاحق للظواهر فائقة الخارقية من حوالَيه وقيامه هو بالتالي بدراسة الدلائل

التي يعنيها هذا الإظهار. ان ملاحقة هذه الظواهر للسائر على الطريق الإلهي الى الله، والتي هي قدَر لا مفر له منه بداهةً بسببٍ من وجوب تعرّضه لطاقة ليست كمثلها طاقة في الكون، لا يمكن أن تكونَ خالية من هدف يتجاوز السبب المباشر وراء حدوثها فيزيائياً. ان كون المسير على الطريق الإلهي الى الله يستدعي قيام السائر بواجبات تعبُّدية يقع في مقدمتها وعلى رأسها الدعوة الى الله يجعل من الواضح جداً السبب في هذه الملاحقة! ان إعداد السائر على الطريق ليكون داعياً الى الله بإذنه يتطلّب تأهيله بما يجعل منه مُحمّلاً بكل ما من شأنه اقامة الحُجَّة وتقديم البرهان على صحة دعواه.

ان تغيُّر البيئة المحيطة بالسائر على الطريق الإلهي الى الله بسببٍ من تعرّضه لطاقة الطريقة وانعكاس هذه الطاقة عنه على ما حوالَيه هو السبب الفيزيائي في الظهور الخارق للمتزامنات بهذه الصورة المُكثّفة في حياته. الا ان ظهورها الخارق هذا لا يستلزم عدم خضوعها لأنماط محدّدة لا تتجاوزها. ان في هذا التحديد تشديداً على خضوعها التام للطاقة التي قامت بإحداثها وإظهارها؛ هذه الطاقة التي تتّصف بحكمة بالغة يلزم عنها وجوب تقييدها للمتزامنات بما يجعل منها لا تخرق قوانين ظهورها المحدَّد بهدف لا تستطيع الحيود عنه. وهذا الحرص على الإلتزام بالهدف يجعل من المتزامنات لا تحدث بصورة عشوائية خالية من التوجيه بحيث يصبح من العسير على السائر على الطريق الإلهي الى الله تحديد مفردات واقعه الجديد نظراً لأن عدد هذه المفردات الخارقة يتجاوز ما بمستطاعه السيطرة ادراكياً عليه! ان تقيّد المتزامنات بهذا القانون يبرهن على رساليّتها وعلى حقّانية كونها هادفة طالما كان مَن أحدثها هو إله حكيم خبير.

ان السائر على الطريق الإلهي الى الله سوف يلحظ هذا التغيّر الذي ألَمَّ بكل ما حوالَيه من بعد شروعه بهذا المسير. وهذا التغيير يعبر عن نفسه بهذا الظهور الخارق لظواهر غير مألوفة لم يسبق له وأن التفت الى شيء من قبيلها أو عثر على نظير لها من قبل. ان انتظام الوجود من حول السائر على الطريق الإلهي الى الله وفق نظام جديد تخضع له مفردات واقعه القديم، بانضباطها بقانون ظهور مفردات الواقع الجديد فلا يكون بمقدورها المخالفة عن أمره وعدم التقيّد بوجوب حرصها على أن لا تتدخّل في مسار هذا الظهور سلباً، سوف يتكشّف

لناظريه ويتبدّى لوعيه بصورة لا يستطيع معها أن يغمض عينيه عن هذا الذي يحدث من حوالَيه. وهذا إعداد من نوع فريد يتجاوز ما بمقدور أي نظام تعليمي إِنجازه. ان التعلم على الطريق الإلهي الى الله يبتدئ بالتعوّد على الواقع الجديد وذلك بتدبّر مفرداته الخارقة المُبايِنة لما أَلِفه السائر عليه من قبل. ويمضي التعليمُ متسارعَ الخُطى صوب الهدف والذي هو الوصول بالسائر على الطريق الإلهي الى الله الى مقام يتمكّن فيه من الإنتقال من واقعه الجديد الى واقع آخر لا يعود فيه بامكانه النظر الى شيء مما حواليه وذلك لأنه يصبح من أهلِ النظر الى الله الذين لا يرون في الوجود سواه. ان التدرُّج في التعليم انطلاقاً من رؤية آثار النور الإلهي تنعكس عن أشياء الوجود وصولاً الى العجز عن رؤية شيء غير الله يمر حتماً عبر بوابة ظواهر التزامن التي هي آثار نور الله منعكساً عن ما في الوجود. ان الوصول الى هذا المقام يتطلّب من السائر على الطريق الإلهي الى الله التحلّي بطبائع جديدة مخالفة لما اعتاد من قبل المسير عليه من عادات وطبائع؛ وهو بعدُ مُطالب بالحصول على علم لا سبيل اليه الا بالتقوى وهي لُب العبادة وميزانها الوحيد. والتقوى تستدعي التزامه التام بضوابط المسير وفق قوانين الطريقة. ان هذا الإلتزام يجعل بمقدوره الحصول على العلم الضروري والذي لابد منه قبل النجاح في الوصول الى الله. فهذا العلم المُتأتّي عن طريق التقوى هو علم بالوجود على ما هو عليه وبمَن فيه على ما هم عليه؛ وهو علم لا سبيل اليه بغير التقوى التي هي العبادة كما ينبغي وكما أرادها الله وسيلةً خالصةً اليه. والتقوى، بعدُ، لا سبيل اليها الا بالتقيد المطلق بنظام السير على الطريق الإلهي الى الله. ان الوصول الى الله، لا يتحقق الا بالسير على الطريق اليه وفق قواعد الطريقة المنظّمة لهذا المسير. فهذه القواعد تضمن تحقّق حصول السائر على الطريق الإلهي الى الله على العلم الذي لابد منه من أجل الوصول اليه. ان العلم بالوجود على ما هو عليه وبمَن فيه على ما هم عليه لا يتحقّق للسالك السائر على الطريق الإلهي الى الله الحصول عليه الاّ برؤية الوجود ومَن فيه بالنور الإلهي منعكساً عن ما سوى الله. ان الناظر الى الأشياء بغير وساطةٍ من ضياء لا يستطيع على الإطلاق ان يراها على ما هي عليه في نور الشمس أو ضوء المصباح الكهربائي. وكذلك فالناظر الى الوجود، بكل ما فيه ومَن فيه، لا يستطيع أن يراه على ما هو حقاً عليه الاّ بواسطة نور الله الذي بانعكاسه عنه تتبيّن حقيقة الوجود

على ما هو عليه. ان الوصول الى الله يستدعي الحصول على هذا العلم بالوجود وذلك حتى يصبح بمقدور السائر على الطريق الإلهي الى الله النظر، من بعد الوصول، الى الوجود فلا يراه. ان النظر الى الوجود على ما هو عليه حقاً يعني ان لا ترى سوى الله. وهذا لا يعني ان الوجود هو الله كما توهّم الكثير من الحمقى والأغبياء. ان النظر الى الوجود بنور الله سوف يكشف عن حقيقة هذا الوجود فلا يعود بعد ذلك بوسع السالك ان يتوهمه موجوداً قائماً بذاته بل يراه على حقيقته، القصوى والوحيدة، وجوداً قائماً بالله! ان النظر الى الله لا يتحقق الا من بعد النظر الى الوجود بنور الله. والوجود لن تتجلّى حقيقتُه على ما هو حقاً عليه الا برؤية النور الإلهي ينعكس عنه. عندها، وعندها فقط، يُصبح بالإمكان النظر الى الوجود بعين لا تراه الا على ما هو حقاً عليه؛ فلا يعود بعدها بمقدوره الإستمرار حجاباً حاجزاً ما بين العين ونور الله. ان النظر الى الوجود بغير نور الله سوف لن يجعل منه الا حجاباً ما بين العين والله. فالنظر الى الوجود بنور الشمس، مثلاً، سوف يجعل منه موجوداً غير حقيقي؛ وغير الحقيقي لا يستطيع ان يكون الا حجاباً ما بينك وبين ما هو حقيقي. فأنت لن تستطيع أن تنظر الى الله فتراه الا من بعد ان تنظر الى الوجود بنور الله فلا تراه كما كنت من قبلُ تراه بضوء الشمس أو بضوء الكهرباء، ولكن تراه كما هو حقاً عليه شفافاً لا يحجب بينك وبين الله. ان الوجود اذا ما أنت نظرت اليه بغير نور الله لن يكون حقيقياً، وهذا هو الذي يجعل منه حجاباً بينك وبين الله الذي لا سبيل لأن تنظر اليه فتراه الا بزوال الحجاب ما بينك وبينه بزوال الوجود على ما هو ليس عليه. فالوجود على ما هو حقاً عليه ليس بحجاب بينك وبين الله. ولكن لا سبيل للنظر الى الوجود ليُرى على ما هو حقاً عليه الا بالنظر اليه بنور الله الذي وحده بمقدوره أن يجعل منه يتجلّى على حقيقته فلا يكون حجاباً كما هو حاله عليه عند النظر اليه بغير نور الله.

فالمتزامنات اذاً هي مفردات واقع جديد يتشكّل بسببٍ من انعكاس نور طاقة الطريقة عن السائر على الطريق الإلهي الى الله على الوجود من حوالَيه. وهذا الواقع الجديد يختلف عن الواقع المألوف الذي هو الوجود كما تراه الغالبية العظمى من بني البشر وهم ينظرون اليه بغير نور الله وبغير ما ينعكس عليه

من نور طاقة الطريقة اللذين لا سبيل للنظر بهما الاّ بالإلتزام بالسير على الطريق الإلهي الى الله. ان الواقع الجديد يتشكّل ظواهر خارقة وأحداثاً غير مألوفة لم يسبق للسائر على الطريق وأن رآها. وهذه الخوارق بوسعها أن توفّر له خير تعليم يعمل على جعله يترقّى الى أحوال غير نمطية لم يحظَ بها الا جمع من البشر قليل. وهو بوصوله الى هكذا مقامات من بعد اتّصافه بهذه الأحوال غير المألوفة سوف يصبح بمقدوره ان لا يتعامل بعدُ مع الوجود كما اعتاد من قبلُ؛ حيث يكون بمستطاعه عندها تلمّس آثار نور الله وهو ينعكس عنه على ما في الوجود من حواليه. وهكذا يأخذ بالترقّي بصورة تدريجية من حاله السابق المشابه لحال غيره من غير السائرين على الطريق الإلهي الى الله، من الذين ينظرون الى الوجود فلا يرونه الا على ما هو ليس حقاً عليه، الى الحال الجديد الذي يميّزه عنهم بجعله لا يتمكن من النظر الى الوجود الا وهو يراه على واقع جديد؛ هو حاله من بعد إعادة تشكيله بواسطة طاقة الطريقة. ان هذا النظر منه الى الوجود هذا، سوف يجعل منه يرى فيه حقائق لا يمازجها باطل؛ وهذه الحقائق بمقدورها أن تُعينه على التقدم الى أمام على الطريق الإلهي الى الله وذلك بجعلها اياه يعجز عن معاودة النظر الى الوجود ليراه كما يراه غيره من غير السائرين على الطريق. ان هذا كفيل بقطع السبيل عليه حتى لا يرجع الى حاله السابق من النظر الى الوجود ورؤيته على ما هو ليس حقاً عليه. فهو من بعد مسيرته تحت ظلال نور الطريقة على الطريق الإلهي الى الله سيكون عاجزاً عن أن ينظر الى غير الواقع الجديد الذي سوف يتكفّل بجعله يراه حافلاً بكل ما من شأنه أن يعمل على تهيأته للإنتقال الى الخطوة القادمة التي يصبح بمقدوره بعدها النظر لا الى الوجود على ما هو ليس حقاً عليه، كما كان ينظر اليه من قبل التزامه بالسير على الطريق الإلهي الى الله وكما يراه غير السائرين، ولا الى الوجود وقد أعيد تشكيله بنور طاقة الطريقة المنعكس عنه على ما حوالَيه ولكن الى الوجود على ما هو حقاً عليه وذلك بالنظر اليه بنور الله حيث لا يكون حينها بمقدوره أن يرى من الوجود شيئاً، طالما كان الوجود على ما هو حقاً عليه غير قابل للرؤية؛ مما يجعل منه ينظر الى الوجود فلا يرى هناك من موجود فيه بحق الا الله. ان الرحلة على الطريق الإلهي الى الله شاقّة صعبة وذلك لفرط التباين ما بين الوجود الذي اعتاد عليه الإنسان، والذي هو ليس بموجود في حقيقة الأمر وواقعه، والوجود

الذي ينبغي له أن ينظر اليه فيراه على ما هو حقّاً عليه ليدركه على حقيقته القصوى وجوداً غير موجود بالإضافة الى الله. وهذا التباين ما بين نمطَي الوجود هذين يستدعي أن يمر السائر على الطريق الإلهي الى الله عبر بوابة الظواهر الخارقة وذلك لأنها مادة الوجود الوسيط بينهما والذي يُمكّنه من الإنفلات من تعلّقه بالوجود، الذي كان قبل شروعه في السير على الطريق يمثّل له كل ما هنالك، الى التهيؤ لاستقبال الوجود الحقيقي على ما هو عليه. ان المتزامنات تُعِد السائر على الطريق الإلهي الى الله حتى يصبح بمقدوره التخلّي عما اعتاد عليه من رد فعل تجاه الوجود، الذي أَلِفه، ولم يعتد على غيره، وصولاً الى التحلّي بالمقدرة على النظر الى الوجود ليراه على ما هو حقاً عليه. فاذا كان المرء لا يستطيع الا أن ينظر الى الوجود فيراه على ما هو ليس حقاً عليه واذا كان الوصول الى الله يتطلّب حصوله على المقدرة على النظر الى الوجود على ما هو حقاً عليه فان السبيل لتحقيق ذلك لا يمكن أن يكون الا بالسير على الطريق الإلهي الى الله وذلك حتى يصبح بمقدوره هجر ما اعتاد عليه من نظر للوجود ورؤيته على ما هو ليس حقاً عليه وذلك عن طريق انشغاله بالوجود بحاله الجديد المُبايِن لما كان عليه قبل المسير؛ هذا الحال الذي يجعل منه لا يراه كما يراه باقي البشر خالياً من المعنى وغير مبالٍ به ولا آبهاً لما يعنيه وجودُه فيه. ان الوصول الى رؤية الله، برؤية الوجود على ما هو حقاً عليه، يستدعي تعلُّم المرء كيفية التوقّف عن النظر الى الوجود ورؤيته على ما هو ليس حقاً عليه. ان الوجود كما ينظر اليه جُلُّ البشر هو الحجاب الذي يعجزهم وجودُهُ عن ان يكون بمقدورهم أن يروا الله. ان النظر الى الوجود كما اعتدنا عليه يجعل منا لا نستطيع غير أن نراه على ما هو ليس حقاً عليه فكيف نأمل بالتالي أن يجعلنا نَظَرُنا هذا ننظر الى الله فنراه؟! ان زوال هذا الحجاب لا يتم الا بتمزيق ما اعتدنا عليه من طريقة في النظر الى الوجود وهذا ما يستحيل تحقيقه بغير التحوّل والإنقلاب من هذا الذي اعتدنا عليه الى ما يُباينه ويخالفه. وهنا تتقدم المتزامنات بالعون والمساعدة وذلك لأنها وحدها بوسعها أن تمزّق عاداتنا في النظر الى الوجود عبر تمزيقها للوجود الذي اعتدنا على النظر اليه!! ان تمزيقها لهذا الوجود الذي اعتدنا عليه يتم عبر إِعادة تشكيله من جديد ليصبح وجوداً وسيطاً ما بين الوجود المتوهَّم والوجود الحقيقي. ان القفز الى مستوى القدرة

على النظر الى الوجود الحقيقي لا يمكن أن يتحقّق من دون وساطة هذه الظواهر الخارقة التي وحدها بوسعها انقاذ المرء، بالتزامه بالسير على الطريق الإلهي الى الله وفق قواعد الطريقة، من التعلّق بالوجود المتوهَّم غير الحقيقي. فتعلّق السائر على الطريق الإلهي الى الله بهذا الوجود الوسيط سوف يجعل منه يغادر حاله القديم الذي آلفه واعتاد عليه فيتهيّأ لحالٍ جديد لا يصبح معه بمقدوره أن ينظر الى الوجود كما تعوّد على ذلك من قبل.

لقد كشفت الفلسفات الوجودية عن حقيقة هامة جداً تخص الوجود الإنساني وذلك عندما عبّرت عما يجيش ويعتلج داخل صدر الإنسان، أي انسان في أي زمان كان، من مشاعر الضيق والضجر وهو يعيش في هذا الوجود غير الآبه به واللامُبالي بوجوده والخالي من أي مقدار من الدلالة والمعنى. ان هذه الحقيقة لا يمكن ستر شمسها بغربال الإحتجاج الفارغ بأن هكذا مشاعر تجاه هذا الوجود المفعم بالجمال والطافح بالمعنى لا تمثّل غير مشاعر نفر ضال من أفراد الجنس البشري ممّن التاثت عقولهم وتشوهت طرائق تفكيرهم فحادوا عن الطريق العام المميّز للغالبية العظمى من أبناء النوع الإنساني الذين ينظرون الى الوجود فيرونه لا كما يراه هؤلاء المرضى الشاذّون ولكن كما يراه الأصحاء الأسوياء جميلاً هادفاً ذا معنى! ان هكذا احتجاج عقيم يقفز على الوقائع ويتجاوز الحقائق التي تم اثباتها والبرهان على صوابها المطلق فيما يخص هذه المشاعر التي تعتمل في صدور البشر جميعاً تجاه الوجود. ان رد فعل الإنسان تجاه الوجود هو، وكما أجاد وصفه وأطنب في الحديث عنه فلاسفة وأدباء الوجودية، هذا الفيض الجارف من مشاعر الخواء واللاجدوى والضيق بما يستشعره الإنسان، عن حق ومن دون توهّم أو تخيّل، من عدم اكتراث الوجود به وبلامبالاته بوجوده. ان هذه المشاعر الإنسانية الصادقة هي ليست وليدة الغضب أو المرض أو الفشل؛ فهي ردود أفعال طبيعية تجاه موقف الوجود غير المكترث بالإنسان الذي يحيا في هذا الوجود ولا يرى فيه ما يدل على انه يبادله أي شعور غير عدم الإكتراث واللامبالاة والبرود المطلق تجاه ما يعرض له من حوادث ووقائع. وهذا الذي اكتشفه الإنسان في الوجود من مشاعر سلبية تجاهه وتجاه وجوده يجب أن يُقارن بما ورد في كتابات أهل الطريق الإلهي الى الله الذين نقلوا لنا صورةً مغايرة لرد فعل الوجود تجاههم! ان السائر

على الطريق الإلهي الى الله ينظر الى الوجود فيراه لا كما يراه غيره ممن لم يلتزم بالسير على هذا الطريق؛ فهو يراه حياً غير جامد على حالٍ ليس بغير آبهٍ به بل وعلى العكس من ذلك فهو يأبه به ويبالي بأمره ويكترث لشأنه. فالوجود في نظر السائر على الطريق يتشكّل وفق نور طاقة الطريقة المنعكس عنه عليه، وهو لذلك لا يمكن أن يكون خالياً من المعنى مليئاً بالعبث واللاجدوى عقيماً غير هادف. ان ظواهر التزامن التي تلاحق السائر على الطريق تكشف له وبكل جلاء ووضوح عن حقيقة هذا الواقع الجديد المغاير تماماً للواقع الذي أَلِفه قبل التزامه بالسير عليه؛ وهذه الحقيقة هي أن الوجود لا يملك أن لا يبالي به ولا يقدر ان لا يكترث لشأنه وهو على الطريق الى الاله الخالق الذي هو رب كل شيء. فاللاجدوى هي ما تجده على الطريق بعيداً عن الله. والاّ فكيف تأمل أن تجد الوجود على حالٍ من الإكتراث بك والمبالاة بشأنك وأنت لا طاقة لك على ارغامه على التشكّل بما يجعل منه يُباين واقعه وحقيقته؟! ان اللاجدوى والعبث لا يغادران الوجود الا عندما تنظر اليه بنور طاقة الطريقة فتراه وجوداً نابضاً بكل حب لك واهتمام بك واكتراث بشأنك. ان الأوصاف التي أطلقها مفكّرو الوجودية على الوجود الإنساني هي صفات حقيقية طالما كان هذا الانسان بعيداً عن الطريق الإلهي الى الله! ان السير على الطريق الإلهي الى الله هو وحده الكفيل بجعل هكذا مشاعر تجاه الوجود تختفي من صدر الإنسان وذلك لأن سيره على هذا الطريق سيجعل منه يرى في الوجود ما لم يكن بمقدوره رؤيته فيه من قبلُ وذلك عندما كان يسير بعيداً عن الله. وهذا الذي سيراه سوف يتجلّى بما من شأنه أن يجعل من الوجود عامراً بالمعنى مفعماً بالإهتمام به وبما يحدث له. ان المتزامنات التي هي قدَر السائر على هذا الطريق سوف تكشف له بكل وضوح عن كون أحداثها قد تم إحداثها بشكل يجعل منها مفردات في رسالة حب وعشق موجّهة له من قِبَل الوجود؛ هذا الوجود عينه الذي لم يكن قبل التزامه بالسير على الطريق ليأبه له أو يعبأ به! ان السير بعيداً عن الطريق الإلهي الى الله لا يمكن ان يكون الا سيراً بعيداً عن الوجود الآبه بالإنسان المكترث به والمبالي بما يحدث له. لقد تحدّث مفكّرو الوجودية عن الإنسان ومشاعر الوجود العدائية والسلبية واللاآبالية تجاهه، ولكنهم لم يدركوا ان انسانهم هذا، وان كان يمثّل الغالبية العظمى من أفراد الجنس البشري، هو ليس كل مَن هنالك!

القسم الثاني

الظاهرة الإنسانية ظاهرة خارقة

الفصل الأول

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾

الروح والانسان

١ ـ ١ الأشكال البايولوجية ليست أنماط التجلّي الوحيدة للحياة!

لقد دأب العقل البشري على النظر الى الأشكال البايولوجية، مايكروية كانت أم ماكروية، على أنها الأمثلة الوحيدة التي تتجلّى من خلالها الحياة. ان الحياة وفق التفكير البشري لا يمكن أن تتخذ لها صيغ وجود اخرى مُغايرة للصيغ التي تتمظهر بها على سطح هذا الكوكب. فالأشكال البايولوجية التقليدية، سواء كانت كائنات مجهرية لا يمكن ادراكها الا بالإستعانة بالمجاهر بأنواعها أم كائنات بالمستطاع رؤيتها بالعين المجردة، هي كل ما هنالك من أنماط حية.

ان الحياة، هذه الفعالية العجيبة المدهشة، قد تمّت قولَبتها من قبل البايولوجيا التقليدية داخلاً من نماذج محدودة لا وجود اطلاقاً لما يُغايرها. ولقد عمل علماء الأحياء على صياغة تحديد علمي دقيق للسمات التي تجعل من المادة المتَّصفة بها تتميز بكونها ذات حياة. وهذه السمات تم استخلاصها من خلال الملاحظة العلمية الدقيقة لما تشترك به كل الكائنات الحية المعروفة وما تختلف به عن جميع أشكال المادة الميتة. ان أهم ما لاحظه العلماء من تميُّزٍ في هذه الكائنات انها كلها جميعاً تشترك في كونها تتّصف بمقدرة خارقة على الدخول في تفاعلات تُظهِر فيها تمتّعها بما بالإمكان تسميته بالذات أو الشخصية أو الهوية. تتجلّى هذه الشخصية في أي تفاعلٍ يدخل الكائن الحي طرفاً فيه سواء كان هذا التفاعل داخلياً بين الأجزاء والمفردات المكوِّنة له والمتشكِّل منها أم خارجياً بينه ككل متكامل ووحدة ذات هوية وبين بيئته التي يحيا فيها. فمفردات الكائن الحي تتكامل فيما بينها بحيث تؤدي المحصلة النهائية لكامل فعالياتها الى المحافظة

على الهوية المميزة له. ان كل مفردة من هذه المفردات التي يتشكل منها الكائن الحي، سوياً غير مريض، تعمل وفق مخططٍ عام لا تحيد عن التقيد التام بتفاصيله والإنضباط المطلق بتأدية الدور المرسوم لها من قِبله كجزء من كل. والكائن الحي ككلٍّ متكامل يتفاعل خارجياً مع البيئة التي يحيا فيها بما يكفل له الحفاظ على استقلاليته ووحدته المميزة له فلا يفقدها على حساب اشتراكه في هذا التفاعل أو ذاك.

ينزع الكائن الحي الى ضمان محافظته على هذه الإستقلالية والهوية المميزة له بقيامه بما يكفل له البقاء متَّصفاً بها؛ لذا تراه يغتذي ويتنفس وذلك حتى يكون بامكانه توفير ما من شأنه ايصاله الى أقصى سماحٍ ممكن لانتشار مادته الحية في البيئة التي يحيا فيها والمحافظة على هذا الإنتشار لأطول مدة ممكنة من بعد ذلك. والكائن الحي ليس بمقدوره أن يحافظ على هويته لمدة لا نهايةَ لأمدها لاستحالة تحقق ذلك على قدر تعلق الأمر باستمرار مفرداته المكوِّنة له على أدائها الوظيفي، بكفاءة وأهلية، طويلاً في ظل الخصائص التكوينية لهذه المفردات والتي تجعل منها مُحدَّدة بزمنٍ معين المدة لاستمرارها بتأدية مهامها ووظائفها بالوجه الذي يكفل لها القيام بما يُمليه عليها واجبها تجاه الكل المتكون منها. ان هذا العجز التقني الكامن في لُب المخطط التكويني لمفردات الكائن الحي، والذي يُعجزه عن الإستمرار الى ما لا نهاية على حاله كوحدة متميزة متماسكة ذات هوية محددة وشخصية مستقلة وكيان ذي وجود خاص، يتناقض تماماً مع نزوع الكائن الحي الى المحافظة على هذه الهوية ذات الشخصية المستقلة. ان الحل الذي خرج به هذا الكائن من مأزق التناقض هذا ما بين نزعته الى البقاء على هويّته المتفردة المستقلة وعجزه التام عن أن يكفل لمفرداته ما يُمكِّنها من المحافظة على هذه الهوية تجلّى في اللجوء الى تقنية التكثير (التكاثر). ان هذه التقنية لم تكن أساساً شيئاً آخر غير تفادٍ ذكي للغاية للمأزق الوجودي الذي واجهه الكائن الحي والذي أعجزه عن التقيُّد بالنزعة الكامنة في مخطّطه التكويني والقاضية بأن يُحافظ على وجوده، المتميز بشخصية وهوية، أطول أمد ممكن. لقد ظهرت تقنية التكثير (التكاثر) لتكون بالأساس عملية استنساخ للكائن الحي يبقى بواسطة منها محافظاً على وجوده ذي الشخصية المتميزة عبر الإستنساخات

العديدة التي بامكان هذه التقنية القيام بها. ولقد تحقق للكائن الوصول الى ما يضمن له، الى حد ما، المحافظة على هذه الشخصية في وجه العجز المميّز لمكوناته ومفرداته والذي يحول دون أن يتمكن هو ذاته من البقاء محتفظاً بهذه الشخصية طويلاً. لقد برهنت تقنية التكثير (التكاثر)، على الرغم من أنها لم تكن دوماً استنساخاً أميناً حافَظ على كل تفاصيل شخصية ودقائق هوية الكائن الحي، على انها بحق الحل الذهبي لمشكلة الكائن الحي الأساسية والمتمثلة بكيفية تمكُّنه من المحافظة على شخصيته واستقلاليته لأطول مدة ممكنة. اذاً فصفات الكائن الحي التقليدي Traditional Living Organism ، أيٍّ كان حجمه، هي تلك السمات التي يتمكن بواسطةٍ منها من تحقيق النزعة، التكوينية النشوء داخله، والتي تجعل منه تتجلّى فعالياتُه كلها جميعاً، كما لو أنها كانت عبارة عن برنامج يتم تنفيذه بدقة صارمة، بهدف المحافظة على شخصيّته المتميزة وهويته المستقلة في بيئته التي يحيا بها. لذلك فان سمات الكائن الحي التقليدي الذي هو محور العلوم البايولوجية هي: ١ ـ التغذّي ٢ ـ التنفس ٣ ـ الإحساس ٤ ـ الحركة ٥ ـ التمثيل ٦ ـ التكثير (التكاثر). الا ان هذه السمات لا يجب ان يُصار الى الحكم، استناداً اليها وانطلاقاً منها، وذلك لتقرير ما اذا كان كائن ما حياً أم ميتاً بصورة كونية مطلقة تغادر كل خصوصية وتهمل كل تميز لحالة دون اخرى! ان هذه السمات التي تتميز بها كل أشكال الحياة الأرضية المعروفة من قِبَل الإنسان والمدروسة من قِبَل علومه البايولوجية يجب ان لا تكون أحكاماً مطلقة ينبغي على كل أنماط الحياة أن تخضع لها وجوباً والا فهي ليست حية بالتالي! ان أهم خاصية للحياة هي تلك النزعة الى المحافظة، بكل وسيلة ممكنة، على الوجود المستقل المتميز لها. وهذا يجعل من التقنيات التي تلجأ اليها من أجل تحقيق نزعتها هذه شأناً خاصاً بها! فليس من شأننا تحديد وتقنين وقَولبة هذه التقنيات وحصرها بحيث لا نسمح بوجود غيرها! ان السمات الست الوارد ذكرها أعلاه هي ما احتاجته الكائنات الحية التقليدية ليستقيم لها أن تحقق نزعتها الى المحافظة على وجودها واستقلاليتها. وهذا لا يُحتِّم ضرورة أن تلتزم كل أشكال الحياة بهذه السمات عينها حتى يكون بمستطاعها أن تنجح في فرض شخصيتها المستقلة على الوجود! ان في ما تقدم خير مدخل للتطرّق الى موضوع هام للغاية ألا وهو الأشكال الاخرى للحياة وعلى وجه التحديد أشكال الحياة التي لا

تتصف بالسمات الواردة أعلاه. ان هذه السمات ترتبط حتماً بالشكل الذي تجلّت به الحياة على كوكبنا الأرضي هذا فاستطعنا أن ندركها من خلاله. ولكن هذه السمات لا تعني ان الحياة لا تستطيع الا أن تظهر بها وذلك اذا ما هي اختارت أشكالاً اخرى للتجلّي بها غير الأشكال التقليدية هذه! ان أهم صفات الحياة على الإطلاق هي نزعة الكائن الحي الى الحِفاظ على شخصيّته واستقلاليّته. وهذين لا يُشترط للحفاظ عليهما أن يُصار الى التقيّد بالأشكال البايولوجية التقليدية المألوفة. لذلك فلا ضرورة منطقية هناك لوجوب ان تكون هذه الأشكال هي أنماط التجلّي الوحيدة للحياة. ان الحياة لا ينبغي ان تُقرَن بالمألوف من الأشكال التي تمظهرت بها لأعيننا فتغدو أسيرة هذه الأشكال فتتحدد بها دون أن يكون بوسعها أن تتجلّى بأشكال غيرها. لقد غدا الإرتباط الوضعي الوهمي بين الحياة وأشكالها البايولوجية التقليدية قوياً الى درجة بات معها من البديهي أن يُصار الى الحكم باستحالة وجود أشكال اخرى للحياة تختلف عما تم تصنيفه على انها أشكالها الوحيدة التي لا يمكن الا أن تظهر بها. فاذا استعصى على العلم أن يعثر على أشكال حياة اخرى غير أشكالها المألوفة فان هذا لا يعني على الإطلاق ان لا وجود الا لهذه الأشكال وان لا وجود لأشكال اخرى غيرها! لقد أثبتت مسيرة العلم أن لا صحة للإعتقاد البشري القديم بأن ما هو ذو حياة لا يمكن الا ان يكون مرئياً وذلك عندما تم البرهان بواسطة المجاهر على وجود كائنات حية لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة! ان هذه الكائنات المجهرية تمتلك ذات المواصفات التي تتمتّع بها الكائنات الحية المرئية مما يدل على ان لا ارتباط حقيقياً هناك ما بين الحياة وحجم الكائن الحي المتميز بها! كما ان المنطق يُجوِّز احتمالية وجود كائنات حية لا يمكن ان تُرى حتى من خلال أقوى المجاهر التي بمستطاع التقنية المعاصرة إبداعها. ان انكار وجود هكذا احتمال بأن تكون هناك حياة غير مرئية Invisible Life ليس بمؤسَّس الا على دعائم ابستمولوجية واهية!

ان احتمال ان تكون هناك أشكال حياة غير مرئية حتى بأقوى المجاهر التي بوسع الإنسان ان يبدعها يبقى قائماً طالما ليس هنالك من سبيل تجريبي لدحض هذا الاحتمال المنطقي! فالحياة قد تتمظهر بالأشكال البايولوجية التقليدية من غير

أن يقود ذلك الى وجوب ارتباط تجلّي الحياة بهذه الأشكال حصراً. ان تجريد الحياة من صفاتها التي تميزت بها الأشكال البايولوجية التقليدية والتي ظهرت بها على هذا الكوكب من تغذٍّ وتنفُّس وحركة وتكثير (تكاثر) لا يعني جعل الحياة كياناً مجرَّداً Abstract لا ينتمي لعالم الوقائع والأحداث! فهذا التجريد لا يعني غير عدم مشروعية الربط الحتمي بين الحياة والأشكال التي تتجلّى بها لأعيننا على الأرض.

١ ـ ٢ الأشكال غير البايولوجية للحياة!

لقد حفلت عقائد معظم شعوب الأرض بذكْر كائنات حية غير بشرية، وليست بحيوانية كذلك، ولقد وصِفت هذه الكائنات بأوصافٍ تتناقض مع السمات المميزة للكائنات الحية كما يعرفها البشر. ان اثبات أو نفي وجود هكذا كائنات ذات حياة لا ترتبط بما هو معروف من أشكال بايولوجية تقليدية لا يمكن أن يكون ناجزاً وقاطعاً، بصورة مستوفية لكامل الشروط المعرفية كما حددتها الأبستمولوجيا (نظرية المعرفة)، ما لم يتأسس الإثبات او النفي على قاعدة تجريبية ـ اختبارية مادام المنطق يُجوِّز نظرياً، من غير ترجيح لهذا او ذاك، كلاً منهما وذلك لعدم مخالفة أي منهما لقواعده التي يستقيم عليها معرفياً. ان القول بوجود كائنات حية غير مرئية وغير مجهرية (لا يمكن أن تُرى بواسطة المجاهر) يبقى، كما تقضي بذلك نظرية المعرفة، أسير كونه احتمالاً جائزاً ما لم يتم ايراد البرهان تجريبياً واختبارياً على حقانية وجود هذه الكائنات الحية فائقة المجهرية Super Microscopic Beings. ان هكذا برهان بمستطاع البارانورمالوجيا تقديمه وبكل يسر وسهولة! فكثير من ظواهر الخارقة للعادة هي من فعل هذه الكائنات الحية غير البايولوجية. ان ظاهرة البيوت المسكونة وظواهر ما يُسمى بجلسات تحضير الأرواح تبرهن وبشكل واضح وبصورة قاطعة على أن هناك كائنات غير مرئية تتميز بكونها ذات حياة لا تَشابُه اطلاقاً بينها وبين الصيغ المعروفة لدينا معشر الإنس! ان دراسة وقائع هذه الجلسات، وذلك عند اقامتها مختبرياً، بامكانها تسليط الضوء على جوانب كثيرة من خفايا حياة هذه الكائنات التي تقف من وراء حدوث هذه الظواهر. ان هذه الكائنات تتميز بكونها ذات شخصية أي انها تمتلك وعياً هادفاً يُمكّنها من التفاعل مع المحيط الخارجي. كما انها تتميز

أيضاً بلامرئيّتها والتي تبقى محافظة عليها حتى في حال استعمال أقوى المجاهر في النظر اليها. ولكن هل تعجز خبراتنا اليومية حقاً عن تقديم أمثلة واقعية بمستطاعها ان تجعل منا نتفهّم وجودها الغريب هذا؟ لقد قامت الأجهزة التي أبدعتها التقنية الحديثة بتقديم أمثلة واقعية بوسعها مساعدتنا على تصوُّر مُبسَّط للكيفية التي تتجلى بها الحياة في هذه الكائنات. ان تقنية البث ـ الإستلام الإذاعي والتلفزيوني تبرهن بشكل تجريبي على ان الصوت البشري بالامكان ان يُصار الى جعله غير مسموع كما ان الصورة البشرية بالإمكان جعلها غير مرئية! ان الصوت البشري لا يستحيل وجوده بشكل غير مسموع كما ان الصورة البشرية لا يستحيل وجودها بصورة غير مرئية. ان الأجواء الأرضية محمّلة بكَمٍ هائل من الأصوات البشرية غير المسموعة والصور البشرية غير المرئية وذلك بسببٍ من الأعداد المهولة من محطات البث الصوتي والصوَري المنتشرة في عموم الأرض. ان هذه اللامسموعات واللامرئيات دليل على عدم استحالة وجود كائنات غير مرئية بامكانها ان تُنتج، ما نفهمه نحن بادراكنا له، صوتاً مسموعاً وصورةً مرئية. فاذا كان الإنسان يجد في صورته وصوته في التلفزيون الشيء الكثير مما له علاقة شَبَه حقيقي به فان في الصور غير المرئية والأصوات غير المسموعة التي تعُج بها الأجواء الشيء الكثير أيضاً مما له علاقة شَبَه حقيقي بالكائنات غير المرئية التي تمتلك حياة لا تُشابه أشكالها المعروفة لدينا.

ان الإعتقاد بحتمية التلازم ما بين الحياة البشرية الإنسانية وشكلها البايولوجي التقليدي هو محض هراء! فالحياة البشرية الإنسانية توجد بهذا الشكل البايولوجي التقليدي ولكن من غير أن يعني هذا استحالة ان توجد بأشكال اخرى سواء كانت بايولوجية غير تقليدية أو حتى غير بايولوجية على الإطلاق!

١ ـ ٣ طاقة الطريق الإلهي الى الله والأشكال البايولوجية غير التقليدية للحياة البشرية!

ان البارانورمالوجيا بمقدورها ان تجيء ببراهين تجريبية ـ اختبارية، مادتها هي ظواهر الجسم البشري تحت تأثير طاقة الطريق الإلهي الى الله، على ان الشكل البايولوجي المألوف للانسان، بفعالياته الفسيولوجية (الوظائفية) التقليدية، لا يمثِّل الحد النهائي الذي يستحيل تجاوزه والذي لا يمكن العبور من خلاله

وصولاً الى أشكال اخرى تتميز بقدرات فسيولوجية خارقة. فظواهر الشفاء الاستثنائي للجروح المتعمّد إِحداثها في الجسم البشري بما تتضمنه من مناعة فائقة ورد فعل خارق يُبديه الجسم تجاه هذا الإضرار العَمَدي تبرهن، وبما لا يقبل أي شك وبما يستعصي على كل تشكيك، على أن المذهب القائل بحتمية التلازم والترابط ما بين الحياة الإنسانية البشرية وهذا الشكل البايولوجي المميّز لأفراد النوع الإنساني هو مَحض خُرافة! ان ظواهر الدرباشة تُثبِت بكل قوة ان الحدود التي فرضها الشكل البايولوجي التقليدي للإنسان على جانب كبير من فعالياته الفسيولوجية هي حدود وهمية بالإمكان اختراقها والعبور الى ما ورائها وذلك اذا ما استعان الإنسان بما يُمكّنه من تحقيق ذلك عبر التزامه بشروط السير على الطريق الإلهي الى الله وفقاً لما جاءت به الطريقة. لقد اتت الطريقة بمفاتيح تُتيح لمن يستعين بها، من بعد الإلتزام بشروط تسليمها هذه المفاتيح له، فرصة الإنطلاق صوب آفاق جديدة لوجوده وحياته وذلك بالانعتاق من أسر هذا الشكل البايولوجي التقليدي الى شكل آخر يمتاز بكونه لا يتقيّد بقوانين هذا الشكل بل يكون تقيّده بها باختياره طوعاً لا كرهاً اضافة الى تقيّده بقوانين اخرى تجعل منه قادراً على القيام بما يعجز عنه بشكله البايولوجي المألوف! ان سجل الطريقة حافل برجال توصلوا بواسطة من مفاتيحها ذات الطاقة الفائقة الى تجاوز الحدود التقليدية للشكل البايولوجي المألوف لأفراد الجنس البشري؛ حيث أصبح بامكانهم إِطلاق حياتهم الإنسانية البشرية من أسر تقيُّدها بهذا الشكل وجعلها تتّخذ أشكالاً اخرى لا علاقة لها من قريب أو بعيد بما هو بايولوجي! ان رجال الطريقة الذين نجحوا في الوصول الى أعلى درجات الانعتاق من حتمية الارتباط ما بين الحياة الانسانية البشرية والشكل البايولوجي التقليدي لأفراد الجنس البشري هم البرهان الجلي على لاحتمية ارتباط الحياة بشكل بايولوجي محدَّد! فهذا الشكل انما هو واحد من عدة أشكال بامكان الحياة البشرية ان تتّخذها وذلك عند استيفائها شروط تحقيق ذلك. ان الفعاليات فائقة الخارقية التي بمستطاع اساتذة الطريقة القيام بها تبرهن على ان بامكانهم الحياة في أشكال غير بايولوجية على الإطلاق قدرتهم على الحياة، عندما يشاؤون ويختارون، في الشكل البايولوجي التقليدي المميّز لهم. ان استاذ الطريقة، بصفاته الغوثية والبَدَلية والقُطبية، هو البرهان الجلي على ان جسمه البشري هو ليس كل ما

بامكانه جعل حياته تتجلّى وتتمظهر من خلاله!

١ ـ ٤ الروح الإنسانية والبايولوجيا غير التقليدية!

تقودنا النتيجة التي انتهينا اليها في الفقرة السابقة، بالضرورة، الى وجوب التطرق الى علاقة الروح بالجسد وهو موضوع آثرنا تأجيله كثيراً وذلك حتى لا يُصار الى التعجيل بطرحه ومناقشته من قبل أن تتهيّأ فرصة ظهوره تلقائياً وبصورة عفوية تماماً! لذا نرى قبل المباشرة باستعراض موجز لهذا الموضوع ان نُحدِّد بعض المفاصل الجوهرية لمباحثه المتشعّبة وذلك حتى لا يتشعّب بنا الأمر بعيداً عن محور بحثنا اعلاه.

١ ـ ان الإعتراض بكون التفكير بعدم حتمية الإرتباط ما بين الشكل البايولوجي التقليدي وبين الحياة البشرية الانسانية يستلزم ضرورة التشكيك بكون الإنسان قد خُلِق في أحسن تقويم يغفل (هذا الاعتراض) عن التدبّر في حقيقة كون اصحاب هذا الإعتراض هم أنفسهم قد جعلوا من الإنسان جامعاً بين نقيضين هما روح عُلوية إلهية المَنشأ والصفات وجسد أرضي جعلوه مُستقراً لكل الرذائل ونازعاً الى اجتراح جميع الآثام والشرور! فلقد بالغ هؤلاء في السمو بالروح الإنسانية حتى أوصلوها الى مقام النسبة والانتساب الى الله كما وغالى هؤلاء في النزول بالجسد البشري الى أدنى درجات الحضيض حتى ما عاد يُذكر هذا الجسد الا للتذكير بكونه السبب وراء الشر في هذا العالم! فكيف يحق للمتمذهب بهذا المعتقَد ان يُحاسب البارانورمالوجيا ويطالبها بالكف عن الإستمرار في النظر الى الجسد الإنساني الحالي على انه ليس مثال الكمال والجمال حتى تُطالِب بتحسينه وتطوير ردود أفعاله ومناعاته!! يا له من تناقضٍ صارخ!

٢ ـ ان هكذا نظرة الى الإنسان باعتباره كائناً ثنائي التكوين لا تصمد أمام الإنتقاد المنطقي ناهيك عن باقي الاعتراضات الابستمولوجية والتجريبية ـ الاختبارية التي بوسع العلم المعاصر اثارتها زوابعاً في وجه هذه النظرة الخاطئة التي أرادت بهذه الثنائية (الروح ـ الجسد) ان تعلِّل للخير الانساني والشر البشري على أساسٍ من كون ما هو خيِّر في الانسان انما يرجع الى جزئه الالهي (الروح) وما هو شرير فيه سببه هو جزؤه الحيواني (الجسد)!

٣ ـ ان الانسان لا يحتاج هذه الثنائية ليفسّر بواسطةٍ منها سلوكه الخيِّر والشرير! ولكن، اذا كانت الثنائية هذه هي محض خيال وتوهُّم فهل يعني هذا ان الانسان ما هو الا جسد ليس الا؟ هل توجد للانسان روح بجانب الجسد؟ ام ان الانسان هو روح لا جسد؟!

٤ ـ معلوم ان العقل البشري يُسارع الى اعتبار الانسان مكوَّناً من جسد يراه ويتحسَّسه بحواسه. فهذا العقل لا يرى هناك ما يُلزمه بوجوب اضافة جزء آخر لهذا الانسان وذلك ليكون بامكانه ان يتفهّمه ويُعلِّل لتصرفاته؛ خصوصاً اذا ما كان هذا الجزء غير قابل لأن يكون مادةً لحواسه وأجهزة تحسّسه بالموجودات.

٥ ـ تقول الطريقة بوجود كيان روحي للانسان وبأن هذا الكيان هو ليس ما يتوهمه معظم الناس عند تفكيرهم بالروح. فهو ليس جزءاً من أجزاء الانسان بل نسخة اخرى منه؛ نسخة لا يمكن ان يراها ولا يستطيع ان يستشعر بوجودها أبداً! أي انها تنكر وجود ثنائية تكوينية للانسان فلا تقول مع القائلين بهذه الثنائية ان الانسان عبارة عن جسد وروح. ان وجود الروح، بل تواجدها، مع الجسد لا يجعل منها جزءاً مكوِّناً له وهذا أمر بديهي ومتضمَّن بالتعريف. والطريقة لا تقول بأن الروح مع الجسد هما جزءا الإنسان اللذان لا ثالث لهما. فوجود الروح، أو تواجدها، مع الجسد لا علاقة له بحياة وفاعلية هذا الجسد على أرض الواقع الذي لا يحتاج تدخلاً روحياً من جانبها لتسيير وتيسير اموره في دنياه وواقعه. أي ان الروح الانسانية لا دور لها تقوم بتأديته في الحياة الواقعية للانسان التي يكفي هذا الجسد لتمشية امورها المادية. فالروح مُفارِقته، بحكم انتمائها لما يتجاوز هذا الواقع الذي لا تمُتُّ له بصلة على الاطلاق طالما كان لا علاقة له بجوهرها المُباين لما هو مادي محسوس. فكيف يُتوقَّع منها ان يكون لها أيُّ دور تؤديه في هذا الواقع المادي الذي لم تنشأ عنه ولم تأتِه الا من خارجه؟! فالروح، بخلاف الجسد، لم يصغها هذا الواقع الذي صنع الله منه الجسد عندما خلقه من ترابٍ وماء. لقد سيّر الله هذه الروح من خارج هذا الواقع وجعلها ترافق الجسد في رحلته الى الله لا لشيء الا لتكون سفير الجسد الى عالم الغيب والخلود. فالجسد، بحكم مَنشئه المادي الملموس وجوهره المنتمي لهذا الواقع الفاني، لا يمكن له أن يصل الى الله. لذلك حتّم الله على الروح أن تكون

النسخة الإنسانية التي بمقدورها ان تصل الى الله. ان الجسد اذ يستحيل عليه ان يغادر هذا الواقع، وذلك لفرط انتمائه الى مادته التي انشأه الله منها، فانه من اليسير عليه ان يطبع هذه الروح ببصمته ويَسِمها بطابعه المميّز له حتى تكون لاشيء سوى نسخة عنه لا تنتمي اليه بل الى مَنشئها الأزلي فيتمكن بذلك من السفر بوساطتها عبر الزمان الطويل الى الآخرة حيث عالَم الأبد. فالجسد يستحيل عليه ان يغادر طينته المحكومة بقوانين هذا الواقع وفيزيائه التي تُحتِّم عليه أن يبقى أسيره فلا يمكنه ان يبتعد عنه ويتركه. اما الروح فهي لا تنتمي اليه بل الى واقع آخر يفارقه ويغايره لذلك فانها تعود اليه من بعد مفارقتها لهذا الجسد محمَّلة بما شاء لها حظّها من صحبته ورِفقته ان تحصل عليه من خير ومن شر. ان نسخة الجسد الأبدية هذه هي نواة الجسد الأبدي للانسان والذي ليس بمقدوره ان يكون له سواه.

٦ ـ ان هذه الروح لا تنشأ، كما يتوهّم البعض من أتباع مذهب الـ Epiphenomenism ، عن الجسد الذي يقوم بتكوينها عبر قيامه بفعالياته، حيث يكون من نتائج هذه الفعاليات نشوء الروح. ان الطاقة التي بمقدور الجسد ان يقوم بإحداثها وإصدارها هي طاقة محدودة للغاية ولا قدرة لها على ان تُكوِّن الروح التي تتميز بكونها ذات طاقة عالية جداً. لقد ثبت من خلال الدراسات التجريبية ـ الإختبارية للباراسايكولوجيا الجديدة ان الظواهر الخارقة لا تنشأ بسببٍ من طاقة انسانية مزعومة ومتوهّمة بل تنشأ عن تدخّلٍ طاقي من قِبَل كائنات او طاقات غير بشرية. ان هذه الحقيقة يمكن فهمها بتذكُّر واقع كون الطاقة التي يجب توفّرها لظهور وحدوث هذه الظواهر الخارقة هي طاقة عالية للغاية وبالتالي فليس بمستطاع الجسد البشري إنتاجها وبما يجعل بمقدوره، بالتالي، الافادة منها في إحداث الظواهر الخارقة! وكذلك الروح؛ فهي لا تنشأ عن طاقة الجسد المحدود الطاقة أصلاً بل تجيئه من خارج كما ان الظواهر الخارقة لا تنشأ عن طاقة الجسد بل تحدث بسببٍ من طاقة خارجية لا علاقة لها بالجسد البشري.

٧ ـ ان الروح عبارة عن طاقة مجهولة غامضة لا يمكن على الاطلاق سبر كنهها وتحديد ماهيّتها وذلك بسببٍ من عائديّتها الى ما يتجاوز واقعنا المادي هذا الذي نشأ ادراكُنا في كنفه وشبَّ عقلُنا تحت ظلِّه. ولأنها كذلك، فقد كان

محكوماً عليه بالفشل منذ البداية كلُّ جهد معرفي يتوهم أن بمقدوره التوصل بشأنها الى تحديدٍ ما بمقدوره إزالة جانب من هذا الغموض المميّز لها وصولاً من ثم الى محو مجهوليّتها وذلك بتحقيق النصر العلمي على جَهالتنا بخصائصها!

٨ ـ لقد كان من المقدور الحتمي على الانسان ان يكون جسداً مُصاحَباً بروحٍ تفارقة ولا تنتمي اليه وذلك لأنه محكوم عليه بأن يكون خالداً فلا يموت حتى يجيء يوم الحساب! لذلك فقد صاحَبته هذه الروح لتكون نسخةً عنه خالدةً لا تفنى بفنائه وتبقى من بعده خالدةً أبداً. لقد جعل هذا منها كتاباً حافظاً لكل صغيرة وكبيرة من تاريخ الجسد وشاهداً على مسيرته في هذه الحياة الدنيا. فما أشبهها، فاعلية وليس جوهراً، بالأمواج الكهرومغناطيسية، وفق التعبير المخطوء للفيزياء التقليدية، التي يتم توليدها ومن ثم يُصار الى تحميلها بالمعلومات وذلك قبل أن يتم بثّها صوتاً غير مسموع وصورةً غر مرئية عبر محطات الإرسال الراديوي والتلفزيوني ليكون بالتالي بمقدور أجهزة الاستقبال المنزلية استلامها صورةً مرئية وصوتاً مسموعاً!

٩ ـ الا ان ممّا يجب التشديد عليه بخصوص الفرق ما بين الروح كنسخةٍ غير مرئية للجسم البشري وبين ما تُسمّيه الفيزياء الحديثة بأمواج البث الراديوي والتلفزيوني، على الرغم من التشابه الموجود بينهما على قدر تعلّق الأمر بكون كل منهما عبارة عن طاقة محمَّلة بمعلومات، حقيقة كون أمواج الإرسال السمعي والمرئي لا تستطيع أن تحتفظ بكم المعلومات الذي حُمِّلته الى الأبد حيث تتلاشى هذه الطاقة المعلوماتية فور ارسالها وذلك على خلاف الطاقة الحاملة للمعلومات الإنسانية والتي لا تفنى ولا تضمحل بمرور الزمن؛ اذ تبقى محافظة على الرسالة الخالدة التي تحملها وذلك حتى حلول يوم البعث حيث تتحوّل من صيغتها غير المرئية كنسخة أرشيفية لحياة الجسم الإنساني في هذه الحياة الدنيا الى الصيغة النهائية التي تؤهله لدخول عالم الآخِرة ليتم تصنيفه من بعدُ وفقاً لمحتويات هذه النسخة الشهادة فإما الى جهنم وإما الى الجنة. ان التقنية المعاصرة لم تنجح حتى يومنا هذا في التخلّص من حاجز المادة العيانية Macroscopic والذي يُحتّم على المعلومات المُراد حفظها الكترونياً Electronic Archiving ان يُصار الى الاحتفاظ بها بمساعدة وسائط لامجهرية -Non

من مثل أشرطة التسجيل السمعي والبصري ورقائق Chips Microscopic Media وأقراص مرنة Disks وأقراص مدمّجة CD-Roms. ان هذه المعلومات لا يُمكن خزنها من دون وساطة هذه الوسائط غير المجهرية وذلك على خلاف معلومات النسخة غير المرئية للجسم البشري (الروح) والتي يُحافَظ عليها من دون وساطة من مادة مرئية.

١٠ ـ ان تَصاحُب الجسد والروح، بصفتها نسخة غير مرئية للجسد لا يعني تَشارُكهما في تكوين الجسم البشري أو الكيان الإنساني. فالروح لا يحتاجها المرء في حياته الدنيا في هذا العالم وعلى أرض هذا الواقع المادي الذي لا تنتمي اليه مادةً ولم تنشأ منه تطوراً وارتقاءً ولكنه لا يستغني عنها في حياته الآخِرة حيث لا يستطيع ان يحيا الا بهذه النسخة الأبدية الخالدة والتي تميزت بطابعه الشخصي حتى ما عادت تُعرَف الا بكونها تعود اليه هو على وجه التحديد وليس الى غيره.

فتواجُد الروح مصاحِبةً لنسختها المرئية (الجسم البشري) لا يُحتِّم ضرورة ان يكون لوجودها هذا دور يجب عليها ان تقوم بتأديته في هذه الحياة الدنيا؛ دور بالامكان استشعاره وتلمّسه وتحسّسه. فالواقع يشهد بأن هذا الجسد وحده يكفي لتفسير وفهم كامل فعاليات الانسان؛ مألوفها وخارقها! ان الفعاليات البشرية الخارقة عند النظر اليها من زاوية النظر الوحيدة التي تجعل بالامكان النظر اليها على حقيقتها الحقة سوف يتم رؤيتها من ثم على انها فعاليات ظواهر خارقة طاقتها غير بشرية ومادتها التي تُجلّي تأثير هذه الطاقة هي مادة بشرية.

١ ـ ٥ القرآن العظيم والماضي الانساني السحيق

لقد أخطأ اولئك الذين ظنوا ان تفسير التناقض في السلوك البشري، تأرجُحاً ما بين الشر والخير، يكمن في خِلقة هذا الإنسان التي جُبِل عليها عندما كوَّنه الله من قسمين مُتضادَّين متنافرَين هما جسده الترابي المنشأ وروحه الإلهية الأصل. فالانسان تتجاذبه قِوى متناقضة بسببٍ من هذا التضاد التكويني في خِلقته بين روح نورانية تنزع به الى فعل الخير وجسد ظُلماني يجنح به الى إجتراح الشر. ومكمن خطأ المتمذهبين بهذا المذهب هو في النظر الى الروح من زاوية تشارُكها مع الجسد في تكوينه، وهو أمر لا يسنده دليل قاطع من نص مُنزَّل أو

منطق مُعوَّل عليه. ان الروح لا توجد في الجسم كما يوجد فيه الدم مثلاً ولا حتى كما يوجد داخله الهواء. فالروح تتواجد مع الجسم البشري في ذلك الحيز من المكان الذي يحتله ويشغله. لقد بيّن القرآن العظيم الأمر بما لا يحتمل تأويلاً، يخرج بنا عن جادة النص المستقيمة ويتجاوز حدوده الآمنة القويمة، فأرجع مسألة خلْق الإنسان الى هذا الواقع المادي وذلك عندما كشف عن الماضي الإنساني السحيق الذي تشكّل في غابر الأزمان بخلْق الله للانسان من تراب هذا الواقع المادي ومائه وطينه. فلم يرد في القرآن العظيم ما يُستدل به على ان هناك أصلاً آخر للإنسان غير طينه وترابه ومائه! ان تدبّر القرآن العظيم بقلوب متفتّحة لا أقفال عليها يهدي العقول الى ادراك هذه الحقيقة البسيطة التي أوجزها هذا الكتاب الإلهي المُحكَم في بضع كلمات، هي تمام الحكمة البالغة وفصل الخِطاب، وذلك عندما بيّن، بكل جلاء وسطوع، ان الإنسان قد خُلق من تراب وطين وماء هذا الواقع المادي فحسب. وفيما يلي جرد بكل الآيات الكريمة التي وردت في القرآن العظيم بخصوص خلق الانسان والتي توضِّح بما لا يقبل الشك والتشكيك ان الله قد خلق الانسان من هذا الواقع المادي وانه قد أرجع هذا الخلق الى مجرد عناصر ثلاث هي الماء والتراب والطين. تدبّر الآيات الكريمة:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ﴾ [آل عمران: ٥٩]، ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: من ١]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ [الانعام: من ٢]، ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [هود: ٦١]، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٨]، ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧]، ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٣]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥]، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، ﴿وَمِنْ

ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]، ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾ [السّجدة: ٧ ـ ٨]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ﴾ [فاطر: ١١]، ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾ [يس: ٧٧]، ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾ [الصافّات: ١١]، ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ﴾ [ص: ٧١]، ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ [المؤمن: من ٦٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ [الحُجُرات: ١٣]، ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [النّجم: ٣٢]، ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ﴾ [النّجم: ٤٥ ـ ٤٦]، ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ﴾ [الرّحمن: ١٤]، ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح: ١٧]، ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٧ ـ ٣٩]، ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ [الدّهر: ٢]، ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٢٠ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠ ـ ٢١]، ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ۝١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧ ـ ١٩]، ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطّارق: ٥ ـ ٧]، ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ [العَلَق: ٢].

١ ـ ٦ الأصل الإلهي للروح البشرية

ولكن، يحق للمرء أن يتساءل بخصوص هذه الخِلقة الترابية كيف يكون بمقدورها ان تصمد في وجه قوانين هذا الواقع صموداً يجعل منها مؤهّلة للوصول سالمةً الى يوم القيامة؟ ان القوانين التي يتشكل منها هذا الواقع قد جعلها الله سيفاً مُسلَّطاً على رقاب جميع مُكوَّناته؛ والانسان منها طالما كان مخلوقاً طينياً يجري عليه حكمها كما يجري على غيره من خلْق الله من المنتمين لهذا الواقع المادي. فاذا كان ذلك كذلك فكيف تصل هذه الخِلقة الطينية بكل ما حملته من آثار سنوات حياة صاحبها الإنسان سالمةً الى يوم الحساب؟ ان الموت قانون يجعل منها ترجع الى أصلها الترابي فلا يبقى منها شيء غيره، فكيف بالتالي يكون بمقدورها حمل الأمانة وتبليغ الرسالة وهي لا علاقة لها بالخلود والأبدية؟

ان كون الإنسان مخلوقاً طينياً يجعل من المستحيل منطقياً ان يكون له وجود دائمي أبدي حتى يوم القيامة. ان الإقرار بأن الانسان مخلوق طيني، ليس الا، والإيقان بأن يوم القيامة حقيقة واقعة لامحالة يوجبان التفكير بضرورة ان يكون هناك شيء آخر غير هذا الجسد الترابي الفاني الذي لا يمكن على الاطلاق ان يكون سفيراً للانسان الى عالم الأبد والخلود طالما استحال عليه ان يتخلّص من رِبقة الأسر الذي يرزح تحت نَيره بسببٍ من انتمائه المطلق وخضوعه التام لهذا الواقع المادي الذي نشأ عنه لا عن غيره. ان هذا الشيء الآخر يجب ان يكون خالداً أبدياً غير فانٍ ولا تجري عليه أحكام هذا الواقع المادي ولا يخضع لقوانينه التي تُحتِّم على ما هو مادي ان يكون فانياً غير خالد. ولأنه يجب ان يكون كذلك فلا يمكن ان يكون عنصراً من عناصر هذا الواقع المادي الذي لا ينتمي اليه الا ما تتناقض صفاتُه وصفات هذا الشيء الآخر. اذاً لابد وان يكون أصل هذا الشيء الآخر غير هذا الواقع المادي ولابد ان يكون بالتالي إلهياً بالضرورة وذلك لأن لا وجود لما هذه هي صفاتُه، من أبدية وخلود واستعصاء على الموت والفناء، الا اذا كان إلهياً أصله. ان هذا الشيء الآخر الذي يجب ان يتواجد مع الجسم الانساني حتى يكون نسخته الأبدية الخالدة غير الفانية والتي تؤهّله للوصول، بها لا بغيرها، سالماً الى يوم الحساب يجب ان يكون من الله لا من غيره طالما استحال على غير الله ان يتّصف بصفات الخلود والديمومية والبقاء الأبدي. ان النشأة الاولى كانت من بذرة مادية هي ماء الأب ومادة الام وكذلك النشأة الاخرى فانها يجب ان تكون من بذرة، هي الاخرى. وحيث لا بذرةَ مادية بمستطاعها ان تقاوم وتصمد في وجه قوانين الواقع المادي التي تقضي بالموت والهلاك على كل شيء حي، ناهيك عن قدرتها على تجاوز الفناء بالصعق الالهي قبيل إشراق يوم القيامة حين يفنى كل مَن عليها (الأرض)، فلابد من أن تكون هناك بذرة أبدية بمقدورها الصمود في وجه الموت قدرتها على تجاوز فناء الصعقة يوم يُنفَخ في الصُور.

وهذه البذرة الأبدية هي الروح التي نفخها الله في آدم من روحه والتي هي شاهد لله مِنه علينا. فالروح الإنسانية هي من روح الله لأنها لا يمكن ان تكون الا كذلك وذلك حتى يستطيع بها الإنسان ان يصل الى يوم الحساب سالماً من

البلى والتلف والفناء. لقد أورد القرآن العظيم هذه الحقيقة وذلك عندما جاء في سياق حديث المَلأ الأعلى ان الله بصدد خلق انسانٍ: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝٦٩ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٧٠ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: ٦٩ ـ ٧٢]. ان هذا النفخ في الجسد الإنساني المُسوّى قد جعل من الإنسان يحظى بالشيء الآخر الذي سيتمكن به من الوصول الى الآخرة سالماً من آثار قوانين الواقع المادي الذي يحكم على الجسد بما لا قدرة له على عدم التقيّد به موتاً وهلاكاً وتحلُّلاً الى تراب. الا ان هذا الشيء الآخر لن يبقى إِلهياً من بعد النفخ كما كان من قبله. فهو من بعد النفخ سوف يبدأ بالتسجيل الحرفي لتفاصيل سيرة حياة الإنسان فيتشكل وفقاً لها ويجري تحميله بما تَحويه من مفردات جملةً وتفصيلاً. وهذا يجعل من الروح إنسانية المحتوى عند شروعها في العمل وهي من قبلُ في الأصل إِلهية القالب.

١ ـ ٧ الروح الانسانية والبعث من بعد الموت!

لنتدبّر الآيات الكريمة: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]، ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧ ـ ١٨]. تُبيّن هذه الآيات الكريمة ان البعث من بعد الموت يعني الخروج من تراب هذه الأرض مرة اخرى كما خرجنا أول مرة يوم بدأ الله خلْق الإنسان من طين. أي ان الخلْق الثاني للإنسان سوف يتم بتراب الأرض التي منها خُلِقنا أول مرة. ولكن، كيف يكون بمستطاع هذا التراب ان يتحول في ثوانٍ قليلة بشراً ليس عديم الذاكرة أبيض العقل بل انساناً هو الإنسان الذي سبق وأن مشى على هذه الأرض من قبل؟! كيف يكون بوسع هذا التراب ان يتميز أعداداً هائلة من البشر الذين يتميز واحدهم عن الآخر بماضيه الذي لا يماثله ماضٍ آخر على الإطلاق؟! كيف سيتحول هذا التراب المتماثل المتشابه الحيادي عديم الهوية ليصبح أعداداً مهولة من البشر غير المتماثلين الذين لا يشبه واحدهم الآخر اطلاقاً؟! لماذا شدّد الله على هذا الخروج من تراب الأرض ولم يجعل من البعث خلقاً من عدم؟! لماذا يستلزم خلق الإنسان ثانيةً ضرورة خروجه هذا من تراب هذه الأرض؟! كيف سيتحول هذا التراب الفاني الزائل بشراً خالدين أبداً لا يموتون؟! هل ان خروج

الإنسان مرةً ثانية من التراب يعني تحوّل التراب الذي آل بموته اليه بشراً من جديد؟ هل يتحول هذا التراب عينه ليُصبح انساناً آخر حياً أبداً خالداً لا يموت؟! هل الخروج هو بعث لهذا التراب المقبور أم انه تحول لأي تراب من هذه الأرض كائناً ما يكون من دون تخصيص؟! وما الضمانة ان يبقى من الإنسان من بعد موته تراب يخص جسده الذاوي المتحلّل؟! أين ملايين القبور التي اندرست على مر السنين وتناثر تراب أجساد أصحابها؟! ام ان الأرض سوف تُبدَّل غير الأرض؟ هل يعني هذا ان تراب الأرض سوف يتبدل هو الآخر فيصبح تراباً خارقاً بمقدوره ان يُخرِج انساناً خارقاً خالداً؟ هل ان الحياة الأبدية للإنسان من بعد البعث والنشور تقوم على أساسٍ من هذا التراب الخارق؟ ولكن هل يكون بمستطاع تراب الأرض الجديدة ان يُفسِّر أيضاً خروج مئات الملايين من البشر غير المتماثلين من مادّته المتماثلة؟! ولكن اذا كان البعث يسبقه دمار كل شيء مخلوق بالصعقة والطوي فكيف يكون بمقدور التراب الجديد ان يتحول بشراً اولي ماضٍ مرتبط بتراب الأرض القديمة؟! فاذا كان على التراب القديم ان يفنى بحلول الساعة وبدء يوم القيامة فكيف يتأتى اذاً للبشر كلهم أجمعين ان يخرجوا من تراب جديد لم تتحول أجسادهم، عند موتهم وتحلّلهم، اليه؟! هذا غيض يسير من فيض غزير من الأسئلة ذات الصلة بمستقبل الإنسان كما جاءت بخبر عنه الوثيقةُ الدينية. فهل يكون بمقدورنا ان نستحصل من هذه الوثيقة عينها اجابات على مثل هذه الأسئلة التي بمستطاع ايٍّ منها تهديم أي بنيان معرفي يستند الى فهم مُبتسر للمستقبل البشري على ضوء تأويل آيات القرآن العظيم وفقاً لأية قاعدة تشذُّ عن القاعدة الأساس التي أرساها حضرة سيدنا أمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: (القرآن يُفسِّر بعضه بعضاً)؟ لنتدبّر الآيات الكريمة التالية:

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: من ١٦٤]، ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: من ٥٧]، ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [النحل: ٦٥]، ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ

وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: من ٥ ـ ٧]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: ٦٣]، ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ [الفرقان: ٤٨ ـ ٤٩]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: من ٦٣]، ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: من ١٩]، ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٤]، ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠]، ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ [فاطر: ٢٧]، ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٣٣]، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاهَا لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]، ﴿وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١١]، ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية: من ٥]، ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: ٩ ـ ١١]، ﴿ٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٧].

تُماثل هذه الآيات الكريمة ما بين إحياء الله الأرض بعد موتها وإحياء الموتى. كما وتُبيّن أيضاً ان الله سوف يُحيي الموتى وفق اسلوب مُشابه لتقنية احيائه الأرض الميتة بانزاله الماء مطراً عليها. أي ان الموتى أو التراب الذي آلوا اليه أو التراب بصورة عامة سوف لن يكون هو وحده مصدر خلق الإنسان من جديد يوم البعث! فالإنسان يومها سوف يخرج من الأرض بما يُشبه خروج النبات بالمطر من الأرض. ولكن ما المطر الذي سيتكفّل بخروج الموتى عن موتهم وتحوّلهم من مادة ميتة الى اخرى حية خالدة أبداً؟ لنتذكّر ان الروح

الإنسانية قد خلقها الله لتكون أرشيفاً يُوثِّق سيرة حياة الإنسان! ان هذا يعني ان هذه الروح البشرية هي الماء (ماء الحياة الأبدية) الذي سوف يُحيي الموتى من البشر الذين أصبحوا تراباً. فالإنسان اذاً يوم الخروج هو نِتاج فعل هذه الروح في تراب الأرض الجديدة! ان تراب الأرض الجديدة كفيل بجعل الإنسان ذا جسدٍ حي خالدٍ أبداً؛ والروح الإنسانية، التي سبق وان توصلنا الى حقيقة كونها خالدة بسببٍ من أصلها الإلهي، سوف تجعل من هذا الجسد الحي الخالد يتشكّل وفق ما كانت هذه الروح قد حُمِّلت به من معلومات حقَّ عليها ان تحملها عندما كانت متواجدة في الحياة الدنيا مع الجسد الفاني الذي عاد تراباً من بعد الموت! ان الروح البشرية سوف تتواجد مع الجسد الجديد لا كما كانت في تواجُد مع الجسد البشري القديم ولكن كما يتواجد المطر مع البذرة في ثوبها الجديد: شجرة كانت أم عشباً أم زهرة! اي ان الروح هذه المرة سوف تدخل في تفاعل مع الجسد قيد الخلق بحيث تكون نتيجة هذا التفاعل زوال وجودها المتميز من بعدما قامت هي أيضاً بازالة الوجود المتميز للتراب الجديد فتحول كل منهما سوية الى هيئة اخرى لا علاقة لها بأصليها الإثنين: التراب الجديد والروح البشرية! ان الإنسان الجديد يوم البعث لن يكون جسداً بحتاً او روحاً صِرْفاً بل جسداً جديداً لم يسبق وان ظهر من قبل على سطح الكرة الأرضية؛ جسداً ترابي - روحي الأصل! فتراب الأرض الجديدة سوف يقدِّم المادة الخام المحايدة التي ستتكفّل الروح الإنسانية باعادة صياغتها وفقاً لما حُمِّلت به ليتم تشكيلها من ثم جسداً جديداً مؤهّلاً للحياة الأبدية!

لنتدبّر الآيتين الكريمتين التاليتين: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾ [المائدة: من ١١٠]، ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمران: من ٤٩]. ان في خلْق المسيح من الطين كهيئة الطير ثم نفخه فيه ليكون طيراً بإذن الله برهاناً على صواب ما ذهبنا اليه في تدبُّرنا الآيات الكريمة التي بيّنت تفاصيل بعث الموتى يوم النشور. فالطيرَ الذي خلقه

المسيح باذن الله اشترك في عملية خلقه تلك كلٌّ من الطين ونَفَس المسيح. ولقد فقد كل من الطين ونَفَس المسيح وجوده وهويّته ومادته وذلك بتفاعلهما سويةً لتكوين الطير الذي خلقه المسيح باذن الله. ان ما حدث في تحوُّل الطين ونَفَس المسيح طيراً باذن الله شبيه بما سيحدث يوم البعث عندما يشترك تراب الأرض الجديدة وروح الإنسان في خروج الإنسان الخالد: انسان الآخرة! فانسان اليوم الآخر سوف يتم خلقه من عنصرين اثنين يزولان من بعد تفاعلهما سويةً. وهذا التفاعل لن يستغرق غير ثوانٍ معدودات كما لم يستغرق خلق المسيح للطير باذن الله سوى ثوانٍ قليلة. فالرحلة الى انسان القيامة هي غير الرحلة الى انسان الدنيا الذي استغرق الوصول اليه ملايين السنين من عمليات تخليق مستمر تتابعت حلقاتها عبر أطوار لا سبيل للإحاطة بها حصراً وتحديداً! لقد قدّم المسيح بخلْقه الطير من الطين باذن الله دليلاً تجريبياً ـ اختبارياً قاطعاً على ان الله سوف يبعث مَن يموت يوم النشور.

الا ان العودة الى الحياة من بعد الموت ليس من الضروري ان يقتصر حدوثها على البعث يوم النشور! فقد يبعث الله من مات ويُقيمه من تراب هذه الأرض وذلك من قبل ان تُستبدَل بالأرض الاخرى الجديدة! تدبّر الآيات الكريمة التالية:

﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ﴾ [آل عمران: من ٤٩]، ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ

إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾
[المائدة: ١١٠].

ان الله قادر على ان يُقيم من هذا التراب، سواءً كان تراب قبور ام غابات، انساناً مات من قبلُ وذلك من دون ان يستدعي ذلك مزْج روحه بهذا التراب كما لابد وان يحدث يوم الحساب. ان إرجاع الله انساناً قد مات وذلك بخلقه له مباشرة من تراب هذه الأرض على نفس الشكل الذي كان عليه قبل الموت كفيل بجعل الله لروح هذا الإنسان تعود اليه من البرزخ وذلك لتُباشر من جديد مَهام عملها الذي خُلِقت لأجله فتقوم بتوثيق سيرة الحياة الجديدة لجسده الثاني! ان الروح بمزجها يوم القيامة بتراب الأرض الجديدة تفقد وجودها كما يفقده ذلك التراب وذلك في تشارُكهما سويةً في خلق الله للإنسان ذلك اليوم. أما الإنسان العائد للحياة في هذه الحياة الدنيا فانه لايفقد روحه في عملية اعادته الى الحياة. اذ لا تقوم الروح هنا الا بتشكيل التراب وفق ما كان عليه صاحبها قبل موته، ولا تفقد وجودها الذي هو وسيلتها لقيامها بممارسة دورها التوثيقي من جديد!

لقد نفخ الله في الإنسان الأول (آدم) من روحه كما نفخ في غيره من البشر! فلم يتميز آدم بذلك النفخ عن غيره من البشر الا بكونه أول مَن نفخ الله فيه من روحه. والآن، اذا كان الله ينفخُ في الانسان من روحه وذلك في مرحلةٍ من مراحل تخلُّقه في بطن امه وهو بعدُ جنين فلماذا لا نعقل ان نفْخ اللهِ في آدم (الإنسان الأول) من روحه كان أيضاً وهو بعدُ لما يزل جنيناً في بطن امه؟! لماذا نجنح الى الظن بأن الله خلق آدم من الطين كهيئة الإنسان ثم نفخ فيه من روحه؟! ان خلْق المسيح من الطين كهيئة الطير ثم نفْخه فيه ليكون طيراً باذن الله هو ليس كخلْق الله لآدم من طين ونفخه فيه من روحه! ان الله يستطيع ان يجعل الحياة تدب في تمثال من الطين أو الحديد على هيئة البشر فيصبح انساناً لا فرق بينه وبين أيٍّ من أبناء آدم! الا ان قدرة الله هذه على خلق انسان من تمثال انسان لا تعني ان خلْق الإنسان قد تم على هذه الشاكلة! لقد أراد المسيح بمعجزة خلْق الطير من طين بإذن الله ان يبرهن لبني اسرائيل على خطأ ما ذهبوا اليه بانكارهم البعث من بعد الموت بحُجّة استحالة القيام من بعد التحلّل الى تراب بالموت!

ان الله لم ينفخ من روحه في تمثالٍ من طين على هيئة الإنسان لتدُبَّ فيه الحياة! فالله نفخ من روحه في الإنسان وذلك استكمالاً لخِلْقته كائناً غير حيواني بمستطاعه الوصول اليه بأمان والعبور الى الآخرة سالماً من كل نقص! فالحياة لم تدب في آدم بنفخ الله فيه من روحه! ان ما دبَّ فيه بنفخ الله فيه من روحه هو بدء عمل نظام توثيق سيرة حياته كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها!

لقد كُشف النقاب في القرآن العظيم عن طبيعة الدور الذي تقوم به الروح الانسانية في تدوين وتسجيل وحفظ وتوثيق وأرشفة مسيرة حياة الانسان في هذه الحياة الدنيا التي يفنى فيها الجسم الانساني وتبقى نسخته غير المرئية (روحه) خالدةً أبداً بما حُمِّلت به من وثائق ومعلومات تحافظ عليها من أن يُصيبها أيُّ ضرر حتى مجيء يوم الحساب؛ ذلك اليوم الذي سينتهي فيه وجودُها بتفاعلها مع تراب الأرض الجديدة لإعادة تشكيل جسم صاحبها ليتهيّأ للعرض الأكبر وليشهد الحساب الأعظم. الا ان القرآن العظيم لم يقل بأن الروح الانسانية هي أداة التوثيق الالهي الوحيدة! فلقد ذكر الله في كتابه العزيز ان ملائكةً هناك تكتب ما يقول الانسان وتدوِّن كل صغيرة وكبيرة في كتاب شاهد على كل انسان يُلْزَمه في عُنُقه. تدبّر الآيات الكريمة:

﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يُونُس: من ٢١]، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزُّخرُف: ٨٠]، ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزُّخرُف: من ١٩]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٦ ـ ١٨]، ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]، ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عَبَس: ١٣ ـ ١٦]، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢]، ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤].

كما ان الله لم يجعل من توثيق سيرة حياة الانسان مَنوطاً بِمَن كلَّفهم من رُسُله المتلطِّفين والمتلقيّين عن اليمين وعن الشمال فقط. فلقد ذكر القرآن العظيم ان الله بنفسه يقوم بكتابة أقوال الانسان وذلك بتوثيقه لسيرة حياته. تدبّر الآيات الكريمة:

﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ [النّساء: من ٨١]، ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ [مريم: من ٧٩]، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٤]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: من ٢٨ - ٢٩].

ولقد ذكر الله أيضاً ان هناك وثيقة أخرى تضم النُسخ التوثيقية كلها جميعاً هي أم الكتاب: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرّعد: ٣٩]. فهذه الوثيقة الالهية العظمى هي خزانة الاسرار الالهية التي لا اطّلاع لأحد من خلْقه عليها الا بإذن الله. وهي حيث يحفظ الله أصول الوثائق ونُسخها التي تم تعديلها مَحواً وإثباتاً. فهي حيث تجتمع الشهادات الوثائقية التي تُسجِّل مسار الخلق وسِيَر الخلائق وأقدار المخلوقات ووثائق أعمال البشر وصُحف الغفران التي هي وثائق الله الشاهدة على عباده الذين غُفِر لهم فمُحي من سيّئاتهم ما لم يُرِد الله الابقاء عليه إكراماً منه لهم على حُسن إنابتهم وصِدق توبتهم. فالله عنده أم الكتاب؛ الوثيقة الالهية العظمى التي لا مَحْو فيها على الاطلاق فهي الوثيقة الشاهدة على كل الوثائق والمُهيمنة عليها جميعاً. فالوثائق التي يمحو الله فيها ما يشاء من ذنوب وسيئات عباده الذين تابوا اليه فغفر لهم، والتي أصبحت، من بعد هذا المحو خاليةً من كل اشارة، من قريب او بعيد، الى ما تقدَّم من ذنوبهم وتأخّر، هي غير تلك الوثيقة الأم التي تحوي الوثائق الأصلية ونُسخها المُعدَّلة. فأم الكتاب هي الوثيقة الالهية العظمى التي تحوي الوثائق الالهية كلها جميعاً؛ تلك الوثائق التي جعلها الله سجلاتٍ لا تغادر صغيرة ولا كبيرة مما يحدث في الكون الا وأحصته. تدبّر الآيات الكريمة التالية:

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن

رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦]، ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣ ـ ١٤]، ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١]، ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: من ٦٢]، ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٧٥]، ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣]، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الزمر: ٦٩]، ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ [الجاثية: ٢٨]، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٢ ـ ٥٣]، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا﴾ [النبأ: ٢٩]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥]، ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠]، ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٧ ـ ٩]، ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ١٨ ـ ٢٠]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ٨]، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٠ ـ ١٢]، ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزال: ٦ ـ ٨].

١ ـ ٨ الخلق من عدم: خرافة مازجها وهم!

عند تدبّرنا الآيات القرآنية الكريمة التي ورد فيها ذكر الخلق فإننا لن

نجد ما يُعزِّز طرح البعض من مُفسِّري الوثيقة الدينية من الذين توهّموا ان الخلق قد تم من غيرما شيء وانه حدث بتحوُّل العدم الى وجود! لنتدبّر الآيات الكريمة:

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران: ٤٩]، ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾ [النساء: ١]، ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢]، ﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ﴾ [المائدة: من ١١٠]، ﴿كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ۝٣٩ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾ [المعارج: ٣٩ - ٤١]، ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ [الحجر: ٢٦]، ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ [الحجر: ٢٨]، ﴿أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا﴾ [الكهف: ٣٧]، ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]، ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ﴾ [المؤمنون: ١٢]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [النور: ٤٥]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٤]، ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]، ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ﴾ [السجدة: ٧]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ [فاطر: ١١]، ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾ [يس: ٧٧]، ﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾ [الصافات: ١١]، ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ﴾ [ص: ٧١]، ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ [الزمر: ٦]، ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ [المؤمن: ٦٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ [الحجرات: ١٣]، ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ

﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النّجم: ٤٥ ـ ٤٦]، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرّحمن: ١٤ ـ ١٥]، ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٧ ـ ٣٩]، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الدّهر: ٢]، ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠ ـ ٢١]، ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عَبس: ١٧ ـ ١٩]، ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق: ٥ ـ ٧]، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العَلَق: ٢].

نجد واضحاً كل الوضوح في هذه الآيات الكريمة ان ليس هنالك من اشارة الى حدوث خلْق من العدم! ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطُّور: ٣٥]. فكل مخلوق قد تم خلقه من مخلوق سابق قبله وما من مخلوق خُلِق من غير شيء! فكل دابّة خلقها الله قد خُلِقت من ماء جعل الله منه كل شيء حي؛ والانسان خُلِق من تراب أو طين أو ماء؛ والجان خلقه الله من مارج من نار؛ وطير عيسى بن مريم خلقه من طين؛ وحية موسى خُلِقت من عصاه. فكل ما في الكون من مادة حية خلقها الله من أصل مادي سابق لها ظهوراً وانشاءً. ولن تكون المادة الميتة استثناءً فتكون مخلوقة من غير شيء! فكل شيء في الكون خلقه الله من شيء آخر سابق له. ونحن اذا ما عُدنا القَهْقَرى تدرُّجاً تنازلياً وصولاً الى أول شيء خلقه الله في هذا الوجود فاننا مُلزمون بالقول بأن الله قد خلق هذا الشيء خلقاً مباشراً من لدنه بدون وساطةٍ من مادة حجابية تنتمي لعالم حجاب الأسباب! فاذا لم يكن هناك من مادة بعد فكيف تم خلق المادة الاولى ان لم يكن خلقها قد تحقَّق بـ كُن فيكون؟ ان الله قد صرَّح في قرآنه العظيم بأنه سيخلق العالم الجديد يوم تقوم الساعة خلقاً آنياً بتدخُّل مباشر من لدنه بقوله كُن فيكون. تدبّر الآيات الكريمة:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣]، ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٧]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الرّوم: ٢٧]، ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨١ ـ ٨٢]، ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠].

كما ان القرآن العظيم قد كشف النقاب عن التماثل الخَلْقي الذي سيتجلّى يوم القيامة بين اعادة الله الخلق وبدئه الخلق أول مرة. تدبّر الآيات الكريمة:

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤]، ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًاۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [يونس: ٤]، ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [يونس: ٣٤]، ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨]، ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَۚ﴾ [العنكبوت: ١٩ ـ ٢٠]، ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الروم: ١١].

فاذا كان الله سيخلق مادة يوم القيامة خلقاً لَحَظياً دونما حجاب زماني Time Shield وبتدخُّل مباشر من لدنه بقوله كُن فيكون واذا كان خلْقه هذا مشابهاً مماثلاً لأول خلْق خلَقه فان ذلك يُحتِّم علينا ان ننظر الى أول خلْق خلَقه الله لنراه خلْقاً بقوله كُن فيكون! فاذا لم يكن هناك في الوجود من مادة مخلوقة بعدُ واذا ما لم يكن هنالك من أحد الا الله فان أول خلقٍ لله في هذا الوجود لابد وان يكون الله قد خلَقه من لدنه خلقاً مباشراً دونما وساطة من مادة الحجاب غير المخلوقة بعد. فأول خلْق بدأه الله بقوله كُن فيكون كان المادة الاولى Prime Matter التي أصبحت اولى مفردات عالم الحجاب: عالم التدخُّل الالهي من وراء حجاب الأسباب. وهذه المادة الاولى كانت هي المادة الأم Matrix Matter التي عنها نشأ الخلق كل الخلق! فالخلق كل الخلق نشأ من بعد خلق المادة الأم، التي منها خُلِق كل شيء على الاطلاق، بتدخُّل الهي غير مباشر فيها تقاطع معه في أحيان كثيرة تدخُّل الهي مباشر بـ كُن فيكون. الا ان هذا لا يعني ان الخلق في علاقته بالله خالقه هو كالابن في علاقته بالأب، استغفر الله وحاشا

لله. فما خلقه الله من لدنه لم يكن الا شيئاً مخلوقاً ليس بينه وبين الله خالقه من شبه من قريب أو بعيد. فالله ليس كمثله شيء وهو لم يكن له كُفُواً أحد. ان الابن يرث عن أبيه أشياء كثيرة لذا لم يكن للكون ان يكون ابناً لله **«أستغفرُ الله وحاشا لله»** وهو لمّا يرث عن الله شيئاً اطلاقاً. فالله خالق كل شيء وهو الكبير المتعال الذي يمازج الأشياء من دون حلول فيها ويفارقها من غير ابتعاد عنها فهو معها أينما كانت وهي بعيدة عنه على شدّة قربه منها. الا ان الله لن يخلق الخلق المُعاد يوم المَعاد كما سبق وان خلقه من قبل في عالم حجاب الأسباب حيث المادة الحجابية Shield Matter تخضع لقوانين التدخُّل الالهي غير المباشر تسري فيها سريان الدم في العروق وحجاب الزمان يُغلِّفها فلا تستطيع ان تنتقل من طور لآخر الا من بعد مضي وانقضاء آلاف، ان لم يكن ملايين، السنين! فالله خلق المادة الاولى، التي منها خُلق كل شيء في الوجود، خلقاً فورياً آنياً لَحَظياً بتدخُّل مباشر من لدنه بقوله كُن فيكون. لقد خُلِقت المادة الأم من لدن الله ولم تُخلق من العدم! فالعدم معدوم وليس له وجود وليس هو بشيء حتى يُخلق منه كل شيء! ان الله سيخلق خلق يوم القيامة كلّهم جميعاً في لحظة واحدة بقوله كُن فيكون وذلك كما سبق وان بدأ أول خلق بقوله كُن فيكون. الا ان ظهور الخلق، كل الخلق، عن أول مادة استدعى مُضي وانقضاء مئات الملايين من السنين وهذا ما لن يستغرقه خلق الخلق، كل الخلق، من جديد يوم القيامة. فكل الخلق سيتم خلقهم دونما مرور بحجاب الزمان. فالمادة الاولى التي خلقها الله بـ كُن فيكون دونما زمان على الاطلاق لن تُخلق يوم القيامة ليتم من جديد الشروع برحلة تطورية ـ ارتقائية عبر ملايين من السنين وصولاً وانتهاءً بخلقٍ كخلق الحياة الدنيا!! بل المادة الجديدة التي سيخلقها الله يوم القيامة هي العالم الجديد، بكل تفاصيله ومفرداته وجزئياته وكلّياته جميعاً، والذي سيظهر، كما ظهرت المادة الاولى في العالم القديم، بلمح البصر دونما حجاب زماني ومن غير وساطةٍ من أسباب عالم الحجاب؛ هذا العالم الذي سيفنى قبل انبلاج فجر اليوم الآخر!

١ ـ ٩ النفخة الإلهية والروح الإنسانية

لقد رأينا وتلمّسنا عظيم فضل الله على آدم الجنين اذ سوّاه بشراً بعقلٍ خارق فائق الذكاء أهّله به ليكون ذا وعي بصلته بالله وبصلة الله به. ان المادة

الدماغية التي بلغت أوج ارتقائها بتدخّل الله في مسار تخلّق آدم وجعْله بشراً بعقلٍ، خارج على قوانين الطين على الرغم من كونه طيني النشأة ابتداءً، قد تميزت بمنظومات بايوكيميائية وبايوالكترونية هي الأعقد في عالم البايولوجيا الطينية. لقد كفل هذا التعقيد لعقل آدم ان يكون على صلة واعية بالله وان يكون بمقدوره الاستقبال منه والتعلّم عنه. الا ان تميُّز آدم بهكذا منظومات دماغية فائقة الذكاء، والذي كان قد جعل منه خلْقاً آخر بحق، كان يعني ان عقله الطيني أصبح بوسعه القيام بما لا قدرة لأحد من خلْق الله على القيام به الا مَن كان قد خُلِق بعقلٍ فائق المجهرية بمنظومات فوتوالكترونية Photo-electronic هي المُشابِهات غير المرئية للمادة الدماغية لعقل آدم! فعقل آدم أصبح بمقدوره ان يكون على صلةٍ واعية بالله؛ تلك الصلة التي لم يكن لغير الملائكة، وباقي المخلوقات فائقة المجهرية غير المرئية، ان تتميز بها اتصالاً واعياً بالله. فالمخلوقات غير المرئية قد خلقها الله من نور أو من نار؛ أي من مادة ضوئية فوتونية Photonic. والعقل غير المرئي، بمادته الضوئية هذه، يتكون من منظومات فوتونية بمقدورها التشكُّل وفق نظام يجعل منها مُشابِهات فوتونية للمنظومات البايولوجية التي بوسعها القيام بفعاليات الكترونية مشابهة لتلك التي يدرسها علم الالكترونيات التقليدية. لنتذكر ما كنا قد عرفناه من قبل عن الالكترونيات الحيوية Bioelectronics والتي هي ليست الا فعاليات مشابهة، على قدر تعلق الأمر بالنتائج، لفعاليات الأجهزة والمنظومات الألكترونية المألوفة والتي بمستطاع تشكيلات خاصة مُعينة من المادة غير الحية القيام بها. ان الالكترونيات الضوئية Photoelectronics ما هي الا فعاليات نتائجها مشابهة للنتائج التي بمقدور الفعاليات البايوالكترونية التمخض عنها. اذاً لقد خُلِق آدم بعقلٍ كان بمستطاع المنظومات البايولوجية (البايوكيميائية) لمادته الحية ان تقوم بفعاليات، بايوالكترونية، ذات نتائج تُشابِه النتائج التي تنجم عن الفعاليات الالكترونية التي بوسع بعض التشكيلات الخاصة للمادة الميتة القيام بها. كما ان عقل آدم خُلِق قادراً على القيام بفعاليات بايوالكترونية مشابهة، آثاراً نهائية ونتائج، لتلك الفعاليات الفوتوالكترونية والتي لا يستطيع القيام بها الا مَن خَلَق الله من ضوء: نور أو نار! ولقد لَزِم عن تفرُّد وتميُّز آدم بهكذا عقل بمقدور منظوماته البايوالكترونية القيام بفعاليات نتائجها النهائية تُشابِه من جهة نتائج الفعاليات

الالكترونية التقليدية، كما تتجلّى في أجهزة الكومبيوتر والراديو والتلفزيون، ومن جهة اخرى تُشابِه نتائج الفعاليات التي بوسع العقل غير المرئي للمخلوقات الضوئية القيام بها؛ لزم عن كل هذا الرُقي التكويني والتعقيد الوظيفي ان يُضاف شيء آخر للبُنية الآدمية وذلك ليكون بوسعه المُضي قُدُماً في تعميق صلته الواعية بالله وبما لا تستطيع القيام به المادة البايولوجية لعقله التي وان كانت ذات منظومات بايوالكترونية فائقة التعقيد وبالغة الدقة فانها محدودة القدرة على الارتقاء صُعُداً الى أعلى وأمام على الطريق الإلهي الى الله. أراد الله بهذا الشيء الآخر ان يُعين آدم على تمتين أواصر صلته الواعية به وبما يجعل منه لا يتوقف عن حد معين تفرضه قوانين البايولوجيا الطينية! فلقد خلق الله آدم ليقوم بالرجوع اليه من بعد طول غُربة وجولة ورحلة امتدت آلاف الملايين من السنين! ان الوسيلة لتحقيق تلك العودة الى الله كانت باضافة ذلك الشيء الآخر الذي ليس من سبيل آخر للخروج من الطين الى خالقه الا به! فالبايولوجيا الطينية كانت تحتّم على آدم ان يبقى أسير خِلقته الابتدائية، من طين، تلك! فلم يكن بمقدور المنظومات البايوالكترونية فائقة التعقيد ان تسمو بآدم وتُحلّق به فوق حدود الطين الذي منه خُلِق لتصل به الى الله وصولاً ليس من سبيل لتحقيقه الا بالتحرُّر من ربقة قوانين الطين. لقد اختار الله آدم واصطفاه ليكون واصلاً اليه وذلك على الرغم من كونه قد خُلِق من طين. فأول قانون للخلق من طين كان فناء الشخصية بفناء جسدها الذي لن يقوَ على صد هجمات الزمان طويلاً حيث لا يلبث ان يقع فريسة الهرَم والشيخوخة ليعود بعدها تراباً الى التراب. فكيف السبيل اذاً الى حياة أبدية بجسد فانٍ ضرورةً؟! ان الله حي دائم لا يموت؛ فكيف يصل آدم الى مَن تتناقض اسماؤه الحسنى مع قوانين جسده؟! أراد الله باضافة ذلك الشيء الآخر الى آدم، الطيني البايولوجيا، ان يحمل عن آدم صورته فيكون نسخةً له أبدية حية على الدوام لا تموت اذ يموت جسداً ويعود الى التراب الذي ابتدأ منه كدْحه الى ربه قبل مئات الملايين من السنين! ان الشيء الآخر هذا سوف يكفل لآدم الخلود والحياة الأبدية وذلك عبر استنساخه شخصيته بالكامل بكامل تفاصيلها البايولوجية والسايكولوجية! اذ لن يعود عند افتراقه عن الجسد الا الى الأصل الذي جاء عنه: الله الحي الدائم! الا ان هذا الشيء الآخر لن يعود كما صدر عن الله أول مرة خالياً من كل إضافة؛ بل ستكون عودته الى الله محمّلاً

بآدم! ان آدم لم يكن له ان يَخلُد كما هو حال الخلود الوهمي في عالم البايولوجيا الطينية؛ حيث الخلود للنوع وليس للفرد، فآدم كان مُراداً هو وليس نوعه! اذاً فلن يكون الخلود بالجنس والتزاوج وإنجاب الذرية، نسخةً عن الأصل مُطابِقةً أمينة، هو الحل طالما كان المقصود آدم وليس من أحد آخر غيره! ان اضافة شيء آخر لآدم من الله كانت لتجعل منه مخلوقاً فريداً لم يسبق للطبيعة وان تشرَّفت بظهوره. لذا فلقد استلزم تعميق وتمتين أواصر صلة آدم الواعية بالله، وذلك بجعل المنظومات الفوتوالكترونية للشيء الآخر امتداداً لانهائياً للمنظومات البايوالكترونية لدماغه، وتأمين وصوله سالماً من بعد موته الى الله ان يُصار الى رفده بنفخة من روح الله فيه تكفل له كل ذلك!

الا ان من الخطأ ان يُظن بالانسان تكوّنه من جزء إلهي هو الروح وذلك طالما استحال على الروح ان تبقى مُحافظةً على أصلها الإلهي من بعد النفخ. لقد أمر الله ملائكته بالسجود لآدم الذي أصبح من بعد ان نفخ الله فيه من روحه غير ما كان عليه من قبل النفخ. فآدم قبل النفخ فيه من روح الله لم يكن الا مخلوقاً طينياً شأنه شأن غيره من الدواب الذين قال الله فيهم انه خلقهم كلّهم من ماء كما خلق الإنسان: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النّور: ٤٥]. لقد جعل الله الإنسان متميزاً عن باقي خلقه من الدواب ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

وكان هذا التميز مؤهّلاً له ليحظى بنفخ الله فيه من روحه وهو ما لم يحدث مع أيٍ من الدواب غيره وعداه. فالكائنات الحية الاخرى غيره لم تبلغ من الإمتياز الخَلقي ما يجعل منها تستحق ان يُنفخ فيها من روح الله. لقد مُنح الإنسان بهذا النفخ فرصةً لا مثيل لها لأن يرتقي متجاوزاً حدود الطين الذي منه خُلِق؛ تلك الحدود التي لا قدرة لغيره من المخلوقات الطينية على تجاوزها اطلاقاً مما يجعل من المستحيل عليها ان تُصبح شيئاً آخر غير ما هي عليه مقارنةً بالإنسان الذي بوسعه ان يغادر طينته التي منها خُلق ليُصبح كياناً آخر لا علاقة له بالطين من قريب او بعيد. فهذه الروح بمستطاعه ان يجعلها لا تكتفي بدورها التسجيلي التوثيقي

الحافظ لأعماله صغيرها وكبيرها بل تقوم بدور يتجاوز وظيفتها الأساسية وذلك بأن تترقّى حتى يصبح بمقدورها ان تستقل عن الجسد فلا تكون من بعد حصولها على هذا الإستقلال وتمتُّعها بالحرية الذاتية تابعاً للجسد تدوِّن مسيرة حياته فحسب ولكن تصبح كياناً ذا وجود مستقل تماماً لا يخضع لقوانين العلاقة التقليدية للروح بالجسد. ان بامكان الإنسان ان يصل بوساطةٍ من روحه، اذا ما هو استعان لتحقيق ذلك بطاقة الطريق الإلهي الى الله، الى حالة من الرُقي تجعله مستحقاً لسجود الملائكة له! ان الطريق لتحقيق ذلك الرُقي يبتدئ بخطوة اتقان السائر على الطريق الإلهي الى الله لعبوديته المطلقة لله وعدم إشراكه به أو إلحاده. (**عبدي اَطِعني تكُن مِثلي**). ان الإطاعة التامة لا سبيل للفوز بها بغير تحقيق العبودية المطلقة لله وصولاً الى التميُّز بمُباينة الشيئية حيث يُغادر السائر على الطريق الإلهي الى الله حالة المُماثَلة لما سوى الله الى حالة المثلية التي تجعل منه لا يكون بعدُ شيئاً كباقي الأشياء. فالله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: من ١١].

ولكن الله خاطب عبده فطلب منه أن يطيعه حتى يكون مثله. «**عبدي اَطِعني تكُن مِثلي**». فالطائعُ لله مثلُ الله الذي ليس كمثله شيء؛ فهو اذاً ليس بشيء! ان فقدان المرء لشيئيّته هو ما يُسمّى عند المتصوفة بالفناء؛ حيث تفنى كل خصائصه التي كانت تميزه، عندما كان شيئاً كباقي الأشياء، على حساب اكتسابه لخصائص جديدة تجعل منه يفقد ما يُماثل بينه وبين تلك الأشياء. ان الفناء في الله يجعل من المرء الذي تحقّق به غير مُقيّد بقوانين الجسد البشري وذلك لتحقق اتصال روحه بروح خالقه التي لا تقييد على الإطلاق بمقدوره ان يحُد من حريتها المطلقة. ان الفناء في الله هو علّة السجود لآدم. فالملائكة آمروا بالسجود للروح، التي هي من الله، في آدم ولم يؤمَروا بالسجود لطينته التي منها خُلِق! لقد فات ابليس ادراك هذا الأمر فتوهّم آدمَ على انه ليس غير مخلوق طيني شأنه غيره من مخلوقات الطين ليس له أن يتجاوز حدود خلقته هذه التي ظن واهماً انها كل خِلْقته! ان ابليس استكبر عندما ظن انه يعلم حقيقة آدم الذي تابع خِلْقته طوراً من بعد طور. لقد فاته ان يدرك ان النجاة هي بالالتزام بتنفيذ الأمر الالهي وذلك لأنه مهما كان عالماً فلن يستطيع ان يحيط بشيء من علم الله الا باذنه؛ وهذا هو ما أدركه الملائكة عندما قالوا: «**سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إلاّ ما علَّمْتَنا**».

وهكذا فلم يكن بمقدوره ان يعلم ما غيّبه الله عنه من أمر آدم. فهو لم يدرك ما كان يعنيه الله في قوله للملائكة: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحِجر: ٢٩] ان تميُّز آدم بما جعل منه يستحق ان ينفخ الله فيه من روحه قد استخفى عن ان يُدرَك من قِبَل مَن لم يرَ آدم غير مخلوقٍ طيني مشابه لباقي مخلوقات الطين من الدواب! فلماذا لم ينفخ الله في غيره من روحه؟ لماذا آختير آدم واصطُفي دون باقي خلْق الله من دواب البر والبحر ليُنفخ فيه من روح الله؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عِمران: ٣٣].

فاصطفاء آدم واختياره للنفخ فيه من روح الله يعنيان انه، وعلى الرغم من تشابهه مع باقي خلْق الطين تشابهاً جعل من أكبر علماء زمانه، ابليس، يتوهّم آدمَ فيظن به انه ليس إلا واحداً منهم مخلوقاً طينياً فحسب، يمتاز بما لا قِبل لأحد من مخلوقات الطين ان يجاريه فيه! ان اشتراك آدم مع باقي الدواب في الخِلْقة من طين لا يعني انه واحد منهم! لقد شدَّد الله على عدم استواء آدم وباقي خلْق الطين وذلك عندما ذكر انه قد تميز بما جعل منه يستحق ان يُنفخ فيه من روح الله وهو ما لم يتحقّق لغيره من المخلوقات الطينية الحصول عليه. ان التميُّز الآدمي جعل من آدم، بروحه التي ما اكتسبها بالنفخ فيه من روح الله الا بتميُّزه هذا، يستحق ان يُعامل على انه ليس كباقي مخلوقات الطين. فالإنسان الذي برهن بحضارته ان بوسعه ان يفعل في الطين فعلاً اسطورياً لا مثيل له عند باقي مخلوقات الطين، بمقدوره أيضاً ان يجعل من روحه ترقى به حتى يصل بوساطةِ منها الى مصافٍ تجعله مؤهّلاً للفناء في الله فيكون مثله ليسَ كَمِثْلِهِ شَيء.

ان الملائكة لم يسجدوا لغير الله يوماً حتى يؤمروا بالسجود لآدم في حقيقة الأمر! فهُم في ظاهر الأمر سجدوا لشخص وجسد آدم الا انهم في باطن الأمر سجدوا للروح التي نفخها الله فيه من روحه. فهذه الروح، اِلهية الأصل، لم تكن بعدُ قد باشرت مَهام تدوينها لسيرة حياة آدم وبما يجعل منها تفقد هذه الإلهية بسببٍ من توثيقها هذا لما هو بشَري.

لذلك فلقد سجد الملائكة، تنفيذاً لأمر الله بأن يسجدوا لآدم من بعد أن يُسوِّيه وينفخ فيه من روحه، لله ولم يسجدوا لآدم!

ان كل انسان لحظة نفخ الله فيه من روحه يُشابِه آدم لحظة سجود الملائكة

له وذلك لأنه في هذه اللحظة يكون عبارة عن جسد طيني وروح إلهية؛ حيث ان لحظة النفخ لا علاقة لها بما هو بشري في الجسد الذي نُفخت فيه والذي تشرع من بعد تلك اللحظة في توثيق سيرة حياته فتفقد بذلك إلهيّتها ولا تكتسبها من جديد إلا بشق الأنفس وذلك عند تمكُّن الإنسان من النجاح في الوصول الى الله من بعد شروعه بالسير على الطريق الإلهي الى الله.

١ ـ ١٠ الطبيعة البشرية بين المرئي واللامرئي

ان سجود الملائكة لآدم حادثة مُفردة لم تتكرّر مجدّداً من بعد حدوثها أول مرة. فلم يسجد لآدم الملائكةُ من بعد استقرار روحه في تواجدها مع جسده. وهذا مردُّه الى تغيُّر هذه الروح من الالهية الى الشيئية. فلم يكن الملائكة ليسجدوا لآدم من بعد انقضاء لحظة نفخ الله من روحه فيه؛ تلك اللحظة الفريدة التي كان آدم قبلها مجرد مخلوق طيني وأصبح بعدها مخلوقاً آخر يختلف عن باقي خلْق الطين بتواجد هذه الروح الشيئية معه تُسجِّل حركاته وسَكناته مادام حياً يتنفّس. فبانقضاء لحظة النفخ هذه استحالت الروح التي نفخها الله فيه من روحه شيئاً بعد ان كانت غير ذلك. ان الملائكة لم يؤمروا بالسجود لآدم من بعد انقضاء لحظة النفخ وذلك لأنه لا ينبغي لهم أن يسجدوا لغير الله.

ان الإنسان، بتميُّزه التكويني عن باقي مخلوقات الطين، استحق ان يُضاف الى وجوده وجود آخر هو روح من روح الله. وهذه الإضافة قد ذكر الله بشأنها انها تعقب اكتمال خِلْقته البشرية بصورتها الإنسانية المميَّزة ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: من ١٤]. فهذا الخلق الآخر الذي يُنشأه الله الإنسانَ من بعد اكتمال نشأته الطينية، باكسائه لحماً على عظامه، هو اضافة الروح اليه استكمالاً للكينونة الإنسية.

ان إنشاء الله الإنسان خلقاً آخر يدل على ان الإنسان بصيغته النهائية كمخلوق إنسي يختلف عن صيغ خلْق باقي الكائنات الحية غير المايكروية. وهذا الإنشاء تمَّ بنفخ الروح في آدم وتحوّله من بعد انقضاء لحظة النفخ الى مخلوق آخر لا علاقة له بآدم قبل النفخ. ان الإنسان من بعد انشائه خلْقاً آخر، بنفخ الله فيه من روحه، سوف يُصبح مخلوقاً لا تكفي البايولوجيا للالمام بتفاصيل خلْقه! فهذا الإنسان مخلوق طيني يتواجد معه مخلوق غير طينيي. فالإنسان من بعد

انشائه خلْقاً آخر، بنفخ الله فيه من روحه، كائن عجيب يجمع بين المرئي واللامرئي جمعاً لاتكوينياً؛ فهو لا يتكون من جزءين أحدهما مرئي والآخر لامرئي! بل يتواجد مرئيّه مع لامرئيّه تواجداً يتميز به الإنسان دون غيره من خلْق الله قاطبة. ان اللامرئي في الإنسان، بتواجده مع المرئي فيه، يجعل من هذا الإنسان كياناً لا تكفي العلوم الحالية لإطلاق حكم نهائي بشأنه! والمتأمل في روح هذا الإنسان، بصفتها التواجدية هذه، يجدها مؤهّلة للنظر اليها على انها كيان باراماني Paramann-like طالما كانت هذه الروح البشرية هي شيء يتواجد بالقرب من الإنسان داخلاً منه وخارجاً عنه. ان الإنسان كمخلوق إنسي، على ما يبدو، هو كائن ذو كيان باراماني أيضاً! فهذا الكيان البارامانى هو روحه المتواجدة بشروط بارامانية معه.

ان المرء لَيعجب أيما عجب من اولئك الذين يسارعون الى تكفير مَن يتجاسر، في زعمهم وادعائهم، على القول بأن الروح الإنسانية قد جاءت من أصل إلهي! فالقوم يُصدّقون بأن إنشاء الله الإنسان خلْقاً آخر أمرٌ يتم بحلول الروح فيه، ولكنهم يرفضون الإستمرار في التفكير بالمكان الذي جاءت منه هذه الروح؛ فيكتفون بالقول بأنها جاءت من عالم الروح! وهذا أمر عجيب؛ اذ بينما يُقرّون بأن الإنسان مخلوق جسده من طين هو من هذه الأرض فانهم لا يقررون أي شيء بخصوص أصل هذه الروح! فمن أي شيء خُلِقت هذه الروح؟ لقد كشف الله عن سر أصل الروح التي نفخها في آدم فقال بشأنها إنها روح من روحه. ان هذا يبرهن على ان الروح الإنسانية إلهية المنشأ. ان آدم قد نُفخ فيه كيان من قِبَل الله؛ وهذا الكيان لم يأتِ من مكان آخر سوى الله! فالله حدد هذا المكان بقوله عنه انه من روحه. فاذا كان جسد الإنسان، أي النسخة المرئية الماكروية من الإنسان، قد خُلِق من طين هذه الأرض فان روح الإنسان قد جاءته نفخةً من الله فيه من روحه! فالانسان لحظة النفخ جسد طيني وروح من روح الله. وهو من بعد انقضاء ومُضي لحظة النفخ هذه جسد طيني وروح بشرية! ان الروح التي تتواجد مع هذا الإنسان هي ليست إلهية الا على قدر تعلق الأمر بأصل نشأتها ومرجعيّتها فحسب! فهذه الروح بانقضاء لحظة النفخ وتحوّل الانسان خلْقاً آخر، بسببٍ من نفخ الله فيه من روحه، سوف لن تبقى محافظةً

على إِلهيّتها وذلك لأنها سرعان ما ستُباشر مِن فورِها بتنفيذ مهمّات التدوين والتسجيل والتوثيق لسيرة حياة الإنسان فتتحول بذلك الى كيان ذي شيئية.

ان في خلْق الله للإنسان، كياناً إِنسياً ذا روحٍ إِلهية المَنشأ بشرية المآل، مثالاً بوسعه تقديم العون لمَن يود التوصل الى جوابٍ يشفي غليل وعطش التطلّع الى استِكناه ومعرفة أصل هذا الوجود ومادته. فاذا كانت الروح البشرية قد جاءت من أصلٍ إِلهي فلماذا لا تكون مادة الكون هي أيضاً إِلهية المَنشأ؟ لماذا لا تكون هذه المادة قد تغيرت عن أصلها الالهي فاستحالت كياناتٍ ذوات شيئية؟

ان الله لم يترك البشر ليُقرروا هم بأنفسهم أصل الروح التي نُفخت في آدم بل أخبرهم بأنه هو الذي نفخها في آدم من روحه. فهذه الروح لم تأتِ من عالم الأرواح ولم يخلقها الله من العدم بل أجاء بها من عنده؛ من روحه؛ منه هو وليس من غيره! لقد كشف الله في خلْقه آدم من طين هذه الأرض ونفخه فيه من روحه عن حقائق منها:

١ ـ ان آدم ليس مخلوقاً طينياً فحسب.

٢ ـ ان هناك شيئاً آخر في آدم غير جسده الطيني.

٣ ـ ان هذا الشيء الآخر Other Thing قد تم نفخه في آدم.

٤ ـ انه هو مَن نفخه فيه.

٥ ـ وان هذه الروح هي من روحه هو.

اذاً لقد كشف الله عن سرٍ عظيم يتعلّق بنشأة الإنسان. فجسد هذا المخلوق هو من طين هذه الأرض وهو بعدُ ليس جسداً فحسب ولكنه جسد تُمازجه وتتواجد معه روحٌ هي من روح الله أصلُها. ان الإعتراف بكون روح الإنسان أصلها من روح الله يجعل منا نسارع من فورنا الى اعادة النظر بمفهوم عالم الروح كعالم تجيء منه الأرواح فتتنزّل في الأجساد! ان في نفخ الله في الإنسان من روحه ما يجعل من افتراض مجيء الروح من عالم آخر افتراضاً لا مبرر له. فلِمَ نفترض ان الروح تجيء من هذا العالم الآخَر اذا كان الله هو الذي يأتي بها من عنده؟ ما الضرورة لوجود ذلك العالم الآخر اذاً؟! ان التسلسل في الخلْق، تخلُّقاً خلْقاً من بعد خلْق، والتطور أطواراً في الإنشاء، طَوراً من بعد طَور،

يكشفان عن حقيقة إضافة الروح الى الجسد من بعد اكتمال خلْق وانشاء هذا الجسد. فليست الروح هي التي تأتي الجسد بل هو الجسدُ يكتملُ فنيفخ الله فيه من روحه.

فالإنسان يُخلق انساناً جسداً ثم يُخلق خلقاً آخر انساناً ذا روح أصلها من روح الله. ان عالـم الأرواح لا وجود له الا كعالَـم روحي تقطنه الأرواح التي تحرّرت من تواجدها مع أجسادها. فهذا العالم (عَالم الأرواح) هو مآل الأرواح وليس مصدرها! ان الأرواح لا وجود لها يسبق وجود أجسادها وهي تبقى موجودة من بعد زوال وفناء هذه الأجساد بالموت وبالصعقة. فالأرواح تنتمي من بعد موت أجسادها لهذا العالم الروحي الذي لم تأت منه أصلاً! ان التدبُّر في نفخ الله في آدم من روحه وما تلى ذلك من حوادث تتابعت وتصاعدت حتى إهباط آدم وزوجه من الجنة يدل على ان هذه الروح لا يمكن أن تُعتبر إلهية من بعد انقضاء ومضي لحظة النفخ؛ لحظة إدخالها لتتواجد مع جسد آدم! فاذا كانت هذه الروح قد حافظت على إلهيّتها من بعد انقضاء ومُضي لحظة نفخها في آدم فكيف تسمح لآدم بأن يعصي ربه؟! ان الإعتراض على هذا الإعتراض، بأن الجسد هو الذي ينزع بالإنسان الى اجتراح الآثام واقتراف السيئات، يُخطّؤه ظنُّ المعترضين أنفسهم بأن الروح تنزع به، بحكم إلهيّتها، الى مُباينة هذا الطبع! فلِمَ يسمع لجسده الأرضي ولا يُصغي لروحه الإلهية؟! ان هذه التناقضات لا مخرج من متاهاتها بغير القول بأن الروح لا علاقة لها بأصلها الإلهي من بعد مضي وانقضاء لحظة نفخها في الإنسان وانه، الإنسان، هو مَن يتحمل عواقب فعله.

ان في تتبُّع مسيرة خلق الإنسان وإنشائه خلْقاً آخر باضافة الروح اليه (ان هذا التعبير تعوزه الدقة؛ فليست الروح من بعد انقضاء ومضي لحظة نفخها في الإنسان هي الروح قبل النفخ! فالروح قبل النفخ هي من روح الله وهي من بعده بانقضاء ومضي لحظته روح بشرية تختلف أيّما اختلاف عمّا كانت عليه من قبل النفخ) ما يبرهن على ان الحياة ليست بذات علاقة بادخال الروح بنفخها في الإنسان؛ فالإنسان مُذ كان نُطفةً فعَلَقةً فمُضغةً فعِظاماً فلَحماً لم تفارقه الحياة! لذلك فان القول بأن إدخال الروح بنفخها في الإنسان هو لا أكثر من نفخ روح الحياة فيه يفتقر الى ما يؤيّده من منطق سليم وبرهان عقلاني قويم!! فاذا لم تكن

الروح هي سبب حياة الجسد، عند إدخالها فيه نفخاً من روح الله، فهي ليست أيضاً سبب موته، اذا ما هي فارقته لهذا السبب أو ذاك! فالإنسان لا يحتاج الروح ليحيا، فهو حي بلا روح، بشهادة نشوئه من نُطفة حية وعَلَقة حية ومُضْغة حية وعظاماً حية ولحم حي، ولكنه ليس بمقدوره ان يكون انساناً الا بهذه الروح الشاهد عليه والوسيلة له، اذا ما هو أراد وعزم على تنفيذ هذه الإرادة، للوصول الى الله! ان الإنسان لا حاجة له بالروح ليحيا؛ فالحياة البشرية الإنسانية شأن مادي ماكروي بايولوجي، والروح، في أصلها وجوهرها، من أمر الله أي انها ليست على شاكلة الجسد فكيف تكون هي سبب حياته البايولوجية طالما لم تكن هي بايولوجية؟!

والإنسان اذ تفارقه الروح البشرية بالموت فهو لا يموت بمفارقتها لجسده! بل يموت قبلها فتفارقه ضرورةً! ان الحياة البايولوجية للإنسان شأن من شؤون مادته البشرية الإنسانية.

١ ـ ١١ عالم الأرواح مآل الأرواح لا مصدرها!

ان إحلال الروح في الإنسان لتتمازج معه وتتواجد داخلاً منه وبجانبه لا يخلو من ثلاث على قدر تعلّق هذا الأمر بأصل الروح هذه؛ فهي اما تتنزل اليه من مقر سُكناها في عالم الأرواح أو يتم خلقها فوراً من العدم أو يُصار الى نفخها فيه من روح الله. ولقد أخذ جمع غفير من فلاسفة المسلمين وحكمائهم ومتكلميهم ومتصوفتهم بهذا الذي ذهب اليه حكماء الأغارقة من الذين قالوا بوجود عالم أرواح تقطنه الأرواح البشرية قبل نزولها لتستقر في الأجساد الآدمية الى حين. ولقد فات هذا الحشْد من السلَف الصالح ان يتدبّروا فيما قال الأغارقة حق التدبّر! فهم لم يدركوا ان الأخذ بمقالاتهم في الروح يجعل منهم يشاركونهم الإعتقاد بأزلية الأرواح وعدم مُحدثيتها! فوجود الأرواح في عالم الأرواح قبل نزولها في الأجساد يستلزم ضرورة أن تكون أزلية طالما لم يتم تحديد زمان لخلْقها وإدخالها هذا العالم الأرواحي! والقول بأزلية الأرواح يعني القول بالشرك بالله طالما كان الله هو الأول بلا بداية والأزلي من غير ابتداء. ان المرء لَيعجب كيف فضّل هذا الجمع من الأسلاف الصالحين ان يُوالوا الأغارقة ليُصبحوا من ثم شركاءهم في الإشراك بالله بدلاً من أن ينتصروا لنص القرآن

العظيم الذي فصَّل بقوله الحق في أمر أصل الروح فقال الله بهذا الخصوص «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي».

ان الروح، بسببٍ من أصلها الإلهي، لا يمكن رؤيتها سواء بالعين البشرية أو من قِبل أيٍ من خلْق الله صعوداً من دواب البر والبحر الى الجن والملائكة والروح باستثناء مَلَك الموت وقبيله من الملائكة. تدبّر الآيتين الكريمتين التاليتين:

﴿قُلْ يَتَوَفَّنكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السَّجدة: ١١]

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]

لقد أجاز الله ملَك الموت والرسُل الحفَظة باصطحاب روح الإنسان الى البَرزخ. تدبّر الآيات الكريمة التالية:

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأعـراف: ٣٧]، ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طـه: ٥١ ـ ٥٢]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠]، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الـرُّوم: ٥٥ ـ ٥٦]، ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الـزُّمـر: ٤٢]، ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ [ق: ٣ ـ ٤].

ان البرزخ هو عالم الأرواح الذي تُحفظ فيه الروح الانسانية حتى يوم القيامة. وهي من بعد ادخالها هذا البرزخ يُصار الى تصنيفها فإما مع مَن يُحفظون في العذاب:

﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ [هـود: ٩٩]،

﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤٢]، ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [المؤمن: من ٤٥ ـ ٤٦]، ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح: ٢٥].

أو مع مَن يُحفظون في النعيم. تدبّر الآيات الكريمة التالية:

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١]، ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج: ٥٨ ـ ٥٩]، ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦ ـ ٢٧].

أو مع مَن يُحفظون بلا وعي بشيءٍ حواليهم. تدبّر الآيات الكريمة التالية:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: ٤٥]، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٥ ـ ٥٦].

لذلك فان الحديث عن أرواح يتم استحضارها في جلسات التحضير أو أرواح هائمة تجوب الوجود أو اخرى مقيمة في الخرائب والبيوت المسكونة هو محض هراء ولا يعدو ان يكون الا حديث خُرافة! فالبرزخ هو حجابٌ حاجزٌ يفصل ما بين الأرواح المفارِقة والأجساد المفارَقة كما يفصل ما بين البحرين برزخٌ يجعل من الماء الفرات لا يختلط بالماء الأجاج. تدبّر الآيات الكريمة التالية:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣]، ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ﴾ [النمل:

٦١]، ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ۝١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩ ـ ٢٠].

فالأرواح البشرية بعد انفكاكها من أسر التواجد مع الأجساد الإنسانية تُغادر هذا الواقع الذي لا سبيل لتفاعلها معه على الإطلاق طالما لم تكن من القلة القليلة من الأرواح الكاملة المتّصلة بالروح الأعظم والتي بمستطاعها التصرّف في الوجود كيفما تشاء امتثالاً للقانون الإلهي «**عَبْدي أَطِعْني تكُن مثلي تقول للشيء كُنْ فَيَكُونُ**». ان الروح البشرية محكوم عليها، طالما كانت من الله نشأتها، ان تبقى بمنأى عن أن يؤثر عليها شيء في هذا الواقع الذي هو بيئة الإنسان جسداً وليس روحاً. فالروح البشرية لا تتفاعل مع هذا الواقع؛ فهي لا تفعل فيه وهو لا يفعل فيها. فالإنسان هو الوحيد الذي بمقدوره أن يُغيّرها من حال الى حال وذلك لأنها ما جاءته الا لتكون شاهدةً لله عليه وحافظةً لكل صغيرة وكبيرة من مفردات سيرة حياته في هذا الواقع. فقانون الروح البشرية يُحتّم عليها ان لا تتأثّر بشيء آخر في هذا الوجود الواقعي الا بانسانها الذي تتواجد معه شاهدةً لله عليه وموثّقةً لتفاصيل حياته حتى مماته. فكيف بالتالي يدّعي نفر ضال من البشر المقدرة على التأثير في هذه الروح التي جعل الله من المستحيل عليها أن تتأثر بشيء آخر غير انسانها الذي تتواجد معه؟ ان الوسط الذي ليس بمقدور الروح أن تحيا بعيداً عنه وخارجه هو الإنسان الذي نُفخت فيه لتكون كتاب أعماله. فالروح بعيداً عنه لا تحيا الا اذا ما اعتبرنا ان وجودها محفوظةً في الأرشيف البرزخي هو حياة! ان الروح تحيا في الإنسان، بيئتها الطبيعية الوحيدة، وذلك بتغيُّرها من حال الى آخر وذلك بتوالي التغييرات في مسار حياته ولزوم متابعتها لهذا التغيير أولاً بأول تسجيلاً وتوثيقاً وتدويناً. ان صدور هذه الروح عن أصل اِلهي ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: من ٨٥] يستدعي ان لا يكون لأحد مقدرة على التأثير فيها الا اذا شاء الله. ولقد نفخ الله من روحه في الإنسان لتكون روحُه البشرية هذه شاهدةً لله عليه وأداةً للعبور اليه يستخدمها اذا ما هو عقد العزم للوصول اليه بوساطةٍ من قانون الإرتباط الروحي سيراً على الطريق اليه.

لذلك كان بمقدور الإنسان التأثير في هذه الروح المتواجدة معه ليُصبح بالتالي بمقدورها ان تُحمّل بالأرشيف الموثّق لتفاصيل سيرة حياته. ولقد هيأ الله ملائكة الموت وذلك ليقوموا باصطحاب وتوفّي روح الإنسان بأن جعلهم

يستطيعون رؤية هذه الروح والتأثير فيها اصطحاباً وتوفياً وايصالاً الى عالم حفظ الأرواح (البرزَخ). كما جعل الله من الطريقة وسيلة ارتباط روحي، عن طريق أساتذتها، يجعل من السائر على الطريق الإلهي الى الله وفقاً لقوانينها بمستطاعه جعل روحه تتصل بالروح الأعظم لله اتصالاً تُنظِّمه سلسلة أساتذة الطريقة، المرتبطة حلقاتها روحياً، فتتفاعل بذلك مع الواقع الروحي لله ورجاله ويصبح بمقدورها ان تتجاوز قدرَها كجهاز استنساخ وأداة توثيق الى ممارسة دورها الذي خُلِقت لأجله فتشرع ترقّى وتتغيّر تبعاً لذلك من حال الى حال آخر تأثّراً بهذا الواقع المُتسلِّط على كل واقع وبضمنه واقعها الذي لا قدرة لأحد، الا مَن أجازه الله وكما تم تبيينه، على التأثير فيه. ان الإنسان محكوم بهذه الروح الشاهد لله عليه لا يستطيع منها فكاكاً وهو لا يستطيع ان يفيد من طاقتها الروحية، التي لا تأثير له عليها طالما كانت هي الأعلى، كما لا تستطيع هي أن تفيد شيئاً منه يجعلها تستطيع أن تتجاوز قدرَها الذي يحتّم عليها ان تظل دوماً بمنأى عن التأثير في انسانها بدلاً من التأثّر به فحسب توثيقاً وأرشفةً. ان الإنسان ليس بوسعه الإفادة من روحه للوصول الى الروح الأعظم وذلك لأن الحاجز الطاقي الذي يفصل بينهما، بينها وبينه وليس بينه وبينها، لا قدرة لها على تجاوزه بطاقتها المحدودة والمحدّدة سلفاً لتكون طاقة توثيق معلوماتي وليس أكثر. غير ان الوصول الى الله بوساطةٍ من هذه الروح، من بعد تقوية طاقتها بالإرتباط الروحي الذي يجعل منها بمقدورها رفع مناسيب هذه الطاقة وصولاً الى تجاوز حاجز الطاقة الذي يفصل بينها وبين الله، ليس بالأمر المستحيل. فلقد جعل الله من هذا الإرتباط الروحي الوسيلة لمن أراد الوصول اليه. حيث هيأ ما من شأنه ان يعمل على جعل طاقة روح الإنسان، عبر ارتباطها روحياً (طاقياً) بروح استاذ ترتبط روحه باستاذ وصولاً الى الروح الأعظم (الطاقة الأعظم)، بمقدورها تجاوز حاجز الطاقة آنف الذكر ليُصبح بمستطاعها بالتالي الوصول الى الله وتحقيق الفناء فيه. ان طاقة روح الإنسان ليست بالقدْر الكافي الذي يتيح لها تحقيق العبور الى الله. لذلك كانت الطريقة، بطاقتها المستمدة من الله والمتصلة روحياً (طاقياً) به، الواسطة والوسيلة للإرتفاع بطاقة روح السائر على الطريق الإلهي الى الله الى الحد الذي تتهيأ معه لخرق الحجاب الطاقي الذي يحجب ما بين الأشياء وخالقها عبوراً اليه وفناءً به.

ان العبور الى الله يتطلّب طاقة خارقة لإجتياز الحجاب الذي يفصل بين السائر على الطريق الإلهي الى الله وبين الله. وهذه الطاقة الخارقة لا قدرة للسائر على توفيرها من عندياته. لذلك فلا يمكن تحقيق الوصول الى الله بجهدٍ فردي ذاتي من دون وساطةٍ من تدخّل طاقي خارجي، طالما كان المخزون الطاقي للإنسان هو روحه التي نُفخت فيه لتكون شاهدةً لله عليه ومؤهِلة له للإرتقاء بها الى حد جعلها على قدْرٍ من طاقةٍ تُتيح لها انجاز العبور. ان طاقة الطريق الإلهي الى الله تؤهّل طاقة روح الإنسان، المُحدَّدة خَلقاً للشهادة لله عليه، للعبور الى الله وذلك عبر جعلها هذه الروح تفارق حالها الخَلْقي الى حال آخر لا يجعلها تكتفي بالشهادة لله على الإنسان بل يرتفع بها الى مصاف العبور. ان ملائكة الموت ليس لهم أن يؤثّروا على روح الإنسان طالما كان حياً؛ فاجازتهم من ربهم تقضي بأن لا يكون بمقدورهم رؤية روح الإنسان مادامت متواجدة معه بسببٍ من حياته وعدم تحقّق موته بعد. الا ان موته يجعل من إِجازتهم نافذة المفعول فيصبح بمستطاعهم رؤية هذه الروح المفارِقة لتواجُدها مع الإنسان المفارق للحياة بموته فيتمكن بذلك ملائكة الموت من اصطحاب الروح وتوفّيها وايصالها سالمةً الى عالم حفظ الأرواح. ان هذا يعني ان الروح مادامت مع انسانها فلا سبيل لهم اليها وذلك على خلاف طاقة الطريقة التي بوسعها التأثير في روح الإنسان وهي ماتزال في تَواجُدها معه بحياته. ان طاقة الطريقة هي القوة الوحيدة المُخوَّلة والمُجازة لتؤثّر في روح الإنسان، عبر ارتباطه بها بالبيعة (اللمسة الروحية)، وهو بعد على قيد الحياة.

١ ـ ١٢ هل الإنسان كيان بايولوجي ١٠٠٪؟

ان نفْخ الروح في آدم، بما يعنيه من تميُّز الإنسان بما يجعل منه مختلفاً عن غيره من الكائنات الحية ذات الكيان البايولوجي التقليدي اختلافاً لزم عنه ان أصبح كيانه البايولوجي مُهيّأً لتقبُّل تواجدها معه شاهدةً لله عليه، أمر ليس من اليسير تفهُّم جميع متعلّقاته. فلماذا لم تُنفخ الروح في غيره من الكائنات الحية؟ لماذا توجّب على سيرة حياته ان توثَّق وتُحفظ بوساطةٍ من هذه الروح الى يوم البعث والحساب؟ ان هكذا أسئلة لا يمكن ان تخلو الإجابة عليها من ابتعاد عن الأنماط التقليدية في التعامل المعرفي مع ألغاز الوجود وذلك بسببٍ من التباين

الواضح ما بين طبيعة كل من الإنسان كموجود ينتمي بمادته الحية المتميزة للوجود الذي بالإمكان تعقّله والروح التي تتواجد معه كموجود لا ينتمي لهذا الوجود. لذا كان من المُحتَّم على نظرية المعرفة الجديدة ان لا تتعفف عن طلب العون ممَّن بمستطاعه تقديمه وإن أدى ذلك الى استقدامها للحل، الذي بمقدورها استخلاصه، من بين اسرار قَصَص الخلق كما وردت في الوثيقة الدينية. ان هذه الوثيقة لا يمكن ان يتم استبعادها عند التطرّق الى دراسة كيان غامض النشأة مبهم الأصل كهذا الإنسان! ان إقامة الحُجَّة على ان الإنسان كائن غير بايولوجي١٠٠٪، بما يعنيه ذلك من كونه يختلف عن غيره من الكائنات البايولوجية التي لا روح تُمازجها، لا سبيل اليها اذا ما اقتصرت المساعي الرامية لتحقيق ذلك على البحث والتنقيب في مادة هذا الإنسان متسلّحين بعلومه التي اَبدعها! كما ان الإتيان بالبرهان على كونه ليس مؤلّفاً من مادّته هذه فحسب وذلك باللجوء الى الدلائل العقلية والبيّنات المنطقية، كما بمستطاع الفلسفة تقديم ذلك، لن يكون بذي نفعٍ حقيقي لمن يروم التثبُّت بصورة علمية رصينة من حقيقة كون الإنسان مادة حية لا يمكن ان توجد بصورة مستقلة عن وجود كيان آخر يُمازجها مادامت حيةً مادتُه!

ان العلم والفلسفة كليهما ليس بمقدورهما ان يتوصلا الى اثبات حقّانية وجود الروح وذلك اذا ما هما اقتصرا في سعيهما لتحقيق ذلك على ما بحوزتهما من عتاد معرفي وعدّة قوامها حقائق العلم، المستقاة بوساطة الإختبار والتجريب، ونظرياته التي لا تمت بصلة لأرض الواقع من بعيد أو قريب وثوابت الفلسفة المستندة الى المنطق القويم وأحكامها المتجاوِزة كل حس سليم! فالعلم ليس بأداة تصلح دائماً في كل مكان طالما تجاوز استعمال هذه الأداة حدود العلم المحدّدة له بأن تكون مادته هي هذا الواقع الذي لحمته الإختبار وسداته التجريب. والفلسفة لا تصلح منهاجاً ذا نفع وفائدة اذا ما لم يتم التقيّد بوجوب اعتبارها فلسفة للعلم الذي لا ينبغي ان يتجاوز معطيات الظاهرة والتجربة محلّقاً في فضاء التنظير والتفسير! اذاً فمن المستحيل على العلم ان يبرهن وفقاً لمادته ومنهاجه على وجود الروح ناهيك عن ان يكون بوسعه التوصل، هو وحده ومن داخل بُنيته المعرفية، الى اكتشاف ان الإنسان كائن مادي ـ روحي! والفلسفة بعدُ

أعجز عن أن يكون بامكانها القيام بمثل هكذا اكتشاف فتتجاوز حدودها لتصبح ميتافيزيقا لا تخلتف في شيء عن روايات الخيال العلمي!

إِنَّ الروح مِن أمْر الله؛ أي انها ليست من أمر هذا الواقع الذي بامكان العلم وفلسفته، القائم بها والمستندة اليه، ان يسبرا أغواره بنجاح مشهود. فلأنها ليست بمنتمية لهذا الواقع، بسببٍ من انتمائها لواقع آخر لا يمكن ان يتسلّط واقعُنا عليه فيدركه، فان الروح تستعصي على علمٍ، نشأ من هذا الواقع وليس من غيره، ان يكون بمقدوره ادراكها. ان انتماء الروحِ لواقعٍ متجاوز لواقعنا ومفارق له معرفياً يجعل من المستحيل على العلم التوصل الى أثبات وجودها. لقد قطع الله دابر كل مَن يروم المحاولة اليائسة للوصول الى الفوز بشيء معرفي يَطال ماهية وجوهر الروح وذلك عندما أبان عن حقيقة كونها من أمْره ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥].

لقد جعل الله من العلم البشري بالروح أمراً مستحيل تحقُّقه وذلك لاستحالة ان يعلم الإنسان شيئاً عن الله ذاته. فربط بين الروح وبينه وذلك بأن جعلها من أمره هو وأتبَع ذلك بتقرير حقيقة كون ما اوتيه الإنسان من العلم لا يمكن وصفه الا بأنه قليل.

ان مُصاحَبة الإنسان من قِبَل كيان غير مرئي اسمه الروح لم يتم القول بها من قِبَل العلم أو الفلسفة. ان تواجُد الروح مع الإنسان أمر جاء به نصٌ ورد في الوثيقة الدينية التي لم يصغها عقل الإنسان بل جاءته متسلطة عليه من الله. ولقد أخبرت هذه الوثيقة عن ربها بأن الإنسان لا يمكن ان يوجد الا وهذه الروح متواجدة معه من غير ان يعني ذلك ان حياته رهن بهذه الروح يفقدها اذا ما هي فارقته، كما يتوهم ذلك جمع حاشد من بدائيي البشر ومعاصريهم! فالإنسان لا يمكن ان توجد مادته الحية بشكل مستقل عن وجود كيان آخر يتواجد معها مادام حياً. ان هذا الإرتباط المصيري ما بين المادة الحية للإنسان والروح من الممكن فهمه اذا ما نحن تذكرنا بأن الروح تتواجد مع الإنسان شاهدةً لله عليه وموثِّقة لسيرة حياته وذلك بقيامها بتدوين جميع أعماله. الا ان كثيراً من البشر ممن أساؤوا فهم كون الروح مِن أمْر الله، مما يجعل من المستحيل عليها ان تُشابِه ما ينتمي للواقع الإنساني من مفردات وظواهر، قاموا باجراء مُطابَقة ومُماثَلة ما بين

هذه الروح الُمبايِنة لكل ما هو واقعي وبين النَفَس الذي يبقى بوساطته الإنسان حياً متوهمين بأن الروح التي تحدّثت عنها نصوص الوثيقة الدينية لا يمكن ان تكون شيئاً آخر غير هذا النَفَس الذي ما ان يفارق الإنسان حتى يتحول من كائن ذي حياة الى مادة ميتة لا تتحرك! ولقد سوّل للإنسان هذا الإعتقاد ما لاحظه بشأن هذا النَفَس من اتّصافه بكونه لامرئياً كما هي صفة الروح فكان ان استقر على هذا الحكم الباطل فقضى بأنها هي هذا النَفَس الذي يحيا به ويموت اذا ما فارقه. ولقد حفظت لغات بني البشر صوراً عن هذا الحكم الباطل كما يتّضح ذلك في الكلمات التي تُستعمل للدلالة على الروح حيث يُشار اليها عادةً على انها النَفَس الذي يستنشقه ويطلقه الإنسان! فالعربية مثلاً تستعمل كلمة النَفْس للدلالة على الروح البشرية وهي كلمة واضحة النشوء عن كلمة النَفَس كما ان كلمة الروح هي ذاتها غير بعيدة عن كلمة الريح الذي هو مادة النَفَس!

لقد أدى هذا الإسراع في اطلاق هكذا حكم باطل الى اعتقاد الإنسان بأن للحيوان روحاً كروحه طالما كان هو أيضاً ذا نَفَس! ولكن هل للكائنات الحية الأخرى كالحيوانات روح كما ان للإنسان روحاً؟ ان الإجابة على هذا السؤال تتطلب منا الرجوع الى أول ظهور لأمر الروح وعلاقتها بالإنسان في القرآن الكريم: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ﴾. ان التدبّر في هذه الآية الكريمة يُبيّن تميز الإنسان بنفخ الله فيه من روحه؛ ذلك التميز الذي جعل منه يستحق ان يؤمر الملائكة بالسجود له لحظة نفخ الله فيه من روحه سجوداً لهذه الروح الإلهية الأصل. فاذا كانت الحيوانات هي أيضاً قد نُفخ فيها من روح الله فأي تميُّز كان للإنسان حتى يؤمر الملائكة بالسجود له؟ ان النظر الى الكائنات الحية، باستثناء الإنسان، كفيل باثبات حقيقة كون هذا الإنسان هو وحده دونها متميز بما يجعل منا نتفهم السبب الذي يتوجب على أعماله ان يتم تخليدها وحفظها بوساطة كيان حافظ كالروح حتى مجيء يوم الحساب!

ان الإنسان كائن بايولوجي يمتاز على غيره من الكائنات البايولوجية الأخرى بأنه ذو معامل ارتقاء تطوري عالٍ جداً وبما لا سبيل لأحد غيره ان يجاريه فيه أو يتقدم عليه أبداً. فالسمة المميزة لهذا الكائن انه لا يتمتع بما لغيره من الكائنات البايولوجية التقليدية من مسارٍ حياتي غير قابل للتطور والارتقاء وذلك على قدر

تعلّق الأمر بالتغييرات التي بمقدوره إِحداثها في الوجود بيئةً وفرداً. فالإنسان كائن يتطور ويترقّى في مسيرة لا تعرف النكوص الى وراء أبداً؛ فهو لا يُكرِّر ماضيه اطلاقاً ويومه يُغاير أمسه وغده لا يُشابِه حاضره. ان التقدم الذي أحرزه الإنسان من غياهب الكهوف الى محطات الفضاء المدارية لا يمكن ان يكون شيئاً غير ذي بال وخالياً من عميق الدلالات. فلماذا لم يستطع أحد غيره من الكائنات ان يُخالف عن أمر ونهي الماضي السحيق؟ لماذا استحال على غيره ان يشذ عما استقر عليه الآباء الأولون والأجداد الأقدمون فيشق له طريقاً متصاعداً الى أعلى بعيداً عن النمط المميز القديم؟ ان الإنسان لا يمكن ان يكون كائناً حياً كباقي مَن هم غيره من الكائنات الحية التي ثبتت على حال واحد لا تُفارقه وليس بمقدورها الحيود عما يُمليه عليها من وجوب انقيادها لأمره وتميُّزها به وتقيُّدها بقوانينه. لقد شذَّ الإنسان عن القاعدة البايولوجية الرئيسة والتي تقضي بوجوب ان يتقيد الكائن الحي بالنهج على ما استقر عليه الأب الأول وعدم المخالفة عن هذا الإستقرار الذي يمثِّل القمّة التطورية له والتي جاهد أسلاف الأب الأول آلاف السنين حتى يصلوا اليها. ان استقرار الكائن الحي على هذه القمة التطورية هو الهدف من ملحمة النشوء والإرتقاء التي خاضها أسلافه فاعتركوا بالناب والمخلب ليصلوا اليها فتكون نهاية المطاف لهم ولمَن يأتي بعدهم من ذرية ليس أمامها الا ان تقطف جَني ما تعب في زرعه اولئك الأسلاف الغابرون! الا الإنسان، فهو لمّا يصل بعد الى قمة تطوره حتى يتوقف عندها فتكون الأجيال من بعده استنساخاً أميناً عنه أما وقد وصل واستقر على هذه القمة التطورية التي هي هدف كل كائن حي. ان عدم وصول الإنسان الى قمته التطورية المُشابِهة للقمم التطورية الاخرى، التي وصلتها باقي الكائنات الحية فاستقرت عليها وجاءت أحفادها وذرياتها من بعد هذا الإستقرار فكانت استنساخات مماثلة متطابقة مع صيغها المستقرة تطورياً، يعني انه مازال في معترك التطور والإرتقاء وان أمامه على ما يبدو آماداً طويلةً قبل ان يصبح بمقدوره ان يستقر على قمة تطورية شأنه شأن غيره من الكائنات! ان الإنسان كائن يعوزه الإستقرار التطوري؛ فهو في ارتقاء انفجاري من حالٍ الى حال وبما لا يوجد نظير له عند غيره من الكائنات البايولوجية الاخرى. لقد استقرت جميع الكائنات الحية على أشكالها الحالية قبل مئات الآلاف من السنين واستقر الإنسان على هذا الشكل منذ ما يقرب من عشرة آلاف سنة. ولكن، لماذا لم يستقر من الإنسان على

حاله غيرُ شكله؟ لماذا لم تستقر على القمة التطورية اياها الا بايولوجيّته المُشابهة، بعض الشيء لبايولوجية غيره من الكائنات الحية؟! لماذا هذا الإختلاف؟ لماذا يمتاز الإنسان بدماغ ذي عقل خارق لا يحتاج اليه في مُعتَرك الصراع من أجل البقاء وملحمة البقاء للاصلح؟

الفصل الثاني

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾

الانسان وجسمه

٢ ـ ١ الحضارة الانسانية: ثورة الانسان على بيئته!

ان عدم وصول الانسان، كنوع، الى قمته التطورية على قدر تعلّق الأمر بما لا علاقة له ببايولوجيته التي استقرت على حالها هذا، الذي يتجلى في الانسان اليوم، قبل ما يقرب من العشرة آلاف سنة، بل بعلاقته ببيئته التي يحيا فيها يُشكِّل مادةً خصبة للمبحث الذي يتناول الحقيقة البشرية كما يُجلّيها الواقع الإنساني. فالسؤال الذي يتبادر الى الذهن حال اجراء مقارنة أولية بسيطة ما بين الإنسان والحيوان هو التالي: لماذا اختلف انسان الحضارة الحالية عن انسان الكهوف في حين ان الحيوان الذي كان يشارك الإنسان كهفه، كلبه مثلاً، ظل على حاله فلم يتغير!

ان هذه المقارنة تدل ان دلت على شيء على ان علاقة الحيوان ببيئته هي علاقة نمطية لا تتغير بمرور الزمان. فاذا تم مثلاً إبدال نمر ما قبل آلاف السنين محل نمر هذا العصر فان علاقة نمر العصر الحجري ببيئة هذا العصر ستبقى ذات العلاقة ومن دون أي اختلاف؛ هذا اذا ما كانت الظروف البيئية هي ذاتها. ان ماضي الحيوان، كنوع، هو نفسه حاضره وهو ذاته مستقبله. فالحيوان يعيش في انسجام وتوافق وتناغم مع بيئته التي نجح في اقامة علاقة متوازنة معها من بعد استقراره على قمته التطورية، في حين يحيا الانسان في تنافر وتضاد وتناقض مع بيئته الثائر على الدوام عليها!

فالانسان كائن حضاري أبدع الحضارة التي هي نتاج هذه العلاقة غير المتوازنة للانسان ببيئته. ان ثورة الانسان على بيئته هي السبب في نشوء حضارته التي أراد بها ان تُعينه على ان يمضي قُدُماً في الابتعاد عن البيئة

الطبيعية التي هي القَدَر المفروض على كل الكائنات الحية الاخرى وبما لا طاقة لها ان تُخالِف عن قوانينها وأوامرها. لقد أبدع الانسان الحضارة رداً منه على هذه البيئة القدَر التي يرفض ان يتقيد داخلاً من قالبها الذي تشكلت وتقولبت داخله كل الكائنات الحية على اختلاف أنواعها وأصنافها. أراد الانسان بهذه الحضارة التي أنتجها أن تكون وسيلته لخلق بيئةٍ بديلة عن البيئة الطبيعية التي تناغمت معها، وانسجمت، كل أشكال الحياة البايولوجية. فالحضارة الانسانية هي المسار الذي شقّه الانسان في محاولته الوصول الى بيئة اصطناعية تكون بديلاً عن البيئة الأصلية التي لم يستطع ان يتناغم معها بسببٍ من لانتمائه اليها! فالانسان لم يتطور نشوءاً وارتقاءً وفق قوانين الطبيعة، كما نعرفها، كما تطورت، نشوءاً وارتقاءً، باقي الكائنات الحية. ان هذا الانسجام المُميِّز لعلاقة الحيوان بالطبيعة، التي هي بيئته التي نشأ وارتقى في توافُقٍ معها وفق مقتضيات التطور ومتطلبات الصراع من أجل البقاء والانتشار، يعود الى تمتُّع الحيوان بما يجعل منه كائناً طبيعياً ١٠٠٪ وذلك على خلاف الانسان الذي تقودنا حضارتُه، التي نشأت كرد فعل بشري على لانتماء الانسان للطبيعة، الى وجوب رؤيته بمنظار ينظر اليه فيراه كائناً غير طبيعي ١٠٠٪! ان الانسان لم ينشأ عن هذه الطبيعة وان كانت بداياته تضرب بجذورها عميقاً في ترابها الموغل في القِدَم! فالانسان أصله يعود الى تراب هذا الواقع، الا انه بحاله الذي آل اليه من بعد ملحمة النشوء والارتقاء قد أصبح لا ينتمي لهذا الواقع بصورة مطلقة. اما الحيوان فانه يشارك الانسان نشأته الواقعية هذه ويتميز عنه بأنه من بعد خوضه مسيرة التطور أصبح منتمياً لهذا الواقع بصورة تجعل من الممكن ان يُصار الى فهم كامل مفردات وجوده بدلالة مكونات واقعية لا حاجة هناك لاستقدام ما لا ينتمي معها اليه.

فعلى الرغم من نشوء الانسان من تراب وماء هذا الواقع الا انه لم يصل بعد الى قمته التطورية المتناغمة مع هذا الواقع! ان هذا ليس تناقضاً في الأفكار وتلاعباً في الألفاظ وذلك طالما ثبت لدينا وبما لا يقبل الشك ان الانسان لم يكن ليخالف عن أمر الطبيعة لو انه كان حقاً قد تطور في توافق تام معها في مسيرة نشوئه وارتقائه! فالحضارة البشرية هي ليست الا ثورة الانسان على الواقع

معبِّراً بثورته هذه عن تمرده على الطبيعة ورفضه للبيئة التي وجد نفسه وجهاً لوجه أماماً من تحدياتها التي لم تكن لِتُشكِّل له خطراً وجودياً يمس مصيره وبقاءه لو انه تطور وارتقى في تناغم تام معها وتكيُّفٍ يتماشى مع التغيرات الحادثة فيها. ان في خلْق الحضارة الدلِّيل القاطع على لانتماء الانسان للطبيعة كما نعرفها. تلك الطبيعة التي نشأ من مادتها ولم يكن ارتقاؤه محصوراً داخلاً منها! فالانسان، مرة اخرى، لم يكن ليثور على واقعه فيُبدع الحضارة لو انه كان حقاً عنصراً من عناصر الطبيعة ومفردةً من مفردات الواقع.

٢ ـ ٢ الانسان: الحيوان اللامنتمي للطبيعة!

لقد كانت بداية نشوء الانسان هي من مادة هذا الواقع، وهذا أمر لا جدال فيه. اذ اتفق عليه المؤمنون بالوثيقة الدينية والكافرون بكل ما لم توروده الوثيقة العلمية! الا ان الاختلاف ما بين الوثيقتين ينفجر بشكل لا سبيل لتفادي شظاياه المدمرة وذلك عند تدبُّر ما جاء في كليها بخصوص المسيرة التطورية التي ارتقى الانسان عبر خوضه لها. فبينما لا ترى الوثيقة العلمية الانسان كائناً غير طبيعي؛ بمعنى انها تنظر اليه على انه ليس الا ثمرة من ثمار الطبيعة شأنه شأن أيٍ من باقي مفرداتها وثمارها، تنظر الوثيقة الدينية الى الانسان فتراه كائناً لا ينتمي لهذه الطبيعة التي على الرغم من كونه قد نشأ منها فانه أصبح دخيلاً عليها بسببٍ مما حدث له عبر مسيرته التطورية منذ نشوئه الى اكتمال ارتقائه ووصوله الى الصورة الانسانية كما نعرفها. وبذلك فان الوثيقة العلمية تتغافل وتتغاضى عن التدبّر في الوقائع والبراهين التي بمستطاع الواقع الانساني ان يُقدِّمها بكل يُسر وسهولة وذلك لتحديد المفردات الأساسية للحقيقة البشرية. فالواقع الانساني بمستطاعه تقديم الدليل القاطع على كون الحقيقة البشرية لا علاقة لها بما ورد في الوثيقة العلمية من مزاعم وادّعاءات بشأنها طالما كانت هذه قد تم التوصل اليها بمعزل عن تناول السمات الجوهرية لهذا الواقع! ان الانسان وفق منظور الوثيقة العلمية يكفي لتفسيره ان يُصار الى الاقتصار على ذات المباحث المعرفية التي تناولت المسيرة التطورية، نشوءاً وارتقاءً، لغيره من الكائنات الحية ومن غير ان يكون هناك ما يدعو الى استقدام ما لم يتم استخدامه من المباحث المعرفية في دراسة الكائنات الحية الاخرى! اي ان هذا المنظور (العلمي!) ينطلق من وجوب

الاقرار، بدايةً، بانعدام كل ما من شأنه ان يجعل من ارتقاء الانسان يختلف عن ارتقاء باقي الكائنات الحية الاخرى! فما صَلُح لدراسة هذه الكائنات الحية لابد وان يصلح لدراسة الانسان! فمادام هو قد نشأ من مادة هذا الواقع، الذي تشاركه باقي الكائنات الحية في نشأتها منه، فلابد وان يكون بالامكان تفسيره ودراسته بدلالة مفردات هذا الواقع! فالظاهرة الانسانية وان تشابهت، في بعض مفرداتها، مع الظاهرة الحيوانية فانها تبقى ظاهرةً عصية على أية محاولة تنزع الى جعلها مفردة من مفردات الظاهرة الحيوانية! فالانسان وفق منظور الوثيقة العلمية هو حيوان راقٍ ليس إلاّ! الا ان هذا تبسيط للوقائع، ظواهراً وتجارباً، وإخلال بروح البحث العلمي النزيه التي يجب ان يُصار الى التحلّي بها على الدوام بعيداً عن أية ضغوط! ان الانتقائية، التي هي قدَر التفكير البشري، قد جعلت مِمّن قام بصياغة الوثيقة العلمية يستبعد كل ما لا يمكن تصنيفه ضمن القوالب التي حدّدها على انها كل ما يجب ان يتم قولبة مفردات الظاهرة الانسانية، بُغية تفسير هذه الظاهرة، داخلاً منها. وهكذا فقد تم استبعاد معظم مفردات الواقع الانساني بُغية تفسير الظاهرة الانسانية على أساسٍ من كونها لا تختلف عن الظاهرة الحيوانية التي علينا ان نؤمن بكونها الظاهرة الأعم والتي تتضمن الظاهرة الانسانية وجوباً! ولقد تفنّن منظّرو الوثيقة العلمية في استبعادهم هذا لما يُميِّز الانسان عن الحيوان انطلاقاً من الاقتصار التام على تلك المفردات من الواقع الانساني القابلة للتفسير بدلالة ما هو حيواني وصولاً الى تفسير الواضح من الاختلافات ما بين الانسان والحيوان بصورةٍ تُبعد الانظار والأذهان عن التدبّر في ما تعنيه هذه الفروقات الجوهرية والتي لا يمكن ان يتم التعليل الناجح لها على أساسٍ من كونها غير ذات أهمية! ان هذا الدوران من حول الانسان الحيوان، بتأكيده ان الحيواني بمقدوره تفسير كل ما هو انساني، لَيستند الى مُصادَرة، لا سبيل للبرهان عليها اطلاقاً، مَفادها ان نشوء الانسان والحيوان من نفس المادة يعني ان مسيرتي ارتقائهما لابد وان تكون واحدة! أي ان هذه المسيرة لم تشق لها درباً الا على أرض هذا الواقع وداخلاً من هذه الطبيعة. ولكنَّ هذا زعم باطل وذلك، على الأقل، بشهادة حضارة الانسان التي هي البرهان على عدم تَشابُه مسيرتَي ارتقاء كل من الانسان والحيوان طالما كان الحيوان متناغماً مع بيئته غير ثائر عليها! فالحيوان نشأ في ظل تفاهم مطلق مع بيئته وذلك على خلاف الانسان الذي تدل

حضارته على انه لم يتطور في انسجام وتفاهم مع بيئته. ان الحضارة هي الثورة على الواقع والتمرد على البيئة. والحضارات تتفاوت ما بينها بقدْر التفاوت في ثورة كل منها على الواقع؛ فكلما كانت الثورة على الواقع أعظم كانت الحضارة أعظم. لذلك نستطيع القول بأن أعظم حضارة شهدها التاريخ هي التي تمثل الثورة الأعظم على الواقع الانساني بمفرداته كلها جميعاً؛ وهذا يقودنا لامحالة الى اعتبار الحضارة الأمريكية المعاصرة هي الحضارة الانسانية الأعظم على مر التاريخ وذلك لأنها جاءت بأعظم ثورة للانسان على واقعه بحيث طالت هذه الثورة جميع تفاصيله صغيرها وكبيرها. والآن، هل كان الانسان لِيُبدع الحضارة فيثور على واقعه لو انه كان حقاً قد ارتقى، من بعد نشأته منه، وفق قوانين هذا الواقع كما نعرفه؟ ان الواقع لَيشهد بأن الانسان هو الكائن الوحيد الذي يخل بتوازن البيئة. فلماذا كانت علاقة الانسان ببيئته تتّسم بلاتوازنها اذا كان هو حقاً قد نشأ وارتقى في تطورٍ متناغم معها كما هو حال باقي الكائنات الحية التي لا تخرق توازن البيئة وذلك لتحقُّق ارتقائها في انسجام تام معها؟ فاذا كان الحيوان هو صنيعة البيئة، فهل يمكن القول بأن الإنسان هو أيضاً صنيعتها؟ لماذا تتصف علاقة جميع الكائنات الحية بالبيئة بأقصى درجات الانضباط بحيث انها لا تخل بالنظام البيئي في حين يتميز الانسان بأنه الكائن الوحيد الذي يشذ عن هذا الانضباط؟ ما السبب الذي أدى الى هذا التناقض؟ ان هذا كله يُبيِّن الأمر وبما لا يجعل مجالاً للشك بأن الانسان قد تطور في مسار مخالف لمسار تطور باقي الكائنات الحية وذلك بسببٍ من عدم انتمائه المطلق للطبيعة التي نشأ منها والواقع الذي ابتدأ منه رحلة تطوره ولم يتقيد بقوانينه لتسلُّط واقع آخر عليه! فهذا الواقع الآخر هو السبب في كون الانسان لا ينتمي بصورة مطلقة للواقع الذي تنتمي اليه بالكامل جميع الكائنات الحية. اننا مُلزَمون باستقدام هذا الواقع الآخر الذي تَشارك مع الواقع المألوف في صياغة الانسان كما نعرفه!

ان عدم تقيُّد الانسان بالواقع الحيواني الذي تقيدت به كل الكائنات الحية يستدعي منا ان نفكر في وجود هذا الواقع الآخر الذي، بتدخُّله في مسار تطور وارتقاء الانسان، أدى الى جعل الانسان على ما هو عليه ووصوله الى ما وصل اليه من هذا اللاانتماء للطبيعة. ان انتماء الانسان لواقعَين، وليس لواقع واحد

كما يدّعي منظرو الوثيقة العلمية، هو السبب في لاانتماء الانسان بصورة مطلقة للواقع الحيواني. ان الحضارة الانسانية هي الدليل على انتماء الانسان لواقعَين وليس لواقع واحد طالما عجزت نظرية الواقع الوحيد عن ان تُفسّر ظهور هذه الحضارة! ان مَن لم يكتَفِ بهذا الدليل على انتماء الانسان لواقعَين سوف يجد في الصفحات التالية ما يجعل من العسير عليه الاستمرار في النظر الى الانسان على انه نِتاج هذا الواقع كما نعرفه!

٢ ـ ٣ العقل البشري ظاهرة خارقة!

لماذا كان بامكان الانسان إبداع الحضارة؟ ما الذي جعل من الانسان كائناً حضارياً؟ لماذا كان من المستحيل على غيره من الكائنات الحية ان تُبدِع حضارةً؟ يجيبنا المفكّرون والعلماء بأن قدرة الانسان على خلق الحضارة تعود الى كونه يمتلك عقلاً. فالحضارة نِتاج العقل البشري الذي يمتاز على عقل أي كائن حي آخر بالمقدرة الفذة على الخلق والابتكار والتجديد وايجاد الحلول بسرعة فائقة. ولكن، اذا كانت الحضارة هي صنيعة العقل البشري واذا كان الحيوان، وأيُّ كائن حي آخر، عاجزاً عن خلق حضارة فهل يعني ذلك وجوب النظر الى كل هذه الكائنات الحية الاخرى على انها لا تملك عقلاً؟ ان اتّهام الكائنات الحية الاخرى (الحيوان مثلاً) بأنها كائنات غير عاقلة تدحضه حقيقةُ كونها تتميز بالمقدرة على إبداء ردود أفعال متوازنة ومنطقية تجاه المؤثرات الخارجية. ان الاعتقاد بعدم امتلاك الحيوان للعقل يُبطِله واقعُ كونه يحيا في صراع دائم من أجل البقاء مما يستدعي منه على الدوام القيام بعمليات عقلية بالغة الدقة فائقة التعقيد وذلك لضمان نجاحه في الاستمرار حياً في عالم تحكمه قوانين البقاء الصارمة التي جعلت من جميع مفردات هذا العالم تتناغم فيما بينها في تجانس مذهل وانضباط تام بكل ما من شأنه ان يكفل ابقاء التوازن البيئي قائماً مهما استجد من متغيرات بيئية كانت ستطيح بهذا التوازن الدقيق لولا رد الفعل العاقل الذي تتسم به هذه العمليات. الا ان ما يجعل الانسان متميزاً عن جميع الكائنات الحية الاخرى، على قدر تعلّق الأمر بالعقل، هو كون عقله هذا يمتاز بأنه عقل استثنائي خارق حر غير مقيد. فالعقل البشري هو ظاهرة باراسايكولوجية خارقة غير طبيعية! أما عقل الحيوان فهو عقل طبيعي يمتاز بلااستثنائيّته وبانتمائه

للطبيعة؛ فهو عقل غير شاذ بالمقارنة مع العقل البشري الذي لا يمكن وصفه الا بأنه عقل شاذ وغير طبيعي طالما كانت فعالياته لا تجري وفق المخطط الطبيعي الذي تتقيّد بالسير المُنضبط وفق برنامجه الصارم الفعالياتُ العقلية لجميع الكائنات الحية الاخرى. ان هذا الشذوذ العقلي المُميِّز للانسان كفيل بجعله، وحده، كائناً غير طبيعي: اي لا ينتمي للطبيعة! فبينما يمتاز عقل الحيوان بأنه مقيد بفعاليات لا يتجاوزها نجد ان العقل البشري لا يتقيد بأية فعاليات مشابهة أو مماثلة؛ فهو لا يقتصر في عمله على مجرد التكيف والتعامل مع مفردات البيئة التي يحيا فيها، كما هو شأن العقل عند الحيوان، بل يتجاوز هذا كله الى الحد الذي يتمكن معه الانسان من اختراق البيئة الطبيعية المفروضة عليه وصولاً الى الفضاء الخارجي! فعقل الحيوان هو وسيلته لتحقيق هدف وجوده من نجاح تام في التعايش مع البيئة، حسبما تقتضيه ضوابط الصراع من أجل البقاء، وتحقيق أقصى انتشار لمادته الحية لأطول مدة ممكنة وعلى أوسع مساحة بالامكان غزوها والقيام بواجبه تجاه النوع من تزاوج وتكثير (تكاثر) بُغية النجاح في حفظ النوع ونشره. اما عقل الانسان فهو عقل يتجاوز هذا كله طالما كانت فعالياته تتعدى بكثير مجرد كونها تهدف الى ما ترمي اليه الفعالياتُ العقلية الحيوانية من جعلها الحيوان يقوم تعامُلُه مع الطبيعة على أساسٍ من التناسق والتوافق والإتساق من بعد تحقيقه وقيامه بما يكفل له العيش والتعايش فيها وفق مقتضيات التوازن البيئي. ان الفعاليات العقلية البشرية، كما هو معلوم، لا تهدف الى جعل الانسان يقوم تعامله مع الطبيعة على الأساس الوارد ذكره هذا وبما يجعل منه كائناً منتمياً للطبيعة حريصاً على إدامة عجلة توازنها البيئي! فالعقل الانساني لا يهدف الى تحقيق ما من شأنه إدامة وجود الانسان داخل الطبيعة وفق قوانينها وذلك كما هو شأن العقل الحيواني الذي يُعين الحيوان على العمل وفق قوانين الطبيعة وبما يكفل له تعزيز انتمائه اليها. ان عقل الانسان لا يعمل انطلاقاً من خط شروع قائم على أساسٍ من ان الانسان عنصرٌ من عناصر الطبيعة يتوجب عليه الحرص على توازنها البيئي! فالنظام المُميِّز للطبيعة قد استقام على ركيزة لم تأخذ بنظر الاعتبار ان الانسان عنصرٌ من عناصرها الأساسية! فلو كان ذلك ليس كذلك لكانت علاقة الإنسان بالطبيعة على حال آخر لا سبيل لمقارنته بحالها البائس اليوم! ان اغفال الطبيعة هذا للدور الانساني (بل قل للوجود الانساني)

واضح بدلالة استقامة أمرها من دون ان يكون هناك داعٍ لوجود الانسان! فتجاهُل الطبيعة للوجود الانساني يبرهن عليه انعدام وجود أية فعاليات عقلية انسانية تأخذ بالحسبان قيام الانسان بدور مشابه للدور الذي تقوم به جميع الكائنات الحية الاخرى في خدمة مخططها العام! ان الطبيعة تتصرف كما لو انها لا تعترف بهذا الانسان عنصراً من عناصرها نشأ من مادتها وتطور وارتقى في ظل بيئتها وعلى أرض واقعها! والانسان، بدوره، يبرهن بعقله على انه لا ينتمي لهذه الطبيعة وانه دخيل عليها طالما لم يكن يُشكِّل عضواً من أعضائها يعمل في توافق وتناسق وانسجام مع باقي الأعضاء! هناك عقلان: عقل الطبيعة في وادٍ وعقل الانسان في وادا فالعقل الانساني له كيانه الخاص المستقل عن وجود الطبيعة، وعقل الطبيعة له وجوده الخاص الذي يعمل على أساسٍ من الاستبعاد التام والتجاهل المطلق للوجود الانساني! فلااكتراث الانسان بالطبيعة وقوانينها المُنظِّمة للتعايش الناجح لكائناتها في توازن بيئي مُعجِز يقابله عدم اكتراث بالانسان من جانب الطبيعة؛ اذ لم تُدخِله في حساباتها ولم تجعل منه مُفردة من مفردات مُخططها العام! ان الأمر لَيبدو كما لو ان الانسان قد نشأ بمعزلٍ عن الطبيعة بعيداً عنها غير مشارك لباقي الكائنات الحية فيما تقوم به من دور في خدمتها! ولكن، كيف يستقيم الأمر على هكذا أساس اذا كان الانسان قد نشأ من مادة هذه الطبيعة؟! كيف يتم استبعاده وحرمانه من أي دور يقوم به في خدمة النظام الطبيعي اذا كان هذا النظام هو ذاته قد قام بتأمين نشأته وظهوره من مادته؟! ان العقل الانساني عقل غير طبيعي؛ بمعنى انه لا يتقيد بتنفيذ أي دور في خدمة الطبيعة وبما يتوافق مع أهدافها التي تحرص باقي الكائنات الحية، كلها جميعاً، على حُسن خدمتها بالعقل قبل الجسد! اننا مُلزَمون، من بعد هذا كله، بالنظر الى الانسان على انه كائن، وان كان قد نشأ عن الطبيعة، غير طبيعي وان ابتعاده عن التطور والارتقاء في ظل الطبيعة التي نشأ من مادتها هو الذي أدى الى إبعاده عن المشاركة في خدمة مخططها وأهدافها. ولكن، لماذا ابتعد الانسان عن الطبيعة؟ ما الذي حدث في مسار تطوره وارتقائه فأدى به الى الانعزال عنها بالشكل الذي جعل منها تُقصيه وتستبعده؟ ان العقل الانساني بتميُّزه هذا عن عقل الطبيعة هو البرهان على هذه التحويلة التي حدثت في المسار الارتقائي للانسان فجعلت منه ينحى منحىً مختلفاً للغاية عن المسار الذي شقته الطبيعة في ارتقائها. ان التمايُز ما بين هذين

العقلين لا يمكن ان يكون قد حدث والانسان يتطور ارتقاءً داخلاً من النظام الذي شكلته الطبيعة وقيّدت به كل مفرداتها! فهذه التحويلة في مسار ارتقاء الانسان بعيداً عن الطبيعة هي التي جعلت منه بعيداً عن ان يكون عنصراً يهمُّه أمرها وتهتم لأمره! ان العقل البشري هو نقطة الاختلاف التي فصمت عُرى انتماء الانسان للطبيعة! فما الذي حدث لهذا العقل فأبعده عن الطبيعة مما أوجب عليها بالتالي أن تقوم باستبعاده؟ لماذا ارتقى العقل البشري بمنأى عن مسار الارتقاء العام للطبيعة بكائناتها؟ ما الذي استدعى ان يتم الحيود عن هذا المسار واللجوء الى التحويلة اياها؟ يُقال بأن الانسان كائن عاقل فهل ينطبق هذا الوصف عليه حقاً؟ ان الانسان ذو عقل خارق لا شَبَه بينه وبين أي عقل آخر في الطبيعة كما نعرفها. فاذا كانت أعضاء الانسان، وجسده بصورة عامة، تجد لها أشباهاً وأنداداً ونظائراً تُماثِلها في عالم الحيوان فلماذا لا نجد ما يناظر أو يشابه، حتى ولو من بعيد، هذا العقل الانساني عند غير البشر؟! عند إجراء المقارنة بين الانسان والحيوان وذلك بأن تُأخذ بنظر الاعتبار الوظائف التي تقوم بها أعضاء وأجهزة كل منهما يتضح لنا جلياً مقدار التشابه والتناظر اللذين يوجدان ما بين مُعظم وظائف الأعضاء والأجهزة الحيوانية ومثيلاتها البشرية؛ فَيَد الإنسان قد تكيفت للتعامل مع المحيط بمفرداته ذات العلاقة كما ان يد القرد تكيفت هي الأخرى لتساعده في التعامل مع بيئته بالقدْر الذي يؤهّله للنجاح في الصراع من أجل البقاء والانتشار. ونحن اذا ما نظرنا الى بطن الانسان فاننا سنراها لا تختلف اختلافاً جذرياً عن بطن أي حيوان آخر على قدْر تعلق الأمر بالاحساس بالجوع والشبع وميكانيكية الهضم والتمثيل... الى آخره. لقد تطورت حواس الحيوان لتكفل له النجاح في التفاهم المعلوماتي مع البيئة وكذا الحال مع الانسان الذي تكيفت حواسه لتضمن له المقدرة على تحقيق هذا الهدف. الا ان عقل الانسان يختلف عن عقل الحيوان ويتجاوزه بكثير. لماذا كان هذا الاختلاف وما السبب في هذا التجاوز؟ ان نجاح الانسان في العيش في عالم قانونه الاساس هو الصراع من أجل البقاء والانتشار لا يستدعي ان يكون علىً هذا القدْر الاستثنائي من العقل الخارق. لماذا اذاً تجاوزت قدرات العقل البشري حد تمكين الانسان من النجاح في عالم البقاء والانتشار؟ لماذا أصبح للإنسان عقل يفوق بكثير ما يحتاج اليه منه لتدبير أمر حياته اليومية؟ ان العقل

الانساني ذو طاقة وظيفية هائلة لا يحتاج اليها الانسان في تعامله مع بيئته فلماذا اذاً تطور هذا العقل الى هذه الدرجة من التعقيد الوظائفي؟ ان معظم أعضاء وأجهزة الجسم البشري تقوم بذات الوظائف التي كانت تقوم بها قبل آلاف السنين بينما يشذ العقل عن هذا الذي أجمعت على تقيّدها به معظمُ المفردات البايولوجية والفسيولوجية للإنسان. ان الحضارة التي أبدعها هذا العقل المُعجز ليست شرطاً أساسياً كيما يكون بمستطاع الإنسان العيش في عالم البقاء والانتشار، فلماذا اذاً كان بمقدور الانسان خلْق هذه الحضارة؟!

ان الحضارة لا يمكن ان تكون الأساس الذي لا استقامة لحياة الإنسان في هذا العالم الا بالاستناد بصورة مطلقة اليه؛ فكثير من القبائل البدائية والأقوام المتخلِّفة تعيش بدون حضارة بالمعنى الذي تكون فيه هذه منظومة من الإنجازات التي تتجاوز الواقع اليومي المُعاش. ان السؤال لابد وان يكرَّ علينا مُجدَّداً مُطالباً ايانا باجابة وافية لنعرف بها السبب الذي جعل بامكان العقل البشري إبداع الحضارة، على الرغم من عدم وجود أية حاجة مصيرية اليها، في حين ان عقل الحيوان عاجز تماماً عن تجاوز حدود التعامل الواقعي مع البيئة وبما يجعل من المستحيل عليه أن يُبدع حضارةً.

يبدو ان عقل الانسان فالتٌ من عقاله؛ فهو لا يتقيّد بحدود العقل الحيواني بل يتجاوزها ومن دون ان تكون هناك حاجة ماسّة لهكذا انفلات! فاذا كان عقل الانسان ناشئاً عن هذه البيئة منتمياً اليها تطوراً وارتقاءً فلماذا يتجاوز هذا العقل الطبيعي حدود التعايش معها؟! لماذا كان الانسان ثائراً على الطبيعة اذا كان قد نشأ من لاشيء سوى مادتها ولم يتطور الا في ظل قوانينها المُنظِّمة لمشروعه الارتقائي تطوراً من الأدنى تعقيداً الى فائق التعقيد؟!

ان في تجاوز العقل البشري حدود التعايش والتفاعل المباشر مع البيئة دليلاً على لاانتمائية الانسان الى هذه البيئة وعلى انه كائنٌ غير طبيعي؛ بمعنى انه لا ينتمي لهذه الطبيعة التي أصبح الانسان بعقله الخارق دخيلاً عليها. ان لاطبيعية الانسان (أي عدم انتمائه الى الطبيعة) حقيقة وواقع يثبتهما هذا التميُّز العقلي الفريد الذي جعل من الانسان كائناً حضارياً، أي غير طبيعي، طالما كانت الحضارة هي الثورة على البيئة والتمرد على قيودها وقوانينها. فلماذا اذاً أصبح

الإنسان، من بعد تحقُّق وثبوت نشأته من مادة تنتمي للطبيعة، كائناً لا ينتمي الى هذه البيئة؟ لماذا اصبح الإنسان ثائراً على الطبيعة متمرداً على قوانينها؟ لماذا أبدع الإنسان الحضارة التي لا يمكن ان تكون عنصراً من عناصر الطبيعة طالما كانت دخيلةً عليها مثله تماماً؟

ان كل هذا الإسهاب في الحديث عن العقل الخارق للإنسان والإستغراق في الدوران حوالَي محور الحضارة البشرية كنتاج حتمي لهذا العقل البشري الخارق لابد وان يقودنا التدبُّرُ في نتائجهما الى الإقرار بحقيقةٍ مفادها ان الإنسان، بايولوجياً وعلى قدْر تعلق الأمر بدماغه او بجزء من هذا الدماغ نطلق عليه اسم العقل، هو كائن غير طبيعي. غير ان هناك أمراً على قدْر عظيم من الأهمية يجب ان يتم تناوله والتطرق اليه على عجل قبل الإسترسال في ملاحقة وتبيان الحقيقة الإنسانية كما يُجلّيها على ما هي عليه حقاً الواقعُ البشري كما يستبين من خلال مفرداته التي تُميِّزه عن الواقع الحيواني المنتمي بصورة كاملة للطبيعة. وهذا الأمر الذي يجب ان لا يغيب عن البال، ونحن نؤسس لبحثنا عن الحقيقة الإنسانية بالإستناد الى ان الإنسان كائنٌ غير طبيعي، هو ان الإنسان وعلى الرغم من هذا التمايز ما بينه وبين باقي الكائنات الحية فانه يتماثل معها في كثير جداً من المفردات البايولوجية والفعاليات الوظائفية (الفسيولوجية). فالإنسان كائن طبيعي اذا كان هو لا أكثر من هذه المفردات وتلك الفعاليات المماثلة لما موجود، كأشباه لها ونظائر، عند غيره من الحيوانات او الكائنات الحية. وهو أيضاً كائن غير طبيعي وذلك اذا ما تم الأخذ بنظر الإعتبار تميزه العقلي الذي يجعل منه يختلف اختلافاً جذرياً عن جميع الكائنات الحية. ان هذا التميز هو غير طبيعي طالما كان ما هو مُلاحظ على كل ما هو طبيعي ان وجوده لا يخرق قوانين الطبيعة، بداهةً، ولا يتجاوز حدودها، فعالياتٍ، ويحافظ على علاقة متوازنة مع باقي المفردات المنتمية للطبيعة. والآن، اذا كان هذا الوصف كفيلاً بتحديد الملامح المميزة لما هو طبيعي فهل يمكن اعتبار عقل الإنسان طبيعياً؟ ان الإجابة بالتأكيد سوف لن تكون إلا نفياً قاطعاً. فلو كان الإنسان كائناً طبيعياً منتمياً للطبيعة لتوجب عليه أن يتقيد عقلُه بما يجعل منه لا يُنتج ما يخالف القانون الطبيعي الذي يُحتّم بأن يكون هناك على الدوام توازناً وتناسقاً وتناغماً في النظام البيئي الذي يُنظّم علاقة الكائن

الحي بباقي الكائنات الحية التي تشاركه في البيئة الواحدة المشتركة. الا ان الإنسان لم يتقيد بهذا القانون وشذّ عن تطبيق أوامره.

ولقد سبق وان توضح لنا جانب من هذا الشذوذ البشري الذي تبدّى في امتلاك الإنسان لعقل خارق فائق الذكاء لا يحتاج اليه على قدْر تعلُّق الأمر بنجاحه في الصراع من أجل البقاء والانتشار. ان مُعظم أعضاء وأجهزة وفعاليات ومفردات الجسم البشري بالإمكان تبيان الفائدة التي تحقّق للإنسان جنيها والحصول عليها بسببٍ من تطور وارتقاء هذه الأعضاء والأجهزة في ظل سلطة قوانين الصراع من أجل البقاء والانتشار. الا ان العقل البشري لم يصل بالتطور والإرتقاء الى هذا المبلغ من الدقة والتعقيد! فكيف تسنّى اذاً للإنسان الحصول، من غير وساطة التطور والإرتقاء، على هذا العقل الخارق الفائق؟

٢ ـ ٤ الظاهرة الانسانية ومفرداتها الخارقة!

قبل تحديد المفردات الرئيسية اللازمة لتشكيل نواة الإجابة الصحيحة على هذا السؤال وما سبقه من أسئلة ذات صلة بالموضوع ذاته فان من الضروري التطرّق بصورة مقتضبة الى بعضٍ آخر من المميزات التي جعلت من الإنسان كائناً غير طبيعي لا ينتمي للبيئة التي يشهد لها توازنُها، في ظل غياب الإنسان، على انه حقاً ليس بعنصرٍ من عناصرها. ان التدبّر في هذه الميزات سوف يُيَسّر للمرء ان يتقبل قَبولاً حَسناً التميز العقلي الذي يتمتع به الإنسان وان ينظر اليه كما ينبغي في نورٍ سوف يسطع شديداً متألّقاً من بعد إشراق هذه الميزات البشرية. ان أهم هذه الميزات الانسانية، من بعد ثبوت التميُّز العقلي للإنسان، هي:

١ ـ العدوانية المفرطة.

٢ ـ النشاط الجنسي غير المنضبط.

٣ ـ المناعة المُتدنية للجسم البشري تجاه الجراثيم والفايروسات.

٤ ـ الإعتلال النفسي الذي قد يصل أوجه في الجنون.

٥ ـ انعدام الغطاء الشعري للجسد الإنساني.

ان اجابةً صحيحة على السؤال المتعلّق بسبب تميُّز الإنسان بعقل خارق فائق الذكاء لا يمكن ان تأتي بصورة مستقلة عن اجابات صحيحة تتعلّق بما ورد أعلاه من ميزات انسانية تجعل من الإنسان بحق كائناً غير طبيعي مخالفاً لسُنَن

الطبيعة ونظامها البيئي المتوازن. ان أهم ما يميز هذه الميِّزات الإنسانية هو كونها تُشابِه ميزة العقل البشري الخارق في كون المنطلق الذي تشعبت عنه تأثيراتُها هو الدماغ البشري الذي لا يُشكِّل العقل الإنساني غير جزء يسير منه!

لقد تبين لدينا، وبما لا يقبل الشك، ان الإنسان، بسببٍ من عقله الخارق ذي الذكاء الفائق، لا يمكن اعتباره كائناً طبيعياً ينتمي الى الطبيعة التي قيّدت كل مَن انتمى اليها من الكائنات الحية الاخرى بعقلٍ محدود لا تستطيع ان تتجاوز حدوده المفروضة عليها فرضاً حتمته وأوجبته ملايينُ السنين من مسيرة التطور والارتقاء في صراع هذه الكائنات من أجل البقاء والانتشار؛ ذلك الصراع الذي لم تكن هناك من ضرورة تستدعي جعل العقل، الذي زودت به الطبيعة هذه الكائنات الحية الاخرى، بلا حدود وذلك من أجل النجاح في خوضه والانتصار فيه طالما كان الثابت الوحيد الذي كان على جميع الكائنات الطبيعية هذه ان تحافظ جهدها عليه هو التوازن البيئي الذي يضمن عدم الإخلال بالمُخطط العام إفساداً وطغياناً وعدواناً. ولقد جُعِلت هذه الكائنات مُقيَّدةً بكل ما من شأنه أن يكفل لها النجاح في تحقيق هذا التوازن البيئي الدقيق الصارم وذلك عبر تحديد وتحجيم تلك الفعاليات التي يدخل فيها الكائن الحي طرفاً مع أفراد آخرين من أبناء نوعه أو من أفراد الأنواع الاخرى. هذا ولقد تم جعل الكائن الحي المنتمي للطبيعة على أعلى قدْر ممكن من المقدرة على تحقيق رسالته، كفرد ينتمي لنوع، في انجاز أقصى انتشار لمادته الحية ولأطول مدة ممكنة وعلى أوسع مساحة بالامكان شَغْلها وذلك بوساطةٍ مما تم إِدخاله من تحسينات على نظام المناعة لديه وبصورة جعلت منه عصياً على السقوط فريسةً سهلة بأيدي الكائنات الحية المجهرية التي جُعِل حظُّها منه لا يتجاوز مشاركته، تطفلاً غير مؤذٍ، الحياة في جسده أو قيامها باتلاف هذا الجسد من بعد مفارقته الحياة بالموت وذلك لضمان تحلّله وعودته تراباً كالذي نشأ أصلاً عنه! فلقد كفلت الطبيعة للحيوان ان يبقى محافظاً على استقراره الحيوي وذلك على الرغم من حياته مُحاطاً ومُختَرَقاً بأصناف لا تُعَد ولا تُحصى من الكائنات المجهرية وأنواع الحياة المختلفة الاخرى؛ حيث قامت الطبيعة بجعل نظام المناعة الحيواني نظاماً بالغ الدقة فائق التعقيد وذلك لضمان عدم وقوع الحيوان فريسة سهلة بأيدي الكائنات المجهرية.

كما زودت أنواع الحيوان المختلفة بكل ما من شأنه أن يكفل لها النجاح بشرف في ملحمة الصراع من أجل البقاء والانتشار وذلك من دون تفضيل لأحد على احد. ان المرض في الطبيعة حدث نادر وليس ظاهرة طبيعية تحدث على الدوام. فالطبيعة لا تعرف شيئاً اسمه المرض! ان عالم الطبيعة هو عالم الصحة المثالية حيث لا مرض ولا مرضى. ولقد تم ضمان محافظة الكائن الحي على ما يؤمِّن له تفادي كثير من التغيُّرات البيئية غير الملائمة وذلك عبر تقنيات معقدة كالغطاء الشعري الكثيف الذي قُصِد منه تحقيق عزل حراري مناسب يُتيح للكائن الحي، ذي الشعر الكثيف هذا، المحافظة على درجة حرارة جسمه ثابتةً على الرغم من أي تغيير يطرأ على حرارة المحيط ارتفاعاً وانخفاضاً. لقد أخذت الطبيعة بنظر الاعتبار جميع الكائنات الحية التي نشأت عن مادتها وتطورت وارتقت في ظل قوانينها وذلك في إطار صياغتها لبنود وفقرات الضوابط التي كفلت تحقيق التوازن البيئي ما بين جميع هذه الكائنات بحيث لا يطغى أحد على أحد ولا يكون هناك منتصر ومهزوم! فلم تكن الطبيعة لتنحاز الى جانب هذا الكائن أو ذاك على حساب هذا أو ذاك من الكائنات الحية الاخرى. فلقد تم ضمان ما يكفل لها كلها جميعاً بلا استثناء تحقيق أهدافها ضمن المخطط العام الذي هو عبارة عن مُجمل ما يجب تحقيقه من أهداف تأخذ بالحسبان المصلحة الكلية للطبيعة عوضاً عن المصلحة الفردية لفرد ما أو لنوع ما! ان استقرار الكائن الحي على أفضل حال بالامكان الوصول اليه وتحقيقه والمحافظة عليه هدفٌ حرصت الطبيعة على ضمان نجاحها في انجازه بأي ثمن كان. لقد تميزت العلاقة ما بين كل فرد من أفراد أي من أنواع الكائنات الحية المنتمية للطبيعة والأفراد الآخرين بأنها قائمة على أساس من وجوب سعي الفرد لتحقيق الهدف المُطالَب بتحقيقه وذلك من دون الإخلال بالشرط الأساس وهو ان لا يكون تحقيقه لهدفه هذا على حساب عدم تحقيق الآخرين أهدافهم! لنأخذ العدوان مثلاً؛ أرادت الطبيعة بالعدوان Aggression ضمان تحقيق أفراد النوع هدفاً حرصت على ان لا يغيب عن ناظريها؛ حيث استُعمِلت تقنية العدوان المُنظَّم المتزن الهادف في تحقيق الفرد للواجب المُلقى على عاتقه تجاه نوعه. فلقد تم اللجوء الى هذه التقنية وذلك للحيلولة دون تكدُّس أفراد النوع الواحد داخلاً من حدود مساحة بامكانهم شغلها بأقل عدد ممكن. فالمساحة من البيئة التي يجب على جميع أفراد

الكائنات الحية ان يقوموا بشغلها تم تحديدها حسبما تقضي بذلك ظروفُ الحياة في ظل قانون الطبيعة القاضي بأن يُصار الى تكثير أفراد النوع الواحد، عبر تقنية التكثير (التكاثر)، على أكبر مساحة ممكنة! ان الانضباط هو السمة السائدة في عالم الكائنات الحية! فلم تكن الكائنات الحية لتُترك على حالها بمعزل ومنأى عن تدخُّل الطبيعة لتنظيم امور تكثير (تكاثر) أفرادها وانتشارهم من ثَم على أكبر مساحة ممكنة. فكما لم يُترك الكائن الحي من دون توجيهِ القصدُ من ورائه إِشراكُه في عملية تكثير أفراد نوعه وذلك عبر إِشتراكه مع فرد آخر من أفراد الجنس الآخر لنوعه في تقنية الجنس فكذلك لم يُترك أمرُ ازدياد أعداد أفراد نوعه هكذا وبلا ضوابط تحد من تواجد هؤلاء الأفراد، دونما قيد، على مساحة محدودة. فكان ان تم اللجوء الى تقنية العدوان لتحقيق انتشار هذا العدد الكبير من أفراد النوع الواحد على أكبر مساحة أرض ممكنة! اذاً فالطبيعة تُعنى بتكثير أفراد النوع وضمان انتشارهم وعدم تكدُّسهم في مساحة ضيقة محدودة؛ وهي من أجل ذلك قد لجأت الى تقنية التكثير (الجنس) وتقنية العدوان. ان العدوان في الطبيعة لم يُقصد به ان يكون اعتداءً من دون سبب وبلا مبرر يُسوِّغ له! فلقد أثبتت الدراسات الايثولوجية القائمة على أساسٍ من مراقبة الحيوانات في بيئتها ان أفراد النوع الواحد لا يلجأون الى العدوان على بعضهم البعض الا اذا ما تجاوز بعض الأفراد الحدود الإقليمية التي تُشكِّل مناطق النفوذ والانتشار؛ هذه المناطق التي يجب ان يتم احترامها وعدم المَساس بحُرمتها وذلك ضماناً لانتشار الأفراد بعيداً وعدم تكدُّسهم في بقعة ضيقة وهم بامكانهم ان يشغلوا مساحات اخرى. ولقد عززت الأبحاث التجريبية ـ الإختبارية نتائج هذه الدراسات اذ بينت ان الحيوانات لا تنحو منحىً عدائياً تجاه أفراد نوعها الا لغرض تحقيق غايات تسهم بالمحصلة النهائية في خدمة النوع. يبقى ان نؤكِّد هنا على ان العدوان المقصود هذا لا علاقة له البتة بما نفهمه نحن البشر من كلمة كهذه! فأفراد النوع الحيواني الواحد اذ يتقاتلون ما بينهم، لسببٍ ذي علاقة بدفع هؤلاء الأفراد الى عدم التكدّس داخل مناطق النفوذ وذلك بُغية جعلهم ينتشرون على أوسع رقعة من الأرض بالامكان غزوها، لا يقتل واحدهم الآخر وذلك على الرغم من كون الأسلحة التي يتقاتلون بها هي أنياب حادة ومخالب قوية هي عدّتهم التي تضمن لهم الفتك بفرائسهم (هذا اذا ما نحن تدبّرنا في النزاعات التي تحدث بين الضواري كالأسود مثلاً)! ان عدم تمخُّض هذا

السلوك العدائي، كما تعكسه هذه المشاحنات والنزاعات بين أفراد النوع الواحد، عن سقوط قتلى أو خروج المهزوم جريحاً بجرح قاتل أو معوّقاً يعني الشيء الكثير. اذ يُبيّن هذا النُبل في القتال ان المقصد من ورائه لا يمكن ان يكون تنفيساً عن غضبٍ دفين أو تعبيراً عن حقدٍ كامن أو إظهاراً لرغبةٍ مكبوتة في التسلُّط والهيمنة كما هو الحال في عالمنا الإنساني المتحضِّر! ان العدوان في الطبيعة فعالية لافردية تُشابِه فعالية التكثير (التكاثر) في كونها تحدث بين فردين. فلا وجود لعدوان من قِبل فرد على أفراد نوعه بل هو نزاع الهدف من ورائه هو الانتصار للنوع وليس للفرد ذاته! لقد لجأت الطبيعة الى تقنية العدوان وذلك لضمان بث أفراد النوع الواحد على أوسع مساحة ممكنة ولتمكين الحيوان من الحصول على غذائه اصطياداً من غير اسرافٍ في القتل! فالقتل في عالم الحيوان لا يمكن ان يُعتبر شكلاً متطرفاً من أشكال العدوان طالما لم يكن هذا القتل قتلاً من أجل القتل! فالقتل في عالم الحيوان لا يتجلّى الا بصورة واحدة هي قتل الحيوان فريسته قُبيل التهامه لها! ان القتل للمتعة او بدافع الثأر أو الغضب أو الحقد أو القتل لأجل القتل، كما هو واقع الأمر عندنا في عالم الإنسان، لا وجود له في عالم الحيوان! ان القتل (الصيد) في عالم الحيوان هو عبارة عن فعالية حكيمة يُشرف على ضمان تحديدها وتقييدها بقيود صارمة نظامٌ دقيق لا سبيل لتَفادي العمل بموجبه من قِبَل الحيوان في عالم يحكمه الصراع من أجل البقاء والانتشار. ان هذا النظام الدقيق كفيل بتحقيق التوازن البيئي فيما بين كافة الأنواع في عالم الحيوان؛ فلا طغيان لنوع على آخر بل سيادة للكل وفق مقتضيات المخطط العام. فلو لم يكن القتل في عالم الحيوان فعالية دقيقة، كالجنس والعدوان وباقي الفعاليات التي تحدث بين اثنين على الأقل، لما تحقق هذا التوازن البيئي الرائع في الطبيعة ولاختفت معظم أنواع الحيوان ان لم ينقرض كل ما هو حي أصلاً! ان القتل في عالم الحيوان بعيد عن ان يكون سفكاً للدماء طالما لم يكن المقصد منه غير دفع عجلة الحياة الى أمام في عالم يسوده نظام بيئي دقيق للغاية. فالعدوان في الطبيعة يُشابِه الجنس فيها في كونه يتبع برنامجاً نوعياً لا قدرة لأفراد النوع الواحد على تَفادي سطوته عليهم؛ تلك السطوة التي تُلزِمهم بوجوب التقيُّد بتنفيذ مفرداته الهادفة الى خدمة النوع بالنتيجة. فالجنس في عالم الحيوان لا يتم اللجوء اليه سعياً من أجل الحصول على لذة أو متعة أو بُغية الوصول الى النشوة! فالجنس في الطبيعة لا

يستهدف الفرد بل النوع؛ فهو لا يهدف الى ارضاء الفرد جنسياً طالما لم يكن المقصود بالجنس في الطبيعة الا فعاليةً تضمن تحقيق تكثير (تكاثر) أفراد النوع الواحد. ان أفراد النوع الواحد اذ يلجأون الى القيام بفعالية الجنس فانهم لا يسعون وراء اللذة المُصاحِبة لهذا العمل طالما كان الدافع وراء قيامهم به هو تنفيذهم لما تمّت برمجتهم به من وجوب تَشارُكهم في هذه الفعالية وذلك من غير أسبابٍ موجِبة ذاتية تُسوِّغ لأيِّهم فعل ذلك! والجنس عند الحيوان، بعدُ، مُحدَّد بفصلٍ أو موسم أو وقت للتزاوج لا يتعداه؛ فهو لا يمتد على مدار السنة بكامل أيامها ولياليها كما هو الحال عندنا معشر البشر! وهذا أمر واضح للغاية؛ اذ طالما كان الغرض من وراء الجنس في عالم الحيوان هو التكثير فان تحقُّق التزاوج والإخصاب والحمل والولادة يجعل من الضروري ان لا يُصار الى تمديد مدة عمل هذا البرنامج الجنسي طالما لم يكن هناك من طائل من ورائه. ان الجنس عند الحيوان هو لا أكثر من فعالية يتم من خلالها ضمان استمرار النوع وتكثير أفراده.

٢ ـ ٥ الظاهرة الانسانية الخارقة والماضي الانساني!

ان استذكار أهم الميزات الانسانية التي ورد ذكرها آنفاً والنظر اليها على ضوءٍ مما يقابل هذه الميزات في عالم الحيوان كفيلان بجعلنا نرى الواقع الانساني على حقيقته التي لابد من الإعتراف بأنها الحقيقة البشرية التي نواظب على الهرب من مواجهتها! فالإنسان يمتاز على الحيوان لا بعقله الخارق ذي الذكاء الفائق فحسب ولكن بعدوانيته المفرطة التي طوّعت له قتل أخيه الانسان على مر التاريخ ومنذ أقدم العصور. ان هذه العدوانية المفرطة تُشابِه العقل الخارق للإنسان وذلك لأنها مثله لا تعرف حدوداً تقف عندها ولا فائدة مصيرية هناك من وجودها بامكان النوع الانساني الإفادة منها. فالعدوانية البشرية تختلف عن العدوان في عالم الحيوان وذلك لأنها لا دور لها تؤديه في خدمة النوع وبما يكفل له تحقيق أقصى انتشار ممكن لأفراده كما هو الحال في عالم الحيوان. ان الإنسان كائن قاتل يقتل لمجرد القتل، بينما يتحدد الحيوان بالقتل المُسبَّب الهادف؛ اذ يقتل الحيوان صيده وفريسته لأن في ذلك حياته. والانسان، بعدُ، هو الكائن الوحيد الذي يقتل أفراد نوعه ولأتفه الأسباب! فالعدوانية البشرية اذاً لا يوجد ما يُشابِهها عند الحيوان وهي تفتقر الى الأساس التطوري ـ الإرتقائي

الذي يجب ان يتوفّر ليتم التعليل لظهورها. ثم انها ليس لها من دور تؤديه يشابه الدور الذي تقوم به العدوانية الحيوانية في تنظيم انتشار أفراد النوع. ان العدوانية البشرية المفرطة لم تنشأ نتيجةً للمسار الإرتقائي الذي شقَّهُ الإنسان بتطوره البايولوجي؛ وهذه حقيقة واقعة تثبتها استحالةُ النجاح في الإتيان بما من شأنه ايضاح الدور الذي تطورت هذه العدوانية للقيام به. ان استبدال العدوانية الحيوانية المنضبطة بعدوانية منفرطة لابد وان يكون قد سببه ما استدعى ذلك. لذلك فاذا لم يكن السبب في هذا الاستبدال عائداً الى رحلة التطور الارتقائي للإنسان فاننا مُطالَبون بالتعليل لوجود هذه العدوانية غير الطبيعية التي لا يمكن ان يكون لها، على الإطلاق، أي دور تؤديه خدمةً للإنسان؛ فرداً ونوعاً! لماذا أصبح الإنسان كائناً عدوانياً بهذه الصورة البشعة التي لا مثيل لها عند غيره من الكائنات الحية؟ ان العدوانية البشرية المفرطة لم تنشأ نشأة طبيعية كرد فعل على مُقابل واقعي موجود في البيئة التي كان يحيا فيها أسلاف الإنسان الأواخر الذين انحدر عنهم الجنس البشري تطوراً وارتقاءً. فلا يمكن اطلاقاً تخيُّل هكذا مقابل في واقع طبيعي تسوده أحكام الطبيعة وقوانينها الضابطة للتوازن البيئي الدقيق ما بين مفرداتها. ان العدوانية البشرية، شأنها شأن عقل الإنسان، لا علاقة لها بالواقع الذي كان يعيشه الإنسان القديم! فالانسان لا يحتاج عقلاً خارقاً كهذا العقل البشري ذي الذكاء الفائق كيما يكون بمقدوره البقاء على قيد الحياة في عالم البقاء والانتشار! كما ان الانسان ليس بحاجة لأن يكون عدوانياً بهذا الشكل المُميِّز للنوع الانساني قاطبةً وذلك ليكون بوسعه الانتصار على اعدائه! فلماذا اذاً نُشِّأت هذه العدوانية غير المنضبطة؟ ولكن، ماذا بخصوص النشاط الجنسي للإنسان والذي يبدو انه لا يقل، هو الآخر، عن عقله الخارق وعدوانيّته المفرطة انفراطاً وانفلاتاً؟ ان المُلاحظ على الانسان انه ذو نشاط جنسي لا شبيه له بتاتاً؛ فهو لا يتقيد بموسم خاص للتزاوج بل، وعلى العكس من ذلك، فهو على استعداد دائم على مدار أيام السنة للقيام بفعالياته الجنسية التي يختلف بها عن فعاليات الحيوان التزاوجية وذلك لأنه، وعلى خلاف ما هو ثابت ومُلاحظ في عالم الحيوان، لا يتحدد بغرض انجاب أفراد جُدُد لتكثير النوع وذلك عند قيامه بهذه الفعاليات التي أصبحت عند الإنسان هدفاً قائماً بذاته وليست وسيلةً لحفظ وتكثير النوع فحسب كما هو الحال عند باقي الحيوانات! ان هذه الجنسية

المفرطة للإنسان تشابه عدوانيته غير المنضبطة؛ فلقد تحول الانسان الى كائن عدواني يقتل لمجرد القتل بدلاً من أن يقتل ضرورةً وذلك دفاعاً عن حياته كما انه أصبح كائناً جنسياً شبقاً لا يرضى بأن يكون نشاطه الجنسي مقتصراً على مجرد انجاب الأطفال! والسؤال الآن هو، لماذا تطور الانسان حتى أصبح على هذه الدرجة من الفعالية الجنسية؟ ما الدور الذي كان على هذه الفعالية ان تؤديه خدمةً للنوع الانساني حتى يُبرر لها خرقها للقانون الطبيعي القاضي بوجوب ان يتم حصر النشاط الجنسي للكائنات الحية حتماً داخلاً من قالب الإنجاب؟ ان النشاط الجنسي الانساني الخارق لم ينشأ نتيجة التطور والارتقاء؛ اذ يستحيل ايراد سبب مُقنع للتعليل الناجح لهذا النشاط غير الطبيعي الذي ليس هناك من دور مصيري يؤديه خدمةً للنوع! فلماذا اذاً أصبح الانسان يبحث عن الجنس لمجرد الجنس؟ واذا لم يكن النشاط الجنسي غير الطبيعي للإنسان قد نشأ تطوراً وارتقاءً فلِمَ وكيف نشأ اذاً؟ ان الانسان وبسببٍ من نشاطه الجنسي الفائق هذا لا يمكن ان يكون كائناً طبيعياً منتمياً للطبيعة التي حدّدت النشاط الجنسي لكافة كائناتها فجعلته محصوراً بهدف وحيد هو حفظ النوع وتكثير أفراده. ان العقل الانساني الخارق بذكائه الفائق والعدوانية البشرية المفرطة والنشاط الجنسي الانساني غير الطبيعي ظواهر تشترك بميزة كون كلٍّ منها يُعتبر بالمقارنة بالظاهرة الحيوانية المقابلة لها تضخّماً غير سوي في الفعالية المُكوِّنة للظاهرة الحيوانية المُقارَنة! ان الحيوان ذو عقل محدود وعدوانية منضبطة ونشاط جنسي مُقيَّد، والانسان قد تضخَّم عنده العقل حتى أضحى عقلاً خارقاً وتضخمت عدوانيته حتى انفرط عقدها وأصبحت غير هادفة وتضخم نشاطه الجنسي حتى جعل منه كائناً جنسياً خارقاً لا يحد فعالياته الجنسية حد! وهذه الظواهر الانسانية غير الطبيعية (الخارقة) تشترك، بعدُ، بميِّزة اخرى هي ان كلاً منها قد تشكل بعيداً عن الاسباب التطورية ـ الارتقائية التي شكلت البايولوجيا البشرية وانها لذلك لا تملك ان يكون لها اي دور في خدمة الانسان؛ فرداً ونوعاً. الا ان هذا التضخم في فعاليات الانسان ذات الصلة بعلاقاته التشاركية ببيئته قد رافقه انحسار وتراجع في صفات اخرى، هي الاخرى، لا سبب تطورياً ـ ارتقائياً بمقدوره ان يعلل لهذا التدنّي الذي أصابها من دون ان تكون هناك حاجة مصيرية لذلك. من هذه الصفات: نظام المناعة البشري والغطاء الشعري للإنسان. ان التدنّي في النظام

المناعي البشري أدى الى جعل الجسم الانساني عرضةً لهجوم أنواع لا حصر لها من الكائنات المجهرية وفائقة المجهرية من جراثيم ومايكروبات وفايروسات مما أدى به الى الوقوع فريسةً لأمراض ليس باليسير احصاؤها. ان المرض حدث عارض في الطبيعة وليس ظاهرة أصلية فيها كما هو حال المرض في الانسان الذي لا يمكن ان يحيا بمعزل عن ان يكون في صراع محسوم سلفاً بنسبة تفوق الـ ٧٠٪ لصالح المرض! ان السبب في انتشار الأمراض في النوع الانساني بنسبةٍ تفوق نسبة انتشارها في باقي الأنواع يعود الى هذا النقص في النظام المناعي للإنسان مقارنةً بالنظام المناعي المتفوّق للكائنات الحية غير البشرية. لقد طورت هذه الكائنات نظاماً مناعياً فائق التعقيد كفل لها ان تحيا مُحاطةً ومُختَرَقةً من قِبَل أعداد هائلة جداً من أنواع لا حصر لها من الكائنات المجهرية وفائقة المجهرية. والعجيب ان الإنسان وبالرغم من تطوره الكبير لم يستطع المحافظة على نظام المناعة المتفوق لديه فانحدر الى وضع تفوقت فيه عليه كل الكائنات الحية الاخرى التي لا تُصيبها الأمراض كما تصيبه. ونحن اذا ما قارنّا أمراض الإنسان بأمراض جميع الكائنات الحية الأخرى مجتمعةً فان الإنسان سيتفوق عليها بأمراضه تفوّقاً لا سبيل لفهمه على الإطلاق في ضوء المتوفر من المعارف البايولوجية! فلماذا أصبح الإنسان، وهو الأكثر رقياً وتعقيداً في عالم الكائنات الحية، ذا نظام مناعة على هذا القدر من الضعف والسوء والتدني؟ ما الذي حدث وأدى الى انحدار الإنسان وتردي نظامه المناعي؟ ان الطبيعة لا تعرف المرض كما يعرفه الإنسان الذي أصبح المرض مفردة أساسية في حياته عليه ان يحيا معها فيتعايش مع ما يلزم عن كونه على هذه الدرجة من العوَز المناعي في عالم من الأعداء غير المرئيين بعينه المجردة! لقد اَدخل الانسانُ المرض الى الطبيعة وهذا ليس تحاملاً عليه بل هي الحقيقة التي يبرهن عليها التدبّرُ في أمراض الحيوان الذي دجّنه الانسان والحيوان الحُر كما يحيا في بيئته الطبيعية بعيداً عن الإنسان: الغابة. ان أمراض الحيوانات التي تم استئناسها كالدواجن والمواشي قد نشأت بسببٍ من ظروف الحياة غير الطبيعية التي اَجبر الانسان هذه الحيوانات على ان تحياها بعيداً عن بيئتها الطبيعية في بيئة اصطناعية قسرها عليها قسراً. ان الأوبئة الحيوانية قد نشأت في الزرائب وحقول تربية المواشي والدواجن والأسماك وذلك لأن هذه البيئات الاصطناعية غير الطبيعية قد جعلت

من الحيوانات التي دجّنها الإنسان تحيا وفق قوانين مخالفة لما تمّت برمجتها عليه مما أدى الى الإضرار بنظامها المناعي الى الحد الذي جعل منها تسقط فريسةً للجراثيم والمايكروبات. ان حيوان الغابة بعيد عن الإنسان وعن ظروف بيئاته الاصطناعية وهو لهذا يظل محافظاً على نظامه المناعي في ظل حياته في الطبيعة بصورة طبيعية وفي ظل قوانينها. لذلك فان الحيوان في الغابة لا يمرض! كما ان الآفات الزراعية لم تظهر الا بظهور الانسان الذي جعل من النباتات ذات القيمة الغذائية له تحيا في بيئة اصطناعية غير طبيعية وذلك عندما شرع في تكديسها في مساحات شاسعة بزرعها في حقول جعلت من نظامها المناعي يضعف، وهو لمّا يُخلَق لمواجهة هكذا تحديات، مما أدى بها بالنتيجة الى السقوط في هاوية المرض. الا ان الانسان يبقى متميزاً على باقي الكائنات الحية بكون نظامه المناعي متدنياً للغاية وبكونه بالتالي أكثر الكائنات الحية أسقاماً وعللاً وأمراضاً! ويبقى السؤال لماذا تدنّى النظام المناعي للإنسان الى هذه الحالة الكارثية على الرغم من كونه أكثر الكائنات الحية تطوراً وارتقاءً؟ ان أمراض الإنسان لم تقتصر على بدنه بل تعدته الى جزء من بدنه هذا ليس باليسير رؤيته. فلقد أصابت عقل الانسان أمراض جعلت منه الكائن الوحيد الذي يعاني من علل ليس سببها نقص في نظام المناعة وهجوم مقابل من جانب الجراثيم والفايروسات! والعلل هذه هي ما اصطُلح على تسميتها بالأمراض النفسية؛ تلك الأمراض التي تمثل العدوانية البشرية المفرطة واحدة من أهمها! ان ما يجب علينا ان نتذكره على الدوام بخصوص هذه الأمراض النفسية هو انها ليست بأمراض تشابه أمراض الجسد البشري على قُدر تعلق الأمر بأسباب حدوثها! فالأمراض الجسمية تحدث نتيجةً لنجاح الكائنات المجهرية وفائقة المجهرية في التغلب على النظام المناعي لجسم الإنسان وذلك عند انحداره الى أقل من المستوى المتدنّي الاعتيادي المميز للنوع الانساني قاطبةً. اما الأمراض النفسية فان حدوثها لا علاقة له بأسباب حدوث الأمراض الجسمية؛ فهي تحدث نتيجة خلل بايوالكتروني في بايوكيمياء الدماغ. وهذا الخلل في عمل المنظومة العقلية البشرية يرجع أساساً الى كون هذه المنظومة حساسة للغاية تجاه المؤثرات، وراثية كانت أم مُكتسبَة، التي لم تُخلق مادة الدماغ للتعامل بنجاح معها. ان الأمراض النفسية مصطلح غير دقيق وذلك لأنه يوحي بأن السبب في نشوئها

مشابه لأسباب حدوث الأمراض الجسمية. لذلك فان مصطلح الاضطرابات النفسية Psychological disorders هو الأنسب للتعبير عن جوهر هذا الفرق بين طبيعة أمراض الجسد وأمراض النفس. ان مادة الدماغ البشري لا تختلف عن مادة الدماغ الحيواني بمجرد كونها الأكثر تعقيداً وذكاءً. ان جسم الحيوان يتفوّق على الجسم الانساني، الذي يفوقه تعقيداً بسببٍ من التفوّق التطوري والسمو الإرتقائي للمادة البشرية، بكونه أصلح منه للحياة في الطبيعة؛ حيث يستطيع الحيوان تحمُّل الإختلاف في درجات الحرارة بينما يعجز الإنسان عن ذلك الا بشق الأنفس. والحيوان، بعدُ وكما سبق بيانه وتفصيله، ذو نظام مناعي متفوق بالمقارنة مع الإنسان ذي نظام المناعة المتدنّي؛ هذا النظام الذي سبَّب له مشاكلاً صحية بالغة التعقيد. ان هذا التفوق الحيواني لم يقتصر على المادة الجسمية فحسب بل تعداه الى المادة الدماغية أيضاً. ان المادة الدماغية البشرية تتفوق على مادة دماغ الحيوان تعقيداً ورقياً وذكاءً، الا انها أدنى منها على قدْر تعلّق الأمر باستقرارها الوظائفي! فمادة دماغ الإنسان أدنى استقراراً بكثير من المادة الدماغية الحيوانية. وهذا ليس بالشيء الجديد فلقد سبق وان وجدنا ان الحيوان يتفوق جسدُه تكيُّفاً بيئياً ونظاماً مناعياً على الجسم الانساني! ان الإنسان، جسماً ودماغاً، أدنى استقراراً من الحيوان. وهذا الاستقرار المُتدنّي هو السبب في كونه الأكثر أمراضاً جسمية واضطراباتٍ نفسية! ان مادة الدماغ البشري، بلااستقرارها هذا، تشكِّل بيئة خصبة لنمو وترعرع الاضطرابات الدماغية التي تنتج عنها بالتالي أنواع عديدة من الاختلالات العقلية والعلل النفسية. ان كون الإنسان كائناً غير مستقر دماغياً برهانٌ ساطع على لاطبيعيته! ان الإنتماء للطبيعة، نشوءاً وتطوراً وارتقاءً، يُحتِّم على الكائن الحي ان يتمتع باستقرار بايولوجي عالٍ. فالانسان لا يمكن ان يكون منتمياً للطبيعة، بهذا المعنى، طالما لم يكن كائناً مستقراً كما يبرهن على لااستقراريته هذه نظامُه المناعي الجسمي المتدني وسوءُ تكيُّفه البيئي وكونُ مادة دماغه على هذه الدرجة من الهشاشة بحيث يسهل على منظوماتها البايوالكترونية ان تخرج على القانون العقلي بكل يُسر وسهولة! ان مادة دماغ الإنسان لم تتطور في ظل الطبيعة حتى تصل الى رُقي متكيف معها وبما يجعل منها بمنأى عن ان تكون عُرضة للإضطرابات والاختلالات الوظائفية! ان هذه المادة، بلااستقرارها العالي هذا، تجعل من احتمال إصابة أي فرد من أفراد

الجنس البشري باضطرابات في وظائف المنظومات البايوالكترونية المكوِّنة للعقل البشري مُرجحاً وقائماً على الدوام! لقد ورث الإنسان عن أسلافه الأواخر اضافةً الى العدوانية المفرطة استعداداً دائماً للإصابة بهكذا اضطرابات قد تكون نتيجتها تحوُّله من انسان سَوي، حسب المعايير المعمول بها في علم النفس المرَضي، الى انسان منحرف عن الخط العام المميز للغالبية من أبناء النوع الإنساني!

ان الجنس البشري قاطبةً، بسببٍ من مادة دماغه ذات الإستقرار الوظائفي المُتدنّي، لا يمكن ان يهرب أفراده من مواجهة هذا القدَر المحتوم الذي هو قدَرهم ماداموا بشراً كما ان بشريَّتهم قد جعلت من المحتَّم عليهم ان يكونوا على هذا القدْر العظيم من العقل الخارق!

ان هذا المصير المأساوي للنوع الانساني لا قدرة لأحد من أفراده على الخلاص منه الا بشق الأنفس. وهذا النصيب الموروث المفروض علينا كلنا جميعاً فرضاً هو السبب الذي جعل من الإنسان، المُستسلم لقدره هذا، على هذه الدرجة من البؤس والشقاء والحزن والكآبة والقلق والشك وسوء الظن والحقد والكراهية طالما كان استسلامه آنف الذكر على حساب إسلامه لله ربه ورب كل شيء! ان الإنسان، بجسده السقيم ونفسه العليلة، لا يمكن له الا ان يتّجه الى الله اذا ما هو أراد الخلاص من هذا القدَر المفروض عليه. فالله هو الأمل الوحيد الذي بالمستطاع التشبُّث به للخلاص من هذا القدَر الذي نحمله داخلنا كما نحمل على أجسادنا هذا الغطاء الشعري الفقير الذي يُميّزنا عن باقي الحيوانات! فالإنسان هو الحيوان الوحيد الذي لا يمتلك منظومة عزل حراري تُمكِّنه من التكيُّف مع بيئته. لقد فقد الإنسان أهم عناصر هذه المنظومة ممَثَّلةً بغطاء جسده الشعري الذي انحسر عن معظم مناطق الجسم البشري لسببٍ مجهول لم يصل احد بعد الى تحديده وبما يتناسب مع تطور وارتقاء الإنسان. ان هذا الانحسار في شعر جسم الإنسان لا يمكن ان يكون قد نتج عن رحلة الإنسان على الطريق من ماضيه السحيق الى لحظة ظهوره كائناً متميزاً لا علاقة له بالطبيعة وكائناتها! فالتطور لا يمكن ان يتسبب في هذا السقوط لشعر جسم الإنسان. فالسؤال الذي يتبادر الى الذهن الآن هو لماذا أصبح الإنسان فاقداً لمعظم الشعر الجسمي؟ ان هكذا فقدان قد أدى الى جعل الإنسان أقل تكيُّفاً مع

محيطه من باقي الحيوانات التي تتفوق عليه بكونها اكثر منه تناسقاً وانسجاماً وتناغماً مع الواقع. ان هذا التدنّي في التكيّف مع المحيط لا يمكن ان يكون هدفاً تحرص الطبيعة على الوصول اليه بمختلف الوسائل. فلماذا اذاً أصبح الإنسان بلا شعر؟ ان أمراً ما غير طبيعي لابد وان يكون السبب في سقوط معظم شعر جسم الإنسان! ان هذا لَيبرهن على ان الإنسان لا ينتمي الى عالم الحيوان الذي تتمتع جميع كائناته بما يكفل لها النجاح في التوافق والتناغم مع البيئة. فهذا السقوط يثبت ان جسم الإنسان لابد وان يكون قد تعرّض اثناء مسيرة ارتقائه وتطوره وصولاً الى حاله المستقر بايولوجياً، الى تأثير غير طبيعي جعل منه يسارع الى التخلُّص من معظم شعره وذلك من دون ان يتم التدبّر في عواقب هذه التعرية! ان الغطاء الشعري الخفيف لجسم الإنسان لا يمكن ان يقوم بما كان يقوم به الغطاء القديم قبل السقوط! لماذا سقط اذاً معظم شعر جسم الإنسان طالما لم يكن هذا السقوط قد نتج عن تطور وارتقاء الجنس البشري؟! ان أهم ما يُميّز الإنسان عن الحيوان هو هذا العري الذي لا يحتاج من أجل إدراكه غير تدبّر بسيط في حال الإنسان. فالعدوانية البشرية المفرطة والعقل الإنساني الخارق والنشاط الجنسي غير الطبيعي والنظام المناعي المتدنّي للجنس البشري واضطراب مادة عقله كلها ظواهر لا يمكن اكتشافها بسهولة. ان جسم الانسان عارٍ الا قليلاً! وهذه حقيقة لا سبيل لتفاديها طالما كانت لا تستدعي ان يقوم المرء بالتعمق في دراسة الظاهرة الإنسانية. فأول ما يجذب الأنظار هو هذا العري البشري العجيب الذي لا يقابله نظير في عالم الحيوان! ان تطور الإنسان لم يحدث بصورة كاملة داخلاً من نطاق الطبيعة كما نعرفها والا لكان الإنسان على حال غير هذا الحال! ان المرء ليعجب من حال الإنسان هذا كما تُجلّيه مفرداتُ واقعه البشري. لماذا شذَّ الإنسان عن النظام الصارم المبثوث في كل تفاصيل الطبيعة؟ لماذا نشأ الإنسان من مادة الطبيعة ولم يتطور وفق قوانينها؟ لماذا كان ارتقاء الإنسان على حساب انتمائه للطبيعة؟ لقد تحقق للإنسان ارتقاؤه وذلك على حساب هذا الانتماء الذي فقده بتطوره وفق قوانين اخرى غير طبيعية (لا تنتمي للطبيعة). ان التطور والارتقاء وفق قوانين الطبيعة ليس بامكانهما ان يعللا للعدوانية البشرية غير المنضبطة ولعقل الإنسان ذي الذكاء الخارق ولنشاطه الجنسي الفائق ولنظام مناعته المتدني ولعدم استقرار المادة الدماغية لعقله

ولسقوط شعر جسمه الا قليلاً!! فاذا لم ينشأ الانسان الا من مادة الطبيعة فلماذا اذاً تطور وارتقى بعيداً عن معظم قوانينها؟! قبل ان نبدأ بالإجابة على هذه الأسئلة لابد لنا من أن نُعرِّج قليلاً على موضوع العقل الانساني الخارق من جديد؛ هذا العقل الذي لا يمكن ان يكون نتاجاً لهذا الواقع المألوف! وسوف يتوضح سبب هذا التخصيص بعد قليل.

٢ ـ ٦ الظاهرة الانسانية الخارقة والروح البشرية!

لقد ثبت لدينا ان عقل الإنسان لا وجه للمقارنة بينه وبين العقل الحيواني وان الاختلاف ما بينهما قائم على أساسٍ متين من انتماء عقل الحيوان للطبيعة وتمرد العقل الانساني عليها. ان استحالة ان يكون عقل الإنسان الخارق لقوانين الطبيعة قد نتج عن الطبيعة ونشأ في ظلها تستدعي الى الذهن وجوب التدبّر في احتمالٍ قد يقود الى حل هذا اللغز! هل يُحتمل ان يكون عقل الإنسان الخارق راجعاً الى ان الإنسان كائنٌ ذو روح؟ هل هذه الروح هي السبب في تحلّي الانسان بهذا العقل المعجز؟ ان الإسراع بالاجابة بالايجاب سوف يقودنا الى مواجهة حتمية مع ميزات الانسان الاخرى! فاذا ما قمنا باستقدام الروح لتُعلّل لوجود العقل الإنساني الخارق بذكائه الفائق وذلك على أساسٍ من كون الروح هي مستقر هذا العقل وسببه فكيف سنُعلل لوجود الميزات البشرية الاخرى؟! اذا كانت الروح هي السبب في ظهور عقلٍ انساني خارق فكيف تكون الروح هي السبب في نشوء عدوانية الانسان المفرطة ونشاطه الجنسي غير المنضبط ونظام مناعته المتدنّي وعدم استقرار مادة عقله؟!! ان هذا لَيبرهن على ان اِستقدام الروح بُغية التعليل لوجود عقل الانسان ذي الذكاء الخارق لا يمكن ان يُنهي المشكلة وذلك طالما استحال على الروح ان تكون السبب في ظهور الميزات الانسانية الأخرى، هذا على فرض انها نجحت في التعليل الصائب لظهور العقل البشري!

ان النظرة الشائعة الى الانسان على أساسٍ من ثنائية الروح ـ الجسد تنطلق من إقرارٍ، غير مُؤسَّس على برهانٍ قاطع، بأن عقل الانسان مستودَعٌ في روحه وان الروح البشرية هي السبب في تفرُّده بهذا العقل! اذ لولا هذه الروح لاستحال على الإنسان ان يكون ذا عقل ولما تجاوز حدود الوجود الحيواني الذي يُمثِّله جسدُه غير العاقل! ان هكذا نظرة تبسيطية تهمل حقيقة كون العقل غير مرتبط

بالوجود الإنساني؛ اذ تبرهن الوقائع المُلاحَظة والتجارب المختبرية على ان الكائنات الحية الأخرى لا يمكن ان يُنظر اليها على أساسٍ من كونها كائنات غير عاقلة! فالمادة الحية، كائنة ما كانت درجة رقيها التطوري وتعقيدها التكويني، هي مادة عاقلة؛ بمعنى انها تملك نظاماً داخلياً بمستطاعه انجاز فعالياتٍ معقدة بصورة مُنتظمة مُسيطر عليها بشكل كامل من قِبَل هذا النظام الداخلي. ان المُعجِز في الانسان، على قدْر تعلّق الأمر بعقله، هو ليس انه كائنٌ عاقل ولكن كون هذا العقل خارق الذكاء فائق التعقيد الوظائفي وبما لا يحتاجه الإنسان في حياته ليتمَّ له التعامل الناجح مع واقعه وبيئته! لماذا تطور عقل الإنسان الى هذه الدرجة فائقة التعقيد طالما لم يكن هذا التطور ذا فائدة له في صراعه من أجل البقاء والانتشار؟! لقد كان بامكان الانسان ان ينجح في التعامل مع بيئته وواقعه من دون حاجةٍ ماسة الى هذا العقل الخارق المتفوّق الذي لا يمكن ان يكون قد تطور في ظل قوانين الطبيعة طالما كان هذا العقل هو الدافع الرئيس لتمرُّد الإنسان على الطبيعة! فثورة الانسان على واقعه لم يكن له ان يقوم بها لولا عقله الخارق الذي جعل منه يستشعر لانتمائه اليها! ان الروح لا يمكن ان تُعلِّل لظهور هذا العقل الخارق وذلك بأن تجعل من ظهوره مشروطاً بوجودها في الجسد البشري! ان العقل البشري فعاليةٌ مادية مرتبطة ومَشروطة بالمادة الدماغية الانسانية؛ وهذا أمر قد تم إِثباته ملاحظةً وتجريباً مما يقود الى وجوب الإقرار بعدم الحاجة الى استقدام الروح للتعليل لوجوده! ان التعليل لكون الإنسان ذي عقل خارق فائق الذكاء يجب ان ينطلق من خط شروع يأخذ بنظر الاعتبار ان هذا العقل البشري الخارق هو ليس الميزة الإنسانية الوحيدة التي تستدعي ان يتم الاهتمام المعرفي بالتعليل لظهورها! ان التعليل الناجح للتفوّق العقلي البشري ينبغي ان ينطلق من الإقرار بأن هذا التفوّق لا يمكن ان يكون وليد مسيرة التطور والإرتقاء التي خاضها جسم الإنسان منذ النشوء الى استقراره البايولوجي على حاله هذا وان الظاهرة الإنسانية تقوم على أساسٍ من ميِّزاتٍ خارقة اخرى يوحِّد بينها جميعاً انها كلها لا يمكن ان تكون وليدة هذه المسيرة التطورية طالما لم يكن نشوءها مرتبطاً بحاجة الإنسان لأيٍّ منها وذلك ليكون بمقدوره النجاح في ملحمة الصراع من أجل البقاء والانتشار.

ان العقل الإنساني يُمثِّل خرقاً فاضحاً لقوانين الطبيعة ولتوازنها البيئي القائم على أساسٍ من كون مفردات النظام الطبيعي ذات طاقة مستقرة على حالٍ سَوي لا اضطراب يشوبه! فالطبيعة لا يمكن ان تكون مسؤولة عن ظهور هذا العقل الخارق لقوانينها القائمة على قاعدةٍ صُلبة من تظافر وتضامن مصالح مفرداتها المنظِّمة لحياة الكائنات الحية بصورة جماعية مشترَكة في بيئتها. لماذا اذاً ظهر هذا العقل الخارق؟ وكيف تأتّى للإنسان ان يكون ذا عقل بهذه المواصفات غير الطبيعية؟ لماذا تميز الإنسان اضافةً الى عقله الخارق هذا بكونه الكائن الحي الوحيد الذي يمتلك عدوانية مفرطة ونشاطاً جنسياً فائقاً وعدم استقرار وظائفي لمادة عقله؟ كيف وصل الأمر بالانسان حتى بات ذا نظامٍ مناعي متدنٍّ جعل منه مصدراً لمعظم الأوبئة والأمراض في الطبيعة؟ لماذا أصبح الإنسان كائناً شاذاً غير طبيعي؟ لماذا يبرهن الإنسان على لانتمائه لهذا الواقع حتى بشعر جسده الخفيف؟ ان الإجابة على أيٍّ من هذه الأسئلة يجب ان تنطلق من وجوب كونها تتضمن اجابات عليها كلها جميعاً بلا استثناء او استبعاد!

فهذه الأسئلة تبرهن على ان الإنسان ظاهرة خارقة بحق وان الظاهرة الإنسانية هي حقاً ظاهرة خارقة للطبيعة. لقد رأينا سويةً ان العقل البشري ذا الذكاء الخارق قد جعلنا أمام مفترق طرق؛ فاما ان نستقدم شيئاً آخر من خارج الطبيعة لنعلل به لهذا الإختلاف بين الإنسان وباقي الكائنات الحية كما يتجلى في انتمائها للطبيعة وتفرُّده بثورته عليها او ان نبقى مُحَدَّدين باطار ما هو موجود فلا نلجأ الى خارج الطبيعة. إن استقدام شيء آخر من خارج الطبيعة مُمَثَّلاً بالروح الإنسانية يعني اننا سوف نناقض أنفسنا بأنفسنا؛ حيث ان استخدام الروح بهذا المعنى سوف يتناقض مع ما تم لنا اثباته والبرهان عليه من أن الروح البشرية لا قدرة لها على الفعل والتأثير في هذا الواقع الذي لا يملك بدوره ان يؤثِّر عليها الا من بعد ترجمة أفعاله بوساطةٍ من الجسد؛ حيث تقوم الروح بالإستفادة من هذه الترجمة في القيام بواجبها التدويني التوثيقي كسجل يؤرشف سيرة حياة هذا الجسد كما يحيا في هذا الواقع. ان هذا يعني، ضمن ما يعنيه، ان هكذا استقدام خاطئ جملةً وتفصيلاً وانه لا يمكن اللجوء اليه حلاً للمشكلة المعرفية التي تثيرها الظاهرةُ الانسانية! فالروح البشرية لا يمكن ان تفسِّر اختلاف الإنسان عن غيره من الكائنات الحية وذلك بأن

تكون هي السبب في نشوء هذا الإختلاف. ان تواجد الروح البشرية مع الجسد الإنساني، شاهدةً لله عليه، لا يمكن ان يكون السبب في تميُّز الإنسان عن الحيوان. فالروح لا تنتمي لهذا الواقع؛ اذ انها لم تنشأ عن مادته. والروح، بعدُ، لا قدرة لها على الفعل في الجسد حتى يكون لها بالتالي أيُّ دور في خلق عناصر التميُّز الإنساني التي أدت الى هذا الاختلاف ما بين الإنسان وباقي الكائنات الحية! ان الإجابة على هذه الأسئلة المتشابكة المعقدة لا سبيل للوصول اليها الا بالإستعانة بالوثيقة الدينية وذلك لأنها وحدها تملك ان تحدّثنا بصدق عن الذي حدث فجعل من الإنسان ظاهرة خارقة للطبيعة. ان استقدام الحل المُنقذ هذا سوف يكشف عن حقائق كثيرة.

٢ ـ ٧ القرآن العظيم والظاهرة الإنسانية

تجلَّت الظاهرة الإنسانية أماماً من ناظرينا ظاهرةً خارقة للطبيعة متمردةً على قوانينها غير منتمية للواقع ثائرةً على البيئة ولقد ثبت لدينا ان مفردات هذه الظاهرة الخارقة (الميزات الإنسانية) لا سبيل للتعليل الناجح لظهورها بالإنطلاق من اعتبار الإنسان صنيعة التطور والإرتقاء وفقاً لقوانين الطبيعة التي نشأ هذا الإنسان عن مادتها. ان عجز الطبيعة عن ان تُقدِّم لنا العون والمساعدة كيما يكون بمقدورنا ان نفهم الإنسان على ما هو عليه حقاً لا ينبغي ان يقودنا الا الى وجوب الإقرار بأن هذا العجز دليل على ان الإنسان لا يمكن ان يكون قد تطور وارتقى في ظل القوانين الطبيعية. هنا وعند هذه النتيجة يجب ان نتوقف بُغية اتخاذ مسار آخر نتمكن بواسطته من الوصول الى فهم الإنسان لا كما نتخيل بل كما هو في حقيقة الأمر وواقعه. فاذا كان الإنسان قد تطور وارتقى منذ بِدء خلْقه من طين في ظل قوانين الطبيعة فاننا مُلزَمون بأن نفترض بأن رحلة التطور والإرتقاء البشري في عالم الطبيعة لابد وان تكون قد وصلت منعطفاً استحال معه عليها ان تستمر طبيعية واقعية ممّا أدى بها بالتالي الى اتّخاذ وجهة اخرى في ظل تسلُّط واقع آخر بقوانين اخرى! فاذا كان الإنسان هو صنيعة الله الذي خلقه من طين هذا الواقع فان المنطق يُحتِّم علينا ان نهرع الى قرآن الله نستشيره بهذا الخصوص. ان كونَ الإنسان كائناً قد خلقه اللهُ يوجب علينا ان نلجأ الى تدبُّر القرآن العظيم لأنه لابد وان يكون قد احتوى على أسرار تخص هذا الإنسان

وذلك طالما كان الله الذي خلق الإنسان هو نفسه الذي أنزل القرآن ليكون هادياً له اليه. ان الظاهرة الإنسانية لابد وان تجد في القرآن العظيم ما يؤكد كونها بحق ظاهرة خارقة وان مفرداتها المكوِّنة للتميز الإنساني المتضمَّن بين ثناياها لابد وان يكون قد تم استعراضها في هذا الكتاب الذي أنزله الله ليكون الوسيلة اليه.

ان المنطق يُحتِّم علينا ان نتوقع احتواء القرآن العظيم على ذكْرٍ لهذه المفردات الخارقة وحلٍّ بمستطاعه الأخذ بيد الإنسان من الظُلمات والجَهالة الى النور والمعرفة. اذاً فالقرآن العظيم يجب أن يحوي آيات كريمة تأخذ بنظر الإعتبار هذا كله وتبين حقيقة الإنسان: هذا المخلوق العجيب! لنبتدئ بالآيات الكريمة التي تحدّثت عن خلْق الإنسان. لقد ذكر الله في هذه الآيات الكريمة انه خلق الإنسان من:

١ ـ طين.
٢ ـ صَلْصال من حَمَأ مَسنون.
٣ ـ تراب.
٤ ـ سُلالة من طين.
٥ ـ طين لازِب.
٦ ـ ماء.
٧ ـ صَلْصال كالفخّار.
٨ ـ سُلالةٍ من ماءٍ مَهين. تدبّر الآيات الكريمة التالية:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١]، ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢]، ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٨]، ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧]، ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ

مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٣]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥]، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]، ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السّجدة: ٧ ـ ٨]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [فاطر: من ١١]، ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٧٧]، ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: ١١]، ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: ٧١]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [المؤمن: ٦٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ [الحُجُرات: ١٣] ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النّجم: ٣٢]، ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النّجم: ٤٥ ـ ٤٦]، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤]، ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]، ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٧ ـ ٣٩]، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الدهر: ٢]، ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المُرسَلات: ٢٠ ـ ٢١]، ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧ ـ ١٩]، ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق: ٥ ـ ٧]، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العَلَق: ٢].

لقد بيّنت الآيات الكريمة ان الله قد خلق الإنسان من مادة هذا الواقع وانه سبحانه قد انشأ الإنسان من الطبيعة: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السّجدة: ٧].

ولكن، لنتدبّر الآيتين الكريمتين التاليتين:

﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: من ٤٩]، ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾ [المائدة: من ١١٠].

ان الطين الذي خَلق منه عيسى ابن مريم كهيئة الطير ثم نفخ فيه فأصبح

طيراً باذن الله كما جاء في الآيتين الكريمتين أعلاه لا ينبغي ان يقودنا الى الإسراع بالإستنتاج بأن آدم قد تم خلْقه من الطين بصورة مشابهة تماماً لخلْق الطير من طين بيَد ونَفَس المسيح! لقد خلَق المسيح من الطين شيئاً يشبه مثال وهيئة وجسم الطير ثم نفخ فيه من نَفَسه فحوَّل الله تمثال الطير هذا طيراً حقيقياً وذلك بتغييره مادة الطين الميتة لتصير مادةً حية في ثوانٍ قليلة. ولكن رحلة الخلق هذه من المادة الميتة الى المادة الحية استلزمت صنع المسيح تمثالاً كهيئة الطير من الطين؛ أي ان الطير قد سبق وجودَهُ وجودُ تمثاله! فلو لم يكن هناك طير يصنع المسيحُ تمثالاً من الطين كهيئته فكيف كان سيتم خلْق المسيح للطير باذن الله؟! ان آدم لم يكن طيناً ميتاً كهيئة الإنسان تم تحويله انساناً بمادة حية وذلك في ثوانٍ قليلة بنفخ الله فيه من روحه! اذ تستوجب المقارنة آنفة الذكر ان يكون هناك تمثال آدمي، من طين، سابق لظهور آدم؛ وهذا التمثال يجب ان يتم صنعه كهيئة البشر الذين لم يكونوا قد خُلِقوا بعد! ألا يكفي هذا التناقض للبرهان على ان هكذا مُماثَلة بين الخلْقَين لا أساس لها يُلزمنا بأن نقول بأن آدم قد خُلق تمثالاً من الطين ميتاً ثم نُفخ فيه فأصبح تمثالاً حياً! ان الرحلة من الطين الى الطير لم تستغرق غير ثوانٍ معدودات ولكن الرحلة من الطين الى آدم استغرقت مئات الملايين من السنين: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السَّجدة: ٧].

لقد رأينا فيما مضى بيانُه وتقدم ذكرُه ان الرحلة التطورية ـ الإرتقائية للإنسان لابد وان تكون قد غادرت آخر محطة لها داخل عالم الطبيعة وذلك بانتقالها الى واقع آخر سارت عليه وفقاً لقوانينه الخاصة التي لا علاقة لها بقوانين الطبيعة وواقعها المألوف مما ادى الى ظهور المفردات الخارقة التي تُشكِّل الظاهرة الإنسانية. ولكن، كيف ومتى وأين تم هذا الإنتقال من واقعنا هذا الى الواقع الآخر ذي القوانين غير الطبيعية؟ ان الإجابة على هذه التساؤلات التي تم التوصل لصياغتها بواسطة المنطق والإستنتاج القائم على الوقائع والبراهين التجريبية والأدلة الاختبارية لابد وان تكون بالانطلاق من نقطة البداية المنيرة التي تضمَّنتها الآية الكريمة: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ

﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾. ان أول ما يسترعي الإنتباه هنا هو كلمة خليفة التي وصف الله بها آدم لملائكته. ولكن، ما الذي تعنيه هذه الكلمة؟ ما معنى ان يكون آدم خليفة؟ لكي نفهم ما تعنيه هذه الكلمة «**خليفة**» فان بامكاننا استعراض ورودها، بتنويعاتها المختلفة، في القرآن العظيم وذلك عملاً بقاعدة الإمام علي كرّم الله وجهه: (**القُرآنُ يُفسِّر بعضُهُ بعضاً**).

لنتدبّر الآيات الكريمة التالية التي احتوت على كلمة خليفة أو تنويعاتها المختلفة:

﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ﴾ [الأعراف: ٦٩]، ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ﴾ [الأعراف: ٧٤]، ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ١٢٩]، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي﴾ [الأعراف: ١٤٢]، ﴿قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١]، ﴿فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ﴾ [التوبة: ٨٣]، ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ﴾ [التوبة: ٨٧]، ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة: ١١٨]، ﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٢٠]، ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤]، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾ [يونس: ٧٣]، ﴿وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ [هود: ٥٧]، ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٧٦]، ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ﴾ [مريم: ٥٩]، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ [النور: ٥٥]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ﴾ [الفرقان: ٦٢]، ﴿وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [النمل: ٦٢]، ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [فاطر: ٣٩]، ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ

ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ص: ٢٦]، ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [الزخرف: ٦٠]، ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧].

اذاً فكلمة خليفة كما وردت هي وتنويعاتها في القرآن العظيم تدل على مَن يُبقيه الله من بعد ذهابه بآخرين أو على مَن يأتي بهم الله ورثةً لمَن ذهب بهم. ولكن، مَن هم هؤلاء الذين ذهب الله بهم وجعل آدمَ خليفةً من بعدهم؟ ان الآيات الكريمة أعلاه تُبيّن هوية مَن تم الذهاب بهم ومَن تم استخلافه من بعدهم. ان الإجابة على هذا السؤال مُتضمَّنة بين ثنايا تعليق الملائكة على مخاطبة الله لهم بخصوص خلافة آدم؛ اذ قال الملائكة ما معناه انهم يَعجَبون من إبقاء الله آدم خليفةً مِن بعد مَن تم الذهاب به من القوم الذين يُفسِدون في الأرض ويسفكون الدماء. ان هذه الآية الكريمة تكشف النقاب عن حقيقة مستترة ذات صلة بالماضي السحيق للبشرية. انها تعني ان آدم كان قد بدأ الله خلْقه من طين ثم جعل نسله من سُلالةٍ من ماءٍ مَهين عبر رحلة طويلة شاقة في الأصلاب والظهور منذ أول خلْق الله له من طين وانتهاءً بالأسلاف الأواخر للإنسان: قوم آدم!! ان هذه الآية الكريمة تُبيِّن بأن آدم قد نشأ في قوم هذه هي صفتهم؛ فهم قوم مجرمون وان الله قد اختاره وانتخبه واصطفاه ليكون خليفةً من بعدهم. تدبَّر الآية الكريمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عِمران: ٣٣].

تكشف هذه الآية الكريمة النقاب عن حقيقة آدم الذي اصطفاه الله على قومه فاختاره ليكون صفيَّه. فآدم هو صفيُّ الله. لقد قرر الله ان يفاتح الملائكة بما عزم عليه بخصوص قوم آدم فأبلغهم انهم قوم مُهلَكون الا آدم الذي اصطفاه واختاره ليكون خليفةً من بعد قومه الظالمين المُهلَكين. لقد عجِب الملائكة لقرار الله بالإبقاء على آدم واستخلافه من بعد قومه؛ اذ لم يروا فيه غير واحد منهم يُفسد في الأرض ويسفك الدماء وهم لا يعلمون. ولكن، لِمَ لَم يُهلك الله قوم آدم كلهم جميعاً بمَن فيهم آدم نفسه؟ لماذا أبقى الله آدم خليفةً من بعد قومه؟ ان إبقاء الله آدم خليفةً يُمثّل أساساً رئيساً من أسس الظاهرة الإنسانية بصفتها الرئيسة: ظاهرةً خارقةً للطبيعة. ان الله قد تدخّل في مسار حياة آدم وذلك بجعله اياه فرداً متميزاً عن سائر أبناء قومه. ولكن، ما الدليل على هذا التدخُّل الذي عاد على آدم بما جعل منه يستحق أن يكون خليفةً من بعد قومه المُهلَكين؟ تُبيِّن

الآية الكريمة التالية حقيقة هذا التدخل الإلهي: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾. فآدم لم يكن فرداً عادياً من أبناء قومه الذين كانوا يُفسدون في الأرض ويسفكون الدماء؛ اذ ان الله كان قد اختصَّه بأن سوّاه ونفخ فيه من روحه مما جعل منه خلقاً آخر متميزاً عنهم غيرَ مُشابهٍ لهم!

ان تميُّز آدم، بتسوية الله له ونفخه فيه من روحه، عن أبناء قومه جعل منه يستحق ان يَخلِفَهم من بعد إهلاكهم على يد الملائكة الذين أرسلهم الله لهذا الغرض. فهو، بتميُّزه هذا، لم يَعُد واحداً منهم حتى يصيبه ما أصابهم. لقد نشأ آدم في قومه، الأسلاف الأواخر للإنسان، فتطبَّع بطباعهم العدوانية غير السوية؛ الا انه لم يكن واحداً منهم وذلك لأن عدوانيته المفرطة التي تربّى عليها وهو فيهم لم تكن شيئاً أصيلاً فيه نابعةً من طبعه وذاته بل كانت مما تعلمه بسببٍ من معيشته بين ظهرانيهم. ان نشأته هذه حتمت عليه أن تكون أفعاله مشابهةً لأفعالهم مما جعل من الملائكة لا يرون فيه غير واحد من قومه المجرمين الذين عاثوا في الأرض فساداً وسفكاً للدماء. لذلك استحال عليهم ان يتفهموا السبب الذي كان يُحتِّم عليهم ان يُبقوا عليه خليفةً من بعد قومه المُهلَكين. ان تدبُّر الآيتين الكريمتين الواردتين أعلاه كفيل بجعلنا نرى الترابط الموجود بينهما. فخلافةُ آدمَ قومه المُهلَكين تحققت بسببٍ من تميُّزه بتسوية الله له ونفْخه فيه من روحه وذلك عندما كان جنيناً في بطن امه التي كانت واحدةً من أبناء قومه لا تختلف عنهم في شيء أبداً. ان التدخُّل الإلهي في خلْق آدم تجلى في بدء خلْق الله له من طين ثم في متابعة رحلة نشوئه وتطوره وارتقائه عبر السُلالات المختلفة المتعاقبة وذلك انطلاقاً من أسلافه الأوائل وانتهاءً بأسلافه الأواخر الذين كانوا قومه وأهله وقبيلة أبيه وأمه! وبلغ هذا التدخُّل الرباني المُعجز ذروته في تسوية الله لآدم ونفخه فيه من روحه؛ اذ تحول آدم الجنين بعد لحظة النفخ هذه فأصبح خلقاً آخر لا يُشابِه قومه. ولولا تدخُّل الله بانشائه آدم خلقاً آخر لَنشأ الجنين واحداً آخر من أفراد تلك القبيلة المنحرفة التي أُبيدت عن بكرة أبيها خلا آدم وزوجه! ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: من ٣٥]، ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [الأعراف: ١٩]. فالخليفةُ اذاً هو آدم وزوجه التي اخبر الله عنها انها قد خُلِقَت منه!! ولكن،

كيف تم هذا؟ هل خُلِقَت المرأة الأولى من ضلع آدم حقاً كما يظن البعض؟! أم انها قد خُلِقَت منه خلقاً من نُطفته التي قال الله عنها: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٥ - ٤٦]؟ لقد خلق الله من آدمَ زوجَه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: من ١]. إذاً لقد خلق الله آدم خلْقاً من بعد خلق أطواراً فبدأ أول خلْقه من طين: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: ٧] ثم أنشأه وطوّره وارتقى به حتى جعله من سُلالةٍ من ماء مَهين وذلك بأن جعله نُطفةً من مَنيٍّ يُمنى حملت أمه، بوساطته، فجعله في بطنها جنيناً سوّاه ونفخ فيه من روحه: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٧ - ٩].

ان خلْق الله الإنسان من طين حقيقة واقعة أثبتها العلم وبما لا سبيل لحصره من الأدلة والبراهين التي تضافرت كلها جميعاً على إنجاز هذا الجهد المعرفي الرائع الذي كانت محصلته هي هذا الإثبات الذي قطع الشك باليقين. لقد أكد الله انه قد بدأ خلق الإنسان من طين؛ اي ان بداية رحلة نشوء وتطور وارتقاء الإنسان كانت من الطين. ان القرآن العظيم لَيتفق مع ما توصلت اليه المباحثُ التطورية في العلوم كافة والتي أثبتت، وبما لا يرقى اليه شك، ان كافة أشكال الحياة قد نشأت من أصل واحد هو الماء: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥]، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: من٣٠]. ان هذه النشأة المشتركة عن أصلٍ واحد حتمت على الكائنات الحية ان تكون متشابهة متناظرة متماثلة. ان التماثل يعني التقارب في التكوين بحيث لا تختلف ما بينها كثيراً المتماثلاتُ. الا ان القرآن العظيم يؤكد حقيقة اخرى لم تنكشف أماماً من ناظري مُنظّري الوثيقة العلمية الذين صاغوا نظرتها الى الإنسان على أساسٍ من كونه صنيعة ماضٍ نشوئي - ارتقائي تطور خلاله من الطين الى الحيوان! فالقرآن العظيم ينظر الى الإنسان على ضوء حقيقته البشرية التي يشهد لها واقعُه البشري بأنها لا يمكن ان تكون كما يظن مَن توهّم

الإنسان على انه حيوان ناطق عاقل ليس الا! ان التدخّل الالهي في مسار نشوء وتطور وارتقاء الإنسان منذ ان بدأ الله خلْقه من طين وحتى تسويته ونفخه فيه من روحه وهو جنين في بطن أمٍّ من قبيلة أسلافه الأواخر حقيقة تبرهن عليها استحالة ظهور الإنسان بالإنطلاق من هذا الواقع والإقتصار بصورة مطلقة عليه!

ان الوثيقة العلمية تنظر الى الإنسان على انه نِتاج الطبيعة وانه في ذلك لا يختلف عن أي كائن حي آخر. وتنظر الوثيقة الدينية، ممثلةً بالقرآن العظيم، الى الإنسان على انه خلْق مستقل عن باقي خَلق الله وإن تَشابَه مع باقي الكائنات الحية في نشأته عن مادة هذا الواقع تراباً وطيناً! ان الإنسان قد نشأ عن مادة هذا الواقع الذي نشأت عنه أيضاً باقي المخلوقات البايولوجية؛ الا ان هذا ليس مُبرِّراً للجزم بصورة قاطعة بأنه صنيعة هذا الواقع الذي يكفي للتعليل لوجود هذه المخلوقات التي تكفي البايولوجيا لفهمها ولتفسير مفرداتها! ان بقاء الإنسان، مُمثَّلاً بآدم، بعدم انقراضه بالإبادة الجماعية لأسلافه الأواخر، الذين كان من المُحتَّم انقراضهم بسببٍ من كونهم مخلوقات شاذة غير سوية لا تنتمي للطبيعة مُخِلَّة بتوازنها البيئي، لم يكن ليحدث لولا إبقاء الله آدم خليفةً في الأرض من بعد قومه. وهذا الإبقاء كان الله قد سبق وان مهَّد له وذلك بأن ميَّز آدم عن قومه المُهلَكين بأن سوّاه ونفخ فيه من روحه. اذاً فلولا هذا التدخّل الإلهي المُعجِز في مسار تطور وارتقاء الإنسان لما كان هناك من بشر على الإطلاق على هذه الأرض! لقد تجلّى هذا التدخُّل المُعجِز بدايةً بانشاء الله آدم خلقاً آخر غير مُنتمٍ لقومه، تسويةً ونفخاً فيه من روحه، وبلغ ذروته في جعله خليفةً في الأرض فلَمْ يهلكه كما أهلك قومه كلهم جميعاً الا امرأته! فزوج آدم، بسببٍ من نشأتها عن نُطفته، كانت هي الأخرى متميزة عنهم غير مُشابِهةٍ لهم في عدوانيتهم غير الطبيعية وإفسادهم في الأرض مما جعل منها تُشاركه خلافته فتبقى معه من بعد هلاك القوم الظالمين! ولكن، هل من مبرر يُسوِّغ لصياغة هكذا نظرة الى ماضي الإنسان تقول بانحداره عن أسلافٍ أواخر أبيدوا لفرط عدوانيتهم وببقائه بسببٍ من كونه ليس واحداً منهم بطبعه وخَلْقه؟ لنرجع مرة اخرى الى الآية الكريمة التي أوردت تعليل الملائكة لتعجُّبهم من قرار الله إبقاء آدم خليفةً في الأرض. لقد أخبرهم الله انه جاعلٌ في الأرض خليفة فلماذا كان جوابهم بأن هذا يعني انه

يجعل فيها مَن يُفسد فيها ويسفك الدماء؟ هل كلمة خليفة تعني مَن يُفسد في الأرض ويسفك الدماء؟! ان الخروج الوحيد من هذا المأزق هو بأن نلتزم بالنص القرآني وبقوانينه الصارمة التي لا يَرِد الا محافظاً عليها بكل دقة. فلقد رأينا سوية ان كلمة خليفة تعني، كما وردت بتنويعاتها في الآيات الكريمة السابق ذكرها، مَن يبقى مِن بعد قومه. وهذا يقودنا لامحالة الى ربط هذا المعنى بما قاله الملائكة من أن جعْل الله في الأرض خليفةً يعني جعْله فيها مَن يُفسد فيها ويسفك الدماء. ان التدبّر في هذا الربط كفيل بجعلنا لا نرى من مخرج سوى القول بأن آدم كان يحيا بين ظهراني قوم هذه هي صفتهم! ان مما يجب ألاّ يغيب عن بالنا ان الله لم يذكر اسم الخليفة ولم يُحدِّد هويته وذلك عندما فاتح ملائكته بأنه جاعلٌ في الأرض خليفة. ان جعْل الله لآدم خليفة في الأرض من بعد إهلاك القوم الظالمين أعقبه إسكانه له وزوجه الجنة؛ أي ان الله لم يكتفِ بالإبقاء على آدم وزوجه خليفةً من بعد هلاك قومهما بل أبعدهما عن هذه الأرض وأسكنهما الجنة التي لا علاقة لها بهذه الأرض. ان هذا الإسكان يتفق مع إهلاك الله قوم آدم وإبقائه آدم وزوجه خليفةً من بعدهم. وليس هناك من حل آخر يبعد بنا عن الوقوع في شِراك التناقض وفوضى التناقضات. فاذا كان الله قد جعل من آدم خليفة في الأرض فلمَ أسكنه وزوجه الجنة؟!! اذاً نحن مُلزَمون بأن نقول بأن الله قد أبقى على آدم وزوجه فلم يُهلِكهما مع قومهما بل أسكنهما الجنة على أرض اخرى غير هذه الأرض! أليس في هذا ما يدل على وجود تحويلة في مسار تطور وارتقاء الإنسان؟ ألا يعني هذا ان الإنسان لم يتطور في ظل قوانين هذا الواقع فحسب؟ ان هذه الجنة هي واحدة من مفردات الواقع الآخر الذي كان يتوجب علينا استقدامه، افتراضاً بُغية الفهم، كيما يكون بمستطاعنا التعليل لميزات الإنسان الخارقة للطبيعة والتي رأينا سوية انها تمثِّل الثورة البشرية على الطبيعة. الا ان علينا ألاّ ننسى أبداً ان أهم مفردة من مفردات هذا الواقع الآخر هي تسوية الله لآدم ونفخه فيه من روحه. اذ لولا هذا التدخُّل الإلهي المُعجِز لاستحال على آدم ان يكون خلقاً آخر؛ انساناً في أحسن تقويم!

لقد أفادت الوثيقة الدينية بأن الإنسان قد انحدر عن مخلوقات عدوانية تم إهلاكها ما خلا خليفة أبقاه الله من بعدها وذلك من بعد ان جعل منه متميزاً عنها

بلاعدوانيته وبكونه خلْقاً آخر يُشابِههم في الخلْق والخُلُق ظاهراً لا باطناً؛ اذ انه كان قد سوّاه ونفخ فيه من روحه. ولكن، ماذا بامكاننا ان نفهم من هذه التسوية وهذا النفخ؟ قبل ان نشرع بالإجابة على هذا السؤال لابد لنا من ان نُسلِّط الضوء على الذي حدث فجعل من الأسلاف الأواخر للإنسان (قوم آدم) مُفسدين في الأرض سفاكين للدماء. لماذا تحولوا من مخلوقات طبيعية الى اخرى غير طبيعية؟ فهذا التحوّل لابد وان يكون قد حدث بسببٍ من انفراط عقد العدوان عندهم وتغيّره من حالة انضباط وتقنين الى حالةٍ من الفوضى والتسيُّب. لقد تغيَّر قوم آدم من مخلوقات سوية الى كائنات منحرفة شاذة عدوانية تمارس العدوان بلا رادع من برنامج ضابط يقولبه داخلاً من قالبٍ ضيقٍ لا علاقة له الا بتنظيم انتشار أفراد النوع الواحد.

فالأسلاف الأواخر للإنسان الأول (آدم) كانوا قد انحدورا عن كائنات طبيعية تنتمي للطبيعة انتماءً كاملاً. فلم تكن تلك الكائنات تمارس العدوان الا وفق ضوابط القانون الطبيعي الذي حدّده وقنّنه وقولبه بما يكفل الإستفادة منه لتحقيق هدف النوع الذي تنتمي اليه في البقاء على قيد الحياة وتكثير أفراده والإنتشار على أوسع رقعة ممكنة من الأرض. الا ان اولئك الأسلاف الأواخر أصيبوا بما جعل من دماغهم يعاني من تغيُّر بايوكيميائي ذي أساس بايوالكتروني نجم عنه اختفاء تلك الضوابط والنواظم التي تتحكم في العدوان فلا يتجاوز حداً تستحيل بعده السيطرةُ عليه. لقد نتج عن هذا الإختفاء إِنفلاتُ معايير العدوان عند الأسلاف الأواخر للإنسان مما أدى بهم الى تحوُّلٍ كارثي من كائنات طبيعية الى اخرى شاذة لا تنتمي للطبيعة. ان هذا التحوّل كان التحويلة الدائمية Permanent Detour في مسار ارتقاء تلك الكائنات الشبيهة بالإنسان Anthropoids؛ تلك التحويلة التي استحال على تلك الكائنات من بعدها الإستمرار في تطورها قُدُماً الى أمام على طريقٍ ما كانت نهايته التطورية لتُمثِّل الا استقراراً بايولوجياً لا تطور بعده. فلولا تلك التحويلة لكانت تلك الكائنات قد وصلت الى ما يجعل منها تُشابِه باقي الكائنات الحية التي تحقَّق لها من قبلُ ان تنعم بالاستقرار على القمة التطورية للنوع الذي تنتمي اليه. ان تلك الإصابة قد جعلت من المستحيل على الكائنات الشبيهة بالإنسان ان تواصل ارتقاءها تطوراً الى قمتها التطورية الخاصة

بها فانقطع مسار ترقّيها عند تلك التحويلة. الا ان استمرار تلك الكائنات في تطورها ارتقاءً الى قمتها التطورية، التي تعذّر عليها الوصول اليها بسببٍ من تلك الإصابة، لم يكن ليجعل منها تصل الى كائن يماثل الإنسان كما نعرفه! ان الطريق الى الإنسان كما نعرفه لم يأخذ بالتميُّز والتجلّي الا من بعد تلك التحويلة الدائمية في مسار ارتقاء أشباه الإنسان. فلو لم تحدث تلك الإصابة لما ظهر الإنسان كما نعرفه! لقد كانت الكائنات الشبيهة بالإنسان حيوانات طبيعية في طريقها لتحقيق استقرارها البايولوجي على قمةٍ تطورية مشابهة للقمم التطورية الاخرى التي استقرت عليها بايولوجياً الأنواعُ الأخرى. الا ان تلك القمة التطورية التي كانت ستستقر عليها بايولوجياً تلك الكائنات الشبيهة بالانسان لم تكن لتتطابق مع الإنسان كما نعرفه! فالإنسان كما نعرفه لم يظهر الا بسببٍ من تلك التحويلة الدائمية في مسار ارتقاء أشباه الإنسان؛ تلك التحويلة التي لا يمكن على الإطلاق اعتبارها منعطفاً طبيعياً على الطريق الى الإنسان. ان تلك الإصابة قد جعلت من الطريق الى الإنسان يتم شقّه بعيداً عن الطبيعة خروجاً على قوانينها الضابطة لكائنات الطبيعة! لقد تحولت تلك الكائنات الشبيهة بالإنسان، من بعد إصابتها بما جعل منها كائنات خارجة على قوانين الطبيعة، الى كائنات غير حيوانية هي الأسلاف الأواخر للإنسان الأول (آدم). ولقد تميزت تلك الكائنات غير الطبيعية اضافةً الى عدوانيتها المُفرطة بانفراط آخر طال نشاطها الجنسي فجعل منها تخرج على قانون الطبيعة المُنظِّم للفعالية الجنسية والمُحدِّد لها بما يُحتِّم عليها ان تكون هادفةً وان يكون هدفها هو خدمة النوع بقاءً وتكثيراً وانتشاراً. اذاً لقد ظهر آخر سَلَف للإنسان الأول بمواصفاته الشاذة التي جعلت منه أول خارج على قوانين الطبيعة! اذ خرج هذا الكائن غير الطبيعي على قوانينها الضابطة للسلوك العدواني والمُنظِّمة للفعالية الجنسية لكائناتها. ولكن، ما الذي أحدث تلك الإصابة التي نجم عنها هذا التحوّل المصيري في مسار ارتقاء أشباه الإنسان والذي أنهى وجودها ككائنات طبيعية مُمهِّداً السبيل لظهور الإنسان كما نعرفه؟

٢ ـ ٨ الاصابة الفايروسية وجذور الظاهرة الانسانية!

ان تغيُّراً رهيباً كهذا الذي حدث في بايوكيمياء وبايوالكترونيات مادة دماغ أشباه الإنسان يمكن التفكير في سببه على أنه يعود الى اصابةٍ فايروسية طالت

التشكيلات والدوائر المُكوِّنة للمناطق الدماغية المسؤولة عن السلوك العدواني والفعالية الجنسية لأشباه الإنسان. ان الفايروس كائنٌ بايولوجي فائق المجهرية وهو بسببٍ من مجهريته الفائقة هذه بمستطاعه التسلّل الى مناطق فائقة المجهرية داخل المادة الحية. ان المناطق الدماغية الوارد ذكرها أعلاه تتصف بكونها فائقة المجهرية وفائقة التعقيد مما يجعل من نجاح ما ليس بفايروس في التغلغل داخلاً منها مستحيلاً. ان فايروساً كذاك الذي أصاب هذه المناطق ليس بالعسير تصوّره؛ اذ ان فايروساً معاصراً هو المسؤول اليوم عن انتشار أفدح وباء عرفته الإنسانية منذ أيام أسلافها الأواخر ألا وهو فايروس الأيدز! اذاً لقد أصاب أشباهَ الإنسان فايروس جعل منها تشذُّ عن الطبيعة. ولقد أدى هذا الفايروس القديم بالنتيجة، ومن بعد تدخّلٍ خارجي سيرِد ذكره لاحقاً، الى ظهور الإنسان كما نعرفه! ان مصير الإنسانية اليوم رهن بفايروس آخر هو المسبب لإنتشار الأيدز بهذه الصورة الوبائية الكارثية التي باتت تهدّد البشرية قاطبة. لقد أدى هذا التدخّل الخارجي الى القضاء على أشباه الإنسان الذين أصيبوا بذلك الفايروس القديم الذي جعل منهم أسلافاً أواخر للإنسان الأول (آدم) والذي تم الإبقاء عليه خليفةً من بعدهم اصطفاه الله وسوّاه من جديد كائناً طبيعياً كما سيرد بيانه لاحقاً.

ان التدخّل الإلهي هذا قد أدى الى افناء ذلك الفايروس أيضاً؛ فاختفى ذلك الكائن البايولوجي فائق المجهرية والذي لولاه لما ظهر الإنسان كما نعرفه! ومادمنا قد تطرقنا الى الفايروس المعاصر المُسبِّب لوباء الأيدز فاننا نجد أنفسنا مضطرين الى الظن بأن هذا الفايروس، الذي ليس من المُستبعد ان يقوم بالقضاء على الجنس البشري بأكمله، لن تتم إبادته بصورة مطلقة الا بتدخّل خارجي مماثل لذلك الذي أباد من قبل ذلك الفايروس الذي حوّل أشباه الإنسان الى وحوش كاسرة! فاذا كان الله قد أباد الفايروس القديم وأباد معه مَن أصيبوا به ولم يُبقِ غير خليفة منهم سوّاه وعالجه فما الذي سيحدث للإنسانية في المستقبل القريب في ظل هذا الإنتشار الكارثي لوباء الأيدز؟ هل سيُهلَك الجنس البشري خلا خليفة منهم كما حدث من قبل؟ ومَن هم هؤلاء الذين سيكونون خليفة من بعد البشرية المُلتاثة بالأيدز؟ هل يمكن غير الجزم بأن الحل الذي بمستطاعه علاج الأيدز سيَفِد من خارج هو أيضاً؟ هناك اسئلة تُترك الاجابة عليها لحينها

بكل تأكيد! والآن، عودةً من هذا المستقبل الكارثي الى ماضٍ لم يقل عنه كارثية! لقد وجدنا أشباه الإنسان وقد أصيبت بفايروسٍ كارثي جعل منها تتحول بين عشية وضُحاها من حيوانات تنتمي للطبيعة الى وحوش مجرمة دأبها العدوان غير المُبرّر إفساداً في الأرض وسفكاً للدماء. لقد ضرب هذا الفايروس القديم مراكز العدوان في دماغ الأسلاف الأواخر للإنسان الأول فأدى الى إشاعة الفوضى في هذه المراكز مما أدى الى تعذُّر السيطرة على السلوك العدواني الذي كانت تتحكم به من قبل. ان اختلال النظام هذا هو الذي أدى الى ظهور العدوانية المنفرطة المميّزة للإنسان كما نعرفه! لقد جعلت هذه الإصابة الفايروسية من أشباه الإنسان كائنات تمارس العدوان بصورة غير منضبطة ولقد تجلّى هذا اللاانضباط في قيامهم بقتل بعضهم البعض بصورة لم تعرفها الطبيعة بكائناتها الحية قاطبةً من قبل. كما ان هذه الوحوش الشبيهة بالإنسان أخذت في قتل باقي الكائنات الحية لا لشيء الا استجابة للجنون العدواني الذي أصابها فجعل منها تريق دماء الحيوانات من غير مبرر من صيدٍ لفريسةٍ قتلاً للجوع! نُذكّر مرة اخرى بما سبق وان شدَّدنا مراراً وتكراراً عليه بأن السلوك العدواني موجود في الطبيعة ولكن وجوده تنتظِمه ضوابطٌ تُنظِّم مَدياته وبما يكفل تحقيق القانون الطبيعي الذي فرضته الطبيعة للوصول الى هدفها والذي هو: أقصى انتشار للكائنات الحية بالامكان تحقيقه ولأطول مدة ممكنة وعلى أوسع رقعة من الأرض بالمستطاع شَغلها. لقد كفل السلوك العدواني الحيواني المنضبط نجاح أفراد النوع الواحد في الإنتشار لمساحات شاسعة كما يقضي بذلك قانون الطبيعة الذي لم يجعل من تقنية العدوان عند الحيوان أداة فتكٍ وإبادة! فالحيوان اذ يأكل فريسته فانه لا يسفك دمها كما يفعل الإنسان الذي يقتل سفكاً للدماء لا كما يفعل الحيوان قنصاً واصطياداً خالياً من شهوة القتل لمجرد القتل هكذا وبلا مبرر ومن غيرما سبب سوى التلذّذ بالصيد والإستمتاع بالقتل!

ان هذه السُلالة المنحرفة الشاذة غير المنتمية للطبيعة قد عاثت في الأرض فساداً كبيراً وعدواناً مُبيناً. ولقد جعل هذا العدوان المُبين من الملائكة تصفها بأبلغ وصف اذ قالت عن واحدهم بأنه: (يُفسِدُ فيها ويَسْفِكُ الدِماءَ). لقد شخّصت الملائكة في أفراد هذه السلالة خرْقها لقوانين الطبيعة التي خلقها الله

لتضمن لكائناتها الحية تحقيقهم للهدف الذي فرض عليهم السعي الدؤوب للوصول اليه وتحقيقه. الا ان ما فاتهم كان عدمُ معرفتهم بكون هذا الخليفة الذي قرر الله الإبقاء عليه، على الرغم من كونه من نسل هذه السُلالة الشاذة، لا ينتمي الى تلك الكائنات المنحرفة البتة. اذ ان الله كان قد سوّاه من قبل وذلك عندما خَلَقَهُ في أحسنِ تَقويمٍ.

لقد كشف الله عن سر خلْقه لهذا الخليفة من قبل؛ فبيّن انه قد خلقه في أحسن تقويم في اشارة واضحة لما اختصّه به من ميزات استثنائية وقابليات غير مألوفة وقدرات خارقة. فهذا الخليفة لم يكن واحداً من قومه الذين عاثوا في الأرض فساداً؛ اذ ان الله كان قد اصطفاه عليهم فجعله كائناً سوياً غير شاذ طبيعياً غير منحرف منتمياً للطبيعة وذلك على الرغم من تميزه بكم غير قليل من قدرات خارقة لم تألفها الطبيعة من قبل! اذاً تجلّى التدخّل الإلهي المُعجِز في مسار حياة هذا الكائن الفريد العجيب الخارق في أول نشوئه داخلاً من بطن أمه التي كانت واحدة من القوم الذين تحولوا من أشباه الإنسان الى وحوش كاسرة شبيهة با لإنسان! كما تجلّى التدخّل الإلهي المُعجِز في مسار حياته أيضاً في جعله خليفةً في الأرض من بعد قومه الذين أصدر الله قراراً بابادتهم كلهم جميعاً. ولكن كيف تمخض التدخّل الإلهي أول مرة عن اصطفاء هذا الكائن الفريد؟

لنتدبّر الآيات الكريمة: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٧ - ٩]. نستدل من سياق الآيات الكريمة هذه ان الإنسان قد تم إنساله من كائنات غير انسانية وانه لم يبلغ نهاية خلْقِه انساناً سوياً إلا من بعد ان سوّاه الله ونفخ فيه من روحه. نلاحظ من استعراض مُجمَل الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر تفاصيل خلْق الإنسان هذا التلازم والإرتباط ما بين التسوية والنفخ من روح الله. تدبّر الآيتين الكريمتين التاليتين: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧٢].

ان الإنسان السَوي هو الإنسان الأول الذي خلقه الله في أحسن تقويم وذلك لأن الله قد أحسنَ كل شيء خَلَقَه. ولقد كانت الرحلة الى هذا الإنسان

الأول قد مرت بمرحلة الإنسان الشاذ (غير السوي) والذي كان يُفسد في الأرض ويسفك الدماء. الا ان الله الذي كان قد قرر خلق الإنسان في احسن تقويم لم يلبث ان قام بعلاج هذا الإنسان غير السوي فسوّاه وجعل منه انساناً كاملاً سوياً وذلك باجتثاثه ما كان يعيب سلفه الآخر من شذوذ تجلّى في ما سبق تبيانه أعلاه. ان الإنسان الأول لم يكتمل خلْقه الا من بعد ان سوّاه الله؛ فلم يكن الإنسان الأول قبل هذه التسوية الا كائناً شبيهاً بالإنسان وفي طريقه ليكون انساناً في أحسن تقويم. لقد تجلّى إبداع الله في خلقه هذا الانسان بنفخه فيه من روحه. فلو لم يكن الإنسان الأول قد سوّاه الله وخلقه في أحسن تقويم لما استحق ان ينفخ فيه من روحه. ان التلازُم ما بين التسوية والنفخ من روح الله كما تُبيّنه الآيات الكريمة أعلاه يدل على أن خلْق الإنسان في أحسن تقويم سوياً كاملاً كان يستدعي ان يتم النفخ فيه من روح الله. فالإنسان الأول كان كائناً طبيعياً من جهة انتمائه للطبيعة وعدم تمرّده عليها وخروجه على قوانينها بسلوكه وفعالياته ونشاطه كيفما تجلّى، كما انه كان كائناً خارقاً للطبيعة على قدْر تعلّق الأمر بتسوية الله له مخلوقاً بامكانه التعلُّم والإرتقاء بوساطةٍ من عقله الخارق الذي سوّاه الله ليكون أداة وصل بينهما. وقبل أن نتناول بشيء من التفصيل تفاصيل ظهور هذا العقل الخارق للإنسان الأول وارتباط هذا الظهور بعلاج الله للعيوب التي كان دماغ أسلافه الأواخر يتّصف بها، نرى من الضروري ان نتحدّث قليلاً عن الروح التي تم نفخها في الإنسان الأول وارتباط وتلازُم هذه الروح بكيانه الذي سوّاه الله فخلقه في أحسن تقويم. لماذا نفخ الله في الإنسان الأول من روحه من بعد ان سوّاه؟ هل كان مُحتَّماً على الإنسان الأول ان يكون ذا روح؟ لماذا كان عليه ان يكون كائناً بايولوجياً ذا روح فائقة المجهرية؟ ما الدور الذي كان عليها الاضطلاع بتأديته خدمةً لذلك الكائن الفريد؟ لماذا لم ينفخ الله من روحه في غيره من خلْقه الذين سبق له وان خلقهم من تراب؟ لماذا تميز الإنسان الأول بهذا النفخ؟ قبل الشروع بالإجابة على هذه الأسئلة لابد لنا من استذكار الدور الذي خلق الله هذه الروح لتقوم به وذلك كما سبق لنا وان تعرفنا اليه في الفصل السابق. لقد تبيّن لنا ان الروح الإنسانية مُكلَّفة بتوثيق سيرة حياة الجسد البشري تدويناً حرفياً وأرشفةً أمينة لا تغادر صغيرة ولا كبيرة الا وأحصتها. اذاً فالروح البشرية هي الجسد الأبدي غير المرئي للإنسان أو قُل إنها

نسخته الأبدية وسفيرته الى الآخرة. لقد خلق الله الإنسان الأول في أحسن تقويم انساناً سوياً كاملاً مؤهّلاً ليتلقى عنه ويتعلم منه وليكون ذا صلة به وعلى علاقة فريدة معه. ولم يكن لهذا الإنسان الكامل ان يموت كما تموت الكائنات الحية الأخرى التي تشاركه النشأة من تراب هذه الأرض. لذلك أُضيفت اليه الروح ليتمكن بوساطةٍ منها تجاوز عقبة الموت والنفاذ الى عالم الخلود. فاذا كانت تقنية التزاوج (التكثير أو التكاثر) تهدف الى ضمان خلودٍ نسبي للنوع وذلك عبر استنساخ أفراده لأنفسهم وتكرارها بواسطة هذه التقنية وبما يُشكّل رداً على موت أفراد النوع ببقاء النوع ممثلاً بأفراد آخرين جُدد يتم استقدامهم لهذا الغرض لا لشيء آخر فان إضافة الروح الى الجسد البشري للإنسان الأول كانت تهدف الى ضمان خلودٍ حقيقي للفرد ذاته على وجه التخصيص لا للنوع على وجه العموم! فبالروح يستطيع الجسد البشري تأمين وصول نسخة عنه خالدةً أبداً الى الآخرة. ان هذا الخلود الفردي لم يتحقق لكائن بايولوجي آخر. فجميع الكائنات البايولوجية الأخرى اكتفت بتحقيقها خلوداً للنوع وليس للذات او الفرد المنتمي للنوع. وهذا أمر عجيب ليس بالعسير التمادي في استخلاص النتائج الغريبة التي بالإمكان ان تتمخض عنه! فالفرد في عالم البايولوجيا غير الإنسانية، اذ ينتمي لنوع ما، لا يختلف عن باقي أفراد نوعه اطلاقاً بما يجعل منه ذا وجود متميز عن أيّهم! فواحدهم هو جميعهم وكلهم يمثّلهم هذا الواحد الذي ليس الجميع سوى استنساخات عنه تتشابه معه بنسبة تفوق الـ ٩٩٪! فلماذا اذاً ينبغي لهذا الفرد، الذي لا يستحق هذا الإسم بحق، ان يكون ذا وجود خالدٍ طالما لم يكن غيرَ واحدٍ من أفراد النوع لا يختلف عنهم بتاتاً؟ ان انعدام الشخصية الفردية سمة مميزة لعالم الكائنات البايولوجية غير الإنسانية. لذلك لم يكن لواحدٍ من هذه الكائنات ان يُضاف اليه ما يُمكّنه من تجاوز الموت الفردي وذلك بأن يكون ذا روح يستطيع بها ان يُخلّد وجوده الذاتي هذا طالما استحال عليه ان يكون حقاً ذا ذاتية تُميّزه عن غيره من الأفراد المنتمين لنوعه! ان قاعدة العقول المُستطرَقة للكائنات البايولوجية غير الانسانية تصف بكل دقة وأمانة واقع كون عقول أفراد النوع الواحد منهم على قَدَر متساوٍ من القابلية والقدرة وبما يجعل من افتراض تمتُّع أي فرد منهم باستقلالية وذاتية فردية وشخصية متميزة افتراضاً لا يقوم على أساسٍ متين! ان الكائنات البايولوجية غير الإنسانية لا تملك عقلاً خارقاً كعقل

الإنسان؛ هذا العقل الذي جعل من أفراد الجنس البشري يتمتّع كلٌّ واحد منهم بوجودٍ ذي استقلالية وذاتية وفردية وشخصية متميزة طالما استحال عليه ان يكون نسخةً مُكرّرة لأي فرد آخر! ان هذا التميز الفردي يعود الى حقيقة كون العقل البشري لا يُشابه العقل الجماعي المميِّز لجميع أفراد أي نوع آخر من الكائنات الحية الاخرى! فالعقل الإنساني هو عقل فردي وبما يكفل لأيٍّ من أفراد النوع البشري التمتّع بشخصية مستقلة وفردية متميزة وذاتية خاصة به لا بغيره. اذاً لقد استدعى ظهور هذا العقل الفردي وجوب إضافة شيء آخر للتركيبة الإنسانية بمستطاعه ان يعمل على الحفاظ على هذا التفرُّد وبمقدوره ان يقوم بتأبيده وتخليده. ان العقل البشري هو السبب في هذه الإضافة التي تجلت في نفخ الله من روحه في الإنسان الأول الذي أراده الله، وقد خلقه في أحسن تقويم، ان يكون خالداً في الآخرة فهيّأ له ما يُؤمِّن له الوصول اليها بجسد خالدٍ. كما ان الله بنفخه من روحه في جسد الإنسان الأول أراد ان يهب هذا الكائن الفريد فرصةً لتحقيق ما يجعل منه ذا وجود آخر اضافة الى وجوده البايولوجي المرئي. فالإنسان اذا ما عمل على تحقيق الغاية من خلْق الله له فانه يُصبح ذا وجودٍ روحي غير مرئي فلا يكون كل وجوده متمثّلاً بجسده المرئي! ان الروح التي نفخها الله في الإنسان الأول لم تكن لتؤمِّن له الوصول الى الآخرة بنسخة من جسده تماثله سيرةً وأعمالاً فحسب. فهذه الروح بمستطاعها ان تؤمِّن له الحصول على طاقة عبور بمقدوره ان يفيد منها في تأمين عبوره الى الله وهو في هذا الجسد في هذه الحياة الدنيا! فالروح هذه اذا ما هو نجح في العبور بوساطتها الى الله في هذه الحياة الدنيا، وذلك بفنائه في الله، فانها الوسيلة أيضاً لعبوره الى الآخرة بنسخة عن جسده الذي عاش هذه الحياة الدنيا. لعل في ما تقدم ذكره اجابة على الأسئلة الواردة أعلاه. لقد كشفت إضافة الروح الى الإنسان الأول عن كونه يتمتع بعقل خارق جعل منه يتميز عن جميع الكائنات البايولوجية الاخرى بالمقدرة على ان يكون ذا صلة بالله في هذه الدنيا وفي الآخرة. ولكن، ما قصة هذا العقل؟ وكيف أصبح عقلاً خارقاً لا ينتمي للطبيعة؟ لماذا لا يمكن ان يكون هذا العقل نتاج الطبيعة وثمرة رحلة التطور والإرتقاء؟ ان نشوء هذا العقل الخارق لم يتم في ظل قوانين الطبيعة التي ليس هناك ما يدعوها لأن تعمل على استحداث عقل بهذه المواصفات غير الطبيعية كيما يكون بمقدور الكائن

الحي، أي كائن حي، ان ينجح في صراعه من أجل البقاء! فالعقل الإنساني لم ينشأ رداً على الواقع الذي كان يُشكِّل البيئة البشرية التي يحيا الإنسان فيها وهذا أمر يبرهن عليه كونُ ذلك الواقع يسهل التعامل معه بوساطة عقل غير خارق كعقل الإنسان الذي تبرهن خارقيّته على لاواقعيته طالما استحال عليه ان يكون لاشيء سوى مرآة للواقع ليس الا! لقد مرَّ بنا من قبل ان العقل البشري، اذ لم ينشأ عن الواقع الإنسان الذي يُشكِّل البيئة التي يحيا فيها الإنسان، لابد وان يكون صنيعة واقع آخر تَسلَّط على الواقع البشري المُعاش وبما نجم عنه نشوء ذلك العقل الخارق. فاذا لم يكن العقل البشري قد نشأ متناغماً مع الطبيعة متوافقاً مع الواقع اليومي المُعاش متطابقاً مع البيئة الإنسانية فلماذا نشأ بهذه الكيفية الخارقة التي تتميز بها جُل فعالياته؟ ان هذه الخارقية لا يحتاجها عقل الإنسان ليحيا في ظل تسلُّط الطبيعة على واقعه بقوانينها التي شكَّلت بيئته التي يحيا فيها. فلِمَ تم إبداع هذه الخارقية اذاً؟ فاذا لم ينشأ عقل الانسان ليتناغم ويتوافق وينسجم مع هذا الواقع فما هو الواقع الآخر الذي ينبغي افتراضه سبباً للتعليل لنشوء خارقيته التي لا يستطيع بخلافها التوافق والتناغم معه؟ ألا نستطيع افتراض كون السبب في نشوء عقل الإنسان، الخارق لامحالة مادام الواقع الانساني اليومي المُعاش لا يكفي سبباً لنشوئه، يعود الى تدخُّل خارجي أراد لهذا العقل ان يكون ذا مواصفات معينة يستطيع بوساطةٍ منها القيام بوظائف لا علاقة لها بنجاحه في عالم الصراع من أجل البقاء؟ أليس بالإمكان تصور العقل الانساني، ذي الذكاء الخارق وجوباً، أداةً أرادها الله ان تكون وسيلةً تُعين الإنسان على تحقيق صلته بربه؟ ان انشاء العقل بهذه المواصفات الخارقة لم يكن الهدف من ورائه إعانة الإنسان على التغلُّب على أعدائه في عالم تحكمه قوانين البقاء للأصلح! فهذا أمر كان العقل المميِّز لأسلاف الإنسان الأواخر من أشباه الإنسان قد ورثه عن الأسلاف الأوائل فاستطاع به ان يحيا في عالم تسوده قوانين الصراع من أجل البقاء والانتشار. ان إنشاء العقل البشري بمواصفاته الخارقة غير الطبيعية كان الهدف من ورائه تأمين قدرة الإنسان على ان يكون بوسعها اعانته على ان يحيا أيضاً في ظل قوانين اخرى إضافةً الى القوانين الطبيعية! اذاً نشأ عقل الإنسان ليكون بمقدور هذا الكائن الفريد ان يتوائم مع تلك القوانين التي أُريد له ان يحيا في ظلها. أراد الله بهذا العقل ان يُعين الإنسان على تحقيقه العبودية المطلقة له.

فخارقية العقل البشري دليل قاطع على وجود واقع آخر هو غير هذا الواقع الذي يُشكِّل بيئة الإنسان وعلى ان هذا الواقع الآخر تحكمه قوانين اِلهية غير مألوفة آريد لها ان تتحكم بالإنسان اذا ما هو اختار ان يكون عبداً لله. اذاً فالعقل الإنساني يُمثِّل برهاناً ساطعاً على وجود الله الذي انشأ هذا العقل ليكون بمقدوره التعلّم عنه والتلقّي منه وبما لا قِبَل به لغيره من المخلوقات البايولوجية التي تحيا بعقلها الطبيعي الواقعي في توافق تام مع الطبيعة! لقد تدخل الله في نشوء عقل الإنسان كما تدخل في علاج ما أصابه من عيوب بسبب إنساله من مخلوقات مُصابة بذاك الفايروس القديم! أراد الله بعقل الإنسان الخارق ان يكون جهاز اتصال، استقبالاً وارسالاً، يستطيع الإنسان بواسطته تأمين الإتصال بخالقه. ان مواصفات هذا العقل لا يمكن ان تكون وليدة هذا الواقع اليومي المألوف؛ كما انها ليست بصنيعة ونتاج الطبيعة، ناهيك عن ان يكون نشوؤها سببه ما حدث من فعل ورد فعل طوال مسيرة التطور والإرتقاء التي خاضها أسلاف الإنسان انتهاءً به! ان هكذا مواصفات خارقة لابد وان تكون قد تم اِحداثها، بل استحداثها، عمداً وعن سابق قصد الهدف منه هو إنجاح مساعي الإنسان للبقاء ليس في عالم الصراع والبقاء بل في عالم آخر خُلِق هذا الإنسان له لا لشيء آخر! ان عقل الحيوان يُعينه على النجاح في البقاء في ظل قوانين البقاء للأصلح، بينما يُعين الإنسانَ عقلُه الخارقُ كيما ينجح في بقائه على اتصال دائم واعٍ بخالقه. الا ان الإنسان لم يعمل على الإستفادة من عقله الخارق هذا في القيام بما خُلِق له بل سخّر هذا العقل لخدمة أغراض لم يُراد له ان يكون لها عبداً فُيسَخَّر لها! فالحضارة لم يصنعها الإنسان الا بوساطة هذا العقل الخارق الذي لم يكن الهدف من وراء استحداثه ان يقوم الإنسان بابداع هذه الحضارة! ان علماء الحضارة المعاصرة عاجزون عن ان يُفسِّروا وفق نظرياتهم، القائمة على اساسٍ من نشوء وتطور وارتقاء الإنسان في ظل هذا الواقع وداخلاً من الطبيعة ووفق قوانينها، سبب ظهور العقل الإنساني وسبب خارقيته! فلم ينجح هؤلاء العلماء في ان يعزوا هذين السببين الى ما لا علاقة له الا بهذا الواقع وهذه الطبيعة! لقد تبين لنا ان العقل البشري الخارق قد تم انشاؤه من قِبَل واقع آخر وطبيعة اخرى بقوانين لا تنتمي لهذا الواقع وهذه الطبيعة! لقد رأينا لتونا ان الله قد انشأ هذا العقل ليكون واسطة الإنسان الوحيدة ليبتدئ بها رحلته على الطريق اليه. كما تكشَّف لنا ان عقلاً خارقاً كهذا هو السبب

في ظهور الحضارة وارتقائها صُعُداً وصولاً الى ما آل اليه امرها في عالم اليوم. والآن نعود مسرعين الى آدم وقومه الظالمين. لقد تبين لنا ان اصابة عقولهم بذلك الفايروس العجيب قد نجم عنها تحوُّلهم من كائنات حيوانية طبيعية الى مخلوقات وحشية عدوانية تُفسِد في الأرض وتسفك الدماء. ان الإصابة الفايروسية تلك لم تعمل على ان ينفرط عقد النظام المسؤول عن تقنية السلوك العدواني عند أسلاف آدم الأواخر فحسب بل جعلت منهم يشذّون عن جميع الحيوانات في مجال آخر يتعلّق أيضاً بالعلاقة مع الآخر!

فشيوع الفوضى في منظومة العدوان تلك أدى الى ما رأينا من سلوك عدواني غير طبيعي ميز علاقة كل من اولئك الأسلاف الأواخر بالآخر الذي لم يَغْنِ لهم شيئاً ان يكون من أفراد قومهم أم من الأنواع الأخرى. والمجال الآخر الذي تجلّى فيه واضحاً الأثر التخريبي الذي نجم عن الإصابة الفايروسية آنفة الذكر هو الفعالية الجنسية. اذ تحوّل قوم آدم من حيوانات تمارس هذه الفعالية بانضباط تام وفقاً للضوابط المحددة لها بموسم تزاوج معين وبنشاط جنسي محدود لا يتعدى ذروة احصائية معينة الى كائنات مهووسة بالجنس تمارسه وقتما تشاء وكيفما اتفق وبلا وازع من التزام بمفردات المخطط المنظِّم لهذه الفعالية وبما يجعل منها لا تخرج عن نطاق خدمة النوع بتحقيقها هدفه من وراء هذا السلوك الجنسي والذي هو ضمان بقاء النوع وتكثير أفراده!

اذاً لقد حملت أم آدم به من أب شاركها الإنتماء لتلك القبيلة الشاذة المنحرفة غير السوية! ولقد أصبح آدم جنيناً في بطن امه ينتظره مصير لا يختلف في كثير عن مصير قومه الظالمين المجرمين. الا ان الله كان قد قرر خلْق الإنسان من قبل فبدأ خلْقه من طين ثم تابع عملية الخلْق هذه وذلك بجعله من الرحلة الى الإنسان تمر بمراحل نشوء وتطور وارتقاء متعددة بتعدّد مَن شارك فيها ابتداء من أصغر الكائنات الحية ومروراً بالحيوانات التي تفوقها حجماً وتعقيداً وانتهاءً بأمه وأبيه اللذين كانا من قبل الإصابة الفايروسية حيوانين طبيعيين لا سبيل للتفريق بينهما وبين غيرهما من الكائنات الحية المنضبطة، أيّما انضباط، وفقاً لقوانين الطبيعة المنظِّمة لمجمل نشاطاتها وفعالياتها وسلوكها. ان الله الذي تابع عملية الخلْق المعقدة هذه والتي تتابعت فقراتها وفصولها على مدى مئات الملايين من

السنين لم يكن ليترك آدم ليواجه مصير أبيه وامه من قبل؛ فكان ان تدخّل في مسار نشوء هذا الجنين المُختار الذي اصطفاه على علم على قومه كلهم أجمعين! لقد تجلّى هذا التدخّل الرحيم في ما قاله الله في القرآن العظيم من انه (سوّاه) واَتبَع ذلك بأن (نفخ فيه من روحه). ونحن الآن على أعتاب محاولة فهم ما تعنيه كل من تلك التسوية وذلك النفخ. ان الله قد قام بنفسه بعلاج ما أفسدته الإصابة الفايروسية وذلك باعادة تنظيم المراكز المسؤولة عن السلوك العدواني والنشاط الجنسي داخلاً من دماغ آدم الجنين وبما يجعل منه كائناً طبيعياً لا يختلف في شيء عن أجداده من الأسلاف الأواخر للإنسان الذين لم يكونوا بعد قد أصابتهم تلك الفايروسات القاتلة. اذاً فقد قام الله باعادة دماغ آدم الجنين الى الحالة التي كان عليها أجداده فأصبح دماغاً طبيعياً تنتظم مراكز السلوك العدواني والنشاط الجنسي فيه وفق ضوابط تجعل منه مُنظِّم العدوان والجنس. الا ان الله لم يكتف بهذه الإعادة؛ اذ قام بتنشيط دماغ آدم الجنين بالكامل وبما يضمن عدم اصابته بهذه الفايروسات مستقبلاً. ولقد عمل الله على جعل دماغ آدم الجنين ذا نشاط عقلي خارق وذلك لأن الوقت قد حان ليظهر الإنسان الذي كان قد حدّد له وقتاً وزماناً لابد له من ان يظهر بحلولهما ولكن ماذا نفهم بعد أيضاً مما قاله الله عن الإنسان بأنه قد (سوّاه)؟

لقد تبيّن لنا من قبلُ ان الإصابة الفايروسية إياها قد اَلحقت أضراراً فادحة بالمراكز الدماغية المسؤولة عن تنظيم وضبط العلاقة بالآخر كائناً مَن كان وسواء كانت هذه العلاقة تعبيراً عن السلوك العدواني أو الفعالية الجنسية أم اصطياداً وقنصاً وحتى قتلاً أيضاً. ولقد رأينا ان ذلك الإختلال أدى الى انفراط عقد كل من السلوك العدواني والنشاط الجنسي لأشباه الانسان (قوم آدم) وان أساس هذا الاختلال يعود الى اضطراب في بايوكيمياء وبايوالكترونيات المناطق من دماغ تلك الكائنات التي أضر بها الفايروس اياه. ان الحل الوحيد الذي كان بوسع الطبيعة ان تلجأ مضطرةً اليه هو ابادة هذه الكائنات الشاذة غير السوية عن بكرة أبيها. الا ان الله كان قد قرر المضي قُدُماً بخطة خلْق الانسان فتدخّل برحمته الواسعة وأَصلح ما أفسدته الاصابة الفايروسية وذلك بقيامه بعلاج آدم الجنين عبر إعادة تنظيم بايوكيمياء وبايوالكترونيات دماغه وبما يكفل له التحوّل من الشذوذ

والخروج على قوانين الطبيعة الى العودة اليها. ان إعادة التنظيم هذه لم تكفل لآدم الجنين حصوله على دماغ خالٍ من نتائج الاصابة الفايروسية، كما تعرفنا اليها، فقط ولكن جعلت منه يحظى بدماغ متميز بعقل خارق فائق الذكاء. لقد عمد الله الى تسوية آدم الجنين وذلك بأن قام بإحداث تغييرات بايوكيميائية ـ بايوالكترونية في منظومات دماغه مما أخل بالضوابط الحيوانية الموروثة والتي تقوم بواجب ومهمة تنظيم علاقته بالبيئة. لقد أدى هذا التدخّل الالهي، وذلك عبر الاخلال بهذه الضوابط بايوكيميائياً ـ بايوالكترونياً، الى اعادة النظام الى ربوع الدماغ الآدمي مما كفل له التخلص من انفراط عقد كل من السلوك العدواني والنشاط الجنسي. الا ان هذا التدخّل الالهي جعل من غير الممكن على عقل دماغ آدم الجنين من بعد هذه التسوية ان يعود الى سابق عهده من الانضباط وفقاً لقواينن علاقة الكائن الحي ببيئته. فلقد أدى هذا التدخُّل المُعجِز الى ظهور العقل الانساني والذي لا يمكن غير ان يكون عقلاً خارقاً طالما كانت تلك هي ظروف نشأته غير الطبيعية. لقد كان اختفاء العدوانية المميزة لأسلاف الانسان الأواخر ورجوع النشاط الجنسي لآدم الجنين الى سابق عهده انضباطاً وتقنيناً على حساب ظهور العقل غير المنضبط للإنسان!

أراد الله بهذا العقل الآدمي الخارق للطبيعة ذي الذكاء الفائق ان يكون واسطة خلْقه الفريد هذا في علاقته المتميزة الواعية به تعالى. فعلاقة الله بمخلوقاته البايولوجية السابقة لآدم ظهوراً تميزت بكونها آحادية الجانب. فالكائن الحي لا يعي كونه يحيا بوساطةٍ من الله الذي لولاه لما كان له ان يتنفس ويأكل. ان جميع المخلوقات البايولوجية قبل الانسان الأول لم تكن على دراية بوجود الله الذي كانت تُسبِّح له في غُدوِّها ورَواحها بلا وعي منها! أما آدم فقد أراده الله ان يكون المخلوق البايولوجي الوحيد الذي يشذ عن الطبيعة ويخرج على قوانينها وذلك بأن يكون بمستطاعه ادراك الوجود الالهي حوالَيه والقيام بما يتطلّبه هذا الإدراك من تحادث وتحاور وتخاطب. ان الكائنات البايولوجية غير الآدمية لا تستطيع ادراك وجود الله من حولها وذلك لأن دماغها لم يُسوَّ ليكون بوسعه ان يعي كونه على صلة دائمة بربّه. تميزَ الإنسانُ الأول اذاً بهذا الدماغ الأعجوبة الذي كان بوسع منظوماته البايوالكترونية ان تعي الوجود الالهي وان تتلقى عنه

كلمات الوحي والتعليم وان تخاطبه فيسمع لقول صاحبها ويبادله حديثاً بحديث! خُلِق الانسان الأول قادراً على السماع من الله الذي لا يستطيع ان يراه لفرط لطفه وفائق مجهريته. خُلِق الانسان الأول بدماغ لم تعهده الطبيعة من قبل؛ اذ أمكنه بواسطته ان يكون كالملائكة على قدْر تعلق الأمر بالمقدرة على التعلم عن الله ومخاطبته والسماع منه. فآدم كان بحق مخلوقاً استثنائياً فريداً متميزاً بهذا العقل الخارق الذي لم يكن حتى للملائكة ان يعلموا من أمره غير انه قد خُلِق من طين! لقد نظر الملائكة الى أسلاف آدم الأولين من خلْق الطين ولم يروا فيهم مَن كان بوسعه أن يتجاوز حدود القوانين البايولوجية التي تنظِّم فعاليات الدماغ وتُلزِمها بالعمل داخلاً من حدود عالم الطبيعة. فلم يكن هناك في عالم البايولوجيا الطينية مَن كان بوسعه الحيود عن مسار الصراع من أجل الانتشار والبقاء والحياة في ظل قانون البقاء للأصلح بالمعنى الذي أراده الله وليس سواه! لذا فان الملائكة لم يدركوا انهم اذ ينظرون الى آدم الطيني فانهم كانوا أمام خلْق جديد! لقد تميز هذا الخَلق الجديد بكونه ذي دماغ طيني النشأة ابتداءً! اذ لم يسبق للملائكة ان تعرفوا الى أحد بوسعه ان يكون على صلة واعية بالله ما لم يكن مثلهم قد خلقه الله فائق المجهرية غير متشكِّل على هيئة مُصوَّرة مُسوّاة! ان الله خلق آدم من طين ابتداءً، الا انه خلقه خلقاً آخر انتهاءً اذ جعله لا يُشابه أياً من باقي مَن خلق طيناً وذلك بتشكيله مادة دماغه وجعْلها لا تُقيّد قدرته على الصلة الواعية به بقيود النشأة الطينية التي تُقيّد جميع مخلوقات الطين. فآدم الطيني كان لا يختلف في قدرته على ان يكون على صلة واعية بالله عن أيٍّ من الملائكة الذين لم يخلقهم الله من طين! لقد كان عَجباً ان خلَق الله مِن طين مَن كان بوسعه ان يكون مع الله كمن لم يخلقه من طين! ان المادة فائقة المجهرية التي منها خُلِق الملائكة جعلت منهم خلْقاً فريداً ميَّزه الله بالقدرة على ان يكون على صلة واعية به. الا ان ذلك لم يكن لَيعني على الاطلاق ان مَن لم يخلقه الله فائق المجهرية فليس بمستطاعه بالتالي ان يكون كالملائكة في صلتهم بالله! كما ان ذلك لم يكن لَيُحتِّم اطلاقاً وجوب ان لا يكون لأيٍّ مِمَّن خلق الله طيناً القدرة على التميز بصلة بالله تُشابه تلك التي للملائكة به! الا ان ابليس فاته ان يُدرك كل ذلك وذلك عندما أبى ان يسجد لله باطاعته اياه؛ اذ أمر الله الملائكة ان يسجدوا لآدم فلم يسجد له بل عصاه وخالف عن أمره! ان الله لم يكن ليُعجزه

ان يخلق من طين كائناً يشبه باقي مَن خلقَ مِن طين ويشبه في الوقت عينه مَن كان قد خلق مِن قبلُ ملائكةً! فآدم، بعقله ذي المنظومات البايوالكترونية فائقة التعقيد، كان كالملائكة على الرغم من خَلق الله له من طين. الا انه لم يكن مثلهم تماماً! فنقطة ضعفه كانت الطين الذي جعله في النهاية ينسى فيعود القَهقرى الى ماضٍ كاد ان ينتهي به الى أسفل سافلين لولا ان تداركه الله برحمته وهداه الى طريق العودة اليه.

لقد تعرَّضنا في الصفحات السابقة الى موضوع نشأة العقل الانساني وتعرفنا على الدور الذي قام به الفايروس اياه في الاِضرار بمنظومات العلاقة بالآخر وتلمّسنا آثار رحمة الله بتدخّله لعلاج ما تضرر في دماغ آدم الجنين وما نجم عن ذلك التدخّل الالهي من اعادة تشكيل معظم منظوماته وبما يكفل له ان يكون على صلة واعية بالله ويؤهّله بالتالي للتلقّي منه والتعلّم عنه. لقد تحرر العقل الآدمي، بتدخّل الله لعلاجه من أضرار اصابته الفايروسية تلك، من القيود التي تكبل العقل الحيواني فتجعل منه خاضعاً للطبيعة، مطيعاً لقوانينها: طبيعياً بمعنى آخر. فأصبح العقل الانساني غير خاضع للطبيعة؛ خارجاً على قوانينها؛ غير طبيعي بمعنى آخر! وكيف له ان يكون خاضعاً لقوانين الطبيعة، وهي مخلوقة مثله، اذا ما كان الله قد أراده ان يعي خضوعه له من دون حجاب من قوانين طبيعية يتستر بها عنه؟! لقد أراد الله بالعقل الآدمي ان يكون عقلاً خارقاً لقوانين الطين التي تُحتّم على المخلوقات الطينية كافة ان تبقى علاقتها بالله خالقها من طرف واحد بلا وعي منها بها. الا ان الانسان الذي خلق الله له العقل الخارق هذا ليُعينه على الوعي بصلته به والاستعداد للتلقّي والتعلّم عنه لم يستعمل عقله ذاك لما خُلق له بل جعله أداةً تُعينه على الابتعاد عن خالقه والانشغال عنه! ولقد نجح الإنسان في مسعاه المنحرف هذا؛ اذ ساعده عقله الخارق على ان يكون بحق عبداً آبقاً هارباً من سيده الى حين! فالعقل الانساني، اذ خُلِق خارقاً للطبيعة سيداً عليها غير مُلزَم بالخضوع لقوانينها لوجوب وتعيُّن خضوعه لربه وربها، استطاع ان يُبدع الحضارة والفكر والمعرفة والتقنية حتى وصل به الامر الى حاله الذي هو عليه اليوم: سيداً للدنيا ومتسلِّطاً على كائناتها! ان العقل الانساني، بنأيه وابتعاده وهروبه عن الله، لن يستطيع ان يصل بالانسان الى شيء ذي بال طالما لم يكن،

بابتعاده هذا عن الله، الا هارباً من الله فاراً منه اليه! ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ﴾ [الإنشقاق: ٦]. فالعقل البشري، بعيداً عن السير على الطريق الإلهي الى الله، طوعاً، ليس بمقدوره ان يجد الحلول والعلاجات الكفيلة باصلاح البُنية الانسية التي جعلت من الانسان يشقى في أسفل سافلين. والعقل الانساني سوف لن يصل الى أي كمال يُمكِّنه من القضاء على التراجيديا البشرية، بفصولها الدراماتيكية المحزنة جميعاً، اذا ما هو لم يَسِر على الطريق الإلهي الى الله طائعاً غير كاره ولا مُكرَه. ان الانسانية المُعذَّبة لن تزداد بترقّي العقل البشري الا عذاباً فوق العذاب مادام هذا العقل لا يعمل وفق المخطط التكويني والمرسوم التصميمي اللذين خُلق بالاستناد اليهما! فالعقل الانساني بعيداً عن الله لن يصل بالانسان الا الى استبدال شقائه الحالي بشقاء آخر يحل محله!

نقفل راجعين الى حيث تركنا آدم جنيناً على وشك ان تَلِده امه ليحيا بين ظهراني قوم مجرمين خرجوا على قوانين الطبيعة التي احكمَ الله صياغتها فاستقر بها حال الدنيا وصلُح امرها. لقد عاثت الاصابة الفايروسية في أدمغة القوم فساداً كبيراً جعل منهم وحوشاً بعقول لم تعهدها الطبيعة من قبل. لننظر الآن قليلاً الى العقل الذي كان عليه آخر أسلاف الانسان الأول! لقد نمى ذلك العقل الشائه نمواً غير طبيعي اثر تضرُّره جراء الاصابة الفايروسية اياها فتحول نتيجة لذلك من عقل حيواني منتمٍ للطبيعة الى آخر مُتسرطن لم يكن ليُعين قوم آدم على تمشية امورهم وتحقيق الهدَف من وجودهم. لقد كان ذلك العقل المتسرطن عقلاً فائقاً خارقاً للطبيعة وذلك بسببٍ من خروجه على قوانينها التي تقيدت بها جميع الكائنات الحية خلافه. كان ذلك العقل الشائه فلتةً طبيعية Lusus Naturae شأنه، بتميزه بنموه غير الطبيعي ذاك، شأن أي سرطان آخر يصيب أحد أعضاء الجسم فينمو نمواً غير طبيعي وتكون عاقبته الهلاك باهلاك الجسم كله! لقد نشأ العقل الفائق الذي تميز به قوم آدم نتيجة انفلات العقل الطبيعي الذي كانوا عليه وذلك بافلات معايير توازنه الطبيعي مع البيئة. ان الهجوم الفايروسي كان من القوة بحيث كانت نتيجة رد الفعل الدفاعي للدماغ تجاهه حدوث تغيير كبير بالعقل أرادت به الطبيعة ان تتفادى الآثار الكارثية لهذا الهجوم وذلك باعادة تعيير الاجزاء المتضررة منه. الا ان تلك الآثار كانت من القوة بحيث طالت حتى

الارشيف الوراثي، بشفرته الجينية السرية، مما أدى الى ترسيخ جيني لما نجم عنها من تغيرات وتوريثه جنسياً للأفراد الجُدد! كان من بين النتائج بعيدة المدى لذلك الترسيخ والتوريث تغيُّر تعامل العقل مع البيئة بحيث أصبح في تفاعله معها ليس عنصراً من عناصرها بل نِتاجاً مشوَّهاً لا ينتمي اليها! فلم تُفلح الجهود التي قامت بها الطبيعة، عبر تحفيزها الدماغ للقيام برد فعل طبيعي على تلك الاصابة وما نجم عنها من آثار وإضرار، في محاولة منها للتغلّب على ذلك الهجوم الفايروسي وذلك على الرغم من ان الدماغ كان قد قام بإحداث تغييرات بايوكيميائية ـ بايوالكترونية في معظم منظوماته! لقد نجم عن هذه التغييرات التي تم إِحداثها الاخلال، والى الأبد، بالضوابط الموجودة والتي تنظم العلاقة بالبيئة مما أدى الى جعل الدماغ غير قادر على الرجوع الى حالته السابقة المتميزة بنظام بايوكيميائي ـ بايوالكتروني معين يتيح له حُسن الانضباط بقوانين الطبيعة وفقاً لما يمليه عليه انصياعه لأمرها ونهيها! لذا فقد تحول الدماغ الحيواني لآخر أسلاف الانسان الأول من الحيوانية الطبيعية الى الوحشية. ان محاولات الطبيعة لاصلاح ما تم تدميره وتخريبه من قِبل الفايروس اياه لم ينجم عنها الا الإضرار بالدماغ أكثر وأكثر! ولقد تفاقم الأمر وازداد خطورة بامتداد الآثار الكارثية للاصابة الفايروسية لتطال الرسالة الوراثية للنوع بأكمله مما أدى بالنتيجة الى توريث تلك الاضرار ونقلها للأجيال الناشئة بالاتصال الجنسي. اذاً لم يكن هناك من حل آخر غير ابادة تلك الأقوام المنحرفة عن بكرة أبيها طالما لم يكن هناك من ضرورة للإبقاء عليها بتدخُّل إِلهي مباشر لاصلاح أدمغتها واعادتها حيوانية كما كانت في السابق. ولقد أبقى الله على واحد من تلك القبيلة وذلك لأنه كان قد سبق وان قام بعلاجه عندما كان جنيناً في بطن أمه! أبقى عليه الله هو وزوجَه، التي اَنشأها من مَنيِّه وتدخل لعلاجها، جنيناً في بطن امها، كما فعل ذلك من قبل معه!! اذاً لقد صدر القرار الالهي القاضي بالابقاء على آدم وزوجه خليفةً في الأرض من بعد قومهما الظالمين. وتكشف الآية الكريمة (وَإذ قالَ ربُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعلٌ في الأرضِ خليفةً) النقاب عن تلك النقلة التطورية، بالغة الخطورة، في مسار ارتقاء الانسان الأول الى مَصاف الكائن الحي ذي العقل الخارق والذي تقرر الإبقاء عليه على الرغم من ماضيه الدموي وانحداره من صُلب وحش مجرمٍ خارجٍ على قوانين الطبيعة!

الفصل الثالث

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾
آدم الانسان ظاهرة خارقة!

٣ ـ ١ القرآن العظيم والخليفة

اضافةً الى ورود كلمة خليفة في معرض حديث الله عن قراره بالإبقاء على آدم وزوجه من بعد إهلاك قومهما الظالمين فان هذه الكلمة لم ترد مرة اخرى في القرآن العظيم الا في معرض حديث الله عن داود عليه السلام. قال الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

ولكن، ما معنى كلمة خليفة في هذا السياق؟ وهل تفيد ذات المعنى الذي تجلّت به كلمة خليفة الواردة في سياق الحديث عن آدم؟ لنتدبّر الآية الكريمة التالية: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البَقَرة: ٢٥١]. تُبيِّن هذه الآيات الكريمة ان الله اصطفى داودَ وميّزه بصفات جعلت منه مِلِكاً على قومه وان الله بجعله داود ملكاً فانه قد قام بنصرته على اعدائه وذلك من قبل ان يتحقق له الجلوس على كرسي المُلك؛ حيث تم جعل داود خليفة من بعد اعدائه المهزومين المُهلَكين. اذاً فكلمة خليفة هنا قد جاءت مُحمّلة بمعنى لا يختلف أبداً عن المعنى الذي حملته عندما وصف الله آدم بأنه خليفة في الأرض. ان هذا المعنى لا يفيد المُلك بمعزل عن الإهلاك والنصرة والإصطفاء والإبقاء! فالخليفة يخلف مَن سبقه بمعنى انه يجيء ويأتي ليبقى من بعد ان تحقّق لمَن كان قبله ذهابه ومُضيّه

ورحيله؛ فهو مَن يعقب مَن كان سلفاً له.

لنتدبّر بعضاً مما ورد في القرآن العظيم من آياتٍ كريمة تضمَّنت تنويعات الإهلاك والإبقاء؛ إهلاك الله للقوم الظالمين وإبقائه وتنجيته للمؤمنين:

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠]، ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦]، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٤]، ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٧٢]، ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣ ـ ٨٤]، ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٦ ـ من ١٣٧]، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥]، ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ﴾ [إبراهيم: ١٣ ـ من ١٤]، ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ [الإسراء: ١٠٣ ـ ١٠٤]، ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنبياء: ٩]، ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الأنبياء: ١١]، ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٦ ـ ٧٧]، ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨ ـ ٢٩]، ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٥ ـ ٦٦]، ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾ [الشعراء: ١١٩ ـ ١٢٠]، ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٠ ـ ١٧٢]، ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا

عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [النمل: ٥٧ ـ ٥٨]، ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ [العنكبوت: ١٤ ـ ١٥]، ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ﴾ [يس: ٢٦ ـ ٢٩]، ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ٧٦ ـ ٨٢]، ﴿إِذْ نَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ [الصافات: ١٣٤ ـ ١٣٦]، ﴿فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ ما مَكَروا وَحاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذابِ﴾ [المؤمن: ٤٥]، ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [فصلت: ١٧ ـ ١٨]، ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَـٰهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٤].

٣ ـ ٢ رحلة الخليفة من الأرض الى الجنة!

يظن البعض من مفسّري الوثيقة الدينية ان الله خلق آدم من تراب وطين الجنة! ويعزّز هذا البعض طرحه الخاطئ هذا بفهم، لا يقل عنه خطأ، لما ورد في الآيات الكريمة من تفاصيل تخص خلْق الله لآدم. فهم لا يتورعون عن النظر الى سجود الملائكة لآدم على انه أمر تم هناك في السماء بتواجد آدم في الملأ الأعلى! يبرهن أنصار هذا الفهم على صحة ما يذهبون اليه بهذا الخصوص بما جاء في الآيات الكريمة من طرد الله للشيطان من الجنة وإخراجه مما كان فيه إثر رفضه السجود لآدم الذي ظن هذا البعض ان سجود الملائكة له كان قد تم وآدم هناك في الجنة! اذ يتخيل هؤلاء ان الأمر تم على النحو التالي: كان آدم يحيا في الجنة التي سبق وان أسكنها الله ملائكتَه الذين أخبرهم بأنه ما ان يخلق بشراً من طين فيسوّيه وينفخ فيه من روحه حتى يتوجب عليهم ان يسجدوا له. فسجد الملائكة كلهم لآدم الا ابليس الذي أبى ان يسجد لآدم مما جعل من الله يقوم باخراجه وطرده منها. والآن اذا كان الله قد خلق آدم من تراب الجنة، كما يظن ويتوهم هذا البعض، فكيف تكون هذه الجنة بالتالي في السماء والقرآن العظيم يؤكّد كوننا قد خُلِقنا من الأرض لا من الجنة؟! تدبّر الآيات الكريمة:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢]، ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ﴾ [هود: ٦١]، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٦]، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٨]، ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧]، ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]، ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السّجدة: ٧]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [فاطر: من ١١]، ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: ١١]، ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: ٧١]، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النّجم: من ٣٢]، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤]، ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧].

ان التدبُّر في هذه الآيات الكريمة يقود لامحالة الى وجوب الاقرار بكون التراب الذي منه خلقنا الله لم يكن غير تراب هذه الأرض ليس الاّ! ولكن الله كشف لنا في آيات كريمة اخرى عن سرٍ آخر يتعلّق بماضي الانسان وذلك عندما آشار الى اصطفاء الله لآدم وزوجه ليسكنا الجنة التي لا يمكن ابداً ان تكون على هذه الأرض! فلقد آبانت الآيات الكريمة:

﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦]، ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٣٧]، ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٤ ـ ٢٥]، ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [طه: ١٢٣].

عن سماوية تلك الجنة وذلك كما يتضح بكل جلاء بتدبُّرنا لها. اذاً لقد كشف الله عن السر العظيم المتعلّق بخلْقة آدم من تراب هذه الأرض وإسكانه له وزوجه في جنة خارج الكرة الأرضية وإهباطه لهما من بعدُ وإرجاعهما اليها! لقد ضل هذا البعض بظنهم الباطل ان السجود لآدم يستدعي ويتطلب تواجده مع مَن

أمِر بالسجود له في مكان واحد هو الجنة! ان سجود الملائكة لآدم حدثٌ وقع في الملأ الأعلى بعيداً عن هذه الأرض التي كان يحيا عليها آدم وهو بعدُ جنين في بطن أمّه! ان القرآن العظيم واضح في تبيانه ان الله خلق آدم من تراب هذه الأرض وضوحه في كشفه النقاب عن رفعه آدم الى جنة في السماء بعيداً عن الأرض وضوحه في إخباره لنا انه قد تم إهباطه من بعد ذلك الى الأرض من جديد. لنتدبّر تسلسل رحلة آدم من تراب هذه الأرض واليه مروراً بالجنة الفضائية Space Paradise كما جاء في الآيات الكريمة التالية:

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هُــود: ٦١]، ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النَّجم: ٣٢]، ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]، ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [الأعراف: ١٩]، ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٤ ـ ٢٥].

ان جنة آدم هي ليست جنة الخُلد التي وعد الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات. فالجنة يوم القيامة عرضها السموات والأرض بينما لم تكن جنة آدم الا أرضاً سماوية أهبطه الله منها الى هذه الأرض! لذا فان على مفسّري الوثيقة الدينية ان يدركوا صعوبة التوفيق بين التفاسير التي قاموا بصياغتها وهم يتدبّرون الآيات الكريمة التي اورد فيها القرآن العظيم قصة آدم! فعلى سبيل المثال فان الله أخبر ملائكته بأنه قد قرر ان يجعل في الأرض خليفة كما انه قال لآدم وزوجه بأن يسكنا الجنة. فكيف يتم تفسير اجتماع كلمتَي الأرض والجنة؟ الا يدل هذا الاجتماع على حدوث رحلة معراج من الأرض الى الجنة؟ ان الآيات الكريمة تتكاتف، وتتآزر وتتعاضد، فيما بينها لتكشف الحقائق بينما تتناقض وتتهاوى تفاسيرها التي جاء بها مَن أراد ان يفرض عليها ما ترفضه! ان الحقائق القرآنية لا تتناقض فيما بينها لأنها تجلّيات الحق الذي ليس له من ضد غير الباطل، بينما تتناقض فيما بينها تفسيرات البشر لأنها نِتاج عقل انساني غير كلّي الاحاطة لم يؤتَ من العلم الا قليلا!

ان مَن يقوم بدراسة جدية لكثير من التفاسير الدينية التي أراد بها واضعوها

ان يُزيلوا غموضاً توهّموه في آيات القرآن العظيم لَيعجب أيّما عجب من منهجهم الذي تواضعوا على اتخاذه السبيل الوحيد للتخلص من هذا الغموض القرآني المزعوم! فهذا المنهج يقوم على أساسٍ من الحرص والمحافظة على قدسية الآية الكريمة قيد التفسير بحيث يتم إبداع وصياغة تفسيرها وبما يكفل لها ألاّ تُظهر أي تناقض داخلي أو عدم اتّساق بُنيوي يطال تشكُّلها من كامل مفرداتها المتكاملة فيما بينها! ولكن، مَن قال بأن الآية الكريمة تحتاج مَن يأتي بهكذا تفسير ليدفع عنها تناقضها الظاهري المزعوم؟! ان القرآن العظيم مُيسَّر للذكر يبحث عمَّن يدَّكِر لا عمَّن يظن بأنه قادر على ان يأتي ببيان أبلغ من البيان القرآني المُعجِز الذي أراد به الله ان يكون تبياناً لكل شيء! ان الآيات الكريمة للقرآن العظيم تتكامل فيما بينها تكامل مفردات كل آية من آياته الكريمة فيما بينها؛ وهذا التكامل القرآني المعجز هو الدليل على لابشرية القرآن العظيم واستحالة ان يكون واضعَ آياته الكريمة أحدٌ آخر غير الله. ان التفسير الوحيد الذي يجب ان يُفسَّر به القرآن العظيم هو التفسير القرآني الذي يعتمد قاعدة الامام علي كرّم الله تعالى وجهه في تدبُّر القرآن العظيم. فـ القُرآنُ يُفسِّرُ بعضُهُ بَعضاً؛ بمعنى انك لن تستطيع ان تُفسِّره الا به لا بشيء آخر كما يفعل ذلك جُلُّ المفسرين! لقد بالغ هؤلاء في ابتعادهم عن القرآن العظيم، كَكُلٍّ متكامل يُفسِّر بعضه بعضاً، وذلك بأن أتَوا بما أسموه بالتفسير الحرفي للآية الكريمة المُراد تفسيرها. أراد واضعو هذا التفسير ان يكون الأداة التأويلية التي تُتيح لهم المحافظة على قدسيّة الآية الكريمة المعنية وذلك بأن يتم بناؤه بالشكل الذي يجعل من المفردات التي تتشكَّل منها هذه الآية الكريمة لا تتناقض فيما بينها! ولكن مَن قال بأن هناك تناقضاً يجب افتراضه ومن ثم القيام بازالته؟! لقد وقع واضعو التفسير الحرفي أسرى عُصاب هيَّأ لهم الظن بأنهم مُطالَبون بصياغة هكذا تفسير ينتصر للآية الكريمة قيد التفسير! ان انشغالهم المَرَضي هذا بكونهم مطارَدين من قِبَل باحثٍ عن التناقض في نص كل آية من آيات القرآن العظيم جعل منهم يقعون في فخ قاتل نصبوه لأنفسهم بأنفسهم. فلقد نسوا، في غَمرة انشغالهم بالتفسير الحرفي لكل آية كريمة بمعزل عن القرآن العظيم بأكمله، ان لا حياة لهكذا تفسير ميت يجتزئ ويقتطع الآية الكريمة المُراد تفسيرها من باقي الجسم الحي للقرآن العظيم بعيداً عنه عازلاً اياها عنه! ان التفسير الحي للآية القرآنية الكريمة يجب ان يُبقي عليها متكاملةً مع كامل آي

الذكر الحكيم متصلة به بأكمله من غير إجتزاء ولا إقتطاع يُباعد بينها وبينه. ان التعامل المعرفي الصائب هذا مع الآية الكريمة بُغية تفسيرها يضمن عدم الوقوع في الأخطاء القاتلة التي سقط في مهاويها واضعو التفسير الحرفي لكل آية كريمة من آيات القرآن العظيم بمعزل عن كامل ما ورد فيه من آيات كريمة! فلقد نجم عن تعامل المفسّر الحرفي للآية القرآنية الكريمة مع مفرداتها على انها كل ما هنالك مما يُحتاج اليه قياماً بتفسيرها نسيانُه لحقيقة كون الآية الكريمة في القرآن العظيم لا تتكوّن من مفرداتها المُشكِّلة لها فحسب ولكن من اتصالها العضوي الحي بكامل الجسم الواحد للقرآن العظيم كذلك. فالدور الذي تقوم به في تفسير آية كريمة معينة باقي آيات القرآن العظيم لا يقل أبداً عن الدور التفسيري الذي تقوم به مفرداتُها التي تتكون منها! فالخارج القرآني المُتكوِّن من كامل آيات القرآن العظيم لا يقل دوره التفسيري عن الداخل القرآني للآية الكريمة المعنية. فكما اَن لا قيام للآية القرآنية العظيمة الا بمفرداتها المكوِّنة لها فلا حياة لها كذلك الا بباقي آيات القرآن العظيم المتكون، معها، منها. ان البيئة الطبيعية التي تحيا فيها الآية القرآنية الكريمة والوسط الحيوي الذي لا يمكنها ان تنفصل عنه وتغادره هو القرآن العظيم بأكمله والذي ليس لها من حياة خارجه! ان إجتزاء الآية القرآنية الكريمة واقتطاعها من السياق القرآني ونقلها بعيداً عن باقي الآيات الكريمة للقرآن العظيم هو ما يقوم على أساسٍ منه التفسيرُ الحرفي للآية القرآنية الكريمة. فالتفسيرُ الحقُّ لأية آيةٍ من الآيات الكريمة للقرآن العظيم ينبغي ان ينظر اليها بنور القرآن العظيم الذي تتفاعل هي وباقي آياته الكريمة فيما بينها لتكوينه! فالناظر نظرة الحق الى أية آيةٍ كريمة في القرآن العظيم يجب ان يضع نصب عينيه انها وإن ابتعدت، في المكان قراءةً أو كتابةً، عن باقي آياته الكريمة الا انها ترتبط معها، كلها جميعاً، بالكامل ارتباطاً عضوياً حياً لسنا لنفقه له كيفيةً أبداً. اذاً فالنظرة الحق يجب ان تتعامل معرفياً مع الآية الكريمة المُراد تفسيرها من دون إبعادٍ لها وإقصاء عن باقي الآيات الكريمة للقرآن العظيم الذي لا تنفصل عنه آياتُه الكريمة المُكوِّنة له وان ابتعدت مكانياً، قراءةً وكتابةً، عنه! لقد وقع المفسِّرون الحرفيون في الشَرَك القاتل الذي نصبوه لأنفسهم وذلك عندما فاتهم ان يدركوا ان التفسير الحرفي لآيةٍ قرآنية كريمة اذا ما كان الهدف من ورائه المحافظة على قدسيتها، التي وقع في ظنهم ان لا حفاظ عليها الا بتفسيرهم

المُختلَق هذا ولا قيام لها الا به، فان هذا التفسير يجب ان لا يكون متعارضاً مع التفسير الحرفي لآية كريمة اخرى بحيث تبدو الآيتان الكريمتان متناقضتين فيما بينهما متعارضتين! لنتدبّر الآيات الكريمة التالية: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٨ ـ ٢٩]، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]. فعند مقابلة التفسير التقليدي (الحرفي) لكلٍّ من هاتين الآيتين الكريمتين بالآخر يتبين لنا مقدار التناقض الصارخ بين هذين التفسيرين؛ هذا التناقض البعيد كل البعد عن الآيتين الكريمتين بمعزلٍ عن التفسير الحرفي لهما! فالتفسير التقليدي، اذ يقوم بتأويلٍ حرفي للآية القرآنية الكريمة، يجعلنا نعتقد معه بأن الانسان قد خلقه الله من طين، كهذا الطين الذي نراه حوالَينا، نفخ فيه الله من روحه، كما نفخ عيسى بن مريم في ذلك الشيء الذي خلقه كهيئة الطير من الطين. وعند مقابلة هذا التفسير بالتفسير الحرفي للآية الكريمة الثانية، والذي يريدنا واضعوه ان نصدق معهم ان بمقدوره ان يجعل منا نتيقَّن من ان هذه الآية الكريمة ما هي الا نسخة اخرى من الآية الكريمة الاولى تزيد عليها قليلاً كما تنقص عنها قليلاً، فاننا نقع في حيرة بالغة؛ اذ كيف لمَن فيه من روح الله ان يكون مفسداً في الأرض سفاك دماء؟! فاذا كان الله قد خلق الانسان من طين تـمَّ النفخُ فيه من روح الله، بالمعنى الشائع المتداول، فكيف لِمَن هو بهذه الخِلقة البريئة ان يكون من الذين يُفسدون في الأرض ويسفكون الدماء؟!

ان عدم وجوب الالتزام بالحرفية في تفسير الآية القرآنية الكريمة توجبه المعاني المتعدِّدة التي تظهر بها الكلمةُ القرآنيّة المقدَّسة في الآيات الكريمة المختلفة. وكمثال على ذلك لنأخذ كلمة الروح التي ظهرت بمعانٍ مختلفة في الكثير من الآيات القرآنية الكريمة:

﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [المؤمن: ١٥]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: من ٥١]، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: من ٢٢].

فلقد ظهرت كلمة روح بمعنى روح الله سيدنا جبريل عليه السلام؛ الآيات الكريمة:

﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: من ٨٧]، ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: من ٢٥٣]، ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [المائدة: من ١١٠]، ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]، ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢]، ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤]، ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨]، ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤].

وفي مكان آخر من القرآن العظيم تظهر كلمة روح بمعنى آخر لا علاقة له بالروح الأمين سيدنا جبريل عليه السلام؛ الآيات الكريمة:

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]، ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧٢]، ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢].

ان أتباع التفسير الحرفي للآية القرآنيّة الكريمة ليسوا دوماً صادقين في انتصارهم لتفسيرهم الخاطئ هذا! ففي أحايين كثيرة يُضطر هؤلاء الى تحميل النص ما لا طاقة له بحمْله. كما سبق لنا وان رأينا انهم في أحيان اخرى كثيرة يقومون بتقويل النص ما ليس بمحتوٍ فيه. الا ان القوم بالغوا في غلوّهم وغيّهم

وذلك عندما تخلوا عن حرفيّتهم المُبتدَعة وقالوا بأن الملائكة اذ سجدوا لآدم، امتثالاً لأمر الله لهم، فانهم لم يسجدوا له وحده بل سجدوا للإنسان عموماً! كما وقع في ظنهم الخاطئ ان الخليفة الذي عناه الله في خطابه لملائكته بأنه جاعلُه في الأرض لم يكن آدم فقط بل كل البشر! لذا فانهم لا يجدون غَضاضة في الزعم والخَرْص بأن الانسان، أيَّ انسان، خُلِق في أحسن تقويم! أما عندما يتعلّق الأمر بكارثة أكل آدم من الشجرة ايّاها فانهم يزّاورون عن آدم ويجعلونه قائماً وحده بمفرده دون ان يجعلوا من الانسان، كل انسان، شريكاً لأبيه في أكْله وما نجم عنه من كوارث ومصائب! ان هذا لَهو الضلال الذي ليس لأحد ان يعجز عن تشخيصه. ان عدم التزام هؤلاء بتفسيرهم الحرفي دليلٌ على عجْز هذا التفسير عن ان يكون بمستطاعه التعامل الصائب مع النص القرآني العظيم! وكيف له ان ينجح في ذلك وهو يقوم بفصل واقتطاع واجتزاء الآية القرآنية الكريمة عن باقي كيان القرآن العظيم؟!

على أيٍّ حال، فلقد فات الملائكة ان يذّكروا ان الخليفة الذي عجبوا لقرار الله بابقائه من بعد إفنائهم قومه الظالمين هو مَن سبق وان قاموا بالسجود له من قبلُ وذلك عندما كان جنيناً في بطن امه! فقد ظن الملائكة ان آدم، الذي أصلح الله من شأن سلوكه العدواني بارجاعه الى مناسيبه الطبيعية وتقنينه وضبطه بقوانين الله في الطبيعة، لم يكن الا واحداً من قومه؛ مفسداً في الارض سفاك دماء! الا ان آدم، اذ كان يُقاتل مَن قاتله من قومه، لم يكن ليقتل الا مدافعاً عن نفسه طالما كانت عدوانيته طبيعية وطالما كان سلوكه القتالي هذا ناجماً عن عدوانية دفاعية مُنظَّمة.

لقد ورد في القرآن العظيم ان الله قد خلق الإنسان من هذه الأرض وان البشر كلهم جميعاً قد خُلِقوا منها لانحدارهم عن ذلك الانسان الأول الأرضي النشأة. ولقد أورد الله في قرآنه الكريم الكثير من الآيات الكريمة التي بينت انه قد خلق الإنسان الأول من ترابٍ تارةً ومن طينٍ تارةً اخرى. والتراب والطين ليس من العسير ردّهما الى هذه الأرض التي هي ليست مكوَّنة الا من تراب وطين! ولكن اذا ثبت لدينا ان الإنسان الأول قد خُلِق من تراب وطين هذه الأرض، فلماذا أسكن الله انسانه الأرضي هذا الجنة؟ ان هذه الجنة لا يمكن

على الإطلاق ان تكون على هذه الأرض وذلك أمرٌ تبرهن عليه تلك الشجرة العجيبة التي لا يمكن ان تكون من أشجار الكرة الأرضية التي لا ينشأ عن الأكل من ثمارها شيء من قبيل ما نجم نتيجةً لأكل آدم وزوجه منها! كما ان الله قد بيّن في إهباطه آدم وزوجه من تلك الجنة غير الأرضية الى الأرض انها توجد خارج الكرة الأرضية! فاذا كان الله قد خلق آدم من هذه الأرض فلماذا أسكنه الجنة التي توجد خارجها؟ ولماذا عاد فأهبطه منها بعد ذلك الى هذه الأرض عينها؟ نستدل من بعد التدبّر في الآيات الكريمة التي ورد فيها خبر خلْق آدم ان الله كان قد خلقه من هذه الأرض ثم أخرجه منها ليُسكنه بعيداً عنها في الجنة ثم أرجعه اليها. لقد حدث شيءٌ ما حتّم على آدم ان يغادر الأرض الى الجنة، كما ان شيئاً آخر قد حدث لاحقاً له في الجنة أوجب عليه ان يخرج منها فيرجع من حيث أتى: الأرض! ما الذي حدث في المرتين؟

ان الآيات الكريمة التي ورد فيها خبر آدم وسيرته من بعد خلْقه قد بيَّنت ان إسكان الله له ولزوجه الجنة قد جاء لاحقاً لسجود الملائكة له. فاذا لم يكن آدم قد سكن الجنة بعدُ، فأين ومتى تمَّ بالتالي ذلك السجود له؟! ان سجود الملائكة لآدم لم يحدث بعد ان غادر الأرض بل عندما كان مايزال يحيا عليها! هذا فيما يخص زمان وقوع حادثة السجود فماذا بشأن المكان الذي وقعت فيه؟ هل يكشف التدبّر في الآيات الكريمة التي تحدّثت عن آدم النقاب عن أن حادثة سجود الملائكة له كانت قد وقعت على هذه الأرض؟! أم ان تلك الحادثة العجيبة كانت قد وقعت في الملأ الأعلى في مكان لم يوجد فيه آدم أبداً؟! ان السجود لآدم تمَّ بعيداً عن الأرض وآدم مازال عليها لم يغادرها بعدُ! هل هذا تناقض وتلاعب بالألفاظ؟! كلا، لقد سجد الملائكة في الملأ الأعلى في الجنة التي كان آدم سيسكنها لاحقاً بينما كان هو مايزال على الأرض. ان السجود لآدم لم يكن كما نتصوره اذا ما نحن التزمنا بالمعنى الحرفي لسجود الملائكة له، أي بأنهم يسجدون له وهو واقف أو جالس قبالتهم! فآدم لم يكن بعدُ قد أُسكِن الجنة وهم كانوا في الملأ الأعلى في الجنة! فسجودهم كان سجوداً لله بالمعنى الذي أراده! ان هذا المعنى الجديد يقودنا الى الإعتقاد بأن آدم لم يكن حاضر حادثة السجود له وانه لم ير الملائكة وهي تسجد له ولم يعلم بذلك حال وقوعه. لقد

طرد الله ابليس من الجنة التي رفض ان يسجد فيها لآدم الذي كان في ذلك الوقت على الأرض. لقد أخرج ابليسُ أبوينا من الجنة التي كان الله قد سبق وان طرده منها بسببٍ من أبينا آدم! فكأن ابليس قد اخرج آدم من الجنة التي كان قد أخرجه منها من قبل! ان الأمر الالهي بالسجود لآدم كان يتضمن السؤال التالي: هل تسجدون اذ آمركم بالسجود لمَن خلقتُ طيناً؟ كما انه كان يتطلب الاجابة التالية: نعم نسجد، وها نحن ذا نسجد له لأمرك.

ولكن اذا كان الله قد طرد ابليس من الجنة فأخرجه منها لأنه لا ينبغي له ان يتكبّر فيها، فكيف استطاع ان يتسلّل ويعود اليها وذلك عندما قام باغواء آدم وزوجه مُوسوساً لهما ان يأكلا من تلك الشجرة؟! ان هذه الحادثة تدل أيّما دلالة على ان طرد ابليس لم يحدث كما تصوّر البعض من بعد ان جعل الله آدم خليفة في الأرض! ان إخراج الله ابليس من الجنة التي أسكن الله آدم وزوجه من بعدُ لم يكن ليُحتّم عليه ان لا يكون بامكانه ان يدخلها على الإطلاق مرةً اخرى أبداً! فدخول ابليس الجنة من جديد كان مشروطاً بدوره الذي وافق الله على ان يقوم به في إغواء الانسان ومحاولة حرفه، ان استطاع باستجابة الانسان له، عن الإنصياع لأوامر الله! لقد دخل ابليسُ الجنة التي طُرِد منها من قبلُ وهو لا يملك ان يبقى فيها غير المدة التي يقتضيها قيامه بفِتنة آدم وزوجه! فلقد أذن الله له بأن يمارس هذا الدور وأنظَره الى يوم القيامة وأعطاه مُطلق الحرية للقيام بعمله الإغوائي هذا وخوّله جميع الصلاحيات التي يقتضيها نجاحه في فِتنة البشر. فلماذا لا يُدخله الجنة مؤقتاً طالما كان في ذلك تنفيذ للإتفاق المُبرم بينهما؟! اذاً لقد دخل ابليسُ الجنة من جديد ولم يبقَ فيها أطول مما استلزمه قيامه بفتنة آدم وزوجه! لقد نجح ابليس في إخراج أبوينا من الجنة التي تسبب الإنسان في طرده منها من قبل، الا انه لم ينجح في جعله آدم يستمر في نهج عصيان الله؛ اذ استدرك آدمُ خطأه فتابَ ورجع الى ربه.

والآن، لنتدبّر الآيات الكريمة التالية التي أورد الله فيها جانباً مما دار بينه وبين ابليس من حديثٍ عقب رفض ابليس ان يسجد لآدم:

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ

سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٣٩ ـ ٤٤]، ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢ ـ ٦٥]، ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢ ـ ٨٥].

يتبيّن لنا من هذه الآيات الكريمة ان ابليس كان يعلم بأن آدم ستكون له ذرية من بعده وان بمستطاعه القيام باغواء الغالبية العظمى من هذه الذرية. كما وتكشف هذه الآيات الكريمة عن ان ابليس كان يعلم بوجود يوم للحساب هو يوم القيامة وان الله سوف يحاسب فيه هذا الخلق الجديد. والسؤال الآن هو كيف تأتّى لإبليس ان يعلم بكل هذا؟ لقد علم ابليس بوجود يوم للحساب هو يوم الوقت المعلوم وذلك لأنه كان يعلم بأن الجن، وهو واحد منهم، كانوا قد خُلِقوا للعبادة وان منهم القاسطون ومنهم الصالحون وان الله وعد القاسطين ناراً أبدية. كما انه كان يعلم من خلال متابعته مراحل خلق آدم (الإنسان الأول) بأنه قد خُلِق من سُلالة من ماء مَهين يخرج من بين الصُلب والترائب وانه هو أيضاً قد خُلِق قادراً على الإنسال مما يعني ان بوسعه ان تكون له ذرية. لقد كشف كلام ابليس الذي أوردته هذه الآيات الكريمة عن انه كان يعلم ان آدم (الإنسان الأول) لم يكن ليُخلق وحيداً وانه لم يُخلق ليكون كذلك!! فكيف تأتّى له ان يعلم بذلك لو لم يكن قد شاهده ينشأ في قومٍ يشبههم ويشبهونه؟! ان معرفة ابليس بأن آدم ستكون له ذرية تكشف عن سابقِ معرفة بان آدم لم يُخلَق، كما يظن البعض، مباشرةً من تراب بل من نسْل سُلالةٍ من ماء مَهين وانه هو أيضاً بوسعه ان يُنسِل ذريةً كما أنشأه الله من ذرية قوم آخرين! كما ان إخبار الله للملائكة بأنه سوف ينفخ في الإنسان من روحه كان قد كشف لإبليس عن كون هذا الإنسان من السائرين الى يوم الحساب! اذ انه علم بأن النفخ هذا كان يعني جعْله قادراً على الوصول بنسخةٍ عنه أبدية الى يوم القيامة.

لقد أراد الله بإسكان آدم وزوجه الجنة ان يضمن لهما النجاة من العذاب الذي سلّطه على قومهما المجرمين فأبادهم أجمعين. لقد كان إِبعادُ آدم وزوجه عن الأرض الحلَّ الذي كفل لهما ان لا يصيبهما ما أصاب الآخرين من قومهما المُهلَكين. فالإبادة الجماعية لقوم آدم تمت بالاستعانة بأسلحة خاصة كان المقصود من وراء استعمالها ضمان عدم فناء أي كائن حي آخر سوى تلك الفئة الشاذَّة المنحرفة الخارجة على الطبيعة وقوانينها. الا ان تلك التقنية الخاصة في الإهلاك الإنتقائي الإصطفائي لم تكن لتستثني آدم وزوجه طالما لم يكونا متميزين عن قومهما الا بالدماغ الذي خلقه الله في أحسن تقويم. ان الإبادة الجماعية لقوم آدم رافقها أيضاً إِهلاك للفايروس الذي تسبّب في تحوّلهم من كائنات طبيعية الى اخرى خارجة على قوانين الطبيعة. فالكرة الأرضية تم تشعيعها بالكامل وذلك ضماناً لتطهيرها بصورة تامة من جميع تلك الكائنات الشاذَّة التي كانت منتشرة على معظم مساحتها. ان الإنتشار الديموغرافي لأشباه الإنسان كان يغطي مساحات شاسعة من الأرض. لذا لم تكن هناك فائدة من نقل آدم وزوجه من مكان لآخر على سطح الكرة الأرضية طالما كانت الأرض كلّها موبوءة بتلك الكائنات الشاذَّة غير السَوية وبالفايروسات التي جعلتها كذلك. ان تقنية الإبادة الجماعية والإهلاك الشامل لقوم آدم كلهم أجمعين، وتلك الفايروسات معهم، كانت ستؤدي الى القضاء على آدم وزوجه وذلك لأنها كانت ستؤثّر سلباً على بايوكيمياء وبايوالكترونيات دماغيهما اللذين سوّاهما الله وخلقهما في أحسن تقويم. لذلك لم يكن هناك من مخرج آخر، في ظل انتشار أشباه الإنسان المصابين بتلك الفايروسات في معظم أرجاء الكرة الأرضية، سوى إِخراج آدم وزوجه من الأرض التي كانت عن قريب ستُشَعَّع بالكامل وذلك بواسطة تلك الأسلحة الخاصة التي استخدمها الملائكة في إِبادتهم للقوم المنحرفين. اذاً لقد تحتّم على آدم وزوجه، من بعد ان أبقى الله عليهما وجعلهما في الأرض خليفةً، ان يغادرا هذه الأرض التي منها خُلِقا وعليها عاشا الى أرضٍ اخرى في السماء بعيدةً عنها! ولقد أمر الله ملائكته الذين توجّهوا لابادة قوم آدم وزوجه بأن يستثنوا هذين البشرين اللذين تقرّر ان يتم جعلهما في الأرض خليفة وبأن يقوموا باصطحابهما من بعدُ الى أحد الكواكب الشبيهة بالأرض في السموات العُلى! فلقد ورد في القرآن العظيم الكثير من الآيات الكريمة التي ذكر الله فيها تفاصيل

إسكانه آدم وزوجه الجنة وأمره لهما بأن يعيشا فيها رغداً ويأكلا منها حيث شاءا على ان لا يقربا شجرةً حذرهما الله من مغبَّة الأكل منها. لنتدبّر الآيات الكريمة التي تناولت بالتفصيل هذا الموضوع الذي شكّل واحدةً من أهم ركائز البُنية الإنسية كما نعرفها الآن:

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]، ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٩]، ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨ ـ ١١٩].

ان إسكان آدم وزوجه الجنة لم يكن مقصوداً به ان تكون تلك الجنة حكراً عليهما دون ذرية تنشأ عنهما! ان آدم لم يسكن الجنة بمفرده بل مع زوجه؛ أي ان الله لم يمنع آدم من أن يسكن الى زوجه في الجنة وذلك كما يظن البعض من الذين زعموا بأن آدم وزوجه لم يكونا ليسكنا الى بعضهما البعض طالما كانت عوراتهما قد غُطّيتا عنهما! ان الآية الكريمة واضحة في اشارتها الى زوج آدم فلماذا اذاً هذا الإعتساف والإبتسار وتحميل النص ظلماً وعدواناً ما لا طاقة له بحمله؟! لماذا أشارت الآية الكريمة الى زوج آدم بصفتها الزوجية هذه ولم تُشر اليها بأية صفة اخرى؟! ان الله لم يمنع آدم من أن يسكن الى زوجه في الجنة. كما ان آدم وزوجه لم يُحرما من أن تكون لهما ذرية تسكن معهما الجنة! ان الجنة كانت ستصبح مكان سُكنى آدم وزوجه وذريّتهما لو لم يعصِ آدم وزوجه ربّهما. ان هذا العصيان هو السبب في إخراج آدم وزوجه من الجنة وعدم بقائهما الى يومنا هذا مع ذريّتهما التي كانت ستنتشر في ربوعها شَريطة الإلتزام بعدم الأكل من الشجرة! ولكن، لنتمهّل قليلاً ولنحاول ان نستبين كيفية خلْق الله لزوج آدم لا كما ورد في المأثور الاسطوري ولكن كما بمستطاعنا ان نخرج به من بعد تدبُّرنا قصَص آدم في القرآن العظيم. لنتدبّر الآيات الكريمة التالية:

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: من ١]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [الأنعام: من ٩٨]، ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزُمَر: من ٦].

يكشف القرآن العظيم في هذه الآيات الكريمة النقاب عن أصل الانثى الاولى ويُبيِّن انها قد خُلِقت من آدم (الانسان الأول). ولكن كيف تم ذلك؟ هل خُلِقت زوج آدم من ضلع أعوج أُخِذ من آدم وهو نائم كما ورد في العهد القديم؟ (فأوقع الرب الاله سباتاً على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً وبنى الرب الاله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها الى آدم فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي هذه تُدعى امرأة لأنها من امرءٍ أُخِذت. لذلك يترك الرجل أباه وامه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً]. [سِفر التكوين: من الاصحاح الثاني]. أم ان الانثى الأولى خُلِقت كما يُخلق كل كائن حي من ماء؟ تدبّر الآية الكريمة ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [النور: ٤٥].

لقد أوضح الله في قرآنه العظيم انه خلق الذكر والانثى كليهما من نطفة؛ أي من ماء آدم. تدبّر الآيات الكريمة:

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾ [النساء: من ١]، ﴿أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا﴾ [الكهف: ٣٧]، ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ﴾ [المؤمنون: ١٣]، ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾ [السجدة: ٨]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ [فاطر: من ١١]، ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾ [يس: ٧٧]، ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ [المؤمن: ٦٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ [الحجرات: ١٣]، ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ﴾ [النجم: ٤٥ - ٤٦]، ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٧ - ٣٩]، ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ [الدهر: ٢]، ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٢٠ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠ - ٢١]، ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ۝١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧ - ١٩]، ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق: ٥ - ٧]، ﴿خَلَقَ

﴿ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العَلَق: ٢].

كما ان الله قد قرّر في القرآن العظيم ان آدم هو الآخر كان قد خلقه ابتداءً من طين ثم جعل نسله ونزوله من ماءٍ ذكرٍ: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السَّجدة: ٧، ٨، ٩].

ولأن كل مَن على الأرض من البشر هم من بني آدم، الذي هو أبو البشر جميعاً، فان زوج آدم لا يمكن ان تكون استثناءً فلا تكون ابنةً له! ان التدبُّر في الآيات الكريمة أعلاه، وفقاً لما يتَّضح منها متكاملةً فيما بينها، كفيل بجعلنا لا نخرج بغير ذي النتيجة العجيبة. وقد يظن البعض ان في هذا خروجاً على العرف الاجتماعي ومن قبله على الشرع الالهي الذي حرّم الابنة على الأب. الا ان القرآن العظيم واضح صريح في آياته الكريمة وبما لا يقبل أي لَبس أو أية تورية. وهنا لابد لنا من ان نستذكر سوية ان آدم وزوجه كانا قد أنجبا ذرية تزاوجوا فيما بينهم وهم اخوة واخوات! فكيف يوافق هذا البعض على زواج الأخ من اخته من أبناء وبنات آدم وزوجه ويستهجن زواج آدم من ابنته؟!! ان ما حدث في الماضي البعيد لا يعني انه مخالف للشريعة كما أُنزلت من بعدُ؛ فالله أعلم بامور عباده. فلقد حرّم الله الاخت على الأخ والابنة على الأب من بعد انتشار البشر وتوزّعهم الأرضَ شعوباً وقبائل وليس عندما لم يكن هناك الا آدم وزوجه! والآن اذا سلَّمنا بكون زوج آدم هي ابنته التي خلقها الله منه، فهل لنا ان نكون أكثر تحديداً فنوضِّح كيف حدث هذا الأمر العجيب؟ لقد سبق وان عرفنا بأن آدم كان قد انسله الله من ماء أبيه وانه كان، من بعد خروجه من بطن امه، يعيش بين ظهراني قوم متوحِّشين. لقد تزوَّج آدم من انثى من اولئك القوم حملت منه وانجبت له ابنة جعلها الله كآدم سوية ذات روح. لقد ورثت هذه الإبنة، التي كانت بحق أول انثى بشرية، عن أبيها عقلاً خارقاً ذا ذكاء فائق وعدوانية طبيعية مُقنَّنة. ولقد عاشا سوية في قومهما حتى منَّ الله عليهما وجعلهما خليفةً من بعدهم وأسكنهما الجنة. الا ان مخالفة القرآن العظيم للعهد القديم بخصوص زوج آدم لم تقتصر على اختلافه عنه في ايراده لكيفية ظهورها منه ونشأتها عنه، من نُطفته وليس من ضلعه، بل تجاوزت ذلك الى ما ورد بشأن الأكل من الشجرة. فقد صرَّح القرآن

العظيم بأن آدم وزوجه كليهما أكلا سوية من دون ان تُغوي آدمَ زوجُه كما جاء في العهد القديم: [فرأت المرأة ان الشجرة جيدة للأكل وانها بهجة للعيون وان الشجرة شهية للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل]. . . .[فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت]. [سفر التكوين: من الاصحاح الثالث]. فلم يُلقِ القرآن العظيم باللوم على المرأة دون الرجل ولم يجعل منها سبباً للشر والشقاء. تدبّر الآيتين الكريمتين:

﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ [الأعراف: من ٢٢]، ﴿فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] .

٣ ـ ٣ لغز الاسماء وتتويج آدم خليفةً!

لقد كشف القرآن العظيم عن أسماء بعضٍ من الملائكة المُقرَّبين كجبريل وميكال ومالِك. تدبّر الآيات الكريمة:

﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٩٧ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٧ ـ ٩٨]، ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

كما ورد في القرآن العظيم إسمان لملَكَين آخرَين هما هاروت وماروت: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

لقد علّم الله آدمَ أسماء جميع ملائكته كما ورد في القرآن العظيم؛ الآيات

الكريمة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣١ ـ ٣٣].

ان الأسماء التي أخبرنا الله انه قد علّمها آدم كلها هي أسماء الملائكة، التي لا سبيل لمخلوق لأن يعلمها الا بإذن الله، إضافةً الى اسمه واسم زوجه اللذين لم يكن لأحد ان يعلم بهما مادام الله لم يشأ أن يخبره بهما. ولقد عرض الله آدم وزوجه على الملائكة وسألهم ان يخبروه بأسماء هؤلاء؛ أي بإسمَيهما اللذين كانا سراً بين الله وآدم. لذلك لم يستطع الملائكة ان يجيبوا على سؤال الله لهم. اما آدم فقد أنبأهم بأسمائهم التي علّمها الله له. يبدو ان الأمر كان يُقصد به إقامة الله البرهان على استحقاق آدم الخلافة في الأرض من بعد قومه المُهلَكين. اذ كيف تأتّى له ان يطّلع على أسمائهم السرية لو لم يُعلِمه الله بها؟ وكيف تسنّى له ان يُعلَّم من قِبَل الله لو لم يكن مستحقاً هذا التعليم؟ اذاً أراد الله ان يُبيّن لهم بالتجربة العملية، تجريباً واختباراً، انهم اذا كانوا قد عجزوا عن معرفة اسماء آدم وزوجه فان آدم قد عرف اسماءهم مما يدل على ان الله قد يختار ان يُعلِّم مَن يشاء ما يشاء فيكون بهذا العلم مستحقاً اختصاص الله له واصطفائه اياه. يبرهن على صحة هذا الحل للغز الأسماء التي علّم الله آدم ان الآية الكريمة التي سبقتها كان قد ورد فيها قول الملائكة، متعجّبين لقرار الله بالإبقاء على خليفة في الأرض، ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]. من الواضح ان الآيتَين الكريمتين تدوران حول محور واحد هو المقارنة بين علم الله وعلم الملائكة؛ اذ بيَّن الله للملائكة بهذا الاختبار العملي انهم لا يعلمون كل ما يعلمه الله وانهم لا يعلمون الا ما علمّهم الله. لذلك كانت نهاية الآية الكريمة الأولى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: من ٣٠] وكانت نهاية الآية الكريمة الثانية: ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١]. لقد تبيّن

للملائكة ان آدم قد استطاع ان يصل الى معرفة أسمائهم بينما عجزوا هُم عن أن يصلوا الى معرفة اسمه واسم زوجه. اذاً استطاع آدم ان يخبرهم بأسمائهم لأن الله كان قد علّمها له ولم يستطيعوا هم ان يُنبؤوا الله اذ سألهم بإسم آدم وزوجه لأن الله لم يكن قد علّمهم هذين الإسمين. ان الله لم يخبرهم الا بأنه قد قرّر ان يجعل في الأرض خليفة ولم ينبأهم بإسم هذا الخليفة! وقد يعترض معترض فيقول: وماذا تقول في الآيات الكريمة التالية: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١١]، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١]، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ [طه: ١١٦]؟ الا تبرهن هذه الآيات الكريمة على ان الملائكة كانوا قد عُلّموا اسم آدم عندما أمرهم الله بالسجود له؛ ذلك السجود الذي تدّعي انه حدث وآدم لمّا يزل جنيناً في بطن امه؟ ان هذا الاعتراض تدحضه الآيات الكريمة التي اورد الله فيها اسم ابليس في معرض حديثه عن احداث سبقت طرده للشيطان من الجنة؛ ذلك الطرد الذي تسبَّب في حرمانه من اسمه الملائكي مقابل حصوله على اسمه الشيطاني الذي خلَّد والى الأبد تمرُّده وعصيانه وكفره وخروجه على أوامر الله. فلقد اَورد القرآن الكريم اسم ابليس الذي اُطلق عليه من بعد طرده ورفضه ان يسجد للانسان الأول (آدم) ولم يورِد على الاطلاق اسمه الذي كان يتمتع به قبل عصيانه. لذا فان القرآن العظيم اذ يورد اسم آدم في سياق يتحدَّث عن وقائع سبقت تسميته فان ذلك لا يُحتِّم ان يكون اسم آدم في هذا السياق قد تم ايراده دلالةً على شيء يتجاوز الاشارة بدلالة ما سيجيء من بعدُ اشارةً لما حدث من قبلُ. ولقد جاء في القرآن العظيم ان الله اَخبر ملائكته بأنه سيخلق بشراً يتوجَّب عليهم ان يسجدوا له حال اكتمال خِلْقته. تدبَّر الآيات الكريمة التالية: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: ٧١]، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٨ ـ ٢٩].

والآن، لنعُد الى الآية الكريمة التي ذكر الله فيها انه جاعلٌ في الأرضِ

خليفة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ان مما يجب التشديد عليه هنا ان هذه الآية الكريمة لم يتكرر وورود موضوعها في القرآن العظيم؛ فلقد انفردت هذه الآية الكريمة بذكر موضوع الخليفة في الأرض ولم يرد أي ذكر لهذا الموضوع من قريب أو بعيد في أية آية كريمة اخرى على الإطلاق! كما ان من الضروري التشديد على خطأ المذهب القائل بأن هذه الآية الكريمة تتضمن عين ما جاء في غيرها من الآيات الكريمة بخصوص قرار الله بخلق بشر من تراب أو طين! فهذه الآية الكريمة لا تتحدث عن قرار الله بخلق الإنسان كما تحدثت عنه العديد من الآيات الكريمة الأخرى. ان الآية الكريمة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٨] تتحدث عن موضوع آخر هو غير ما تتحدث به الآية الكريمة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. اذاً فالآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر خِلافة آدم في الأرض وذكر تعليم الله آدم الأسماء كلها وما تبع ذلك من اختبار عملي للعلم الذي يَعلمه الملائكة والعلم الذي تعلَّمه آدم هي آيات متسلسلة تتحدّث عن حوادث تعاقبت وفق ترتيب زمني ابتدأ بخلافة آدم وانتهى بامتحان الأسماء كلها. ونحن اذا ما تابعنا ما أعقب هذه الآيات الكريمة فاننا سنجد ان الآية الكريمة التي تلتها مباشرة تتحدّث عن موضوع سابق قديم هو خلقُ آدمَ بشراً بالتسوية والنفخ. فهذه الآية الكريمة هي: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤] وهي تتحدث عن مرحلة سابقة لحادثة الخلافة في الأرض وحادثة امتحان الأسماء. تدبّر الآيتين الكريمتين: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١١]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عِمران: ٦].

وهذا أمر من اليسير برهانه؛ فلو كانت حادثة سجود الملائكة لآدم تعقب حادثة امتحان الأسماء لما كان أمر الله للملائكة بالسجود لآدم يُمثِّل امتحاناً! اذ ان الملائكة كانوا قد أيقنوا لتَوِّهم بأن آدم قد اختصه الله بعلم لم يُعلِّمهم اياه. ان هذه الآية الكريمة تتحدّث عن حادثة سابقة لهاتين الحادثتَين اذاً. اذ لم يكن

ابليس ليمتنع عن السجود لآدم لو انه كان قد شهد حادثة امتحان الأسماء! فالحُجَّة التي كان سيوردها بأنه خير مِمَّن قد خلق الله من طين كان سيدحضها عجزُه عن معرفة الأسماء! وهذا يقودنا لامحالة الى وجوب القول بأن حادثة امتحان الأسماء كانت مقتصرة على الملائكة فقط وانها بالتالي قد وقعت من بعد ان طرد الله ابليس؛ أي انها قد حدثت من بعد حادثة سجود الملائكة لآدم. كما ان ما يبرهن على ان حادثة خلافة آدم في الأرض هي غير حادثة خلْق الله له ان الملائكة لم يَرِد عنهم انهم أجابوا بما أجابوا في الآية الكريمة التي وردت فيها حادثة الخلافة وذلك في غير هذه الآية الكريمة من آيات كريمة تحدّثت عن حادثة خلْق آدم! فكل الآيات الكريمة التي جاء فيها خبر خلْق آدم لم يَرد فيها انهم أجابوا على قرار الله بخلْق آدم كما أجابوا عند سماعهم لقرار الله بأن يجعل في الأرض خليفة! ان هذا يدل على ان هذه الآية الكريمة تتحدث عن حادثة هي غير حادثة خلْق آدم؛ حادثة خاصة متميزة! ثم ان اجابة الملائكة هذه تعني انهم كانوا قد تخلّصوا من ابليس الذي كان الله قد طرده من قبل. فكيف يكون ابليس فيهم ويقولون جميعاً ما قالوه من انهم يُسبِّحون بحمد الله ويُقدِّسون له؟! فالملائكة هنا هم الذين سجدوا من قبل للبشر المخلوق من طين.

إذاً فالآيات الكريمة الواردة بحق آدم وبخصوص موضوع خلْق الله له هي صنفان: أحدهما هو تلك الآيات الكريمة التي ورد فيها ان الله قد أخبر ملائكته بأنه قد قرر خلْق بشر من طين والآخر هو الآيات الكريمة التي ورد فيها أمر الله للملائكة بالسجود لمَن خلَق طيناً. واذا ما نحن عدنا الى سياق الآيات الكريمة من سورة البقرة فاننا سنجد ان هذه الآية الكريمة ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قد أوردها الله استكمالاً لما جاء في الآيات الكريمة التي سبقتها من حديث عن العلاقة ما بين الملائكة وآدم؛ فالآيات الكريمة ابتدأت بذكر حادثة خلافة آدم ورد فعل الملائكة على هذه الخلافة ثم تضمّنت حادثة امتحان الأسماء وتبيان عجزهم عن معرفة اسم آدم واسم زوجه مقابل معرفة آدم لأسمائهم. وهكذا فلقد أورد الله هذه الآية الكريمة ليتم استكمال الصورة: صورة العلاقة ما بين الملائكة وآدم وذلك بذكر تلك الواقعة القديمة التي سجد فيها الملائكة لمن خلق الله من طين. وهذه الآية

الكريمة تفصل ما بين حادثة امتحان الأسماء وحادثة إسكان الله آدم وزوجه الجنة. وهذه الحادثة تعقب تسلسلاً تاريخياً حادثة امتحان الأسماء التي تلت حادثة خلافة آدم في الأرض. فآدم من بعد امتحان الأسماء قد اسكنه الله الجنة. ان هذا ليبرهن على صحة ما ذهبنا اليه من ان الآية الكريمة التي تحدثت عن سجود الملائكة لآدم قد تم ايرادها في السياق استكمالاً للصورة عبر التذكرة بحادثة قديمة سابقة تبين العلاقة بين آدم والملائكة في مبتدأ امرها وذلك عندما كان آدم جنيناً في بطن أمه. كما ان ورود ذكر زوج آدم في الآية الكريمة التي تلي مباشرة الآية الكريمة التي ذكر الله فيها حادثة سجود الملائكة لآدم، وهي الآية الكريمة التي تبيّن لنا ان ايرادها في سياق الآيات الكريمة السابق ذكرها أعلاه جاء استكمالاً للصورة وتذكيراً بأول تجلٍّ للعلاقة ما بين الملائكة وآدم، يجب ان يُقرن بسياق الآيات الكريمة التي تحدثت عن خلافة آدم ثم عن امتحان الأسماء وذلك أمر يبرهن عليه كونُ الآيات الكريمة هذه قد تضمّنت ذكر زوج آدم، اشارةً خفية، بين ثنايا دلالات كلمة خليفة وكلمة هؤلاء! ان الآية الكريمة التي ورد فيها ذكر حادثة سجود الملائكة لآدم قد تم ايرادها في سياق الآيات الكريمة التي تتحدّث عن حادثة اصطفاء الله لآدم وزوجه خليفةً في الأرض من بعد قومهما المُهلَكين وما أعقب ذلك من امتحان للملائكة بالأسماء التي لم يُعلِّمها الله لهم وهي اسم آدم واسم زوجه وذلك من دون ان يعني ذلك ان سجود الملائكة لآدم قد أعقب مباشرةً حادثة امتحان الأسماء! فهذه الآية الكريمة قد تم ايرادها لتكون الدليل على ان أمر الله لملائكته بالسجود لآدم من قبلُ قد تم البرهان على مشروعيته وذلك من بعد حادثة الأسماء التي برهنت على ان آدم ليس بالمخلوق العادي الذي لا يعلم شيئاً! فاذا كان الملائكة قد سجدوا لآدم من قبلُ من دون ان يعرفوا ماهية مَن أمروا بالسجود له فهاهُم الآن قد وجدوا، من بعد عجزهم عن معرفة اسماء آدم وزوجه ونجاحه في معرفة اسمائهم، ان باطاعتهم أمر الله بالسجود لآدم من قبلُ فانهم لم يفعلوا الا ما هو عين الحكمة والصواب. لقد كشفت حادثة امتحان الأسماء للملائكة عن لغز أمر الله بالسجود لآدم؛ اذ تبيّنوا بالدليل العملي انه يعلم ما لا يعلمون وانهم لا يعلمون ما يعلم. ان هذا لَيبرهن أيضاً على ان تسلسل حدوث حادثة الأمر الإلهي بالسجود لآدم لم يكن ليعقب امتحان الأسماء؛ اذ ان السجود لآدم من بعد امتحان الأسماء

سيكون خالياً من أيِّ مضمون طالما كان هذا السجود امراً منطقياً يوجبه نجاحُه في معرفة أسمائهم وعجزُهم! الا ان تجلّي الحكمة في الأمر بالسجود له من بعد حدوث امتحان الأسماء يستدعي بالتالي ان تكون حادثة الأسماء قد أعقبت سجود الملائكة لآدم ولم تحدث قبلها. ان الأمر الإلهي بالسجود لآدم لم يكن المقصود به ان يُعبِّر عن تفضيل الله لآدم على الملائكة كما وقع في ظن وتوهُّم ابليس الذي اعتقد ان سجوده لآدم يعني انه يقل عنه فضلاً وان آدم بذلك يفوقه منزلةً وقُربى! لقد ظن ابليس ان الله قد كرّم عليه آدم وان آدم لا يستحق هذا التكريم ولم يعلم ان الأمر ليس كذلك؛ اذ لم يكن المقصود بالأمر الإلهي بالسجود لآدم إظهار تفوّق آدم على الملائكة أجمعين وبما يعني انهم أدنى منه حتى يؤمروا بالسجود له! فماذا كان اذاً المقصد من وراء أمر الله للملائكة بالسجود لآدم؟ ان القصد الإلهي لم يكن لِيَعدو إقامة الحُجة على ابليس بأنه لا يستحق ان يكون من الملائكة طالما استعصى عليه ان يكون مطيعاً لله بالكامل! اذاً كان هذا الأمر الربّاني يهدف الى طرد ابليس وتهيئة السبيل لظهور الإنسان الذي يجري ابليس فيه مجرى الدم! فلو لم يصدر هذا الأمر لما حدث ما كان سيكشف ابليس على حقيقته بالدليل العملي ولما حدث ما استدعى طرده للقيام بواجبه في غواية وإضلال مَن هو ليس من القلة القليلة من عباد الله المُخلَصين!

٣ ـ ٤ آدم والعودة الى الماضي!

فعلاقة آدم بربه كانت على شفا جُرُف من طين طالما لم تكن المنظومات البايوالكترونية لعقله بمنأى عن ان يُصيبها عطبٌ يجعل منها تفقد نظامها الالهي الذي سوّاه الله متميزاً بالقدرة على جعل المادة الطينية لهذا العقل تكون على صلةٍ واعية بالله! وهذا ما حصل بالفعل؛ اذ أعادته الشجرة الى الطين! فقد فَقَدَ آدم بأكله منها، مخالفاً أمر ربه بأن لا يقربها، شعر جسمه وفقد أيضاً عقله الخارق الذي كان يُمكِّنه من ان يكون على صلةٍ واعية بالله. ولقد أُهبِط آدم بالطين الى الأرض: ذلك الكوكب الطيني؛ فعاد آدم الى أصله الذي نشأ عنه! الاّ ان الله تاب عليه وبيّن له طريق العودة الى ما فقده: الفردوس المفقود! لقد فقدنا مع آدم، أبينا الأول، شعرنا وقدرتنا على ان نكون على صلة واعية بالله. ونحن اذا ما كُنا قد استعدنا بعضاً مما كنا قد فقدنا من شعر، وذلك بدخولنا عالم ما بعد

الطفولة العارية بتخطّينا عتبة البلوغ، فاننا لم نستَعِد ما فقدناه من قدرة على ان نكون مع الله كما أرادنا الله ان نكون: على صلة واعية به! لقد استعاد آدم ما كان قد فقده من صلة واعية بالله وذلك عندما ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ الا انه لم يستعد أبداً شعره المفقود! أما نحن، فقد استعدنا بعضاً قليلاً من شعرنا الذي فقدنا ولم نستعد صلتنا المتميزة بالله! فاذا كنا بدخولنا عالم الجنس ومغادرتنا عالم الطفولة، الذي كنا نعيش فيه أحراراً من قيود النوع وأوامره التي أثقلت كاهلنا من بعد البلوغ اذ حمَّلتنا بالقدرة على تكثير أفراده فأصبحنا أسرى هذا الحمل نرزح تحت نيْر هذه الأمانة التي اوكلت الينا فحملناها كَرهاً في أجهزة الإتصال الجنسي لدينا، قد استعدنا نزراً يسيراً من شعرنا الذي كنا قد فقدناه، مع أبينا آدم، فهل من سبيل الى استعادة ما أفقَدَنا أبونا آدم من صلةٍ واعية بربنا؟! ما العالَم الذي يتوجب علينا دخوله، وذاك الذي ينبغي علينا ان نغادره، وذلك حتى نستعيد فردوسنا الالهي المفقود؟! أليس الفردوس الذي فقدنا هو تلك الصلة الواعية بالله التي كنا لَننعم بها في ربوع الجنة لو لم يُخرِجنا أبونا منها؟! نعم، لقد كان آدم قادراً على ان يكون على صلةٍ واعية بالله وكنا لنرِث تلك المقدرة لولا ان أهبطنا أبونا آدم من الجنة الى هذه الأرض من بعد ان فقدنا جميعاً تلك الصلة! ان آدم كان ذا عقل خارق تميزت منظوماته البايوالكترونية بتلك المقدرة على ان تكون على صلة واعية بالله. ولقد فقد آدم، من بين ما فقد، بله وعلى رأس ما كان قد فقد، تلك المقدرة؛ ولم يستعدها الا من بعد ان تدخَّل الله، مرةً اخرى، فتاب عليه وهدى! اذاً فالعقل الآدمي ليس بمستطاعه، من دون تدخُّلٍ من الله، ان يكون على صلة واعية بالله. والعقل الآدمي، بعدُ، بوسعه ان يستعيد تلك الصلة المفقودة بالله. وطريق العودة الى الصلة، من جديد، بالله، وذلك بأن يكون واحدنا ذا عقل خارق فائق الذكاء بوسع المنظومات البايوالكترونية لمادته ان تعي عن الله وتكون على صلة واعية به، هو الطريق الذي علّم الله آدمَ يوم ان تاب عليه وهدى! لقد سارت على هذا الطريق قلة قليلة من بني آدم فكان منها الأنبياء والرسُل والصدِّيقين والصدِّيقات والمؤمنين والمؤمنات والصالحين والصالحات. لقد استطاعت هذه القلة القليلة ان تعود الى الله وان تستعيد الصلة الواعية به وذلك على خلاف الأغلبية العظمى من أفراد هذا الجنس البشري الذي أوغل في السير مبتعداً عن الله غير آبه بما

فقده ولا راغب في استعادته! ان السير على الطريق الإلهي الى الله كفيل بارجاعنا اليه تعالى وباسترجاعنا لما فقدناه من علاقة به. كان أبونا آدم أول مَن سار على الطريق الإلهي الى الله، وكان مبتدأ مساره توبته اليه. ولقد كافأه الله على حُسن إنابته هذه بأن تاب عليه وهداه اليه. لقد شرع آدم بتوبته الى الله منهاج العودة الى الفردوس المفقود؛ ذلك المنهاج الربّاني الكلمات الذي جاءت الطريقة لتُحييه وتبعث الحياة فيه من جديد! فلقد أوجبت الطريقة على المريد الذي يريد ان يعود الى الله ان يبتدئ رحلة عودته هذه بأول ما ابتدأ به أبوه آدم رحلته الى الله من قبل: بالتوبة! لذا كانت التوبة، من بعد التوكل على الله، هي اولى مراحل الطريق اليه. وهذا ما نلمسه ونراه ونسمعه في صيغة العهد الذي يتوجّب على المريد ان يُردِّده ويُلزِم من بعدُ نفسه بالايمان بجميع مفرداته وبكامل تفاصيله ويلتزم بعدها بالعمل الصالح على ضوء ما قد آمن به. فصيغة العهد تبتدئ، من بعد التوكل على الله بترديد صيغة الشهادتين وبنود الايمان، بكلمة تُبتُ ثم تجيء من بعدها كلمة العهد والبيعة بايعتُ. فالعهد هو البيعة، والبيعة تسبقها التوبة؛ اذ ان البيعة هي توكيد قَسَمي، بشهادة الله على المريد المُردِّد لصيغتها بعقله والقائل لها بلسانه والماد لأجلها يمينه، التي بها يُقسِم ويحلف، للتوبة؛ يعاهد المُبايعُ الله على ان يستمر في سيره على الطريق اليه وعلى أن لا يعود عن توبته النَصوح هذه أبداً. لقد سار من بني آدم على الطريق الإلهي الى الله مَن أدرك وجوب العودة اليه وأيقن ان الخُسران هو بالاستمرار في النأي ابتعاداً عنه. ولقد اصطفى الله هؤلاء العائدين اليه وجعل منهم عباده الذين يحق له ان يُفاخر بهم الخلق كافة. ان طريق العودة الى الله كفيل باصلاح العطب الذي أصاب العقل الآدمي فجعله يفقد صلته الواعية بالله. وإصلاح العطب هذا يتم باصلاح نظام عمل المنظومات البايوالكترونية المتضررة وإعادتها الى ما كانت عليه في سابق عهدها الأول عندما كان آدم مفخرةً لله ذا صلة دائمة واعية به. لقد أتت الطريقة بأنجح الوسائل قدرةً على تحقيق أسرع عودةٍ الى الله وذلك لأنها جاءت عن الله بنظام إصلاح متفوق للغاية بوسعه إعادة النظام الى ربوع منظومات العقل البشري وخلق نظام جديد لبايوالكترونياتها تتمكن بواسطةٍ منه من ان تُعيد صلتها، التي انقطعت، بالله! ان العقل البشري جهاز اتصال خارق بامكانه، اذا ما تم إصلاح ما أصيب به من عطب تقني طال منظوماته البايوالكترونية، ان يكون على صلة

واعية بالله. ان إصلاح هذا العطب التقني من اليسير تحقيقه اذا ما التزم ابن آدم بنظام السير على الطريق الإلهي الى الله. فهذا النظام، الالهي التعليم الربّاني الكلمات، بوسعه ان يقوم باعادة المنظومات البايوالكترونية الآدمية الى العمل من جديد كما كان دأبها سابقاً في دماغ أبينا آدم. ان التقنيات التي تُعلّمها الطريقة مَن يريد العودة الى عقل آدم قبل الأكل من الشجرة هي العلاج الوحيد للمشكلة الحقيقية الوحيدة لبني آدم: مشلكة ابتعادهم المستمر عن الله وانشغالهم الدائم عنه وعدم رجوعهم الصادق اليه! لقد قدّم الأنبياء والصدّيقون والصدّيقات خير دليل على امكانية تحقيق العودة الى الله بالسير على الطريق اليه. اذ تُبيّن لنا قَصَصُهم انهم استعادوا ما كان آدم قد فقده، من بعد الأكل من الشجرة، من صلة واعية بالله جعلت منهم يتميزون عن باقي خلْق الله من بني آدم بادراكهم وايقانهم بوجود الله. على ان هذا لا يعني مطلقاً ان السير على الطريق الإلهي الى الله، اذ يجعل من ابن آدم يستعيد ما كان قد فقده أبوه من قبلُ من صلةٍ واعية بالله، كفيل بجعل السائر يصل مرتبة الأنبياء، استغفر الله. ان الأنبياء يتميزون بالكثير الكثير من الخصائص الفريدة الاستثنائية التي اختصهم بها الله وحباهم. ومن بين خصائصهم هذه صلتهم الواعية بالله. لذا فان كون ابن آدم على صلة واعية بالله لا يلزم عنها وجوب اتصافه بما يجعل منه من أنبياء الله، استغفر الله. ان النبوّة سر من أسرار الله لا قِبَل لنا معشر الخلق ان نلم بها ونحيط بخبرها. فالنبي ليست صفته الوحيدة التي بها يتميز عن باقي الخلق هي تلك الصلة الواعية بالله طالما كانت تلك الصلة صفة مشتركة بينه وبين آخرين من خلْق الله! فالنبي يأكل الطعام ويمشي في الأسواق كما يفعل جميع الناس الا ان هاتين الصفتين ليستا كافيتين لتعريفه حتى يُقال بأنه ليس الا رجلاً يأكل الطعام ويمشي في الأسواق! وكذلك صلته الواعية بالله؛ فهي وحدها لا تكفي لتعريفه نبياً حتى يُقال بأن النبي هو مَن كانت لديه صلة واعية بالله! ان مريم ابنة عِمران لم تكن من النبيين على الرغم من صلتها الواعية بالله؛ بل كانت صدّيقة تأكل من رزق ربّها. كما ان العبد الصالح الذي لم يستطع موسى ان يرافقه لم يكن، على عالي قدره واتصال علمه، نبياً بل مجرد عبد آتاه الله رحمةً منه وعلّمه من لدنه علماً. ونأتي الآن على ذكر أمر على قدر من الأهمية عظيم وذلك هو، هل يرِث أبناء الأنبياء عن آبائهم العقل النبوي ضرورةً؟ أم هل تقتصر وراثتهم لآبائهم الأكرمين على القدرة

على الصلة الواعية بالله؟ أم لا يرِثون ضرورةً هذا ولا ذاك؟ قبل ان نجيب على أية اسئلة بهذا الخصوص علينا ان نتذكّر كلمة (جَمِيعاً) في الآيات الكريمة:

﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: من ٣٦]، ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة: من ٣٧]، ﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٤ ـ ٢٥]، ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [طه: ١٢٣].

فقد كشفت هذه الآيات الكريمة النقاب عن سر عظيم يخص الخليقة البشرية عموماً؛ اذ بيَّنت بكل جلاء ووضوح ان كل بني آدم سوف يسري فيهم السُم الذي تسرَّب الى دماغ أبوينا آدم وزوجه بتناولهما من الشجرة اياها وان كلهم (جَمِيعاً) عليهم ان يهبطوا من الجنة الى الأرض التي سيتوجّب عليهم ان يعيشوا فيها وفقاً لكلمات الله التي تلقّاها آدم من ربه وذلك حتى يصبح بمستطاعهم إِصلاح ما دمره السُم القديم الذي لم يستثنِ منهم أحداً. لقد تسلل ذلك السُم الى داخل الكيان الآدمي وذلك بتغلغله عميقاً حتى وصل الى منابع ماء الحياة المُحتواة داخلاً من المنظومة الجنسية البشرية فقام بتلويثها وجعْلها غير قادرة على الإفلات من القبضة المدمّرة لآثاره الكارثية التي نجم عنها تضرّر مجمل مراكز العلاقة بالآخر كائناً مَن يكون! الا ان تأثُّر آدم وزوجه لم يكن بنفس الدرجة والقوة؛ حيث لم يمتد التأثير الضار للسُم الشَجَري هذا، بكامل تفاصيله ومفرداته، الا الى داخل المنظومة الجنسية الآدمية. فزوج آدم لم تتأثر منظومتها الجنسية بالصورة ذاتها التي تأثرت بها منظومة آدم الجنسية. فما جرى لها بالكامل هو عين ما جرى لزوجها بالكامل، الا ان هذا الذي أصابها وأصابه لم يكن ليتم توريثه للذرية التي نشأت عنهما بحيث يسري عليها ما كان قد أصابهما سوية وذلك بأن يكون الدور التوريثي لزوجها هو عين الدور الذي لها! فما أصاب آدم بالكامل جرى توريثه بالكامل لكامل ذريته وما أصاب زوج آدم بالكامل لم يتم توريثه بالكامل لبَني آدم! ان ماء آدم هو الذي تلوث بما حتّم وجوب ان ترِث ذريته كامل الآثار الكارثية التي ألمّت به أما مادة الانثى زوجه فلم تتلوّث بكامل الآثار الكارثية تلك حتى يتحتّم بالتالي وجوب قيامها بتوريث هذه الآثار بالكامل الى الذرية التي نشأت عنها وعن زوجها! فمادة الانثى وحدها

لم يكن بمقدورها ان تنقل لذرية آدم ما كان قد أصاب زوج آدم وذلك بخلاف ماء الذكر الذي كان بمقدوره ان ينقل للذرية الآدمية كل ما كان قد أصاب آدم! الى أين يقودنا كل هذا؟ سوف نقتصر الآن على التطرق الى جانب واحد فقط من هذا الكل الكامل الذي تحتّم على آدم ان يقوم بتوريثه وجوباً لذريته. ان هذا الذي تفرَّد آدم بنقله لم يكن بمقدور زوجه ان تشاركه في وجوب قيامها بنقله! وهذا الذي توجّب على آدم ان يقوم بنقله، وحده دون مشاركة من زوجه، هو انقطاع الصلة الواعية بالله. فمادة الانثى لم يستطع ذلك السُم العجيب ان يصل اليها ويؤثّر فيها تأثيراً يجعل منها تنقل، توريثاً، ما قام به من إضرار في دماغ آدم جعل منه يفقد قدرته على ان يكون على صلة واعية بالله. اما ماء الرجل فقد استطاع سُم الشجرة ان يصل اليه ويؤثر فيه تأثيراً جعله قادراً على نقلٍ وراثي لذات الاضرار التي أُصيب بها دماغ آدم وجعلت منه يفقد صلته الواعية بالله. لذا فان اشتراك الرجل وأنثاه في عمل جنسي متكامل تماماً كفيل بنقل هذا الانقطاع عن الله الى ذريتهما وذلك لأن الذرية سوف ترِث عن أبيها ما كان قد ورثه عن أبيه عن أبيه. . . . عن آدم! ان بني آدم مصطلح عبقري للغاية أراد به الله ان يكشف عن حقيقة عظمى مفادها ان الإنسان لا يُصبح انساناً الا بما يتوجب عليه ان يرِثه عن ابيه وان الانثى لا تستطيع وحدها ان تورِّث تلك الصفات التي لا يستطيع الانسان بدونها ان يكون انساناً في أسفل سافلين كما توجَّب عليه ان يُرَد الى الدرك الأسفل هذا! فجميع المفردات التي تخلّقت بالأكل من الشجرة، والتي باتت تُشكِّل الانسان كما نعرفه، لم يرِثها الانسان، ولم يتشكل بالتالي منها، الا عن أبيه الأول آدم! اما زوج آدم فلم يكن لنا ان نرث عنها كل ما كان قد أصابها وجعل منها انساناً مشابهاً لنا! ان الإنسانية صفة لم نرِثها بالكامل الا عن آدم! وهذا ما سنعرفه لاحقاً ان شاء الله وذلك عندما يتضح لنا مقدار ما ورثناه عن أبينا الأول من كوارث لم يكن بوسع زوجه ان تشاركه نقلها، وراثةً، الينا! ولكن، هل جميع مَن عاش على هذه الأرض من البشر كانوا ذريةً لأبوين ذكر وانثى؟ هل هناك من انثى انجبت بشراً من غير وساطةٍ من ذكر؟ لنتذكر المسيح ابن مريم! لقد أرانا الله في قرآنه العظيم ان البشر ليس بالضرورة نِتاج تزاوج ذكر وانثى وذلك عندما أرسل روحه الى مريم ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: من ١٧]. وروح الله كائن فائق المجهرية مخلوق لا يُرى بالعين ولا بأية أداة

إبصار اخرى! لقد أبان الله ان نشوء بشر لا يتطلب ان تكون هناك انثى يمسّها بشر وذلك عندما خلق عيسى ابن مريم منها؛ لا منها ومن بشر! فلقد وُلِد المسيح من دون ان تكون هناك حاجة لماء الرجل! ولكن هل وُلِد المسيح من مادة الانثى فقط؟ يكشف لنا القرآن العظيم عن سر خلْق المسيح من دون وساطة ذكر وذلك بذكره انه ابن مريم فحسب! فلقد نفخ الله في فرج مريم من روحه الا ان هذا التدخُّل الالهي المُعجِز لم ينجم عنه الا نفخ الروح في جنينٍ داخلها أخرجه الله في النهاية طفلاً صبياً ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَـٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]، ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢]. ولقد كان هذا الصبي اعجوبة الأعاجيب؛ اذ لم يسبق وان خلق الله مثيلاً له من قبل. وُلِد المسيح بدماغ غاية الكمال؛ اذ لم يكن هناك من أب له يرث عنه، من بين عديد من الصفات والميزات الآدمية، انقطاع الصلة الواعية بالله! ان مريم لم تكن لِتُورِّث وتنقل لابنها شيئاً من الميزات الانسانية التي نجمت عن أكل آدم من الشجرة غير فقدان الغطاء الشعري والذي جعل منه فيما بعد مسيحاً بحق! ان نجاح مريم في إعادة صلتها الواعية بالله وذلك عن طريق تكريس حياتها بالكامل لاصلاح ما كان قد تضرر في دماغها الذي ورثته عن أبويها المباشرَين عن ابويهما المباشرَين...... انتهاءً بأبويها الأولَين؛ ان نجاحها في إصلاح ذلك الضرر الوراثي قد أتبعه نجاحها في توريث قدرتها على اقامة صلة واعية بالله الى ابنها المسيح. ان عدم وجود أب للمسيح كفل له، من بين عديد من المزايا الحَسِنة، ان يولد بدماغ سليم من أية أضرار في منظوماته البايوالكترونية التي تُنظِّم العلاقة بالآخر. فلأنه ورث عن امه، من بين ما ورث، صلتها الواعية بالله، وما كانت قد فازت به بصلتها هذه من علم، ولم يرث عنها ما كانت قد ورثته عن أبيها، عن أبيه... انتهاءً بآدم، من مناطق دماغية متضررة فلقد ميّزه الله عنها، وعن كل البشر من بني آدم، بأن وُلِد عبداً لله آتاه الكتاب وجعله نبياً وهو بعدُ لما يبلغ من العُمُر يوماً أو بعض يوم! وُلِد المسيح متفوِّقاً على امه مريم متميزاً عنها بفضل عدم وراثته منها ما لم تكن لتنجو من ضار تأثيره الا بعبادتها التي انقطعت عن الناس لها. فلم يكن ابن مريم بشراً، مثلها ومثل باقي بني آدم، في علاقته بالآخر وعلى رأس الكل: الله سبحانه وتعالى! فالمسيح لم يكن ليقول ما قالته امه مريم عندما أجاءها المخاضُ

الى جذع النخلة: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾ [مَرْيَم: ٢٣]!! ان كون مريم قد ورثت عن أبيها عن أبيه عن آدم تضرراً في مراكز العلاقة بالآخر هو الذي جعل منها تنسى ما كان قد جرى لها من قبلُ من إبلاغ وتبشير الملائكة لها بابنها المسيح. تدبّر الآيات الكريمة:

﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عِمران: ٤٢ - ٤٣]، ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عِمران: ٤٥ - ٤٦]، ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ [آل عِمران: ٤٨].

ولكن مريم لم تكن قد فارقت بعدُ الماضي الآدمي داخلها؛ فلم تتمكن بالتالي من أن تتذكر ان الله أكبر من ان يُنسى لفرط الانشغال بالواقع وأهله! ان العبادة المخلصة، وهو ما كانت قد تفرغت مريم للقيام به، وحدها كفيلة باذن الله ان تنجو بالانسان الى بر الأمان من بعد ان تقوم باصلاح دماغه بالكامل. ان المسيح لم يرث عن أمه الا كل خير وُلِدت به، موهبةً من الله، وحصلت عليه مأجورةً على اخلاصها له. لذا فلقد وُلِد ابن الصدّيقة عبداً لله حائزاً، بذلك، على أقصى درجات الكمال الانساني الذي يتوجَّب على مَن يسعى للحصول عليه ان يسعى سعي مريم طوال حياته لعل الله ان يُنعم ويتفضل به عليه! ان عدم وراثته عن امه ما كانت قد ورثته عن أبيها عن آدم من ضرر في الدماغ جعل من المسيح مخلوقاً يصعب وصفه! فهو لم يكن انساناً بالمعنى الذي نكون نحن بموجبه بشراً من أفراد النوع الانساني! فلقد وُلِد المسيح عارياً من جميع ما كان آدم قد ألبَسَنا اياه من قبل! وُلِد ابن مريم انساناً كاملاً فاضلاً وكيف لا وقد وُلِد عبداً لله؟! فلقد كفل الله للمسيح ان يولد بعقل خارق لم يولد به أحد من قبل. فآدم كان قد وُلِد بعقل خارق خلقه الله له ليجعل بوسعه ان يكون على صلة واعية به. أما المسيح فلقد جعل الله له عقلاً غير آدمي فائق الخارقية استطاع بواسطته التعلُّم عن الله وهو بعدُ في بطن امه! وهذه هي المرة الثانية التي تدخّل فيها الله فخلق عقلاً غير طبيعي؛ حيث ان آدم كان قد خُلِق بعقل خارق للطبيعة خارجٍ على قوانينها. الا ان الفرق عظيم جداً بين عقل آدم الخارق والعقل الخارق للمسيح! لقد أراد الله بعقل

المسيح ان يكون خارقاً لكل قوانين العقل بصلته الخارقة بالله مصدر كل علم ونبع كل معرفة. ان ما نطق به المسيح طفلاً تحمله أمه وهو بعدُ لما يزل في المهد صبياً من حكمة بالغة يدل على ان صلته بالله لم تكن الا خارقة للمألوف خارجة على كل القوانين المعروفة التي تتجلّى بها الصلة البشرية الواعية بالله! تدبّر الآيات الكريمة التالية:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [مريم: ١٦ ـ ٣٦].

كما ان المسيح لم يولد ذكراً أو انثى! فهو لم يكن ابناً لأب حتى يرث المقدرة على ان يكون طرفاً في عملية تكثير أفراد النوع الانساني بالاتصال الجنسي! فابن مريم لم يكن ذا فعالية جنسية ولم يبلغ يوماً مبلغ الذكر الذي بوسعه ان يتصل بانثى فتنشأ عنهما ذرية منهما! ان المسيح لم يتخطَّ عتبة البلوغ

بل ظل طفلاً على قدْر تعلّق الأمر بالجنس ومنظومته وطاقته ومادة فعله. لذا فلم يكن للمسيح ان ينمو على جسمه شعر أو ينبت له شارب أو لحية! لم يكن المسيح ذكراً قادراً على انجاب ذرية من انثى بشرية. فلقد أوجب الله ان يكون الذكر والانثى كلاهما ناشئين عن ماء الرجل. فمَن لم ينشأ عن ماء الرجل فليس بذكرٍ ولا أنثى! قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٥ ـ ٤٦]. ان المسيح لم يبلغ مبلغ الذكور الفعالين جنسياً، ولقد جعل هذا منه رجلاً طفلاً بكل معنى الكلمة! فالطفل يبلغ مبلغ الرجال من بعد تجاوزه سن البلوغ؛ حيث يبدأ الشعر بالنمو على جسمه. ان نمو الشعر هذا رهن ببدء فعاليات المنظومة الجنسية داخلاً من الجهاز الجنسي Sexual System المتواجدة قيادته في الدماغ. لذا فان المسيح اذ لم تبدأ عنده هذه الفعاليات بالعمل فان الشعر لم ينبت على جسمه تبعاً لذلك! لقد وُلِد المسيح بشراً ليس كباقي البشر؛ فلم يكن له ان يتحول عند البلوغ من طفل الى ذكر يجب عليه ما يجب على ذكور بني آدم! ان المواصفات الفريدة والقدرات الخارقة التي حبا الله بها عبده المسيح ابن مريم تُدلِّل على خطأ القاعدة العرجاء العوجاء الشوهاء التي سار عليها البعض من مفسِّري الوثيقة الدينية والتي تنص على ان ليس بالامكان ابدع مما كان! فالمسيح ابن مريم آية لله وحُجة بالغة له تعالى على خلْقه الذين بلغ بهم الغرور حد الايقان الأحمق بأن الله ليس بامكانه ابداع خلْقٍ أحسن مما قد خلَق! ان الله ليس بمعجزه ان يخلق أبدع مما كان لأنه تعالى جَدُّه أحسن الخالقين طرّاً. فبديع السموات والأرض لا يتحدد بقاعدة خرقاء كهذه! فبالامكان دوماً ابداع أحسن مما كان؛ فليس ما كان بأبدع ما في الامكان! كان الله بمقدوره ان يتدخل فيجعل من المسيح بشراً يغطيه الشعر كما سبق وان فعل عندما تدخل فجعل من آدم بشراً ذا شعر يغطي جسمه بالكامل وذلك بِردِّه تعالى الجسم الآدمي الى ما كان عليه جسم أبيه قبل ان يصيبه ما أصاب قومه بالكامل فأدى، ضمن ما أدى اليه، الى تساقط الشعر عن أجسامهم بالكامل خلا فروة الرأس. كان بامكان الله ان يجعل من جسم المسيح يعود سيرته الاولى كجسم آدم يوم خرج من بطن امه مغطّى بالشعر بالكامل! ولكن خروج المسيح الى الملأ من بني اسرائيل صبياً طفلاً على هذه الصورة لم يكن الا ليجعل منهم يفرُّون منه ويولُّون الأدبار! لذا فقد حجب الله عن المسيح ما كان قد أمدَّ به آدم من قبل فأعاد اليه

شعراً كان قد فقده قومه! الا ان المسيح لم يستردِ شعر جسمه حتى عندما بلغ سن البلوغ وتعدّاه وذلك لأن الله أراد ان يكون المسيح اسماً على مسمّى فيدرك الملأ من قومه الذين أنكروا نبوَّته ان لله الحجة البالغة عليهم فلو شاء لجعل المسيح بشراً مثلهم ولكن حقَّت كلمة الله ان يكون ابن مريم آية على مر الدهور وتعاقب العصور. فلم يكن لبشر سواه، ذكراً كان أم انثى، ان يخلقه الله فيجعل جسمه خلواً من الشعر منذ ولادته وحتى وفاته! لقد أراد الله بالاسم الذي سمّى به كلمته وعبده ابن مريم ان يبرهن على انه بشرٌ ليس كالبشر وانسانٌ ليس كباقي خلْق الله من بني آدم ذكوراً وإناثاً: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: ٣٤].

فعدم وجود الشعر على جسم المسيح كان يعني الشيء الكثير والكثير جداً ولكن القوم عُمِّيت عليهم، وكما هو شأنهم دائماً! وقبل ان نقفل راجعين الى حيث كنا نرى ان نُعرِّج على بعض اللغويات ذات الدلالة والتي بمستطاعها اقامة الدليل القاطع على كون اسم المسيح قد اشتُق مما له علاقة بكونه غير مغطّىً بالشعر جسمه! ان جسم المسيح كان قد مسحه الله فمحا عنه شعره فجعل ذلك منه مسيحاً أي ممسوح الشعر أملس الملمس. تدبّر في الكلمتين: محا ومسح. ان كلاً من كلمة مسح ومحا تفيد الإزالة والتخلُّص والتنظيف! فلقد كان المسيح أملس الجسم عديم الشعر؛ خالياً من الشعر؛ ممسوح الجسم من الشعر؛ عارياً من الشعر. ولنا ان نتصوّر مبلغ التفرُّد الذي تميز به المسيح، بجسمه الممسوح من الشعر، عن قومه الذين كان يميزهم شعرُ جسمٍ كثيف للغاية؛ اذ كانوا من العرق السامي المتفرِّد بكثافة شعر الجسم! كان المسيح مُعرّى من الشعر وذلك على خلاف آدم الذي كان مُغطّى بالشعر. ان اسم آدم هو ضديد اسم المسيح؛ فآدم اشتُق اسمه ليدل على كونه مُغطّى بالشعر. تدبَّر في الكلمات: دَمَّ، ردم، طمَّ، طمرَ، أديم. تفيد هذه الكلمات معنى التغطية (أديم الأرض هو قشرتها الفوقية وغطاؤها الذي يستر باطنها).

فهل لنا الآن ان نستجمع مفردات الحقيقة المسيحية؛ أي ما كان عليه المسيح حقيقةً! كان المسيح انساناً في أحسن تقويم عبداً لله آتاه الكتاب وهو بعدُ

لما يزل طفلاً تحمله امه، ولم يكن المسيح بشراً كباقي البشر يتوجّب عليه ان يعبد الله سعياً لاصلاح بُنيته؛ فقد ميّزه الله بأحسنها بُنية دماغية. لقد كفل الله للمسيح بخلْقه له في أحسن تقويم ان يكون انساناً كاملاً لا يعيبه ما يعيب البشر من انقطاع صلتهم الواعية بالله ونأي مستمر عنه. كما انه لم يرث عن آدم ما كان حقيقاً على غيره من بني آدم ان يرثوه عن أبيهم الآكِل من الشجرة. فلم يكن المسيح جباراً عصياً بل برّاً بوالدته ولم تكن علاقته بالآخر لتشوبها شائبة على الاطلاق. فلم يكن المسيح هلوعاً جزوعاً بل كان انساناً خالياً من الاعتلالات النفسية! كما ان انعدام الجنس لديه كفل له ان يبقى جسمه مسيحاً من الشعر خالياً من أية مواد جنسية. كان المسيح بحق فرداً نادراً وخلقاً فريداً لم يتكرر ظهوره. ان ما تقدّم يمثل جانباً يسيراً من جوانب الحقيقة المسيحية والتي لا يُجلّيها بكامل أبعادها الا النظر اليها بنور الحقيقة المحمدية: سر كل الأسرار ومنبع كل الحقائق وأصل كل الألغاز ومفتاح حلّها جميعاً.

٣ ـ ٥ سَوءة آدم: جِسمُه أم عَورتُه!

ولكنَّ آدم لم يهنأ له عيش في تلك الجنة لأمد طويل؛ اذ سرعان ما تعرَّض له ابليس الذي كان قد أقسم بعزة الله من قبلُ ان يتربّص للانسان، الذي أمر بالسجود له فاستكبر ولم يسجد، محاولاً جهده ان يغويه ويحيد به عن القيام لله بما يريده الله. لقد كشف القرآن العظيم النقاب عمّا حدث في الملأ الأعلى قبل ان يتم خلق الانسان الأول؛ اذ أخبرتنا آياته الكريمة بما قاله الله للملائكة بهذا الخصوص بأنه قد قرر خلْق انسان من طين وان عليهم ان يسجدوا لهذا المخلوق حال اكتمال تخلُّقه تسويةً من قِبَل الله ونفخاً فيه من روحه. ولكن الشيطان أبى ان يسجد لهذا المخلوق متذرّعاً بخِلقته الطينية هذه ناسياً ما كان الله قد أخبرهم به بأنهم لن يتوجب عليهم ان يسجدوا له الا من بعد ان يقوم بتسويته والنفخ فيه من روحه!! فلقد فاته ان يدرك ان ذلك المخلوق الطيني لم يكن خلْقاً من طين فحسب؛ بل طيناً مُسوّى منفوخاً فيه من روح الله!! لنتدبّر الآيات الكريمة التي أوردها القرآن العظيم تبياناً لعصيان ابليس لله بعدم سجوده لمَن خلقَ بشراً وما دار بينهما من حديث :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ

لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٢ ـ ١٨]،

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٣٢ ـ ٤٤]،

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦١ ـ ٦٥]،

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٧٥ ـ ٨٥].

اذاً لقد طرد الله الشيطان من الجنة بسببٍ من استكباره وعصيانه وأجازه بأن يحاول جهده مع الانسان وذريّته ليُبعده عن العلاقة بالله. ولقد حذّر الله آدم وزوجه من الشيطان وذلك بأن كشف لهما من بعد اسكانه لهما الجنة بأنه عدو لهما: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: من ٢٢]، ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧]. الا ان ابليس أبى الا ان يُبر بقسَمه الذي أقسمه بالله؛ فأوحى لآدم وزوجه ما سنعرفه من بعد تدبُّرنا الآيات الكريمة التالية:

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢٠ ـ من ٢٢]، ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠].

ولقد نسيَ آدمُ نهْيَ الله لهما بأن لا يقربا تلك الشجرة ولم يتذكر بأن الله كان قد حذّرهما من الشيطان وعداوته لهما فكان ان استجابا لما وسوس لهما وكان ان نجح في أن يُزلّهما عن الجنة:

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: من ٣٥]، ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: من ٢٢].

فكان ان أكل آدم وزوجه من الشجرة التي نهاهما الله عنها مخالفَين بذلك صريح أمره ونهيه: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: من ٢٢]، ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [طه: من ١٢١]. اذاً لقد أكل أبوانا آدم وزوجه من تلك الشجرة! فما الذي حدث نتيجةً لهذا الأكل من تلك الشجرة العجيبة؟ لنتدبّر الآيات الكريمة التي تحدث فيها القرآن العظيم عن تفاصيل ما حدث بعد أكل آدم وزوجه من الشجرة. تُبيّن لنا هذه الآيات الكريمة ان أول الآثار التدميرية لأكل آدم وزوجه من الشجرة كان ظهور سَوءَتيهما اللتين كانتا قد وُريّت عنهما! ولكن، ماذا نفهم من تبدِّي سَوءَتَي آدم وزوجه، من بعد مواراة، لهما؟ وما تكون هاتان السَوءتان؟ هل هما العورتان أي الأعضاء الجنسية لهما؟ ولكن، لماذا ظهرت أعضاؤهما الجنسية من بعد استتار واخفاء؟ وما الذي كان يُغطّيهما ويُخفيهما؟

ولماذا اخذ آدم وزوجه في تغطية جسمَيهما بورقٍ من شجر الجنة؟ لماذا لم يكتفيا بتغطية عورتَيهما اذا ما كانت سَوءتاهما هما حقاً عورتاهما؟! ولماذا يتوجب عليهما ان يغطيا عورتيهما اذا ما تذكّرنا بأنهما كانا زوجين بشهادة الآيتين الكريمتين: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: من ٣٥]، ﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [الأعراف: ١٩]؟! ان كونهما زوجين كفيلٌ بدحض الرأي القاطع بوجوب كون ما قاما به من تغطيةٍ انما كان لستر عورتيهما عن أعين بعضهما! اذاً ما الذي ظهر لهما اذ تبيّنت لهما سَوءتاهما؟

لنحاول ان نستدل على معنى السَوءة وذلك من خلال ورودها في القرآن العظيم في غير هذا السياق؟ لنتدبّر قصة ابنَي آدم كما أوردها الله في الآيات الكريمة:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٧ ـ ٣١].

يتّضح لنا جلياً وبما لا يقبل جدالاً ان السَوءة هنا قد جاءت بمعنى الجثة او الجسد أو البدن أو الجسم! لنقفل اذاً راجعين الى حيث تركنا آدمَ وزوجه وقد بدت لهما سَوءتاهما! لننظر الى الأمر بنور المعنى الذي استخلصناه لتوّنا! لقد بدا لهما اذاً جسماهما اذ بدت لهما سوءاتهما. بدا لهما جسماهما الذي كان قد وُري عنهما وغُطّي بستره عن أعينهما! ولكن، كيف بدا لهما جسماهما؟ وماذا نفهم من هكذا كلام؟ لنحاول من جديد ان نلُم شتات ما تفرّق. لقد أكل آدم وزوجه من الشجرة التي نُهيا عنها فكان ان بدا وظهر لهما من جسميهما ما كان قد وُري وأُخفي وعنهما مما جعل منهما يسارعان الى تغطيته وستره بورق أشجار الجنة. ولكن، هل زال الغموض حقاً بانكشاف معنى كلمة سَوءة؟ ما الذي يعنيه ظهور ما وُريَ عنهما من جسميهما؟ ما الذي نفهمه من كون جسميهما

قد وُريا عنهما قبل انكشافهما لهما؟ ما الذي يُجلّيه لنا كونُهما قد أخذا بستر جسميهما بورق الجنة؟ لنتذكر واحدةً من أبرز مزايا الجسم البشري مقارنةً بالجسم الحيواني؛ ألا يقودنا التدبّر في الجسم البشري الى ملاحظة تميُّزه عن الجسم الحيواني بعريه وخلوّه من الشعر الكثيف الغزير؟ لننظر الى ما كنا قد توصلنا اليه من معنى للآيات الكريمة التي تناولت بالتفصيل ذكر ما حدث لآدم وزوجه من بعد الأكل من الشجرة. ألن نستنتج من فورنا ان ما حدث لآدم وزوجه لم يكن غير سقوط الشعر عن جسميهما؟ ولكن، ما الذي يعنيه ان يسقط الشعر عن جسميهما؟ لنتذكر انهما كانا قد (وُرِيَ عَنْهُما مِنْ سَوآتِهِما)! الا يقودنا هذا الى النظر الى ما حدث لهما على انه مجرد ظهور لجسميهما من تحت غطائه الشعري الذي أسقطته تلك الأكلةُ السُمّية؟! لقد كان جسم آدم وزوجه مغطى بالكامل بغطاء شعري كثيف غزير ولقد توارى هذا الجسم تحت ذلك الغطاء الكثيف حتى جاء موعد ظهوره من بعد استتار واختفاء! ان سقوط الشعر عن الجسم الآدمي، كما تم لنا التوصل اليه، دليل على ان الانسان ذو ماضٍ حيواني كفل له ان يكون جسمه مغطى بالكامل بشعر غزير كثيف! فقد كان جسم آدم وزوجه موارى عنهما وذلك لاختفائه تحت ذلك الغطاء الشعري الكثيف والذي أتاح لهما بسقوطه عنهما، بأكلهما من الشجرة التي نهاهما الله عنها، ان ينظرا الى جسميهما عاريين خاليين من كل شعر! لقد جعل منهما هذا العري المباغت المفاجئ يسارعان الى تغطية جسميهما بما تيسّر لهما اقتطاعه من ورق شجر الجنة وذلك في محاولةٍ منهما لدرء الشعور بالبرد الشديد والذي أخذا في المعاناة من تأثيره عليهما بزوال الغطاء الشعري الوثير الذي كانا يرفلان ويتمتّعان به! لقد زال عنهما الدفء الذي كان يوفّره لهما شعرهما الغزير مما جعل منهما في حاجة ماسة لغطاء بديل يستر جسميهما ويبعث الدفء فيهما من جديد! لقد سقط شعر جسم آدم وزوجه وذهب الى الأبد ذلك الغطاء الذي كان الانسان قد ورثه عن أجداده الأقدمين. ان الشجرة التي جعلت آدم وزوجه يفقدان، بأكلهما من ثمرتها، غطاءهما الشعري هي السبب في العري البشري الذي شرع يميّزنا عن أسلافنا الحيوانات! لقد كشف القرآن العظيم عن سر نشأة العري الانساني وتفرَّد بهذا الحل المُعجز لواحدة من أعقد معضلات الوجود البشري وأكثرها استعصاءً على الحل والفهم! ان كون الانسان ذا جسم عديم الشعر لا يمكن تفسيره وفقاً

لما جاءت به الوثيقة العلمية التي صاغ مفرداتُها علماء البايولوجيا الانسانية! اذاً لقد بيَّن القرآن العظيم ان السبب في تميُّز الانسان كما نعرفه بعريه غير الطبيعي، والمتمثِّل بفقدانه للغطاء الشعري الكثيف الذي كان يبعث فيه الدفء لما يوفِّره له من عزل حراري، يعود الى ماضٍ سحيق موغل في القِدم تشكلت مفرداته بأكل أبويه من الشجرة المحرَّمة التي أسقطت عنه معظم شعر جسمه! فلقد انحسر غطاء شعر الجسم الانساني عن معظم أجزائه واقتصر تواجده على مناطق محددة منه. ولقد عرَّفنا القرآن العظيم بأن اول رد فعل أبداه آدم وزوجه على ما حدث لهما من بعد أكلهما من الشجرة كان بأن (طَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ) وذلك في اشارة واضحة الدلالة نستدل بها على انهما فوجئا بهذا السقوط المباغت لشعر جسميهما وما أعقبه من عري وظهور لما كان مستوراً عنهما منهما تحت غطاء شعري غزير وثير مما حدا بهما الى الاستعانة بورق الشجر وذلك لتعويض النقص الحاصل في الدفء الذي كان يتكفّل بتحقيقه لهما الغطاء الشعري قبل سقوطه. لقد قدّم لنا القرآن العظيم يد العون وذلك بحلّه لغز العري البشري وارجاعه سبب سقوط الشعر الانساني الى حدوث تدخُّل غير طبيعي في الظاهرة الانسانية. ان هذا التدخّل لم يكن طبيعياً طالما لم تكن حادثة الأكل من الشجرة المحرّمة قد وقعت على هذه الأرض وطالما لم نعهد في الطبيعة كما نعرفها شيئاً من قبيل هكذا شجرة بوسعها إحداث تغييرات فجائية كارثية كهذه! ان ما هو غير طبيعي في الظاهرة الانسانية لابد وان يكون قد حدث بسببٍ من تدخّلٍ خارجي لا تنتمي مفرداته الى الطبيعة كما نعرفها. فالعقل الانساني الخارق لم ينشأ بسببٍ مما حدث داخل الطبيعة من تطور وارتقاء كانت نتيجتهما ظهوره كتحصيلٍ حاصلٍ لمجمل ما رافقهما من عمليات وفعاليات! لنتذكر ان العقل الانساني كما نعرفه لم يكن ليظهر لو لم يتدخل الله فيصلح من شأن الدماغ الآدمي الذي نشأ متضرراً بآثار الاصابة الفايروسية اياها! ان التدخل الالهي المُعجِز هذا هو الذي تسبّب في تميز الظاهرة الانسانية بعقلٍ خارقٍ خارجٍ على قوانين الطبيعة كما نعرفها! ان العري الانساني لا يمكن اعتباره حدثاً طبيعياً تحتّم حدوثه وتوجّب تحقّقه بسببٍ مما حدث للجنس البشري أثناء المسيرة التطورية التي خاضها ما بين خط شروع النشوء ابتداءً وخط اكتمال الارتقاء انتهاءً! فلا يوجد هناك ما يمكن تعقّله والقبول به سبباً طبيعياً لسقوط الشعر البشري عن معظم الجسم الانساني! ان استقدام أيِّ

كمٌّ من النظريات العلمية للتعليل لهذا العري البشري العجيب لن يُسفر عن تقديم ما من شأنه ايضاح وكشف الغموض المصاحب له. فجميع هذه النظريات تنطلق من هذا الواقع وتقوم على أساسٍ من قوانينه الطبيعية الفحوى ضرورةً. ان التشبُّث بالواقع والتمسُّك بنظرياته الطبيعية لن يقودا من يروم فهم هذا الجانب غير الطبيعي من الظاهرة الانسانية الى غير الابتعاد عن الواقع والاتجاه بعيداً عن الطبيعة! فاستقدام نظرية بمفردات واقعية انتماءً وطبيعية انتساباً لا يعني ضرورة النجاح في فهم الظاهرة قيد الدرس فهماً يُجيز لنا الثقة المطلقة بكون ما حدث، كما جاءت به النظرية، هو بحق ما حدث فعلاً! كما ان القول بسببٍ غير طبيعي، وذلك لعدم انتمائه للطبيعة كما نعرفها، وغير واقعي، وذلك لعدم انتسابه للواقع كما نعرفه، لا يعني وجوب كون هذا السبب علّة ميتافيزيقية ليس لها وجود بحق؛ مما لا يُجيز لنا بالتالي الوثوق المطلق بحقانية كون هذا السبب هو السبب الحقيقي لما حدث فعلاً! فقد يكون ما هو غير طبيعي وليس بمُنتمٍ لهذا الواقع الذي نعرفه هو الحق بينما يكون السبب المُغرق في انتسابه للطبيعةِ والواقع كما نعرفهما هو الباطل بعينه وذلك طالما لم يكن هذا السبب الغريق هو السبب في ما حدث فعلاً وحقاً! ان السبب الحقيقي هو ذاك الذي حدث فعلاً سواء كان منتمياً للواقع كما نعرفه أم منتسباً لما يتجاوزه ولا ينتمي اليه! ان الظاهرة الانسانية لا يُشترط لفهمها، كما يتوجب وينبغي، ان يتم النظر اليها بمنظار واقعي وذلك بحجة كون مادتها هو الانسان الذي نعرفه منتمياً لهذا الواقع وناشئاً عنه! فمَن ذا يضمن لنا ان الانسان لم يغادر هذا الواقع منتمياً اليه ليعود اليه مرةً اخرى وهو غير منتمٍ اليه؟! ومَن ذا يُقسِم لنا فنُصدّق بأن هذا الواقع هو الواقع الوحيد الذي ليس من واقع آخر يتشارك معه ويتقاسم هذا الوجود؟! لِنعُد الى حيث تركنا آدم وزوجه عريانين قد أضناهما البرد الشديد ولنتدبّر في النظريات العلمية التي تفتَّق عنها عقلُ ابن آدم وهو يحاول فهم ما جرى للإنسان القديم فأدى به الى ان يفقد شعره! وقد يعترض معترض فيقول إنه لا يرى موجباً لهذا التعريض بالنظريات العلمية؛ اذ لا مُبرِّر هناك يحتّم القبول بما نقول به من سببٍ غير طبيعي لسقوط الشعر الانساني عن جسم الانسان ويوجب في الوقت عينه رفض ما جاءت به الوثيقة العلمية ممثلاً بنظرياتها هذه! الا ان مَن يسارع الى الاعتراض على وجوب كون السبب في العري البشري لا يمكن ان يعود الى ما

حدث في هذا الواقع الذي نعرفه قد فاته ان يُدرك ان هذا الواقع ليس بامكانه ان يُعلّل لظاهرة غير طبيعية كسقوط الشعر البشري وذلك طالما كانت الأسباب التي ليس بامكانه ان يورد غيرها هي أسباب واقعية تنتمي لهذه الطبيعة كما نعرفها وجوباً! فالانسان ابن لهذا الواقع الذي لم يكن ليُسقِط عنه شعر جسمه لو انه كان حقاً ابناً برّاً به غير عاق! ان عقوق الانسان لم يكن ليتحقّق وهو على هذه الأرض! فالانسان لا يمكن ان يصل الى فقدانه غطائه الشعري بسببٍ مما حدث أثناء مسيرته التطورية ـ الارتقائية داخل الطبيعة وعلى أرض هذا الواقع. ان شيئاً غير طبيعي كالعري الانساني لابد وان يكون قد تسبب فيه ما ليس بمنتم لهذا الواقع! ان المرء ليكفيه ان ينظر الى الجسد البشري ليدرك، برؤيته للعري المميز له، انه جسد لا ينتمي للطبيعة التي كفلت لكائناتها ان تنعم بما يُعينها على التعايش الناجح مع مفردات بيئتها وفق قوانينها الضابطة لهذا التعايش. ان تميُّز الإنسان بتوزّع رديء للغطاء الشعري على جسده برهان قاطع بأنه كائن غير طبيعي. فالناظر اليه لا يحتاج ان يتعمق بعيداً في دراساته لسلوكه وفعالياته وذلك كيما يكون بمقدوره ان يخرج بنتيجة مفادها انه ليس كباقي خلْق الله من الكائنات الطبيعية!

ان جميع النظريات التي احتوت عليها الوثيقة العلمية قد انطلقت من هذا الواقع، لذا فانها لن تستطيع تفسير ظاهرة غير واقعية كالعري الانساني لذا لا نجد هناك من داع للتعليق على ما جاءت به هذه النظريات من تعليلٍ لسقوط الشعر عن جسم الانسان. والآن، ماذا قال القرآن العظيم بخصوص ما حدث من بعد ظهور الجسم الانساني عارياً من غطائه الشعري بسببٍ من أكل أبوينا من الشجرة التي نهاهما الله عنها؟ تدبّر الآية الكريمة: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. تكشف هذه الآية الكريمة النقاب عن جانبٍ مما حدث عقب ادراك آدم وزوجه انهما قد أصبحا كقومهما الذين أبادهم الله عراةً بلا شعر يغطي جسميهما. لقد ذكّر الله آدم بأنه كان قد نهاه عن الاقتراب من تلك الشجرة وبأنه كان قد سبق وان حذره من الشيطان. ولأن آدم وزوجه لم يرعيا حدود الله وخالفا أمره، مما عاد عليهما بالنكوص الى ما كان عليه قومهما الظالمين من حال سيء فأوجب ان يأمر الله بابادتهم

أجمعين، فلقد أصدر الله قراره الحاسم بوجوب ان يعود آدم وزوجه الى الأرض التي خُلِقا من ترابها وذلك لأنهما فقدا الكثير من تميُّزهما عن اولئك القوم المُهلَكين وعادا بسببٍ من هذا الى ماضٍ كان الله قد أبعدهما عنه من قبل. لقد فقد آدم ما كان قد جعل الله يقرر ان يُبقيه خليفةً في الأرض من بعد قومه ويُسكنه الجنة بعيداً عنهم وعاد الى نقطة البداية: الى الأرض التي منها بدأ الله خلْقه من طين! ولكنه لم يعُد الى الأرض واحداً من القوم الذين نشأ منهم ولبث فيهم عُمُراً من قبل ان يفارقهم بنجاته من العذاب الذي اَوقعه الله بهم وأنزله بساحتهم! لنتذكر ان آدم الجنين كان قد تم علاجه مما أصاب قومه فجعل منهم مفسدين في الأرض سفّاكي دماء. لقد كفل تدخُّل الله لعلاج الدماغ المتضرّر لآدم الجنين ان يتم إِرجاع الفعاليات العدوانية لمنظوماته البايوالكترونية الى سابق ما كانت عليه عندما كان قوم آدم حيوانات طبيعية تمارس العدوان بنظام يقيده ويقوده لخدمة النوع وبما لا يتعارض مع قوانين الطبيعة المُنظِّمة للحياة البايولوجية على الكرة الأرضية. ولقد أدى ذلك التدخُّل الالهي، كما سبق وان رأينا، الى إِطلاق العقل الخارق من مكمنه الذي كان العقل مقيَّداً داخله وذلك لظهور الحاجة الى جعله يتجاوز ما من شأنه ضمان نجاح أشباه الانسان في التناغم مع البيئة بما يؤمِّن لهم البقاء في عالمِ دَيدَنه التصارُع من أجل البقاء والانتشار والتكثير. اذاً كانت عودة آدم الى الماضي رجوعاً الى ما كان عليه قومه قُبيل اهلاكهم ولكن بعقلٍ لا يشابه البتّة ما كانوا عليه من عقل! فاذا كان آدم قد عاد الى الأرض بعقلٍ ذي عدوانية هي ذاتها التي كان سيخرج من بطن أمه الى الدنيا بها لولا ان تداركته رحمة الله فانه عاد أيضاً بعقل ذي ذكاء خارق فائق مُؤَهَّل للصلة الواعية بالله وبروح بمستطاعه ان يفيد منها في تعميق وتمتين أواصر علاقته بالله وبما يجعل منه قادراً لا على إِصلاح ما تضرر من عقله نتيجة للأكل من الشجرة فحسب ولكن على الوصول، بصلته وعلاقته بالله، الى الله والعبور اليه! لذا فان الله لم يُصدِر أوامره بالتخلُّص من آدم وزوجه بل اكتفى بأن اَخرجهما مما كانا فيه وأَهبطهما من الجنة الى الأرض. فقد كان آدم ذا عقل خارق يستطيع به ان يبتدئ رحلة العودة الى الله وذلك على الرغم من تضرُّر مناطق العدوان في عقله ورجوعها الى ذات ما كانت عليه عند قومه! لقد كان بامكان آدم وزوجه البقاء في الجنة لو انهما لم يأكلا من تلك الشجرة فيها. كان بامكانهما العيش فيها وانجاب ذرية لتصبح

شعوباً وقبائل عدداً وكثافة انتشارٍ لولا ان رُدّا أسفل سافلين بأكلهما من الشجرة. لقد كان لِزاماً على آدم وزوجه ان يُغادرا الجنة كما كان من المحتّم عليهما ان يغادرا الأرض من قبل.

لنتدبّر الآيات الكريمة التالية: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾. يظن جمع غفير من مفسّري الوثيقة الدينية ان هذه الآيات الكريمة لا تخص آدم وحده بل تتعدّاه لِتَضُمَّ تحت لِوائها أفراد النوع الانساني كلهم جميعاً! فالله، في ظنهم الواهم، لم يخلق آدم وحده في أحسن تقويم بل خلق البشر أجمعين والملائكة لم يسجدوا لآدم وحده بل سجدوا للانسانية جمعاء والله لم يجعل في الأرض خليفةً آدم وحده بل كل انسان من ذريّته وبَنيه! ان هذا التفسير عارٍ عن الصحة؛ فاللهُ خلق الانسان في أحسن تقويم بخلْقه الانسان الأول آدم الذي كان مثال الخِلقة البايولوجية الخارقة بدماغه وعقله وقَوامه وقامته؛ والله لم يأمر الملائكة بالسجود لغير آدم إِشهاداً لهم على خَلْقه البايولوجي الخارق هذا وتمييزاً للخبيث من الطيب وليقضيَ الله أمراً كان مفعولاً؛ ثم ان الله لم يجعل في الأرض خليفة خلا آدم وزوجه اللذين أسكنا من بعدُ الجنة بينما كان الملائكة يُبيدون قومهما المُلتاثين عن بكرة أبيهم. الا ان مُفسّري الوثيقة الدينية بأهوائهم أرادوا ان يجعلوا لأنفسهم نصيباً من ذلك الفضل الذي اختُص به آدم اذ اصطفاه الله دون احد غيره من الخلْق بذلك الإكرام العظيم والتفضيل الكريم! فلقد كان حَرياً بهؤلاء ان يقولوا الحق فيُردِّدوا مع القرآن العظيم ما جاء فيه بخصوص الأكل من الشجرة التي لم يتضرَّر آدم وزوجه وحدهما جرّاء أكلهما منها بل تضرَّرت ذريّتهما بأكملها!! فإن عَجِبتَ فعجبٌ قولهم إِنَّ الانسان، أي انسان، شارك آدمَ خلْقه في أحسن تقويم وفي سجود الملائكة له وفي جعْله في الأرض خليفة ولم يُشاركه في أكله من الشجرة وما جرّه عليه أكله هذا من كوارث وأضرار! لقد بيَّن الله حقيقة الأمر وذلك عندما كشف النقاب في القرآن العظيم عن ان البشر كلهم أجمعين قد أُهبطوا جرّاء أكل آدم وزوجه وليس فقط مَن أكل مِن الشجرة! تدبّر الآيات الكريمة:

﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: من

٣٦]، ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة: من ٣٧]، ﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٤ ـ ٢٥]، ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [طه: من ١٢٣].

لقد خلق الله آدم في أحسن تقويم ولكنه ردَّ البشر كلهم جميعاً أسفل سافلين بأكل آدم من تلك الشجرة إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فقد أرجعهم الى أحسن تقويم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٤ ـ ٦].

لذا لم يكن لآدم وزوجه ان يبقيا في الجنة وقد التاثت مياه الحياة في صُلب آدم! كان عليهما اذاً أن يعودا الى الأرض وأن يبقيا فيها حتى يوم الخروج منها الى العالم الجديد الذي سيجيء به الله في الآخرة. فذرية آدم التي حملها في صُلبه سيتوجَّب عليها ان تختار اما طريق العودة الى الله واما طريق الجحيم. فيوم البعث سوف يجيء حتماً وعالم الأبدية آتٍ لامحالة والانسان مخلوق طيني ميت الا انه ذو روح خالدة! فمجيء يوم الخلود سوف يشهد ظهور المادة الانسانية الخالدة التي ليس ينتظرها فناء. والمادة الخالدة هذه هي مادة الخلْق الجديد الذي سيخلقه الله عِوضاً عن الخلق القديم الذي سيفنى يوم يطوي الله السماء كطَي السجل للكتب ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. لذا فان الحياة ذلك اليوم هي حياة أبدية. ان تفرُّد الانسان بجسدٍ ميت لامحالة وروح خالدة أبداً لامحالة كفيل بجعله أهلاً لخوض المنافسة العظمى التي يتوجّب عليه الاشتراك فيها بسببٍ مما حدث يوم قرر أبواه آدم وزوجه ان يأكلا من الشجرة!

اذاً لقد توجَّب على الانسان ان يغادر الجنة ويعود الى الأرض ليبدأ عليها رحلة عودته، ان شاء، الى الله. لقد فقد الانسان الجنة وعاد الى الأرض؛ دار الشقاء والعناء؛ دار الهم والغم والحزن! الا ان الله لم يكن ليُعيد الانسان الذي اختار طريق العودة الى الله الى الفردوس الذي فقده! فلقد قرر الله ان تكون الأرض مستقر الانسان ومثواه حتى يوم البعث. الا ان الله تكفّل بأن تكون حياة الانسان الذي اختار ان يعود اليه حياة بلا خوف خالية من كل ما يوجب الحزن! تدبّر الآيات الكريمة التالية:

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٨ ـ ٣٩]، ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٤].

فلقد أبان الله في الآيات الكريمة أعلاه عن كون الذين يتّبعون هُداه هُم مَن سينجون من المخاوف والأحزان وان الذين أعرضوا عن ذكر الله سيحيَون حياة ضنك وكد ونكد! ولكن، لماذا وصف الله الانسان وقد سقط من أحسن تقويم بأنه قد رُدَّ الى أسفل سافلين؟ ما الذي حدث فجعل من تلك السقطة ردّةً الى أدنى رتبة في الوجود؟ ومتى كانت تلك الانتقالة المصيرية التي جعلت من الانسان يهوى في هاوية قعرها أسفل سافلين. لقد خلق الله الانسان في أحسن تقويم أي في أحسن قَوام مادي بالامكان خلْقه من هذا الطين. فقد كان آدم خلْقاً فريداً جمع بين أرقى تطور للمادة البايولوجية مُمثّلاً بدماغه ذي الذكاء الخارق وبين الروح التي نفخها الله فيه من روحه لتكون وسيلته الى عالم الأبدية والخلود. لقد نشأ عن التدخل الالهي في تخلُّق ونشوء آدم ظهور عقلٍ فذٍّ خارق ذي امكانيات لانهائية كفل الله لآدم بها ان يكون على صلة واعية به وان يكون قادراً بالتالي على العبور اليه من بعد استعانته على تحقيق ذلك بالروح التي بها يستطيع النفاذ والمرور من بوابة الموت، الذي هو قدَر كل مادة بايولوجية، والخلاص من قدَر الهلاك والفناء اللذين هما مصير كل شيء: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ﴾ [القصص: من ٨٨]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧].

ان المادة البايولوجية الانسانية، التي خُلق منها آدم وخرج بها طفلاً، لا يمكن ان توصف الا بأنها أرقى أشكال المادة قاطبةً وأنها بحق أحسن تقويم! فلم يسبق وان ظهرت هكذا مادة بايولوجية (غير مجهرية!) بمنظومات بايوالكترونية بوسعها الاتصال، استقبالاً وارسالاً، بمَن ليس كمثله شيء في الوجود: بالله الذي وصف ذاته اللطيفة في الآية الكريمة: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُمَر: ٦٧]. وكيف لا تكون المادة البايولوجية الآدمية، قبل

الأكل من الشجرة، أرقى مادة، غير مجهرية، على الاطلاق وفي أحسن تقويم بالامكان قيامه وإقامته اذا كان دماغ الانسان الأول، قبل الردّة، متصلاً بروحه بايوالكترونياً؟

٣ ـ ٦ آدم يفقد صلته بروحه!

لقد كان بمقدور المنظومات البايوالكترونية للدماغ الآدمي، قبل السقوط، ان تتصل بالمنظومات الفوتوالكترونية لروحه اتصالاً جعل من مادّتَي آدم الخليفة مادة واحدة امتداداً ان صح القول وجاز الوصف! فلم تكن المادة فائقة المجهرية للروح الآدمية ليتصل بها ما هو عبارة عن مادة بايولوجية غير مجهرية! الا ان الله كفل بخلقه آدم في أحسن تقويم ان يكون بوسعه تحقيق الاتصال هذا. فلم يكن آدم قد تضررت منظوماته البايوالكترونية بعدُ حتى لا يكون بمستطاعها تأمين الاتصال بالمنظومات الفوتوالكترونية لروحه. فمنظومات آدم البايوالكترونية فقدت قدرتها على تحقيق الاتصال مع فوتوالكترونيات روحه من بعد أكله من تلك الشجرة ثمرةً عادت على بايوكيمياء دماغه بأفدح الأضرار وأعظم الخسائر! وكيف لا وقد فقد آدم نتيجةً لهذا الخلل البايوكيميائي قدرة منظوماته البايوالكترونية على ان تُبقيه مع روحه كلاً واحداً متحداً متكاملاً غير منقسم ولا متجزأ الى كيانين لا وصل بينهما ولا اتصال! لقد فقد الانسان روحه بفقدانه المقدرة على الاتصال والصلة بها! لقد فقد آدم روحه ولم يستعدها، باستعادة صلته بها من بعد توبة الله عليه وتلقّيه كلمات منه كشفت له سر طريق العودة اليه، الا من بعد ان أصبح نِعم العبد لله! لقد أصبح الانسان، من بعد تخلّي آدم عن كونه خليفة، بكيانين منفصلين؛ جسد يسارع في الابتعاد عن الله، لسهولة ذلك بالمقارنة بما يتطلبه السير على الطريق اليه، وروح تسارع في توثيق وتدوين وتسجيل وأرشفة هذا السير المُتخبّط الى الجحيم! أفليس من المؤسف ان يكون مصير مَن خلقه الله في أحسن تقويم ان يُلقى في النار يوم القيامة غير مأسوف عليه؟! أليس من المُحزن والمُخزي ان يكون مَن جعله الله يوماً ما خليفةً في الأرض، من بعد إهلاكه لقومه المجرمين، واحداً من اولئك الذين قرّر الله ابادتهم أجمعين يوم أبقى آدم في الأرض خليفة؟! ماذا تكون الردة أسفل سافلين اذاً غير هذه الرجعة والانتكاسة الى ما كان عليه أجدادنا المجرمون يوم ان نفّذ الله بهم قرار الابادة

الجماعية ولم يستثنِ منهم من أحد الا آدم وزوجه خليفةً في الأرض من بعدهم؟! ان الردّة أسفل سافلين كانت رجوعاً شائهاً وعودة خائبة الى الماضي الذي لم يكن فيه أجدادنا الظالمون غير سفّاكي دماء مفسدين في الأرض! فلقد عُدنا جميعاً بلا روح وذلك على الرغم من وجودها وتواجدها معنا شاهدةً لله علينا عدوةً لنا عداوة كل شيء خلَقه الله لمن كفر به وعصاه! ان العطب الذي أصاب عقولنا وتضررت جراءه بايوالكترونياتنا وبايوكيمياء أدمغتنا جعل من المستحيل علينا ان ننعم بما كنا عليه من قبلُ يوم كان أبوانا آدم وزوجه انسانين في أحسن تقويم؛ بدماغٍ سليم وروحٍ متّصلةٍ به! لقد فقدنا الروح فينا وذلك يوم ان فقدنا الجنة وأهبطنا الى الأرض مقبرة أجدادنا المجرمين الذين أبادهم الله عن بكرة أبيهم! فما نفع الروح فينا ان لم نكن قادرين على ان نجعل منا، دماغاً سليماً وروحاً، كلاً واحداً وكياناً متوحداً ومخلوقاً متّحداً بلا انفصال أو انقطاع صلة! ان الطريق الإلهي الى الله هو طريق العودة اليه وهو لن يؤدي بنا اليه الا اذا ما نحن سرنا عليه جاهدين في سعينا لاستعادة ما فقدنا مع أبوينا آدم وزوجه بأكلنا من الشجرة جميعاً! فالطريق الإلهي الى الله يكفل لنا استرجاع الروح التي فقدنا يوم ان فقدنا المقدرة على الاتصال بها فانقطعت الصلة ما بيننا فعُدنا أشباه بشر بلا روح؛ بلا أمل في الخلاص من عذاب الخُلد يوم الخلود مادام أملاً بلا عملٍ وحلماً في غير سبيل الله!

٣ ـ ٧ آدم والعودة الى العدوان الظالم!

لقد عُدنا الى أسفل مما كنا عليه يوم قرر الله المضي قدُماً بابادة وتدمير أجدادنا وأسلافنا الأواخر! وما ذلك الا لأننا لم نَعُد الى ما كانوا عليه من عدوان منفرط وظلم مفرط فحسب؛ اذ اننا عُدنا بعقل خارق لم يكن لديهم معشار معشاره حتى يستعينوا به على التفنُّن في ابداع كل ما من شأنه ان يُعبِّر أبلغ تعبير عن انحرافهم وطغيانهم وخروجهم على قوانين الطبيعة! فلقد عُدنا بدماغ ذي عقلٍ فائق الذكاء بمنظومات بايوالكترونية خارقة! الا اننا عُدنا بعدوان خارق أيضاً؛ فلقد عاد السلوك العدواني من بعد أكلنا من الشجرة مع أبوينا آدم وزوجه الى ما كان عليه من مناسيب شاذّة امتاز بها القوم من أسلافنا الأواخر! عُدنا اذاً الى أسفل مما كنا عليه وكان عليه أجدادنا المجرمون هؤلاء. فلقد أصبح

بمقدورنا الآن ان نفيد من عقلنا الخارق ذي الذكاء الفائق في اخراج عدواننا وصبَّه حُمماً وناراً بوسعها التهام الأرض؛ كل الأرض! لم نعُد اذاً الى ما كان عليه أجدادنا بل رُدِدنا أسفل سافلين تحت أقدامهم وأدنى بكثير جداً منهم! لذا فان الله قد حدّد قانون الحياة البشرية على الأرض، وفقاً لهذا الذي قُمنا به بأكلنا جميعاً من الشجرة، بأنه قانون ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾. وهذا هو ما حدث بالفعل! فلقد تميزت مسيرة بني آدم منذ نشوئهم من بعد هبوط أبوينا من الجنة بأنها مسيرة سفك الدم والافساد في الأرض. ان هذه المسيرة الظالمة لم تعهدها الطبيعة من قبلُ؛ حتى يوم كان أسلافنا الأواخر يُفسدون في الأرض ويسفكون الدماء مما جعل الله يُهلكهم بظلمهم من بعد ان أبقى على أبوينا خليفةً من بعدهم! ولنا في قصة ابنَي آدم كما جاءت في القرآن العظيم خير دليل على عدوان الانسان:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٧ ـ ٣١].

يتّضح لنا من استعراض ما ورد في هذه الآيات الكريمة من سببٍ تذرّع به ابن آدم حُجّةً ليُسوِّغ بها لقتل أخيه انَّ الأمر لم يكن لَيعدو غيرةً قاتلةً اعتملت داخل نفسٍ مجرمة وتفاعلت حتى كانت النتيجةُ سفكَ دم بريء لم تكن لصاحبه من جريمةٍ غير ان الله تقبل منه ولم يتقبل من أخيه! فَلم يقتل ابن آدم أخاه انتصاراً للحق على الباطل ولا دفاعاً عن الفضيلة والشرف والقيم الانسانية النبيلة ولا ذوداً عن الحرية والديموقراطية! ولم يقتل ابن آدم أخاه بسببٍ من قيم اجتماعية مغلوطة ومفاهيم خاطئة نُشّأ وشب عليها ولم تكن بيده من حيلةٍ غير ان ينساق صوب الوجهة الشاذة المنحرفة التي قادته اليها حتف أنفه! فلم تكن هناك بعدُ من بيئةٍ اجتماعية حتى نعلل بها لنشوء النزعة الاجرامية داخل البُنية العقلية

لابن آدم الذي لم يكن ليتّجه الى قتل أخيه لو انه كان قد نشأ في نظام مجتمعي سليم ذي أسس تربوية قويمة تحض على الخير والفضيلة وتنهى عن الشر والرذيلة!!! لقد قتل ابن آدم أخاه ظلماً وعدواناً وامعاناً في غيّه وطغيانه وانتصاراً لنزعة الشر داخله؛ تلك النزعة التي لم يحاول ان يصم اذنيه عن السماع لها. لقد قتل ابن آدم أخاه لا لشيء الا ليؤكد بفعلته النكراء هذه انه بحق من سُلالة دموية عاثت في الأرض فساداً من قبل ان يُبيدها الله ويدمرها تدميراً. فقد قُتِل ابن آدم بيد أخيه ليكون أول انسان من بني آدم يُقتل ظلماً وعدواناً بغير نفْس أو فساد في الأرض وليُفتتَح بذلك سجل القتل الانساني الذي امتدت صفحاته على مر العصور والى زماننا هذا محمَّلة بمدادٍ من دم الأبرياء من أبناء آدم الذين قُتِلوا على أيدي اخوانهم البشر من بني آدم! ان الانسان قاتل جماعي بالفطرة اذا ما هو لم يقف في وجه جنون دماغه الداعي اليه ليقتل ويُفسِد في الأرض بغير الحق! فالانسان ورث عن أبيه آدم دماغاً مُلتاثاً لا تتورّع منظومات العدوان في عقله عن القيام بما جُبِلَت عليه من توجُّه صوب الافساد في الأرض، وبما من شأنه ان يجعل من هذه الأرض صورةً مشابهة لما يعتلج داخله من اعتلال واختلال وخَبال، طالما لم يقف الانسان في وجه ما يدعوه لذلك بارادة فولاذية جُبِل بها كما جُبِل على العدوان غير المُبرَّر والظلم غير المُسوَّغ له. ان الانسان ليستطيع ان يكبح ما يدعوه الى التصرف كوحش قاتل مجرم اذا ما هو استعان على ذلك بالوسائل الكفيلة لجعل العدوان داخله يبقى أسير منظومات دماغه فلا يخرج منها أبداً! فالانسان، بسببٍ من انحداره عن أصول عدوانية مجرمة دَيدَنها الافساد في الأرض وسفك الدماء، لن يتورع عن الإقدام على أي عمل تدعوه اليه المنظومات العدوانية المتضررة لدماغه. الا ان ما يقف حائلاً وعائقاً بين الانسان ومُضيّه قُدُماً في تحقيق ما تدعوه اليه مناطقُ العدوان هذه يجب ألا يدعونا الى الاعتقاد بأن إحجام الانسان هذا عن الولوغ في الدم البريء مبعثه الضمير الحي الذي إن انصت الى نُصحه وأفاد من وعظه الانسانُ فلن يكون بعدها بوسعه ان يُقدِم الا على ما يجعل منه يُحجم عن أن يكون قاتلاً مجرماً! فالانسان اذ يتردّد فلا يمضي في تنفيذ ما عزم عليه من القيام بما تدعوه اليه بايوالكترونياتُ دماغه المتضرِّر فأنه لا يفعل ذلك عن تأرجُح بين هذا الصوت الزاعق الناعق وبين صوت ضميره الزاجر الناهي! فلم يكن ليَقف في وجه توجُّه

الانسان للالتقاء بماضيه الدموي الاجرامي الا خوفه من العقوبة، التي إن تأكد له انه قد أمِنها فلن يكون رد فعله الا اساءة الأدب بأية صورة يتسنى له إخراجها، أو تخوُّفه من ان لا ينجح فيفشل ويُنتقَم منه أو حرصه على صورة مُتوهَّمة صاغها واختلقها لنفسه فصدَّق معها انه ملاكٌ نبيل ذو خُلُقٍ لم يسبق لها مثيل! الا ان الانسان لا يبقى على خوفه هذا ولا تخوُّفه ذاك ولا حرصه ذلك اذا ما دعت الضرورة وانحل لِجام الخوف والتخوُّف وسقط قناع الصورة الزائفة وظهر الانسان على حقيقته وكما نعرفه: وحشاً ضارياً مُطبَق الجنون مُطلَق الخَبال وبما يفوق الظنون والوصف والخيال. فلن يتورع الانسان عن الظهور على صورته الحقيقية وبوجهه الحقيقي اذا ما استُفِزَّت داخله مكامن العدوان الموروث عن الأسلاف الأواخر استفزازاً لا يجرؤ على ان يقف في وجه نتائجه التي سيتمخض عنها خوفٌ أو تخوّفٌ أو ضميرا فالانسان لا يُظهِر وجهه الحقيقي المُتستِّر بقناع النُبل والبراءة مادام ليس هناك ما يدعوه ويجعل منه يُسقط قناعه غير المرئي هذا! والعجيب ان الغالبية العظمى من بني آدم لا تعرف انها مُقنَّعة بهكذا قناع؛ اذ يصعب على الانسان ان يرى قناعه غير المرئي والذي لا يستطيع ان يراه على الرغم من لامرئيته هذه الا مَن اختُص بنظر خارق وعقل سليم. فالانسان، عند الغضب الشديد والعصبية الحادة، يُفاجأ بظهور وجهٍ له لم يتخيل يوماً انه وجهه الحقيقي. ان الانسان لَيعجب من وجهه هذا عندما تزول العصبية ويختفي الغضب فيبقى متحيراً من تصرفاته نادماً عليها في أغلب الأحيان! الا ان هكذا ندم لن يفيده في شيء؛ اذ لات حين ندم مادام هذا الندم لا يكفل له انه لن يعود لمثلها أبداً فيظلم ويطغى! فهذا الندم لا ينبع من ضميره الحي المزعوم الموهوم والذي لا يستطيع ان يقف في وجه ظلمه وطغيانه. كما ان انغماس الانسان في الندم، من بعد الظلم والعدوان والطغيان، لن يجعل منه قادراً على اصلاح ما جعله يجنح الى ما كانت عاقبتُه ندمَه هذا! أفلا يستدعي سقوط القناع غير المرئي هذا عن وجه الانسان، وظهوره بالتالي على حقيقته وبوجهه الحقيقي الذي سيجعل ظهوره منه أول المتفاجئين به، ان يبادر الانسان الى دراسة هذا الذي جعل منه وحشاً على غير ما يعهده عن نفسه؟! ألا يتوجّب عليه اذاً ان يسارع الى تقصّي الأسباب التي جعلت منه يتصرّف على هذا الشكل المرعب وبهذه الصورة الظالمة؟! ألا يدل هذا السقوط للقناع غير المرئي على وجود جانب مستتر مخفي

من البُنية الانسانية؟ ألا ينبغي على الانسان ان يجعل منه هذا الندم، الذي يتكرر كلما سقط عنه قناعه، يفكر بالسبيل الى التخلُّص منه وذلك بالخلاص من أسبابه؟ فما نفع الندم اذا لم ولن يستطيع ان يحول دون إقدام الانسان على فعل ما يوجب ندمه هذا؟! لنتدبّر من جديد ما أصاب ابن آدم جرّاء قتله أخيه كما ورد في الآية الكريمة ﴿قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾. ألا يستدعي هذا منا ان نفكر بالأمر ملياً وذلك حتى نصل الى علاجٍ شافٍ بمستطاعه القضاء على ما يجعل منا نندم وذلك بقضائنا على الأسباب التي تجعل منا نجرم ونظلم ونطغى؟! ولكن، لنسأل أنفسنا السؤال التالي: هل بالامكان حقاً ايجاد حل لمشكلة العدوان الانساني هذه؟ هل بالمستطاع حقاً التوصل الى علاج كفيل بالحؤول دون ان يجد الانسان نفسه وجهاً لوجه في مواجهة وجهه الحقيقي من بعد سقوط قناع الخوف والتخوّف والصورة المتوهمة؟! وهل بامكان الانسان الوصول الى هكذا حل وهكذا علاج وحده وبمفرده؟ واذا ما كان نشوء العدوان عند الانسان مرتبطاً بماضٍ بعيد كذاك الذي تعرَّفنا اليه فيما مضى من صفحات فكيف السبيل الى اجتثاثه من عروقه حتى لا يظهر من جديد كلّما عنَّ للانسان ان يُظهر وجهه الحقيقي ويسقط عنه قناعه غير المرئي؟! وكيف نطمئن الى ما بين أيدينا وما خلفنا من علاجات، بشرية الصنع والتركيب، وهي لا تكفل، من بعد ما تبيّن لنا من أمرها بالخبرة والتجريب، لنا الشفاء الحقيقي من العدوان والظلم داخلنا؟ كيف لنا ان نأخذ بها حلاً للمشكلة الانسانية، بوجهها العدواني القبيح، وهي ليس بمقدورها غير ان تُقدِّم علاجات وقتية مُسكِّنة لا قدرة لها على استأصال مكامن العدوان داخلنا علاجاً جذرياً يطال جذور المشكلة وعروقها الضاربة عميقاً في التربة التي تشكَّل منها أسلافنا الأواخر وأعادنا اليها أبونا آدم من بعد أكله من تلك الشجرة؟! ان الإحجام عن الظلم والعدوان اذا ما لم ينبع عن اختفاء مكامنهما داخلاً من البُنية الدماغية للانسان لا يمكن ان يكون غير اختفاءٍ مأجول بأجلٍ سرعان ما ينقضي ليعود الانسان من جديد وحشاً كاسراً مجرماً وذلك باختفاء المُهدِّئات والمُسكِّنات والكوابح! ان الحل الوحيد للمشكلة الانسانية، على قدْر تعلق الأمر بالعدوان البشري، يكمن في التوصل الى حلٍّ وعلاج بمقدورهما التسلُّل داخلاً من منظومات البايوالكترونيك الدماغية والتغلغل فيها باقتدار وقوة كافيتين لارجاعها

منضبطةً كما كان شأنها عندما خلق الله آدم! ان الحل هذا ليس بوسعنا معشر البشر التوصل اليه؛ اذ لا قدرة لنا على إبداع مواد بمقدورها ان تفعل فتؤثّر في بايوالكترونيات الدماغ المسؤولة عن اعادة مياه العدوان الى مناسيبها الطبيعية داخلاً من البُنية البشرية! ان السبيل الى الحصول على علاج ناجع للمشكلة الانسانية، بعلاج العدوان البشري بدايةً، لا يمكن ان يكون الا السبيل الذي شقّه الله اليه؛ اذ لا قدرة لغير ما جاءت به الوثيقة الدينية من حلٍّ خارق للمشكلة الانسانية، بوجهها العدواني البشع، على ان يكون حلاً حقيقياً بمقدوره ان يتعامل بقدرةٍ وحزم مع الآثار التي نجمت عن تضرُّر دماغ الانسان بعيداً عن هذه الأرض! فالحل البشري حلٌّ أرضي لامحالة؛ بينما المشكلة الانسانية جذورها غير أرضية لامحالة! ان كافة الحلول التي تم للانسان التوصل اليها بمعزل عن الوثيقة الدينية قد أثبتت عجزها عن علاج المشكلة الانسانية علاجاً جذرياً، وما ذلك الا لأن الانسان ظل على اعتقاده الواهم بأن منبع الشر ومكمنه ليسا داخله وان الخارج هو المسؤول عن أية تصرفات شريرة قد يضطره اليها رغماً عنه وبغير ارادة خالصة منه! ان الحل الذي جاءت به الوثيقة الدينية قد أثبت نجاحه التام في التخلّص الكامل من جذور المشكلة الانسانية وذلك كما تجلّى في السيرة الوضّاءة لمن سار من بني آدم على الطريق الذي جاءت هذه الوثيقة لتحدّد معالمه ولتُبيِّن كيفية السير عليه. فلقد قدم الأنبياء والصدّيقون والصدّيقات وكل مَن آمن وعمل صالحاً مِن ذكر وانثى الدليل القاطع على حقّانية كون السير الملتزِم على الطريق الإلهي الى الله بمقدوره انقاذ العقل البشري من مغبّة الاستمرار في النأي عن الله بعيداً عن الفرصة الوحيدة التي يتيحها لنا القرب منه للخلاص من كل ما يدعونا الى الوقوع فريسةً للعذاب في هذه الحياة الدنيا ويوم تقوم الساعة. ان الشر يكمن داخل الانسان لا خارجه؛ مادام ليس في هذا الخارج بشر يسكنهم الشر لامحالة! فالانسان يأتي الى الدنيا بدماغ معطوب متضرر مصاب بتلك اللوثة التي نجمت عن ردّتنا أسفل سافلين على يد أبينا آدم وعودتنا الشائهة الى ما كان عليه قومه من عدوانية مفرطة وسلوك اجرامي شاذ منحرف خارج على قوانين الطبيعة. فكيف نأمل ان نصل بمفردنا الى التخلُّص من هذا العطب التقني في دماغنا البشري اذا كان ما قد تضرر بسببه يُمثِّل مجمل البُنية البايوالكترونية لعقلنا الانساني؟! لقد تضررت البُنية البايوالكترونية للدماغ البشري الى الحد الذي جعل

من الانسان يستسهل الإضرار بكل ما يوجد خارجه طالما استصعب الانسان ان يقف بحزم وعزم وقوة في وجه ما يدعوه الى إقامة مشابهة ومطابقة ما بين بُنيته العقلية المُلتاثة والواقع الخارجي! فالانسان اذ يعيث في الأرض فساداً وفي غيره إضراراً وإفساداً إنما يتجه، بعمله الشاذ هذا، صوب إقامة واقع خارجي يتناغم ويتساوق ويتجانس مع واقعه الداخلي القائم على أساسٍ من المناطق المتضرّرة في دماغه والتي ورثها عن أبيه الانسان الأول آدم! ولن يصبح بوسعنا ان نصل الى صياغة حل تطبيقي ناجح وعلاج ناجع للتوجّه الانساني المنحرف الشاذ هذا الا اذا ما تدبّرنا في الحل التعليمي الذي جاءت به الوثيقة الدينية والذي ليس بوسعنا ومقدورنا الاتيان بما ينافسه قدرةً على اصلاح الدماغ الانساني المعطوب لامحالة! اذ كيف لنا ان نأمل ان يُعيننا عقلنا المُلتاث على التوصل الى علاج يقضي على ما جعله كذلك؟! كيف لعقلنا المتضرِّر ان ينجح في التوصل الى حل لمشكلته الناجمة عن تضرُّره هذا؟! ان العقل البشري ليس له الا ان يصل الى الايقان المطلق باستحالة قدرته على التوصل الى شيء يتجاوز ادراكه لكونه ذي بُنية متضررة عاجزة عن أن تجعله يصل بها الى علاج ينقذها ويصلح ما تضرَّر فيها! فكيف يتسنّى للعقل الانساني ان يتوصل الى القضاء على تضرره الذاتي وحده وبمفرده ودون عون خارجي؟! ان الوثيقة الدينية وحدها وبمفردها بوسعها ان تجعل من بايوالكترونيات الدماغ الانساني تعود سيرتها الاولى عندما كان آدم خليفةً في الأرض. وما ذلك الا لأن العلاج الذي جاءت به هو القادر وحده على ان يجعل مما تضرر في الدماغ الانساني ينصلح شأنُه وذلك باشتغال المنظومات البايوالكترونية للمناطق غير المتضرّرة فيه بما يكفل لها النجاح في سعيها لاعادة النظام الى ربوع المناطق الدماغية المتضرّرة بايوالكترونياً. ان هذا هو الحل الوحيد الذي ليس هناك من حلٍّ آخر غيره! فكل الحلول البشرية لمشكلة الدماغ الانساني ليس بمستطاعها ان تقوم باصلاح مناطقه ومنظوماته البايوالكترونية المتضررة طالما لم يكن بوسعها غير ان تؤثّر في بايوكيمياء تلك المناطق تأثيراً وقتياً ليس له ان ينجح في التغلغل الى داخل النظام البايوالكتروني لها! ان الدماغ البشري لن يفقد عدوانيته ولن يعود الى ما كان عليه يوم قرر الله ان يُبقي أبانا الأول آدم في الأرض خليفةً الا اذا ما سارعنا الى علاجه وفق النظام العلاجي الوحيد الذي بمقدوره اصلاح ما تضرر من منظوماته

البايوالكترونية. فالاكتفاء بالحلول الوقتية والعلاجات التسكينية لن يجدي نفعاً؛ اذ سرعان ما ينشق الغبار عن وجهنا البشري القبيح الذي، بسقوط قناعه غير المرئي عنه لأي سببٍ من الأسباب، سيفاجأنا نحن قبل غيرنا بفرط بشاعته وقبحه! ان الأرض سوف تبقى على فسادها الذي خلقه الانسان وأضافه اليها طالما لم يتجه الى التشبُّث بحبل الانقاذ الوحيد الذي بمستطاعه انتشاله من خوضه في الدم البريء. ان العدوان الذي كان عليه قوم آدم كان بسيطاً غير مُعقَّد مقارنةً بالعدوان البشري الذي رُدِدنا اليه جميعاً بهبوطنا الى الأرض من بعد إخراج الله لآدم وزوجه من الجنة. فلم يكن لقوم آدم عقل جبّار خارق فائق الذكاء حتى يستعينوا به على العدوان، تسويغاً وتحليلاً وتنفيذاً!

٣ ـ ٨ آدم والعدوان الظالم على الآخر!

لقد نتج عن تواجد العقل الخارق والعدوان الخارق سويةً داخلاً من الدماغ الانساني أن أصبح الانسان كائناً ذا عقلٍ مُلتاث مُعتل بأنواع يصعب حصرها من الاضطرابات التي لا يعرفها من الكائنات البايولوجية أحد غيره! فجميع الاعتلالات النفسية التي يعاني منها، ضرورةً، بنو آدم جميعاً مرجعها انفراط عقد العدوان في دماغ أبينا آدم من بعد الأكل من الشجرة. لقد نشأ عن رجوع العدوان منفرطاً غير منضبط ان تضررت المنظومات البايوالكترونية لمجمل المادة الدماغية تضرراً جعل من العقل الانساني الخارق، الذي جبل الله آدم به ليكون وسيلته الطينية التي يبتدئ بها صعوده اليه، يتشكّل منظوماتٍ وفعاليات على ضوء هذا الذي أصاب مناطق العدوان في الدماغ فجعل منها خَرِبة بلا نظام. لذا فلقد نجم عن هذا نشوء ما يُسمّى بالعلل النفسية التي جعلت من الانسان الكائن البايولوجي الوحيد الذي يعاني من اضطرابات في علاقته بالآخر من مثل: الارتياب والشك وظن السوء والحقد والغيرة والحسد والبغض والغيظ والمقت وما الى ذلك من أنواع العدوان الظالم على الآخر! فالانسان يُعبِّر عن عدوانه الظالم هذا على الآخر ليس فقط بولوغه في دمه، اذا ما اقتضت الضرورة ذلك، بل تراه يُسارع الى كيل شتّى الاتهامات له والظن به بأنواع الظنون لا لشيء الا لأنهما بشرين من بني آدم! ان النفس الانسانية لا تستطيع ان تعيش بمنأى عن عدوانها على الآخر بأية صورة كانت؛ سواء اتخذ هذا العدوان أقصى درجاته

ظلماً وطغياناً بالقتل بغير نفس أو فساد في الأرض أو توزّع أياً من أشكال الظلم الانساني الذي نجده واضحاً في علاقة بني آدم بعضهم ببعض حسداً وحقداً وسوء ظن وريبة وغيبة ونميمة وكُرهاً واتّهاماً وشكّاً! ان مبعث كل هذه الأشكال من العدوان على الآخر ليس براجعٍ الى أي شيء آخر سوى ما يوجد داخل الانسان من اختلال وراثي في دماغه جَعل منه على هذه الدرجة المخيفة من التفنُّن في التعبير عن هذا الخلل البايوالكتروني الدماغي بما هو كفيل بجعل العالم من حوله أشبه بجحيم أرضي منه بشيء آخر؛ جحيم يشابه الجحيم الداخلي الذي يُحرق فيه الانسان ذاته لفرط ما يعاني من ألم جرّاء ابتعاده عن الله وسيره بعيداً عمَّن بوسعه ان يُقدِّم له حلاً لمشكلته التي ليس لها من حل آخر في مكان آخر! اذاً فالاعتلالات النفسية التي تم ذكرها تواً ما هي الا ضروب من أشكال العدوان الظالم على الآخر مبعثها ما أصاب مراكز السلوك العدواني في الدماغ الانساني من تضرُّر وراثي جعل منها غير قادرة على ضبط مناسيب تيارات العدوان بحيث تبقى طبيعية بلا طغيان يجعل من العقل البشري الخارق يُسارع الى التعبير عنه بالشكل الذي يضمن إلحاق أكبر أذى بالآخر ويكفل ايقاع أعظم ألم به! فالعدوان الظالم على الآخر هو قدَر لا مفر للإنسان من مواجهته في علاقته بالآخر عاجلاً أم آجلاً. وأشكال هذا العدوان، كما رأينا، تتنوع بتنوّع أشكال العلاقة بالآخر اعتماداً على مَن يكونه هذا الآخر قُرباً وبُعداً! كما ان الشروع في العدوان هذا لا يتم الا من بعد ان يدرك الانسان ان الآخر أصبح يُشكِّل خطراً عليه سواء كان هذا الخطر متوهَّماً أم حقيقياً. الا ان التجربة والخبرة قد كشفتا عن كون هذا الاحساس بالخطر لا يعدو ان يكون احساساً زائفاً بخطرٍ مزعوم مظنون مُتوهَّم! فالانسان يُسارِع الى دق ناقوس الخطر كلّما دهمه احساسٌ بكون الآخر قد بات يُمثِّل شرّاً قادماً اليه لامحالة. ان العدوان الظالم على الآخر يُسوِّغ له الانسان ويُبرِّر له على انه ردُّ فعل حكيم حاذق على العدوان على الذات سواء كان هذا العدوان احتمالاً قائماً على أساسٍ واهٍ من سوء الظن والوهم الباطل أم عملاً متحقّقاً بالفعل! لقد كشفت الآية الكريمة: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ عن هذا كله اذ أبانت عن حقيقة القانون الوحيد الذي يُنظِّم الحياة الانسانية على هذا الكوكب الجميل ويجعل منها حياةً تقوم على أساسٍ صُلب من العدوان الظالم على الآخر الذي يقوم بممارسته بنو آدم كلهم جميعاً بعضهم على بعض. لقد

بيّنت الآيات الكريمة التي سبقت هذه الآية الكريمة ان السبب في هذا العدوان الظالم الذي يُميِّز العلاقات البشرية ـ البشرية يعود الى ما حدث جرّاء أكل أبوينا آدم وزوجه من تلك الشجرة! تدبّر الآيات الكريمة:

﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٥ ـ ٣٦]،

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٢ ـ ٢٥]،

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢١ ـ ١٢٤].

فلا مفر اذاً من هذا القدَر المكتوب في جيناتنا Genes والذي يحتّم علينا ان تكون علاقتنا بالآخر علاقة عدوان ظالم عليه وان تكون علاقته بنا بالمقابل، وحتى بدونه، عدواناً ظالماً علينا طالما كانت حُجّته وحُجّتنا، التي نتذرّع بها ويتذرّع تسويغاً وتبريراً للعدوان الظالم هذا، هي انه لا أكثر من ردٍّ على عدوانٍ، قائم أو محتمل، على الذات ليس الا! ولكن الانسان لا يقوم بايقاع أفدح الأذى وأشد الضرر بأخيه الانسان كلّما ظهر على مرأى من ناظريه؛ فالعدوان عند الانسان يتدرج ابتداءً من أشكالٍ بسيطة لا تكاد تَبين ولا يستطيع حتى هو ان يلحظها وانتهاءً بأقصى أشكاله وحشيةً وهمجية كما تُجلّيها علاقةُ الانسان بأخيه الانسان في الحروب وحملات التطهير العرقي والابادة الجماعية! ولكن يكفي برهاناً على العدوان المفرط عند الانسان ان يكون رد فعله الأول على تواجد أخ

له من بني آدم بجانبه توتُّراً واحساساً غامضاً بعداوةٍ غريبة لا يدري لها أصلاً ولا يعرف لها سبباً! فهذه العداوة فطرية وُلِدنا بها كلنا جميعاً طالما كان أبونا هو آدم وكنا نحن جميعاً من بَنيه لامحالة! لقد حددت الآية الكريمة طبيعة العلاقات الانسانية ـ الانسانية بأنها علاقات قائمة على هذه العداوة المتأصّلة الغامضة التي لا تحتاج أسباباً لكي تنشأ والتي لا تحتاج الا ما يعمل على استثارتها من مكمنها داخل الانسان لتخرج على حقيقتها المُرة وبوجهها البشع وحشاً ضارياً كاسراً على أهبة الاستعداد للولوغ في الدم البشري! فالانسان، عادةً، لا يُخرِج وحشه الضاري هذا من داخله ويكتفي بالمشاعر العدائية الغامضة إِياها والتي يفشل في أن يعزوها لسببٍ مقنِع فيحاول استجداء الأسباب من هنا وهناك علّه يفهم لها أصلاً ويعرف لنشوئها وظهورها داخله سبباً! لذا تراه يُسارع الى التعليل لمشاعره العدائية هذه، والتي تجعل منه لا يستشعر أماناً بتواجده بين اخوته من بني آدم مهما حاول ان يوهم نفسه بهذا أو ذاك من الأوهام، بالاستناد الى ما تفتّق عنه الدماغُ الانساني من تنظيراتٍ سياسية ونظريات علمية ونظرات دينية! الا ان هذا كله لن يجدِيه نفعاً؛ فاحساسه بالعداوة تجاه اخوته من بني البشر لن تنجح هذه الأسبابُ، متفرقةً أو مجتمعة، في جعله مفهوماً من قِبله! ان ما يجب على الانسان ان لا يتهرب من مواجهته هو هذا الوجه الحقيقي الذي يتميز به هو وكل مَن كان مثله ابناً لآدم! ان الانسان لَيُكابر اذا ما هو أنكر هذه الحقائق الجلية؛ فوقفة حياد فكري حقيقية كفيلة بجعله يستذكر تلك المشاعر العدائية التي لا تفتأ تعاوده كلما أراد ان يستبعدها ويطردها خارج رأسه مخافةَ ان يكون في طريقه الى الجنون أو الانقلاب وحشاً عدواً للبشر كأمثال تلك الوحوش البشرية الشاذّة التي يتحدث عنها الناس! فالناس من بني آدم لا يريدون ان يُصدِّقوا ان تلك الوحوش البشرية كائنات انسانية أمثالهم وان ما جعل منها وحوشاً، وجعل منهم بشراً بالمقارنة، لم يكن الا تلك الظروف التي استخرجت من دواخلهم تلك الوحوش! فالانسان يذكر تلك المشاعر العدائية التي تغزوه كلما خرج الى اخوته من بني آدم والتي لا تختفي، مؤقتاً، الا بطغيان مشاعر اخرى عليها تعود من بعد انحسار هذه المشاعر لتجعل منه يواجه حقيقته من جديد. ان المشاعر العدائية هذه لا تعود الى خلل نفسي أو عيب عقلي أو عقدة طفولية كما يظن منظِّرو الوثيقة العلمية ومَن لف لفهم! فالعدوان الانساني، بأصنافه كلها جميعاً، هو إرثنا

المشترك الذي نتشارك كلنا معشر الإنس في حمله داخل عقولنا المتضررة شئنا أم أبينا مادمنا قد وُلِدنا لأبوين آدميين لامحالة! ان علم السايكولوجيا (علم النفس) مدعو ليراجع أسسه الميتافيزيقية التي أقام عليها صرحه النظري والتي فسّر، استناداً لما حتّمته وأوجبته، السلوك الانساني الشاذ منه والسوي! فليس الشاذ من بني آدم هو مَن نشأ نشأةً شاذةً منحرفة بسببٍ من عدم قيام اسرته بالحيلولة دون نشوئه مُعقداً عليل النفس! بل كل بني آدم شواذ ماداموا قد وُلِدوا لأبوين من نسل آدم! ان علم النفس لن يفيد من استمراره في الخوض في بحر الشذوذ البشري بملابس غوص تقليدية كهذه التي لا يملك سواها؛ اذ لن يكون بمقدوره ان يتعمّق الى أبعد مما بامكان السلوك البشري الشاذ ان يكشف عنه من انه ليس سلوكاً نادر الوقوع يقتصر على قلّة غير محظوظة من أبناء الجنس البشري شاء لها حظّها العاثر ان تنشأ نشأة غير سوية بين ظهراني أهل لم يتعهّدوا أبناءهم بالتربية النفسية القويمة! فالدراسة العلمية الموضوعية، غير المنحازة، للسلوك الانساني الشاذ، كما يجلّيه المرضى النفسيون بأنواعهم وفنون جنونهم، تثبت ان النسبة من بني آدم ممّن بالامكان وصفهم بأنهم غير أسوياء تتجاوز بكثير ما بامكان النظريات النفسية، مفردةً أو مجتمعةً، التعليل لها بالاستناد الى مفرداتها واسسها المعرفية! فكيف تسنّى اذاً لهذه النسبة المرتفعة للغاية من أبناء النوع الانساني ان تنحرف وتشذ عن القاعدة السوية؟! وهل لهذه القاعدة السوية من وجود حقاً؟ هل نصدِّق مع النظريات التي جاء بها منظِّرو الوثيقة العلمية ان هناك نفراً من بني البشر هم الأسوياء الأصحاء حقاً وان نسبتهم هي الأعلى ونكذِّب، في الوقت عينه، ما جاءت به الدراسات التجريبية ـ الاختبارية من براهين واقعية على كون النسبة الاعلى من البشر هم مرضى نفسيون وفقاً للمعايير المعمول بها في علم النفس؟! ان عجز النظريات التي جاء بها علم النفس، بفروعه العديدة وتشعُّباته المختلفة، عن تفسير هذه النسبة المرتفعة للشذوذ الانساني كما يتجلّى في واقع كون المرضى النفسيين يُمثّلون الغالبية العظمى من البشر لتؤكّد على خطأ كل هذه النظريات فيما ذهبت اليه للتعليل للشذوذ البشري كما يتّضح لكل دارس للنتائج المختبرية والدراسات الاحصائية التي تحفل بها مراجعُ علم النفس كتباً ودوريات! ان الانسان كائنٌ مريض نفسياً لامحالة؛ وكيف لا يكون كذلك وهو مَن هو: ابن آدم الذي أكل من الشجرة اياها فسقط عنه غطاء جسمه وغطاء

عقله! عودة من جديد الى المشاعر العدائية التي تُميِّز العلاقات البشرية ـ البشرية! فاذا كان علم النفس قد عجز عن تقديم تفسير مقنع لهذا العدوان الظالم على الآخر، الذي هو قدَر الانسان في حياته على هذه الأرض، والذي يجعل منه لا يستطيع ان يتواجد مع آخرين من بني آدم الا بأن تجتاحه مشاعر العداوة كما تجتاحهم؛ فان علم الانسان (الانثروبولوجيا) ليس بأسعد منه حظاً! اذ تعجز نظريات الانثروبولوجيا عن التعليل الشافي الكافي لهذه العداوة الفطرية المتأصِّلة والتي تجعل من الانسان تتدرّج علاقته بالآخر من مشاعر عدائية تجاهه لا تقوم على أساس واقعي الى سلوك عدواني حاقد وحشي يبلغ أوجه في قيامه بقتله مع سبق الاصرار والترصُّد! كما ان علم الاجتماع (السوسيولوجيا) لا يجد في ما بحوزته من عتاد نظري وأسلحة تفسيرية ما يُمكِّنه من فهم هذا الذي جعل من الانسان عدواً بالفطرة لأخيه الانسان بهذا الشكل الدرامي التراجيدي الذي يبلغ ذروته في الحروب التي لا يستطيع ان يحيا بدونها والتي نشأ عليها منذ طفولته مشاجراتٍ ومشاحنات وتكتُّلاً وتصارعاً! ان هذه العلوم جميعاً لا تستطيع ان تُفسِّر هذه الظاهرة التي يتميز بها الانسان والتي تجعل منه بحق كائناً خارجاً على قوانين الطبيعة كما لم يخرج عليها أحد! ان علوم السايكولوجيا والسوسيولوجيا والانثروبولوجيا مدعوة كلّها جميعاً لتقوم بمراجعة اسسها النظرية وبُناها المعرفية على ضوء ما ورد في هذا الكتاب بخصوص الانسان الذي تشترك مباحثها جميعاً في دراسته والانطلاق من ظواهره والتمحور من حواليه! ان العدوان البشري كفيل بتقويض البنيان المعرفي لهذه العلوم كلها جميعاً طالما لم يكن بمقدورها ان تنظر اليه بعين الحق فتراه على حقيقته: خروجاً على قوانين الطبيعة التي تشترك كل هذه العلوم في الانطلاق من كونها الأصل الذي انحدر عنه الانسان ونشأ من مادته! فهذه العلومُ الانسانية، محورَ بحثٍ ومادةَ دراسة، عاجزةٌ عن أن تُخرِجَ من بين أطنان الورق الذي سطرت عليه نظرياتها، التي وقع في ظنها الواهم انها قادرة على الاحاطة المعرفية بالانسان، ورقةً واحدة تُمكِّن قارءها من ان يفهم لماذا أصبح الانسان حيواناً خارجاً على القانون الطبيعي الذي يُنظِّم السلوك العدواني! لماذا تنتاب الانسان هكذا مشاعر من العداوة غير المُسبَّبة لأخيه الانسان كلما تواجد على مقربة منه؟ لماذا كانت علاقة الانسان بالانسان عدواناً ظالماً متبادلاً بينهما؟ ان هذه العلوم مجتمعةً لن تقوَ على تفسير العدوان البشري

بالانطلاق من منطلقاتها النظرية التي ترى في الانسان حيواناً فريداً ليس الا! ان النظر الى الانسان بمنظار قوانين الطبيعة كما يُجلّيها بكل وضوح ما نشاهده في عالم الطبيعة من سلوك عدواني مُقنَّن، انضباطاً والتزاماً، لن يجعلنا نخرج الا بنتيجة مَفادها ان الانسان حيوان غير طبيعي خارج على قوانين الطبيعة عدواني بدرجةٍ لا تنجح معها أية محاولة تنزع الى تفسيره بدلالة ما هو طبيعي! ان الانسان وفقاً لهذه العلوم هو غير هذا الانسان كما نعرفه! أفلا يجدر بها اذاً ان تتخلّص من الانسان كما تعرفه وتعود لتدرس الانسان على ما هو عليه حقاً: الانسان كما نعرفه نحن كلنا جميعاً؟! فالانسان كما نعرفه، نحن البشر، ليس بحيوان؛ بل هو أضل سبيلاً منه، طالما كان الانسان من نسل سلالة منحرفة شاذّة أبادها الله خلا خليفة منهم سمى ثم سرعان ما ان هوى أسفل سافلين وهوينا معه فأصبحنا على ما نحن عليه الآن: كائنات شقية تعسة شاذّة غير سوية! ان مَن يجد هكذا كلام متحاملاً على الانسان بغير الحق مُطالَب بأن يُفسِّر لنا أجمعين السبب الذي جعل الانسان عدوانياً الى هذا الحد الذي يجعله، ان استُثير بما فيه الكفاية، يقوم بإطباق كلتَي يديه الاثنتين على رقبة مَن نجح في استثارة مراكز العدوان داخله! على ان هذا لا يعني ان الانسان لا يقوم بقتل أخيه الانسان الا وهو مُستثار. فكم من انسانٍ قتل انساناً بلا مُبرِّر من عصبية حانقة وغضب أهوج؟! كم من انسان قُتِل ببرودة دم؟! أي من دون ان يسخن الدم بالاستثارة تعصُّباً وحنقاً وغيظاً وغضباً وحقداً وكراهية؟! هل نجد من ذلك شيئاً مماثلاً في عالم الحيوان؟! ان الانسان هو الكائن البايولوجي الوحيد الذي يقتل، في أحيان كثيرة، بدم بارد! والآن، هل مِن أحد يجرؤ على الطعن بصحة انحدارنا من أصلٍ غير حيواني؟! هل يُعقل ان نكون حيوانات وعالم الحيوان تسوده قيم هي غير ما هو سائد في عالمنا الانساني المُتحضِّر من قيم دَيدَنها الظلم والطغيان والاستعباد والاذلال والتعذيب والاهانة؟! لقد ظلمنا الحيوان اذاً بارجاعنا أصل الانسان اليه! فالحيوان أشرف وأنبل وأعظم خُلُقاً من كثير من بني آدم حتى يكون أبانا الذي خرجنا من صُلبه!

٣ ـ ٩ آدم والعدوان الظالم على الذات!

والآن، ماذا بشأن العلل النفسية الاخرى التي لا يبدو ان العدوان البشري

المفرط هو السبب المباشر والعلّة الرئيسية لظهورها؟ لقد رأينا ان الانسان لا يستطيع ان يكون مع أخيه الانسان الا على شِقاق؛ فماذا بشأن علاقة الانسان بذاته؟ ماذا بخصوص تلك الاعتلالات النفسية التي يعاني منها الانسان، كل انسان، بمعزلٍ عن تواجده مع غيره من بني البشر؟ لقد تعرَّفنا الى ما أصاب الانسان فجعل منه عدوانياً ظالماً في علاقته بالآخر فماذا عن علاقة الانسان بالذات: ذاته هو؟ ان كل علّة نفسية يعاني منها ابن آدم تضرب بجذورها عميقاً في الماضي المشترك للنوع الانساني برمَّته! فأصل كل اضطراب نفسي، في علاقة الانسان بذاته أو بالآخر، مرجعه هو ما حدث من بعد سريان السُم من الشجرة اياها الى الرسالة الوراثية المحتواة في ماء الحياة المكنون في صُلب آدم. فلقد تضرَّر جرّاء هذا السُم معظم النظام البايوالكتروني للدماغ الانساني بدرجة عادت عليه بما جعل منه جهازاً غير صالح للاستعمال الخالي من الآثار الجانبية التي لم يكن منها ما هو حميد غير خبيث! ولقد رأينا ان أشدَّ المناطق تضرُّراً كانت تلك المسؤولة عن تنظيم العلاقة بالآخر؛ حيث انقطعت الصلة الواعية للعقل الانساني بالله وفقدَ هذا العقل المقدرة على الاتصال والتواصل مع روحه وعادت مناسيب العدوان طاغيةً الى أسوء مما كانت عليه من قبلُ عند أجدادنا المُبادين وفقدنا، والى الأبد، المقدرة على التناغم مع الطبيعة من بعد ان تفكَّكت عُرى علاقة الجسد الانساني ببيئته بسقوط الغطاء الشعري عنه والذي كان يكفل له التمتُّع بنظام عزل حراري فائق الجودة! وفي الصفحات القادمة سوف نرى ان شاء الله ان ذلك السُم أدى أيضاً الى الإضرار بتلك المراكز، داخلاً من المناطق المسؤولة عن تنظيم العلاقة بالآخر، ذات الصلة بفعاليات الاتصال الجنسي بالآخر وبتقنيات المواجهة الدفاعية ضد الكائنات البايولوجية المجهرية وفائقة المجهرية! فاذا كانت علاقة الانسان بالآخر قد تضررت الى الحد الذي جعل من الانسان على علاقة غير طبيعية مع الآخر كائناً مَن كان هذا الآخر فلماذا لا تتضرر علاقته بالآخر وليكن الآخر هذه المرة ذاته هي الاخرى؟!

لقد رأينا ان الانسان الأول (آدم) قد تضرّرت لديه جميع المناطق الدماغية المسؤولة عن تنظيم وضبط العلاقة بالآخر من دون تحديد لهوية هذا الآخر. فلقد شاهدنا علاقة الانسان بالله تنقطع من بعد وثيق صلةٍ واعية به وعرفنا ان علاقة

الانسان بروحه قد انقطعت هي الاخرى ليصبح كائناً بكيانين منفصلين متبرزخين؛ كما فوجئنا برجوع علاقة الانسان بأخيه الانسان الى أسوء مما كانت عليه من عدوانية مفرطة وهمجية وحشية عند أسلافه الأواخر ونظرنا الى الجسم البشري فرأيناه قد أصبح عارياً من بعد تضرُّر علاقة الانسان بالبيئة بسقوط غطائه الشعري؛ وسوف نرى ان شاء الله بعد صفحات ان علاقة الانسان بالآخر من أفراد الجنس الآخر لم تسلم من التضرّر هي الاخرى كما سنتعرف على ما جعل من علاقة الانسان بالكائنات البايولوجية الدقيقة على هذه الدرجة من الهشاشة والضعف التي جعلت منه الكائن البايولوجي الوحيد الذي يتفوّق على جميع الكائنات الحية الاخرى بكونه أكثرها أمراضاً واسقاماً وعللاً وأدناها مناعةً ودفاعاً! فاذا كان الانسان على علاقة بالغة السوء بالآخر، كما رأينا لتوّنا، فلماذا لا تكون علاقته بذاته بالغة السوء هي الاخرى؟ ألا يُحتمل ان ينظر الانسان الى ذاته لا على انها ذاته هو ولكن على انها آخر لا علاقة له به؟! أليس الانسان على درجة كبيرة من الخَبال وبما يُسوِّغ لنا الاعتقاد بأنه في علاقته بذاته يتصرَّف كما لو انها لم تكن الا آخراً غير ذاته؟! ان الانسان اذا ما افتقد أخيه الانسان الى جانبه وأراد ان يُعبِّر عن هذا الخَبال الوراثي داخله فانه لن يَعدم ان يتَّجه الى احلال ذاته محل أخيه المُفتقَد ليشرع من ثَمَّ بصبٍّ وابلٍ من حُمم جنونه المُطبَق على هذا الآخر داخله! فالعدوان الانساني المُفرَط لا يحتاج الآخر خارجاً عن الانسان طالما كان بمقدوره على الدوام ان يختلق ويبتدع آخراً داخله وذلك بمُناصبة ذاته الشقية به العَداء وشروعه من بعدُ بكيل شتّى أنواع العذاب لها تدرُّجاً من أشدِّها لطافةً وتخفياً الى أفدحها مصيبة وأعظمها أذىً كما يتجلّى ذلك في قتله ذاته بالانتحار! لقد رأينا الانسان وقد فقد صِلاته بالآخرين كلهم جميعاً وها هو ذا الآن قد فقد صلته بذاته هي الأخرى؛ فأصبح الانسان مُحطَّماً بمعنى الكلمة مشتّتاً مجزّءاً! لقد فقد الانسان صلته بالله وانهار بعدها كل شيء! لقد عاداه كلُّ شيء اذ أصبح عدواً لله!

فاذا كان الانسان قد فقد شعر جسمه فأصبح يحيا في بيئة تُعاديه ببردها وحرّها فانه قد فقد أيضاً علاقته المُثلى بأخيه الانسان فأضحى يناصبه العداوة والبغضاء دونما سبب! واذا كان الانسان قد أصبح منقسماً على ذاته يُعاديها

وتُعاديه طالما طاب له أن يُحلّها آخراً بدل أخيه الآخر فانه كان قد سبق وان فقد صلته بروحه فاكتفت بأن تكون شاهدةً لله عليه عدوةً له مادام هو في وادٍ وهي في واد! فماذا بقي للانسان من بعد ان عاداه جسمه وروحه وذاته وأخوه وبيئته؟! هل بقي له من شيء اذ فقد كل ما يربطه بكل شيء؟! أم تراه يهرع الى الجراثيم والرواشح (المايكروبات والفايروسات) يستجديها عطفاً لن تجود به عليه؟! وكيف تجود على مَن كان مثله متدنّي المناعة بغير عداوتها الشديدة وحروبها المستعرة ضده؟! ألا ينظر الانسان الى حياته الجهنّمية هذه على هذه الأرض؟ هل يظن الانسان ان بمستطاعه ان يعيش على الأرض فيهناً له عيش وتستقر له حياة؟! ان الشقاء هو قدر كل مَن ابتعد عن الله. أفلم يأنِ للانسان ان يعي السبب في شقائه ليعود الى الله سائلاً اياه السماح والمغفرة والقبول والرضى؟ ان علم النفس واهم اذ يظن ان العلل النفسية يسهل ارجاعها الى ما قام بتسطيره أسباباً لنشوئها ارتقى بها الى ما هو ليس بمتجاوزٍ هذا الواقع الترابي البسيط! فالعقد النفسية الانسانية لم تنشأ عللها على هذه الأرض. فلقد جاءت هذه العلل من خارج الكرة الأرضية! نعم، ان أصل الأمراض النفسية هو فضائي (Extra-Terrestrial). ان الأرض لم تكن لتنشأ عليها عِلل كهذه التي نعاني، من أشكالها اللانهائية، كلنا جميعاً معشر الانس! فالمرض، على ندرته، اذ يظهر في الطبيعة لا يلبث ان يختفي من بعد هلاك مَن ألَمَّ به؛ فإن لم يختفِ فلأنه تم تحجيمه وتقييده فلا يعود بوسعه ان يتجاوز حدود المنطقة المُصابة أو النوع الموبوء. الا الإنسان! فأمراض الانسان النفسية ليس بالمستطاع القضاء عليها الا بالقضاء على الانسان ذاته! كما ان ليس بالمستطاع أبداً تحجيم هذه الأمراض! اذاً ما السبيل الى القضاء على الأمراض النفسية قضاءً حقيقياً مُبرَماً من دون ان نقضي على الانسان؟! لقد رأينا ان هذه الأمراض قد وفدت الينا من خارج الكرة الأرضية طالما لم يكن للأرض ان تُنبت هكذا أمراض شاذّة غير سوية! فلماذا لا يكون الحل الذي نروم الأخذ به إنقاذاً للانسان من قدرِه الذي يُحتِّم عليه ان يكون ذا أمراض نفسية حلاً غير أرضي؟ لماذا لا يكون هذا الحل حلاً فضائياً هو الآخر كالسبب في نشوئها وقدومها وافدةً الينا؟!

ان الحل لمشاكل الانسان النفسية، والتي ليس لأحد من بني آدم ان يكون

بمنأى عن المعاناة منها بشكل أو بآخر مادام قد وُلِد لأبوين آدميين حتماً، لا يمكن ان يتم التوصل اليه بمعزل عن الوثيقة الدينية التي وحدها بمقدورها ان تمد يد العون الى الانسانية المُعذَّبة بآدميتها. فكيف تطمح مباحث علوم النفس ان تتوصل الى ايجاد حلول وعلاجات للعُقد النفسية البشرية اذا كانت هذه المباحث تخوض في البحث عن أسباب أرضية تُعلّل بها لنشوء هذه العُقد الفضائية؟! لقد تعقَّد بنو آدم كلهم جميعاً اذ أكلوا مع أبيهم الأول آدم من تلك الشجرة؛ فكيف يكون الحل لهذه العُقد كلها جميعاً حلاً ليس بمقدوره، بداهةً، النفاذ الى حيث نفذ السُم الشجري إياه داخلاً من النظام البايوالكتروني للمادة الدماغية للعقل الانساني؟! لقد تضرَّرت معظم البُنى الدماغية الانسانية بسببٍ من سريان ذلك السُم عبر البوابات البايوكيميائية للنظام البايوالكتروني وتغلغله عميقاً داخلاً من منظوماته وما فعله فيها إفساداً واشاعةً للفوضى في ربوعها. فكيف نأمل ان يكون بوسع عِلاجات علم النفس ان تصل الى حيث يتوجب عميقاً داخل النظام البايوالكتروني هذا؟! ان مَن بوسعه ان يقوم بالنفاذ الى داخل بايوالكترونيات الدماغ الانساني هو وحده مَن يستطيع تقديم العلاج الناجع لأمراض الانسان النفسية. ولكن، مَن بمقدوره القيام بعملية تسلُّل ناجحة كهذه؟ لنتذكر ان الله كان قد تدخّل يوم ان كان آدم جنيناً لعلاج النظام البايوالكتروني المتضرر لدماغه وبما كفل له ان يخرج بعقلٍ نظامي العلاقة بالآخر طبيعي العدوان. افلا يستطيع مَن تدخل فعالج أبانا آدم ان يقوم بالتدخُّل لعلاجنا نحن بنو آدم؟ اذاً لا حل الا بيد الله الذي وحده بمقدوره ان يتسلّل ويتغلغل وينفذ الى داخل النظام البايوالكتروني للدماغ الانساني طالما كان الله هو مَن بيده ملكوت كل شيء ووسِع كل شيء رحمةً وعلماً. ولكن، كيف السبيل الى الحصول على هذا التدخّل الالهي الانقاذي؟ لقد تكفّلت بتبيان السبيل الى ذلك الوثيقةُ الدينية التي أبانت عن كون السير الملتزم على الطريق الإلهي الى الله هو وحده بمقدوره ان يجعل الله يُسارع الى انقاذ السائر على الطريق اليه من ماضيه الآدمي الدموي انقاذاً يكفل له التهيؤ للعبور الناجز اليه في الدنيا والآخرة. فاذا كان الطريق الإلهي الى الله بمقدروه ان يجعل من السائر عليه ينعم بالمقدرة على الاتيان بالخوارق فهل يصعب عليه ان يجعل من السائر عليه يتخلّص من العلل النفسية التي لا يشقى لبني آدم عيشٌ الا بها؟!

ان الطريق الإلهي الى الله حافل بالعجائب والغرائب، وهذه ليست قصراً على الباراسايكولوجيا! اذ ان للسايكولوجيا نصيباً هي الاخرى! ولكن ليس لابن آدم ان ينعم بهكذا عجائب وغرائب الا من بعد سيره الملتزم على هذا الطريق.

٣ ـ ١٠ آدم والتدنّي المناعي للجسم الانساني!

والآن، ماذا بخصوص علاقة الانسان بأصغر الكائنات البايولوجية على الاطلاق؟ فلقد رأينا ما شاب علاقته بالله وبروحه وبأخيه الانسان وبالبيئة وبذاته؛ فماذا بشأن علاقة الانسان بالكائنات البايولوجية المجهرية وتلك فائقة المجهرية؟ هل تناصبه العَداء هي الاخرى؟ لنشرع بتدبّر حال الانسان مقارنةً بما هو عليه غيره من الكائنات الحية غير المجهرية وذلك على قدْر تعلّق الأمر بالمرض؟ ألا يُدهشنا كونُ الانسان هو الكائن الحي الأكثر أمراضاً وإمراضاً؟ لماذا يتفوق الانسان بأمراضه على جميع الكائنات الحية؟ لماذا يسهل وقوعه فريسةً للمرض والسقم؟ فاذا ثبت لدينا بقراءتنا للوثيقة العلمية ان الانسان أصله حيوان ليس الا، فهل لمنظّري هذه الوثيقة ان يُخرجوا لنا أثارةً من علم ليبيّنوا لنا السبب في كونه أكثر حيوانات، ونباتات، هذه الأرض أمراضاً؟! ولكن، ما المرض؟ ولماذا يمرض الكائن الحي؟ لابد لنا هنا من استراحة قصيرة نتطرّق أثناءها الى نظرتنا الخاصة الى المرض والأمراض؛ تلك النظرة التي يتوجب علينا ان نعلن عنها وذلك قبل الاسترسال في الحديث عن هذا الانسان الأعجوبة!

ان عجز الكائن الحي عن الدخول في تفاعلٍ حيوي سَوي مع بيئته، على أية درجة من الضعف أو القوة، يعتبر دليلاً على وجود خلل ما في منظوماته الحية يجعل من العسير عليه أن يتفاعل بصورة طبيعية مع المفردات البيئية التي يتشارك معها عادةً في هكذا تفاعل. وهذا الخلل لا يمكن ان يحدث بصورة عفوية تلقائية من دونما وساطةٍ من تدخّل؛ إما من قِبل الخارج وإما من قِبل الداخل. فالتدخّل الخارجي تقوم به كائنات بايولوجية غير مرئية تُصنَّف تبعاً لِصغَرها؛ فهي اما كائنات مجهرية كالجراثيم (المايكروبات) أو كائنات فائقة المجهرية كالرواشح (الفايروسات). ان هذه الكائنات الدقيقة تهاجم الكائن الحي في عملية تُشابه ما يحدث عندما يقوم الحيوان بالهجوم على صيدٍ له بُغية افتراسه والاغتذاء عليه! فالهجوم غير المرئي الذي تشنُّه هذه الكائنات غير المرئية ما هو

الا السبيل الذي تسلكه للبقاء على قيد الحياة جاهدةً للالتزام بقوانين الطبيعة القائمة على أساسٍ من التصارع من أجل البقاء والانتشار والتكثير! فهي اذ تهاجم غيرها من الكائنات الحية فأنها لا تقوم بعمل شاذٍّ مخالف لما تقوم به هذه الكائنات فيما بينها. فشريعة الله في الطبيعة تقضي بوجوب ان يكون الكل غذاءً للكل! الا ان هكذا شريعة دَيدَنها الافتراس والافتراس المُتبادل لم تَقُم الا على أساسٍ صُلب من التوازن الطبيعي المُحكَم الذي كفل للكل ان يعيش ويحيا في ظل الالتزام الحرفي المطلق بالقوانين الالهية التي تُنظِّم العلاقة ما بين مفردات البيئة وبما لا يجعل من أيِّها يطغى على أيِّها حصراً وإطلاقاً! ان هذا البناء المُحكَم الذي أقام الله الطبيعة على أساسه يمتد من عالم البايولوجيا المجهرية غير المرئية الى أقصى مدىً له في عالم البايولوجيا المرئية. ولكن أين نجد الانسان داخل هذه الطبيعة المتّزنة السوية البعيدة عن الطغيان والاسراف القائمة على الموازنة الحكيمة ما بين الحاجات الأساسية والمتطلبات الضرورية لجميع مفرداتها من دون انحياز أو تحيّز وبلا موالاة أو مداراة أو مداهنة أو تملُّق على حساب الحق؟! هل للإنسان من تواجدٍ داخلاً من هذه الطبيعة الحكيمة العادلة التي لا تعرف الغدر والفساد والظلم والإفساد؟ لقد أقام الله الطبيعة بقوانين أحكمها ببالغ حكمته وضمّنها واسع رحمته وذلك ليتسنّى للكل ان يحيا فيها في سلامٍ قائم على العدل والحق والمساواة الحقيقية. ان طبيعةً بهكذا مواصفات يوتوبِية Utopian فاضلة تليق بجميع خلْق الله من أبناء الماء والطين الا ابن آدم الانسان! ان الشريعة التي ضبط بها الله الطبيعةَ على هذه الصورة البديعة المُحكَمة لا تصلح لكائنٍ شاذٍّ خارج على قوانين الله منحرف عنها الى غيرها من القوانين التي ليس لها الا ان تزيده خَبالاً وبؤساً وشقاءً! فلقد أقام الله الطبيعة على هذا الاساس المتين من التوازن الحكيم ما بين جميع مفرداتها بحيث لا يَطغى بعضها على بعض ولا يكون بعضها عدواً حقيقياً لبعض. فهل نُصدِّق ما يقول به الانسان من ان الطبيعة هذه تحكمها شريعةٌ بنودُها لا تدعو الا الى التصارع بالناب والمخلب وموادها لا تنهى عن الاقتتال بالفكوك والبراثن؟! لقد ضلَّ الانسان ضلالاً مُبيناً اذ وصف الطبيعة بأنها تقوم على أساسٍ من شريعة الغاب التي ألحق بها الانسان ما ليس بمحتوٍ فيها فأضاف اليها من عندياته الشيء الكثير جداً حسداً من عند نفسه لما تتفوّق به الطبيعة عليه ويفتقر اليه! فشريعة الغاب، كما وصفها

الانسان، لا وجود لها الا في عالم الانسان حيث الظلم والطغيان والاستعباد والتقاتل والحقد والكراهية والعدوان المُفرَط والجنون المُطبَق! ان شريعة الغابة هي شريعة الله التي أرادها ان تكون لنا آيةً نستدل بها على مقدار الغي الذي نخوض فيه بعيداً عنه وعن قوانينه الممتلئة رحمةً وحكمةً وعدلاً! لقد خلق الله الطبيعة وجعلها آيةً تنطق بعظيم قدرته وواسع علمه وشامل احاطته. ان الانسان المُنصِف المُتجرِّد عن إطلاق الأحكام المُستجداة المنحولة عن غيره لابد وان يجد نفسه في مواجهة الدلالات ذات الحكمة البالغة وفَصْل الخِطاب والتي لابد وان يقوده اليها عنوةً التدبُّرُ المُقارِن في الحال الانساني البائس كما يتجلّى، واضحاً بلا لبس، بمقارنته بما في الطبيعة من نظام دقيق مُحكَم لا يعرف الشقاء والعناء! فالناظر الى الطبيعة نظرة متدبِّرة كهذه سوف يرى فيها آثار رحمة الله كما تُجلّيها الحياةُ الطبيعية لكافة كائناتها، من أدناها صغراً وحجماً الى أعظمها جُرماً وجسماً، التي تحيا وتعيش في تناغم تام وتفاهم كامل وانسجام مطلق مع بعضها البعض ومن دون ان تشوب حياتها المُسالِمة هذه أية شائبة من فساد أو عدوان ظالم أو طغيان! فالقوانين الالهية التي كفل الله بها ان تحيا هذه الكائنات في الطبيعة حياةً مُتَّزِنة متوازنة، بعيدةً عن الشذوذ والانحراف، ليس كمثلها قوانين! ان الانسان المُتدبِّر في الفروقات المصيرية هذه ما بين الحياة الطبيعية والحياة الانسانية، ان جاز لنا ان نطلق عليها تسمية حياة، لابد وان يتلمَّس واحدةً من أهم الدلالات التي يقوده اليها تدبُّرُه المُنصِف هذا! فالعقل هنا مُلزَم، اذا ما هو التزم جانب الحياد الموضوعي، ان يصل الى نتيجة مَفادها ان النظام البيئي، الذي خلق الله الطبيعة به وحتَّم عليها ان تتقيَّد بوجوب انصياعها لما تشكَّل منه من قوانين وقواعد، هو نظام قد أثبت نجاحه التام وقدرته المطلقة على ضمان حقوق كل المنتمين اليه من دون بَخْسٍ لحقوق أحد ولا تعظيم لدور أحد على حسابِ أحد وان الفوضى الانسانية، بالمقابلة والمقارنة، قد أثبتت فشلها في أن تجعل من حياة الانسان، بقوانينه التي وضعها لتكون شريعةً ضِراراً، تستقر كما استقرّت الحياةُ في الطبيعة! ان الله يدعونا لنعود اليه فيجعل من حياتنا مُنظَّمة كما هي مُنتظِمة حياة الكائنات الحية الاخرى في الطبيعة. فالقوانين التي ضمّنها الله وثيقته الدينية وحدد بها اسلوب وكيفية السير على الطريق اليه هي وحدها القادرة على ان تجعل من حياة الانسان طبيعية سوية بلا شذوذ أو انحراف. فالقوانين

التي خلقها الله في الطبيعة قد برهنت لنا على حقّانية كونها الوسيلة الكفيلة بضمان استقامة واستقرار الحياة الطبيعية على هذه الصورة الناطقة بآيات الابداع والحكمة؛ فلماذا لا تكون القوانين التي أرسلها الله في وثيقته الدينية الوسيلةَ الناجعة الكفيلة برد الانسان الى الطبيعة ليعيش ويحيا فيها في سلامٍ قائم على الحق والعدل بعيداً عن الطغيان والظلم والفساد والافساد؟! لقد برهن لنا الله على كون قوانينه التي أقام عليها الطبيعة، موزونةً مُنضبِطةً، لا تعرف النقص أبداً ولا يعتورها قصورٌ على الاطلاق. أفلا يدل هذا على قدرته على اقامة الحياة الانسانية على أساسٍ طبيعي يجعل منها، وقد التزمت بقوانينه التي ليس لأحد سواه ان يبدعها خَلْقاً ويحكمها صياغةً، الحياة الانسانية المُثلى في هذه الحياة الدنيا وعلى هذه الكرة الأرضية؟ ان الكائنات الحية غير الانسانية تسعد في حياتها مع الله فلماذا لا نكون مع الله لنسعد كما سعدت هي من قبلُ؟!

ان الانسان بعيداً عن الله بعيدٌ عن أية امكانية للحياة بصورة طبيعية! فالانسان ليس له ان يحيا حياةً أرضية فردوسية مُثلى الا بعودته الى أحضان الطبيعة التي لن تستقبله الا اذا ما هو عاد نادماً الى الله! ان الطبيعة التي أحكم الله خلْقها وبنيانها دليلٌ على قدرته على ان يُحكِم خلْق وبُنيان حياة انسانية مُثلى على هذه الأرض. لقد كفل الله للطبيعة ان تحيا مفرداتها كلها جميعاً في تناغم وانسجام وتجانس؛ يستوي في ذلك كائناتها المرئية غير المجهرية وكائناتها المجهرية وفائقة المجهرية. لذا فان الطبيعة لا تعرف الوباء أو المرض الجماعي أو العدوى المُتفشية! فأسباب المرض في الطبيعة هي ليست بالضرورة أسبابه عند الإنسان الذي لم تكن علاقته بها الا من قبيل علاقاته بغيرها طالما كانت هي الاخرى آخَراً آخر ليس له الا ان تكون علاقته به عداوةً وتعادِا! لقد ظهر الفساد في الطبيعة على أيدي الناس من بني آدم. ولقد كشفت النقاب عن هذا الآية الكريمة: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

فالمرض، بشكله الوبائي الخطير، لم يظهر في الأرض الا على يد الانسان! ان الطبيعة لا تعرف طغياناً لأحد من مفرداتها ولا تسمح له به طالما كان هذا الطغيان خرقاً واضحاً للقوانين المُحْكَمة التي خلقها الله منضبِطةً مُتَّزِنةً بها! فالكائنات غير المرئية الدقيقة، من فايروسات فائقة المجهرية ومايكروبات مجهرية، شأنها في

حياتها داخل النظام المتوازن الدقيق للطبيعة شأن أية كائنات اخرى في عالم البايولوجيا المرئية. ان الفايروسات والمايكروبات اذ تغتذي على فرائسها، كما تفعل فرائسُها بدورها في اصطيادها طرائدها لتقيم أودها بأن تقتات منها، لن تقوم بالافساد في الطبيعة كما لا يقوم النمر بذلك! فالنمور تطارد قَنصها ولكن من دون ان يُسفِر عن حملة الصيد هذه ما من شأنه ان يعمل على إِنقراض واختفاء الحيوانات التي لا حياة للنمر الا بها! وكذا الحال مع الكائنات الحية غير المرئية؛ فهي لا تفتك بالكائنات المرئية فتكاً تنجم عنه ابادة جماعية لها! ان عمليات الافتراس والافتراس المتبادَل هي ليست الا مجرد فعاليات اغتذاء وهي بعيدة كل البعد عن ان تكون المُشابه الحيواني لما يجري في عالم الانسان من حملات ابادة جماعية وقتل بالجملة وتطهير عرقي او ديني أو طبقي أو طائفي أو سياسي او. . . الى آخره من حملات القتل المُنظَّم المُسبَّب! لذا فان المرض في الطبيعة ليس الا عملية افتراس شبيهة بما يجري من عمليات صيد وقنص في عالم الحيوان! فلم يكن للمرض، الذي تُسبِّبه الفايروسات والمايكروبات، أن يجعل من ضرباته فتّاكةً قاصمة بما يتبعه ويلزم عنه من وجوب انقراض الكائنات الحية المُهاجَمة. فلقد استقرت الحياة في الطبيعة بعيدةً عن الظلم والفساد والطغيان! ان الجراثيم والفايروسات تعيش كباقي المخلوقات في الطبيعة تحت ظلٍّ ظليل من قوانينها التي كفل الله للكل فيها ان يحيا في تناغم وانسجام. فالجراثيم والفايروسات لا يمكن اعتبارها كائنات منحرفة غير طبيعية شاذة غير سوية! فهذه النظرة اليها هي نظرة انسانية بحتة قائمة على أساسٍ انثروبومورفي مقيت! فهذه الكائنات الحية غير المرئية لا تخرق قوانين الطبيعة التي تلتزم بها كما يلتزم بها جميع الافراد والمخلوقات في الطبيعة. ان انعدام المرض في الطبيعة حقيقة يبرهن على كونها كذلك ان أسبابه، الفايروسية والمايكروبية، هي مفردات تنتمي اليها كما ينتمي مَن تقوم بمهاجمته من نبات أو حيوان! ان هذا الانتماء الجماعي يُحتِّم على الكل، من دون استثناء، ان يتقيد بقوانين التوازن الطبيعي فلا يحيد عنها احد حيوداً يجعل من حياة باقي الأنواع مهدَّدةً من قِبل نوع أو أنواع اخرى! ان تفشّي المرض في الطبيعة، وانتشاره بشكلٍ وبائي كارثي، أمرٌ يستحيل حدوثه كما يستحيل حدوث ابادة جماعية للوعول من قِبَل النمور والاسود! لِنَعُد الى الانسان وقصة صيرورته علّنا نجد ما يُعيننا على فهم ما حدث له فجعل منه أشقى الكائنات الحية أمراضاً وأتعسها أسقاماً وأكثرها عِللاً وأوبئة! فاذا كان الانسان على علاقةٍ سيئة

دَيدَنها العَداء السافر بينه وبين كل شيء، فلماذا لا تكون الفايروسات والجراثيم هي الاخرى عدوةً له؟! ان الانسان لا ينتمي للطبيعة كما تنتمي اليها الكائناتُ الحية الاخرى فلماذا يجب ان تكون علاقته بها علاقةً متّزنة بقوانين الله التي كفل بها ان تكون الحياة في الطبيعة بعيدةً عن الظلم والطغيان؟! ان الانسان كائن غير طبيعي لذا فان الجراثيم والفايروسات كانت في حِلٍّ من ارتباطها بقوانين التوازن الطبيعي على قدْر تعلّق الأمر بعلاقتها بالانسان! لذا فانها تهاجمه من دون ان يتبع ذلك أو يسبقه حرصٌ على الالتزام بمواثيق وعهود الانتماء للطبيعة التي خرج على قوانينها الانسانُ يوم ان خرج على أمر الله فأكل من الشجرة اياها! ان الانسان اذ لا ينتمي لعالم الطبيعة فان عليه ان لا يعجب لكونه أكثر الكائنات الحية اسقاماً وأمراضاً! فلو انه كان حقاً مفردةً من مفرداتها لتوجَّب عليها بالتالي ان تُحرِّم دمه ولحمه على الفايروسات والمايكروبات فلا تجعل لها اليه من سبيل الا بما قضى الله به وفقاً للقانون الطبيعي الساري في عالمها على كل مفرداتها! ان الانسان محكوم عليه بالإعدام من قِبَل الطبيعة مادام بعيداً عنها بعيداً عن الله؛ وهي لن تتوانى عن التربُّص به بكل ما اوتيَت من قوة وبكل ما لديها من وسائل! ولكن، ماذا بخصوص التدخُّل غير الخارجي في سير عمل النظام البايولوجي للكائن الحي؟ يتجلّى هذا التدخّل في العجز الذي يصيب النظام الحيوي فيجعل منه غير قادر على ممارسة فعالياته المُعتادة بصورة طبيعية وذلك على الرغم من عدم تعرُّض أية مفردة من مفردات هذا النظام الى هجوم فايروسي أو مايكروبي من الخارج. ولكن، ما السبب في هذا العجز الداخلي للنظام؟ لقد خلق الله الطبيعة بجسد قوي ليس فيه عيب تقني أو نقص خَلْقي، فكيف يظهر هذا القصور الداخلي في النظام البايولوجي للكائن الحي؟ هل يجوز لنا ان نظن ان الطبيعة اذ اعترى أحد كائناتها مرضٌ تسبَّب به قصورٌ داخلي فان هذا القصور دليل على عدم وجود الكمال في خِلقتها؟ لا يجوز لنا ذلك وذلك لأن هذا العجز الداخلي، اذ لم ينجم عن هجوم خارجي بداهةً، فانه لم يظهر فجأة ولم ينشأ بصورة تلقائية عفوية! ان مخلوقاتنا الاصطناعية من أجهزة وانشاءات تحمل بذرة فنائها داخلاً منها حتماً وذلك بسببٍ من كونها نِتاج عقل غير كلّي الاحاطة ليس بوسعه ان يسع كل شيء علماً حتى يكون له أن يصنع الشيء فيجيء مستوفياً كافة الاحتمالات! اما ما خلق الله وصنع بيديه فليس له ان يجيء الا مُتقَناً متكاملاً بلا نقص يعتوره. وكيف يحمل الشيء من خَلْق الله عيباً تقنياً يرجع الى خطأ تصميمي في المُخطط

الالهي اذا كان الله قد وسع كل شيء علماً واذا كان هذا الشيء هو من خلْق الله الذي أتقن كل شيء خَلَقَه؟ اذاً فالعجز الداخلي لا يعود الى نقص في الخِلقة الربّانية للكائن الحي أو عيب تقني في صِنعَته او خطأ علمي في مخططه التصميمي! فلماذا وكيف اذاً يحدث العجز الداخلي للنظام الحيوي للكائن الحي ليجعل منه بالتالي يواجه خطراً قد تكون عاقبته الموت؟ ان نشأة العجز الداخلي هذا تعود اما الى هجوم فايروسي أو جرثومي سابق تعرَّض له الكائن أثناء رحلة عُمُره فجعل منه ضعيفاً وعلى استعداد دائم للسقوط المُباغت فريسة تفاقم هذا الضعف بالتدريج في ظل عدم مقدرة هذا الكائن الحي على التكيُّف مع ضعفه الداخلي هذا وبما يجعل منه يُغيِّر من نظام حياته الذي ليس بمقدوره (الكائن الحي) ان لا يقوم بتنفيذ جميع ما يطلبه هذا النظام منه بأن يكون على الدوام في علاقته ببيئته كأي أحد آخر من الأصحاء من أفراد نوعه ممّن لم يُهاجَموا بما أُصيب هو به. فالكائن الحي مُبَرمَج بما لا قُدرة له على المخالفة عن أمره. فإمّا ان يكون هذا التعرُّض السابق هو السبب في نشأة العجز الداخلي للنظام البايولوجي للكائن الحي وامّا ان يكون مرجعه (هذا العجز) ما ورثه من بُنية ضعيفة عن أبيه أو أمه أو عنهما كليهما أو عن أيٍّ من أفراد سُلالته. ان هذه البُنية الضعيفة التي تم توريثها لهذا الكائن الحي، فجعلت منه يُعاني من عجز داخلي مأجول موقوت أوان ظهوره وتجلّيه تأثيراً سلبياً وإضراراً، قد نجمت عن تعرُّض الكائن الذي قام بالتوريث الى هجوم فايروسي أو جرثومي أدى الى جعله يفقد التكامل الخَلْقي الذي كان قد وُلِد به.

إذاً فالمرض في الطبيعة مبعثه هذا العجز الذي تبين لنا انه يعود الى هجوم فايروسي أو جرثومي تعرَّض له الكائن الحي مباشرةً أو ورثه بوراثته للآثار السلبيّة التي نجمت عن تضرُّر سلَف له من أسلافه جرّاء تعرُّضه لهجوم فايروسي او جرثومي هو الآخر! ولقد رأينا قبلها ان التعرُّضات الفايروسية والجرثومية ما هي الاّ طلعات صيد وقنص وافتراس تقوم بها هذه الكائنات الحية غير المرئية اغتذاءً واقتاتاً ليس إلاّ! فالكائن الحي اذ لا يسقط الآن صريعاً تحت وطأة اصابته الفايروسية او الجرثومية فانه قد يسقط لاحقاً من بعد شفائه غير الناجز وتخلُّصه غير التام من آثار اصابته هذه؛ كما انه قد يقوم بتوريث هذه الآثار الضارة لذريّته من بعده فيجعل منها عُرضةً للسقوط نتيجة وراثتها لبُنية ضعيفة تسبّب هو فيها! اذاً

فالفايروس او الجرثومة أولاً وأخيراً! الا ان ممّا تجدر ملاحظته بهذا الشأن ان المرض، بسببٍ من نشأته الفايروسية ـ الجرثومية هذه، في الطبيعة، التي ترعى الفايروسات والجراثيم كما ترعى باقي مفرداتها من نبات وحيوان فتُهيّء لهم كلهم جميعاً أسباب الحياة صيداً وافتراساً وتغذية، لا يمكن ان يتجاوز حداً تفرضه عليه وتُحتِّمه القوانينُ الطبيعية التي تكفل للكل عيشاً هانئاً وحياةً رغيدةً! فالمرض في الطبيعة، بسببٍ من كونه فعالية صيد وقنص على قدر تعلّق الأمر بوجهة نظر المُتسبِّب الوحيد به (الفايروسات والجراثيم)، لا يمكن ان يتعدّى المناسيب الطبيعية التي استقرّت عليها الحياةُ في الطبيعة. ولكن، ماذا عن المرض في عالم الانسان؟ ان الأمر المُلاحَظ بمقارنة المرض الانساني بالمرض في الطبيعة ان البيئة الانسانية، بسببٍ من كونها بيئة مريضة موبوءة بأمراض وأوبئة لا قدرة لأحد من غير علماء الأمراض، من ايتيولوجيين وأبيديميولوجيين ومَن لفَّ لفَّهم، على ان يقوم باحصائها عدداً، لا يمكن على الاطلاق ان تكون نِتاجاً صِرْفاً للطبيعة كما يحلو للعلماء ان يظنّوا ويعتقدوا! فالانسان اذ لم يكن الا ابناً عاقاً غير برٍّ بوالدته الطبيعة، التي خلقها الله كاملةً من دون أي نقص خُلوة من أي عيب متكاملةً تتناغم مفرداتُها فيما بينها وتتفاعل من غيرما طغيان أو فساد أو عدوان ظالم، ليس له ان يشكو كونه أكثر مَن على الأرض من أهلها ودوابها أمراضاً فتاكّة لا تَني تزيدُ يوماً بعد يوم!

ان علماء البايولوجيا التطورية عاجزون، اذا ما هُم واجهوا مَن يُطالبهم بالتعليل لهذا التفوّق المرضي الانساني، عن تقديم أي سبب مقنع لتفرُّد وتميُّز الانسان بهكذا بُنية ضعيفة تجعل منه أكثر الكائنات البايولوجية على الاطلاق تعرُّضاً للهجومات الفايروسية والجرثومية الناجحة! فاذا كان الانسان قد تطور عن أصل حيواني فحسب، فلماذا كان هذا الحيوان الانساني (أو ان شئت، الانسان الحيواني!) على هذه الدرجة من تدنّي نظامه المناعي وعجزه الخارق عن مواجهة الهجوم الفايروسي ـ الجرثومي باقتدار عالٍ كما تفعل جميع الحيوانات؟! ان المرض الانساني ضربة قاصمة للبايولوجيا التطورية قاضية على جميع ادّعاءاتها الزاعمة بنشوء الانسان عن الحيوان بالصورة التي وردت في الوثيقة العلمية! فلو كان الجنس البشري قد تطور حقاً عن الحيوان وبالشكل الذي عهدناه من قِبَل

علماء التطور والارتقاء، فلماذا لم يكن الانسان متميزاً بنظام مناعي سليم يكفل له الوقوف بقوة في وجه هجوم الفايروسات والجراثيم عليه؟! ما السبب اذاً في تمتُّع الانسان بهذا الذي جعل منه أكثر أهل الأرض عللاً وأمراضاً؟ لماذا تهاجمه الفايروسات والجراثيم فتنجح كما لا تنجح مع غيره من الحيوانات؟! ما الذي جعله فريسةً سهلة لجحافل الكائنات الحية غير المرئية؟ لقد تبيّن لنا قبل قليل ان المرض لا يتسبّب فيه الا تدخُّلٌ خارجي أو داخلي في النظام البايولوجي للكائن الحي وان مبعث هذا التدخّل هجومٌ تقوم به الفايروسات أو الجراثيم، بأية صورة من الصور الثلاث التي سبق بيانها وتفصيلها، وان المرض في الطبيعة أمرٌ عارض مقارنةً بوبائيته في عالم الانسان. والآن لننظر الى الانسان على ضوء معارف الوثيقة العلمية. ان الانسان استناداً الى البايولوجيا التطورية حيوان راقٍ قد بلغ نوعُه القمةَ التطورية المناظرة للقمم التطورية الأدنى والتي بلغتها باقي الأنواع الحية. فاذا سلّمنا بذلك، فهل لمُنَظّري هذه الوثيقة ان يُبيّنوا لنا السبب في عدم استقرار الجنس البشري على قمته التطورية المزعومة هذه وبما يجعل من الانسان عُرضةً للإصابة وفريسةً سهلة لكل من هبَّ ودَبَّ من الفايروسات والجراثيم؟! لقد تبيّن لنا ان هكذا زعم هو هَوَس باطل لا سند له وان الانسان لم يبلغ قمته التطورية بعدُ ليتسنّى له التمتّع باستقرار بايولوجي سعيد عليها! ولكن، ما الذي جعل من الحيوان يسعد بقلّة أمراضه!! ان السبب في هذا الاستقرار الصحّي للحيوان يعود الى كونه ذي بُنية سليمة بالمُقارنة بالبُنية الانسانية التي لابد وان تكون متضرِّرة نتيجة لشيء ما قد حدث أثناء المسيرة التطورية ـ الارتقائية للجنس البشري. ان البدن الحيواني أكثر صحة من البدن الانساني؛ وهذا أمر لا جدال فيه على الاطلاق! ولكن لماذا؟ ما الذي جعل من الانسان ذا بدن عليل سقيم بالمقارنة بسلفه الحيوان؟ ان الأمر مُتعلّق بالنظام المناعي للجسم الانساني. فالنظام المناعي السليم لجسم الحيوان يكفل له ان لا يسقط بسهولة فريسةً سهلة ولُقمة سائغة في أيدي الفايروسات والجراثيم. لقد تكفّلت الطبيعة بصيانة هذا النظام فجعلته عصياً منيعاً لا يسهل اختراقه. فماذا بشأن نظام المناعة للجسم الانساني؟ ما الذي حدث فجعل منه على هذه الدرجة من الضعف والتدنّي حتى ما عاد بوسعه الوقوف كما كان يقف أسلافه في وجه الهجوم الذي لا تتوقّف عن شنّه عليه فصائل الجراثيم والفايروسات؟ هل لنا ان نبحث في الطبيعة حوالَينا عن

سببٍ لهذا التدنّي المناعي الذي جُبِل عليه كل البشر! اننا مهما بحثنا في الطبيعة حوالَي بني آدم عن سببٍ بوسعنا ان نعلّل به للمناعة المتدنية للجنس البشري قاطبةً فأننا لن نعثر أبداً على هكذا سبب! فالطبيعة ترينا مقدار ما يرفل به الحيوان والنبات من صحة وعافية يفتقر اليهما الانسان كائناً ما كان عرقه وجنسه. فأنت لا تجد في الطبيعة أمراضاً، كمّاً ونوعاً، بالمستطاع مقارنتها بما تجده عند الانسان من أنواعٍ من الأمراض ليس باليسير احصاؤها عدداً. فكيف يمكننا اذاً ان نلجأ الى الطبّيعة استجداءً للسبب الذي جعل من الجنس البشري يتفرّد بهذه المناعة المتدنية التي كفلت له انهياره السريع في وجه الهجمات الشرسة للكائنات البايولوجية غير المرئية؟! لقد خلق الله الطبيعة بنظامٍ فائق الإحكام جعل منها عالَماً مثالياً للكائنات الحية التي عاشت فيها في سلامٍ ودِعة في ظل سيادة قانون شريعة الغابة الذي كفل لها حياةً خاليةً من العدوان الظالم والاستبداد والطغيان. ان شريعة الغابة حتّمت على جميع الحيوانات والنباتات ان تتقيّد بقانونها هذا الذي نظّم فعالياتها الذاتية وتفاعلاتها المشتركة بالشكل الذي أعانها على التمتّع بهذه الحياة الطبيعية المثالية! ولقد زوّدت الطبيعة كائناتها الحية بما كفل لها المقدرة على تحقيق كل ما من شأنه ان يجعل منها لا تخرج على النظام السائد الذي بثّه الله في عالمها. لذا فان الكائن الحي لم يكن له ان يعتدي على الغير الا وفق ضوابط شرعها الله ونظّم بها مسار الحياة في عالم الطبيعة. كما ان الكائن الحي لم يكن له ان يسقط فريسةً للغير الا ضمن حدود رسمها الله وحتّم على جميع الكائنات الحية احترامها وتعظيمها وذلك حتى لا يكون هناك تفرُّد لنوع على حساب باقي الأنواع. لقد جعل الله من الكائن الحي قوياً الى الحد الذي يكفل له النجاح في صراعه من أجل البقاء والانتشار. الا ان قوّته هذه لم تكن لتجعل منه عصياً على الغير الى الحد الذي لا يستطيع معه أحد ان يقهره ويُشركه في السلسلة الاغتذائية التي تُقيِّد عالم الطبيعة بجميع مَن فيها وما فيها! لذا فان الله اذ جعل من الكائن الحي ذا نظام هجومي قاتل، ان دعت الضرورة ذلك، يتمكّن به من الحصول على غذائه افتراساً وصيداً فان هذا النظام القتالي لم يكن ليجعل منه جباراً فلا يستطيع أحد ان يصل اليه ويقتات بدوره عليه! كما ان الكائن الحي، وان كان ملكاً للغابة متوَّجاً او غير مُتوَّج، فانه لم يكن ليُسرِف في القتل حتى لا يُبقي على أحد من طرائده وفرائسه ومادة قوته! فالحيوان في

الغابة ليس بِشَرِهِ طمّاع محتكر حتى يقوم بتكديس الفرائس جثثاً وجيفاً في مخازن ومستودعات! اذاً لقد خلق الله الحيوان قوياً ـ ضعيفاً؛ قوياً بما يجعل منه قادراً على التقاط والتقام والتهام واصطياد رزقه وضعيفاً بما يجعل منه هو الآخر طعاماً لغيره من باقي خلْقه! فلم يكن للحيوان ان يكون ضعيفاً حتى يسقط بكل سهولة فريسةً لكل مَن هَبَّ ودَبَّ ولم يكن له ان يكون قوياً فيُعجِز الغيرَ استعصاءً على ان ينال منه! ان العقل لَيحار ويعجز عن وصف هذا النظام المُعجِز الذي بثَّه الله في الطبيعة والذي جعل منها بحق عالماً مثالياً ليس فيه مَن هو ضعيف أبداً او قوي أبداً. ولقد تكفّل الله بجعل هذا العالم الطبيعي جنة بحق وذلك بتجريده مَن يحيا فيه من نبات وحيوان من القدرة على بسط نفوذه على حساب الآخرين؛ فكان بحق عالماً تتمازج فيه البساطة والتعقيد وتتعايش فيه القوّة والضعف وبما لا يجعل من القوي هو السائد ومن الضعيف هو البائد! فلم يكن لأحد في هذا العالم المُحْكَم الصنع ان يطغى على أحد أو يخضع لأحد بما يجعل من فئة تطغى على فئة ومن اخرى تخضع لاخرى! لقد سلب الله أطماع التوسُّع والسيادة من قلوب الحيوانات، حتى مَن كان منها جباراً قوياً كالنمر والأسد، فلم يجعل منها يُبيد بعضها البعض. اذاً خُلِق الحيوان ببدن قوي صحيحاً غير مُعتَل! خُلِق الحيوان بدماغ سليم غير مُلتاث! لقد كفلت هذه الخِلقة السوية المُتقَنة المُحكَمة للحيوان ان يكون ذا جهاز مناعي بمنظومات كفلت له ان لا يسقط بسهولة في مواجهة الفايروسات والجراثيم. لقد جعل نظام المناعة الحيواني السليم هذا من الحيوان يحظى بصحة مثالية وذلك على الرغم من كونه يعيش مُحاطاً، بل وحتى مُختَرَقاً، بجيوش جرّارة من الكائنات الحية الدقيقة التي بامكانها القضاء عليه لولا جنة من مناعته الجيدة هذه! فجهاز المناعة الحيواني ضرورة لابد منها كيما يكون بمستطاع الحيوان، اي حيوان، ان يحيا في هذا الخضم الهائل من الفايروسات والجراثيم. الا ان هذا لا يعني ان الله خلق هذه الكائنات الحية غير المرئية ولم يهيّء لها أسباب الرزق ووسائل المعاش، استغفر الله وحاشا لله. لقد خلق الله الدواب جميعاً، مرئيها ولا مرئيها، وتكفّل برزقها كلها جميعاً بلا استثناء. تدبّر الآيات الكريمة:

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي

كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [هـود: ٦]، ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾ [الحجر: ٢١]، ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٦٠]، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فُصِّلَت: ١٠].

لذا فان للجراثيم والفايروسات أيضاً نصيباً مفروضاً مِمَّن خلَق الله في عالم الطبيعة! فهذه الكائنات الحية غير المرئية خلْق مِن خلْق الله يجري عليها ما يجري على غيرها من مخلوقات الله. ولكن اذا ما نحن تفهمنا السبب في جعْل الله مخلوقاته التي بثّها في عالم الطبيعة ذات نظام مناعة متفوّق كفل لها به ان تحيا بأمان وسط الكائنات الحية غير المرئية، فهل يكون بوسعنا ان ندرك السبب في كون نظام المناعة عند الانسان على هذه الدرجة من السوء والتدنّي؟! فلماذا كان على الانسان ان يتفرَّد بهذه المناعة المتدنِّية؟! وكيف وصل به الأمر الى التميُّز بها هو وحده دون باقي مَن خلَق الله؟! لقد طُفنا طويلاً وجُلنا بعيداً في عالم الطبيعة ولم نتمكن من العثور على ما يساعدنا على تفهُّم ما أصاب الانسان فجعل منه يسقط فريسة المرض وبكل سهولة! فهل الى حل لهذا اللغز من سبيل؟ لنرجع الى الشجرة اياها ولنحاول ان نتسقَّط الأخبار والآثار علّنا ننجح حيث فشلنا من قبلُ فنصل الى حلٍ لهذا اللغز العجيب! لقد تبين لنا في الصفحات السابقة ان العلل النفسية يعود مرجعها الى شيء حدث في الماضي البعيد للجنس البشري وان هذه العلل ليس السبب في ظهورها هجومٌ فايروسي او جرثومي مباشر تتعرّض له مناطق الدماغ البشري. ان هذه العلل نرثها عن آبائنا عن آبائهم عن أبينا الأول آدم الذي أصيب دماغه إِثر أكله من الشجرة بتضرُّر جعل منه يُرَد أسفل سافلين. لقد كان من نتائج ذلك التضرُّر ان أصبحت المادة الدماغية الانسانية ذات منظومات بايوالكترونية غير سليمة مهَّدت السبيل لنشوء وتولُّد اضطرابات عقلية نجم عنها فيما بعد حدوثُ اعتلالات نفسية لم يكن لنا معشر بني آدم الا ان نعاني منها كلنا جميعاً! والآن، اذا تحقّق وثبت لدينا ان المنظومات الدماغية المسؤولة عن علاقة الانسان بالآخر، وبالذات كبديل لهذا الآخر ان افتُقد له وجودٌ أو تَواجُد، قد تضرّرت وبما نجم عنه عودةُ العدوان الى أسوء مما كان عليه عند اسلاف آدم الأواخر وظهورُ اعتلالات نفسية لم تعهدها

الطبيعة من قبلُ، فلماذا لا تكون الشجرة هي السبب في تدنّي مناعة الجسم الانساني الى هذا الحد التراجيدي الذي هيّأ للجراثيم والفايروسات ان تنجح في جعْل الانسان أشقى مَن على الأرض أمراضاً وعللاً؟ ان الأكل من الشجرة اذ جعل من الانسان أظلم خلْق الله وأجَنَّ مَن في الوجود فانه قد حتّم عليه ان يكون الأشقى أسقاماً! ان تدنّي المناعة الإنسانية حدثٌ جَلل لم يكن للطبيعة ان تقوم بإحداثه في البُنية الانسانية على هذه الأرض. فلقد برهن تاريخ الطبيعة على انها لم تكن لتسمح بتفشّي الوباء Outbreak في ربوعها على يد أي نوع من فايروساتها وجراثيمها وانها ما كانت لتُبقي على كائنات موبوءة بمرض يجعل منها تخالف عن أمرها ونهيها وتخرج على قوانينها! فلقد أبادت الطبيعة باذن الله طوائف الديناصورات من بعد ان أصيبت بفايروس جعل منها تجِن وتفقد عقلها مما حتّم ان يتم التخلُّص منها بذلك الشكل المُلغِز السريع! وما قوم آدم منا ببعيد!

اذاً لقد تسبّب أكلنا من تلك الشجرة في جعْلنا على ما نحن عليه الآن من تدنٍّ مناعي تفرَّدنا به وتفوَّقنا على جميع مَن على الأرض من نبات وحيوان! ان الطبيعة لم يكن لها ان تتسبَّب في ظهور ونشوء هذا التضرُّر الذي عاد على جهازنا المناعي بأفدح الخسائر اذ جعل منه على هذه الدرجة من الضعف والهشاشة. فالثابت المعروف عن الطبيعة انها لا تسمح باستمرار أي شذوذ او فلتة تخل بالتوازن البيئي المُتْقَن الذي حباها الله به. لقد تمَّت إبادة أجناس برمّتها وانقرضت أنواعٍ يصعب حصرها عدداً والاحاطة بها احصاءً الا الإنسان! فلو انه كان حقاً نِتاجاً لها وبالصورة التي يتوهّمها علماء البايولوجيا التطورية لَتوجّب عليها ان تقوم بازالته وابادته منذ زمنٍ طويل! ولكن الانسان لم تتم ابادته من قِبَل الطبيعة؛ وما ذلك الاّ لأنه ليس كائناً من جُملة كائناتها التي هي مسؤولة امام الله عنها! لقد قامت الشجرة الفضائية تلك بتخريب منظومات الجهاز المناعي للجسم البشري الذي أصبح من بعد الأكل منها غير قادر على مواجهة الفايروسات والجراثيم كما كان شأنه من قبل. اذاً فالسبب في كوننا نفوق حيوانات الأرض ونباتاتها كلّها جميعاً أمراضاً قاتلة وأوبئة مميتة يعود الى ما حدث لنا هناك، بعيداً عن هذه الأرض، في الفضاء الخارجي! الا يحق لنا الآن ان نطلق على

الانسان تسمية الانسان الفضائي من بعد ما تبيّن لنا الدور الكبير الذي قام به الفضاء في صياغة الانسان كما نعرفه! ان الانسان لا يمكن ان يُطلق عليه وصف الكائن الأرضي Terrestrial Organism وذلك طالما كان لما هو خارج الأرض Extraterrestrial دور في صياغته كما نعرفه! فالانسان يحمل في مفردات خِلقته مادةً فضائية Space Matter تسبّبت في جعْله على ما هو عليه الآن! كانت رحلة معراج الخليفة آدم وزوجه الى السماء، حيث الجنة التي أسكنهما الله، رحلةً عادت علينا بأن أصبحنا بشراً إنسيين في أسفل سافلين! فسبحان مَن رقى بالانسان حتى أوصله أعلى عِنان السماء ثم هوى به فجعله في أسفل سافلين! لقد عرفنا قبل قليل ان السبب في كوننا أكثر الكائنات الحية أمراضاً وإمراضاً يعود الى ما أصاب البُنية الإنسية من تضرُّر شديد في جهازها المناعي جعل من الجسم الانساني ذا مناعة متدنية للغاية ليس بمقدورها ان تقف بوجه مُهاجميه من الكائنات الحية غير المرئية وقفةً تدرأ عنه هجومها عليه. فلو لم يكن الجسم الانساني ذا جهاز مناعة على هذه الدرجة من التضرُّر لما أصبح الانسان موسوعة أمراض ليس لصفحاتها حد يحتويها. ولكن، هل الى خروج من عالمنا الإنساني المريض هذا من سبيل؟ هل بوسعنا ان نتخلّص من قَدَرنا الفضائي الذي حتَّم علينا ان نكون اولي مناعة بهذا التدنّي؟ أليس بمقدور الانسان ان يعود الى سابق ما كان عليه من مناعة متفوّقة شأنه في ذلك شأن باقي خلْق الله الذين بثّهم في الطبيعة؟ الا نستطيع القيام بما من شأنه ان يجعل من الجسم الانساني أكثر مناعة في وجه الهجوم الفايروسي والجرثومي؟ لقد كشف لنا القرآن العظيم عن السبب الذي جعل منّا يُعادي بعضنا بعضاً بلا سبب وأبان لنا عن السبيل الواجب ان نسلكه اذا ما نحن أردنا ان نقضي على هذا الشعور الانساني المُتبادَل بالعداوة غير المُسبَّبة وبيَّن لنا ان هذا السبيل هو بالسير على الطريق الإلهي الى الله؛ هذا الطريق الذي يتوجّب على السائر عليه ان يلتزم بقوانين السير كما حدّدتها وجاءت بها عن الله الوثيقةُ المحمدية ممثلّة بالطريقة التي أوجب الله على من يروم الحصول على السعادة في الدنيا، بالعودة الى ما كنّا عليه من خلْق في أحسن تقويم، والآخرة، بالعبور اليه والفناء به تعالى جَدُّه، ان يستقيم عليها تصديقاً للآية الكريمة ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]. فهل من عودةٍ الى هذا النبع الصافي حتى يكون بمستطاعنا الخلاص من جميع آثار تلك

المادة الفضائية التي عاثت في ربوع أدمِغتنا فساداً؟ انَّ اصلاح البُنية الإنسية قد تكفَّل الله به اذا ما العبد تكفَّل بالسعي الدؤوب والعمل الجاد والجهد الحثيث والمجاهدة الصادقة في سبيل الله. ان ماء الحياة، الذي بوسعه إحياء ما مات فينا، هو حظ من استقام على الطريقة التي جاءت بما هو كفيل باحياء ميتنا وبعثه حيـاً ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: من ١٢٢]. فاذا كان السير على الطريق الإلهي الى الله هو الحل الوحيد للمشكلة الانسانية، بجميع مفرداتها، فلماذا لا نأمل بالتالي ان يكون بالامكان الوصول الى انسان جديد بمواصفات فريدة، هي ذاتها التي كنّا عليها قبل الشجرة، يستطيع بها ان يستعيد جهاز مناعته الذي كان يتمتّع به من قبل؟ ان حل المشكلة الانسانية ليس من الضرورة ان يكون مقتصراً على إصلاح تلك الجوانب الانسية ذات العلاقة بالآخر كما نُعرِّفه! فالآخر قد يكون تلك الكائنات غير المرئية التي فقدنا المقدرة على التعامل معها بحزم وانضباط! ان القضاء على المرض في عالم الانسان لن يتحقّق بصورة شبه مطلقة الا بالقضاء على السبب الوحيد الذي يعمل على ظهوره وتفشّيه واستفحاله؛ وهذا لن يكون بأن نقضي على الفايروسات والجراثيم! فالقضاء على كل هذه الجحافل من الكائنات الدقيقة أمر مُحال دونه خرط القِتاد! فالحل المنشود لمشكلة المرض الانساني ينبغي ان تتم صياغته والتوصل اليه عن طريق تطوير نظام المناعة للجسم البشري كما نعرفه وصولاً وارتقاءً به الى طور جديد من مناعة غير متدنية كحالها البائس التي هي عليه الآن. لنأخذ مثلاً فايروس الأيدز. ان القضاء على هذا الكائن الحي غير المرئي امر ليس باليسير القيام به. الا ان ما يجب ان نقوم به حلاً لهذا المرض الوبيل هو تطوير المناعة الذاتية للجسم الانساني وبما يجعل منها قادرة على صد أي هجوم لهذا الفايروس قدرتها على مواجهة أي فايروس آخر! ولكن هل حقاً بامكاننا ان نعمل على تطوير نظام المناعة للجسم الانساني الى الحد الذي يُمكِّنه من القضاء على مرض الأيدز عن طريق صد هجوم الفايروس المُسبِّب له؟ ان جانباً من العمل الذي نقوم به في مختبرات برنامج بارامان PPL يندرج في هذا السياق؛ حيث تجري الأبحاث على قدم وساق في مجال تطوير نظام المناعة للجسم الانساني بُغية ارجاعها الى سابق ما كانت عليه عند آدم الخليفة. وما مشروع الخليفة CALIF Project غير تجسيدٍ عملي لهذا

الأمل بالوصول بالمناعة الانسانية يوماً ما ان شاء الله قريباً الى درجة من القوة تؤهّلها للنهوض في وجه كل هجوم فايروسي وجرثومي مُحتَمل. ان مشروع الخليفة ينطلق من وجوب العودة الى ما كان عليه الانسان عندما أبقاه الله خليفة في الأرض. وقد يظن ظان السوء بأن هكذا أمل ما هو الا حلم فاشل ليس لتحقيقه من سبيل! الا ان واقع الحال يُبطِل هكذا مَظان. فالبحوث الجارية في مختبراتنا قد انطلقت من مشروعية البحث عن وسائل تجريبية ـ اختبارية بمستطاعها ان تفيد من ظواهر خارقة لم تكن لتحدث لولا وجود مناعة فائقة ورد فعل خارق عند الأشخاص الذين بمقدورهم القيام بها. ان ظواهر الشفاء الخارق للجروح المتعمّد إِحداثها في الجسم DCBI ، اذ تحدث في نسق ذي وثيق علاقة بالطريق الإلهي الى الله كما حدّدته الطريقة، لَتبرهن على ان السبيل الى الحصول على مناعة غير متدنية وذلك بتطوير نظام المناعة للجسم الانساني ليس بعيداً عن السير على الطريق الإلهي الى الله! فالمناعة الفائقة التي تتجلّى في هذه الظواهر الخارقة تبعث في قلوبنا الأمل بأن الوصول الى جسم انساني بمناعة متفوّقة ليس مجرد خيال علمي طالما كان العمل دائباً على ردم الهوّة ما بين الانسان كما نعرفه والانسان كما أراده الله! ان المناعة المتفوّقة التي يُبديها جسم الدرويش تجاه الجراثيم والفايروسات أثناء اختراق الآلات الحادة مناطق مختلفة من جسمه تبرهن على ان هناك في هذه الفعاليات التي يقوم بها سراً عظيماً يتعلّق بقدرة نظام المناعة لجسمه، وهو تحت تأثير طاقة الطريقة، على صد أي هجوم تشنّه هذه الكائنات الحية غير المرئية! فعدم تضرُّر الدرويش جرّاء إِدخاله هذه الآلات المُلوَّثة المُلوَّثة برهان قاطع بصحة القول بوجود نظام مناعة أكثر رقياً من هذا الذي للإنسان كما نعرفه. ان الحل لجميع مشاكل الصحة الانسانية تُقدِّمه هذه الظواهر مُمثَّلاً في هذه القدرة الاستثنائية لجسم الدرويش، وهو تحت تأثير طاقة الطريقة، على مواجهة الجراثيم والفايروسات الوافدة مع الآلات المُختَرِقة. ان الأمل لَيحدونا ان نصل يوماً ما قريباً ان شاء الله، عن طريق البحث في هذه الظواهر، الى نظام مناعة متفوق يجعل من الإنسان قادراً لا على مواجهة ما يواجهه الحيوان من هجوم فايروسي وجرثومي فينجح في صدّه فحسب ولكن على صد كل هجوم يقوم به أي فايروس او أية جرثومة على الاطلاق!

لقد بيّنت النتائج المختبرية للمرحلة الاولى لمشروع الخليفة ان نظرة مختبرات برنامج باراماان الى المرض الانساني على قدْر كبير من الصواب والصحة وذلك كما تجلّى واضحاً في النجاح الساحق الذي حقّقته تقنيات العلاج بالبارامانيات Paramannics في مجال الحيلولة دون ظهور وتحجيم انتشار وازالة وجود تلك البثور العجيبة التي يبدأ ظهورها، عادةً، بتخطّي الطفل الانساني عتبة البلوغ Puberty. ان هذه البثور تغزو عادةً الوجه ومناطق أعلى الظهر والصدر لكلي الجنسين. تبيّن الدراسات الاحصائية بأن نسبةً غير ضئيلة من أفراد النوع الانساني تعاني من هذه الظاهرة العجيبة التي لا توجد اطلاقاً الا في عالم الانسان! فالحيوان لا يعرف شيئاً من هذا القبيل على الاطلاق. يربط العلماء بين ظهور هذه البثور وبدء اشتغال المنظومة الجنسية للجسم الانساني. الا ان هذا الربط السببي بين الأمرين لا يجب ان يُسوِّغ لما يقول به البعض من أن الجنس هو المسؤول عن ظهور هذه البثور! اذ ليس من المعقول ان يكون الجنس هو السبب في ظهور الغطاء الشعري، على معظم أجزاء الجسم الانساني، باستثناء المناطق الجنسية، لمجرد كون هذا الظهور يتزامن مع بدء اشتغال المنظومة الجنسية! فليس من المفهوم لماذا يكون وجود الشعر، خفيفاً غير غزير، على ساق الانثى الانسانية ذا مغزى جنسي اذا كان للشعر الغزير الكثيف لساق الذكر الانساني مغزى جنسي هو الآخر؟! ان تزامن وترافق وتصاحب ظاهرتين معينتين لا يستوجب ضرورة ان تكون احداهما سبباً للاخرى! يبدو ان العقل الانساني مصاب بداء وبيل يُحتِّم عليه وجوب إخضاع الظواهر المتصاحبة حدوثاً الى منطِقه الأعوج هذا. ولكن، ما السبب في ظهور هذا المرض، الانساني البحت، على وجوه وأجسام نسبة كبيرة من بني آدم ان لم يكن الجنس هو ما يجعل من المُحتَّم على هذه البثور ان تظهر بالمعنى الذي يكون فيه ظهورها هذا جنسياً ليس الا؟ فان لم يكن الجنس هو السبب في ظهورها فما هو السبب اذاً؟ لقد ذكرنا فيما تقدّم أعلاه ان نجاح البارامانكس في القضاء على مشكلة هذه البثور بالامكان اعتباره برهاناً على صواب نظرة مختبرات برنامج باراماان الى مفردة المرض في الظاهرة الانسانية، فكيف ذلك؟ لنتدبّر في نظرة باراماان الى البثور الانسانية هذه! لقد رأينا في الصفحات السابقة ان البرنامج ينظر الى المرض الانساني على انه نتيجة حتمية لكون الانسان يحيا في بيئة لا تخلو من العديد من الكائنات الحية

غير المرئية كالفايروسات والجراثيم بجسم ضعيف ذي مناعة متدنية يعجز معها عن الدخول في مواجهة ناجحة مع معظم الهجومات التي تقوم بشنّها عليه جحافل وقطعان الفايروسات والجراثيم! ان الانسان يختلف عن الحيوان، على قدْر تعلّق الأمر بالمرض والصحة، بكونه أدنى منه مناعةً مما يجعل من الانسان كائناً غير طبيعي لفرط عُلو معامل المرض لديه بالمقارنة بكل الكائنات الحية التي بثّها الله في السموات والأرض. لقد تبيّن لنا كيف نشأت هذه المناعة المتدنية يوم ان أكلنا مع أبوينا، من تلك الشجرة السماوية هناك في الفضاء البعيد! اذاً فالانسان يفوق الحيوان تدنياً مناعياً مما يُفسّر لنا خلو عالم الحيوان من معظم أمراض الانسان. ان الانسان يخرج من بطن أمه الى الدنيا بمناعة متدنية لا نظير لها في عالم الحيوان. الا ان الطفل الانساني، على ضعف مناعته هذا، يبقى أجود مناعةً من الانسان البالغ!! اذ تُبيّن الدراسات الاحصائية ان الانسان، من بعد اجتيازه مرحلة الفِطام والفِصال واستقراره في حياته مستقلاً عن أمه في طعامه وشرابه ومشيه، يكون أقل أمراضاً وأدنى قابلية للاصابة بالأمراض منه من بعد اجتيازه مرحلة البلوغ وتخلّيه عن استقلاله الفردي بتحمّله أعباء تبليغ رسالة النوع بدخوله مُعتَرَك الحياة الجنسية في عالم البالغين. ان المدة الذهبية من حياة الانسان هي تلك التي يمضيها من بعد استقلاله عن أمّه وتحرّره من ربقة أسر الثدي والإطعام باليد والحمل بالذراع وشروعه في السير على قدمين والانطلاق بساقيه والأكل بيديه وذلك قبل زوال هذا الاستقلال بدخوله عالم النساء والرجال! ان هذه المدة الذهبية تتميز بكونها اسعد فترات حياة الانسان على هذه الأرض وذلك لأنه لم يدخل بعد في ظلام الوجود البشري ولم يتعمّق بما فيه الكافية في المعاناة من التراجيديا الانسانية التي حتّم علينا أبونا آدم ان نشاركه فيها! ان جهاز المناعة للجسم الانساني لا يُسقط عن وجهه القناع الا بدخول الطفل عالم البالغين وتحوّله من فرد يعيش لذاته الى فرد يعيش للنوع! فمنظومات جهاز المناعة للجسم الانساني بعد تخطّيه عتبة البلوغ تبدأ بالتضرُّر التدريجي الى ان تصل أدنى مستوٍ لها تقف عنده فلا تتجاوزه الا مضطرةً وذلك كما يحدث عندما يغزو فايروس الأيدز الجسم حيث يقوم عندها هذا الفايروس بدور مشابه، الى حد ما، للدور الذي قامت به تلك المادة الفضائية في جعل مناعة الانسان تتدنّى الى أدنى حد بالامكان الوصول اليه مع المحافظة على استقرار الجسم

الانساني. الا ان فايروس الأيدز، الذي لم تصنعه الطبيعة بل قام الانسان، هذا الكائن الأرضي ـ الفضائي، بتخليقه مختبرياً، لا يعرف حداً يتوقّف عنده في تدنيته الخبيثة للغاية لمناعة الجسم! ولكن، لماذا يبدأ نظام المناعة للجسم الانساني بالتدنّي التدريجي هذا، بصورة طبيعية Normally ومن دون تدخّل خارجي؛ فايروسي او جرثومي، بتخطّي الانسان عتبة البلوغ؟ لنستذكر ما كنّا قد عرفناه بخصوص عودة ظهور الغطاء الشعري للجسم الانساني بدخول الطفل عالم البالغين! ان الآثار الكارثية لأكلنا من تلك الشجرة لا تُعبِّر عن ذاتها كامل التعبير قوةً واتّساعاً الا باكتمال البُنية الإنسية ببدء اشتغال المنظومة الجنسية للجسم الانساني. لنتذكر ان آدم وزوجه كانا مكتملَي الرجولة والانوثة بالغَين جنسياً لحظة أكلهما من تلك الشجرة. ان الإنسان لا يعاني من جميع آثار تلك الأكلة الفضائية حال خروجه من بطن امه طفلاً! فالطفل البشري يولد عارياً كما حدث لأبويه آدم وزوجه فور تناولهما ذلك السُم الفضائي في الجنة. كما انه يولد مقطوع الصلة بروحه التي لن يكون بمقدوره ان يتّصل بها من بعد ما أصاب دماغه من تضرُّر بايوالكتروني جعل من العسير جداً على تلك المناطق منه والتي بمقدورها الاتصال البايوالكتروني ـ الفوتوالكتروني ان تكون على تواصل مع الروح فيه. ان التضرّر الذي حاق بمناطق الاتصال البايوالكتروني ـ الفوتوالكتروني هذه قد حتّم على الانسان ان يفقد صلته الواعية بالله كما فقد صلته بروحه. لذا فان الطفل لن ينتظر حتى حلول سن البلوغ ليفقد هاتين الصلتين بالفوتوالكترونيات كما سيفقد غير ذلك الكثير بدخوله عالم البالغين! ان التضرّر الدماغي الناجم عن ذلك السُم غير الأرضي يبلغ مداه الأقصى بتخطّي الانسان عتبة البلوغ اذ يبلغ التدنّي المناعي أسفل القعر وينفرط عقد العدوان بالكامل وتبلغ العلل النفسية حد الافصاح البليغ عن فحواها الخَبالي ـ الجنوني المُريع وتبدأ الاحزان؛ اذ تنطلق من مكامنها، من بعد طول مكوث وسبات وكمون، عواصفُ التعاسة والكآبة والاحساس باللاجدوى وبالعبثية وبالغثيان! الا ان اكتمال مُعاناة الانسان من كامل آثار وأضرار ذلك السُم الفضائي ببلوغه مبلغ الرجال والنساء لا علاقة له ببدء اشتغال المنظومة الجنسية للجسم! فوصول الانسان الى أقرب هيئة كان عليها ساعة ان سرى ذلك السُم في عروقه وعروق أبويه الأقدَمين ليس بمتحقِّق الا بتخطّيه عتبة البلوغ بعبوره الى عالم الجنس. اذاً

فاشتغال المناطق الدماغية المتضررة، والمنظومات الجسمية ذات الصلة بعملها، بأقصى طاقتها لا يبدأ الا عند اكتمال هيئة الانسان على أقرب ما يكون من هيئة آدم وزوجه ساعتها تلك!! اذاً بتدنّي مناعة الجسم الانساني الى أدنى حد طبيعي Normal ممكن بالبلوغ Puberty فان الفرصة لنجاح الجراثيم والفايروسات في غزوه ستكون على أعظمها! لذا فان تلك البثور سوف تظهر نتيجةً لازمة عن هذا التدنّي المناعي والهجوم الجرثومي! يبدو ان الوقت قد حان للحديث عن الجنس في عالم الانسان من بعد ما رأينا مقدار الظلم الذي ألحقه الانسان به استجداءً له في التعليل او تهرُّباً منه!

٣ ـ ١١ آدم والنشاط الجنسي الانساني الفائق!

لقد بالغ منظِّرو ومفسِّرو الوثيقة العلمية في تحميل الجنس ما لا طاقة له بحمله وذلك عبر قيامهم باستقدامه، بمناسبة ومن دون مناسبة، للتعليل لما هو غامض في السلوك البشري. كما انهم اِزّاوروا عنه وفرّوا كلما أعجزهم أمرُ التوفيق القسري بين الظاهرة المُلاحظة وفهمهم المُبتسر لها مما جعل منهم يسيئون التصرُّف معه كما لم يفعلوا مع أيٍّ من المفردات الاخرى المُشكِّلة للظاهرة الانسانية المُلغِزة! فلقد تم اقحام الجنس حيث لا ينبغي ان يكون له أيُّ تواجد مهما ضئُل؛ كما تم اقصاؤه وابعاده من تلك المناطق التي لا ينبغي لأحد آخر غيره ان يتواجد فيها معه! كلُّ ذلك تم اقترافه تحت غطاءٍ من التمسُّح بصنم العلمية الزائفة Pseudo-Scientism وبالتستُّر بمُسوح العلماء! ولكن، هل من وسيلة للوصول الى تقدير صائب لواحدة من أهم مفردات الظاهرة الانسانية ألا وهي الفعالية الجنسية لبَني آدم؟ ان أفضل الوسائل لتحديد ما هو حقيقي وأصيل في الظاهرة قيد الدرس تمييزاً له وتخليصاً من براثن ما هو زائف ودخيل هي بالقيام باستبعاد كل ما لا يمت للظاهرة المعنية من مفردات بعيدة عن المُلاحَظة عصية على الاختبار والتجريب. فالجنس عند الانسان ظاهرة، شأنها شأن باقي الظواهر القابلة للدرس والبحث العلميين، لا يتطلب النجاح في فهمها وتحليل متشابك علاقاتها وصولاً الى تفهُّم متكامل غير مُجتَزئ لكامل ما بين مفرداتها من تفاعل وتشارك وتداخل، ان يُصار الى الاستعانة بأنموذج تفسيري يتم قسره من خارج الظاهرة وادخاله على مفرداتها وتسييّده عليها وفرض نظامه الخاص به على

نظامها الخاص بها! ان الظاهرة، التي بالامكان درسها والبحث علمياً فيها، اذ تُخضَع لهذا المنطق غير العلمي الخاطئ فانها لن تبقى مُحافظةً على طهرها وبراءتها ونقائها من بعد هذا التدخُّل السافر في تفاصيلها بادخال ما هو ليس بِمُنتَمٍ اليها. فالعقل الانساني سوف لن ينظر الى الظاهرة الأصلية بل الى ظاهرة اخرىً تمّت أنسنتها ونمذجتها فتحوّلت من ظاهرة شبيهة بمادة خام بانتظار ان يتم التعامل المعرفي الصائب معها الى ظاهرة اخرى اصطناعية تم استحداثها وتوليدها غصباً وعنوةً! ان هكذا تفاعل غير سوي بين العقل الانساني والظاهرة المنمذجة المُولَّدة الهجينة هذه سوف ينتج عنه كمٌ هائل من الأخطاء التي لن تفيد في شيء غير البرهنة على مقدار الضلالة التي انجرف اليها هذا العقل بتخلّيه عن الظاهرة الأصلية واستبدالها باخرى شوهاء خرقاء ليس بوسعها ان تكشف شيئاً حقيقياً في الظاهرة قيد الدرس! لقد عانى الجنس من ظلم شديد منذ ان تولاه بالدراسة فرويد ومن تبعه وخالف عن أمره ولم يَعُد عن غيِّه وغبنه لهذه الفعالية العجيبة.

اذاً لنحاول من جانبنا ان لا نقع فيما وقع فيه دارسو النشاط الجنسي للإنسان وذلك بأن نقوم بتجنُّب الوقوع فيما وقعوا فيه من تجاهل لمفردات الظاهرة قيد الدرس وانشغال بالظاهرة المؤنسنة المُنمذَجة بدلاً عنها. والآن، ما الذي بامكاننا استخلاصه من دراستنا للفعالية الجنسية في عالمَي الحيوان والانسان من دون ان نقوم باستبدال الظواهر الحقيقية الأصلية Original Phenomena باخرى زائفة مُستحدَثة؟ يتَّضح لنا من بعد دراسة مستفيضة للنشاط الجنسي في الطبيعة ان الحيوان لا يلجأ الى الجنس احتياجاً بل يُقاد اليه ويُساق سوقاً لا لشيء يعود عليه بالمنفعة الذاتية والفائدة الشخصية بل تحقيقاً وقياماً بواجبه في خدمة النوع عبر إسهامه في الهدف الذي خلق الله الطبيعة لتعمل جاهدةً على جعل حيواناتها ونباتاتها وجميع كائناتها الحية تسعى بكل ما اوتيته من قوة لتحقيقه والذي هو ليس أكثر من قيامها بتكثير أفراد النوع الى أقصى حد ممكن في ظل ظروف التوازن البيئي المُحْكَم والذي أراد به الله ان يُحكِم قبضة الطبيعة على كائناتها بحيث لا يتجاوز أحد على أحد فيطغى نوع على آخر ويسود حيوان على حساب تنحّي وانقراض غيره! فالجنس في الطبيعة عمل هادف شأنه

شأن أية فعالية اخرى فيها لا تحدث عبثاً بلا طائل. تدبّر الآيات الكريمة:

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]، ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦ ـ ١٧]، ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١]، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: من ٢٢]، ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٤٤]، ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الروم: من ٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر: من ٤١]، ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧]، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الزُّمَر: ٥]، ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الدُّخان: ٣٨]، ﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدُّخان: ٣٩]، ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الجاثية: من ٢٢]، ﴿ما خَلَقْنا ٱلسَّمواتِ وَالأرْضَ وَما بَيْنَهُما إلاّ بِالْحَقِّ وَأجَلٍ مُسَمّىً﴾ [الأحقاف: من ٣]، ﴿الذي خَلَقَ سَبْعَ سَمواتٍ طِباقاً ما تَرى في خَلْقِ الرَّحمنِ مِنْ تَفاوُتٍ فَارْجعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرى مِنْ فُطورٍ. ثُمَّ ارْجعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبُ إلَيْكَ الْبَصَرُ خاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [المُلك: ٣ ـ ٤].

فلا يوجد هناك عبث في الطبيعة بل نظام دقيق متوازن محكم. وكيف لا وخالقها هو الله الذي أتقن كل شيء صنعَهُ وأعطى كل شيء خَلْقهُ ثم هدى؟ تدبّر الآيات الكريمة:

﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النَّمل: من ٨٨]، ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السَّجدة: من ٧].

فالحيوان اذ يتسافد فانه لا يسعى باتّصاله الجنسي هذا بالآخر الى الحصول على متعة أو لهو أو لذّة أو شعور بالراحة الجنسية! ان الحيوان يكافح في سبيل اتّصاله جنسياً بالآخر استجابةً منه لأوامر النوع داخله وقياماً منه بما يمليه عليه

واجبُ الانتماء للطبيعة! لذا فان الطبيعة لم تجعل هذا العمل محوراً أدارت من حوله حياة ونشاط كائناتها وبما يقضي عليهم بأن لا تكون لهم من رغبة اخرى غير السعي المحموم وراءه والقيام بكل شيء آخر في سبيله ولأجله! فالطبيعة اذ أمرها الله ان تُقيِّد النشاط الجنسي لحيواناتها بقيد هادف الى توجيهه وجهةً لا علاقة لها بالفرد على الاطلاق، فانها لم تجعل من الحيوان يُخصِّص من وقته للقيام بما يتطلّبه اتّصاله جنسياً بالآخر الا ما يحتاجه العمل الجنسي ليتم له الاكتمال! فلم يكن للحيوان اذاً ان يستغرق اتّصاله الجنسي بالآخر وقتاً يتجاوز ما يتطلّبه نجاحه في تحقيق هذا الاتصال وعلى الوجه الذي يضمن تحقيقه بالتالي للنتيجة الوحيدة المُرتجاة: إخصاب الانثى! لذا كان العمل الجنسي في عالم الحيوان سريعاً قصير المدة. اذ ما جدوى اطالة أمد الإتصال الجنسي بالآخر طالما لم تكن هنالك من حاجة في نَفْس الطبيعة تقضيها تتجاوز تأكُّدها من أن الانثى قد تم تلقيحها بماء الذكر! ان نجاح الذكر في صب ماء تكثير أفراد نوعه في كأس أنثاه لا يستدعي ان تستغرق عملية اتصاله بها زمناً طويلاً قد يُعرِّض كليهما لخطرٍ داهم مفاجئ في عالم تسوده قوانينُ الصراع المُنظَّم من أجل البقاء والانتشار! ولأن الذكر لا يحتاج غير ثوانٍ معدودات ليكتمل له إفراغ مائه في انثاه، فان اتصاله جنسياً بها لم يكن ليستغرق مدةً أطول من هذه المدة التي يتطلّبها انجاز هذا العمل بمفرداته كلها؛ تمهيداً وادخالاً وحركة وقذفاً! لقد ورث الانسان عن أجداده الحيوانات هذه الميزة التي جعلت منه يعجز عن اطالة مدة اتّصاله الجنسي بانثاه مهما تذرّع به من وسائل ليس بمقدورها ان تجعل منه قادراً على التخلُّص من قذفه السريع هذا! فذكر الانسان معروف عنه انه ما ان يشرَع بالتحرُّك العنيف داخلاً من انثاه حتى يتحتّم عليه إطلاق مائه المَهين وذلك بعد ثوانٍ قليلة من بدء عملية اتصاله الجنسي بها! ان الطبيعة لم تحرص على جعل مدة تحرُّك الذكر في انثاه طويلة حتى يتسنّى له التلذُّذ والتمتُّع طيلة مدة تحرُّكه هذا! فالطبيعة لم يكن ليعنيها في شيء ان يحصل الذكر جرّاء اتّصاله بانثاه على لذة أو شعور بالاستمتاع. فما كان يهم الطبيعة هو ضمان نجاح الاتّصال الجنسي في إخصاب الانثى ليس الا. ولأن الطبيعة لم يكن ليعنيها ان تكون هناك من استفادة جانبية يتسنّى للمُشاركين في عملية الاتّصال الجنسي الحصول عليها، فانها لم تعمل على جعل العمل الجنسي فعالية ثنائية بين ذكر بعينه وانثى بعينها!

ولأنها لم تكن لتهتم الا بضمان تكثير أفراد النوع، فانها لم تجعل من عدد الاناث للنوع المُعيّن يساوي عدد الذكور فيه. فلم تجعل الطبيعة من الذكر مكلّفاً بانثى واحدة طالما لم يكن هناك من داعٍ يوجب ان لا يقوم هو ذاته بهذا الواجب مع اناث اخريات غيرها! فالانثى الواحدة بامكانها ان تكتفي بذكر واحد حتى يتم لها اخصاب مادة التكثير النوعي المُحتواة في كأسها. فلا حاجة اذاً هناك لأن يكون لها اتّصالات بذكور عديدين طالما كان بمستطاع ذكر واحد القيام باخصاب مادّتها هذه! ولكن الذكر الواحد بامكانه القيام باخصاب اناث كثيرات وذلك بصبّه ماء حياة النوع في كؤوسهن. لذا فلم يكن هناك من داعٍ لأن يكون عدد الذكور في عالم الحيوان مساوياً لعدد الاناث. ان مما يُلاحَظ في عالم الحيوان ان نسبة الذكور، عادةً، تقل كثيراً عن نسبة الاناث. ان الانثى في عالم الحيوان، عادةً ما تكون، أثمن بكثير من الذكر! لذا فان الطبيعة حرصت، في الغالب الأعم، على ان تكون اعداد الاناث تفوق أعداد الذكور. فالطبيعة لم تكن لتقوم الا بجعل الذكر أقوى جنسياً بكثير من اناثه وذلك ليتسنّى له استكمال واكمال مهامه مع اناث اخريات غيرها من بعد فراغه من اكمال مهمّته معها! فالانثى الحيوانية لا تحتاج ان تكون قوية جنسياً طالما لم يكن دورها في عملية الاتّصال الجنسي ليتجاوز استقبال وتلقّي الذكر! لقد تم جعل الذكر الحيواني أقوى جنسياً من أناثه وذلك بأن جُمِعت له قوة جنسية لذكور عديدين في ذكر واحد! فما كان جميع هؤلاء الذكور ليقوموا به فُرادى كُلٌّ مع انثى بعينها تعيَّن عليه ان يقوم به هو بمفرده مع كل هؤلاء الاناث جميعاً! لذا فاننا ننظر الى الذكر في عالم الحيوان فنراه لا يكتفي بواحدة ولا يُعجزه الاستمرارُ في الاتصال الجنسي باخريات واخريات! ان الانثى في عالم الحيوان تقوم بواجبها اذ تستقبل وتتلقّى الذكر الذي يقوم بواجبه هو الآخر وذلك باطلاقه ما زوّده به الله من ماء حياة لنوعه. الا ان الذكر لا ينتهي دوره باكتمال افراغه من ماء حياة نوعه في أناثه التي ينتهي دورها بتلقّيها واستيعابها لهذا الماء في كأسها. فالذكر لا يفرغ من مهمّته الجنسية الا بفراغه وانتهائه من إِفراغ ما في داخله من ماء حياة النوع داخلاً من اناثه. لقد جعل الله من الطبيعة تستعيض عن ذكور كثيرين ليس لهم من دور في عملية الاتصال الجنسي غير القيام بالافراغ والتخصيب بذكور قليلين جعلت من واحدهم قوياً جنسياً وبما يكفل قيامه بما كان يتوجّب ويتعيّن على كل

اولئك الذكور الكثيرين القيام به كل على حدة فُرادى مع الأعداد المقابلة لهم من الاناث! ولكن الله لم يجعل بامكان الطبيعة ان تستعيض عن اناث كثيرات باناث قليلات طالما لم يكن ذلك لينجم عنه الا إخلال بقانون انتشار وتكثير أفراد النوع! ان الذكر في عالم الحيوان قابل للتعويض والاستعاضة والاستبدال؛ اما الانثى فليس من سبيل هناك لتحقيق ذلك. فالانثى في عالم الحيوان هي محور العملية الجنسية وأكثر طرفَيها أهمية! ولكن، لماذا لا نجد ذلك في عالم الانسان؟! لماذا لا تتجاوز نسبةُ الاناث نسبةَ الذكور؟ لماذا يتفوق الذكور عدداً على الاناث؟ ما الذي حدث فجعل من التفوّق العددي لاناث الانسان يتحوّل الى تفوّق عددي لذكوره؟ ان هذا التفوّق العدَدي لذكور بني آدم دليل قاطع بصحة القول بخروج الانسان على قوانين الطبيعة التي خلقها الله فجعلها مثال الكمال في الانضباط بأمره ونهيه والتقيُّد بقضائه وأحكامه! لقد تبيّن لنا قبل قليل ان الجنس في الطبيعة لم يُخلق لشيء يتعدّى دوره الفاعل في تكثير أفراد النوع والاسهام في انتشارهم وفق قواعد البث والنشر التي أقام الله عليها أسس البنيان المُحكَم المُتقَن للطبيعة. فلقد خلق الله الجنس للنوع لا للفرد ولم يُقْصَد به ان يكون له دور في حياة أفراد النوع يتجاوز تمخُّضه عن اخصاب الكثير من اناث النوع من قِبَل القليل من ذكوره بُغية رفد الطبيعة بأفراد جُدُد. لذا فلم يكن لهذا العمل التشارُكي بين الذكر والانثى ان يتكرر اذا ما تم إخصاب الانثى وذلك حتى تضع حَملها ويجيء موعد التهيّؤ لحمل جديد! فالانثى في الطبيعة اذا ما هي اثقلت من بعد اخصابها ليست بانثى في نظر الذكر. بل ان الانثى هناك لا تُعتبر انثى فتُلاحَق وتُطارَد اذا ما هي أخذت في التصرُّف بما يُمليه عليها كونُها قد عَلقت من الذكر! فالانثى ما ان تُخصَّب فتَعلِق حتى لا يعود بامكان اي ذكر ان يفاتحها بأمر سِفاد او نكاح! والذكر أيضاً يستشعر هذا التغيُّر والتحوُّل البايوكيميائي في الانثى والذي يجعل منها تأنف من التشارك في العمل الذي كانت تستقتل في سبيله من قبل ان يتحقّق لها الاتصال جنسياً بالذكر. لذا فان هذه الانثى سرعان ما تبتعد عن حَلَبة الجنس التي ما دخلتها أصلاً الا لتغادرها بأسرع ما يمكن من بعد تحقّق اتصالها جنسياً بالذكر. ان العمل الجنسي في الطبيعة لن يتكرّر بين الانثى والذكر الا اذا لم يكن قد حقّق الهدف المرجو من ورائه أول مرة! فتكرار العمل الجنسي في الطبيعة بذخ وترف لا طائل من ورائهما

اذا ما تحقّق للانثى ان تخرج من تشاركها في عملية الاتّصال الجنسي بالذكر عالقةً حاملةً! ان التكرار غير الهادف ممقوت في عالم كالطبيعة موزون العلائق مُحكَم الأساس مرصوص البُنيان هادف غير عابث. فالجنس في الطبيعة فعالية هادفة شأنها شأن أية فعالية اخرى فيه! لذا فلم يكن للحيوان ان يقوم بهذه الفعالية على مدار الساعة كل يوم طالما لم يكن قيامه بهكذا فعالية بمقدوره ان ينجم عنه ايراد أفراد جُدُد يُرفد بهم موجود النوع من أفراده! فالجنس في الطبيعة فعالية موسمية تتحدد بموسم السِفاد والتزاوج.

ان الناظر الى الطبيعة ليُذهله هذا الانضباط الجنسي الذي يتقيّد بصارم قيوده وشديد أحكامه أفرادُ النوع قاطبةً! فلو لم يكن هناك من إحكام لقبضة الطبيعة الفولاذية على كائناتها، فهل كنا لنجد هذا الذي يُميِّز عالم الحيوان من التزام حرفي بموسم التزاوج؟ ألسنا نجد الذكر لا يعبأ بالانثى ولا يأبه لها في غير هذا الموسم؛ حتى انهما ليكونا على مقربة شديدة من بعضهما من دون ان يؤدي ذلك به الى إختلاق وافتعال وابتكار ما من شأنه ان يجعلها توافق على قيامه بامتطائها؟! ان المرء ليعجب من قدرته هذه على ضبط نفسه وربطها بأوثق رباط يحول دون ان يتحامق فيُقِل أدبَه معها! كيف يتسنّى له ان يحافظ على رباطة جأشه وخلو قلبه من أية رغبة فيها وهو الذي يجن اذ ينتابه سُعار الجنس وَهَوسه بحلول موسم السفاد والتزاوج؟! أليس عجيباً أمر هذا الذكر الحيواني الذي لا يستشعر ضرورة ان يقوم بكل ما في وسعه لاقناع الانثى بوجوب اختلائهما ببعض حتى يكون بمستطاعهما تحقيق الاتّصال الجنسي فيما بينهما في غير هذا الموسم؟! لماذا لا يعبأ الذكر الحيواني بالانثى الا في موسم التزاوج؟ لماذا لا تسعى الانثى الحيوانية الى الاقتراب من الذكر ليتسنّى له ان يقوم بواجبه تجاه النوع معها الا بحلول هذا الموسم المُحدَّد المُدَّة؟! لِنُحوِّل انظارنا وعقولنا الى عالم الانسان من بعد ان تعرَّفنا بهذه العُجالة على أهم ما يُميِّز عالم الحيوان على قدْر تعلّق الأمر بالجنس فعاليةً وهدفاً ومغزى. ان الناظر الى الجنس في عالم الانسان سوف يُصاب بدهشة بالغة تجعل من العسير جداً عليه ان يفهم ما هذا الذي يحدث ولماذا يحدث! فاذا سلّمنا بأن الانسان حيوان عاقل نشأ من تربة هذا الواقع وتطور وفقاً لقوانينه وبتفاعل مفرداته، فلماذا لا نستطيع ان نجد في

السلوك الجنسي الانساني أدلة وافية كافية تقطع بصحة هذا النشوء والتطور؟!
لماذا يتميز الانسان بكونه الكائن الحي الأكثر انشغالاً بالجنس وانغماساً فيه؟!
ألسنا نجد ان الجنس في عالم الانسان قد تخلّى عن دوره الوحيد الذي اتّسم به
في عالم الحيوان ليتّخذ له دوراً آخر لا وجه لمقارنته بنظيره الحيواني؟ ما الذي
حدث فجعل من الانسان كائناً يشغله الجنس كما لا يشغله شيء آخر؟ لماذا
تحوّل الجنس عند الانسان من فعالية هادفة لخدمة النوع الى اخرى لا تهدف الا
لخدمة الفرد لذةً ومتعةً؟ كيف نفهم كل هذا، وغيره كثير جداً، في ضوء تطور
الانسان وفق قوانين هذا الواقع الذي انشأته الطبيعة موزوناً متّصفاً بأعلى درجات
الانضباط بقوانينها؟! لماذا كان على الانسان ان يجعل من الجنس هاجسه الذي
استحوذ عليه حتى انساه كثيراً من الآداب التي خُلِق ليحرص على التأدُّب بها؟ ان
الذكر الانساني مشغول البال على الدوام بالجنس لا من أجل مصلحة يرجو ان
تتحقّق للنوع الانساني على يديه ولكن حرصاً على ان لا تفوته لذة الاستمتاع بما
جُعِل في هذا العمل من قدرة على بعث مشاعر التلذذ. فلو كان الانسان مخلوقاً
ينتمي بحق للطبيعة غير خارج على قوانينها الضابطة لفعالية على قدر عظيم من
الأهمية كالجنس، فلماذا اذاً نراه قد خالف عن أمرها القاضي بوجوب التقيُّد بأن
يكون الغرض من الاتّصال الجنسي بالآخر لا يتعدّى التشارُك معه في رفد النوع
بأفراد جُدُد؟! ان الانسان، ذكراً وانثى، يتميز بمقدرته الفذّة على جعل الجنس
محور حياته إطلاقاً واستقبالاً! فالذكر الانساني لا يشبع والانثى لا تكتفي
بحصولها على حمل بعلوقها من ذكرها! ان الانسان هو الكائن الحي الوحيد
الذي لا يواظب على شيء، مواظبة الحيوان على الأكل والشرب، كما يواظب
على الجنس وبكل صورة ممكنة؛ نكاحاً شرعياً، زنى، زنى بالنظر أو باللمس
والاحتكاك، شذوذاً بأنواعه التي ليس من اليسير حصرها عدداً ونوعاً! ما الذي
حدث للإنسان، ذكراً وانثى فجعل منه وحشاً جنسياً بهذه الصورة؟! ما الطبيعي
في ان يكون الانسان جنسياً الى الدرجة التي تجعل منه لا يتورع عن التحرُّش
بالصغار، ذكوراً واناثاً، وبالحيوان بل حتى وبأخيه الانسان ميتاً؟! ان ذكر
الحيوان قد يشذ شذوذ الذكر بالذكر اذا ما حيل بينه وبين الانثى في موسم السفاد
والتزاوج حيث لا صوت يعلو على نداء النَّزْو؛ فيقوم باستبدال انثاه بذكرٍ كَرهاً لا
طوعاً ورغبة. اما الانسان، فعلى الرغم من تواجد الجميلات من بني آدم حواليه

فانه لا يجد غضاضة في الاتيان بالمنكر الأعظم والفاحشة العظمى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشُّعَراء: ١٦٥ - ١٦٦]. فالحيوان اذ يشذ فانه لا يفعل ذلك عن سابق قصد ونار رغبة؛ بل يفعله مضطراً غير باغٍ ولا عادٍ اذا ما توفّر له ما يجعله لا ينصرف الى الجنس المثيل تنفيذاً لأمر النوعِ بالصورة المنحرفة اياها! أما الانسان فانه لا يلجأ الى الجنس المثيل اضطراراً بل رغبة وحرصاً وتقصُّداً؛ وهو من بعد هذا كله يجرؤ بأن يفاخر بكونه سيد هذه الأرض وبأنه خير من حيواناتها كلها جميعاً! ولكن، لماذا تحوّل الجنس من خادم للنوع عند الحيوان الى خادم للفرد عند الانسان؟ لماذا استحال الجنس حتى أصبح غولاً وحشاً في عالم الانسان؟ ان الجنس في عالم الانسان طاقة هوجاء لا ضابط لها؛ فهي تنحرف اذا ما كُبِحت لتتّخذ لها مسارب شاذة وذلك طالما لم يكن كبحها قد نجم عن سلوك حكيم ينظر الى الواقع بعين السائر على الطريق الإلهي الى الله فيراه على حقيقته لا كما يشتهي ويتخيّل الانسانُ العابث الماجن! فالجنس في عالم الانسان لا ضابط طبيعياً داخل الانسان يقوم بضبط مناسيبه والتحكّم في تياراته العنيفة الهادرة. فلماذا أصبح الجنس عند الانسان عنيفاً بهذه الصورة؟ لماذا تحوّل الجنس عند الانسان الى فعالية لا ترتبط بموسم محدّد المدة موقوت الأمد كما كان عليه قبل ان ينزع الانسان عنه لباس حيوانيّته؟! لقد تحوّل الجنس في عالم الانسان من نشاطٍ حيواني مُقنّن الى آخر لا ضابط له من قانون أو قاعدة يتقيد بهما فلا ينفرط له عقد فيصبح سائباً لا حكم لهما عليه! لقد رأينا كيف تحوّل العدوان عند الانسان الى عدوان ظالم لا علاقة له بالسلوك العدواني عند الحيوان. ان خروج الانسان على قوانين الطبيعة تجلّى في أفظع صورة بانفراط عقد العدوان لديه وتحوّله من سلوك منضبط بأوامر وضوابط الطبيعة الى سلوك شاذٍّ أهوج جعل من الانسان الكائن الحي الوحيد الذي يُفسد في الأرض ويسفك الدماء. ولقد تعرَّفنا فيما مضى من صفحات على ما جعل من الانسان وحشاً مجرماً خارجاً على قانون الله في الطبيعة بدءاً من الاصابة الفايروسية التي ألمّت بأسلافه الأواخر وانتهاءً بأكلنا من تلك الشجرة. ان انفراط عقد العدوان عند الانسان نجم عن رجوع مناسيبه الى أسوء مما كانت عليه من طغيان عند أسلافنا الأواخر وذلك اثر سريان سُم تلك الشجرة الفضائية في المادة الدماغية لآدم مما تسبّب في

تلويث مِداد الوثيقة الوراثية بما حتّم علينا ان نرث عنه إجرام قومه وإفسادهم في الأرض وسفكهم الدماء! لذا فهل يُعقل ان تلتاث تلك المناطق من دماغ الانسان المسؤولة عن ضبط السلوك العدواني لديه حتى لا يطغى فيستحيل طغياناً وظلماً واعتداءً غير مُبرَّر على الآخر وتبقى المناطق الدماغية الجنسية بمنأى عن تأثير ذلك السُم الفضائي فلا يحل بها هي أيضاً ما حلّ بسابقتها من طغيان وانفراط وخروج على الضوابط وانفلات وإسراف؟! ان زوال الكوابح ورفع الحواجز المسؤولة عن تنظيم النشاط الجنسي للانسان أدَّيا الى جعله الكائن الحي الأكثر انشغالاً بالجنس على هذه الأرض! فلقد فقد الانسان ما كان يجعل من آبائه الأقدمين يتقيدون بموسم تزاوج ذي أمد محدد وأصبح يمارس الجنس بلا ضابط من استجابةٍ لنداء النوع بوجوب تشاركه مع انثاه في عملية الغرض الوحيد منها، والذي يجب ان يحرصا على ضرورة تحقيقهما له، هو رفد النوع بأفراد جدُد. لذا فبدلاً من انضباط الانسان وتقيّده بوجوب ان يكون قيامه بالعمل الجنسي خالصاً لوجه النوع، أخذ الانسان يمارس الجنس تلذّذاً واستمتاعاً! لقد أصبح الانسانُ الكائنَ الحي الوحيد الذي يحرص على القيام بالعمل الجنسي لغرض الحصول على اللذة والمتعة! ان كل النظريات التي صاغتها عقول واضعي الوثيقة العلمية عاجزة تمام العجز عن التعليل لهذا النشاط الجنسي المفرط لأفراد الجنس البشري والذي يجعل منهم عاجزين عن ان يفكر واحدهم بالآخر من أفراد الجنس الآخر الا على أساسٍ من كونه أداة للجنس ليس الا! ان التفوّق الجنسي للانسان على جميع الكائنات الحية الاخرى التي تتواجد معه على هذه الأرض يمثِّل تهديداً خطيراً يمس أمن واستقرار البنيان المعرفي الذي شيّده علماء البايولوجيا التطورية وفسّروا بوساطته الظاهرة الانسانية بدلالة ما هو حيواني ليس الا! فليس هناك على الاطلاق اي سببٍ طبيعي مُنتم لهذا الواقع بمقدوره التعليل لما يتميز ويتفرّد به الانسان من نشاط جنسي مُفرَط. اذ كيف يمكن، على هذا الاساس، تفسير خروج النشاط الجنسي للانسان على قوانين الطبيعة بهذه الصورة الصارخة التي تتجلّى في إستبعاده واطّراحه جانباً أية ضوابط تقيّد رغباته الجنسية المُستعرة؟! فليس هناك في الطبيعة ما يمكن استقدامه للتعليل لهذا الخروج الانساني الفاضح على قوانينها التي قيّدت بها جميع مفرداتها وكائناتها. ان الاسراف الجنسي هذا لا مُبرِّر له على الاطلاق في طبيعة لا تعرف البذخ والترف

والافراط! ان الشجرة الفضائية التي أكلنا منها مع أبينا آدم هي التي تسبَّبت في جعلنا جنسيين الى هذه الدرجة العجيبة. فلم يكن لهذا الواقع الموزون المضبوط المُحكَم ان يتسبَّب في ظهور كائن جنسي خارق كالانسان! لقد سرى ذلك السُم غير الأرضي في عروقنا فجعل منّا مهتاجين جنسياً على الدوام On Heat! ولكن، هل لهذا الهيجان الجنسي للإنسان ان يكون ذا فائدة ونفع؟ هل بامكاننا ان نتلمس آثار رحمة الله بالانسان بتدبّرنا ما آل اليه أمره؟ لقد تبيّن لنا ان انفراط عقد العدوان عند الانسان قد نجم عنه تحوّله الى وحش كاسر، فهل يتوجّب على انفراط عقد الجنس لديه ضرورة ان يتمخّض عنه ما هو ليس بنافع له؟ لنبحث الأمر ملياً بتدبّر الآية الكريمة التالية: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرُّوم: ٢١].

نستبين من هذه الآية الكريمة ان الله جعل بين الذكر الانساني وزوجه مودةً ورحمةً وسكينة. ولكن، ألا يكفي هذا دليلاً على تدخُّل إلهي يتجلّى بتعطيل الله لقانون التواجد الانساني على هذه الأرض كما ورد في الآية الكريمة ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾. فلقد حكم الله على الانسان بأن يكون تواجده في الأرض بين ظهراني اخوته البشر قائماً على أساسٍ متين من شعور مُتبادَل بالعداوة غير المُسبَّبة والبغضاء المتأصِّلة واحساس غامض مُبهم بعداء مستتر ونزوع الى الانفجار المفاجئ عدواناً ظالماً واعتداءً آثماً. فكيف كان بوسع الرجل والمرأة ان يتواجدا على مقربة من بعضهما البعض فلا يستشعرا نار هذه العداوة الفطرية المتأصّلة فتحول دون ان يكون بمقدورهما ان يتشاركا في حياة واحدة وعيش مشترك؟! ان الناظر الى الانسان لَيعجب من هذا التناقض الصارخ في سلوكه تجاه الآخر ذكراً وانثى! فهو يجاهر بعدائه لأخيه الإنسان ذكراً مجاهرته بانجذابه للانثى من بني الانسان! فانك لتنظر اليه تارةً فتراه كيف يُبادئ أخاه الانسان بالعداوة والجفاء وتنظر اليه تارةً اخرى فتراه كيف يُبادئ الانثى من بني آدم بالمودة والرحمة والسكينة! لقد جعل الله في سُم تلك الشجرة عسلاً تكفَّل بتحوير النشاط الجنسي للإنسان واعادة صياغته بما من شأنه ان يُؤمِّن للذكر والانثى تعايشاً سلمياً في ظل انفراط عقد العدوان لكليهما جرّاء تأثير ذلك السُم

عليهما. ان النشاط الجنسي الانساني المفرَط كان الحل الوحيد لاستمرار الحياة، بقانون التواجد الانساني اياه، على هذه الأرض. فلم يكن للنوع الانساني ان يبقى فلا ينقرض اذا ما كان ذلك السُم الفضائي ليفعل فيه من دون مشاركة فاعلة من عسلٍ فضائي مدسوس بين ثناياه يتيح لأفراده ان يكفّوا أيديهم عن بعضهم البعض عندما يتعلّق الأمر بالعلاقة ما بين ذكورهم واناثهم! لقد تكفّل الله بجعل الرجل والمرأة بوسعهما التعايش سوية استثناءً من القانون الالهي الذي أوقع الانسان نفسه في براثنه يوم ان أكل من تلك الشجرة فتوجّب عليه ان يعاني من نار عداوة ليس يفقه لها سبباً كلما تواجد على مقربة منه واحد من بني جلدته العارية عديمة الشعر! فلو لم يجعل الله من الجنس مُنفرط العقد مُفرطاً لما استطاع الانسان ان يبقى ولا ينقرض من بعد إِهباط الله له من الجنة الى الأرض! لقد نجم عن السُم المعسول الذي أكلنا منه مع أبينا الأول آدم ان أصبح بمقدورنا البقاء على الأرض حتى يوم القيامة يقتل بعضنا بعضاً ولكن من دون ان يتقاتل الذكور الا فيما بينهم الا قليلاً! ان الله لم يجعل مُقام الانسان على هذه الأرض خالياً من آثار رحمته التي وسعت كل شيء. فلقد بيّن الله في قرآنه العظيم ان من آياته ودلائله وبراهينه التي تدل عليه انه خلق لنا من أنفسنا أزواجاً لنسكن اليها وجعل بيننا مودةً ورحمةً. فهذه المودة التي جعلها الله بين الرجل والمرأة هي السبب في بقاء النوع الانساني الى يومنا هذا على الرغم من سريان قانون التواجد الانساني القاضي بوجوب ان يكون بعضنا لبعض عدو! مرة اخرى نتوجّه بأسئلتنا الى مُنظّري الوثيقة العلمية! فاذا كان الانسان على هذه الدرجة المرعبة من عَداوته لبني جِلدته البشر، فلماذا لم ينقرض النوع الانساني؟ لماذا كان ما بين الرجل والمرأة مودةً ورحمة وما بين الرجل والرجل عداوةً وبغضاء؟ يقول الله في قرآنه العظيم انه هو الذي جعل بين الرجل وزوجه مودةً ورحمة. اننا الآن في موقع يتيح لنا رؤية آثار تدخّل الله هذا في الخِلْقة الانسية، ذكراً وانثى، بما كفل للنوع الانساني ان لا ينقرض! أفليس في هذا آية على فعل الله ودليلاً على ما قام به لضمان عدم فناء الانسان على يد أخيه الانسان؟ ان الله بتدخّله الرحيم هذا قد شرع الباب لظهور واحد من أبرز ميزات الجنس البشري؛ الا وهو الحب ! Love ان الحب الناشئ بين الذكر والانثى لم يكن لينشأ لولا ذلك التأثير الذي أحدثه فينا أكلنا من تلك الشجرة الفضائية. فالحب اذاً جنسي النشأة والأصل لامحالة.

لقد ورث بنو آدم عن أبيهم العداوة فيما بينهم ذكوراً والحُب فيما بينهم اناثاً وذكوراً! فالذكر الانساني اذ يُعادي أخاه الانسان الذكر فان بامكانه ان يحب الانثى من بني جِلدته البشر! وهذا الحب ما هو الا رسالة جنسية ليس الا! فلم يكن للحب بين الذكر والانثى ان ينشأ الا بتحوّل الانسان من الحيوان الخارق الذي كان يُمثِّله الى هذا الكائن الإنسي الخارق الذي أصبحه. فالحب اذاً ظاهرة خارقة طالما لم يكن للطبيعة ان تقوم بخلق هكذا علاقة خارجة على قوانينها! والحب يُمثِّل مفردة من أهم مفردات الظاهرة الانسانية التي تَبيّن لنا انها ظاهرة لا يمكن ان تكون الا خارقة خارجة على قوانين الطبيعة طالما كان الانسان مخلوقاً ارضياً ـ فضائياً لا ينتمي بالتمام والكُلية لهذه الطبيعة! الا ان الحب، بعدُ، لا علاقة له بالروح كما يحلو للمتفلسفين ان يُعلّلوا لوجوده! فهو ليس الا فاعلية جنسية مادية المَظهر والمَخبر! ان عدم وجود الحب في عالم الحيوان لا يكفي دليلاً وبرهاناً على كونه روحي الأصل والمصدر! فالحيوان لا يستطيع ان يحب كما يحب الفتى فتاته وتحبه لأن الله لم يجعل من الطبيعة مسرحاً للعشاق والأحِبة ينشغل واحدهم بالآخر عن الالتفات بالكامل والانصراف بالكلية الى الواجبات الملقاة على عاتق كل منهم تجاه النوع والتي لن يعود بمقدورهم ان يقوموا بانجازها على أتم وأكمل وجه اذا ما هم تشاغلوا عنها بهكذا ترف كالحب! لقد فعل ذلك السُم الفضائي فِعله في الانسان اذ جعل منه كائناً عاشقاً يهوى ويحب الآخر من بني جلدته العارية مادام هذا الآخر مخالفاً له في الجنس ذكورةً أو انوثة! اننا مدينون لآدم وزوجه، أبوينا الأولَين، بقدرتنا على ان يعشق ذكرنا انثانا. لقد نشأ الحب بسببٍ من سَريان مادة تلك الشجرة في عروقنا وتسلُّله الى أعمق نقطة في وجودنا الحي ممثَّلةً بالمنظومات البايوالكترونية للمناطق من دماغنا الانساني المسؤولة عن تنظيم وضبط العلاقة بالآخر ذكراً وانثى. فلو لم يجعل الله من تلك المادة الفضائية تُحجِم عن الإضرار بعلاقة الجنسين احدهما بالآخر كما فعلت واضرَّت بعلاقة الذكر بالذكر والانثى بالانثى، ولو لم يَقُم الله بالتدخُّل في طبيعة ما يربط بين الجنسين من علائق جنسية تدخّلاً أسفر عن تحطيم الموانع التي كانت تحول دون الافراط في الجنس في عالم الحيوان اذ تُقيّده بموسم النَزْو فحسب، لما تسنّى للنوع الانساني ان يكون بمقدوره ان يبقى على قيد الحياة. فلقد سمح هذا السلوك الجنسي غير الطبيعي بأن تنشأ علاقة غريبة بين المرء

وزوجه قائمة على أساسٍ غير طبيعي من تعلّق الواحد بالآخر تعلّقاً لم تألفه الطبيعة عند غير هذا الانسان الخارج على قوانينها! لذا فأكلُنا من تلك الشجرة لم يكن وَبالاً مطلقاً علينا طالما أتاح لنا التنعُّم بظاهرة جميلة كالحب! وقد يقول البعض بأننا نغالي في إرجاع الحب ما بين الذكر والانثى الى مجرد ما نجم عن اختلال مناسيب تيارات العلاقة الجنسية بالآخر طغياناً وعُلوّاً! فالحب في نظر هذا البعض ليس مجرد بنيان مُشيَّد على أساسٍ جنسي القواعد واللَبِنات؛ فهو علاقة رومانسية قد تقنع من الآخر من أفراد الجنس الآخر بأدنى ما بامكانه ان يجود به حتى وان لم يكن جنساً. يظن هذا البعض ان الانسان كائن مثالي كامل وان عَزْو الحب الذي يتميز به على الحيوان الى نشاط جنسي ليس الا ما هو الا تحطيم للكمال الانساني الذي لا يوجد الانسان الا به! يبدو ان كثيراً من أدعياء الكمال الانساني ممن يتوهمون ان بامكانهم إرجاع الحب الى اصول غير جنسية قد فاتهم ان الذكر والانثى الانسانيين لا يشرع أحدهما بالاهتمام المفرط بالآخر الا بتخطّيهما عتبة البلوغ وبدء اشتغال المنظومة الجنسية في جسميهما! ان المراهَقة Teenage هي العصر الذهبي للحب ما بين الذكر والانثى! ان هؤلاء لَيقولون إن الحب لا ينشأ عن الجنس ضرورةً وينسون ان الأطفال حتى سن البلوغ ليس بمستطاعهم ان يُعانوا من أحاسيس حب أصيلة صادقة غير مُتَخَيَّلة ولا مُقلَّدة ولا مُدّعاة! فالأطفال لا يأبهون للجنس الآخر كما يعبأون ببعضهم البعض ذكوراً وببعضهم البعض اناثاً! اننا لَننظر الى عالم الأطفال فنعجب لِما نظنه براءةً من جانبهم تميز علاقة بعضهم ببعض ذكوراً واناثاً. وما تلك البراءة الجنسية الا الدليل القاطع بصحة كون الجنس هو حجر الأساس في نشوء الحب بين الذكر والانثى بعد تجاوزهما عتبة البلوغ حيث يبدأ الاهتمام الجدّي بالآخر من أفراد الجنس الآخر. ان حياة الانسان المراهق تتغير بالكامل بعد هذه العتبة لتصبح مجرد انشغال متعاظم يوماً بعد آخر بالجنس؛ نعني بالجنس الآخر! فالآخر، ذكراً أو انثى، سوف يكون (أو تكون) محور حياة المراهق، ذكراً أو انثى. ان العنف الذي نعرفه عن الحب في سن المراهقة مَضرب الأمثال؛ فكيف نُغمِض أعيننا عن هذه الحقيقة الناطقة بوثيق الارتباط بين الحب والجنس فنقول، انتصاراً باطلاً لكمالٍ انسانيٍّ مزعوم، بأن الحب والجنس ضدان متنافران وإن التقيا؟! لقد جعل الله من تلك المادة الفضائية تُعيد تنظيم بايوكيمياء المناطق الدماغية ذات الصلة

بالعلاقة الجنسية بالآخر بما من شأنه ان يجعل من منظوماتها البايوالكترونية غير قادرة على ان تدفع بالانسان الى العدوان الظالم على هذا الآخر مادامت بايوكيمياء المناطق الدماغية ذات الصلة بالعلاقة غير الجنسية بالآخر (منظومات العدوان) لم يطرأ عليها ما يُحتِّم ان تقوم منظوماتها البايوالكترونية بدفع الانسان الى العدوان الظالم على الآخر حتى وان كان من أفراد الجنس الآخر! فالعلاقة المُعتادة بين الذكر والانثى هي ضديد العلاقة المُعتادة بين الذكر والذكر أو الانثى والانثى! فما بين الذكر والانثى من مودة ورحمة وسكينة وسلام هو نقيض لما بين الذكر والذكر او الانثى والانثى من عداوة فِطرية متأصِّلة لا سبب ظاهر لها! فكما ان العداوة ما بين الذكر والذكر أو الانثى والانثى هي فطرية متأصِّلة لا سبب ظاهر لها فان المودة بين الذكر والانثى فطرية متأصِّلة سببها باطن في أعماق سحيقة داخل منظوماتنا البايوالكترونية! الا ان هذه العلاقة المُعتادة بين الذكر والانثى قد تنقلب عداءً سافراً مُستعر الأوار وحشياً بما لا طاقة لعقلٍ بسيط (غير معقد) على تصوُّر مديات تجلّياته إجراماً عنيفاً وانتقاماً كاسراً! فانقلاب العلاقة المعتادة بين الذكر والانثى على هذا الشكل المُخيف المُرعِب، كما يتجلّى بأقصى مدياته تطرّفاً وقسوة في جرائم الاغتصاب والتعذيب الجنسي وباقي صنوف الاجرام الجنسي التي لا تعرفها الطبيعة السمحة البيضاء كما تتجلّى في عالم الحيوان، ليس بالأمر البعيد حدوثه في عالم الانسان الذي خرج على قوانين الطبيعة بالقوة قبل ان يخرج عليها بالفعل! فالانسان ليس بمنأى عن ان ينجرف الى أقصى نقطة في عالم الاجرام والاعتداء الظالم على الآخر، ذكراً كان ام انثى، شَريطة استثارته الى حدٍّ يكفل لمنظومات العدوان لديه ان تعمل بأقصى طاقتها حتى لا يعلو صوت على صوتها ولا يطغى بأعلى صوتٍ الا زعيقها الهادر الذي يدفع بالانسان الى القيام بما ليس بوسع أحد ان يتخيّله إجراماً ووحشية! فالعلاقة المُعتادة بين الذكر والانثى لم تقُم على أساسٍ قوي متين يكفل لها ان لا يطغى على صوتها صوتٌ داخل مَعْمعان الدماغ الانساني المُبتلى بمادته الخارجة على قوانين الطبيعة! فالحب العارم والعشق الجارف قد ينقلبان ليصبحا كراهية لا حد لها وحقداً اسوداً بشعاً ليس باليسير وصفه ما ان يتواجد صوت آخر بجانب صوت المودة ونداء الرحمة اللذين جعلهما الله داخلاً من الذكر والانثى يعملان بتواجدهما على مقربة من بعضهما. فاذا ما تحقّق

تواجد هذا الصوت الآخر، باشتغال منظومات العدوان الظالم وغيرها من منظومات الاعتلال النفسي التي سبق الاشارة الى بعض ثمراتها الخبيثة من سوء ظن وشك وريبة واتّهام وغيرة طاغية، على مقربة من صوت الجنس فان النتيجة سوف تكون انقلاب الحب الى بغض وكُره وحقد قد ينفجر على أية صورة من صور العدوان الجنسي على الآخر! ان هذا الانقلاب الدراماتيكي العنيف ليس أمراً عَجباً طالما صدر عن هذا الانسان الذي علينا ان نتوقع ان يصدر عنه كل ما من شأنه ان يفاجئنا بفرط وحشيّته وقسوته وإجرامه! فالانسان كائن مريض الدماغ طالما كانت هذه المادة الفضائية الغريبة Alien داخله! ولأنه مريض بهذا المرض الدخيل الوافد فليس من المستبعد قيامه بكل ما هو مفرط في غرابته وجنونه واجرامه! ان كل ما أنتجه هذا الانسان ممثلاً بانجازات الشواذ من أفراده طغياناً وظلماً وافساداً في الاجساد بكل صورة متخيّلة وغير متخيّلة لا يمكن ان يُصار الى اعتباره حكراً على مَن قام به وذلك بأن تُقرَن هذه الفظائع المريعة بالشواذ فقط من أفراد النوع الانساني! فالنوع الانساني مُلتاث الدماغ برمَّته؛ وكلّنا جميعاً نحمل داخلنا بذور الشر التي اخرجت نبتها الخبيث على أيدي مَن نصفهم بالشواذ منا! فكلنا شاذ ولكن بانتظار الفرصة ليخرج الوحش من مكمنه ويُسقِط عنه قناعه فيظهر على حقيقته وبوجهه الحقيقي! وما تعاطفنا، المُستتِر، مع الكثير من السفّاحين والمهووسين الجنسيين الا تعبيراً عن هذا الاحساس المتناغم والشعور المشترك فيما بيننا! ان السير على الطريق الإلهي الى الله وحده بمقدوره ان يقضي على كل أثر لتلك المادة الفضائية داخلنا حتى لا يعود بامكان الانسان ان ينقلب وحشاً كاسراً كلّما فرَك علاء الدين مصباحه!

٣ ـ ١٢ آدم العهدَين أم آدم القرآن العظيم؟!

لم ترد في العهد الجديد أية اشارة الى قصة آدم كما فصَّلها القرآن العظيم وشدَّد عليها في مواطن ومواضع منه كثيرة. فخلا اشاراتٍ عابرة الى خطيئة آدم لم يرد في العهد الجديد شيء يتناول خلْق آدم وما جرى له من تسويةٍ ونفخ فيه من روح الله وخلقٍ في أحسن تقويم واصطفاءٍ من قِبَل الله خليفةً في الأرض وإسكانٍ وزوجه الجنة وأكلٍ من الشجرة وما أعقب ذلك من إهباطٍ وتوبةٍ مَنَّ الله بها عليه اذ ألقى اليه بكلمات تاب على إثرها

واهتدى. كما ان قصة آدم في العهد القديم قد تم إجمالها في سفرٍ واحد من أسفاره هو سِفر التكوين. على ان ما ورد في هذا السفر من قصة آدم لا علاقة له بما ورد في القرآن العظيم من تفاصيل بيّن الله بها مفردات لا سبيل للعثور عليها في غير هذا الكتاب الذي فُصِّلت آياته من لدُن حكيم خبير. لنتأمل الآن في ما ورد في العهد القديم من قصة آدم:

من الإصحاح الأول:

وقال الله لِتفض المياه زحافاتٍ ذات نفسٍ حيةٍ وليطِر طيرٌ فوق الأرض على وجه جلد السماء فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التي فاضت بها المياة كأجناسها وكل طائر ذي جناح كجنسه. ورأى الله ذلك انه حسن وباركها الله قائلاً أثمِري وأكثِري واملإي المياه في البحار. وليكثر الطير على الأرض وكان مساءٌ وكان صباحُ يوماً خامساً وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها. بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها. وكان كذلك فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها. ورأى الله ذلك أنه حسن وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشَبهنا. فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض. فخلق الله الانسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكراً وانثى خلقهم وباركهم الله وقال لهم اثمروا وأكثروا واملأوا الأرض واخضعوها وتسلّطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض. وقال الله اني قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزراً على وجه كل الأرض وكل شجر فيه ثمر شجر يبزر بزراً. لكم يكون طعاماً ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دبابة على الأرض فيها نفس حية اعطيت كل عشب أخضر طعاماً وكان كذلك ورأى الله كل ما علمه فاذا هو حسن جداً وكان مساء وكان صباح يوماً سادساً.

الإصحاح الثاني:

فأُكمِلت السموات والأرض وكل جندها وفرغ الله في اليوم السابع من عمله

الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل وبارك الله اليوم السابع وقدّسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً. هذه مبادئ السموات والأرض حين خُلقت يوم عمل الرب الاله الأرض والسموات. كل شجر البرية لم يكن بعد في الأرض وكل عشب البرية لم ينبت بعدُ لأن الرب الاله لم يكن قد أمطر على الأرض ولا كان انسان ليعمل الأرض. ثم كان ضباب يطلع من الأرض ويسقي كل وجه الأرض وجبلَ الرب الاله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية وغرس الرب الاله جنة في عدن شرقاً ووضع هناك آدم الذي جبلهُ وأنبت الرب الاله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل وشجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر وكان نهر يخرج من عدن يسقي الجنة.

وأخذ الرب الاله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها. وأوصى الرب الاله آدم قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً واما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها. لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت. وقال الرب الاله ليس جيداً ان يكون آدم وحده فاصنع له معيناً نظيره وجبلَ الرب الاله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها الى آدم ليرى ماذا يدعوها. وكلما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها. فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية. واما لنفسه فلم يجد معيناً نظيره. فأوقع الرب الاله سباتاً على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً وبنى الرب الاله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها الى آدم فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي هذه تُدعى امرأة لأنها من امرءٍ أخِذت. لذلك يترك الرجل أباه وامه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً. وكانا كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لا يخجلان.

الإصحاح الثالث:

وكانت الحية أحيل جميع الحيوانات البرية التي عملها الرب الاله. فقالت للمرأة أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة. فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل. واما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسّاه لئلاّ تموتا. فقالت الحية للمرأة لن تموتا. بل الله عالم انه يوم تأكلان

منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر. فرأت المرأة ان الشجرة جيدة للأكل وانها بهجة للعيون وان الشجرة شهية للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل. فانفتحت أعينهما وعلما انهما عريانان فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر.

وسمعا صوت الرب الاله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الاله في وسط شجر الجنة فنادى الرب الاله آدم وقال له أين انت فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت فقال من أعلمك انك عريان هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ان لا تأكل منها فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت فقال الرب الاله للمرأة ما هذا الذي فعلتِ فقالت المرأة الحية غرّتني فأكلت. فقال الرب الإله للحية لأنكِ فعلتِ هذا ملعونة انتِ من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنكِ تسعين وتراباً تأكلين كل أيام حياتكِ. وأضع عداوة بينكِ وبين المرأة وبين نسلكِ ونسلها. هو يسحق رأسكِ وأنتِ تسحقين عقبهُ. وقال للمرأة تكثيراً أكثر أتعاب حبلكِ بالوجع تلدين أولاداً. والى رجلكِ يكون اشتياقك وهو يسود عليك. وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتأكل عشب الحقل بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود الى الأرض التي أخذت منها لأنك تراب والى تراب تعود. ودعا آدم اسم امرأته حوّاء لأنها ام كل حي وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما.

وقال الرب الاله هوذا الإنسان قد صار كواحد منّا عارفاً الخير والشر. والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا الى الأبد فأخرجه الرب الاله من جنة عدن. ليعمل الأرض التي أخذ منها فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة.

من الإصحاح الرابع:

وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت له قايين.

الفصل الرابع

﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾

آدم يفقد شعره

٤ ـ ١ العري الانساني ظاهرة خارقة للطبيعة!

يظن البعض من علماء التطور الانساني بأن الانسان فقد غطاءه الشعري الكثيف حسبما تقتضيه دواعي خضوعه لمبدأ الانتخاب الطبيعي Natural Selection. فالانسان أصبح عارياً إمّا لأنه غيَّر بيئته وإما لتسهل عملية التعارف بينه وبين الآخرين من بني جِلدته وإما لتسهيل نشوء واقامة علاقة جنسية قوية للغاية بالآخر من أفراد الجنس الآخر! ان جميع هذه النظريات تستند الى أسباب اجتماعية ليس لها القدرة على تفسير حدث كارثي مُريع كسقوط الغطاء الشعري عن الجسم الانساني. فهل كان أيٌّ من هذه الأسباب، او غيرها من مشابهاتها، ليستحق ان يُضحّي الانسانُ بشعر جسمه الغزير فيفقده ليُصبح عارياً عاجزاً عن مواجهة التغيُّرات البيئية بعزمٍ وقوة كما يفعل الحيوان؟! ان تنازل الانسان عن ميكانيكية العزل الحراري هذه لهو أمر على قدْر عظيم للغاية من الخطورة. اذ كيف يفقد الانسان غطاءه الشعري فيصبح في مواجهة محسومة سَلفاً لصالح التقلُّبات الجوية لمجرد حاجته لشيء ما كان بامكانه توفيره بأية طريقة اخرى من غيرما تضحية بهذا الشعر العزيز؟! ان علماء التطور الانساني اذ يظنون ان تنازُلَ الانسان عن شعر جسمه حدثٌ طبيعي لا يحمل دلالات كارثية فانهم ينسون شيئاً هاماً للغاية جلَّته مسيرةُ التطور والارتقاء. فكل ما يتم التنازل عنه، لسببٍ تطوري يستدعي ذلك، يجري استبداله بشيء آخر وذلك حتى يُضمَن عدم الإخلال بالصالح العام او الإضرار به. وهذا ما لاحظناه جلياً واضحاً كل الوضوح في اختفاء وظهور أعضاء ووظائف استدعت الضرورة ذلك. فلا يمكن ان يتم التنازل عن عضو ما، لأي سببٍ كان، ما لم يجري تأمين قيام عضو آخر بمَهام الوظيفة

التي كان ذلك العضو مُكلَّفاً بالقيام بها ما لم يتم التنازل عن تلك الوظيفة هي الاخرى. امّا ان يجري التنازل عن عضوٍ ما وذلك من دون ايكال مَهام وظيفته الى عضو آخر بحيث تُترك الوظيفة شاغرة وليس من أحد يشغلها فتتعطَّل أعمال النظام الحيوي في ذلك الجانب المتعلِّق بتلك الوظيفة فان هذا ما لم نعثر عليه في غير هذا الانسان! فالحيوان لا يفقد عضواً الا لعدم حاجته اليه ولا يبقى مكانُ وظيفةٍ شاغراً لديه بسببٍ من تنازله عن عضو ما! الا الانسان الذي يريدنا علماؤنا ان نُصدِّق معهم بأنه تنازل عن شعر جسمه لسببٍ استدعى ذلك ولم يَقُم بتكليف عضوٍ آخر بالمهام التي كان ذلك الغطاء الشعري مُكلَّفاً بها! ان الوظيفة التي كان الشعر الجسمي للإنسان يؤديها في الحفاظ على عزل حراري مناسب ظلت شاغرة ولم تُشغل ليومنا هذا الذي مازلنا فيه نقشعر من البرد ونضجر من الحر! يبدو ان الوقت أصبح الآن مناسباً للتعرُّف على جانب من جوانب التفكير الأخرق الذي يريدنا علماؤنا ان نشاركهم فيه! لنأخذ نظرية القرود المائية والتي ظن البعض من علماء التطور الانساني ان بوسعها تقديم تفسيرٍ ناجح لظاهرة عري الجسم الانساني. تتلخَّص هذه النظرية بأن أسلافنا القرود قد اتّجهوا صوب شواطئ البحار نتيجة شحة موارد الغذاء في الغابات وانهم تعلّموا السباحة مما أدى الى سقوط غطائهم الشعري وتحوّلهم الى قرود مائية. يُعزِّز أتباع هذه النظرية طرحهم العجيب هذا بحقيقة كون الفقمة والدولفين والحوت لا يملكون غطاءً شعرياً بل طبقة دهنية سميكة تُشابِه تلك التي يُظهرها التشريح تحت جلد الانسان Subcutaneous Fat. فالانسان يختلف بهذه الطبقة عن القرود البرية التي تخلو أجسامها من أي دهن تحت الجلد. ولكن لو صحَّ هذا التعليل لزوال الغطاء الشعري عن الجسم الانساني لكانت هذه الطبقة كافيةً لتقوم بمهامها في تأمين عزلٍ حراري مُماثلٍ لذلك الذي كان الغطاء الشعري يقوم بتأمينه ولما كنا نعاني الأمرَّين في الصيف والشتاء لولا ما أنعم به الله علينا من لباسٍ وأجهزة! لقد كان نشوء هذه الطبقة تحت الجلدية مناوَرة قام بها الجسم الانساني في محاولة من جانبه لتعويض النقص في العزل الحراري الذي سبَّبه سقوط الشعر عنه. الا ان هذه المحاولة لم تتكلّل بالنجاح. وهذا برهان آخر على لاطبيعية الجسم الانساني. اذ لو كان هذا الجسم حيوانياً بالتمام والكلية لكان بمقدور هذه الطبقة ان تنجح في القيام بواجبها في تأمين عزلٍ حراري كالذي كان الغطاء الشعري

يوفِّره للجسم قبل سقوطه! ان فقدان هذا الغطاء لم يتم بصورة تدريجية نتيجة للتطور وسُننه؛ بل تم بصورة فورية نتيجة لتلك الكارثة التي حاقت بالانسان الأول إثر أكله من تلك الشجرة. لذا فان الجسم الانساني لم يستطع ان يتغلَّب على هذا النقص الوظيفي وذلك بأن يقوم بتأمين تقنية بديلة لتقوم بما هو مطلوب! ان عجْز الجسم الانساني عن توفير هكذا تقنية بديلة عِوض الغطاء الشعري المفقود دليل قاطع ساطع على ان هذا السقوط للشعر عنه كان فجائياً ولم يحدث نتيجة مئات الآلاف من السنين تطوراً وارتقاءً الى هذا العري الخطير والذي ليس هناك ما يُبرِّره في عالم كعالم الطبيعة دَيْدَنه التوازن المُحكَم والاتِّزان الدقيق! ان العري الانساني ظاهرة خارقة لايمكن على الاطلاق الاتيان بتفسيرٍ طبيعي لها وذلك طالما كنا أشقياء بعرينا هذا وطالما عجزنا عن ان نفهم له سبباً! فهل يُعيدنا عَريُنا الى رُشدنا فنتدبَّر في حالنا علَّنا نفيق من هذا الوهم الذي جعلنا نظن بأننا والحيوان سواء في انتمائنا للطبيعة؟!

٤ ـ ٢ العري الانساني: لغزٌ لا حلَّ غيرَ اِلهيٍّ له!

ان سقوط الشعر عن جسم أبوينا آدم وزوجه جعل منهما عاريين بالكامل! ان عريهما لا يمكن لنا ان نتصوّره الا مشابهاً بالتمام والكمال للعري الذي تتصف به أجسام الأطفال! فالطفل البشري يولد عارياً وذلك على خلاف جميع أطفال الكائنات الحية الأخرى من ذوات الشعر! ولن يفقد الطفل البشري عريه هذا الا بصورة شائهة وذلك عند سن البلوغ؛ اذ يبدأ الشعر يغزو بشكل غير منتظم معظم أجزاء جسمه ما خلا المناطق الجنسية التي سوف تتميز عن باقي الجسم بنمو شعرٍ غزير كثيف حوالَي أجهزة الإتّصال الجنسي المتمركزة فيها! فالإنسان اليوم هو ليس آدم الأمس. فالإنسان الحالي يمتاز على أبيه آدم بكونه ذي شعرٍ جسمي. فهذا الشعر وان كان خفيفاً غير غزير فانه يبقى مميزاً له عن أبيه الأول الذي لم يبق على جسده أيُّ شعر على الإطلاق ما خلا شعر رأسه! لقد سقط الشعر عن جسم آدم وزوجه فأصبح جسماهما كطفلين من أطفال البشر! ان ظهور الشعر، شائهاً غير منتظم، على جسم الإنسان عند البلوغ يجعل منه كائناً وسيطاً بين آدم العاري بالكلية وآدم القديم الذي كان مغطّى بالشعر كلُّ جسمه! فالإنسان عند البلوغ لا يبلغ الحال الشعري الفقير للغاية الذي كان عليه

آدم بعد السقوط من بعد الأكل من الشجرة اياها! ان الإنسان البالغ يمتلك شيئاً من شعرٍ قليل بالمقارنة بأبيه الأول الذي سقط الشعر عن جسمه بالكامل. فالسؤال الذي بالمستطاع توجيهه الى مُفسِّري الوثيقة الدينية بخصوص الغطاء الشعري لجسم الانسان هو، لماذا خلق الله الانسان بهذا الغطاء الذي ليست هناك أية فائدة له؟ لماذا خُلِق الانسان بشعرِ جسمٍ فقير غير كثيف يفتقر الى التوزّع المتجانس المنتظم على كامل مساحة الجسم البشري؟! فاذا كان الله قد خلق الإنسان مرةً واحدة وليس بالتدريج، فلماذا لم يخلقه من دون هذا الشعر الجسمي؟ ان كون الإنسان ذي شعرٍ جسمي لا يمكن ان يقودنا الا الى استبعاد التفسير الذي جاء به مفسِّرو الوثيقة الدينية والذي يقول بأن الله قد خلق الانسان من الطين مباشرةً وذلك من دون المرور بسُلالات حيوانية عديدة وعلى مدى مئات الملايين من السنين. فهذا الشعر لا يمكن ان يتم تفسير وجوده على سطح جسم الإنسان البالغ الا بالانطلاق من ماضٍ حيواني حتّم على أجدادنا من أشباه الإنسان الأوائل ان يلبسوا هكذا غطاء شعري كثيف وذلك لتأمين تحقيق عزلٍ حراري مناسب يستطيع معه شبيهُ الإنسان ان يحيا في تناغم مع بيئته مهما تقلّبت درجات حرارة محيطه. ان الخلق المباشر للإنسان من طين كان سيستدعي عدم وجود غطاء شعري على سطح جسمه!

والسؤال الذي بالإمكان الآن مُواجهة منظِّري الوثيقة العلمية به هو، لماذا يوجد للإنسان غطاءٌ شعري يغطّي سطح جسمه بهذا الشكل المُهلهَل؟ ان أية اجابة على هذا السؤال المُحيِّر يجب ان تأخذ بنظر الإعتبار حقيقة كون هذا الغطاء الشعري غير تام التغطية لمجمل سطح الجسم البشري! لماذا كان على الإنسان ان يتخفّف من غطاء شعر جسمه اذا ما كانت لهذا الشعر فائدة مصيرية له؟ فاذا كان هذا الشعر الجسمي هاماً بدليل وجوده هذا، فلماذا لم يتم الإستمرار في الاحتفاظ به كثيفاً منتظم التوزيع على كامل سطح جسم الإنسان؟! لماذا لا يولد البشر بغطاءِ شعرٍ يغطّي جسمهم بكامله؟ لماذا لا يشرع شعر جسم الإنسان بالظهور الا باجتيازه عتبة البلوغ؟ هل يتوجّب على الإنسان البالغ حقاً ان يكون ذا شعرٍ جسمي؟ أليس الطفل هو أحوج من البالغ لغطاءِ شعرٍ جسمي بدلاً من بدلة مولده التي ليس بوسعها ان تستر عريه؟! فاذا لم نعرف السبب في كوننا

ذوي شعرٍ جسمي فنحن من باب أولى أعجز من أن نعرف سبب كونه بهذا الشكل المريض غير السَوي؟ لماذا فقدنا معظم شعر جسمنا على مر العصور؟! لماذا هذا الإرتباط ما بين بدء استكمال نمو الأجهزة الجنسية وبدء ظهور الشعر الجسمي على معظم سطح جسم الإنسان؟ ما الدور الذي سيضطلع بتأديته الشعر الجسمي من بعد دخول الطفل عالم المراهقة؟ لماذا كان هذا الشعر على هذه الصورة البائسة اذا ما كان حقاً قد قُصِد به القيام بدورٍ ما خدمةً للإنسان البالغ؛ خدمة لم يكن هناك من ضرورة مصيرية لنجاح الطفل الانساني في البقاء استناداً اليها؟! ان الدليل على كون الشعر الجنسي للإنسان لا يعترف بجنس صاحبه أو صاحبته هو ان شعر إِبطَي الذكر البالغ والأنثى البالغة على ذات الدرجة من الكثافة والتوزّع المنتظم. ان منطقة الإبْط هي ثاني المنطقتين، من بعد منطقة أجهزة الاتّصال الجنسي، اللتين تم تغطيتهما بشعرٍ جنسي كثيف خلافاً لباقي مناطق الجسم الانساني. ان الدور الجنسي لشعر إِبْط الرجل والمرأة لا يمكن انكاره في تأجيج اَوار الرغبة الجنسية وذلك عبر فعاليات تجميع وتركيز وإعادة بث وإرسال الروائح الجنسية الجاذبة. لقد انحسر الشعر الجسمي عن معظم مناطق سطح الجسم البشري وأصبح ما تبقّى منه فقير التوزيع سيّئه. فلماذا حدث هذا؟ ان بدء نمو الشعر، الجنسي والجسمي، بدخول الطفل عالم البالغين في عُمُر المراهقة مرتبط ببدء تدفّق المواد الجنسية في دمه! فاذا كان تدفّق المواد الجنسية هو السبب في ظهور شعر جسم الطفل البالغ على معظم أجزاء جسمه فان السبب في كون شعر جسم ذكر الإنسان أكثر كثافة وأحسن توزيعاً من شعر جسم انثاه، لابد وان يكون عائداً الى كون الذكر البشري يفوق انثاه مقدرةً وفاعليةً جنسية! فالشعر الجسمي والجنسي يشرع بالظهور عند الفتاة البالغة وذلك بسببٍ من تدفّق الكيمياويات الجنسية Sexual Chemicals في دمها فلماذا لا يكون تدفّق السوائل الجنسية المكثف لدى الذكر هو من وراء تفوق الذكر على الانثى بغطائه الشعري الكَث؟ ان الذكر الانساني ذو نشاطٍ جنسي يفوق نظيره عند انثاه وهذا لابد وان يكون ذا صلةٍ ما بتفوّقه الشعري عليها! فلو لم يكن الذكر البشري أكثرَ فاعلية جنسية من انثاه، وبما يستتبع ذلك من وجوب ان يكون هذا التفوق الجنسي قائماً على أساسٍ من كون الكيمياويات الجنسية الذكرية أكثر فاعلية من تلك الانثوية، لما كان شعره الجسمي بهذه الصورة المُميِّزة له عن اُنثاه التي تقل

عنه جنسية بسببٍ من قلّة موادها الكيميائية الجنسية!

ان النظريات التي حاول بوساطةٍ منها منظِّرو الوثيقة العلمية ان يُعلِّلوا لسقوط شعر الإنسان القديم وفق الأسس المعرفية التي انطلقت منها البايولوجيا التطورية المتمفصلة بمحورَي النشوء والإرتقاء، بعيداً عن الله، مُطالَبة بأن تعلّل لظهور الشعر مرةً اخرى من جديد على جسم الإنسان عند تخطّيه عتبة البلوغ! فاذا كان الإنسان القديم قد فقد شعر جسمه لأيٍّ من تلك الأسباب التي تفتّق عنها دماغ علماء أصل الإنسان، فلماذا عاد الإنسان الى ماضيه الشعري وبهذه الصورة الشائهة لا بغيرها وعند اجتيازه باب البلوغ لا قبله؟! ان سقوط الشعر عن جسم الإنسان القديم وفقاً لأيٍّ من الأسباب الواردة أعلاه كان ينبغي ان يكون سقوطاً دائمياً بلا رجعة فلماذا عاد ورجع من جديد؟! ولماذا لم يرجع الى سابق عهده من تغطية كاملة لمساحة الجسم البشري؟! ان لغز سقوط الشعر الانساني لا يعدله ويساويه إلغازاً واستعصاءً على التفسير والفهم العلميين سوى عودته ليظهر من جديد عند البلوغ!

٤ ـ ٣ الشعر الجسمي والشعر الجنسي!

اذا ما نحن أردنا أن نتخيل هيئة وشكل الإنسان الأول قبل أكْله من الشجرة فلنا ان نتصوره انساناً كأيٍّ من أفراد الجنس البشري المعاصر ولكن من بعد ان نقوم باكسائه، تصوُّرياً، بغطاءٍ شعري كثيف مُشابه للغطاء الشعري الذي يغطّي أجسام الحيوانات ذوات الشعر. فالإنسان القديم لم تكن انثاه تتميز عنه بغطاء شعري خفيف مقارنةً بغطائه الشعري الكثيف كما هو حال انثى الإنسان الحالي: انسان ما بعد الأكل من الشجرة! كان الإنسان القديم، ذكراً وانثى، لا يختلف عن الحيوانات ذوات الشعر في شيء وذلك على قدْر تعلّق الأمر بغطائه الشعري الكثيف. ولكن السؤال الذي يبرز عند مقارنة انثى انسان اليوم بذكره هو، لماذا تميّز الذكر البشري عن الانثى البشرية بكونه ذي غطاء شعري كثيف؟ لماذا لا يوجد هكذا امتياز للذكر الحيواني على انثاه؟ ما الذي حدث فجعل من انثى الإنسان ذات غطاء شعر خفيف مقارنةً بغطاء شعر الذكر الإنساني؟ كيف نفهم هذا الأمر من وجهة نظر نظرية النشوء والإرتقاء والتطور؟! ان كون انثى الإنسان أخفَّ شعراً من الذكر الإنساني أمرٌ لا يمكن تفسيره وفقاً لقوانين البايولوجيا

التطورية التي عجزت من قبلُ عن ان تُعلِّل لسقوط شعر جسم الإنسان وانحساره بهذا الشكل العجيب عن معظم أجزاء جسمه، خلا رأسه، واقتصار تمركزه من حول المناطق الجنسية وتحوّله من غطاء كثيف الى آخر خفيف! والآن، هل تستطيع ابستمولوجيا الخوارق كنظرية معرفة جديدة ان تقدِّم تفسيرها الخاص لظاهرة تميُّز الانثى من بني آدم بشعرٍ جسمٍ خفيف؟ ان الإجابة على هذا السؤال لابد وأن يتم التوصل الى صياغتها من بعدً الأخذ بنظر الاعتبار ان تحوّل الإنسان من طفل الى انثى بالغة أو ذكر بالغ بحلول ما يُسمّى بعُمُر المراهقة وذلك باستكمال نمو أجهزته الجنسية، أساساً وقبل كل شيء، يُصاحبه بدءُ نمو الشعر بصورة غطاء شعري غير متكامل يفتقر الى التجانس والتوزّع المتساوي المتماثل! ولكن، ما السبب في هذا التلازم المحتوم ما بين دخول الطفل مرحلة النضج الجنسي، باكتمال نمو أجهزة الإتّصال الجنسي في جسمه، وبدء نمو الشعر على معظم أجزاء جسمه العاري؟ لماذا يأخذ الطفل بالتحوّل التدريجي الى انسان قادر على تحقيق الإتصال الجنسي في تزامنٍ وتوازٍ مع تغيُّره الى انسان ذي شعر يتوزّع معظم أجزاء جسمه وذلك من بعد اقتصار وجود الشعر لديه، قبل دخوله عالم الجنس، على رأسه فحسب؟! هل يصح النظر الى هذا الظهور العجيب للشعر على معظم أجزاء الجسم البشري، بدخول الإنسان الطفل عالم الرجال والنساء، على انه فعالية تهدف الى القيام بدورٍ جنسي ما؟! ان هذا هو عين ما يؤمن به علماؤنا اليوم وهم يُدرِجون على رأس قائمة أهم الصفات الجنسية الثانوية التي تشرع في تمييز المراهق عن الطفل ظهورَ الشعر على المناطق الجنسية من جسمه! ولكن اذا ما سلّمنا جدلاً بدورٍ جنسي ما يتوجّب على الشعر الجنسي القيام به خدمةً للعملية الجنسية في أيٍّ من مراحلها، ابتداءً واكتمالاً، فهل لنا ان نسأل علماءنا عن الدور الجنسي الذي بامكانهم ان يعزوه الى الشعر الجسمي: الشعر في المناطق غير الجنسية؟! ان هذا يقودنا الى ضرورة طرح السؤال التالي: لماذا تتميز المناطق الجنسية بشعرٍ كثيف للغاية مقارنةً بشعر باقي مناطق الجسم؟! ان كثافة الشعر الجنسي تقرب عند معظم أفراد النوع الإنساني من كثافة شعر الرأس! ثم، ألسنا نلاحظ ان الشعر الجنسي للذكر البشري والأنثى البشرية يتميز بكونه على ذات الدرجة من الكثافة والتجانس في التوزّع المنتظم على عموم مساحة المنطقة الجنسية ذكرية كانت ام انثوية؟! لماذا اذاً يتماثل الإنسان ذكراً وانثى

وذلك على قدْر تعلّق الأمر بالشعر المحيط بالمناطق الجنسية فقط لا غير، ناهيك بالطبع عن منطقة الرأس؟! والآن حان الوقت لنعود الى طرح سؤالنا القديم: لماذا تتميز انثى الإنسان بشعر جسم خفيف بالمقارنة مع شعر جسم الذكر الإنساني الأكثر كثافة بكثير؟! نعيد صياغة السؤال من بعد الأخذ بنظر الإعتبار الاسئلة الواردة أعلاه: لماذا ينمو الشعر بنفس الدرجة من الكثافة على المناطق الجنسية للذكر والانثى البشريَين بينما تختلف كثافة الشعر الجسمي لهما لصالح الذكر؟! ان بدء ظهور الشعر عند البلوغ يُمثِّل عودةً شائهة الى الماضي السحيق للإنسان يوم كان حيواناً كثيف الشعر لا يختلف بغطاء شعره هذا عن أيٍّ من الحيوانات ذوات الشعر. ولكن، لماذا كانت هذه العودة على درجتين مختلفتين من القوة؟! لماذا عُدنا عودةً كاملة الى ماضينا الحيواني، على قدْر تعلّق الأمر بالشعر الجنسي، ولم نعُد اليه الا بصورة ناقصة مشوهة كما يثبت ذلك عدم اكتمال توزّع الشعر الجسمي على كامل الجسم البشري؟! لماذا تتماثل المناطق الجنسية للبشر مع نظائرها عند الحيوانات وذلك على قدْر تعلّق الأمر بالشعر الجنسي المتوزّع حَوالَي الأجهزة الجنسية؟! لنحاول الآن ان نقوم بلَملمة ما تناثر اسئلةً واجوبة تساؤلية ونحن نؤسس لصياغة إِجابةٍ على سؤالنا القديم لعلنا بهذا ان نصل الى إِجابات على جميع ما ورد أعلاه من أسئلة. ان بدء ظهور الشعر على جسم الإنسان عند البلوغ Puberty يجب ان لا يُفسَّر على أساسٍ من كونه، بشكلٍ مطلق، ذي غاية ترمي الى خدمة العمليات الجنسية وبما يكفل تحقيق الإتّصال الجنسي كهدفٍ نهائي لهذه العمليات! فالشعر الذي يشرع في الظهور والنمو عند البلوغ ينبغي ان يتم النظر اليه استناداً الى الموضع، أو المواضع، من الجسم الذي يتوزع عليه او من حوالَيه وذلك قبل ان يُصار الى تحديد الدور الذي يجب ان يُعزى اليه في خدمة الكائن البشري. وعليه، فان الشعر الجنسي الموجود في المناطق المحيطة بالأجهزة الجنسية لا ينبغي ان يُنظر اليه كما يُنظر الى الشعر الجسمي الذي يتوزع باقي مناطق الجسم! فالشعر الجنسي مُكلَّف بتأدية دورٍ يختلف ضرورةً عن الدور الذي ينبغي ان يقوم به شعرٍ باقي مناطق الجسم خدمةً لهذا الجسم. فالشعر الذي يحيط بالأجهزة الجنسية لابد وان يكون تواجُده هناك ذا مرام وأهداف جنسية: أي ذات صلةٍ بتأمين قيام تلك الأجهزة بواجبها في تحقيق الإتّصال الجنسي الناجح على أتم وجه! اما الشعر الجسمي

المتواجد بعيداً عن الأجهزة الجنسية فلا يمكن على الإطلاق ان يُقسَر على القيام بدورٍ جنسي ما وذلك انطلاقاً من توهّم غير مُسوِّغٍ لهكذا دور! اذاً ما الداعي لوجود الشعر الجسمي طالما لم تنجح النَظرية الجنسية بعزو دورٍ جنسي مقنع له؟ ان الشعر الجنسي يقوم بدورٍ فاعل في الحفاظ على أجهزة الاتّصال الجنسية؛ تلك الاجهزة التي جعل منها انتصابُ الإنسان سوياً على قدميه عُرضة للمخاطر التي تجنبتها الحيوانات وذلك بسببٍ من تمركز أجهزتها الجنسية في مناطق مستترة غير مكشوفة يتم الحفاظ عليها بكل وسيلةٍ ممكنة، مادامت هي كأس ماء الحياة الأبدية للنوع الذي تنتمي اليه، ناهيك عن كونها عادةً يتم تغطيتها بوساطةٍ من الذَنَب أو الذيل الذي اختفى من أجسام أشباه الإنسان وذلك بسببٍ من شروعها في المشي مستقيمةً على قدمين. اضافةً الى دوره في الحفاظ على الأجهزة الجنسية التي كشف النقاب عنها وجعلها معرَّضةً للأخطار انتصابُ الإنسان على ساقيه، فان الشعر الجنسي كان يُراد به أيضاً ان يقوم بتأمين ارسال الروائح الجنسية، ذكريةً كانت أم انثوية، عند حلول موسم تزاوج أشباه الإنسان وبما يجعل من انجذاب الذكر الى الإناث وبالعكس متحققاً بأنجح صورة. فالشعر الجنسي الكثيف يقوم بالإحتفاظ بالروائح الجنسية وتركيزها وإعادة بثّها وإرسالها قويةً مُركَّزة لتعمل على جذب عنصرَي العملية الجنسية للقيام بما يتوجّب عليهما خدمةً للنوع! أما الشعر الجسمي فكان يخدم أسلاف الإنسان من أشباهه المقربين خدمةً نفهمها بفهمنا لما يقوم به شعر جسم الحيوان من خدمة له! اذاً كان الشعر الجسمي يخدم أجسام أجدادنا الأقدمين من الحيوانات الشبيهة بالإنسان والتي نسَلَ منها أبونا الانسان الأول آدم كما يخدم الشعر الحيواني أجسام الحيوانات اليوم. ولكن، هل يقوم شعر جسم الإنسان المعاصر بخدمته كما كان يفعل من قبل؟! بالطبع لا. ولكن، لماذا سقط معظم شعر جسم الإنسان ولم يسقط شعره الجنسي؟! ان تماثُل كثافة الشعر الجنسي عند الذكر والانثى الإنسانيَين دليلٌ على كون الدور الذي يقوم به هذا الشعر في خدمة الأجهزة الجنسية لهما يستدعي ان تتم المحافظة عليه على ما كان عليه منذ أول ظهوره على مناطق الجنس لأجدادنا أشباه الإنسان! بينما يبرهن لاتماثُل الشعر الجسمي لذكر الإنسان وأنثاه على ان الدور الذي كان مَنوطاً به القيام به خدمةً للجسم قد تم التنازل عنه بسببٍ من حدوث شيءٍ ما في الماضي البعيد! ولكن، ما الذي حدث وأدى الى التخلّي عن

دور الشعر الجسمي في حماية وحفظ سطح جسم الإنسان من المُتغيِّرات البيئية حرارةً وبرودةً وغير ذلك؟ ان الدور ذا الأهمية الفائقة في الحفاظ على النوع وتكثير أفراده والذي تضطلع بتأديته الأجهزة الجنسية، مقابل الدور الأقل أهمية في الحفاظ على درجة حرارة سطح الجسم والذي كان يقوم بتأمينه الشعر الجسمي، هو الذي أدى الى بقاء الشعر الجنسي على ما هو عليه وتغيُّر الشعر الجسمي كثافة وتوزعاً منتظماً من بعد حدوث ذلك الشيء الغامض الذي أضرَّ بالشعر الانساني! ولكن، لماذا هذا الإرتباط الحتمي ما بين بدء استكمال نمو الأجهزة الجنسية وبدء ظهور الشعر الجنسي والجسمي عند بدء مرحلة البلوغ؟ ان نمو الشعر الجنسي قد أصبح الآن مفهوماً وذلك من بعد تِبيان وثيق ارتباطه باستكمال نمو الأجهزة الجنسية التي تستدعي المحافظة عليها وتأمين ارسال روائحها ضرورة ظهوره وبالتالي وجوده! ولكن، لماذا تلازمَ بدء ظهور الشعر الجسمي وبدء استكمال النمو الجنسي طالما لم يكن هناك أيُّ دورٍ لهذا الشعر في خدمة الفعالية الجنسية؟ ولماذا، مرة اخرى، تميَّز هذا الشعر بكثافته عند الذكر الإنساني وخفَّته عند الانثى الإنسانية؟! ان الذكر البشري يفوق أنثاه قابليةً جنسية فهل لهذا التفوُّق الجنسي ان يكون السبب في تميُّزه بكثافة شعره الجسمي عنها؟ ولكن كيف لنا ان نبرهن على ذلك؟

ان أهم ما يجب التعليل له ونحن نتدبّر ما حدث لشعر الانسان على مر الدهور والعصور هو ذلك التلازُم الحتمي ما بين ظهوره وبدء استكمال نمو أجهزة الإتّصال الجنسي لديه. ان الاجابة التعليلية المُرتجاة ينبغي القيام بصياغتها من بعد الأخذ بنظر الاعتبار ذلك التلازم الذي سبق وان تعرّفنا اليه عندما رأينا ان انفراط عقد السلوك الجنسي الآدمي قد رافقه سقوطُ الشعر عن جسم آدم وزوجه! ان انفراط عقد السلوك الجنسي الآدمي قد نجم عنه تخلّقُ وتدفّقُ مواد كيميائية جنسية أسّست له على قاعدةٍ صُلبة من تغيير في موازين النظام الجنسي البشري صوب الإفراط والزيادة. ولقد تواجدت مع هذه المواد الكيميائية الجنسية مواد اخرى تسبّبت في سقوط الشعر عن جسم الانسان الأول. ان هذا التواجد سوف يظهر من جديد عند البلوغ ولكن بصورة مختلفة هذه المرة؛ اذ يترابط ظهور الشعر، لا سقوطه، مع تخلّق وتدفّق المواد الكيميائية الجنسية إِثْر بدء

الفعاليات الجنسية بالعمل وشروع أجهزة الإتّصال الجنسي بالتهيؤ لممارسة دورها في خدمة النوع! فاذا كان سقوط الشعر عن جسم آدم وزوجه قد رافقه ارتفاعٌ حاد في نشاطهما الجنسي، بانفراط عقد النظام المتحكّم بالفعالية الجنسية، فلماذا لا يرافق بداية ظهور النشاط الجنسي ظهور الشعر على جسم الطفل وهو يعبر الى عالم الذكورة أو الانوثة؟! يبقى السؤال يدور حوالَي نقطة الاختلاف هذه: لماذا ترافَق الجنسُ مع سقوط الشعر اول مرة بينما رافقه ظهورُ الشعر في المرة الثانية! ان الجواب على هذا قد يكون مُتضمّناً بين ثنايا الملاحظة التالية: ان الشعر الجنسي يظهر بسببٍ من تخلّق وتدفُّق المواد الكيميائية الجنسية عند البلوغ وذلك لأنه شعر مرتبط بالفعالية الجنسية وجوباً. وهذا الظهور له يستدعي إرسال مادة محفِّزة لنموِّه وتخلُّقه. فهل تعمل هذه المادة على تحفيز ظهور وتخلُّق ونمو الشعر الجسمي أيضاً؟ ان الاجابةَ بالايجاب يوجبُها تذكُّرُنا بأن الفعالية الجنسية البشرية، بسببٍ من كونها غير مُنضبطة بضوابط القوانين الطبيعية بل محكومة بقدَر الافراط آدمي النشأة، سوف لن تعمل على تخليق مادة كيميائية محفِّزة لنمو الشعر الجنسي بتركيزٍ هو ذاته الذي كان مميزاً لأشباه الانسان بل بتركيزٍ عالٍ تسبّب به الإفراطُ الذي تميز به النشاط الجنسي للإنسان! ان هذه المادة سوف تعمل على تحفيز ظهور وتخلّق الشعر ليس فقط حوالَي أجهزة الإتّصال الجنسي بل على معظم أجزاء الجسم أيضاً!

ولكن، أليس عجيباً ان يكون الشعر الجنسي، الذي ينتشر حوالَي أجهزة الإتّصال الجنسي وتحت الإبط، هو الشعر الذي يتوجّب على سالك الطريق، ذكراً كان ام انثى، إزالته وذلك استكمالاً لمتطلبات الطَهارة؟ لقد رأينا سوية فيما تقدم ان هذا الشعر يتميز عن الشعر الجسمي، الذي ينتشر بصورة منتظمة خفيفاً على باقي مساحة الجسم، بكثافته وتجانس تغطيته للمناطق الجنسية وبشدة شبهه بالشعر الحيواني مقارنةً بالشعر الانساني الذي يمثله خير تمثيل الشعر الجسمي! ولقد عرفنا حينها ان الإنسان بتخطّيه سن البلوغ فانه يعود الى ماضيه الحيواني وذلك على قدْر تعلّق الأمر بالشعر الجنسي الذي سوف يشرع بالظهور والنمو بصورة تختلف عن تلك التي ينمو بها الشعر الجسمي. ان الطريقة اذ تُلزِم سالك الطريق الإلهي الى الله بوجوب ازالته وتخلّصه من الشعر الجنسي

فانها بذلك تؤكد على ان ماضي الانسان قد تمّت صياغته، لا كما يتوهم مفسّرو الوثيقة الدينية ومنظّرو الوثيقة العلمية، ولكن كما مرَّ بنا قبل قليل وذلك عندما تعرفنا الى أهم مراحل وصول الانسان الى هيئته الحالية نشوءاً وتطوراً وارتقاءً وانحداراً ورِدّةً!

ان الناظر الى انثى الانسان لابد وان يعجب لكون وجهها خالياً من الشعر وذلك اذا ما قارنه بوجه الذكر البشري الذي تُميّزه عنها كثافةُ الشعر المُكوِّن للشارب واللحية! ولكن، لماذا هذا التميُّز العجيب؟ لماذا سقط الغطاء الشعري عن وجه الانثى الآدمية ولم تسترجعه كما استرجعت شعرها الجنسي بدخولها عالم الانوثة من بعد تخطّيها عتبة البلوغ؟ لقد استعاد الذكر الانساني شعر وجهه بدخوله عالم الذكورة واجتيازه سن البلوغ، فلماذا لم تستعد انثاه شعر وجهها بالبلوغ أيضاً؟ ان الحل لهذا اللغز يكمن في تذكر حقيقة كون الشعر الوجهي للذكر الانساني ذي كثافة شديدة الشبه بالشعر الجنسي الذي يتوزع المناطق الجنسية الذكرية والانثوية على حد سواء! اذاً فالشعر الوجهي المميز للذكر البشري هو شعر جنسي وليس بشعر جسمي! لقد عرفنا قبل قليل ان الشعر الجنسي يختلف عن الشعر الجسمي وذلك لأنه يعود الى سابق ما كان عليه، في الأيام الغابرة من ماضينا الحيواني، من كثافة وتجانس توزُّع وانتشار وذلك من بعد تجاوز الانثى والذكر سن البلوغ. لذا فان كثافة الشعر الوجهي للذكر وانتشاره بصورة منتظمة على مجمل مساحة الوجه لابد وان يستدعي التدبُّرُ فيهما إرجاعَ ظهور هذا الشعر الى سببٍ هو ذاته الذي تدخَّل فجعل من الشعر يغزو المناطق الجنسية للذكر والانثى بصورة متجانسة انتشاراً وتغطية! ولكن، الا يقودنا كونُ الشعر الوجهي للذكر البشري على هذه الدرجة من الكثافة والانتشار والتغطية والارتباط ببدء اشتغال المنظومة الجنسية عند البلوغ؛ ألا يقودنا هذا كله الى وجوب التفكير بأسلافنا الأقدمين؟! فلقد تميز الأسلاف الأقدمين للجنس البشري بكون الذكور منهم اولي شعرٍ وجهي يُشابه، الى حد ما، الشعر الوجهي للذكر الحالي! لقد تميز الذكور من أشباه البشر بشوارب ولحى عن اناثهم اللائي لم يكن على وجوههن من شعر يشابه الشعر الوجهي الجنسي لذكورهن! فأشباه الانسان كانت وجوههم مُغطاة بشعر لا يختلف كثيراً عن الشعر الجسمي، غير

الجنسي، الذي كان يغطي معظم أجزاء الجسم آنذاك. والذكور منهم كان يميزهم عن اناثهم شعرٌ وجهي أشد كثافة وأغزر نمواً. لقد كان هذا التمييز جنسياً ليس الا! ولنا في الأسد خير مثال لتميز الذكر عن اناثه بشعرٍ رأسي غزير كثيف! ان كون الشعر الوجهي الأساسي لكل من الذكر والانثى من أسلافنا الأقدمين هو شعر جسمي هو الذي استدعى سقوطه مع ما سقط من غطاء شعري من على جسمَي آدم وزوجه من بعد الأكل اياه! اذاً لقد سقط الشعر الوجهي، غير الجنسي، عن وجهَي كل من الذكر والانثى من بني آدم ولم يستعِد الذكر من بني آدم من شعر وجهه، الذي كان عليه من قبل ان يأكل أبواه من الشجرة، الا ما كان منه جنسياً غير جسمي! لذا لم يكن لأنثى البشر ان تستعيد شعر وجهها الذي سقط؛ اذ لم يكن لأسلافها الاناث من أشباه الانسان غير شعرٍ جسمي غير غزير ولا كثيف مقارنةً بشعر وجه ذكورهن الجنسي الغزير الكثيف! ان الذكر من بني البشر يستعيد شعر وجهه، الجنسي المنشأ وذلك كما تستعيد اناثه شعرها الجنسي! اذاً أليس في كون المسيح ذي وجه خالٍ من الشعر الجنسي، والجسمي أيضاً، ما يجعل منه بحق أعجوبة الأعاجيب لقوم ساميين كانوا يتميزون بشوارب كثّة ولحى كثيفة؟! كان المسيح رجلاً بوجه طفلٍ؛ لذا فلقد كان انساناً لم يسبق لبني اسرائيل رؤيته!

٤ ـ ٤ الصلَع والماضي الآدمي للانسان!

لقد نجم عن تضرُّر المنظومة المسؤولة عن شعر الانسان ان أصبح نمُّوه على رأسه لا يقف عند حدٍّ معين فلا يتجاوزه! فشعر رأس الانسان يطول اذا ما هو لم يبادر الى قصِّه وذلك على خلاف شعر رأس الحيوان الذي ما ان يبلغ حداً مُعيَّناً حتى يستقر دونه فلا يتجاوزه البتَّة! ان الشعر الحيواني مُحدَّدٌ بوظيفةٍ تجعل منه مُقيَّداً بطولٍ معين لا يتجاوزه. اما شعر رأس الانسان فلقد نجم عن تضرُّر المنظومة المسؤولة عنه جرّاء تلك الأكلة الكارثة انْ فقد المقدرة على التقيُّد بالحد الذي كانت قد فرضته عليه وظيفتُه وذلك قبل ان يأكل أبواه من تلك الشجرة. لذا فلقد أصبح لا يعرف حداً لو انه ترك لحاله دون تدخُّل الانسان لقصِّه! ولكن، ما قصة الصلع الذي لا نجد له نظيراً في عالم الحيوان؟!

لعل من الميزات واضحة الإرتباط بالجنس البشري عموماً وبذكوره

خصوصاً تفرُّدهم بما يُعرف بالصلع أي السقوط الجزئي او الكلي، بسببٍ من وراثة أو مرض، لشعر الرأس. ان الحيوان المُشعِر لا يسقط شعره كما يسقط شعر نسبة كبيرة من أفراد الجنس البشري! فلماذا يسقط الشعر اذاً؟ ان هذا السقوط، جزئياً كان أم كلياً، دليل آخر على لاطبيعية الإنسان! ان الشعر يسقط بسببٍ غير بعيد عن السبب الذي أدى الى سقوطه من قبلُ عن معظم جسد أبوينا آدم وزوجه. لقد سقط شعر جسديهما وذلك مباشرةً من بعد ان أكلا من الشجرة اياها! لقد أدى ذلك الأكل الى ترسيخ فعالية سقوط الشعر في المنظومة الوراثية للنوع الإنساني. ان هذه الفعالية يجري تنشيطها أحياناً، لسببٍ أو لآخر، مما يجعل من ظاهرةٍ كسقوط شعر الرأس، كلياً أم جزئياً، تحدث! وهذا التنشيط قد يكون وراثياً؛ أي يحدث بصورة حتمية وذلك عند بلوغ أحدهم سناً معيناً تحدّده المُورِّثات التي ورثها عن أبيه وأجداده. فالإصابة الوراثية بالصلع أساسها الأول يعود الى تنشيط فجائي في فعالية سقوط الشعر في منطقة الرأس، حيث يتم من بعد ذلك توارث هذا التنشيط وذلك من قِبل ذكور أفراد العائلة. ان هذا التنشيط يحدث أول مرة بسببٍ قد يكون مرجعه اعتلال نفسي مفاجئ؛ ويدخل في هذا الباب القلق غير السوي والخوف غير المُبرَّر والتوتر الشديد. ان الصلع لم يكن ليحدث لو ان الإنسان لم يأكل أبوه الأول من تلك الشجرة! فبالأكل من الشجرة تم تنشيط فعالية سقوط الشعر وتم من بعد ذلك توارثها وبقيت هذه الفعالية كامنة مستترة تنتظر مناسبة تقدح أوارها لتعود من جديد تفعل فعلها الذي ينجم عنه لامحالة سقوط الشعر. ولكن، لماذا فروة الرأس هي المنطقة الوحيدة التي تعاني من سقوط الشعر؟ ولماذا يتم أحياناً انحسار شعر الرأس عن مناطق محددة فقط؟ ان الشعر قد يسقط من مناطقه التي يكون فيها أكثر ضعفاً وأقل ارتباطاً بالجسم من بعد تعرُّضه لسريان المواد التي يجري ضخّها نتيجةً للتنشيط آنف الذكر. كما ان تركيز هذه المواد قد يختلف من منطقة لأخرى. يبقى ان نؤكد ها هنا على ان سبب سقوط الشعر لا علاقة له بشيء يتجاوز عودة الحياة الى فعالية قديمة قِدَم الإنسان الأول؛ فعالية كانت هي المسؤولة عن سقوط معظم شعر جسمه! ان علاج سقوط شعر جسم الإنسان لن يتم التوصل اليه بمعزل عن ما له علاقة بالمواد المُضادة للمواد التي سبّبت سقوطه أول مرة من على جسد الإنسان الأول!

٤ ـ ٥ آدم: ما معنى اسمه؟

﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٧ ـ ١١٩].

ان التدبُّر في الآيات الكريمة أعلاه يكشف لنا وبكل وضوح أن آدم كان يعرف الجوع والعطش قبل ان يُدخله الله الجنة! وهذا يدل على انه كان قد جرّب الجوع والعطش إبان حياته على كوكبنا الأرضي بين ظَهراني قومه البائدين! كما انها تكشف عن كونه قد كابد الشقاء وجرّبه عندما كان بمعية قومه الظالمين. ان الجوع والعطش والشقاء هي بعض نتائج الحياة خروجاً على قوانين الطبيعة كما كان حال قوم آدم المجرمين مقارنةً بحال حيوانات الطبيعة التي لا تعرف الجوع أو العطش أو الشقاء وذلك لتناغمها في حياتها مع قوانين الطبيعة! لقد أخبر الله آدم بأنه لن يعرى مادام هو يحيا في الجنة. ان هذا الأمر ليس من اليسير فهمه على الإطلاق. فما المقصود بالعري هنا؟ ان العري هنا لا يمكن ان يكون شيئاً آخر غير زوال الشعر من على جسم آدم! ولكن اذا كان آدم قد جرّب الجوع والعطش والكَد والشقاء والعناء على الأرض، فهل جرّب العري أيضاً؟ أم انه رآه رأي العين في قومه الظالمين الذين كانوا عُراةً بالتمام لا يكسو أجسامهم غطاءٌ من شعرٍ؟! ان هذا لَيكشف النقاب عن حقائق كثيرة تخص آدم وقومه الغابرين! فلم يكن قوم آدم مجرد وحوش كاسرة دَيدَنها العدوان على أيِ مَن كان! ولم تكن علاقة بعضهم ببعض قائمة على أساسٍ من هذا العدوان غيرِ الطبيعي فحسب؛ فقد جعل منهم نشاطهم الجنسي المُفرَط وحوشاً جنسية بكل ما تعنيه الكلمة من أبعاد لا يمكن ان تتم الإحاطة بها الا من بعد استذكار وحوش من تاريخنا البشري كأمثال الماركيز دي ساد وغيره من المجرمين الجنسيين الذين عاثوا بأجساد البشر فساداً؛ ذكوراً كانوا أم اناثاً، صغاراً أم كباراً، جثثاً أم أحياءً! كما ان هذا كله لم يكن يكفي ليتم لنا الفراغ من التعرّف عليهم كما كانوا عليه. فقد امتاز قومُ آدم بميزة فريدة لم تعهدها الطبيعة من قبل؛ اذ لم تكن أجسادهم مُغطاةً بأيٍّ شعر على الإطلاق! لقد سبق وان رأينا سوية أن هناك وثيق ارتباط ما بين كلٍّ من العدوانية المفرطة والفعالية الجنسية الفائقة وسقوط الشعر! فاذا كان أكل آدم وزوجه من الشجرة اياها قد

جعل منهما يفقدان غطاءَي شعرهما اضافةً الى ما أصاب نشاطهما الجنسي من اضطراب جنح به صوب الافراط Hyper-Sexuality ، فلماذا لا تكون الاصابة الفايروسية اياها قد جعلت من قوم آدم يفقدون شعر اجسامهم مع ما فقدوا من ارتباط بماضيهم الطبيعي عندما تحولوا من حيوانات الى وحوش عدوانية جنسية مجرمة؟! اذاً كان قوم آدم عُراةً بالتمام والكلية لا يستر اجسادَهم شيء! ولكن اذا كان الله قد أصلح من شأن آدم جنيناً فأعاده الى ما كان عليه القومُ من قبل اصابتهم الفايروسية تلك، فهل يعني ذلك انه جعل منه ذا شعر بدلاً من أن يكون ذا عري؟! اذاً لقد وُلِد آدم كثيف الشعر كقومه قبل الإصابة. وهذا هو تفسير معنى اسمه: آدم أي المُغطّى بالشعر! لقد سمّاه الله آدم وذلك ليُبيّن له عظيم فضله عليه اذ اجتباه واصطفاه فلم يجعله كباقي قومه المجرمين! ان مَن يستبعد ان يكون اسم آدم قد أُطلق عليه من قِبَل الله بحُجَّة ان أسماء البشر هي من إبداعهم هُم يُطلقونها على أنفسهم بأنفسهم يجب ان يُواجَه بالآيات الكريمة التي ذكر الله فيها انه هو الذي سمّى ابنَ مريم عيسى المسيح وانه هو مَن سمّى ابنَ زكريا وزوجِه يَحيى. تدبّر الآيتين الكريمتين:

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]، ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧].

اذاً لقد جرّب آدمُ العري وذلك كما عرضته له أجساد قومه الظالمين! لقد أخبر الله آدم اذاً بأنه اذ أسكنه الجنة فانه قد ضمن له بأن لا يجوع ويعطش ويشقى مرةً اخرى ولا يعرى كقومه الوحوش العُراة! لقد تكفّل الله بجعْل آدم يحيا في الجنة، التي أسكنه وزوجه، عيشةً فردوسية يرفل فيها بالنعيم التام الا انه لم يكفل له ان يكون عصياً على الإغواء والسقوط فريسة الفتنة!

٤ ـ ٦ العري البشري والأصل الانساني والواحد!

ان عري جسم الانسان هو أبرز صفات النوع الانساني قاطبةً وأجلاها للعين. فكل الصفات الانسانية التي اكتسبها الانسان بسببٍ من ماضٍ آدمي ـ فضائي موغل في القِدَم تحتاج الآخر، كيما تُمكّن الناظر اليه من الجزم بيقين بأنه ابنٌ آخر لآدم، الا العري هذا! فانك لا تحتاج غير ان تنظر من بعيد الى جسم

مَن تود التأكُّد من كونه آدمي النسب ليكون بوسعك الجزم بيقينٍ تام، اذا ما تبيّن لناظريك عري جسمه، بأنه ابنٌ لآدم وإنْ كان واحداً من اولئك البدائيين الذين لا يَسهل ردّهم الى الأصل الآدمي لفرط مُباينتهم للتطبُّعات المجتمعية التي درجنا على النظر اليها على انها ما يتميز به انسانُنا الراقي عن باقي البشر! فجميع البشر في كل أنحاء العالم على هذه الأرض هم أبناءٌ لآدم مهما كانت أعراقهم وأجناسهم وسلالاتهم وأصولهم وإثنياتهم مادامو عُراة لا شعر يغطي أجسامهم! فالانسان ليس ذا أصولٍ متشعِّبة كما يتوهّم علماء أصل الانسان. فالأصل الانساني واحد مادام كل البشر جميعاً هم أبناء لآدم أبي البشر أجمعين. ان العري الانساني هو السمة المميِّزة لكل مَن كان من ذرية آدم الذي أكل من تلك الشجرة ففقد الغطاء الشعري لجسمه. ان كل مَن على الأرض من بشر هم عُراة مما يثبت بأن أباهم الأول شخصٌ واحد هو آدم.

٤ ـ ٧ بكاء الطفل الانساني والبيئة الحقيقية للإنسان!

يتميز طفل الانسان عن طفلِ الحيوان بأنه بكّاءٌ كثيرُ الشكوى! ولأنه لم يتطبّع، وهو لما يزل بعدُ في أيامه الأُوَل، بالخُلُق البشرية، التي سيُعلَّمها فيما بعد من قِبل أهليه والمحيطين به، فان بكاءه العجيب هذا لا يمكن ان يكون راجعاً الى تقصُّد من جانبه يروم من ورائه استدرار عطف وشفقة أو استجداء اعجاب واطراء واهتمام او ايقاع اذىً والتسبُّب بازعاج مَن لا يتعامل معه على انه المحورُ الذي يجب ان تدور من حوله الأحداثُ؛ كل الأحداث! ان بكاء الطفل اذاً لا يمكن ان يكون الا تعبيراً عن ألم مُمِض. ولكن، لِمَ يألم الطفل على هذا النحو غير المفهوم وهو بعُد لمّا يتعرَّف الى ما في الوجود الانساني من بؤس وشقاء وقَرْح؟! أليس في بكاء الطفل الانساني الدليل على حقّانية كون هذه البيئة التي خرج اليها هي بيئة لم يُخلق ليخرج اليها وهو بهذا الشكل؟ فالطفل الانساني أقرب من الانسان البالغ الى ماضيه الحيواني وذلك بسببٍ من عدم اكتمال نمو دماغه. وهو لذلك سوف يألم ألماً شديداً اذ يخرج الى الطبيعة بجسم هو غير ذاك الذي كان طفل أشباه الانسان، قبل الاصابة الفضائية، يخرج به اليها! فالجسم الذي يخرج الطفل الانساني به الى الطبيعة هو غير ذاك الذي خُلِق متناغماً معها منتمياً اليها متوافقاً مع قوانينها غير خارج عليها. ان طفل أشباه الانسان كان طفلاً حيوانياً يخرج الى الطبيعة، بيئته

الحقيقية، فلا يجد فيها ما يجعل منه يألم فيُعبِّر عن ألمه هذا ببكاء مرير شديد ينقطع له الفؤاد! فالطفل الانساني يولد بجسم عارٍ تماماً ليس عليه ايُّ شعر. وهذا العري ليس قديماً بل هو أمر مُحدَث. لذلكَ لم يتكيَّف جسمه ليصبح متناغماً، بعريه هذا، مع البيئة التي سيخرج الطفل الانساني به اليها. فلو ان الانسان كان بحق كائناً طبيعياً كالحيوان لكان حَرياً بالطبيعة ان تجعل منه متناغماً معها غير خارج على قوانينها متكيفاً مع بيئتها! الا ان الانسان لم يكتسب انسانيته المميزة له بتطوره داخل الطبيعة وفي ظل قوانينها حتى يكون عريه مُسبَّباً بسببٍ عائد اليها فيفقد بهذا كل مقدرة له على ايقاع الأذى به والتسبُّب بأي ألم له! لذا يولد الطفل الانساني بجسم غير طبيعي؛ بمعنى انه لا يتناغم مع الطبيعة وقوانين البيئة. ويجعل هذا منه كثير البكاء والتألُّم. ان الطفل يخرج الى الدنيا بلا حماية وجنة من ذلك الغطاء الشعري الذي كان سيولد به لو انه وُلِد قبل بضع آلاف من السنين وذلك قبل ان يفقد أسلاف الانسان الأواخر شعر أجسامهم نتيجة اصابتهم الفضائية تلك! اذاً فالعري الذي يخرج به الطفل الانساني الى الوجود دليل على ماضٍ انساني غير حيواني؛ ماضٍ غير طبيعي! والبكاء الطفلي هذا دليل على ان ما حدث للإنسان في الماضي البعيد لم يكن شيئاً طبيعياً وان الماضي الآدمي حق لا مِراء فيه! فكيف يكون البكاء الطفلي أمراً طبيعياً وهو مخالف بكل معنى الكلمة لحكمة الطبيعة التي تقضي بوجوب ان يخنس الطفل فلا يصدر عنه صوت يُدِل الآخرين على مكان وجوده؟! ان الصراخ والعويل كفيلان بجذب انتباه الحيوانات المفترسة اليه وهذا أمرٌ يُهدِّد أمن وبقاء النوع بأكمله. ان عدم صمت طفل الانسان بُعيد خروجه الى هذه الطبيعة دليل قاطع بصحّة عدم انتمائه اليها انتماءً يتوهّمه العلماء على انه حقٌّ لا ينبغي الجدال فيه! لقد بكى آدمٍ وزوجه عندما أُخرِجا من الجنة عريانَين أفلا ينبغي لنا ان نستذكر تلك الفاجعة كلّما خرج لنا الى هذا الوجود طفلٌ؟! لنتذكر آدم وزوجه وعريهما وكيف انهما حزنا وتألّما فلا يصبح بعدها بمقدور الطفل الباكي ان يجعل منّا نضيق به وببكائه وقد ذكّرنا بماضٍ لا ينبغي لنا ان ننساه ونغفل عنه!

٤ ـ ٨ العري البشري آيةٌ على وجود الله!

ان عجز علماء التطور الانساني عن التعليل لعري جسم الانسان وذلك استناداً الى تطور وارتقاء الانسان وفقاً لمنظومة القوانين الطبيعية كما نعرفها

بوسعه ان يكون دليلاً قاطعاً بألا حلَّ هناك الا الحل الذي قدّمه القرآن العظيم لهذا اللغز. لذا فان الناظر الى الانسان بجسمه العاري لابد وان يخرج بنتيجةٍ واحدة مؤدّاها ان هذا العري العجيب دليلٌ مُعجِزٌ على وجود الله الذي لولا إِسكانه لآدم وزوجه الجنة لما تهيّأ لهما ان يواجها ذلك الامتحان المصيري الذي عجزا عن ان يجتازاه كما كان يريد الله مما جعل منهما يفقدان الكثير بفشلهما فيه؛ وكان على رأس ما فقدا شعر جسميهما فأصبحا عاريين!

الفصل الخامس

﴿ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾
قانون التواجد الانساني على الأرض

٥ ـ ١ العدوان الانساني الظالم: قدرٌ إلهي لا مفر للانسان منه الا بالله!

عند تدبّرنا لظهور العدوانية الخارقة في مسيرة تطور وارتقاء النوع الانساني كما كشف النقاب عنها القرآنُ العظيم فاننا سنجد ان أول ظهور في الزمان لها كان على يد أسلاف الانسان الأواخر: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ وان ظهورها الثاني كان من بعد ان أكل الانسان الأول من تلك الشجرة فانقلب بَنوه جرّاء ذلك وحوشاً كاسِرةٍ: ﴿وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾. تكشف هذه الآية الكريمة النقاب عن واحد من أهم القوانين القدَرية التي تتحكم بالوجود الانساني في الأرض. فقدَر بني آدم حتّم عليهم ان يكونوا أعداءً من دون ان يكون هنالك من داعٍ للعداوة المتأصِّلة هذه! ان جميع الأسباب الواهية والمُبرِّرات المتوهَّمة التي نحاول بها تغليف هذه العداوة الفطرية التي توارثناها، وسنقوم بدورنا بتوريثها لذريتنا من بعدنا، أباً عن جدٍّ عن جد وصولاً وانتهاءً بأبينا آدم الذي رُدَّ، بأكله من تلك الشجرة، الى ماضٍ كان قد خُلِّص من براثنه ومخالبه وأنيابه بتدارك الله له برحمته الواسعة مُذ كان جنيناً لا يعلم شيئاً؛ ان جميع هذه الأسباب ما هي الا نظريات خيالية جئنا بها محاولين تفسير العداوات البشرية ـ البشرية؛ تلك العداوات التي تبلغ ذروتها المأساوية في الحروب وحملات الابادة الجماعية والتطهير العرقي! فلا الصراع الطبقي ولا الصراع الديني بمقدورهما ان يُعلّلا للتاريخ الدموي للجنس البشري

الذي لم يظهر على وجه الأرض جنس آخر يفوقه إِجراماً وعدواناً وافساداً في الأرض! ان الانسان لَيُناصب أخاه الانسان العداء دونما سبب يُسوِّغ له ذلك، وهو سوف لن يتورّع عن أن يتذرّع بأيّتها حُجَّة ليُحلِّل كل ما سيلجأ اليه، مُضطراً حسب زعمه الباطل وظنه الواهم، من وسائل حرّمها الله في حربه على أخيه الانسان وإِهراقه لدمه! اذاً فالقانون الوحيد الذي يُنظِّم سلوك الانسان تجاه باقي البشر هو ذاك الذي يدفع به الى العدوان عليهم كلٌّ حسبما يَعرِض له من أمره من شيء! ان الجَرْي وراء أسباب نفسية أو اجتماعية او اقتصادية أو دينية أو جنسية او اخرى غيرها تمزج بين ما تقدّم من أسباب بنِسَبٍ ومشارَكات تتنوع بتنوّع النظريات التي يتم ابتكارها لتفسير العدوان البشري ما هو الا جريٌ وراء سراب يحسبه الظمآن ماءً! فكل هذه الأسباب، وغيرها، ما هي الا ذرائع نلجأ اليها ونظن بها انها هي من وراء ما يحدث من عدوانٍ ظالم في عالم الانسان. ان الآية الكريمة قد بينت ان القانون الالهي ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ لا يحتاج أية ذريعة لتسويغ العدوان البشري. فالعدوان الظالم يُمثِّل أهم مفردة من مفردات الطبيعة البشرية التي يتوارثها ابن آدم حتف انفه المتكبر! لقد كشفت الآية الكريمة ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ عن سرٍ عظيم انطوت عليه الظاهرة الانسانية؛ الا وهو كون العدوان البشري ـ البشري هو القانون القدري الذي لا فِكاك لبني آدم من شديد سطوته عليهم الا بشق الانفس وذلك باتّباع هُدى الله! أي ان الإنسان سوف يبقى دوماً عدواً لكل البشر، الذين يُعادي بعضهم البعض، ما لم يتّبع هُدى الله. فالانسان محكوم عليه ان يحيا بين ظهراني اخوته من بني آدم يعادونه، دونما سببٍ حقيقي، ويُعاديهم هو الآخر لا لشيء الا بسببٍ ممّا توارثوه كلهم جميعاً عن أبيهم آدم! والانسان، بعدُ، ليس بوسعه ان يتخلص من قدَره هذا، على قدْر تعلّق الأمر بقضائه على العدوانية الموروثة المتأصِّلة داخله، الا بالسير على الطريق الإلهي الى الله. لقد شقَّ الله هذا الطريق لآدم وبَنيه ليعودوا اليه والى ما أُخرجوا منه! لقد كشفت الآية الكريمة ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ عن حقيقة نعيشها كلنا معشر الانس ونخجل من الاعتراف والاقرار بها! وهذه الحقيقة المتوارية هي اننا نضمر العداء لبعضنا البعض ولا نُصرِّح به الا من بعد إِلباسه لَبوساً يُخفي وجهه الحقيقي الذي يضرب بجذوره عميقاً في ذلك الماضي السحيق الذي لا

نريد ان نُصدِّق بانحدارنا عنه ونشوئنا منه! وليس أدل على إعجاز القرآن العظيم من هذا الكشف الرائع للإنسان عارياً على حقيقته المأساوية هذه؛ تلك الحقيقة التي سيخرج بها حتماً كلُّ مَن استعان بالحياد في دراسته للمسيرة البشرية منذ نزول أبوينا آدم وزوجه من الجنة والى يومنا هذا! فهذه المسيرة الموغلة في الدم قد شقّها الانسان بلا أنياب ولا مخالب ولكن بكل ما اوتيه من علم ومنطق وقوة وضمير! ان القبائل البدائية دليل قاطع بصحة انحدارنا عن أسلافنا الأواخر الذين كانوا يقتاتون على لحوم بعضهم البعض كما تَفعل، حتى يومنا هذا، بعضُ هذه القبائل! فكل مَن يستصعب أمر انحدارنا عن الماضي الدموي الذي سطر صفحاتَهُ الأسلافُ الأواخر للانسان ظلماً وعدواناً وطغياناً وإفساداً في الأرض وسفكاً للدماء، ما عليه الا ان يتذكر هذه القبائل البدائية وحقيقة كون البعض منهم هم من أكلة لحوم البشر Cannibals! فالانسان، وفقاً لعلماء أصل الانسان، هو الحيوان الوحيد الذي بامكانه ان يفترس أخاه الانسان ويقتات على لحمه ويشرب من دمه! واننا لَنبالغ في حُسن ظننا بالانسان، وبالجنس البشري عموماً، اذا ما نحن توهّمنا بأن هؤلاء البدائيين هم وحدهم مَن بمستطاعه القيام بهكذا فظاعات مريعة! ان اطّلاعاً يسيراً على مَحاضر الطب الشرعي Forensic Medicine كفيل بالقضاء التام على هذا الوهم الرومانسي الأخرق. كما ان جلسات السحر الأسود وما يحدث فيها من تقطيع أوصال وتمزيق أحشاء واقتتات وغير ذلك كثير دليل دامغ على هذا الأصل الذي كشف النقاب عنه القرآن العظيم. ان اسلافنا الأواخر حقيقة نحملها داخلنا كلنا جميعاً!

لذا لم يكن غريباً ان يأتي الدين من الله بكل ما من شأنه النهج بالعلاقة التي يجب ان تكون بين الانسان وأخيه الانسان بعيداً عن مسارها المحتوم الذي شقّته الاصابةُ الفايروسية وأعادت الحياة اليه تلك الشجرةُ التي أخرج أبوانا من الجنة بسببها؟ فالعلاقة السائدة بين بَني آدم بعضهم ببعض قد تشكلت وفق ما أملته النتائج التي تمخض عنها ما نشأ بسبب الفايروس اياه والشجرة تلك من إضرار بليغ بالمراكز الدماغية المسؤولة عن تنظيم العلاقة بالآخر إضراراً جعل منها تشذُّ عن برنامجها الطبيعي وتحيد عنه الى مهاوي أسفل سافلين! والدين جاء بعلاقات بين البشر قائمة على أساسٍ من جعْل العلاقة بالآخر لا تنطلق من تلك

المراكز الدماغية المُتضرّرة. بل انه حتّم على الانسان المُتديّن به ان تقوم علاقته بالآخر على أساسٍ مُغاير تماماً. فالعلاقة الانسانية ـ الانسانية المُثلى، كما يريد لها الدين ان تنشأ بين البشر، كأنها تنطلق من مراكز دماغية لم يُصبها أيُّ إضرار أبداً. فالانسان المتديِّن بحق تكون علاقاته بالآخرين كما لو انها تصدر عن دماغ لم تتأثر مراكزُ السلوك العدواني الطبيعي فيه بالفايروس اياه أو بالشجرة تلك! أيّ ان الانسان الديِّن يجب ان تقوم علاقته بباقي البشر على أساسٍ من تصرُّفه كما لو ان دماغه لم يرِث عن آبائه وأجداده ما يجعل منه كباقي البشر: بعضهم لبعض عدو! فهو مُطالَب بأن تكون علاقته بالآخرين لا تتَبع القانون القدَري العام الذي يسير على ضوئه المظلم جُل البشر. فالانسان الدَيِّن يتصرّف مع الآخرين كانسان قد خُلِق في أحسن تقويم. أي انه لا يتصرف على انه ابنُ آدم الذي أخرِج من الجنة ولكنه يتصرف كما لو انه ابنُ آدم الذي كان سيولد لآدم في الجنة لو انه لم يُخرَج منها! فالسائر على الطريق الإلهي الى الله تكون علاقته بالآخرين قائمةً على أساسٍ قويم من النأي عن كل ما يشوب علاقة الانسان بأخيه الانسان كما وُلدنا بها كلنا جميعاً! لقد كفل الدين للسائر على الطريق الإلهي الى الله ان يتصرف وفق منهاج قائم على أساسٍ من كون العلاقة بالاخر تُنظِّمها أوامرُه ونواهيه لا تلك المراكزُ الدماغية المُصابة بِهَوَس العدوان غير المُبرَّر! ان تعاليم الطريق الإلهي الى الله تقوم على أساسٍ من الايمان بالله والعمل الصالح. فبينما يجعل العمل الصالح من السائر على الطريق الإلهي الى الله ينطلق في علاقته وتعامله مع الآخرين من بني آدم وفقاً للدماغ الكامل الذي يريده الله لنا معشر الانس وليس بالاستناد الى دماغه الناقص بسببٍ مما ورثناه عن أبينا الأول فان الايمان بالله يكفل له ان تكون علاقته بالآخر، وهو هنا الله سبحانه وتعالى، قائمة على أساسٍ لا قِبَل للغالبية العظمى من أفراد الجنس البشري به! فالانسان، أي انسان، اذ يؤمن بالله فانه لا يتعامل مع مَن آمن به الا وفق ما تُمليه عليه المراكزُ الدماغية المسؤولة عن تنظيم العلاقة بالآخر والتي تَبيَّن لنا انها قد تضرّرت الى حد بعيد نتيجة ما حدث للإنسان الأول وأسلافه من قبلُ! بينما يريد الله للإنسان ان يكون ايمانه به قائماً على أساسٍ مما جاء به الدين الذي تعمل أوامره العقائدية ونواهيه المبدئية على ان يكون هذا الايمان منطلِقاً لا من الدماغ البشري كما نعرفه ولكن من دماغٍ آخر نفرضه عليه فرضاً وذلك بعملنا على ان

يكون ايمانُنا بالله علاقةً به وفق ما ليس له علاقة بالمناطق الدماغية المتضررة التي جعلت من ايمان الانسان، اي انسان، بالله يحكمه ما تحكم علاقتَه بالآخر، أي آخر، تلك القوانينُ التي حتّمتها الوراثةُ عن ماضينا السحيق! فالانسان اذ يؤمن، لا كما يريد الله ولكن كما يريد هو، سوف يشوب ايمانَه ما يشوبُ علاقتَه بأي آخر تتشكل علاقتُه به وفق قوانين عمل المناطق الدماغية المتضرّرة وليس وفق قوانين الدماغ الذي خلقه الله في أحسن تقويم والذي كان سيجعل من ايمانه بالله قائماً على أساسٍ منها لو انه لم ينسَ ما أمره الله به يوم اقترب من تلك الشجرة! فالانسان الذي يؤمن بالله بدماغٍ قد عرفنا ماضيه الموغل في الابتعاد عن الله سوف يكون ايمانه به، أي علاقته به كآخر، قائماً على سوء الظن به والاتهام له وعدم الثقة به والشك بلُطفه واليأس من وعده . . . الى آخره من قبيح الصفات البشرية! بينما تكون علاقة السائر على الطريق الإلهي الى الله به قائمةً على حُسن الظن به والتوكُّل عليه والتصديق بوعده والثقة بنصره وهذه سمات لا يمكن لها ان تكون نابعةً عن دماغ ذي ماضٍ آدمي متضرِّر بل عن دماغ جديد يريدنا الله ان نخلقه فينا خلقاً بقوانين تخالف قوانين دماغنا الذي ورثناه مُصاباً متضرّراً! ان العمل الصالح ما هو الا إِصلاح للمناطق المتضرّرة من دماغنا وهو العلاج الوحيد لما أصابه من ضرر في الماضي البعيد. ان هذا الاصلاح الذي يقوم به العمل الصالح كفيل، على المدى البعيد، بجعل دماغنا ينصلح أمره ويزول ما أصابه من ضرر على امتداد الماضي السحيق. اننا اذ نفرض على دماغنا، المُصاب بأردء أنواع العلاقة بالآخر، علاقةً بالآخر قائمةً على أساسٍ مخالف فاننا نعمل على جعل المراكز المصابة منه تشفى مما أصابها من إِضرار توارثناه جيلاً عن جيل!

اذاً فوصول الانسان الى صيغته الحالية، من بعد وصول المادة الحية لأسلافه الأواخر، قبل إِصابتهم تلك، الى أقصى درجات المشابَهة مع المادة الحية للانسان الأول (آدم) كان من بعد مروره بثلاث مراحل مصيرية هي:

١ ـ الاصابة الفايروسية التي لحقت بقوم الانسان الأول والتي أدخلت العدوانية المنفرطة والجنسية الفائقة والخَبال المفرط وسقوط الغطاء الشعري الى المادة الحية لأشباه الانسان: أجدادنا الأقدمين!

٢ ـ التدخّل الالهي الذي جعل الانسان في أحسن تقويم تجلّى في إرجاع السلوك العدواني الى سابق ما كان عليه من طبيعية ونظام وتطوير منظومة العقل وجعلها تعمل بأقصى طاقتها مما نجم عنه تميزه وتفرّده بالمقدرة على الاتصال، إرسالاً واستقبالاً، مع الله والامتداد الى الروح والتواصل معها؛ ورجوع الغطاء الشعري والجنسي الى سابق ما كان عليه من تغطية للجسم وللعورة!

٣ ـ الأكل من الشجرة والذي نجم عنه عودة الى أسوء مما كان عليه أسلافُ الانسان الأواخر من انفراط عقد الجنس والعدوان وعري جسمي وخَبال دماغي وعدم وجود صلة واعية بالله! ان هذه المراحل الثلاث تميزت بلاتقليديتها وخارقيتها سلباً وايجاباً!

٥ ـ ٢ الحضارة الانسانية الأعظم: حضارة الغرب اذا ما هي سارت على الطريق الإلهي الى الله!

ان الأمراض النفسية التي نظن انها حكرٌ على الشَواذ منا هي بالحقيقة قدَرنا كلنا جميعاً مادمنا أبناء ذلك الانسان الأول الذي ابتُلي بعقلٍ خارق وعدوانية مفرطة! فهي اذاً نِتاج عيب وراثي نتوارثه ونقوم بدورنا بتوريثه. فلا علاقة للنشأة والتربية والبيئة والمجتمع والظروف العائلية بخلق هذه الأمراض! ان الدور الذي تقوم به هذه العوامل في تخلُّق الأمراض النفسية يقتصر على صياغة مادتها الخام وفقاً للقالب الخاص الذي يتشكَّل منها مجتمعةً. فهذه العوامل تعمل على قولبة ما ورثه الانسان عن الانسان الأول داخلاً من قالبها، فتكون النتيجة بالتالي نشأة أمراض نفسية تميز هذا الانسان عن ذلك كما تتمايَّز قدراتُهما ومهاراتُهما! فهذه العوامل لا تقوم بخلق الوحش داخل الانسان بل تقوم بخلق الوجه الذي سيظهر به للعالم الخارجي فحسب! وقد يعترض البعض على هذا الكلام الذي يراه اهانةً للإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم كما جاء في القرآن العظيم ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾. لقد فات هذا البعض ان الآية الكريمة التي تلي مباشرة هذه الآية الكريمة هي ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾! ان اجتزاء الآيات الكريمة لن يفيد مَن أعماه الوهمُ الرومانسي الخادع بوجود شيء من مثل الكمال الانساني وُلدنا به جميعاً ثم انحدرنا عنه الى هاوية النقص والعيب تطبُّعاً لا طبعاً وذلك بسببٍ من ظروف قاسية قاهرة نشأنا تحت نَيْرها! ان الآيات القرآنية العظيمة

تتكامل فيما بينها لتقدِّم صورة واضحة، لا لبس فيها، للإنسان كما نعرفه: أسفل خلْق الله مادام بعيداً عن الله! ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٤ ـ ٦]. ان علماء النفس يظنون واهمين ان الانسان قد نشأ وارتقى متطوراً عن مادة هذه الطبيعة كما نعرفها على هذه الأرض. لذا فهم لا يعتقدون ان الانسان شيءٌ متميز عن باقي أشياء الطبيعة بما لا ينتمي اليها! أما القرآن العظيم، فلقد أوضح حقيقة الانسان وكشف النقاب عن كونه لا ينتمي لهذه الطبيعة وانه كائنٌ دخيل عليها قادم اليها من خارجها وافدٌ عليها من مكان فضائي بعيد! لقد نجم عن هذه الردّة الى أسفل سافلين ان نشأت عند الانسان عُقدٌ نفسية لا عدَّ لها! فلو ان الانسان كان حقاً نِتاج هذه الطبيعة ١٠٠٪ لما نشأت عنده عقدة الشعور بالاضطهاد مثلاً! لقد أدخل الانسان الى الطبيعة جنون الاضطهاد Paranoia الذي لم يسبق لها وان تعرّفت اليه طالما كان الحيوان يتمتع بحسٍّ سليم لا يجعل منه يتبادل الشكوك المرضية مع كل مَن هم حوالَيه!

لقد أخطأ الذين ظنوا بأن الانسان الحالي هو انسانٌ في أحسن تقويم! فالانسان الآن هو في أسفل سافلين مادام هو ليس من الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليلٌ ما هُم. ان الواقع الانساني يُكذِّب اولئك الذين يتوهّمون الانسانَ مخلوقاً في أحسن تقويم وليس في أسفل سافلين. فهذا الواقع يكشف وبكل جلاء حقيقة الانسان الذي يُعاديه الكل ويُعادي الكل والذي لا يُحسن التصرُّف مع نفسه فما بالنا بالذين هم من حوالَيه! فالانسان الذي يتخيَّله أنصار الكمال الانساني المزعوم لا وجود له الا في الروايات الرومانسية فقط! ان الواقع الانساني يقول لنا أيضاً بأن الطريق الذي يتوجَّب على الانسان ان يتَّخذه بعيداً عن قدَره غير المحتوم هذا لا يمكن ان يكون من داخل هذا الواقع بعيداً عنه طالما لم يكن لهذا الواقع ان يَلِد الا ما هو انساني مُلتاث معطوب لامحالة! فما هو الحل اذاً؟

لقد برهنت الحضارة المعاصرة على عجز الانسان عن الاتيان بهذا الحل الذي بمستطاعه ان يقوم بانقاذه من براثن هذه النفس الخبيثة التي يولد بها، والتي لن تجعل منها ظروفُ التنشئة المجتمعية تزداد الا خبثاً ومكراً واستعصاءً على

الاصلاح! فعلى الرغم من كل هذا الرُقي العقلي الذي يتجلّى في هذه الحضارة المعاصرة فان الانسان مازال بعيداً كل البعد عن ان يكون بوسعه التحكُّم والسيطرة على داخله المتأجِّج الاوار المشتعل برغبات لا قِبَل للطبيعة بها في عالمها المسالم البريء الموزون المنضبط. ان العقل الانساني المعاصر جعل من الانسان خالقاً لأعظم حضارة في التاريخ، الا انه لم يجعل بامكانه التغلُّب على هذه النفس التي تصطرع داخلها اصنافٌ شتّى من الخَبالات وأنواعٌ لا حصر لها من الاعتلالات! فالجنون، مثلاً، ما هو الا اضطرابٌ دماغي يصيب الانسان وذلك عندما يبلغ التضرُّر البايوالكتروني لمناطق النفس درجةً لا يستطيع العقل بعدها التحكُّم بسلوك وتصرُّفات هذا الانسان. وهذا الجنون هو ميِّزة انسانية ليس لها من نظير في عالم الحيوان. فالحيوان لا يجن الا اذا ما أصاب دماغه أذى لسببٍ أو لآخر! اما الانسان، فجنونُه فنونٌ وأصنافٌ شتّى ليس باليسير الاحاطة بها عدداً وأنواعاً! والجنون الانساني لا يعود الى سببٍ خارجي بالضرورة فلا يجن الانسان الا بتواجده! فالحيوان دماغه سليم؛ لذا فانك لن تجد حيواناً يجن دونما سببٍ خارجي يؤثِّر على دماغه سلباً. أما الانسان فليس من الضروري ان يصيبه ما يصيب الحيوان، من ضربة على ام رأسه أو سعار كلبي أو ما شابه، حتى يجن! فقد يجن الانسان إثر فشل عاطفي أو نكسة مالية أو صدمة وجدانية او تدخّل وراثي سُلالي. فالمناطق الدماغية التي تقع تحت سيطرة النفس الانسانية أرضٍ خصبة بمستطاع بذور الجنون ان تنبت فيها بكل يُسر وسهولة! ان الانسان أجنَ مَن على الأرض من دابة!

لقد برهن العقل الانساني المعاصر، الذي هو العقل الأكثر رقياً على مر التاريخ، على ان الانسان عاجز تماماً عن التوصل الى حل بمقدوره ان يحول دون ان تقوم نفس هذا الانسان بإذلاله وتركيعه وجعله عبداً مطيعاً لأوامرها الشاذة المنحرفة الظالمة. فعلى الرغم من قدرة العقل الانساني المعاصر على إبداع أروع الانجازات الحضارية التي يحق لنا جميعاً ان نفخر بها الا انه لم يستطع ان يكفل لنا ان يكون بامكاننا التغلُّب على هذه النفس الانسانية داخلنا. فما نفع هذا العقل الخارق المعجز اذا لم يكن بمقدوره ان يخلق لنا، مع كل ذكائه الفائق، غير علاجات مُسكِّنة مُهَدِّئة لا قدرة لها على استأصال شأفة المرض

النفسي الذي نتشارك كلنا جميعاً في المعاناة من سطوته علينا شئنا أم أبينا؟! ما فائدة هذا العقل المبدع الخالق اذا لم يكن قادراً على تخليصنا من هذا الشر الانساني داخلنا؟! اننا لَنتوهَّم أننا قادرون على التحكُّم بهذه النفس داخلنا بدليل قدرتنا على الانضباط وفقاً لقوانين المجتمع وللضمير الانساني الذي أقامه هذا المجتمع رقيباً له علينا داخلنا! ان الوهم يُبطله ويُبدِّده نجاحُ أي مؤثِّر ما في تحطيم الحواجز والموانع التي نقيمها في وجه هذه النفس تحطيماً يجعل منها تخرج بوجهها الحقيقي من مكمنها داخلاً منا الى العالم الخارجي لتعيث فيه فساداً وإفساداً لا نظير لهما! ان الانسان واهمٌ اذ يظن ان بمقدوره ان يسيطر على هذه النفس بوساطةٍ من رَجاحة عقله ورزانة تفكيره وقوة منطقه! فهذه النفس ماكرة خبيثة توهم المرء بأنها طوع بَنانه ورهن إشارته فلا تعصي له أمراً! ان الواقع الانساني برهاننا القوي على ان هذا السلطان للإنسان على نفسه ما هو الا خضوعٌ مُقنَّع لها ليس الا. فالانسان لم يصل بعدُ الى التمتُّع بحسٍّ حضاري عالٍ يجعل منه يُحجِم عن إطلاق نفسه من أسرها داخله كلما استُفِزّت ودُعيت الى الظلم والطغيان. والانسان لن يصل يوماً على الاطلاق الى هكذا ارتقاء اخلاقي كفيل بجعله الآمر الناهي المتسلِّط على نفسه طالما لم يصل من بعد رحلته الحضارية الطويلة هذه أبعد من قاب قوسين أو أدنى من خط الشروع الذي انطلق منه مع آدم وبَنيه اللذين نجد في نبئهما عيِّنة بمستطاعها ان تقدِّم ملخصاً تعريفياً بهذا الانسان! هذا الانسان الذي لم يترقَّ، كنوع، فيعلو بعيداً عن مسرح تلك الجريمة النكراء التي افتُتح بها سجل الظلم الانساني. ان العقل الانساني المعاصر اذ لم يقدِّم العلاج الكفيل بانقاذ الانسان من نفسه، مُطالَبٌ بالبحث الجاد عن مَن بوسعه ان يُعينه على تخليص الانسانية المعذَّبة بالنفس الانسانية البغيضة! فهذا العقل العبقري بمستطاعه ان يبرهن لنا عن عجزه، كل العجز، عن الاتيان بما من شأنه ان يقضي على الشقاء الانساني بتخليصه الانسان من شر نفسه. وهذا العقل الخارق قادرٌ على تقصّي اسباب الشقاء الانساني وإرجاعها الى ما لا علاقة له بهذا الواقع الذي فرض علينا مُنظِّرو الوثيقة العلمية ان نظن به انه المادة التي نشأ عنها الانسان، بكل مفرداته، وانه وحده القادرُ على تفسير الظاهرة الانسانية، بجميع مفرداتها! فالعقل الانساني المعاصر، بامكانياته ومعارفه وعلومه، لا يخفى عليه ان الطبيعة لا يمكن ان تكون أماً رؤوماً لهذا

الانسان طالما لم يكن ابناً لها بَرّاً بها! فكيف يريد الانسان من هذا العقل ان يعمل على ايجاد حل لشقائه اذا ما كان هذا العقل لا يوافقه في ما ذهب اليه من أن الظاهرة الانسانية ظاهرةٌ طبيعية تماماً؟!! ان أقصى ما بامكان هذا العقل العبقري ان يُعيننا به لحل مشكلة الشقاء الانساني هو بتأكيده لنا ان اصول وجذور هذه المشكلة تضرب عميقاً في أرضٍ غير هذه الأرض وتربةٍ لم نسر، نحن، عليها يوماً! فلا قدرة للعقل الانساني على ايجاد حلٍّ واقعي لهكذا مشكلة تشكّلت عناصرُها ومفرداتُها بعيداً عن هذا الواقع! اذاً فليس لنا ان نأمل بأن يكون بمقدور هذا العقل ان يصل يوماً، في المستقبل القريب أو البعيد، الى ايجاد حلٍّ لمشكلة الشقاء الانساني التي تتجلّى في علاقة الانسان بذاته مستوحداً ومع الآخر متواجداً! أما وقد تبيّن لنا، بعد هذا العرض السريع الموجز، اَنْ لا قدرة للعقل الانساني على صياغة حلٍّ واقعي بامكانه ان ينقذ الانسان من شقائه بنفسه ومن شقاء الآخرين بها فان استقدام حل غير واقعي يبدو أمراً لا مهرب منه! لقد رأينا فيما سبق ان الدماغ الانساني مُلتاث مصاب وان زمان هذه الاصابة يرجع الى الماضي السحيق الذي شهد مصرع أسلافنا الأواخر ورجوع آدم أبينا الأول الى الأرض من بعد الردّة اياها. ولقد عرفنا بأن هذه الردّة هي السبب في نشوء الشقاء الانساني بأصنافه كلها جميعاً. كما تعرَّفنا الى الأساس البايوالكتروني لهذه اللوثة الدماغية التي نجمت عن تلك الردّة وتبيّن لنا مقدار الأذى البليغ الذي اَلحقته بمعظم مناطق الدماغ وما جرّه هذا الأذى من تضرُّر فادح لحق بمراكز العلاقة بالآخر، داخل الانسان وخارجه! ولقد رأينا ان الحل الذي قدمه لنا الله للنجاة من هذه النفس، ممثَّلةً بالدماغ المُلتاث المُصاب هذا، هو بالسير على الطريق اليه وذلك بأن يكون الانسان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات. فهذه النفس الانسانية هي في أسفل سافلين ولا سبيل للارتقاء والخلاص منها وذلك بأن يطوِّر الانسان عقله فيجعل منه جباراً كعقلنا المعاصر! فهذا العقل الجبار ليس بمقدوره ان يقتل هذه النفس طالما كانت داخله وليست كياناً متعيناً خارجاً عنه حتى يسهل عليه امر قتلها! فالنفس الانسانية ليست كياناً غيبياً وما هي بالروح التي ليس لنا اليها من سبيل وذلك طالما لم تكن الا فعالية من فعاليات الدماغ الانساني الذي رُدَّ أسفل سافلين بأكل الانسان الأول من تلك الشجرة. فما نفع العقل الانساني المعاصر، بكل ما هو عليه من عظمة

وجبروت، اذا ما كانت النفس الانسانية في أسفل سافلين؟! ان الانسان في أسفل سافلين طالما كانت نفسُه هناك! فعقله لن يفيده في شيء مادامت نفسه لا تعترف به سيداً عليها قادراً على قتلها ان شاء. ان الانسان في قاع بئرٍ طاقي Potential Well من الشقاء المُدقع حيث يستقر عاجزاً عن النجاة خارجه مهما تشبَّث بوسائل يظن بها المقدرة على رفعه الى أعلى! فلا عقله الخارق ولا ضميره الحي ولا المعايير الأخلاقية الاجتماعية الرفيعة بمقدوره ان يرتفع بها فترفعه! ان الحل الذي بوسعه ان يخرج بالانسان من قاع هذه البئر المُعَطَّلة التي وجد الانسان نفسه داخلها لن يكون بأن يقوم الانسان باستقدام أية أداة تكنولوجية من قصره المَشيد! فلا حل من داخل البئر أبداً! فالحبل الذي بمقدور الانسان ان يرتفع به خارج هذه البئر، التي قعرها أسفل سافلين، هو طاقة الطريق الإلهي الى الله التي وحدها بوسعها ان تقضي على نفسه فتدمّرها تدميراً لا يُبقي منها شيئاً أبداً! ان أي جهد ذاتي يبذله الانسان بعيداً عن هذه الطاقة لن يعمل على تخليصه من نفسه الخبيثة التي هي موطن الشر وبيت الداء. ان الانسان يخوض في أسفل سافلين في قعر هذه البئر المظلمة يفصله عن الخارج فرقٌ طاقي ليس بمستطاعه ان يعمل على ازالته بطاقته الذاتية التي ليس بامكانها ان تنتشله مما هو عليه ما لم يتمسَّك بحبلٍ طاقي يُلقى اليه من الخارج! ان الطاقة التي بوسعها ان ترتفع بالانسان خارج هذا البئر الطاقي لا يمكن ان تكون الا طاقةً وافدة من خارج كما ان الحبل الذي يُلقى الى مَن هو في قعر بئرٍ هو وحده القادرُ على إخراجه منها! ان هذا الفرق الطاقي بيننا وبين الله هو الحجاب الذي يفصل بيننا وبينه. فالحجاب الطاقي هذا هو بيننا وبين الله وليس بين الله وبيننا. لقد برهنت البارانورمالوجيا على استحالة إحداث أية ظاهرة خارقة، انسانية، من دون وساطةٍ من طاقة خارجية وقابلية ذاتية. والأمر هنا لا يختلف عما اثبتته البارانورمالوجيا بهذا الخصوص في شيء. فلابد اذاً من التمسُّك بحبل الله، العروة الوثقى، حتى يصبح بمقدور الانسان الارتقاء من أسفل سافلين والعودة الى أحسن تقويم. ان هذه الحضارة العظيمة التي أبدعها العقل الانساني المعاصر مدعوّة للارتفاع بالانسان من أسفل سافلين الى أحسن تقويم وذلك بإعانتها له على حُسن التمسُّك بالعروة الوثقى مُمَثَّلةً بطاقة الطريق الإلهي الى الله التي وحدها بمستطاعها انقاذ الانسانية من الهاوية التي هي على وشك

السقوط فيها. ان الحضارة الحقَّة هي تلك التي تنتظر الانسان من بعد نجاحه في تسلُّقه البئر وارتفاعه الى الله واجتيازه حجاب الطاقة الفاصل بينه وبين ربِّه. فالحضارة الغربية المعاصرة وحدها لا تفيد الانسان في شيء اذا لم تنقذه من نفسه ومن مصيره الجهنَّمي الذي تقوده اليه هذه النفس المجنونة! ان الحضارة الانسانية الأعظم هي تلك التي تتمازج فيها هذه الحضارة الغربية العظيمة، ممثّلةً بهذا العقل الانساني المبدع الخالق، مع الانسان الجديد الذي نجح في القضاء على نفسه وعاد الى أحسن تقويم! ان الانسان الجديد سوف يكون بدماغٍ سليم، من بعد نجاحه في علاج ما تضرر منه، وعقلٍ سليم، من بعد قيامه بتصحيح الأخطاء المعرفية التي تطبَّع عليها ولم يولد بها طبعاً وطبيعةً! أليس انسان العصر الجديد هو هذا الانسان الذي أصلح، بسيره على الطريق الإلهي الى الله بالتزام تام بقوانين المسار، دماغه وصحّح، بتنازله عن الابستمولوجيا التقليدية واتّخاذه نظرية معرفة جديدة، عقله؟

٥ ـ ٣ العدوانية الانسانية وحشٌ أسير!

قد يظن البعض بأن هذا الكتاب يغلو في اتّهام الانسان بأنه كائن عدواني مُفسد في الأرض سفّاك دماء! اذ كيف نوفِّق بين هذه العدوانية المفرطة وما نلمسه في حياتنا اليومية من تعايُش سلمي ووفاق انساني بين بني آدم؟! كيف استطاع الانسان ان يصل الى التسيُّد على هذه الأرض حتى بلغ تعداد أفراد نوعه مليارات عِدَّة اذا ما كان حقاً كائناً بهذه الأوصاف البشعة؟! لقد فات هذا البعض ان يدركوا ان عدم اظهار العدوانية الانسانية المُفرَطة لا يعني عدم وجودها داخل الانسان! فالانسان كائن اجتماعي (أو مجتمعي بعبارة أدق وأصح!) وهو لذلك لا يستطيع ان يُعبِّر دوماً عن مقدار ما يكنّه من عداء وعداوة وتعادٍ لأخيه الانسان بالصورة التي بامكانه ان يُخرِج عليها، أحياناً، حقيقة مشاعره هذه! فلو أمِن الانسان ان لا يعود عليه تصرُّفه العدواني هذا بأذى جرّاء تواجده داخلاً من مجتمعٍ انساني، لا يحيا الا بقوانين وضعية تُقنِّن العدوان وتصرفه بعيداً عن إلحاقِ الأذى بالصالح العام، لقام من فوره الى اخيه الانسان، الذي نجح في استثارة مناطق العدوان الخَبالي داخله، فقتله شر قِتلة! ان سبب عدم إظهار العدوانية المُفرطة من قِبل الانسان، وكبتها وكظمها وتحويلها وجهةً اخرى، يعود

الى كونه مصاب بدماغ مُلتاث باعتلالات خَبالية تجعل منه يتخوَّف ويتحسَّب حتى عندما لا يوجد هناك ما يدعو لذلك!

فالانسان هو الكائن الحي الوحيد الذيالحي الوحيد الحي الوحيد يتخوَّف دونما سبب، فما بالك اذا ما كان هناك سبب؟! ان وجود القانون الوضعي سببٌ كافٍ ليحُول دون إخراج الانسان عدوانيته الفطرية المتأصِّلة. فالقانون هذا كفيل بردع الانسان عن القيام بما من شأنه ان يُعبِّر أصدق تعبير وأبلغه عما يعتمل داخله من مشاعر جياشة من الحقد الدفين والغيظ العارم عند نجاح شيء ما أو أحد ما في استثارة خَبالاته الى هذه الدرجة! ان الحروب تكشف بكل جلاء عن مقدار هذه العدوانية الانسانية الطَبْعية التي تجعل من الانسان يستسهل القتل الجماعي والتدمير الوحشي وإهلاك الحرث والنسل! ان الانسان يتميز عن أسلافه الأواخر بكونه يفوقهم خُبثاً ومَكراً وحيلة. فأسلاف الانسان الأواخر لم يكن هناك ما يجعل منهم يُحجمون عن قتل بعضهم البعض اذا ما استدعى الامر ذلك بنجاح حادث ما في استثارة خَبالهم العدواني! فلم يكن هناك من قانون وضعي ليتقيدوا به ولم يكونوا هم مؤهّلين، تطوراً وارتقاءً، للنزول على رغبات هكذا قانون، ان وجِد! ان الانسان قادرٌ، أحياناً، على كبح جماح غيظه الجنوني القاتل لأن بوسعه ان يفكر، أحياناً، بعواقب إقدامه على التعبير عن هذا الخَبال العدواني داخلاً منه! اما أسلافنا الأواخر فلم يكن بمقدورهم ان يوقفوا تيار العدوان داخلهم عند حد لا يجب ان يسمحوا له بتجاوزه وذلك لأنهم لم يكونوا اولي عقل خارق ذي ذكاء فائق كهذا الانسان!

٥ ـ ٤ بابل: برج خرافي أم مَهبط المَلَكَين؟!

يتميز الانسان عن الحيوان على قدْر تعلُّق الأمر بلغة التفاهم ما بين أفراد النوع بأنه ذو لغات متعدِّدة مقارنةً باللغة المُفردة التي تجمع ما بين أفراد نوع حيواني معين. وللتعليل لهذا الاختلاف اللغوي الغريب لجأت الوثيقة الدينية كما أوردها العهد القديم Old Testament الى الاستعانة ببرج بابل الذي فرَّق البشر فجعلهم لا يفقه بعضهم قول بعضٍ من بعدما كانوا يتحدَّثون بلغة واحدة اجتمعوا بها على قلب رجلٍ واحد. لقد علَّل العهد القديم للتفرُّق اللغَوي المميز لبني آدم بأنه راجعٌ الى قيام الرب الاله بالنزول الى البشر ليُبلبِل عليهم ألسنتهم فيتفرَّقون

فيصبحوا أعداءً اذ لا يعود بمستطاع بعضهم ان يفقه لسان بعض! لذا فلقد فقد بنو آدم المقدرة على التفاهم الذي يتميز به أفراد نوع حيواني معين. فقِط سان فرانسيسكو الكاليفورني بمقدوره ان يتفاهم مع قِطٍّ عربي وذلك على تباعد أماكن انتشارهما. ولكن، هل هذا هو السبب في تفرُّق قلوب بني آدم حتى ما عادوا من بعد برج بابل هذا الا أخوةً أعداء بعضهم لبعض عدو؟ هل تفرّقت قلوب بني آدم لِتفرُّق ألسنتهم بنزول الرب الاله اليهم وبلبلته عليهم؟ لقد نظرنا الى ما بين بني آدم من تعادٍ فطري متأصّل يولدون به طبعاً ويرثونه عن أبيهم الأول آدم حتماً ولا يُعلَّمونه تطبُّعاً واكتساباً ورأينا ان هذا السلوك العدائي قد نجم عن أكل آدم من تلك الشجرة الفضائية. اننا اذا ما تدبّرنا القرآن العظيم فلن نجد ما يُشير ولو من بعيد الى شيء من مثل برج بابل الذي يريدنا العهد القديم ان نصدّق انه المسؤول عن نشوء العدوانية الانسانية من بعد تفرُّق ألسنة بني آدم وتشتُّت قلوبهم نتيجةً لعجزهم عن ان يفقه بعضهم لسان بعض! ولكن، كيف يكون التفرُّق اللساني سبباً لنشوء التفرُّق القلبي وما ينجم عنه من عداوة وبغضاء؟! ان هذا التعليل لا يصمد في وجه التحليل المنطقي ناهيك عن الدراسة العلمية التجريبية ـ الاختبارية مقارنةً بالتعليل القرآني المعجز لنشوء العدوان الانساني من بعد تدخُّل فضائي في النظام البايوكيميائي للمادة الدماغية للإنسان الأول. فتفرُّق لغات البشر لا يلزم عنه ضرورة ان تتفرَّق قلوبهم فيصبح بعضهم لبعضٍ عدو! اما تأثُّر مناطق العدوان في دماغ الانسان بمادة كيميائية غير أرضية وبما من شأنه ان يجعل من بَنيه يُعادي بعضهم بعضاً فان ذلك لا يُشكِّل خرقاً منطقياً صارخاً للبنيان المعرفي كما توصلت اليه حضارتنا المعاصرة التي تعجز عن التعليل المقنع لوجود هذا السلوك العدائي غير الطبيعي لدى الانسان! ولكن، من أين جاء دُخان برج بابل؟ وهل لنا ان نتعرَّف الى النار التي تصاعد منها هذا الدخان وانتشر في فضاء الزمان الانساني؟ لنتدبّر الآية الكريمة ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي

﴿...ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

يتَضح لنا ان ما أُنزل على الملَكَين ببابل هاروت وماروت، من علم خبيث يجعل بمستطاع من يتعلَّمه ان يُفرِّق به بين المرء وزوجه بإذن الله، هو النّار التي لم يصل الى العهد القديم منها غير ذلك الدُخان الذي ما فقهوا منه الا ما جعل منهم يتوهمون خُرافة كبرج بابل ظنّوا ان بمقدورها ان تُعلِّل للعدوان الانساني وهي لا قدرة لها على التعليل، في أصلها الحقيقي ناراً بلا دُخان، لغير التفرُّق الزوجي بواسطة العلم الخبيث الذي وفد الينا من خارج هذه الأرض اذ أُنزِل على المَلكَين هاروت وماروت!

٥ ـ ٥ الاصابة الفايروسية: هل هي خطيئة أصلية اخرى؟

قد يقول البعض بأن القول بانحدارنا عن أسلافٍ أصيبوا بما جعل منهم كائناتٍ شاذّة خارجة على قوانين الطبيعة توجِّب علينا ان نكون مثلهم برجوع الانسان الأول الى ما كانوا عليه من بعد اصابته بفايروس الشجرة اياها، يلزم عنه وجوب القول بجبرية تُلزِم الانسان ان يرث عن آدم ما نجم عن رجوعه ذاك الى أسفل سافلين. فاذا لم يكن آدم قد أخطأ بأكله من تلك الشجرة بسببي أنا فلِمَ يتوجَّب علي ان أحاسَب على ذنب اقترفه غيري ولم أتسبَّب أنا في وقوعه فيه؟! أين حرية الارادة في وراثتي عن ماضٍ، لم أقُم أنا بصنعه وصياغته، كل أسباب شقائي وعنائي وتعاستي؟! فما علاقتي أنا بأخطاء الآخرين، حتى أرِث كَرهاً وجَبْراً نتائج أخطائهم وزلاّتهم؟! فاذا أخطأ آدم فأكل من تلك الشجرة فلماذا يتعيّن عليَّ انا ان أشاركه نتائج ما قام به هو وحده؟! هل من العدل ان اتحمَّل أنا نتائج أفعال غيري وأحاسَب عليها وأنا لستُ مَن قام بها؟ ان هذه الأسئلة، وغيرها كثير جداً، ليس بالعسير ايجاد أجوبة شافية بشأنها اذا ما نحن لم يَفُتنا ان نتذكَّر ان هذا الإرْث الآدمي البغيض الذي يتحتَّم علينا حمله عن آبائنا وأجدادنا ابتداءً وبآدم انتهاءً، وإن كان لا مناص لنا على الإطلاق من التأثُّر به والمعاناة منه، فانه ليس بالقدَر الذي ليس بالمستطاع تفاديه اذا ما قام الانسان بالعمل الجاد المخلص المجاهد للقضاء عليه ومحو آثاره بالكامل! فهذا الإرث الانساني المشترك ليس قدَر الانسان الذي ليس بوسعه ان يحيا الا به؛ فالانسان لا يستطيع

ان يحيا بغير وجود القلب كما انه ليس بمقدوره ان يطّلع على العالم بغير وساطةٍ من حواسه وقابلياته، مألوفها وخارقها! ان الانسان يستطيع ان يُلقي بهذا الإرث الثقيل عن كاهله ليُصبِح انساناً آخر جديداً اذا ما هو شرع بالسير الملتزم على الطريق الإلهي الى الله. فالانسان اذا ما آمن وعمل صالحاً وكان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات بمستطاعه ان يصل الى أقصى درجات القرب من الله. ان إِصلاح الانسان بُنيته الإنسية، بالقائه هذا الارث الآدمي الثقيل عن ظهره، لا يتطلَّب منه ان يقوم برحلة خيالية عبر الزمان الى الماضي البعيد ليَحول دون ان تصل يدا أبينا آدم الى تلك الشجرة! ان نجاح الانسان في الفرار من قدره الآدمي غير المحتوم هذا رهنٌ بفراره الى الله من كل ما عداه وذلك ليتسنّى له ان يعود الى الدنيا انساناً آخر صالحاً منصلحاً مُصلَحاً! اننا مرضى بمرضٍ آدمي قديم؛ الا ان شفاءنا من مرضنا هذا ليس بالأمر العسير اذا ما نحن استعنّا بمن ليس لأحد غيره ان يقوم بعلاجنا وانقاذنا. لقد ورثنا عن أبينا الأول هذا المرض كما يأخذ بعضنا عن أسلافه مرضاً وراثياً معيناً؛ الا اننا ورثنا عنه أيضاً القدرة على اتخاذ السبيل لخلاصنا من هذا الداء الآدمي الوبيل! فقد اتّخذ آدم سبيله الى الله فورثنا عنه هذه القدرة على السير الى الله بعيداً عن ماضينا الآدمي المُتضرِّر الذي فارقه أبوانا آدم وزوجه بتوبتهما اليه ونهجهما على هديه وعلى ضوء هُداه.

٥ ـ ٦ الخطيئة الأصلية: قَصَصٌ من أنباء الغَيب نارُها وأصلُها وابتداعُ من مُخيِّلة البشر سمُّها ونُخانها!!

ان الوثيقة الدينية المسيحية، التي بين أيدينا اليوم، تذكر شيئاً ذا بال بذكرها الخطيئة الأصلية وذلك في معرض حديثها عن أصل الخطيئة في العالم تعليلاً للشر الانساني وتوطئةً لعقيدتها القائمة على أساسٍ من فِداء المُخلِّص للانسانية بدمه صلباً على الخشبة. فالفداء الجماعي، كما يرد في هذه الوثيقة، تحقَّق بإقدام المسيح على التضحية بدمه انقاذاً للبشرية جمعاء من الخطيئة، التي أوقعها فيها آدمُ بمعصيته، وذلك شَريطة إيمانها به فادياً ومُخلِّصاً. والآن، ما يعنينا من هذه القصة هو ما ورد فيها من ذكرٍ لآدمَ وما جرّه على ذريّته بمعصيته لله. لقد كشف المسيحُ عيسى بن مريم لبني اسرائيل أسراراً كثيرة وذلك عندما أخبرهم بما لم يكونوا على علمٍ به من أنباء الغيب. فآدمُ الآكلُ من الشجرة هو السبب في هبوط الانسان على

هذه الأرض من بعد نجاحه في الخلاص منها ومغادرتها الى السماء. لقد أخبر المسيحُ عيسى بن مريم قومه بالكثير من خفايا قَصَص آدم كما وردت في القرآن العظيم. الا ان القوم لم يَرعوا ما سمعوا منه من حقائق حق رعايتها فأوَّلوا ظاهر النص تأويلاً خرج به عن معناها وحمَّلوا المعنى الجديد المُختلَق ما لم يكن في المعنى الأصلي من تهجُّم على آدم ورمي له بالخروج على قوانين الله خروجاً لم تكن له من نهاية فرضتها تَوبتُه التي لم يرِد في معناهم الجديد لها خبرٌ! لقد كشف المسيح عيسى بن مريم للقوم ما كشفه القرآن العظيم بخصوص ما نجم جرّاء أكل آدم من تلك الشجرة. الا انه لم يقل لهم ما أضافوه هم فيما بعد الى الوثيقة الأصلية من حشوٍ ظناً منهم انهم إنّما يُعبِّرون بذلك عن شدة حبهم له وفنائهم فيه! فهو لم يقل لهم الا ما أمره الله به. والله لم يأمره بأن يقول لهم اتّخذوا غير الله إلهاً! ان الخطيئة الأصلية، بصورتها الحقيقية الأصلية التي ذكرها المسيح عيسى بن مريم، هي حقٌّ طالما لم تكن لتعني غير ما جرّه آدم على ذريّته بأكله من تلك الشجرة! فالنار الأصلية لمصطلح الخطيئة الأصلية قد عبّر عنها القرآن العظيم أبلغ تعبير وذلك بما أورده من آيات كريمة تم تحميلها بما حدث لآدم وزوجه من بعد الأكل من الشجرة. الا ان مصطلح الخطيئة الأصلية يتضمن ابتعاداً عن الدقة العلمية التي يحرص القرآن العظيم على جعلها السمة المميّزة لتناوله ما حدث عبر المسيرة الإنسانية وذلك منذ النشأة الأولى ومبتدئها بالخلق من طين وحتى الأكل من الشجرة. فالخطيئة الأصلية تستدعي تداعيات لا أساس لها من الصحة مفادها ان خطيئة آدم يجري حملها من قِبل ذريّته كما لو أنهم هم مَن قد عصى فأكل من الشجرة! بينما يتحدث القرآن العظيم عما حدث بسببٍ من هذا الأكل؛ فيكشف النقاب عن رجوع الانسان الى العدوانية المفرطة والإعتلال النفسي إضافةً الى ما استجد من جديد لم يكن اسلافنا الأواخر بقادرين على توريثه الينا. ان الله قد رد الإنسان أسفل سافلين وذلك من بعد أكل آدم وزوجه من تلك الشجرة لا بسبب العصيان كأمر مجرد ولكن كحدث تسبّب في حدوث اضطرابات في دماغ وجسم الإنسان ابتعد به عن دماغ وجسم أحسن تقويم الذي خلقه الله فيه!

٥ ـ ٧ الكَثرة الباغية والقِلّة الناجية!

الا يكفي دليلاً على تضرُّر دماغ الانسان تضرُّراً جعل من النوع الانساني

مُلتاثاً برمَّته ان الغالبية العظمى من أفراده يؤثرون الضَلالة على الهُدى؟ لنتدبّر الآيات الكريمة التي فصّل فيها القرآنُ العظيم الواقعَ الانساني فبيّنه على حقيقته: كثرةً ضالّة سادرة في غيّها مجتهدة في تخبُّطها سائرة بكل قوّتها الى الجحيم وقلّةً مؤمنة مُهتدية لم ترضَ ان تشارك الكثرة واقعها ومصيرها فعادت الى الله. تدبّر الآيات الكريمة:

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: من ٢٤٣]، ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢]، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩]، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٥٩]، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦]، ﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٧١]، ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨١]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٣٧]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١]، ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]، ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢]، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ﴾ [يونس: ٣٦]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤]، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ١٧]، ﴿وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨]، ﴿وَلكِنَّ أكْثَرَ ٱلنَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]، ﴿وَلكِنَّ أكْثَرَ ٱلنَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٦٨]، ﴿وَمَآ

أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١]، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦]، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٣٨]، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣]، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١]، ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩]، ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٩٩]، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤]، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠]، ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الفرقان: ٥٠]، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٨]، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٦٧]، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٢١]، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٩]، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٨]، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٤]، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٠]، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٦١]، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [النمل: ٧٣]، ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ١٣]، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧]، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٦ - ٧]، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ [الروم: ٨]، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ [الروم: ٣٠]، ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٤٢]، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥]، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠]، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٣٦]، ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: ٧]، ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٢]، ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: ٧١]، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]،

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَر: ٢٩]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَر: ٤٩]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المؤمن: ٥٧]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ١٧]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فُصِّلَت: ٤]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [الزُّخرُف: ٧٨]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٩]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٦]، ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥ ـ ٣٦]، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٠ ـ ١٤]، ﴿لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الواقعة: ٣٨ ـ ٤٠]، ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]، ﴿مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦]، ﴿مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧]، ﴿قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ﴾ [المُلْك: ٢٣]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الطُّور: ٤٧].

ان الكثرة هذا هو حالها وهي لا ترضى ان تفارق حالها هذا طالما كان ذلك يتطلّب منها بذل الجهود لاصلاح ما تضرّر جرّاء أكل آدم من الشجرة. فالكثرة لا تريد ان ينقذها الدينُ من واقعها ومصيرها الذي سيجعل من جهنّم لا يرتوي لها عطش مهما ألقي فيها من بشر: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]. فجهنّم هي المصير الحتمي للغالبية العظمى من أفراد النوع الانساني الذين لم يدركوا ان واحدهم على شفا حفرة من النار وان لا منقذ له من هذه النار الا الله الذي يمد له يد العون فلا يُلاقي منه الا الإعراض والازورار والجحود وسوء الادب؛ فحسبُه جهنّم وساءت مصيراً. ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر: ٤٥].

٥ ـ ٨ العمل الصالح والعدوان الانساني الظالم على الآخر!

لقد مرّ بنا ان الدماغ الانساني قد تضرَّرت مناطق العلاقة بالآخر داخله وذلك بسببٍ من تلك الأكلة الكارثة. كما وقد تعرَّضنا لشرح موجز يُعرِّف بمعظم الاعتلالات والخَبالات والاضطرابات والتغيُّرات التي نجمت عن تضرُّر

هذه المناطق. وكان الحل الوحيد الذي عنَّ لنا وتجلّى هو الحل الالهي الذي أنعم به الله على الانسان الأول وعلى بَنيه من بعدُ والذي كفل لهم الخلاص من هذه الأضرار كلّها جميعاً اذا ما هم تمسَّكوا به وقاموا بتنفيذ ما أوجبه عليهم من ايمانٍ بالله وعملٍ صالح لوجهه لا رِئاءَ أحدٍ آخر قط. ان أكبر دليلٍ على تضرُّر مناطق العلاقة بالآخر في الدماغ الانساني هو ان الدين قد جاء يدعو الانسان الى الايمان والعمل الصالح. فالايمان والعمل الصالح كلاهما يقومان على أساسٍ من وجوب تصحيح العلاقة المتضرِّرة مع الآخر. فعلى الانسان ان يكون عَفُوّاً متسامحاً غفوراً كريماً كاظماً للغيظ مسارعاً الى الخيرات آمراً بالمعروف والاحسان والعدل والقسط ناهياً عن المنكر والفحشاء والبغي. وهذه صفات لا سبيل للتحلّي بها الا بجهاد الانسان نفسه ومناصبتها العداء ومقاتلتها وقتلها لامحالة. فالعمل الصالح مشروعٌ اصلاحي يرمي الى إصلاح الانسان للمناطق المتضرّرة في دماغه وذلك عبر قيامه بأعمال لا يستطيع القيام بها الا بشق الأنفس. فالعمل الصالح هو وسيلة الاصلاح التي شرعها الله للإنسان كيما يكون بمقدوره، عبر قيامه بتصحيح علاقاته المتضرِّرة مع الآخرين، إصلاح مناطق دماغه التي تضرَّرت بأكل آدم من الشجرة. لذا كان العمل الصالح هو قيامٌ بكل ما هو ضديدٌ يناقض الأعمالَ التي يقوم بها الانسان بسببٍ من تضرُّر دماغه هذا. فما يدعوه اليه دماغه المتضرِّر من قيام بأعمال تُعبِّر عن تضرُّر مناطق علاقاته بالآخر يقابله ما يدعوه اليه الدينُ من قيام بأعمال لم يكن لها ان تصدر الا عن دماغ سليم غير متضرِّر!! أي ان الدين يأمر الانسان بأن تكون علاقاته بالآخرين أعمالاً صالحة تنطلق من دماغه المتضرِّر كما لو ان تضرُّره هذا لم يكن له من وجود! فاذا كان الدماغ الانساني المُتضرِّر يدعوه الى العدوان الظالم على الآخر، بأي شكل كان، فان الدين يدعوه الى العمل الصالح مع الآخر، بأي شكل كان، بوجود هذا التضرُّر الدماغي. لكأن الدين يريد من الانسان ان يسمع منه اذ يدعوه الى الاصلاح ما استطاع وان لا يسمع من دماغه المتضرِّر الذي يدعوه الى الافساد بكل ما اوتيه من قوّة! لقد كفل الله للانسان ان يكون بمقدوره الاستماع لما يدعوه اليه الدين مثلما كفل له ان يكون بوسعه الانصات لما يدعوه اليه دماغه المتضرّر. ان اختيار الانسان الإعراض عن نداء الخَبال والعدوان الظالم على الآخر كما

يدعوه اليه دماغه المتضرِّر والإقدام على تنفيذ ما يدعوه اليه الدين كفيلان بجعله ينجح في اصلاحه لدماغه المتضرِّر؛ هذا الدماغ الذي ليس من سبيل الى إصلاحه الا بالعمل الصالح المؤسَّس على تقوىً من الله ورضوان والمُنطلِق من ايمان بالله لا يداخله تعلّقٌ مَرَضي قلبي بسواه. ان الايمان بالله هو كفرٌ بسواه. لذا كان الايمان هو العاصم للعمل الصالح من ان يَزيغ فيضل سواء السبيل ليكون عبادةً لغير الله وسقوطاً في فخ التولّه بالذات كما هو حال أهل الخير والاحسان من غير أهل الايمان من الذين يُخيَّل اليهم انهم طيّبو القلوب لفرط اشفاقهم على الآخرين واحسانهم اليهم وايثارهم لهم على أنفسهم وشدّة ولعهم بهم وبشأنهم! الا ان تضرُّر الدماغ الانساني ليس بمُصلِحه ان تُبادر الى بعضٍ من مناطقه المتضرِّرة بالاصلاح وتُحجم عن بعض! فعلاقة الانسان بذاته متضرِّرةٌ هي الاخرى وهي لن يصلحها قيام الانسان بأعمال البر والخير طالما كان الدافع وراء احسانه هذا حرصاً من جانبه على تعظيم ذاته وتقديم صالح أعماله قرابين خضوع في محراب عشقها والتعبُّد لها! فالايمان بالله يتطلّب الكفر بسواه. ونفس الانسان هي أول ما يتعيّن على الانسان الذي آمن بالله الكفر به! لذا لم يكن العمل الصالح بمستطاعه اصلاح الدماغ المتضرّر للإنسان الا اذا ما سبقه ايمان بالله وكفر بسواه. الا ان المؤمن بالله يجب ان يكون حريصاً كل الحرص على الا يكون ايمانه بالله، هو الآخر، مشوباً بايمان بنفسه باطناً وكفر بسوى الله ظاهراً!! فالايمان بالله يجب ان يكون قائماً على العمل الصالح قيام العمل الصالح على الايمان بالله! فتصحيح العلاقة بالله يتطلّب من الانسان اذا ما هو آمن بالله ان تكون علاقته بالله هي على الضد من علاقة الغالبية العظمى من الآخرين به. فمعظم البشر، وبضمنهم مدّعي الايمان، لا يؤمن واحدهم بالله الا بقلب ملؤه سوء الظن به والمسارعة في الاتّهام له والشك بوعده والتحسُّر على ما فاته بسببٍ من ايمانه به! ان المؤمن بالله الكافر بسواه حقاً لا يمكن ان يكون الا حَسِن الظن بربّه راضياً عنه شاكراً له موافقاً لما اختاره له. فعلاقة المؤمن الحقيقي بالله يجب ان تقوم على الثقة المطلقة به والوثوق التام بوعده وحسن الظن به والصدق في التوكّل عليه والأمل به. اذاً فالايمان بالله لا تقوم له قائمة الا بالعمل الصالح وهذا لا قيام له الا بالايمان بالله والكفر بسواه. فإصلاح الانسان مناطق العلاقة بالآخر داخل دماغه

المتضرّر يُلزمه بالبدء باصلاح علاقته الايمانية بالله بعملٍ صالح يُباعد بينه وبين ايمان غالبية البشر بالله كما يُلزمه بالعمل على اصلاح علاقته بالآخرين بعملٍ صالح لا صلاح حقيقياً يُميّزه الا بقيامه على ايمان بالله وكفر بسواه.

الفصل السادس

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

سر البقاء الانساني على الأرض!

٦ ـ ١ التكثير الحيواني: نكاح أم تنكيح؟

لا يمكن ان نصف ما يحدث بين ذكر الحيوان وأنثاه على انه نكاح طالما كانت الطبيعة هي التي تدفع بهما الى التشارك الجنسي هذا بُغية رفد النوع بأفراد جُدُد! فالأَولى ان نُسمّي السِفاد في عالم الحيوان تنكيحاً وليس نكاحاً مادام الحيوان لا يسعى بِمَلْكه للتناكح. فالطبيعة هي التي تجعل من الحيوان، ذكراً وأنثى، في فصل التزاوج يستبدل هَم الحصول على غذاء بهَم الحصول جنسياً على الآخر! اننا لَننظر الى ذكر الحيوان فنراه وقد توقّف عن الجري وراء غذائه لصالح مطاردته وملاحقته الأنثى في موسم السِفاد. كما اننا نراه وقد عاد الى الانشغال بالبحث عن الغذاء حالما ينقضي هذا الموسم قصير المدة مُحدّد الأجل! ان الحيوان يُقاد ويُدفع الى الجنس من قِبَل الطبيعة وذلك بهدف التشارك مع الآخر من أفراد الجنس الآخر من نوعه في تكثير أفراد النوع ورفده بأفراد آخرين جُدُد. فهو لا يندفع الى التناكح رغبةً منه وسعياً وراء التلذُّذ والمتعة! اذ لو انه كان حقاً ساعياً ورائهما لما كان فصل التزاوج الحيواني قصير المدة ولأصبح يمتد ليشمل العُمُر كله كما هو الحال مع هذا الانسان الذي لا يشغله شيء قدْر سعيه المحموم وراء الجنس!

٦ ـ ٢ السلوك الجنسي لذكر الانسان والماضي الحيواني للمنظومة الجنسية الانسانية!

يكشف السلوك الجنسي لذكر الانسان النقاب عن الماضي الحيواني

للمنظومة الجنسية الانسانية وذلك في اثنتين من أبرز مفردات نشاطه الجنسي كما يتجلّى في علاقته الجنسية بأنثاه. فَقِصَر المدة التي يستغرقها الذكر الانساني حتى يصبح مُلزماً بإخراج مائه المَهين جراء تحرُّكه في أنثاه لا يمكن ان يتم النظر اليها بمعزل عن النظر الى قِصَر مُماثل في المدة التي يحتاجها ذكر الحيوان لتفريغ ماء الاخصاب في أنثاه! فاذا كان الحيوان مُلزماً بأن تكون مدة تحرّكه في أنثاه قصيرةً للغاية مما استدعى ان يكون وصوله الى وجوب إفراغه مائه المهين فيها قصيرة هي الاخرى فان الانسان غير مُلزَم بأن تكون المدة التي يتطلّبها وصوله الى ضرورة تخلُّصه من مَنِيِّه قذفاً في أنثاه على هذا القِصَر المشابه لما هو موجود عند الحيوان! ألا يدل هذا السلوك الجنسي لذكر الانسان على ماضٍ حيواني توارثناه عن أسلافنا الذين أفادوا منه ولم نفِد نحن؟! ان واحدةً من أعظم المشاكل الجنسية للانسان هي قصر مدة القذف هذه! فاذا كان الانسان نقياً من كل شائبة حيوانية، كما يدّعي أنصار الخلق اللاتطوري، فلماذا كان قذفه سريعاً الى هذه الدرجة؟! واذا كان الانسان، كما يتوهّم أنصار النشوء والتطور والارتقاء في ظل قوانين الطبيعة، بعيداً عن تدخُّل الله، قد أصبح كائناً جنسياً كيما يكون بالمستطاع إنشاء اسرة من ذكر وأنثى يرتبطان بعلاقة زوجية متينة الأواصر عِمادها التعلُّق الجنسي الشديد بينهما، فلماذا اذاً لم يتم تطويل المدة التي يستغرقها وصوله الى الحد الذي يتوجّب عليه عنده قيامه بافراغ منيِّه، فيفقد معه مقدرته على الاتّصال بأنثاه، كما تم تطويل جهاز اتّصاله الجنسي بها؟!! ان هذا يكفي برهاناً قاطعاً ببطلان مزاعم التطوريين الطبيعيين القائلين بأن النشاط الجنسي المفرَط للإنسان قابلٌ للتعليل له استناداً الى ما حدث داخلاً من الطبيعة بعيداً عن الله! فتمتين أواصر العلاقة الجنسية بين الانسان وزوجه كان يتطلّب، والحال هذه، أن يُصار الى جعل المدة التي يستغرقها وصوله الى ضرورة تخلُّصه من منيّه طويلةً وبما يؤمِّن وصول زوجه الى تلذُّذٍ قذْفي مماثل لما جعل منه عاجزاً عن الاحتفاظ بانتصاب جهاز اتّصاله بها! اذاً فالتعليل للنشاط الجنسي المفرَط للإنسان بأنه ناجمٌ عن أسباب طبيعية حدثت ها هنا على هذه الأرض عاجزٌ عن ان يكون مؤسّساً على براهين منطقية ناهيك عن البراهين التجريبية ـ الاختبارية التي بمستطاعها ان تقول الحق فتعزو نشاط الانسان الجنسي لأسبابٍ لا يمكن تعقُّلها استناداً لما نعرفه عن هذه الطبيعة التي لم تعرف نشاطاً منفرطاً كهكذا نشاط الا

لدى الانسان. والآن، اذا لم يكن دليل القذف السريع كافياً لردع أنصار التطور الانساني اللاإلهي عن غيِّهم فماذا سيقولون في عدم قدرة الذكر الانساني على الاكتفاء بأنثى واحدة؟! فالمعروف عن ذكر الانسان شدّة ولعه بالاناث وعدم اكتفائه بأنثى واحدة بمستطاعها ان تكتفي به. لماذا لم تجعل الطبيعة من الذكر الانساني يكتفي بأنثاه كما تكتفي هي به اذا ما كان الجنس المُفرط قد نشأ حقاً ليجعل من الزوجين يسعد واحدهما بالآخر؟! ألا يدل هذا على ان هذا التعليل قاصرٌ عن تناول النشاط الجنسي الانساني على ما هو عليه حقاً وواقعاً؟! الا يدل هذا بعدُ على ان الانسان لا يمكن ان يتم التعليل لنشاطه الجنسي غير الطبيعي بأسباب تنتمي للطبيعة؟! فاذا كان ذكر الانسان طبيعياً، كالذكر الحيواني، في قِصَر المدة التي يتوجّب عليه بانتهائها التخلّي عن مَنيِّه داخل أنثاه واذا كان طبيعياً ان لا يكتفي الذكر الانساني بأنثى واحدة كما تكتفي هي به، مثلما هو الحال في عالم الحيوان، فان الحرارة الجنسية العالية التي يتميز بها الانسان على مدار الساعة طوال أيام السنة هي أمرٌ غير طبيعي طالما لم يكن الانسانُ طبيعيَّ النشاط الجنسي كالحيوان الذي يتقيّد جنسياً بموسم محدّد المدة هو فصل السِفاد والتزواج!

٦ ـ ٣ الرسالة الجنسية للانسان: مفرداتٌ حيوانية ومعنى انساني!

يتميز جهاز الإتّصال الجنسي للإنسان، ذكراً وأنثى، عن أجهزة الاتّصال الجنسي للحيوان، ذكراً وأنثى، بكون جهاز الاتّصال الجنسي لذكر الانسان هو الأكثر طولاً وضخامةً مقارنةً بأشباهه من الرئيسيات Primates وبأن جهاز الاتصال الجنسي لأنثى الانسان، التي لم يسبق وان مسّها بشر، يغطي فتحته غشاء يجعل من المستحيل عليها تحقيق الاتّصال الجنسي الكامل الا بزواله جزئياً أو كلياً! ولكن ما السبب في كون جهاز الاتّصال الجنسي لذكر الانسان بهذه الضخامة التي لا يستطيع علماء البايولوجيا التطورية، ناهيك عن مفسِّري الوثيقة الدينية، أن يُقدِّموا لها تعليلاً يستند الى الاسس المعرفية والمنطلقات النظرية لكليهما؟! ولماذا كان هناك هذا الغشاء اللغز والذي ليس هناك من دور مفهوم يؤديه خدمةً لأنثى الانسان؟! فالاتّصال الجنسي الناجح والمثمر لا يستدعي على الاطلاق ان يكون جهاز الاتّصال الجنسي الذكري الانساني ضخماً الى هذه الدرجة، كما ان

زوال غشاء البكارة من بعد القيام بتحقيق أول اتّصال جنسي ناجح يدل بصورة قاطعة على عدم أهميته الجنسية! لماذا اذاً استطال وتضخّم جهاز الاتصال الجنسي الذكري للإنسان حتى غدا واحداً من أبرز معالم تميز الجنس البشري؟! ولماذا نشأ غشاءٌ حاجبٌ عائق مانع كغشاء البكارة لا يقف الا في وجه تحقيق أول اتّصال جنسي لأنثى الانسان؟! لماذا كان الاتصال الجنسي الأول على هذه الدرجة من الصعوبة مقارنةً بما يليه ويعقبه من اتصالات؟! ان الاسراع بالاستعانة بالتفسير الساذج الذي تعارفنا عليه ونُشِّأنا على الاعتقاد به، بأن غشاء البكارة لم يُخلَق الا ليدُل على طُهر وعُذرية وبراءة صاحبته كفيلٌ بايقاعنا في تناقض صارخ؛ اذ ان زوال هذا الحاجز الذي كان يحول بين الأنثى وسقوطها في هاوية الرذيلة سوف يجعل منها لا تتورّع عن الجري وراء ملذّاتها طالما كان ما يمنعها من الانصات لصوت الشهوات حجابٌ رقيق تمزّق مع اول سيرٍ رسمي لها على طريق الانوثة! اذاً نحن مُطالَبون بالتعليل العلمي لوجود غشاء البكارة، حجاباً حاجزاً يحول دون تحقيق أول اتصال جنسي للأنثى البشرية بيُسرٍ وسهولة، ولضخامة جهاز الاتصال الجنسي لذكر الانسان! ان في هذين الفرقين المُميزين للانسان عن سلفه الحيوان دليلاً لا على شيء غير كون الماضي السحيق للإنسانية يضرب بجذوره العتيقة عميقاً في عالم الحيوان الذي لم يغادره الانسان الأول (آدم) الا من بعد مُضي مئات الالاف من السنين منذ اول تميُّزٍ لاسلافه الأواخر عن أجدادهم الأقدمين بما جعل منهم نوعاً مستقلاً عنهم قائماً بذاته! فالانسان لم يحُز على جهاز اتصال جنسي بهذه الضخامة الفريدة بين الرئيسيات من أسلافه الغابرين الأقدمين الا بسببٍ من ماضيه الحيواني القريب والذي كان اسلافه قد شقّوا فيه لأنفسهم مساراً متميزاً عن باقي الأنواع وذلك عندما أصبح بمقدورهم الانتصاب في سيرهم على قدمين بدلاً من أربع! فمشي أسلافنا الأقدمين على قدمين وعلى مدى مئات الآلاف من السنين أدى الى استطالة وتضخُّم جهاز الاتّصال الجنسي الذكري بهذه الصورة المميّزة لانسان اليوم! أما غشاء البكارة فهو الآخر ليس الا برهاناً قاطعاً بصحة القول بانحدار الانسان عن ماضٍ حيواني موغل في القِدم! فأسلافنا الأواخر تميزوا عن باقي أنواع الحيوان بطول المدة التي يستغرقها الطفل لينمو فيصبح بالغاً مبلغ الذكور أو الاناث الذين بمستطاعهم تحقيق الاتّصال الجنسي المثمر! فالطفل منهم كان يستغرق سنوات حتى يبلغ

ويصبح حيواناً كامل الأعضاء نامي الأجهزة كلها جميعاً. ولقد أدى طول مدة بقاء أطفال أسلافنا الأواخر أطفالاً عاجزين عن ان يحقّقوا اتّصالات جنسية مثمرة، وذلك لعدم اكتمال نمو وبدء اشتغال أجهزة الاتّصال الجنسي لديهم، الى جعل الاناث منهم، من اللاتي كُن على أعتاب مرحلة البلوغ ولم يبلُغن بعد مبلغ الاناث الناضجات، يُعانين من هجوم ذكور القبيلة عليهم عند حلول موسم التزاوج وذلك لصعوبة التمييز بينهن وبين الاناث الاخريات اللاتي كُنَّ ناضجات بما فيه الكفاية ليتمَّ لهن انجاب الاطفال من بعد تحقيق الاتّصال الجنسي بالذكور الناضجين. ان هكذا هجوم أدى الى إحداث هَدر كبير في طاقة وماء إخصاب ذكور القبيلة مما هدّد بتحقُّق حلول كارثة رهيبة على المدى البعيد تمس بقاء النوع بأكمله! وهكذا فقد تم تحفيز ظهور حجابٍ حاجزٍ يحول دون ان يتوغّل الذكر عميقاً داخل الأنثى غير البالغة فيهدر ماء الحياة: تلك الشحنة الثمينة التي هي سر حياة وبقاء النوع، أي نوع! ان وجود هكذا عائق في وجه تقدُّم الذكر مصحوباً بانعدام افراز السوائل الجنسية الانثوية التي تُسهِّل الايلاج، نظراً لعدم اكتمال نضج أجهزة الاتصال الجنسي للإناث غير البالغات، كان خير ضمانة لصرف انتباه واهتمام وجهد وفاعلية الذكور صوب الاناث البالغات! ان صعوبة تحقيق اتصال جنسي ناجح بوجود هكذا غشاء عائق مانع قد ضاعفها كونُ وضع التزاوج الذي كان يلجأ اليه أسلافنا الأقدمون الأواخر هو بأن يأتي الذكر أنثاه من الظهر كما هو الحال في عالم الحيوان. فبوجود هذا الحجاب الحاجز فان اتيان الذكر أنثاه من ورائها لم يكن بالأمر اليسير اطلاقاً مادامت هي ليست بناضجة بصورة تامة وذلك حتى يكون بوسعها إطلاق كمٍّ من السوائل الجنسية التي تقوم بتسهيل ايلاج الذكر جهاز اتصاله الجنسي فيها من بعد قيامه بفض بكارتها التي لن تكون عندها بالمشكلة الكبيرة! يجب ان لا يغيب عن بالنا أبداً ان موسم التزاوج كان محدَّداً بمدة قصيرة للغاية مقارنةً بالحياة الزوجية اليوم والتي تمتد على مدار الساعة وعلى مدى الأيام لانسان ما بعد الأكل من الشجرة اياها! ان كون ذكر الانسان ذي جهاز اتصال جنسي على هذا القدر من الضخامة غير المُبررة إطلاقاً وكونَ أنثاه ذات غشاء عائق مانع يحول دون تحقيق الاتصال الجنسي بيُسرٍ وسهولة نسبيّين الا عند بلوغها مبلغ النساء دليلان قاطعان على حقّانية انحدار الانسان عن ماضٍ حيواني امتد على مدى مئات الآلاف من السنين كان فيه

اسلافنا قد شقّوا طريقهم بالسير على قدمين بقامةٍ مُنتصبة وبتربيتهم لأطفالهم على مدى يقرب من سنواتٍ عَشر تفصل ما بين الولادة وبلوغهم مبلغ القدرة على القيام بالمشاركة في صنع هذه الولادة! ان غشاء البكارة كان ثمن الدماغ المتفوّق لأسلافنا الأواخر؛ ذلك الدماغ الذي لم يكن قد أصبح خارقاً بعد! وضخامة جهاز الاتصال الجنسي لذكر الانسان كانت ثمن استقامته على قدميه في مشيه بقامة منتصبة! والسؤال الذي يجب علينا ان نبادر الآن الى مباغتة مفسّري الوثيقة الدينية به هو لماذا خلق الله الذكر البشري بهذا الجهاز الجنسي الضخم اذا كان الله قد خلقه حقاً كما يزعمون: خلقاً مباشراً غير تطوري؟!

ان استطالة وتضخّم جهاز الإتصال الجنسي لذكر الانسان لا يجب ان يُنظر اليهما بمعزل ومنأى عن النظر الى تضخّم ثديَي أنثاه! ان الذكر البشري يمتاز على باقي ذكور اسلافه وأقربائه من الرئيسيات بجهاز اتصال جنسي هو الأضخم والأكبر حجماً والأكثر طولاً، والأنثى البشرية تمتاز بكون ثديَيها هما الأضخم والأكبر حجماً مقارنة بأثداء اناث باقي الأنواع الحيوانية. ولقد رأينا ان السبب في استطالة وتضخّم وكِبَر حجم جهاز الإتصال الجنسي لذكر الانسان يعود الى نجاح أسلافه في المشي بقامةٍ منتصبة على قدمين ولمدة طويلة استغرقت مئات الآلاف من السنين أدّت في النهاية الى تميُّز وتفرُّد الذكر البشري على هذا النحو وبهذه الصورة! لذلك فليس من المُستَغرَب اذاً ان يكون تضخُّم وكِبَر حجم ثديي أنثى الإنسان يعود الى السبب ذاته؛ أي انتصاب أسلاف الأنثى البشرية ومشيهن على قدمين وعلى مدى أحقاب طويلة! ان في هذا برهاناً اضافياً على وجود ماضٍ حيواني للإنسان استغرقه مئات الآلاف من الأعوام حتى يصبح بمقدوره الخلاص منه! ان استطالة جهاز الإتّصال الجنسي لذكر الإنسان على هذا النحو الفريد لم تحدث بين عشية وضُحاها؛ بل استغرقت أحقاباً عديدة ودهوراً طويلة! كما ان تضخُّم ثدي أنثاه لم يحدث هو الآخر الا على مدى سنوات وسنوات، ليس باليسير حسبانها واحصاؤها عدّاً، تدرَّج فيها وصولاً الى قمته التطورية هذه! فلو لم يَسِر أسلاف الإنسان، ذكوراً واناثاً، على قدمين اثنين بقامةٍ منتصبة مستقيمة مرفوعة وعلى مدى مئات الآلاف من السنين ما كان لنا أن ننعم اليوم بهذا الجهاز الاعجوبة، مَبعث فَخار ذكور الجنس البشري، وبنظيره، ضخامةَ

وكِبَراً، مبعث زهو وافتخار اناثه! فلو ان الله لم يخلق الإنسان بدءاً ونشوءاً من طينٍ ولم يرتقِ به خلقاً من بعد خلْق في أطوارٍ لا يعلمها الا هو ولم يَرْدُده من قمة ارتقائه في أحسن تقويم الى قعر انحداره في مهاوي أسفل سافلين؛ لو انه تعالى لم يخلقه على مدى ملايين عديدة من السنين، بل خَلَقه مباشرةً في ثوانٍ معدودات فلِمَ اذاً ميّز ذكره بجهاز اتصاله الجنسي فائق الضخامة هذا؟! ولِمَ جعل أنثاه تتفرّد بثديين بارزين نافرين ضخمين الى هذه الدرجة؟!

ان النظرية الجنسية في تفسير الظاهرة الانسانية تقول بأن وصول الجنس البشري الى ما جعل منه متميزاً عن الحيوان، بأنواعه كافة، بحياة أسَرية ومجتمعية وبالكثير من الصفات الجنسية والجسمية لم يكن ليتم لولا الدور الذي قام به الجنس في خلق رابطة قوية متينة بين الأنثى والذكر البشريين! فجميع الميّزات الجنسية للإنسان، ذكراً وأنثى، نشأت وتطورت وارتقت لتخدم هذه الرابطة التي اسبغ عليها منظِّرو الوثيقة الجنسية قدسية وهيبة جعلتا منها المفتاح السحري الذي قاموا باستعماله في الكشف عن الغموض الذي يغلّف الظاهرة الإنسانية! لقد علّل هؤلاء العلماء لمعظم مفردات الظاهرة الانسانية بالانطلاق من حرص الطبيعة على إدامة هذه الرابطة المقدّسة بين الرجل والمرأة وتوثيق عُراها وبما يُحقّق بقاء الأنثى مُخلصةً لذكرها ويضمن تعلّقه بها الى الحد الذي يكفل نشوء اسرة تكون نواةً لمجتمع قَبَلي سوف تنشأ كل مفرداته النفسية والثقافية والاقتصادية والاخلاقية بل وحتى الدينية في ظل وجوب المحافظة على ارتباط الذكر بأنثاه في وجه الحوادث والمتغيرات! لذا فان تضخّم جهاز الإتصال الجنسي للرجل وبروز ثديي امرأته وسقوط شعر جسميهما لم يكن أيٌّ منها ليحدث الا في ظل وجوب رفد الرابطة الزوجية، القائمة على أساسٍ من تكوين الذكر وأنثاه زوجاً واحداً، بما يُعزّز من قوّتها وتماسكها! فسقوط الشعر عن جسم الرجل وأنثاه حتّمه وجوبُ جعل الجسم أكثر حساسية للّمس وذلك ليكون التماس الجسدي عند المباشرة بالاتّصال الجنسي أكثر قدرة على تعميق أواصر الارتباط بينهما! كما ان تضخّم جهاز اتصال الرجل بأنثاه كانت قد أوجبته ضرورةُ جعل تأثيره فيها بالغاً أقصى درجة من الاثارة والتأثر! بينما لم يتضخّم ثديا أنثى الرجل الا ليكونا أداة يتعلّق بهما ويحن اليهما ويعمل جاهداً على

المحافظة على رابطته الجنسية بهما بتوثيق ارتباطه بصاحبته التي هي صاحبتهما! ان ما تقدّم يُمثّل نَزراً يسيراً من الخَرْص السفيه الذي جاء به منظّرو النظرية الجنسية للتعليل للتفرُّد الانساني الذي استعرضنا في الصفحات السابقة بعضاً من مفرداته وتعرّفنا الى الدور الذي بامكانها القيام به للبرهنة على كون الماضي الذي انطلقت منه الانسانية فوصلت الى حالها المُميِّز لها اليوم هو ليس بعيداً عن الحاضر الحيواني الذي نراه حوالَينا في بني الحيوان من أبناء عمومتنا وخؤولتنا! ان النظرية الجنسية تسهل تخطأتها وذلك بالانطلاق من ذات المزاعم الباطلة التي انطلقت منها محاولةً تفسير الظاهرة الانسانية بالجنس بين الرجل وزوجه! ان هذا الانطلاق سيجعل من تدبّرنا فيما يميّز هذه الظاهرة الفريدة من ميّزات، وذلك على قدْر تعلّق الأمر بالسلوك الجنسي للإنسان، يُقدّم الدليل القاطع على خطأ النظرية الجنسية فيما ذهبت اليه! فلو كان حقاً ما زعمته هذه النظرية من أن الإنسان كما نعرفه لم يكن ليتطور ويصل الى هذا الحال لولا الدور الذي قامت به الرابطة القوية التي نشأت بين ذكره وأنثاه والتي تعززت وتكاملت بما قام به الجنس من دور في خلق اسس جميع الوثبات والطفرات الارتقائية التي انتهت بوصول الانسان الى ما جعل منه أكثر الحيوانات فعالية جنسية على الإطلاق؛ فلو كان حقاً ذلك فان هذه النظرية مُطالَبة بالتعليل، وفق ما ورد في حيثياتها من دورٍ عظيم للرابطة القوية بين الرجل وزوجه، لظاهرتين جنسيتين تُناقِضان ما زعمت به وانطلقت منه ودعت اليه! وهاتان الظاهرتان الجنسيتان هما: ١ ـ النشاط الجنسي المُفرَط للذكر مقارنةً بنشاط أنثاه الأقل إفراطاً وانفراطاً! ٢ ـ سرعة وصول الذكر الى ذروة نشاطه الجنسي عند اتّصاله بأنثاه بالقذف سريعاً وذلك من بعد مضي ما لا يتجاوز الدقيقتين، على أحسن تقدير، من حركته الدائبة فيها! فلو كانت الرابطة الجنسية بين الرجل وزوجه على هذه القوة المتوهّمة، فلماذا لم يُصار الى تقييد النشاط الجنسي للرجل وبما يجعل منه يكتفي بأنثاه ولا يتطلّع بنهم وشغف وشوق وشبق وهوَس الى باقي الاناث؟! لماذا تكتفي هي به ولايكتفي هو بها؟ لماذا يجتاحه شعور قوي باحتياج غيرها من الاناث؟! فلو كان حقاً ما ذهبت اليه النظرية الجنسية لتوجّب على الذكر ان يستشعر في داخله شعوراً قوياً طاغياً بالاكتفاء بأنثاه لا ان يستشعر غلياناً وفوراناً لا قدرة له على الخلاص منهما الا بالانصات لما يدفعانه اليه من وجوب القيام

بما قام به مع أنثاه من قبلُ، ولكن، مع غيرها من الاناث! ولو ان الذكر كان غير سريع الوصول الى ذروة نشاطه الجنسي لأدّى ذلك به الى استمراره في العمل الجنسي بكفاءة عالية ولمدة طويلة كانت ستكفل لأنثاه وصولها هي أيضاً الى ذروة نشاطها الجنسي! الا ان ما نجده مميزاً للذكر هو انه سرعان ما يصل قبل أنثاه الى الذروة فيقذف بالشحنة الثمينة ويُسرع بالانزواء خجلان أسفاً! أما كان يتوجب عليه ان يُحسِّن من فاعلية جهاز اتّصاله هذا فيعمل على إِطالة أمد بقائه داخل أنثاه في حركة دائبة لو انه كان حقاً يرتبط بها برابطة الجنس كما عرّفته النظرية الجنسية؟! لماذا يُسرع الرجل بالقذف داخلاً من أنثاه بدلاً من أن يُطاول حتى تصل هي أيضاً الى ما يسبقها هو على الدوام بالوصول اليه لو انهما كانا بحق مرتبطَين برباط الزوج ـ الزوجة المقدّس؟! ان عدم تطابق ذروة نشاطيهما الجنسيين دليل على كونهما بعيدَين كل البعد عن ان يكونا كما تريدهما النظرية الجنسية: رجلاً مخلصاً لأُنثاه وأنثى متعلقة به برباط جنسي قائم على أساسٍ من جهاز اتّصاله الضخم ومقابلاته لديها من ثديين ضخمين وما الى ذلك!

٦ ـ ٤ العقل الانساني وازدواجية الانسان!

لقد خلق الله العقلَ الانساني ليكون وسيلةً يتمكّن بها الانسان من الاتّصال به، استقبالاً وارسالاً، والتواصل مع الروح التي نفخها فيه من روحه. ولقد مهّدت المنظومات البايوالكترونية المتضرِّرة للدماغ الانساني لنشوء العقل الآدمي وذلك بتدخّل الله المباشر لإصلاحها وإرجاعها سليمةً طبيعية كما كانت على عهد أسلافه قبل الاصابة اياها. فلقد نجم عن هذا التدخّل الالهي المباشر في عمل النظام البايوالكتروني المتضرِّر للدماغ الانساني ان نشأت منظومات بايوالكترونية جديدة لم يسبق لها وان ظهرت عند أحد مِن خَلْق الله في الطبيعة من قبلُ. فلم يكن العقل الحيواني ذا منظومات خارقة كهذه التي خُلِقت جرّاء إِصلاح الله ما كان قد تضرَّر في النظام البايوالكتروني لدماغ آدم الجنين. ان العقل الآدمي صنيعةُ الله بتدخُّله مباشرةً من دون وساطةٍ من حجاب الأسباب. فعقلٌ خارق كعقل الانسان الأول لم يكن ليظهر إِطلاقاً في الطبيعة بصورة طبيعية نتيجة أي تطور ارتقائي مهما طال الزمن! لقد كفل ظهور العقل الآدمي من بين انقاض النظام البايوالكتروني المعطوب لأشباه الانسان، مُمثّلاً بدماغ

آدم الجنين، ان اصبح بمقدور الانسان الأول الاتّصال بالله والتواصل مع الروح داخلاً منه. ان البُنية الإنسية ليست آحادية كبُنية الحيوان الذي لا عقل خارقاً له بل مجرد دماغ ذي عقل طبيعي. فلقد جعل العقل الآدمي من الانسان مزدوج الطبيعة ثنائي التكوين حاملاً آثار التدخُّلين الالهيين في تخلُّقه. الا ان العقل الآدمي الخارق والذي ظهر جرّاء تدخُّل اِلهي مباشر لإصلاح الدماغ المتضرِّر لآدم الجنين عاد وتضرَّر من جديد إِثر اكل آدم من تلك الشجرة مما جعل منّا، بني آدم، اولي أدمغة متضرِّرة لم يَعُد العقل فيها قادراً على العمل كجهاز اتّصال بالله. لذا فان العقل الانساني الخارق، من بعد فقدانه صلة وصله واتِّصاله بالله توجَّه صوب الطبيعة فأصبح باتِّصاله، معرفياً، بها سيداً بلا مُنازع من أحد من خلْق الله فيها. فكان ان انشأ الانسان حضارته علماً وتقنية وسيطرة على الطبيعة. ان هذا العقل لا يني يُبرهن على خارقيّته كل ساعة وذلك من خلال الانجازات الحضارية الرائعة التي مُكِّن الانسان من خلقها باذن الله. ان حضارتنا الخارقة هذه دليلٌ على ازدواجيتنا وثنائية بُنيتنا التي أصبح، من بعد آدم الآكل من تلك الشجرة، شقّاها هما: دماغنا المتضرِّر ذو العدوانية المفرطة والجنسية الفائقة والخَبال المطبق، اعتلالاتٍ نفسية شتّى، وعقلنا الخارق ذو الصلة المعدومة بالله والقدرة الاستثنائية، المتحقِّقة، على الصلة المعرفية بسواه! فالعقل هو جهاز اتّصال معرفي خلقه الله ليُمكِّن الكائن البايولوجي من التواصل المعلوماتي مع بيئته. لذلك لم يكن عقل الحيوان خارقاً ولم يكن الا طبيعياً طالما لم يكن هناك مَن يتوجَّب عليه ان يكون على صلة وصْل واتّصال واعٍ به سوى ما يُسِّر له من الطبيعة، بيئةً، يحيا فيها. ولذلك كان العقل الانساني خارقاً لاطبيعياً طالما كان المقصد من وراء خلْقه تمكين الانسان من ان يكون على صلة وصْل واتّصال ببيئته الحقيقية: الله!! الا ان انحراف العقل عن الصلة بالله جعل منه متصلاً بسواه غير قادر بصلته هذه، المقطوعة بالله والمتّصلة بسواه، على ان يتعرَّف على مَن خُلِق ليكون متّصلاً به لا بسواه! اذاً فثنائيتنا لا ترجع الى تكوُّننا من جسم بايولوجي وروح فوتوالكترونية طالما لم يكن الانسان بصيغته الحالية على صلة وصْل وتواصل واعٍ مع الروح فيه! ان الثنائية التي تُميِّزنا عن الحيوان مرجعها تفرُّدنا بدماغ مُلتاث ذي عقل غير طبيعي!

ان أعظم دليل على كون الدماغ الانساني غير طبيعي هو المشاكل التي تنشأ بين الزوجين والتي نُخفِّف من شدة وطأتها علينا بوصفنا لها على انها خلافات عائلية! فالحيوان لا يقترب من أنثاه الا مدفوعاً من قبل برنامج النوع داخله بُغية التشارك معها لرفد النوع بأفراد جُدُد. فهو لا يختلف معها كما يختلف الرجل مع امرأته! ان الرجل لَيقترب من امرأته مدفوعاً برغبة في التلذُّذ الجنسي حتى اذا ما استُثيرت مناطق العدوان لديه، لهذا السبب او ذاك، انقلب وحشاً ضارياً كأن لم تكن بينه وبينها مودّة! فيا له من دماغ عجيب يُناقض نفسه بنفسه! فالجنس يدفعه ليسكن اليها والعدوان يُحرِّكه ليتبادل معها ظلماً بظلم؛ والجنس والعدوان كلاهما يصدران عن دماغ واحد!

٦ ـ ٥ الانسان ذلك الكائن المتضخِّم!

يتميز الانسان عن الحيوان بعدوانيّته المفرطة ونشاطه الجنسي المنفرط وعقله ذي الذكاء الخارق. ان الحيوان يختلف عن الإنسان بأن هذه الفعاليات ليست متضخِّمة كما هو حالها لدى الانسان. فالانسان تضخّمت لديه العدوانية الحيوانية فلم تعُد مُنضبطة مُقيَّدة بقوانين تهدف الى الافادة منها كتقنية بمستطاعها تأمين بقاء النوع وانتشار أفراده دون إفساد في الأرض أو سفك دماء. والانسان لم يبقَ حيواناً منضبط النشاط الجنسي في علاقته بالآخر من أفراد الجنس الآخر؛ بل تحوَّل الى كائن جنسي لا يسأم من التلذُّذ بالجنس ولا يتوانى عن البحث عن مفرداته، مألوفها وشاذِّها، على مدار الساعة! اما عقل الانسان فلقد تضخّم هو الآخر حتى لم يَعُد كعقل الحيوان أداةً تُعينه على التقاط وتحليل تلك المفردات البيئية التي يتوجّب عليه الافادة منها في القيام بدوره المرسوم من قبلُ خدمةً للنوع وتنفيذاً لبرنامجه التكثيري ـ الانتشاري المزروع داخل دماغه. ان كلاً من نشاطات الانسان آنفة الذكر قد تطورت عن أصلٍ حيواني تميَّز بنمو طبيعي غير مُتضخِّم! ان تضخُّم هذه النشاطات عند الانسان لَيس بذي نفع له في صراعه من أجل البقاء والانتشار؛ كما ان قانون البقاء للأصلح لا يستلزم ان تكون نشاطاته هذه متضخِّمة عليهذا النحو الغريب! فلماذا اذاً تضخّمت هذه النشاطات، وبما لا يُعين الانسان على النجاح في القيام بواجبه تجاه أمه الطبيعة، اذا ما كان هو حقاً قد نشأ عنها وتطور وارتقى في ظل قوانينها؟! ان الصراع من أجل البقاء والبقاء

للأصلح لم يعودا ينطبقان على الانسان من بعد ان برهن بتضخّم نشاطاته آنفة الذكر على انه لم يَعُد حيواناً طبيعياً يشترك مع باقي مفردات الطبيعة في تكوينها!

لقد أدى تضخّم النشاط الجنسي عند الانسان بأنثاه الى جعلها تتقبّل الذكر لا في موسم مُعيَّن المدة مُحدّدها، كما هو حال أنثى الحيوان التي لا تتقبّل الذكر الحيواني الا في فصل السِفاد والتزاوج، بل على مدار أيام السنة! ان هذا التضخُّم الجنسي جعل من الأنثى في عالم الانسان أكثر تقبُّلاً More Receptive للذكر ولم يجعلها أكثر فاعلية More Active كالذكر الانساني! فلقد تم الابقاء على الأدوار الجنسية التي يتوجّب على كلٍّ منهما القيام بها عند الاتّصال الجنسي بالآخر ولم يحدث أي تغيير في هذه الأدوار؛ وذلك كأن يتم جعل الأنثى تتحوّل عن دورها السلبي Passive الى دور أكثر ايجابية More Positive! ان التضخّم الجنسي لم يَقُم الا بكسر القيد الذي كان يجعل النشاط الجنسي مُحدَّداً بفصل مُعيَّن المدة، مما أدى الى جعل الانسان جائعاً الى الجنس على الدوام!

٦ ـ ٦ الجمال الانساني: ظاهرة خارقة!

يتميز الانسان عن الحيوان بأنه ذو جمال خارق كما يتجّلى في كثيرٍ من أفراد النوع الانساني من الذين صوَّرهم الله فأحسن صورهم فجعلهم اولي حُسنٍ لا مثيل له اطلاقاً. فكلنا يَعي التميُّز الجمالي والتفرُّد الحُسني اللذين أنعم الله بهما على كثير من الرجال والنساء فجعل من أجسامهم آيات بيِّنات على قدرته الخارقة على خلق الجمال وبثّه أشكالاً شتّى. ولقد جعل الله من العري الانساني مجالاً خصباً للتعبير عن هذا الإنعام الالهي والإفضال الربّاني على كثيرٍ من الناس. حيث ميَّزهم بجمال أجسام لا مثيل له في عالم الحيوان. لذا لم يكن سقوط الغطاء الشعري عن جسم الانسان مجرد كارثة لا خير فيها! فلقد أدّى هذا السقوط الى الكشف عن جمال الجسم الانساني العاري الذي صوَّره الله فأحسن صورته. ان الجمال الذي خلقه الله وميَّز به جسم الانسان لا يمكن ان يكون الا ظاهرةً خارقة لا تنتمي لعالم الطبيعة الذي تتّصف كائناته الحية بأنها ذات جمال محدود وذلك لعدم حاجتها الى جمال خارق ليتسنّى لها القيام بما هو مطلوب منها من خدمةٍ للنوع. لذا فان جمال الانسان دليلٌ قاطع بصحة القول بعدم انتمائه للطبيعة وبخروجه على قوانينها وباستحالة ان يكون قد تطور وارتقى في

ظل هذه الطبيعة كما يزعم أنصار التطور اللاخَلقي! فالانسان لم يكن ليتميز كثيرٌ من أفراد نوعه بجمال خارق لو انه حقاً كان ابناً بَرّاً بوالدته الطبيعة! فالطبيعة كما نعرفها على هذه الأرض لا يمكن ان تكون امّاً لهذا الانسان الخارج على قوانينها. لذا فجمال الانسان مفردةٌ خارقة تُضاف الى باقي المفردات الخارقة التي تتشارك لتكوين الظاهرة الانسانية الخارقة، وجوباً! تدبّر الآيات الكريمة:

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عِمران: ٦]، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المؤمِن: ٦٤]، ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التَّغابُن: ٣].

لقد خلق الله الانسانَ في أحسن تقويم. وهذا يكفي برهاناً قاطعاً بأن الانسان الأول قد خُلِق فائقَ الحُسن خارقَ الجمال! فآدم لم يكن مجرد انسان؛ بل انسان في أحسن تقويم. والتقويم يتضمَّن القَوام والقامة كما يتكوَّن من باقي مفردات الجسم ظاهرها وباطنها. فآدم كان انساناً ذا أحسن وجه وقامة وقَوام وشكل وعقل ودماغ وقابليات وقدرات. لقد خلق الله آدم مُمتازاً على جميع مَن سبقه من مخلوقات شاركها الخلْق من ماء مَهين بميِّزات فريدة وصفات اختُصَّ بها دونها كلها جميعاً. فلم يكن الانسان الأول ذا دماغ سليم وعقل خارق، كفلا له ان يكون على صلة وصْل واتِّصال واعٍ بربِّه، فحسب بل كان أيضاً ذا قَوام بالغ الحُسن وشكل مُفرط الاتِّساق ووجه خارق الجمال. ان الجمال البايولوجي للانسان الأول، ذكراً وأنثى، حقيقةٌ يبرهن عليها ظهورُ تنويعات شتّى من هذا الجمال في ذريّته وذلك طالما لم يتعرَّض هذا الجمال لتضرُّر مماثل لما تعرَّضت له الكثيرُ من مفردات البُنية الآدمية جرّاء أكل آدم من تلك الشجرة. ان كل مَن حباه الله بجمال خارق من بني آدم، ذكراً كان أم أنثى، مَدينٌ لأبيه الأول آدم وزوجه اللذين خلقهما الله في أحسن تقويم خلْقاً جعل من كل مفردة من مفردات كيانهما تنطق بهذا الحُسن المطلق الذي حباهما الله به وميَّزهما به على كثيرٍ من خلْقه في السموات والأرض. ان عدم تضرُّر منظومة الجمال الآدمي داخل البُنية الإنسية بسببٍ من تلك الأكلة الكارثة جعل من أفراد النوع الانساني يتوارثون

جانباً من جمال أبويهم آدم وزوجه ممّا أدّى بهم الى تميُّزهم بحُسنٍ لا مثيل له في عالم الحيوان طَرّاً. ان الجمال الآدمي خروجٌ آخر على الطبيعة وقوانينها! فهذا الجمال لا يمكن التعليل له استناداً للتطور اللاخَلقي داخلاً من منظومات الطبيعة. فلو كان الانسان حقاً كما يزعم التطوريّون اللاخلقيّون نِتاجاً صِرفاً للطبيعة كما نعرفها لما تميز بهذا الجمال الجسمي الخارق الذي لا تعليل له بالامكان الاتيان به من داخل الطبيعة كما نعرفها! فالانسان اذا ما كان ابناً لهذه الطبيعة حقاً لكان حرياً به ألا يخرج عليها بجماله المفرط هذا كما يتجلّى في أشكال نسبة كبيرة من أفراد النوع الانساني! فهذا الجمال الانساني الخارق هو الدليل على وجود ماضٍ آخر مختفٍ عن أنظار العلماء الذين نظروا الى الانسان فلم يروا من ماضيه الا ما هو حيواني منه ولم يكن بمقدورهم ان يتدبَّروا ماضيه على ما هو عليه حقيقةً بازدواجيّته الحيوانية ـ الآدمية!! ان الطبيعة عاجزةٌ تمام العجز عن ان يكون بمستطاع ما بُثَّ فيها من قوانين اِلهية ان تُنتج كائناً بهذا الجمال الخارق كالانسان. وما عجزها هذا لِقصورٍ فيها؛ بل لعدم حاجتها الى هكذا جمال فائق لتمشية امورها والمُضي قُدُماً على طريق تحقيق أهدافها التي خُلِقت لتعمل جاهدةً وبكل ما اوتيت من قوّة وعزم على الوصول اليها. لذا فان على علماء التطور اللاخَلقي مُراجعة انفسهم طالما لم يكن بمقدورهم ان يُعلِّلوا لهذا الجمال الانساني الخارق تعليلاً ناجحاً بالاستناد الى بُنيانهم المعرفي القائم على أساسٍ واهٍ من إساءة الظن بالطبيعة وقوانينها! فلابد لهم اذاً من أن يقولوا بوجود تدخُّلٍ من خارج هذه الطبيعة كما نعرفها يجب ان يُعزى اليه السبب في نشأة الجمال الانساني الخارق! ان الحل الوحيد الذي بمستطاع العقل السليم ان يركن اليه ويؤمن له هو بأن يكون من أنصار التطور الخَلْقي القائلين بأن الله هو الذي خلق هذا الجمال الخارق وذلك عندما خَلَق الانسانَ به اذ خلقه في أحسن تقويم. ان العقل الانساني الخارق هو قبسٌ من عقل آدم الذي خلقه الله ليكون وسيلةَ آدم اليه وكذلك الجمال الانساني الخارق الذي هو قبسٌ من جمال آدم الذي خلقه الله عندما خلق الانسان في أحسن تقويم. ان كل محاولة للتعليل للعقل الانساني الخارق استناداً لتطور لاخَلقي دارت وقائعه وجرت أحداثه نشوءً وارتقاءً داخل الطبيعة كما يعرفها العلماء محكومٌ عليها بالفشل طالما لم يكن سعيها التعليلي هذا الا ضرباً من التعسُّف المعرفي لا مُسوِّغ له! وكذا كل محاولة

للتعليل للجمال الانساني الخارق استناداً لما يقول به التطوريون اللاخَلقيون من رحلةٍ ارتقائية للانسان في ظل قوانين هذه الطبيعة كما نعرفها! فالانسان كائنٌ لاطبيعي مادام عقلُه خارق الذكاء ووجهُه فائق الحُسن والجمال! ان جمال آدم هو السبب في كل جمال حبا الله به انساناً من ذريّته! فآدم لم يكن الا انساناً فائق الجمال خارق الذكاء! لذا كان عقل آدم هو السبب في كل ذكاء خارق حُبي به انسانٌ من بَنيه. الا ان جمال آدم الخليفة لم يتضرّر اذ تضرَّرت بُنية آدم جرّاء أكله من تلك الشجرة الكارثة. فلقد بقي جمال الخليفة (آدم) على حاله لم يتأثّر منه شيء اذ تضرَّر دماغه وسقط عن جسمه غطائه الشعري! لذا كان بنو آدم، ذكوراً وإناثاً، قادرين على تَوارث جمال أبويهم آدم وزوجه التي خُلِقت من مَنيِّه ذات جمال خارق هي الاخرى ولم يتضرَّر جمالها اذ شاركت زوجها أكله. ان بني آدم يتوارثون آثار هذه الأكلة تضرُّراً دماغياً يجعل منهم، كما سبق وان رأينا، يعانون من أصناف شتّى من الخَبال المُطبق والعدوان المُفرَط والاعتلال النفسي والسقم البدني والشبق الجنسي وانقطاع الصلة بالله وبالروح داخلاً منهم. الا انهم يتوارثون عن أبويهم أيضاً ما لم يتضرَّر جرّاء أكله من تلك الشجرة. ان هذا التوارث هو السبب في تميُّز الكثير منهم بجمال خارق ليس له الا ان يشهد بجمال آدم وزوجه اللذين لم يسبقهما احدٌ يماثلهما او يفوقهما جمالاً خارقاً وحُسناً فائقاً أبداً! لقد خلق الله الانسان في أحسن تقويم فجعل من بُنيته البايولوجية ذات حُسن أخّاذ لا نظير له. الا ان سقطة الانسان وردّته أسفل سافلين لم تجعلا منه يفقد جماله الآدمي كما فقد مُعظم مفردات خلْقته التي حباه الله بها حين خلقه في أحسن تقويم. لذا بقي الجسم الآدمي شاهداً، بجماله الخارق وحُسنه الأخّاذ، على ماضٍ لاحيواني عاشه الانسان الأول بجسم خُلِق في أحسن تقويم اذ تفوَّق على كل جسم بايولوجي آخر بجماله وحُسنه كمالاً وتناسقاً ونسبةً وتناسباً! ان الانسان لَيشهد له جمالُه الخارق بماضٍ آدمي لم يكن له ان يتمتّع بجماله هذا لولا نشأته عنه كما يشهد له عريه بأنه لم يكن نِتاجاً لرحلة تطورية ـ ارتقائية داخل عالم الطبيعة كما نعرفها. لقد أبقى الله على قبسٍ من نور الجمال الآدمي وبثّه في ذرية آدم يُضيءُ حيناً، ويخبو أحياناً، وذلك ليكون آيةً بيِّنة يستطيع مَن يُحسن التدبُّر فيها ان يخرج من تدبُّره هذا بنتيجةٍ مَفادها ان الانسان لم يكن ليُوهَب هكذا جمال خارق لولا انه كان ذا ماضٍ مُغايرٍ

للماضي الحيواني الذي يتوهّم التطوريون اللاخَلقيون انه كاملُ ماضيه! ان جمال الانسان دليلٌ بوسع المُتدبِّر فيه ان يعي ضرورة عودته من فوره الى الله الذي لم يكن الانسان ليتمتّع بجماله الخارق هذا إلا بتدخُّله المباشر في تخلُّقه جنيناً آدمياً في بطن أمٍّ من أسلافنا الأواخر! فالناظر الى جمال الانسان مُلزم بالرجوع الى الله مادام ليس هناك من أحد آخر غيره بمقدوره ان يُعلِّل لهذا الجمال الخارق! فكل شكل انساني جميل يدعو العقل السليم الى الله الذي بثَّ الجمال الخارق في ذرية آدم آيةً بيِّنةً بوسع مَن يعقلها ان يصل الى وجوب الاقرار بتدخُّل الله المباشر في خلق هذا الجمال طالما لم يكن هناك مِن مُشابِه طبيعي له في الطبيعة كما نعرفها يجعل منه يُحجم عن إقراره هذا اذ ينظر اليه فيراه خارق الجمال كما الانسان! ان بني آدم، ذكوراً واناثاً، بوسعهم العودة الى الماضي الآدمي الذي كان الانسانُ الأول فيه خارقَ الجمال فيكون بمقدورهم انجاب ذرية ذات جمال آدمي خارق وذلك اذا ما هم عاشوا في ظل واقع ذي ظروف بيئية مشابهة لتلك التي خُلِق آدم ليعيش فيها!! فلقد خلق الله آدم ليكون خليفة في الأرض وليُسكنه الجنة. ان حياةً، على هذه الأرض، في جنة شبيهة بتلك التي أسكنها آدم وزوجه وعاشا فيها رغداً حتى أخرجا منها بسبب تلك الأكلة الكارثة كفيلةٌ بجعل ذرية الانسان تخرج بجمال خارق وذلك طالما استُثيرت منظومة الجمال الآدمي الخارق داخل البُنية الانسية بسببٍ من الحياة شبه الفردوسية هذه استثارةً بمستطاعها اجبارها على ان تؤمِّن للذرية خِلقةً بايولوجية مشابهةً بعض الشيء للخِلْقة التي كان عليها آدم وزوجه. فمنظومة الجمال الخارق تتأثّر تأثُّراً شديداً للغاية بالبيئة التي يحيا فيها الانسان. فاذا ما كانت بيئته شبيهةً، بعض الشيء، بالجنة التي أسكنها آدم ثم أخرج منها كانت الفرصة مؤاتيةً لذريّته ان تفيد من اشتغال هذه المنظومة في بُنيته اشتغالاً ينجم عنه خروجُهم في هيئةٍ خارقة الجمال. فالانسان لا يولد جميلاً بسببٍ من جمال البيئة التي عاش فيها أبواه استنساخاً لجمالها ونقلاً عنه! فجمال البيئة التي يحيا فيها الانسان بمقدوره ان يجعل من ذريّته تتميز بجمال خارق وذلك لأن هذا الجمال البيئي هو المفتاح الذي بوسعه ادارة مُحرّك منظومة الجمال الخارق داخل البُنية الانسية لهذا الانسان ممّا ينجم عنه بالتالي خروج ذريّته متأثّرة بفعل هذه المنظومة فيها. ان تقارُب البيئتين، الانسانية والآدمية، هو الذي يجعل من ذرية الانسان تخرج

بجمالٍ مُقارِب بعض الشيء للجمال الخارق الذي خُلق به آدم وزوجه. لقد كان آخر عهدٍ لآدم وزوجه بالجنة كما عرفاها على ما هي عليه حقيقةً، فردوساً بمعنى الكلمة، هو قُبيل أكلهما من تلك الشجرة. لذا كان آخر عهد لمنظومة الجمال الخارق داخلهما بالجنة هو ما توارثناه عنهما داخلاً من بُنيتنا الانسية! ان تقارُب البيئة التي يحيا فيها الانسان مع نسخة صورة آخر عهدٍ تلك هو الذي يجعل من منظومة الجمال الخارق تشرع بالعمل مما يجعل من ذرية هذا الانسان تخرج بجمالٍ مُقارِب لما كان عليه آدم وزوجه من جمال خارق. لقد جعل أكل آدم وزوجه من تلك الشجرة من منظومة الجمال الخارق داخلهما تتوقَّف عن استقبال أية صور بيئية من بعد آخر صورة استلمتها قُبيل سريان السُم الفضائي في دماغيهما مما حال بينها وبين تمكُّنها من التفاعل المتناغم مع البيئة الخارجية. لذا فلم يكن لذرية آدم ان تخرج بجمال خارق مقارب لجمال أبويها الأوَّلين الا اذا ما كانت البيئة الخارجية لأبويها الحاضرين مقاربة للجنة التي أسكنها آدم! ان أي إخلال في هذا التقارب سوف يؤدّي الى عدم اشتغال منظومة الجمال الآدمي الخارق مما يؤدّي بالتالي الى تسليط مطرقة المؤثِّرات البيئية تُوسع تلك المورِّثات المسؤولة عن الشكل الانساني ضرباً موجعاً يجعل منها بالنتيجة غير قادرة على تخليص الذرية من تأثيرات البيئة الخارجية بشاعةً وقبحاً! لذا كانت ذرية آدم ممّن سكن أبواها بيئات غير فردوسية لا تمتاز بجمال على الاطلاق ولا تخرج الا نسخةً لظروف بيئية قاسية فرض عليها أبواها ان تتأثّر بها وجوباً!

ان الانسان يولد بشوقٍ شديد الى الجمال الآدمي يبحث عنه حوالَيه حتى اذا ما عثر عليه شغف به وأعجبه حُسنه فأوقع به في هوى مَن حباه الله بهذا الجمال المُذكِّر بآدم وزوجه أبوينا الأوّلَين! ان الانسان اذ يبحث عن الجمال الانساني فانه لا يقوم الا بما يُحتِّمه عليه ماضيه الآدمي الذي توارثه عن أبويه الأوّلين آدم وزوجه اللذين خُلِقا بجمال خارق وحُسن فائق. فهذا العشق الانساني لجمال الانسان ما هو الا شوق لماضٍ موغل في القِدم نحمله داخلنا دون وعي منّا حملاً غامضاً مُبهماً! فلقد خُلِق آدم بجمالٍ خارق وخُلِق معه احساسه الذي أوجب عليه ان يتأثّر بالجمال الخارق لزوجه تأثّرها هي الأخرى به. ولقد ورثنا نحن بدورنا عن ماضينا الآدمي هذا الإحساس الذي لا يملك ألا يتأثّر بالجمال

الانساني الخارق. ثم الا يُذكِّرنا الجمال الانساني الخارق، اذ يذكِّرنا بآدم وزوجه، بالجنة التي أسكناها وأخرجا منها؟ ان تأثُّر الانسان بالجمال الانساني مبعثه خلْق الله لآدم بجمالٍ خارق؛ والا فكيف للتطوريين اللاخلقيين ان يعلِّلوا لهذا التأثُّر غير الطبيعي؟! ان الانسان لَيتأثَّر بالجمال الانساني لا بسببٍ من ماضٍ حيواني له كما يزعم هؤلاء؛ بل بسببٍ من ماضٍ آدمي خارج على الطبيعة وقوانينها خروج الجمال الانساني على هذه القوانين التي لا تستطيع ان تُعلِّل له! ثم ان الانسان يتميز بمقدرته على الاحساس بالجمال المبثوث حواليه في الوجود. فكيف تم له التمتُّع بهكذا مقدرة؟ لقد خُلِق الانسان الأول مُرهف الحس يتحسَّس الجمال أينما وُجِد وما ذلك الا لأنه خُلِق لله لا لغيره! فالله هو الجمال الأعظم والحُسن المطلق. وآدم خُلِق قادراً على الوعي بالله على ما هو عليه من جمال وحُسن لا مثيل لأيِّهما. وما إحساسنا الواهي بالجمال حولنا الا أثراً باهتاً من ذلك الاحساس الذي فقدنا أصله يوم ان أكل آدم من تلك الشجرة ففقد وعيه بجمال الله ولم يستعده الا عندما تاب الله عليه وهدى. ان وعينا بجمال ما حولنا كما نتلمّسه في مفردات الطبيعة وما خلقته يدا الانسان وباقي أعضائه الخالقة ما هو الا صورة شائهة لوعينا بجمال الله الذي كنّا نعيه قبل تلك الأكلة الكارثة!

٦ ـ ٧ المراهقة: الولادة الحقيقية للإنسان!

من المُلاحظ ان صغار الحيوان، من ذوي الشعور، يغطي الشعر أجسامها بالكامل كما هو الحال مع كبارها، الا الانسان! فصغار الانسان تولد عُراة تماماً من الشعر وذلك على الرغم من شديد حاجتها اليه في بيئةٍ يتطلّب الحفاظُ على درجة حرارة الجسم فيها ان يُصار الى الاحتفاظ بعازلٍ من غطاءٍ شعري كثيف! فالطفل الانساني يولد بلا غطاء شعري يكفل له النجاح في التناغم الحراري مع بيئته وذلك على خلاف جميع الحيوانات المُشعِرة التي يولد صغارها بغطاءٍ شعري وثير. ان احتمالية بقاء الطفل الانساني على قيد الحياة في الغابة، في ظل غياب غطاءٍ شعري كثيف، تكاد تكون معدومة اذا ما تُرِك وحده من دون ستر لسَوءته بأغطية تتكفل بتوفير العزل الحراري الذي كان يتمتّع به أطفال أسلافنا الأواخر قُبيل إصابتهم الفايروسية اياها! ولكن ما ان تبدأ المنظومة الجنسية بالاشتغال

والعمل حتى يشرع الشعر بالظهور خفيفاً في مناطق الجسم وكثيفاً في مناطقه الجنسية! يبدو ان الانسان يولد مرّتين؛ مرة عندما يخرج من بطن امه عارياً كآدم من بعد أكله من الشجرة واخرى عندما يعود، عودة شائهة غير كاملة، الى ما كان عليه آدم قبل أكله منها! ان آدم وزوجه عندما أسكنا الجنة لم يكونا انسيين! فآدم وزوجه لم يُصبحا إنسيين الا من بعد أكلهما من الشجرة التي نُهيا عن الأكل منها وليس قبل ذلك. فلم يكن آدم إنسياً عندما خرج من بطن امه وذلك على الرغم من تميُّزه عن أمه وأبيه وباقي قومه بالكثير من المزايا الفريدة وعلى رأسها صلته الواعية بالله. فآدمُ لم يكن بعدُ قد أصبح انسياً طالما لم يتحقّق سقوطه الى أسفل سافلين الا من بعد أكله من الشجرة التي اخرجته من الجنة. ان نشوء الإنس لم يكن ليتم الا بأكل آدم وزوجه من الشجرة.

وكذلك الانسان؛ فهو لا يصل الى المعاناة الكاملة من آثار جميع الأضرار التي نجمت عن أكل أبينا آدم من تلك الشجرة الا من بعد اجتيازه وعبوره عتبة البلوغ! فالانسان قبل البلوغ ليس بانسانٍ حقيقي على الاطلاق! وما ذلك الا لأنه لمّا يصل بعدُ الى قعر أسفل سافلين الذي رُدَّ اليه بأكل أبينا آدم من الشجرة والذي بامكانه النجاة منه اذا ما هو حاول؛ الا انه يأبى الا ان يكون عبوره هو من أسفل سافلين في هذه الحياة الدنيا الى الدرك الأسفل من النار يوم القيامة. فالطفل الانساني لا يكتمل تضرُّر دماغه الا بعبوره عتبة البلوغ وبدء اشتغال المنظومات البايوالكترونية المتضرّرة لدماغه بكامل طاقتها الخبيثة! فالطفل قبل البلوغ ليس عدوانياً كما هو من بعده. وهو لن يعاني من جحيم الاعتلالات النفسية وسعير الخَبالات العقلية معاناةً كاملةً حقيقية الا من بعد تحوُّله الى انسان بالغ. لننظر نظرة فاحصة مُتمعِّنة الى الانسان في طور المراهقة لنراه وقد وُلِد ولادته الحقيقية: انساناً في أسفل سافلين! فبعد سني الطفولة السعيدة التي قضاها الانسان طفلاً لا يعرف من الشقاء الانساني الحقيقي شيئاً ذا بال يبدأ المراهق، بتخطّيه عتبة البلوغ، في التعرُّف عن كثب على أنواع من الألم لم يسبق له وان عانى منها من قبل. فالمراهق يشرع بالاحساس المفرط بذاته وبالتحسُّس المَرَضي من كل ما من شأنه ان يجرح ذاته! فهذه الحساسية المفرطة الفائقة لم تظهر الا من بعد مغادرته عالم الطفولة المتميز بضعف الاحساس بالذات من قِبَل الطفل

فيه. والمراهق اذ يصبح حسّاساً تجاه آراء الآخرين به ومشاعرهم وتصرُّفاتهم تجاهه فانه يكون بهذا قد فقد لاأباليته التي ميَّزته طفلاً لا يأبه للآخرين ولا لآرائهم به! فلماذا تظهر الذات مُتضخِّمة عند المراهق؟ قد يعزو البعض ذلك الى بدء اشتغال المنظومة الجنسية لديه وشروعه في النظر الى جسمه الجديد الذي سوف يأخذ برؤيته بعين تصول وتجول في أجسام البالغين قبل ان ترتد اليه لتُفاجأ بنقصٍ يُشعره بالخجل اذ يقارن ما بينه وبينهم! الا ان تَصاحُب بدء اشتغال منظومة الجنس لدى المراهق مع ظهور هذه المشاعر الخَبالية لا يلزم عنه وجوب ان تكون هناك علاقةٌ سببية بينهما! فالمراهق تبدأ منظومات دماغه المتضرِّرة بالعمل كلّها جميعاً من دون ان يكون هناك لتصاحبها من دلالة على تسبُّب بعضها بحدوث بعض! ان الدماغ المراهق هو الدماغ الانساني في صورته الحقيقية التي لم يُشوِّهها المجتمعُ بعد بسياطه ومقامعه ليجعل منها تفقد الكثير من القدرة على التعبير عن نتائج التضرُّر الدماغي الانساني المشترك المتوارث عن ماضينا الآدمي الموغل في القِدم!! فالمراهق يُزيح النقاب عن الوجه الحقيقي للإنسان وذلك قبل ان تبادر يد المجتمع الى تغطيته وستر شديد قبحه وعظيم بشاعته! فالانسان البالغ قد انتقل المراهق فيه من السطح الى الداخل وهو لن يُظهِر المراهقَ فيه على السطح من جديد الا مادام بعيداً عن انظار وأسماع المجتمع. لذا فلا علاقة للأمر بظهور الجنس على السطح في تمرّد المراهق على أهله وبيئته وخروجه على المألوف من قوانين وأعراف تواضع عليها البالغون من أفراد المجتمع. ان أفراد المجتمع البالغين اذ انتقلوا بعيداً عن سنوات المراهقة فانهم لم يتحولوا الى بالغين ناضجين كما يتوهّمون ويتوهّم المجتمع! فالمراهق لا يغدو بالغاً لمجرد انتقاله من سنٍّ الى آخر! ان البالغين من أفراد المجتمع لم يتعدّوا عقلية المراهقة وان جاوزوا سنيها! وهذا ما بمستطاع المرء ان يتلمّسه كلّما خرج على قوانين المجتمع مَن يُوصَف بأنه شاذٌّ غير سوي من أفراده وهو في حقيقة الأمر ليس الا واحداً من البالغين قد سقط قناع الوقار عن وجهه، لهذا السبب او ذاك، فظهر على حقيقته: مراهقاً خَبِلاً ليس الا! اذاً فالانسان، بوجهه الحقيقي، يولد بعبوره عتبة البلوغ حيث تبدأ منظومات دماغه المتضرّر بالعمل وفقاً لما يُمليه عليها وجوبُ انصياعها بالكامل للبرنامج الخبيث الذي توارثناه عن آدم الآكل من تلك الشجرة والذي سوف يجعل منها تخرج بالانسان على قوانين الطبيعة كما لم

يخرج عليها بخروجه من بطن امه طفلاً عارياً لا يعلم شيئاً! فاذا كان الاحساس المُفرط بالذات المُتضخِّمة يولَد مع المراهقة، وليس قبلها، فان شروع الانسان بالمعاناة الحقيقية من وجوده الانساني ومن تواجده مع الآخرين سوف لن يلبث ان يتجلّى بأصناف عِدَّة وأنواع من خَبال شتّى. فمع المراهقة يبدأ الشعور بالكآبة غير المُبرَّرة والحزن دونما سببٍ معروف والضيق بكل شيء والضجر من كل شيء وتأخذ مشاعر السأم والملل والاحساس بالرتابة واللاجدوى تغزو وعي الانسان مُشكِّلةً معظم مفرداته! فالطفل لا يعرف شيئاً مشابهاً لما يبدأ الانسان، مراهقاً، بالتعرّف اليه لأول مرة من مشاعر تعصف بكيانه عصفاً لم يعهد له مثيلاً من قبلُ.
ان هذه المشاعر الجديدة اذ تُصاحِب بدء اشتغال المنظومة الجنسية للمراهق فان ظهورها الموقوت هذا لا يلزم عنه ضرورة ان تكون نِتاجاً لِتفجُّر الاحساس الجنسي بالآخر من أفراد الجنس الآخر داخل لاوعي الانسان المراهق وذلك كما يحلو لكثير من علمائنا ظنّه وتوهُّمه! فاشتغال المنظومة الجنسية اذ يبدأ بدخول الانسان عالم المراهقة لا علاقة سببية بينه وبين منظومات عديدة اخرى تبدأ بالعمل حال عبور الطفل عتبة البلوغ. لنأخذ مثلاً ما يُعاني منه المراهق جرّاء بدئه بالتمرّد على المألوف والخروج على ما تعارف عليه الكبار البالغون والثورة على القيم والتقاليد. ان المراهق لا يواجه مَن حوله بالعصيان وعدم تلبية ما يطلبون منه بسببٍ من تأجُّج أوار الجنس داخلاً من أحشائه وأعضائه! فهذا العصيان المراهقي، شأنه شأن غيره من خَبالات المراهقة واعتلالاتها، يُصاحب الشوقَ الجنسي الى الآخر من أفراد الجنس الآخر والذي يبدأ في الكشف عن وجهه الحقيقي بارتداء الطفل لِباس الأجداد الشعري، بهيئته الشائهة، وذلك باجتيازه عتبة البلوغ. ان شروع المراهق بالثورة غير الهادفة على مَن هُم حوالَيه والتهجُّم غير المُسوَّغ له على مَن هبَّ ودب من حوله ما هو الا التعبير الصادق عن بداية سقوط ما تبقّى من اللباس الطبيعي الذي كان الانسان قد وُلِد به وظهور العري الانساني الآدمي بوجهه الحقيقي الذي لن تُفلح معه جهود المجتمع الساعية الى ستره بلباس الخوف من القانون الوضعي وقيمه والقيِّمين عليه والقُوَّام على قسره وتنفيذ بنوده! فالانسان المراهق يستبدل عري جسمه، الذي سوف يشرع بالاختفاء عن الأنظار متوارياً تحت غطاء شعري رثٌ هزيل فقير بدخول الطفل سن البلوغ، بعري آخر أكثر خطورة وذلك بسقوط آخر ما تبقّى من الحواجز والموانع الطبيعية

التي كانت تحول دون ظهور الانسان على حقيقته: وحشاً خَبِلاً لا يدانيه أحدٌ من خلْق الله طغياناً وخروجاً على قوانين الطبيعة. ان المراهقة تُسقِط عن الانسان قناعه الحديدي الذي سيقوم المجتمع بحشر وجهه داخلاً منه كيما لا يكون بمستطاع أحد التعرُّف عليه من بعد! فهي تُظهره على حقيقته البشعة كائناً ضجِراً مَلولاً سئماً متمرداً لا لشيء ثائراً على غير شيء غاضباً أبداً قنوطاً يؤوساً حقوداً حسوداً غيوراً طامعاً معتدياً آثماً ظالماً طاغية كئيباً خائفاً حزيناً مُتخوِّفاً قلقاً مُتوجِّساً مُعتل العقل سقيم الوعي مُلتاث الدماغ! فهل هذه الخَبالات كلّها جميعاً مبعثها توقُّد نار الجنس في أجهزة اتِّصاله الجنسي بالآخر من أفراد الجنس الآخر؟! لماذا نهرب من مواجهة الحقيقة البشرية كما يُجلّيها الواقع الانساني مُتفجِّراً في سني المراهقة؟! لماذا نتهرّب من الاقرار، عن يدٍ ونحن صاغرون، بأن الانسان كيان غير طبيعي بشهادة مراهقته وكشفها عن وجهه الحقيقي؟! ان المراهق يفوق الطفل عدوانية فهل ترجع العدوانية المراهقية، التي لن يفقدها الانسان باجتيازه سني المراهقة أبداً، الى ما يعانيه من كبت جنسي فُرِض عليه من قِبَل المجتمع الذي لا يريد ان يُقِر له بحقوق جهاز اتّصاله الجنسي؟ وماذا نقول في المجتمعات التي لا تفرض قيوداً على الجنس المُراهقي؟! لماذا لا تُطفئ الحرية الجنسية للمراهق في هذه المجتمعات نارَ العدوان الظالم على الآخر داخل دماغه الخَبِل؟! ان الانسان اذ يكتسب، بعبوره بوابات المراهقة، العدوانية فانه لم يأت بها من الخارج ولم تظهر لديه ردَّ فعلٍ على عدوان الآخر عليه. فالعدوانية يكتسبها الانسان من داخله ببدء اشتغال منظومات العدوان الظالم على الآخر داخلاً من دماغه المُلتاث الذي تضرَّر مع آدم الآكل من الشجرة ولم ينصلح باصلاح آدم لدماغه بعودته الى الله. فالعدوانية الانسانية تأتيه من داخله وليس من خارجه؛ وهو اذ يلجأ اليها فانه لا يفعل ذلك الا وهو مضطرٌ مغلوبٌ على أمره ليس له من الأمر شيء وكيف يكون له من الأمر شيء وهو لا يملك ان يقول لا في وجه نفسه التي ملكته اذ أحجم عن قتالها ومجاهدتها وترك لها الحبل على الغارب تفعل ما يحلو لها آمرةً فلا يعصي لها أمراً ناهيةً فلا يكون له الا ان ينتهي بأمرها ويرتدع بزجرها؟! فهل هو الا العبد الأسير وهل هي الا السيد المُتسلِّط؟! ان الانسان اذ يكتسب العدوانية، من داخله، بعبوره عتبة البلوغ مراهقاً فانه لن يفقدها باجتيازه سنوات المراهقة

واكتسابه خبرة الجماعة وحكمة القطيع!! فالعدوانية الانسانية تستكمل حلقاتها المجنونة كلّها جميعاً بدخول الانسان عالم المراهقة فكيف يفقد منها الانسان شيئاً من بعد اكتمالها ووصولها ذروة أوجها وتوهُّجها؟! ان الانسان البالغ الذي تجاوز عُمُره سني المراهقة لن يرجع اليه رشده ولن يُصبح ذا عقل وحكمة اذا انطفأت داخله جذوة الجنس وخبا أوارها المُستعِر. فكل ما سيكتسبه باجتيازه هذه السنوات الثِقال لن يجعل منه قادراً على شيء ذي علاقة بخلاصه من خَبالات المراهقة. ان المراهقة تجعل من الانسان انساناً في أسفل سافلين فكيف يكون بمستطاعه اذاً ان يرتقي خارج هذه الهاوية السحيقة من دون ان يقوم بجهدٍ يتجاوز انتظاره انقضاء سنيها وانطفاء وَقودها المزعوم داخلاً من أجهزته الجنسية؟! لقد رُدَّ الانسان أسفل سافلين بأكل آدم من تلك الشجرة. والانسان اذ يولد طفلاً فانه لن يصل قعر أسفل سافلين الا بتدحرجه وتهاويه وتردِّيه وانهيار الجُرُف به بوصوله عتبة المراهقة؛ حيث يصل القعر بعبوره العتبة ليستقر هناك شقياً كل الشقاء وليعاني كل العناء مادام لا يبذل جهداً للخروج من هذه الظلمات الى النور. فالمراهقة اذاً ما هي سنوات عابثة ماجنة سرعان ما تنقضي، كما انقضت من قبلها سني الطفولة بلهوها ورتْعها ولعبها، لتجيء من بعدها أعوام النضج والاكتمال الخَلْقي والخُلُقي! بل المراهقة هي العُمُر كل العُمُر! فالطفل لا يكون انساناً في قعر اسفل سافلين حقاً الا من بعد عبوره عتبة البلوغ واجتيازه بوابات المراهقة. ان التدنّي الذي سوف يعاني منه الانسان من بعد جوازه وتعدّيه سنوات الطفولة ليس بمنقضٍ ومنتهٍ باجتيازه سني المراهقة. فالانسان لن يكون انساناً الا بالمراهقة؛ فهل يفقد الانسان انسانيَّته بتجاوزه عالم المراهقة؟! فاذا أردت ان تنظر الى الانسان لتراه بوجهه الحقيقي وعلى حقيقته الحقّة دونما حجاب وبلا قناع عارياً عن كل لباس البسه اياه المجتمع ليستر عورته الدماغية، الخَلْقية والخُلُقية، فليس عليك الا ان تتدبَّره مراهقاً خَبِلاً لمّا يُحشَر رأسه المتكبر داخلاً من قناع المجتمع الحديدي بعد! فكل خَبالات المراهقة هي داخله وإنْ نضج جسمُه ببلوغه مبلغ الرجال والنساء. وهو لن يكون الا مراهقاً مُقنَّعاً طيلة سنوات حياته مادام هو خائض كل الخوض في غيِّه تائهاً في ظُلُمات البعد عن الله: الحل الوحيد والمُنقذ الذي لا نجاة الا به. فالانسان، ذلك المراهق المختفي من وراء قناعه الحديدي، لن يكتسب ميِّزاته التي فرضها عليه أكلُ أبيه

آدم من تلك الشجرة الا بعبوره من بوابات المراهقة لينضم الى الجماعة الانسانية وليكون فرداً من أفراد القطيع السادر في غيِّه والجاد في سعيه للغرق الأبدي في بحر الجحيم. فالمراهقة شعلة من ضوءٍ ساطع بوسعها ان تكشف الانسان وتُسقط عنه لباسه ليظهر أماماً من ناظرينا على حقيقته. فاذا كانت المراهقة بمقدورها ان تُرينا شيئاً من الماضي الحيواني للانسان، كما يتجلّى ذلك بكل وضوح في بدء ظهور الشعر الجنسي في المناطق الجنسية من جسم المراهق، فانها قادرة كذلك على ان تُجلّي أمام أنظارنا ما يجعل بمستطاعنا ان نرى الماضي الآدمي المتضرِّر للإنسان كما تُعبِّر عنه أبلغ تعبير خَبالاتُ المراهقة كلّها جميعاً! فالانسان يعود عودةً شائهة ناقصة الى ماضٍ حيواني غابر، سبق له وان غادره وانطلق مبتعداً عنه، مع دخوله عالم المراهقة ببدء اشتغال المنظومة الجنسية لديه؛ حيث يتسبَّب ظهورُ الشعر الجنسي في جعل الشعر الجسمي يغزو معظم مناطق الجسم غير الجنسية ليجعل من الانسان شبيهاً، بعض الشيء، بماضيه الحيواني قبل آدم. لذا فان المراهقة بوسعها ان تكون الدليل على تحدُّر الانسان عن ماضٍ حيواني كان فيه جسمُه مغطّىً بالشعر! كما وان المراهقة تتكفَّل بايصال الانسان الى أدنى انحدار يتوجّب عليه ان يهوى اليه وذلك بسببٍ من ماضيه الذي ورثه عن أبيه آدم الآكل من الشجرة. لذا كانت المراهقة برهاناً على ازدواجية الماضي الانساني وتشظّيه فِرقتَين اثنتين. ان كل الخَبالات التي تظهر ببلوغ الانسان مبلغ الرجال والنساء، بلوغاً جنسياً بدخوله عالم المراهقة هي نتائج تلك الأكلة التي تسبَّبت وأدت الى إلحاق أفدح الأضرار بمعظم مناطق الدماغ مما أدى الى جعل الانسان على ما هو عليه. فالجنس اذ ينقدح أواره، ببدء اشتغال منظومته الجنسية بدخول الطفل عالم المراهقة، فانه لن يكون غير المطرقة الزمنية Time Hammer التي ستهوي على تلك الأقفال الموقوتة Time Locks التي غُلِّقت بوابات الخَبال الانساني بها لتفتحها على مصراعيها مُطلِقةً سراح الوحوش الكاسرة التي أجِّل أوان ظهورها بأجلٍ مُسمّى هو بلوغ الانسان سن المقدرة البايولوجية على التزاوج باكتمال نمو أجهزة اتّصاله الجنسي بالآخر من أفراد الجنس الآخر. فآدم كان رجلاً بالغاً اذ أكل من الشجرة وانطبعت آثار تلك الأكلة الخبيثة على جيناته ومُورِّثاته Genes. والطفل لن يأخذ عن أبيه الأول آدم الا عريه الناجم عن أكلته تلك ونُتَفاً من الأضرار الدماغية الناجمة هي أيضاً عنها. الا ان الأخذ الكامل لن

يتم الا بوصول الطفل سِنّاً يجعل منه يقف على قدم المساواة مع أبيه آدم وذلك على قدْر تعلُّق الأمر بالجنس لدى كليهما. فلكي يتم عبور الرسالة الوراثية المتضرِّرة بكامل تفاصيلها عبوراً ناجزاً من ذلك الماضي الآدمي السحيق الى الحاضر الانساني كان من اللازم ان يكون الطفل بالغاً جنسياً. ان العبور التام لكامل الأضرار التي نجمت عن أكلة آدم تلك من الشجرة إياها لن يتم الا والطفل يقف على قدم المساواة الجنسية مع أبيه الأول! فعندها، وعندها فقط، يتم استكمال النُتَف فيظهر الوجه الحقيقي للإنسان حاملاً آثار التضرّر الفادح الذي لحق بدماغ الأب الأول فجعل منّا نشقى بخَبالات المراهقة الى الأبد مادمنا بعيدين عن الله. فالخَبال الانساني، بأصنافه وفنونه الممتدّة من العدوانية المُفرطة الى الاعتلالات النفسية التي تجعل من الانسان أشقى مَن في الوجود، اذ يتفجَّر كما البركان بوصول الانسان سن البلوغ ما هو الا الدليل القاطع بأن اكتمال تضرُّر المناطق الدماغية التي تضرّرت بأكل آدم من الشجرة مأجولٌ موقوت بأوان حلول سني المراهقة والتي لا تحل الا ببدء ضخ الوَقود الجنسي داخل أجهزة المنظومة الجنسية. ولكن هذا لا يعني على الاطلاق ان الجنس هو السبب في خَبال الانسان مراهقاً! فالانسان لا يتضرَّر جرّاء الجنس بل جرّاء ماضٍ موغل في القِدَم يحمله معه في حِلِّه وترحاله شاء أم أبى مادام إباؤه لا يُوَظَّف، كما أراد له الله، في الخروج من قعر أسفل سافلين الى نور أحسن تقويم وذلك بالاعتصام بحبل الله الذي ليس من أحد آخر غيره بمستطاعه ان يُخرِجه من هذه البئر التي ليس يُرى لها قرار! فالمنظومة الجنسية اذ تشرع بالعمل، عند البلوغ، فانها سوف تجعل من ذلك الماضي الآدمي داخلنا، والذي أُجِّل أوان تجلّيه آثاراً ناجمة عن أكلة آدم تلك بوصول الانسان سن المراهقة، يتَّصل بالحاضر الذي نعيشه وذلك بزوال الأجَل الذي أُقِّت به التجلّي الكامل للماضي المتضرِّر هذا. لقد حمل الطفلُ عري آدم وزوجه؛ ذلك العري الذي كان أسرع نتائج الأكل من تلك الشجرة ظهوراً وأوّلها! أما المراهق فأنه سيحمل آثار تلك الأكلة بالكامل مقابل استرداده جانباً يسيراً من ذلك الماضي الحيواني الذي فقده أبواه من قبلُ وذلك بظهور الشعر على جسمه ظهوراً شائهاً! اذاً فالولادة الحقيقية للانسان لن تحدث الا بدخوله عالم المراهقة والذي سيحل ببدء اشتغال المنظومة الجنسية داخلاً منه وتدفُّق موادها الكيميائية التي ستجعل من باقي المنظومات البايوالكترونية لدماغ

الانسان تستكمل تضرُّرها بعبور كامل الماضي الآدمي المتضرِّر اليها!

لقد كشف القرآن العظيم النقاب عن اثنتين من النتائج الكارثية التي نجمت عن أكل آدم من تلك الشجرة. تدبّر الآيات الكريمة:

﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦]، ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]، ﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأعراف: ٢٤]، ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [طه: ١٢٣].

لو تدبّرنا هذه الآيات الكريمة لوجدنا ان سقوط اللباس الآدمي، مُتمثِّلاً بفقدان الانسان غطاءه الشعري، وتفجُّر العدوان الظالم على الآخر عداوةً وبغضاء وتعادٍ بين بني آدم كلهم جميعاً كانا الضررين الوحيدين اللذين أشير اليهما صراحةً في معرض حديث الله عن الأحداث التي تلت وأعقبت أكل آدم من الشجرة اياها. ان هذا الترابط التلازُمي ما بين الغطاء الشعري والعدوانية المُتفجِّرة نَلحظه واضحاً أيما وضوح إبان دخول الانسان عالم المراهقة! فالمُلاحَظ على الانسان أنه ما أن يشرع غطاؤه الشعري بالظهور والنمو والانتشار كَثّاً غزيراً كثيفاً حوالَي أجهزة اتّصاله الجنسي بالآخر من أفراد الجنس الآخر وفي باقي المناطق ذات الصلة بالفعالية الجنسية، إرسالاً واستقبالاً، حتى تبدأ مناسيب المياة النارية للعدوان الظالم على الآخر بالارتفاع والطغيان متجاوزةً كل الحدود والسدود متخطيةً جميع العوائق والموانع والحواجز. فهل هو مجرد توافُق عَرَضي لا معنى له ان يتلازم ويتصاحب، مرةً اخرى، العدوانُ والغطاءُ الشعري؟! فاذا كان الانسان قد فقد بأكله من تلك الشجرة شعرَ جسمه واكتسب عدوانية جامحة هائجة فانه بدخوله عالم المراهقة قد اكتسب غطاءً شعرياً، رثاً بعض الشيء، وعدوانية مفرطة! لقد تحتّم على الانسان بجوازه عبر بوابات المراهقة ان يعود الى ماضيه المزدوج؛ عودةً شائهةً الى أصله الحيواني مُتجلِّيةً بظهور الشعر عليه وبدء اشتغال أجهزة اتِّصاله الجنسي بالآخر من أفراد الجنس الآخر، واخرى الى أصله الآدمي مُتجلِّيةً بظهور خَبالات المراهقة كلها جميعاً وبضمنها العدوان

الظالم على الآخر عداءً وتعادٍ!

لنتدبّر الآيات الكريمة التالية التي أزاح بها القرآنُ العظيم النقاب عن الوجه الحقيقي للانسان الذي نعرفه كلّنا جميعاً كما نعرف أبناءنا ونخجل من التصريح بحقيقته هذه خجلنا من عيوبنا ونقائصنا:

﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨]، ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ٩ ـ ١١]، ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣]، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [ابراهيم: ٣٤]، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ٤]، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١]، ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١]، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧]، ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾ [الإسراء: ٨٣]، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠]، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]، ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٦]، ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٤٩]، ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٤٩ ـ ٥١]، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: ١٥]، ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ [الشورى: ٤٨]، ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦]، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢٢]، ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ

أَكْفَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر: ١٥ ـ ١٦]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٤ ـ ٦]، ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ [العلق: ٦ ـ ٨]، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٦ ـ ٨]، ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [سورة العَصْر] .

الفصل السابع

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾

الانسان واُصوله

٧ ـ ١ الأصل الترابي للانسان: خلقٌ تطوري أم خلقٌ آني؟!

لنتدبَّر الآيات القرآنية الكريمة التالية:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢]، ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُم فِيهَا﴾ [هُود: ٦١]، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٨]، ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧]، ﴿مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]، ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السَّجدة: ٧]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [فاطر: ١١]، ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافّات: ١١]، ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: ٧١]، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النجم: من ٣٢]، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤]، ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧].

تؤكِّد هذه الآيات الكريمة على ان الخلْق من تراب هو قدَر البشر

كلّهم أجمعين حتى مَن كان منهم قد تم نسله من ماء أبيه ومادة أمه! فنحن بنو آدم وإن كنا قد خُلِقنا من مادتَي أبوينا المباشرين فان المادة الأصلية التي خُلِقنا منها بدايةً هي التراب الذي بدأ الله منه خلق الانسان ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾. فالانسان هنا هو آدم وبنوه كلّهم جميعاً! والآن، اذا كنتُ أنا مخلوقاً من تراب وعندي مع ذلك أب وأم منهما نُسِّلتُ فلمَ لا يكون آدم أيضاً مخلوقاً من تراب وعنده أب وأم كذلك؟! ان خلْق الله لآدم من تراب لا يستبعد نسله من ماءٍ مَهين: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السَّجدة: ٧ - ٨].

ان من أعظم أخطاء التفسير الحرفي للآية القرآنية الكريمة تَمخُّضه عن القول بأن الله قد خلق الانسان من طين خلقاً مباشراً وذلك من دون مرور بأطوار ابتدأت بالطين ولم تكتمل به! ان خطأ هذا التفسير يتجلّى في تناقضه مع الآية الكريمة ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين: ٥].

ان ردَّ الله للانسان أسفل سافلين لا يعني بالتأكيد اعادته الى التراب الذي ابتدأ منه رحلته! فالتراب ليس بأسفل سافلين! فما يكون اسفل سافلين ان لم يكن، كما يجب ان يستنتج المفسِّرون الحرفيّون حتماً، تراباً؟! ان الرد أسفل سافلين يعني إرجاع الله للانسان الى أسوء مما كان عليه قبل ان يُصبح في أحسن تقويم ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ١ - ٦]. ان إرجاع الله للانسان الى أسفل سافلين يعني إعادته الى أسوء مما كان عليه أسلافه الأواخر من عدوانية مفرطة جعلت منهم مفسدين في الأرض سفّاكين للدماء. ان المعنى البليغ الذي تفيده كلمة ﴿رَدَدْنَٰهُ﴾ يؤكِّد هذا الارجاع ويبرهن على ان الانحدار الى اسفل سافلين كان اعادةً الى حالة سابقة، بل الى أسوء منها. فلو لم يتم استخدام كلمة ﴿رَدَدْنَٰهُ﴾ بل أية كلمة اخرى غيرها تفيد غيرما تفيده من اعادة وارجاع (كأن يتم استخدام كلمةٍ اخرى مثل جعلناهُ) لانتفى التناقض الذي أوقع المفسِّرون الحرفيّون أنفسهم فيه عندما قطعوا بيقينٍ غير مؤسّسٍ على ركائز من كامل آي القرآن العظيم بأن الانسان خُلِق

من تراب خلقاً لم يستغرق غير ثوانٍ معدودات! ان الله لم يقُل في القرآن العظيم غير انه خلق الانسان من تراب وذلك من دون اي تحديد لأية مدة طالت أم قصرت. فلِمَ نفترض اذاً وجوب ان تكون مدة الخلق هذه قصيرةً للغاية؟! ان الله لم يقل شيئاً بهذا الخصوص! فلِمَ نُقَوِّل القرآن العظيم ما لم يقل به؟! لماذا نلجأ الى القطع والجزم والبت بأمرٍ لم يذكر الله عنه شيئاً في قرآنه العظيم؟! لقد ذكر الله انه خلق الانسان من تراب أو من طين أو من ماء ولم يذكر كم استغرقه فراغه من خلقه للانسان. فلِمَ نظن بأن خلْق الله للانسان لم يستغرقه الا قليلاً من الزمان؟! هل نحن أعلم أم الله؟! تدبّر الآية الكريمة: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]. ثم، مَن قال بأن الله اذ لم يخلق الشيء خلقاً آنياً فان ذلك موجبٌ للقدح في قدرته تعالى جدُّه؛ حاشا لله وأستغفر الله؟! لقد خلق الله السموات والأرض في ستة أيام ولم يخلقهن في لحظة واحدة! تدبّر الآيات الكريمة:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [هود: ٧]، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السَّجدة: ٤].

ثم ان اليوم عند الله قد يكون ألف سنة مما نعُدُّ أو خمسين ألف سنة. تدبّر الآيات الكريمة:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السَّجدة: ٥]، ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المَعارج: ٤].

ان ردَّ الله للانسان أسفل سافلين دليل على ما يقول به هذا الكتاب من حقّانية وجود انتكاسة ونكسة في خلْق الانسان وذلك بسببٍ مما حدث لآدم في الجنة! وهذه الانتكاسة الى أسفل سافلين طعنةٌ نجلاء في صدور المفسّرين

الحرفيين الذين يُصرّون على تقويل النص ما لا زعم له به؛ وما قيامهم بذلك الا الدليل القاطع بكونهم أصحاب كِبْر ليسوا ببالغيه أبداً ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [المؤمن: ٥٦]. لقد خلق الله الانسان في أحسن تقويم ثم ردّه وأعاده وأرجعه الى اسفل سافلين: الى أسوء مما كان عليه أسلافه الأواخر من شذوذ وإجرام وانحراف وخروج على قوانين الله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هُم.

الا اننا اذ نقول بأن الله لم يخلق الانسان خلقاً آنياً فورياً مباشراً من طين، كما يقول بهذا أتباع التفسير الحرفي للآية القرآنية الكريمة، فاننا في الوقت نفسه لا نزعم بأن الانسان تطور وارتقى كما يظن النشوئيّون والارتقائيّون من أتباع التفسير التطوري للظاهرة الانسانية، الخارقة وجوباً! فقد كشف القرآن العظيم النقاب عن كون الله قد خلق الانسان في أحسن تقويم. وهذا برهانٌ قاطعٌ بكون ما سبق الانسان من مخلوقات شبيهة به لم يكن واحدٌ منها انساناً بحق! فالانسان لم يظهر الا بظهور آدم. ومن هنا كان آدمُ الانسانَ الأول الذي لم يسبقه انسانٌ آخر قط. فلم يكن أيٌّ من أسلاف الانسان، أوائلاً كانوا أم أواخراً، انساناً ولم يكن في أحسن تقويم! ان انتماء الانسان، تطوراً وارتقاءً، الى أسلافه الأواخر لا يلزم عنه ضرورةً ان يكون واحدُ هؤلاء الأسلاف انساناً كما ان انتماء الانسان، نشوءً ومبتدءَ خلْقٍ، الى الطين لا يلزم عنه وجوب ان يكون الطينُ انساناً! فالانسان هو مَن اختُص بشفائه من الاصابة الفايروسية؛ الأمر الذي أدى الى ظهور العقل المنفرط ذي الذكاء الفائق المفرَط والذي مكّن له من استضافة الروح. فالانسان الأول اذاً كان آدمَ وليس أحداً غيره! ان هذا الكتاب لا يقول، كما يقول التطوريّون اللاخَلقيّون، بأن الانسان الأول محضُ خُرافة! فالنظريات التقليدية للنشوء والارتقاء والتطور تُسمّي أسلاف آدم من أشباه الانسان بتسمية انسان؛ وهذا وهم كبير! فليس هناك من انسان جاوة وانسان بكين وانسان نياندرتال والانسان الماهر كما يتخيّل هؤلاء! فتلك الكائنات الشبيهة بالانسان لم يكن أيٌّ منها انساناً. ان الانسان الحكيم Homo Sapiens لم يظهر الا بظهور آدم؛ الإنسان الأول! الا ان ظهوره لم يدم طويلاً؛ اذ سرعان ما رُدَّ

الى أسوء مما كان عليه الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم!

ان الآية الكريمة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ لا تقول بأن المُخاطَب المقصود والمعني بكلمة ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ هو الانسان بصورة عامة كما يقول بذلك اتباع التفسير الحرفي للآية القرآنية الكريمة الذين لا يتقيّدون بنص الآية الكريمة الا من بعد ان يقوموا باجتزائه واقتطاعه وفصله عن باقي النص القرآني العظيم! الا ان هذا خطأ فادح عظيم؛ فالانسانُ هنا هو غير هذا الانسان الذي نعرفه. فالمعني بهذا الذي جاء في الآية الكريمة هو آدم (الإنسان الأول) وليس من أحد آخر غيره! ان آدم كان أول انسان خلقه الله في أحسن تقويم. اما ما كان قبله فلم يكن أحدٌ منهم انساناً. لذا فلقد أطلقنا عليهم اسم (الأسلاف الأواخر للإنسان)! فآدم كان يختلف عن أسلافه وأفراد قومه اختلافاً كاملاً وذلك على الرغم من كونه خَلَف لهم ومن ذريَّتهم! كان قوم آدم قد أُصيبوا بتلك الاصابة الفايروسية التي جعلت منهم يتحوّلون مخلوقاتٍ مُسوخاً وذلك بسببٍ من عدوانيّتهم الفائقة وجنونهم السُعاري المُطبَق. الا ان آدم، ومن بعد تدخُّل الله في تخلُّقه جنيناً في بطن أمه، كان قد تم إِسكات وتخميد هذه العدوانية في دماغه وذلك بارجاعها الى ما كانت عليه قبل الاصابة الجماعية لقومه. لقد تم جعل هذه العدوانية في طورٍ من الكمون والسُبات جعل من آدم خلقاً آخر لا يشبه قومه المُسوخ. فالفايروس الذي أصاب قبيلة آدم أدى الى ظهور آدم بعد اكتسابه لصفاتٍ لم يكن يمتلكها أبواه اذ لم يتدخّل الله لينقذهما كما فعل مع جنينهما آدم.

لقد برهن أتباع مذهب التطور على ان هنالك تشابهاتٍ لا سبيل لإنكارها بين الانسان والحيوان وان هذه التشابهات الشديدة تُبيح لنا بالتالي القول بانحدار كليهما عن أصل واحد. وهذا ما يوافقهم عليه هذا الكتابُ جملةً وتفصيلاً. الا انهم اذ يقولون بالنشأة الواحدة المشتركة للإنسان والحيوان فانهم يؤسّسون على قولهم الصائب هذا بُنيانهم المعرفي الذي جعل منهم ينظرون الى الانسان فلا يرونه الا حيواناً راقياً ليس الا! وهذا ما لا يوافقهم عليه هذا الكتابُ اطلاقاً. فالانسان ليس حيواناً وان كان يوجد بينه وبين الحيوان شَبَهٌ شديد للغاية! لقد أجاد التطوريون في إِرجاعهم الانسان والحيوان الى أصل واحد. فلقد ورد في القرآن العظيم ان الله خلق كل دابة من ماء: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن

يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥].

ان الله يجمع في هذه الكلمة المُعبِّرة (دابَّة) ما بين الانسان وجميع أصناف الحيوان التي تُشارك بني آدم وتتواجد معهم على هذه الأرض. فالكل يسعى عليها ويدب! اذاً لا خلاف بين ما أقرّه القرآن العظيم بشأن النشأة المشتركة للإنسان والحيوان وبين ما توصلت اليه مباحثُ التطوريين بهذا الخصوص. الا ان القرآن العظيم لا يوافق نظرية التطور على ما زعمته من ان تطور الانسان وصولاً الى ما هو عليه الآن قد تم وفق ذات القوانين الطبيعية التي تطور في ظلها الحيوان! فتطور الانسان من النشأة الاولى المشتركة لم يتم وفق قوانين التطور ذاتها التي أدّت بالحيوان الى ما نراه عليه الآن من التزام تام وطاعة مطلقة لقوانين الله في الطبيعة. لقد افترق الانسان عن الحيوان عند نقطةٍ ما في الماضي الحيواني المشترك بينهما فلم يعد الانسان حيواناً بعدها! ان هذا الافتراق في التطور هو الذي أدى الى وصول الانسان الى ما نراه عليه الآن من خروجٍ تام على قوانين الله في الطبيعة وذلك كما يتجلّى في تمرُّده عليها وتناشزه مع مفرداتها وإفساده فيها طغياناً وتدميراً. فاذا كانت هنالك تشابهاتٌ جوهرية بين الانسان والحيوان تُجوِّز ردّ نشأتهما الى أصلٍ مشترك واحد فان هنالك بينهما اختلافاتٍ جوهرية كذلك تُوجب القول بأن تطورهما وارتقاءهما لم يتم وفقاً للقوانين الالهية ذاتها! فالانسان والحيوان اخوةٌ في الأصل الواحد الذي نُشِّئا عنه واعداءٌ في المسار الذي شقَّه كلٌ منهما، بعد الافتراق آنف الذكر، وصولاً الى ما هما عليه الآن! فاذا كان الانسان ذا ماضٍ حيواني فان حاضره الآن ليس بحيواني! ان الإقرار بأن الانسان اصلُه حيوانٌ والاكتفاء بالماضي الحيواني للانسان لا يكفيان للتعليل للحاضر الانساني الذي لا تَشابُه بينه وبين الحاضر الحيواني الا قليلاً! فالتسليم بأن الانسان ما هو الا حيوانٌ راقٍ، ليس الا، يغفل عن الأخذ بنظر الاعتبار ما يوجد بين الاثنين من عظيم تناشُز وشديد اختلاف لا يمكن التعليل لهما استناداً الى القوانين الطبيعية التي استطاع التطوريّون اكتشافها في الطبيعة والتي نجحوا في فهم الظاهرة الحيوانية فهماً ممتازاً على ضوئها والتي ظنوا وتوهموا، في الوقت عينه، انها تُمكّنهم من فهم الظاهرة الانسانية كما فهموا

نظيرتها الحيوانية من قبل! ان القول بأن الانسان ما هو الا حيوانٌ بدليل التشابهات الشديدة بينهما يُبطله ويدحضه ما يوجد بينهما من تناشزات شديدة كذلك! لذا فان الاكتفاء بالماضي الحيواني للانسان، والذي لا يُمثِّل الا جانباً يسيراً من ماضيه، ليس بمقدوره ان يُعيننا على ان نروي قصة تطور وارتقاء الانسان كاملةً بلا نقص! ولكن، لماذا لم يبقَ الانسان حيواناً؟ ولماذا أصبح انساناً؟ وماذا بشأن هذه الاختلافات الشديدة بينهما؟ ان نظرية التطور، بانطلاقها من النشأة المشتركة للإنسان والحيوان ووقوفها عند التشابُهات الشديدة بينهما وإهمالها الغوص في التناشزات الجوهرية الموجودة بينهما، عاجزةٌ تماماً عن النظر الى الانسان بعينٍ سليمة تراه على ما هو عليه وليس كما تتوهمه وتتخيله! ان القرآن العظيم يمد يد العون للعلم المعاصر ليقوم من سقطته المعرفية قادراً على التدبُّر في الظاهرة الانسانية بما يعود علينا بفهمٍ جديد للإنسان كما نعرفه يتجاوز الأُطُر البالية التي حاول مُنظِّروه ابقاءنا مُحدَّدينَ بها طوال العُمُر. فالقرآن العظيم يجعلنا ننظر الى الانسان فلا نراه حيواناً ما قد جعل منه التطور والارتقاءُ، في ظل قوانين الطبيعة، يتجاوز الحدود الحيوانية بلا خروجٍ على الطبيعة كما يتوهم منظِّرو التطور الانساني؛ بل نراه على حقيقته مخلوقاً غير طبيعي ذا ماضٍ حيواني لا يُمثِّل كل ماضيه الذي ليس من سبيلٍ للتعرُّف عليه، إطلالاً وليس إِلماماً، الا بالتدبُّر في آياته الكريمة التي وحدها بمستطاعها القاء الضوء الشديد على جوانب غامضة مُبهمة من ذلك الماضي السحيق الذي سُحِقنا بثقله وبضعفنا وعجزنا وتوانينا وتقاعسنا وتباطُئنا وقعودنا عن مجابهته والتصدي له! ان الحل الذي يُقدِّمه القرآن العظيم انقاذاً للنوع الانساني من الكارثة التي يسير مغمض العينين باتجاهها يكمن في قيامنا بعودةٍ الى ذلك الماضي البعيد لنُصحِّح حاضرنا الشقي بمستقبل سعيد!

ان النظر الصائب السليم الى الانسان، بمقارنته بالحيوان وتدبُّر ما بينهما من اختلافٍ وتشابُهٍ، كفيلٌ بجعلنا نُعرِض عن إِطلاق تسمياتٍ من قبيل الحيوان الناطق، الحيوان العاقل، الحيوان المفكِّر، الحيوان الاجتماعي، وما شابه على هذا الانسان! فالانسان ليس حيواناً راقياً وهو ليس بحيوانٍ ذي ذكاءٍ خارق وهو ليس حيواناً ذا نظام اجتماعي متفوِّق. واذا كان الانسان ليس حيواناً فان ذلك لا

يعني إِطلاقاً وجوب كونه أفضل منه! فالانسان ليس بحيوانٍ طالما كان هنالك من الاختلافات الجوهرية بينهما ما يجعل من التشابهات الجوهرية بينهما غير كافية للقطع بكونه قد تطوَّر وفقاً للقوانين ذاتها التي أوصلت الحيوان الى ما هو عليه الآن. اننا نظلم الحيوان بقولنا إِنَّ الانسان حيوان! فالحيوان كائن طبيعي تمتاز علاقته بالطبيعة بكونها علاقة تناغُم وانسجام وتوافُق هارموني معجز. بينما تتميز علاقة الانسان بالطبيعة بأنها علاقة تعادٍ وتناشُز وخروج من جانبه على قوانينها. ان النظرة السليمة الصائبة الى الظاهرة الانسانية ينبغي ألاّ تهمل هذا الذي يتجلى بكل وضوح في علاقة الانسان بالطبيعة فيجعل منه على غير وِفاق معها. لقد كانت نشأة الانسان نشأةً طبيعية وذلك بدلالة خلْقه من ذات المادة التي منها خُلِق كل شيء حي: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: من ٣٠]. الا ان الاقتصار على النظر الى الانسان بدلالة نشأته الطبيعية هذه كفيلٌ بجعلنا نقع في تناقضٍ صارخٍ بوجوب عودتنا عن هذا الغَي الذي أوقعَنا فيه تدبُّرنا في الواقع الانساني بعينٍ تنظر الى الظاهرة الانسانية فلا تراها الا صنيعة ماضٍ حيواني هو كامل الماضي الانساني! ان فهم هذه الظاهرة كما ينبغي ليس بالأمر العسير اذا ما نحن تدبّرنا مفرداتها على ضوء ما جاء بشأنها في القرآن العظيم الذي وحده يمتلك مفاتح الغيب الذي لم نشهده وليس لنا من سبيل لنشهده بما تيسَّر لنا من علمٍ قليل!

لقد دأبت العلوم التقليدية التي تمحورت مباحثُها حول الظاهرة الانسانية على النظر الى الانسان على انه حيوان بالامكان التعامل معرفياً معه بالانطلاق من ذات القوانين الطبيعية التي تمَّت دراسة الحيوان بموجبها. فعلوم البايولوجيا والطب والنفس والاجتماع والانثروبولوجيا تنظر جميعها الى الانسان من هذا المنظار الضيّق الذي لا يرى الواقع الانساني على ما هو عليه حقيقةً بل يتوهّمه كيفما شاء ووفقما تُمليه عليه منطلقاتُه الابستمولوجية الخاطئة! فلقد حاولت هذه العلوم جاهدةً ان تُفسِّر كل ما هو انساني بدلالة ما هو حيواني حتى وان أدّى ذلك الى قسْر هذا التفسير المصطنَع على الظاهرة الانسانية قسراً ليس لِيُسوِّغ له أيُّ سببٍ عقلاني مُقنِع! ولكن، أما كان بامكان العلم التقليدي ان يكتشف بأن هذا الثوب الحيواني لا يُناسب جسم الانسان؟! لماذا لم يعي منظِّرو العلم

المعاصر عجز وقصور الوثيقة العلمية عن تفسير الواقع الانساني بدلالة الحيواني؟! لماذا أحجم العلماء عن التدبُّر في الاختلافات الجوهرية التي يتميز بها الانسان عن الحيوان؟! ان الإعراض عن اللجوء الى الوثيقة الدينية الصائبة هو السبب في هذه النظرة غير الصائبة التي ميَّزت تعامل العلم مع الظاهرة الانسانية. والعلماء معذورون في عدم قبولهم بما تيسَّر لهم الوقوع عليه من تفسيراتٍ غير دينية للوثيقة الدينية وذلك طالما لم يجدوا في ما قُدِّم لهم على انه ما جاء به الدينُ عن الله غير سرابٍ يحسَبه الظمآنُ ماء! ولكنهم غير معذورين في تنصُّلهم من مسؤوليّتهم كعلماء يتوجَّب عليهم الابتعاد عن الانحياز الى غير الحقيقة مهما كانت الضغوط والضاغطون! فقد نفهم ونتفهَّم الأسباب التي حالت دون ان يستعينوا بالتفسيرات التي قدَّمها أدعياء الدين على انها الدين الذي أنزله الله وذلك في دراستهم الظاهرة الانسانية ولكننا أبداً لا نفهم ما الذي حال دون ان ينظروا الى الانسان على ما هو عليه حقاً من عظيمِ اختلافٍ عن الحيوان! يبدو ان كون العلماء بشرٌ اولو أدمغة مصابة بداء الغرور والتكبُّر قد حال بينهم وبين النظر السليم الى الواقع الانساني بعيداً عن أية اعتبارات مسبقة تُمليها عليهم خصوماتُهم مع أدعياء الدين الذي ظنّوا انهم اذ يقولون بأن الانسان لا يشترك مع الحيوان في شيء فانهم ينتصرون للدين الذي نصَّبوا من أنفسهم، بلا اجازةٍ من الله ولا اذن، حُماة له ومنافحين عن حِماه! لقد وقع كلا الفريقين في ذات الفخ الذي ظن كلٌّ منهم انه قد أوقع بخصمه اللدود فيه! فاذا كان العلماء قد وقعوا في فخ استُدرِجوا اليه من قِبَل غرورهم الذي أعماهم فجعل منهم يقاتلون أدعياء الدين بسيف الأصل الحيواني للإنسان، فان هؤلاء الأدعياء قد أوقعهم غرورُهم في الفخ الذي نصبوه لأنفسهم وهم لا يشعرون؛ اذ أنستهم حَمِية الجاهلية ان يتدبَّروا ما جاء في الوثيقة الدينية، التي جعلوا من أنفسهم الناطق الرسمي بإسمها، من تقريرٍ قاطع بأن الانسان لم يخلقُه الله كما توهَّموا وأوهموا! الا ان هذا الكتاب اذ يوجِّه انظار العلماء الى ما فاتهم ان ينتبهوا اليه من أمر الانسان فانه لا يكتفي بجعل جل رسالته التذكير بما غفل عنه الآخرون! فاذا كان العلماء قد ازّاوروا وأعرضوا عن التدبُّر في الواقع الانساني على ما هو عليه حقاً، لأسبابٍ عقائدية لا تمتُّ بصلة لروح العلم، فانهم لن يجدوا في هذا الكتاب ما فاتهم ان ينتبهوا اليه فحسب ولكن ما كان ينبغي لأدعياء الدين ان يُقدِّموه لهم بدل ذلك الهُراء الذي

توهّموه سيفاً بتّاراً لا يُثلم! لقد وقع العلماء في وهم كبير اذ ظنّوا ان اختفاء الله من وراء حجاب الأسباب دليلٌ على عدم وجوده! أن الله اذ اختفى عن الأنظار فانه لم يختفِ عن البصائر التي جعلها قادرةً على ان تكتشف وجوده المتخفّي في الطبيعة التي خلقها وجعلها طريقاً من الطرق المؤدية اليه اذا ما تدبَّر الانسان فيها بعقلٍ سليم، ابستمولوجياً، ونظرٍ صائب. فلقد بثَّ الله في الطبيعة قوانينه التي تكفَّلَت بضمان سيرها واستمرارها واستقرارها على أحسن حال. ولقد توهّم العلماء ان هذه القوانين هي كل ما هنالك وان لا وجود لما هو مختفٍ من ورائها عن سابق ارادة وحكمة ومَقصد! فوقع في ظنّهم الواهم ان لا وجود لغير هذه القوانين الطبيعية التي بمستطاعها، وحدها، ان تُفسِّر الواقع والطبيعة وذلك من غيرما حاجة لافتراض وجود إِله معها غيرها! ولكن، مَن قال بأن وجود هذه القوانين يتعارض مع الوجود الالهي في الطبيعة؟! مَن قال بأن تفسير الطبيعة بدلالة هذه القوانين ينفي ضرورة وجود إِله في الطبيعة؟! ان قدرة القوانين الطبيعية على تفسير الطبيعة لا تعني ان لا وجود الا لهذه القوانين وذلك طالما استطاعت ان تقوم بواجبها التفسيري هذا على أحسن وجه! ان الأمر بعيد عن ان يكون تنافساً بين الله وهذه القوانين على تفسير الطبيعة؛ أيهما هو الأفضل شرحاً وتفسيراً! فوجود الله ليس المقصود منه تفسير الطبيعة! ان نجاح هذه القوانين في تفسير الطبيعة لا يعني وجوب القول بعدم وجود الله! فاذا استطاعت هذه القوانين تفسير الطبيعة فان هذا لا يُحتِّم ضرورة ان لا يكون هنالك إِلهٌ في الطبيعة! لكأن العلماء يقولون بأن لا حاجة هناك لافتراض إِلهٍ، لتفسير الطبيعة، طالما كان بمقدور هذه القوانين تفسيرها! ولكن، ماذا لو ان الله هو الذي خلق هذه القوانين وجعْلها أسبابه التي يُنظِّم بها سير أعمال الطبيعة؟! ان وجود هذه القوانين لا يستبعد تواجد الله معها في الطبيعة خالقاً لكليهما مُسبِّباً لما يحدث بهذه القوانين وذلك من غير تحديدٍ لقدرته المطلقة على الفعل في الطبيعة بقيود هذه القوانين! ان الله يتواجد مع هذه القوانين في الطبيعة تواجده مع الطبيعة ذاتها! لقد وقع العلماء في الفخ اذ توهَّموا بأن قدرة القوانين الطبيعية على تفسير الطبيعة تجعل من غير المفيد افتراض وجود إِلهٍ في الطبيعة! ولكن، ماذا سيقولون لمَن يقول لهم بأن الله والقوانين التي خلقها في الطبيعة لا يستبعد احدهما الآخر؟! يبدو ان العقلية الاقتصادية، التي يمثلها مذهب اوكام Occam Razor ، قد جعلت من

العلماء لا يجدون ضرورةً في القول بوجود إله في الطبيعة وذلك طالما استطاعت القوانين الطبيعية تفسير ما يحدث فيها! ان العلماء لا يستطيعون الحكم والجزم بعدم وجود إله خلق هذه القوانين في الطبيعة واختار ان يتخفّى من وراء حجابها! لِنعُد الآن الى الطبيعة على ما هي عليه حقاً لا كما يتوهّمها هؤلاء العلماء الذين صادروا على عدم وجود الله انطلاقاً من اختفائه عن انظارهم! فلقد خلق الله الطبيعة وخلق فيها من القوانين ما هو كافٍ لجعلها تسير وفق نظام مُحكم بديع معجز. لقد اختار الله ان يتلطَّف فلا يُشعِر بتواجده في الطبيعة، خالقاً بارئاً مصوِّراً رازقاً ليس كمثله شيء، أحداً من خلقه الذين بثّهم فيها الا مَن شاء ورحم. ان هذا التواجُد الالهي في الطبيعة يُعبِّر عنه تدخُّل الله في شؤونها وتسييره لمُجريات أحداثها تدخُّلاً غير مباشر من وراء حجابٍ من الأسباب التي تجلَّت في قوانينه التي خلقها في الطبيعة ليستقيم بها أمرها. ولقد خلق الله الحياة في الطبيعة من مائها وتكفَّل بتدخُّله غير المباشر في خِلْقتها المائية هذه بجعلها تتطوَّر وفق قوانين لا تحيد عنها فكان ان ظهرت أصنافٌ من نباتٍ وحيوان شتّى. لقد تجلّى في مسار نشوء وتطوُّر وارتقاء أصناف الحياة هذه تدخُّلُ الله بصورة غير مباشرة ومن وراء حجاب الأسباب بما من شأنه ان يكفل حدوث كل ما حدث. ان العلماء اذ ينظرون الى الطبيعة فلا يرون ما يستدلّون به على تواجد الله فيها فانهم لا يأتون بجديد! فالله لم يجعل من تواجده هذا جلياً بحيث تدركه الأبصار! لقد اختار الله ان يتخفّى من وراء حجاب الأسباب بقوانينه التي بثّها في الطبيعة التي خلقها ولم يجعلها الا بداية الطريق اليه لا نهايته! لذا فان العلماء ظنّوا انهم مانِعتهم معارفهم من الله اذ بحثوا عنه ولم يجدوه في الطبيعة فسارعوا الى القطع بيقين بأنه ما من إلهٍ هناك في الخارج! ولكن هيهات لما يظنون! ان العلم اذ ينظر الى الطبيعة فلا يجد فيها الا حجاب الأسباب التي خلقها الله لتسيير امورها واختفى من ورائها فانه يتوهّم ان هذه الأسباب هي كل ما هنالك فلا يخطر بباله قط انها ما هي الا مفردات حجاب الله في الطبيعة ليس الا! ولكن الله لم يكتفِ بأن يكون تعامله مع طبيعته التي خلقها بيديه متمثّلاً بتدخُّله غير المباشر فيها من وراء حجاب الأسباب! فلقد خلق الله الانسان استثناءً من القاعدة التي جعلها قانونه الوحيد في الطبيعة. فلم يتميز الا هذا الانسان بخلْقِ الله له من غيرما تدخُّل غير مباشر من وراء حجاب الأسباب ولكن بتدخُّلٍ إلهي

مباشر من دون أسباب! لقد خُلق الانسانُ خلقاً آخر وليس على غِرار ما خلق الله قبله من حيوان ونبات. فالانسان لم يُخلَق كانسان كما خُلِقت الحيوانات والنباتات بل خُلِق خلقاً فريداً تجلّى بتجلي الله له من وراء حجاب الأسباب.
ولقد كُشف النقاب عن هذا الخلق الفريد الذي تميز به الانسان في آيات القرآن العظيم التي أبانت عن اختلافه عن جميع خلْق الله من حيوان ونبات بكونه صنيعة التدخُّل الالهي المباشر الذي لولاه لما ظهر الانسان. فالانسان نِتاج ذلك التدخُّل الخارق المُعجز الذي يكشف به الله عن حقيقة كونه الاله الذي لا اله الا هو بتجلّيه بلا حجابٍ من أسباب! ان التدخُّل الالهي المباشر في الوجود كفيلٌ بتعطيل كافة الأسباب التي خلقها الله من قبلُ فجعل منها الدقَّة التي تُسيِّر سفينته الى أجل مسمّى. ان تقنية كُن فيكون هي فِعْلُ الله الخالص بلا وساطةٍ من قوانين وأسباب! ان اِسقاط الله لحجاب الأسباب ينجم عنه سقوط كل ما يجعل من العقل غير السليم يتوهّم السبب ربّاً والمخلوق خالقاً! وهذا هو جوهر الرسالة الخارقة التي وجّهها الله عبر التاريخ الى البشر مُتضمَّنة في ثنايا المعجزات التي أجراها الله آياتٍ بيّنات لا دَلالة لها الا عليه ولا شهادة لها الا بأنه هو الله الواحد الأحد! لذا فان الانسان معجزةٌ من تلك المعجزات؛ خلقه الله ليُدل على خالقه كما ليس بمقدور أحد آخر من خلقه ان يدل عليه. وكيف لا يدل الانسان على خالقه اذا ما كان خلْقُه قد تم بتدخُّلٍ مباشر من لدنه؟! فلو لم يتدخَّل الله بـ كُن فيكون في خلقه للانسان لما خُلِق هذا الانسان! ان كون الانسان ظاهرةً خارقة ليس بالأمر العجيب طالما كانت خِلقته بتدخُّل اِلهي مباشر ليس له مثيل! لقد ذكر الله في القرآن العظيم انه خلق آدم بـ كُن فيكون وهذا كافٍ وحده ليجعل من الانسان خلقاً آخر ليس كأحد من حيوان الأرض ونباتها! ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عِمران: ٥٩]. فلم يخلق الله النبات والحيوان الا خلقاً بتدخُّلٍ غير مباشر من لدنه طالما كان هذا خلقاً من وراء حجاب الأسباب. أما الانسان فلقد خُلِق بتدخُّلٍ اِلهي مباشر جعل منه كائناً يختلف عن كل ما على الأرض من نبات وحيوان بأنه خُلِق في أحسن تقويم ثم رُدَّ الى أسفل سافلين! لقد ذكر القرآن العظيم تفاصيل خلق الانسان وكيف ان الله ابتدأ خلقه من طين بتدخُّل اِلهي غير مباشر من لدنه ثم جعل نسله من سلالة من ماءٍ مَهين بتدخُّلٍ من وراء حجاب الأسباب حتى ان سوّاه ونفخ فيه

من روحه بتدخُّلٍ مباشر بـ كُن فيكون. لقد خلق الله الانسان ليكون نِتاج التدخلين: غير المباشر من وراء حجاب الاسباب والمباشر بـ كُن فيكون. لذا لم يكن لهذا الانسان ان يتشابه، جملةً وتفصيلاً، مع الحيوان ولم يكن له ان يختلف عنه، جملةً وتفصيلاً، كذلك! فالانسان جامعٌ لخَلقَي الله: المباشر وغير المباشر. لقد مهَّدت إصابة أسلاف الإنسان الأواخر بذلك الفايروس الفضائي لتدخُّل الله مباشرة بـ كُن فيكون في تخلُّق آدم جنيناً وبما نجم عنه من خلْق للإنسان في أحسن تقويم كما مر بنا من قبلُ. فكيف يكون الانسان حيواناً، كما يتوهّم العلماء، اذا كان الله قد خلقه نِتاج تدخُّلين من لدنه ولم يخلقه بتدخُّلٍ واحد كما خلق الحيوان من قبل؟! ان الانسان ليس بحيوان مادام هو صنيعة كُن فيكون ومادام هو ابن آدم الذي رُدَّ أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هُم!

ان إهمال الدور الالهي المباشر في خلْق الانسان لا يمكن ان ينجم عنه الا النظر الى الظاهرة الانسانية بعينٍ غير سليمة عاجزة عن تدبُّر مفرداتها الحقيقية تدبُّراً من شأنه ان يُعيننا على فهم الواقع الانساني كما يتجلّى في تصرّفات أفراد هذا النوع العجيب! فعدم الإقرار بوجود واقعٍ آخر متسلِّط على واقعنا هذا مُتدخِّل في تفاصيله، تارةً بصورةٍ مباشرة وأُخريات بصورةٍ غير مباشرة من وراء حجاب الأسباب والقوانين، كفيلٌ بجعلنا نضل فلا نصل الى الحقيقة التي ليس اليها من سبيل الا باستكمال جميع مفرداتها وبعدم الاقتصار على ما هو بالامكان الوقوع عليه منها! ان استمرار العلماء في النظر الى الانسان على انه حيوانٌ، ليس الا، لن يجعلنا نقترب الا من تمام الجهل بالذي حدث فجعل من هذا الواقع الانساني خارجاً على قوانين الطبيعة! فلقد مكر الله وجعل من حجاب أسبابه فخاً أوقع العلماءُ أنفسهم فيه بأنفسهم اذ ظنّوا ان لا وجود لله في الطبيعة، ولا تواجُد، وان الانسان كائنٌ طبيعي شأنه شأن الحيوان، وان قوانين الطبيعة تكفي لتفسيره كفايتها لتفسير جدّه الحيوان! ان الماضي الحيواني للإنسان هو ليس ماضيه بالكامل. الا ان العلماء يعتقدون بأن ماضيه الحيواني كافٍ لتفسيره وقائعاً وظواهر! ان ما هو حيواني في الانسان بالامكان تفسيره بدلالة ماضيه الحيواني ولكن، ماذا بشأن ما لا يقبل التفسير من حاضره بدلالة ماضيه المزعوم هذا؟!

فما هو حيواني في الانسان لا يُمثّل الا نزراً يسيراً من مُجمل كُليّته وما هو غير حيواني فيه يمثّل معظم كينونته. فكيف نأمل بالتالي ان يكون بمستطاعنا ان نُفسّر الانسان بالكامل استناداً الى ماضٍ حيواني لا يُمثّل الا جانباً بسيطاً من ماضيه؟! ان أهم ما في الانسان، كما يُجلّيه واقعُه، هو تميزه وتفرُّده على الحيوان خروجاً على القوانين الطبيعية التي يلتزم بها كل كائن حي في الطبيعة. وهذا الخروج على قوانين الطبيعة ليس بامكان الماضي الحيواني للإنسان ان يُفسِّره على الاطلاق. فكيف نأمل اذاً ان يكون الانسان واضح المَعالم مُفسَّراً بدلالة هذا الماضي الفقير العاجز؟! ان التدخُّل الالهي المباشر في تخلُّق الانسان، خلقاً في أحسن تقويم ورداً أسفل سافلين، هو السبب في ظهوره على ما هو عليه وكما نعرفه خارجاً على الطبيعة غير مُنتنم لها. وهذا التدخُّل هو الذي جعل منه يبقى فلا يفنى كما فنى أسلافه الأواخر. ان أهمَّ ما في الانسان انسانيّتُه وبشريّتُه اللتان لم يكن ليشقى بهما لولا ما حدث من تسلُّط واقعٍ آخر على ماضيه الحيواني مما جعل منه يغادر عالم الحيوان والى الأبد الا قليلاً من أفراد نوعه مِمَّن مُسِخوا قردةً وخنازيرا! ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].

لذا فان الانسان، بخِلقته الفريدة التي صاغتها يدُ التدخُّل الالهي المباشر، معجزةٌ ناطقة بأن خالقه لا يمكن ان يكون الا الله! فالانسان لم يكن ليظهر كما ظهر النبات والحيوان كلاهما وفقاً لقوانين الله في الطبيعة تطوُّراً وارتقاءً. فلو لم يتدخّل الله في تخلُّق الانسان لما ظهر الانسان الأول ولاختفى أسلافه الأواخر كما اختفى من قبلُ كلُّ مَن خالف عن أمر الطبيعة وخرج على قوانينها لأي سببٍ كان. فاذا كان الحيوان عاجزاً عن ان يجعل من العقل السليم يصل بتدبُّره في ظواهره، نشوءً وتطوراً وارتقاءً، الى وجوب القطع بيقين بوجود الله، خالقاً له مدبِّراً لأمره، طالما كان تواجُد الله في الطبيعة هو من وراء حجاب الأسباب فان الانسان يُلزِم المُتدبِّرَ فيه، نشوءً وتطوراً وارتقاءً، ان يجزم بضرورة القول بأن ظهوره لا يمكن ان يكون الا نِتاجاً لتدخُّلٍ إلهي مباشر خَرقاً لحجاب الأسباب!

ان الإنسان ظاهرةٌ خارقة بمقدورها ان تبرهن على وجود إله خالق حكيم خبير.
ان استحالة ان يكون الانسان صنيعةَ التطور الطبيعي، كما يقول به مَن ينظر الى الانسان على انه حيوانٌ راقٍ، حقيقةٌ ليس لإنكارها من سبيل. ان العلماء ينظرون الى الانسان كما ينظرون الى الحيوان فلا يرونه متميزاً عنه بشيء خارق للقوانين التي يلتزم بها كل كائن حي في الطبيعة. لذا فانهم لا يرون في الظاهرة الانسانية ما يوجب اعتبارها نِتاج تدخُّلٍ من خارج القوانين العاملة في هذه الطبيعة (من خارج حجاب الأسباب)! لذا تراهم لا ينظرون الى الواقع الانساني على انه شهادةٌ ناطقة بوجود واقع آخر غير طبيعي مسؤول عن ظهوره على ما هو عليه لفرط تسلُّطه ومُحكَم هيمنته عليه. ولكن هذا وهم كبير وخطأ فادح! فالانسان معجزة تشهد لله بأنه خالقُه وصانعُه. ان كل التدخُّلات الالهية المباشرة في الطبيعة، تعطيلاً لسابق قوانين الله فيها وتسليطاً لقانون المُلك الالهي المُتفرِّد، والتي تجلَّت معجزاتٍ خارقةً وظواهر فائقةَ الخارقية ليس بمقدور أحد من العلماء ان يجد لأيِّها تفسيراً ما علمياً!! وكيف لا اذا كان هكذا تفسير يستند، ضرورةً وبداهةً، الى قوانين وأسباب خلقها الله من قبلُ وخرقها الآن بتدخُّله المباشر هذا والذي تجلّى في حدوث هذه المعجزة او تلك؟!! لذا فان الانسان لا يمكن ان يتم تفسيره بقوانين الطبيعة وذلك طالما كان الله قد خرقَ هذه القوانين باسقاطه حجاب الأسباب المُبرقع لها وذلك بتدخُّله المباشر في خِلْقته تطوراً وارتقاءً! ان أياً من المعجزات الخارقة ليس بمقدورها التصريح او التلميح، نُطقاً أو اشارةً، الى أي تفسير علمي اسقطه ظهورُها المُعجز هذا! فالتفسير الحق الوحيد الذي بوسعها التلويح به، بكل ما اوتيت من عزم خارق وقوة فائقة، هو كون هذا الظهور نِتاج فِعل الله بلا حجابٍ من أسباب!

٧ ـ ٢ الأصل الحيواني للإنسان حقٌّ لا شك فيه!

ان الناظر بعينٍ سليمة الى الجسم الانساني لابد وان يراه مُحمَّلاً بالكثير من الأدلّة والبراهين التي بمستطاعها الجزم بأن الانسان ذو ماضٍ حيواني موغل في القِدَم وان الله لم يخلق الانسان خلقاً آنياً من دون مرور بمراحل متعاقبة استغرقت ملايين من السنين تطوراً وارتقاءً، داخل الطبيعة كما نعرفها، وبعيداً عنها، حتى وصل الى شكله الحالي المُشابِه، في كثيرٍ من مفرداته، للحيوان والمختلف، في

كثيرٍ من صفاته، عنه أيضاً! فالانسان لم يُخلق خلقاً لَحَظياً بتحوُّل الطين شكلاً بشرياً، في التو واللحظة، كما يحسب البعض! لقد ذكر الله في قرآنه العظيم ما بمقدورنا، اذا ما نحن تدبّرناه بعقلٍ سليم ابستمولوجياً، ان نفيد منه في التثبُّت من أن الانسان قد خُلِق خلْقاً استغرقَ أمداً طويلاً، وطويلاً جداً، في حقيقة الأمر. ان الله قادرٌ على ان يخلق انساناً من طين خلْقاً آنياً لحَظياً من دون مروره بتطور وارتقاء يستغرقه ملايين من السنين حتى يستكمل بُنيته بكامل مفرداتها. فالله قادرٌ على ان يقول للطين كُن انساناً فيكونُ في لمْح البصر. ولقد حفل القرآن العظيم بما يؤكّد قدرة الله على ان يخلق الحياة، بشتّى أصنافها، خلقاً فورياً لحَظياً آنياً لا يستغرق من الزمان الا مدة لمْح البصر وارتداد الطَرْف الى الناظر. الا ان هذا لا يعني على الاطلاق وجوب ان يكون الانسان قد خلقه الله من دون مرور بمراحل تطورية ارتقى خلالها من خلْقٍ الى خلْق وعلى مدى آمادٍ من الزمان ليس يعلمها الا الله! لقد كشف القرآنُ العظيم النقاب عن تطورية الخِلقة الانسانية وذلك في تلك الآيات الكريمة التي تحدّث فيها الله عن مراحل خلْقه الانسان!!! فلو ان الانسان لم يُخلَق خلقاً تطورياً Evolutionary Creation لما ذكر الله في قرآنه العظيم انه قد خلقه من طين ثم جعل نسله من سُلالةٍ من ماءٍ مَهين ثم سوّاهُ ونفخ فيه من روحه ولما ذكر انه قد خلقه خلْقاً من بعد خلق؛ نُطفةً فعلَقة ومُضغة، مُخلَّقةً وغير مُخلَّقة، فعظاماً كساها لحماً فخلْقاً آخر! ان الخلْق المباشر يعني الخلْق بتدخُّلٍ إلهي مباشر دونما وساطةٍ من حجاب الأسباب. فهل خُلِق الانسان خلْقاً مباشراً بهذا المعنى؟! ان التدخُّل الالهي المباشر يتم بتقنية كُن فيكون؛ هذه التقنية التي لا تستغرق زماناً غير زمن اللمْح بالبصر. فهل خُلِق الانسان بـ كُن فيكون؟! ان الله خلق الانسان بـ كُن فيكون وذلك بجعله الطين غير الانساني انساناً في أحسن تقويم. فآدم الجنين قبل تسوية الله له ونفْخه فيه من روحه، لم يكن اِلا طيناً غير انساني! وهو لم يتحوّل ليُصبح انساناً الا بتدخُّل الله مباشرةً في خلقه بـ كُن فيكون. لقد استغرق التدخُّل الالهي غير المباشر في خلق الانسان من طين آماداً طويلة جداً تُقدَّر بملايين السنين وذلك حتى تسنّى لذلك الطين الوصول الى شكلٍ شبيهٍ بالانسان تدخَّل الله مباشرةً في تحويله وخلْقه انساناً في أحسن تقويم بـ كُن فيكون في لمْح البصر من دون مدةٍ من زمان يُذكر!! لنعُد الآن الى الجسم الانساني ندرسه عن كثَب علّنا نخرج بما يجعلنا نتيقَّن من

أنه سليلُ ماضٍ حيواني بمستطاعه ان يُبرهن على ان الانسان قد خلقَ الله مادتّه الاساسية خلْقاً تطورياً على مدى ملايين السنين! ان أول ما ستُشَد اليه انظارُنا هو كون جهاز الاتِّصال الجنسي للذكر الانساني ذي غلاف يُغطّي حشفته Glans! ان وجود هذا الغلاف لا مُبرِّر له اذا ما كان الانسان خالياً من أي ماضٍ حيواني! فذكر الحيوان قد زُوِّد جهاز اتصاله الجنسي بهذا الغلاف وذلك ليتم ضمان وصوله الى أسرع إخراج ممكن لمائه المَهين حال تحرُّكه في أنثاه. فالعمل الجنسي في الطبيعة يجب ان لا يستغرق زماناً طويلاً في ظل سيادة قانون التصارُع من أجل البقاء والانتشار! لذا فلقد تم جعل جهاز الاتِّصال الجنسي الذكري مُغطّى الرأس بغلافٍ يكفل له ان يبقى شديد الحساسية وبما يؤمِّن سرعة وصوله الى قذفٍ سريع بتحرُّكه في أنثاه. فاذا كان الانسان بلا ماضٍ حيواني فلماذا اذاً زُوِّد جهاز اتّصاله الجنسي بأنثاه بغلافٍ يُغطّي رأسه؟! لقد أمر الله الانسان ان يقطع غلاف جهازه هذا؛ فلماذا خُلِق به اذاً؟! ألا يدل هذا الغلاف على ان الله خلق الانسان بماضٍ حيواني؟ لقد ورث الانسان عن ماضيه الحيواني هذا الغلاف كما ورث باقي جسمه! ولكن، لماذا أُمر الانسان بقطع هذا الغلاف؟ ما الذي حدث فجعل من وجوده ضاراً بدلاً من أن يكون نافعاً؟ فاذا كان الانسان قد وُلِد بغلافٍ، يُغطّي جهاز اتِّصاله الجنسي بأنثاه، يتوجَّب عليه ان يقوم بقطعه وإزالته فان هذا يدل على ان الغاية من وجوده قد انتفت وان استمرار بقائه كفيلٌ بإحداث أضرار وإلحاق أذى به. ولكن، لماذا خُلِق بغلافٍ يتوجّب عليه ان يقوم بالتخلُّص منه؟! فلو لم يكن هذا الغلاف ذا نفعٍ فَلِمَ خُلِق الانسانُ به أصلاً؟ ان من يُنكِر الأصل الحيواني للإنسان عاجزٌ تماماً عن إقناعنا بالحكمة من خلْق الانسان بهذا الغلاف الذي يجب ان يقوم بالتخلُّص منه! فاذا كان الانسان مخلوقاً خِلْقة لاتطورية فان جهاز اتّصاله جنسياً بأنثاه كان يجب ان يكون عديم الغلاف الرأسي مادام الله قد أوجب عليه ضرورة قيامه بالتخلُّص منه فيما بعد! والآن، ما الحكمة الالهية البالغة والمتخفية وراء وجوب قطع الانسان غلافه هذا؟ ان الناظر بعقلٍ سليم الى الانسان والحيوان من أقرباء ماضيه الحيواني لَيعجب كل العجب وهو يرى الى ما بوسع الواقع الانساني ان يُجلِّيه بخصوص هذا الغلاف الاعجوبة. فلقد ثبت طبياً ان هذا الغلاف يتسبَّب بالكثير جداً من المشاكل الصحية وان عدداً كبيراً من الأمراض الجنسية تتحلّق من حول

اولئك الذين لم يقوموا باستأصال هذا الغلاف! ولكن، لماذا ينعم الحيوان بغلاف جهاز اتّصاله الجنسي ويشقى الانسان بغلافه؟! ألا يدل هذا الشقاء الانساني على ان الانسان قد حاد عن ماضيه الحيواني حيوداً استدعى ضرورة قيامه بالتخلُّص من هذا الغلاف؟ ان الانسان يتميز عن الحيوان بأنه ذو نشاطٍ جنسي مُفرَط. فهل يكون هذا الانفراط في عَقْد الجنس هو السبب في كون المُغلَّفين من أفراده أكثر عُرضة للاصابة بالأمراض الجنسية من المختونين؟ ان الواقع يشهد بأن الانسان أكثرُ نشاطاً جنسياً بكثير جداً من الحيوان وان الحيوان لا توجد عنده أمراض جنسية؛ فهل هي مجرد صدفة؟! هل هو مجرد حدث عديم المعنى فاقد الدلالة ان لا يتسبَّب غلاف الحيوان في اِلحاق أي أذى به بينما يُسبِّب غلاف الانسان له الكثير من الأمراض؟! لقد أمر الله الانسان بأن يقطع غلافه هذا وذلك لأن آدم من بعد أكله من تلك الشجرة لم يعُد ذا نشاطٍ جنسي حيواني. فلقد أصبح الجنس الشغل الشاغل لبَني آدم ولم يعُد جهاز الاتّصال الجنسي أداةً لا تُستخدم الا فيما خُلِقت، عند الحيوان، له: خدمةً للنوع بتكثير أفراده! ان جهاز الاتّصال الجنسي لذكر الانسان فقدَ ما كان يتمتّع به، عند الحيوان، من تحديد أوان استعماله بمدة لا تتعدّى موسم التزاوج. ولقد أدى هذا الإطلاق الى جعل الغلاف الرأسي لهذا الجهاز يتحوّل الى أداة ضارة ليست بنافعة. ان امْرَ اللهِ لآدمَ ان يقوم بقطع هذا الغلاف دليلٌ على انتفاء الحاجة اليه وبرهان على انه قد تحوّل الى أداة تضر ولا تنفع بتحوّل الانسان من حيوان غير جنسي الى كائن جنسي! لقد نجم عن أكلِ آدم من تلك الشجرة ان أمرَه الله بالتخلُّص من غلافه وهذا هو ما حدث فعلاً. فلم يكن آدم هو مَن فكّر بانزال عقوبةٍ بنفسه، على عصيانه لربّه وأكله من تلك الشجرة، مَفادها قطع غلافه! فهذا هو ما ورد في الأساطير الدينية التي ذكرت بأنه قطع غلافه جزاء انكشاف عورته!! فازالة الغلاف كانت أمراً إلهياً ورحمةً من عنده تعالى. ان الخِتان يكشف النقاب لا عن الماضي الحيواني للإنسان فحسب ولكن عمّا جرى في ماضيه الآدمي من تحوُّلٍ وحيود عن النشاط الجنسي المنضبط الى الافراط الجنسي كما يتجلّى واضحاً في النشاط الجنسي للإنسان. ان ولادة الذكر الانساني بقضيبٍ حيواني (غير مختون) دليلٌ قاطع على ان الماضي الحيواني للانسان حقيقةٌ لا شك فيها على الاطلاق.

لننظر الآن الى أظافر الانسان! ان القول بأن الانسان ذو ماضٍ حيواني هو السبيل الوحيد للخروج من المأزق المعرفي الشائك الذي بوسع أظافر يدَي ورجلَي الانسان ان تجعلنا نواجهه! فالحيوان لا قدرة له على مواجهة طرائده، التي لا حياة له الا اغتذاءً عليها، دون وساطةٍ من مخالبه وبراثنه التي يستعين بها على الامساك بصيده وتقطيع أوصاله. ولقد ورث الانسان عن ماضيه الحيواني هذه المخالب التي اتّخذت لها هيئةً مختلفة بعض الشيء عمّا يناظرها عند الحيوان. ان أظافر الانسان دليلٌ قوي على انه ذو ماضٍ حيواني أمضاه أسلافه في العيش بوساطةٍ من هذه الأظافر بصورتها الأصلية التي كانت عليها آنذاك: مخالباً! فلو لم يكن الانسان ذا ماضٍ حيواني لما ظهرت على رؤوس أصابعه هذه الأدوات القتالية التي نطلق عليها اسم الأظافر! ان مَن يُشكّك بهذا الأصل المخلبي للأظافر الانسانية يتناسى ان هذه الأظافر تستعيد جانباً من ماضيها المخلبي هذا وذلك عندما تُترك دونما قصٍّ يحول دون وصولها الى شكلٍ مُشابِهٍ لما كانت عليه قبل مئات الآلاف من السنين! ان التدبُّر في الفعاليات الانسانية كفيلٌ بأن يبرهن لنا على ان الانسان لا يحتاج إلى أظافر يدوية كانت أم قَدَمية! فالانسان لا يستخدم هذه الأظافر في شيءٍ ذي بال يستدعي ان تُخلَق لتُعينه عليه! ان أنصار مذهب الخلق الآني مُطالبون بالتعليل لوجود الأظافر في يدَي وقدمَي الانسان على الرغم من انتفاء الحاجة الحقيقية لهما. فهذه الأدوات ليست بذات فائدة للإنسان حتى يخلقه الله بها اذا ما كان الله سيخلقه خلقاً مباشراً دونما مرورٍ برحلة تطورية نشوءً وارتقاءً في عالم حجاب الأسباب. ان القائل بمذهب الخلق الأطواري هو وحده مَن يستطيع ان يُعلِّل لوجود الأظافر الانسانية استناداً الى ما ينطلق منه هذا المذهب من وجوب القول بماضٍ حيواني للإنسان! فأسلاف الانسان كانوا ذوي مخالب لم يكن بمستطاعهم العيش بدونها. فلقد كفلت لهم المخالب، والأنياب، ان ينجحوا في اقتناص وافتراس طرائدهم التي ما كان بوسعهم تمزيق أجسادها الا بأدواتٍ متخصِّصة كهذه. الا ان نشأة الأسلاف الأواخر للإنسان جعلت من هذه الأدوات تفقد كثيراً من أهميّتها وذلك من بعد توصُّلهم الى الافادة من بعضٍ من المفردات البيئية حولهم في القيام بما لم يكن بمقدورهم القيام به الا باستعمالهم المخالب والأنياب! وهكذا فلقد أدّى تضخُّم دماغ أشباه الانسان هؤلاء الى جعلهم قادرين على صناعة عُدَد وأسلحة مكّنتهم

من الاستعاضة عن مخالبهم في سعيهم وراء الغذاء اصطياداً وافتراساً. ولقد ورث الانسان هذه المخالب، بشكلها المُهذّب الذي شذّبته عشراتُ الآلاف من السنين تطوراً وارتقاءً، وذلك على الرغم من ظهور العقل الخارق ذي الذكاء الفائق لديه والذي مكَّن له من تحسين أدوات وأجهزة الصيد والافتراس على نحوٍ لم يستطع التوصل اليه أسلافه الأواخر! ان وراثة الانسان هذه المخالب المؤدَّبة، والتي أصبحت الآن أظافراً، كان أمراً مُحتَّماً طالما لم يكن بإمكانه التخلّي عن ماضيه الحيواني بسهولة! ان آثار هذا الماضي الموغل في القِدَم يحملها الانسان على جسمه علاماتٍ بيِّنة وبراهين قاطعة بصحة انحداره عن أصلٍ حيواني ظل يتطور ويترقَّى آماداً وأحقاباً لا يعلمها الا الله حتى انتهى به الأمر الى أسلافه الأواخر الذين لم تكن أجسامهم بمنأى عن الشهادة لذلك الماضي بكل جوارحها واعضائها! فالأعضاء الأثرية في البُنية الانسانية بمستطاعها ان تُبرهن على ان للإنسان ماضٍ حيواني موغل في القِدَم طالما لم يكن من المعقول ان يخلقه الله بها خلقاً مباشراً وهي غير ذات نفع له!

ان خلق الله للانسان بأعضاء لا نفع لها بوجودها في جسمه دليلٌ قاطع بصحّة انحداره ونسله من أسلافٍ كانت هذه الأعضاء ذات فائدة لهم وذلك قبل ان يتم الاستغناء عنها وتهميش دورها بظهور أعضاء اخرى كانت قادرة على القيام بما من شأنه تشتيت انتباه النوع اليها. ان وجود هذه الأعضاء الاثرية ليس له من مغزى سوى جعلنا نتثبَّت من حقّانية كون الله قد خلق الانسان خلقاً تطورياً ـ ارتقائياً استغرق ملايين السنين وانه لم يخلقه خلقاً مباشراً دونما مرور بهذه الرحلة الطويلة في عالم حجاب الأسباب! وكمثال آخر على هكذا أعضاء أثرية لم يعُد لها هناك من فائدة في جسم الانسان لنأخذ غشاء البكارة Hymen والذي كانت الطبيعة قد شهدته بظهور الأسلاف الأواخر للإنسان الذين تميزوا بطفولة طويلة، بسببٍ من دماغهم الضخم الذي استدعى ان تطول مدة تحوّلهم من صغار الى بالغين جنسياً، جعلت من الاناث اللاتي اوشكن على الوصول لسِن البلوغ يتعرَّضن لمحاولات إمتطاء من قبل الذكور كانت ستؤدّي الى حدوث نقصٍ رهيب في موجود النوع من أفراده، وذلك بسبب الهدر الحاصل في السائل المنوي الذي كان يُستهلك دون ان ينجم عنه إِخصاب تلك الاناث وبما يُحقِّق للنوع حصوله

على أفراد جُدُد، لولا ذلك الغشاء المُنقِذ الذي حال دون ان يهدر الذكر ماءه المَهين في انثى ليس بمقدورها الحمل والانجاب. فلو لم يكن الانسان ذا ماضٍ حيواني موغل في القِدَم لما كان لأنثاه ان تحتفظ بغطاءٍ يعجز العلماء عن التعليل لوجوده عجْزَ انصار الخلق المباشر عن ذلك! فأنصار التطور اللاخَلقي لا يستطيعون ان يُعلِّلوا لوجود هكذا غشاء غير ذي فائدة طالما كان مُحتَّماً على الانثى صاحبته ان تفقده عند أول اتِّصال جنسي لها بالذكر. وانصار الخلق اللاتطوري ليس بوسعهم ان يوردوا تعليلاً مقنعاً لتميُّز انثى الانسان بهذا الغشاء. ان غشاء البكارة واحدٌ من أقوى الأدلة على الأصل الحيواني الغامض للإنسان؛ هذا الأصل الذي استعصى على العلماء كشف غوامضه وفك أقفاله! فانثى الانسان ليست بحاجة لهذا الغشاء حتى تولد به؛ فلِمَ خُلِقت به اذا ما كان الله قد خلق الانسان كما يتوهّم القائلون بالخلق اللاتطوري؟! لقد كان لهذا الغشاء دور فاعل يتوجَّب عليه القيام به وذلك عندما كان أسلاف الانسان الأواخر في حاجة ماسّة لما يكفل للذكور منهم الازورار عن الاناث غير البالغات اللاتي لم يكُن بمستطاعهن الافادة من مائهم المَهين في رفد النوع بأفراد جُدُد. الا ان هذا الغشاء فقد دوره بظهور الانسان الذي خلقه الله، بتدخُّلٍ مباشرٍ من لدنه، من مادة أولئك الأسلاف الأواخر. غير ان انثى الانسان لم تفقد غشاءها بفقدانه لدوره الذي خُلِق ليقوم به في بث وتكثير أفراد آخر أسلاف الانسان. ان الطبيعة تُرينا، اذا ما نحن نظرنا اليها بعين سليمة وعقل سليم، انها لم تكن لتتنازل عن عضوٍ استغرقها كثيراً من الجهد والوقت والطاقة خلقُها له باذن الله لمجرد انتفاء الحاجة للوظيفة التي كان ذلك العضو مُكَلَّفاً بالقيام بها لهذا السبب او ذاك من الأسباب التي تَعِنُّ وتظهر على مسار التطور والارتقاء. فزوال الوظائف لا يلزم عنه وجوب زوال واختفاء الأعضاء التي اوكِل اليها القيام بها. وها نحن ذا قد نظرنا الى الانسان فرأينا ان ذكره يولد بجهاز ارسالٍ جنسي مُغلَّف الرأس من دون ان تكون هناك أية ضرورة تُحتِّم ذلك وان أنثاه تولد بجهاز استقبالٍ جنسي مُغلَّف الفوهة من دون ان تستدعي الضرورة ذلك؛ كما ورأينا ان يدَيه وقدمَيه تنتهي أصابعها بأظافر لا فائدة حقيقية تُرجى منها! والآن، ماذا بشأن حلمتَي الثدي الذكري لهذا الانسان العجيب؟ اننا مهما حاولنا ان نستجدي عطف علمائنا الأفذاذ، من أنصار الخلق غير التطوري، فاننا لن ننجح في الحصول منهم على تعليلٍ مقنع

لسبب وجود هاتين الحلمتين لدى ذكر الانسان!! فاذا كان الله قد خلق الانسان، كما يتوهّمون، خلقاً آنياً لَحَظياً فورياً مباشرةً من دون رحلة تطورية في عالم حجاب الأسباب فلِم جُعِل ثدي ذكره ذا حلمتين لا نفع منهما ولا فائدة لهما؟! ان المنفذ الوحيد خارج هذا المأزق هو بأن نقول قول الحق وان نُقِر بأن الله قد خلق الانسان خلقاً تطورياً ارتقائياً على مدى ملايين من السنين ممّا جعل منه يحمل آثار تدخُّل الله غير المباشر هذا في تخلُّقه ورحلته عبر الأنواع المتعدِّدة والأجناس المتنوِّعة علاماتٍ بيّناتٍ على جسمه. لقد خلق الله المنظومة الخلوية الأولى، والتي نشأ عنها فيما بعد الذكر متميِّزاً عن أنثاه، حاويةً على المادة الأساسية لحلمتَي الانثى اللتين تحتاج اليهما في ارضاعها لوليدها. ولأن انشقاق الذكر وتميُّزه عن أنثاه مرحلتان لاحقتان تعقبان وصول المنظومة الخلوية الاولى الى تميُّزها بهذه المادة الأصل Prime Matter، كان حقيقاً على الذكر ان يكون انشقاقه وتميُّزه عن أنثاه، جنيناً فيما بعد، وهو يحمل هذه المادة الأصل التي ستنمو فيما بعد لتتميَّز حلمتين على صدره العاجز عن القيام بأي دور يتناسب وحمله هاتين الحلمتين!! ان هذه التقنية في الخلق الاقتصادي Economic Creation هي الأوفر للطبيعة التي تجد ان من الأنسب لها ان تصرف قليلاً في البداية بدلاً من صرفها الكثير في مرحلة لاحقة. فخلقها حلمتي الانثى في مرحلة لاحقة لظهور المنظومة الخلوية الأولى يستدعي صرفاً طاقياً أكثر بكثير ممّا يتوجّب عليها ان تصرفه على انشاء المادة الأصل لهاتين الحلمتين في مرحلة سابقة لها. لذا فهي تُنشأ المادة الأصل حتى اذا ما تميّزت المنظومة الخلوية الاولى فيما بعد انثى كانت هذه المادة كفيلة بجعلها ذات حلمتين نافعتين للنوع وذلك بدلاً من ان تقوم بانشاء الحلمتين عند تميز الانثى وانشقاقها عن المنظومة اياها حيث يستدعي منها ذلك صرفاً أكبر بكثير جداً. فهل خُلِق الانسان كما يتوهّم مَن لا يؤمن بأن الله قد خلقه عبر ملايين من السنين نشوءً وتطوراً وارتقاءً!

٧ ـ ٣ الطفولة الطويلة للإنسان وماضيه الحيواني!

لعل من أبرز المميِّزات التي يختلف بها طفل الانسان عن أطفال الحيوان طول المدة التي يتوجَّب عليه ان يقضيها طفلاً حتى يتسنّى له ان يبلغ، جنسياً، مبلغ الرجال والنساء! ان الطفولة طويلة المدة هذه لم يرثها الانسان عن أسلافه

الأوائل بل ورثها عن أسلافه الأواخر الذين اخذت مدة تحوُّلهم من صغار الى بالغين جنسياً تطول بتطور أدمغتهم ازدياداً في الوزن وتضخُّماً في الحجم. ان التطور في أدمغة أشباه الانسان حقيقةٌ يبرهن عليها ما كانوا عليه من مقدرة على الرسم وقدرة على صنع الآلات والأسلحة. وكان هذا التطور الدماغي قد ابتدأ مع الشمبانزي الذي يستطيع ان يرسم رسوماً بسيطة تُحاكي بعض المفردات البيئية التي لا يجد صعوبة في تقليد ما يراه منها رسماً على الأرض. لقد تطورت أدمغة أشباه الانسان على مدى مئات الآلاف من السنين حتى أصبح دماغ أشباه الانسان كبير الحجم والوزن. ولقد أدى هذا الى إطالة المدة التي يتوجّب على دماغ طفل أشباه الانسان ان يستغرقها ليتسنّى له استكمال نموّه وإتمام نضوجه قبل ان يُصبح بمقدوره التشارك مع الآخر من أفراد الجنس الآخر في عملية رفد النوع بأفراد جُدُد. ان هذه المدة الطويلة يحتاج اليها الطفل ليتم له الوصول الى التمكّن من تمثيل النوع وحمل رسالته الوراثية فيصبح بمقدوره ان يكون قابلاً للإستنساخ من بعد اكتمال نمو دماغه ووصوله الى الحجم والوزن المناسبَين. ان الدماغ يحتاج هذه المدة الطويلة كيما يصل الى حجمه النهائي. فكلّما كان الدماغ، بحجمه النهائي كبيراً، استدعى ذلك ان تكون المدة التي يحتاجها للوصول الى هذا الحجم طويلة.

ان الطفولة الطويلة للإنسان دليلٌ قاطعٌ بكونه ذي ماضٍ حيواني موغل في القِدَم! فلو لم يكن الانسان سليلَ أشباهه الذين احتاج الأطفال منهم سنين عدّة للوصول الى التمتُّع بالمقدرة على تمثيل النوع جنسياً لما كانت طفولته على هذا القدر من الطول. فأشباه الانسان كانوا لا يستطيعون التحوُّل من أطفال الى بالغين الا من بعد ان يقضوا مدّة طفولة طويلة تكفي الدماغ للوصول الى حجمه ووزنه النهائيين. لذا كانت طفولة الانسان الطويلة دليلاً على انه سليلُ حيوانات شبيهة به كانت طفولته لتصبح ليست بذي الطول لو انه لم ينحدر من أصلابهم!! ان الطفولة الطويلة واحدةٌ من الميّزات التي ورثها الانسان عن أسلافه الأواخر الذين كانوا بدورهم يختلفون بها، وبميّزات اخرى غيرها، عن كثيرٍ من الحيوانات. الا ان المرء يحق له ان يتساءل عن السبب الذي جعل من أشباه الانسان الاولي أدمغة كبيرة اختلفوا بها وتميزوا عن باقي أنواع الحيوان. فهل

كانت حياتهم في ظل قوانين الطبيعة تستدعي منهم ان يكونوا اولي دماغ ضخم ليتسنّى لهم النجاح في تصارعهم المتناغم مع الغير من أجل البقاء والانتشار؟ ام اننا نستطيع ان نتلمَّس آثار لُطفٍ اِلهي خفي في هذه الطفولة الطويلة التي احتاجها أشباه الانسان للوصول الى الدماغ القابل للتوريث؟ لقد جعل الله الطبيعة لا تُلزِم كائناتها بضرورة ان يكونوا اولي أدمغة ضخمة ليتمكّنوا من القيام بواجباتهم تجاه النوع. فَلِمَ اذاً تطوَّر دماغ أشباه الانسان الى حجم أهَّله للتمتُّع بمقدرات عقلية لم تكن ذات فائدة لهم في نجاحهم في القيام بدورهم في خدمة النوع؟! ان أشباه الانسان هم الدليلُ على ان خلْق الله للانسان في أحسن تقويم لم يكن حدثاً مستقلاً بذاته منفصلاً عن الطبيعة وتاريخها التطوري! فلقد مهَّد الله لخلْقه الانسان في أحسن تقويم وذلك بأن جعل من دماغ أشباه الانسان يتطور ارتقاءً ووصولاً الى الحجم والوزن المناسبَين لتدخُّله المباشر. فالدماغ الكبير لم يكن بذي نفعٍ لصاحبه بقدْر ما كان مجرد مفردة من مفردات صناعة خلْقٍ آخر سيظهر من نسلهِ في المستقبل!! ان أسلاف الانسان من أشباهه لم يكونوا في حاجةٍ الى هكذا دماغ ضخم ليُعينهم في حياتهم في ظل الطبيعة وقوانينها. اذاً يمكن القول بأن الطفولة الطويلة للإنسان دليلٌ على ازدواجية الماضي الانساني! فمن جهة كانت المدة الطويلة للطفولة الانسانية هي ما احتاجه دماغ أشباه الانسان ليصل الى حجمه النهائي القابل للتوريث ومن جهة اخرى كان هذا الحجم مفردةً مستقبلية تم خلْقها في حاضر أشباه الانسان استعداداً لظهور الانسان من نسلهم! لقد خلق الله السموات والأرض وبثَّ الحياة البايولوجية فيهما أصنافاً شتّى تطوراً وارتقاءً ليتم لها الوصول الى أقصى ما بامكانها تطويره بتدخُّلٍ غير مباشر من الله. فأشباه الانسان بدماغهم المتطور كانوا المدى الاقصى الذي وصل اليه سهمُ قوس الطبيعة. ان الناظر الى الطبيعة ببصرٍ سليم سوف لن يعدم وسيلةً لاكتشاف آثار تدخّل الله تدخلاً غير مباشر كان الهدف من ورائه شيئاً آخر لا علاقة له بمفرداتها؛ شيء آخر هُيِّأت لاستقباله وأُعِدَّت لإظهار مادّته الخام. لقد قدَّمت الطبيعةُ الطين الذي صاغته يدا الله انساناً في أحسن تقويم وذلك بتدخُّله بصورة مباشرة في خِلقته! ان الدماغ الضخم الذي كان يتمتّع به أسلاف الانسان من أشباهه غيرُ قابل للتفسير بدلالة مفرادت الواقع الذي كانوا يحيون في ظل قوانينه الطبيعية. فلم يكن تطور ذلك الدماغ مدفوعاً بحاجتهم اليه لتمشية امورهم! ان

تطوره الى حجمٍ ضخم كان خطوةً هامة للغاية على الطريق الى الانسان.

٧ ـ ٤ اللغات الانسانية: جذرٌ حيواني وسُوقٌ بشرية!

تميز الأواخر من اسلاف الانسان وأشباهه بدماغ ضخم لم تكن هناك من حاجة مصيرية اليه استدعت ظهوره في عالم كان بمستطاعهم ان يتناغموا معه دون ان يكون لوجوده ضرورة. ان علماء التطور الانساني مُطالبون بالتعليل لتطور وارتقاء هذا الدماغ الضخم لأشباه الانسان والذي لم يكن ذا فائدة لهم طالما لم يكن ظهوره ليُعينهم الا على صناعة أدواتٍ بسيطة، كان بمقدورهم العيش، اصطياداً وافتراساً، بدونها وعلى رسم صورٍ بسيطة على جدارن الكهوف لم يكن لها من ضرورة في حياتهم تلك! ان الذي يثبت ان اسلافنا الأواخر هؤلاء لم يكونوا هم المُستهدفون بهذا الدماغ الضخم انهم رغم امتلاكهم له مئات الآلاف من السنين فانهم لم يفيدوا منه في اقامة حضارة! فلقد بقي حالُهم مستقرّاً ولم يكن لهم ان يُنجزوا شيئاً ذا بال سوى أدواتهم ورسومهم تلك. فلو قُمنا بمقارنة انجازاتهم الحضارية طوال مئات الآلاف من السنين بانجازات الانسان خلال العشرة آلاف سنة الأخيرة لتبيّن لنا انهم لم يكونوا مُستهدَفين بذلك الدماغ الضخم الذي ما ان توارثه الانسان عنهم حتى قام بالافادة منه في سنوات قلائل بأعظم ممّا أفادوا منه طيلة مئات الآلاف من السنين تلك! فهل كان ذلك الدماغ الضخم غير هبةٍ مستقبلية حملوها أمانةً لتصل الى الانسان الأول فيفيد منها؟ فهم لم يكونوا المَعنيين بذلك الدماغ الضخم الذي كان ليجعل منهم سادة الأرض لو انهم كانوا مُخوّلين بالافادة منه كما أفاد منه الانسان.

الا اننا لا ينبغي ان نظن بأشباه الإنسان من اسلافه الأواخر انهم لم يكونوا متحدِّثين بلغةٍ حيوانية تطورت لديهم على مدى عشرات الآلاف من السنين شأنهم في ذلك شأن باقي الحيوانات التي طوّرت لغاتها الخاصة بها! فالإنسان الأول (آدم) وُلِد لقوم متوحّشين متحدِّثين بلغةٍ هي الأعقد بين لغات أنواع الحيوان قاطبةً كما يبرهن على ذلك التفوّقُ الوظائفي والتعقيدُ البنيوي اللذين كانت عليهما مادةُ ذلك الدماغ الحيواني الذي كان لقوم آدم قبل الإصابة اياها! لقد كانت تلك اللغة الحيوانية لغةً حافلة بأنواع المُصطلحات والمُشابِهات للأصوات التي تمتلئ بها الطبيعة. ولقد كانت بحق لغةً على قدْرٍ

كبير من التعقيد الفني والاصطلاحي تم بها لأشباه الانسان ضمان التفوّق في عالم الحيوان وبما كفل لهم تحقيق أعقد نظام اجتماعي عرفته الطبيعة! لقد استطاع أشباه الانسان العيش بوساطةٍ من هذا النظام الاجتماعي المعقَّد من دون خروج على قوانين التنافس في ماراثون الصراع من أجل البقاء والتكثير والانتشار؛ فلقد كانوا كائناتٍ طبيعية لم يخرجوا على الطبيعة بعد!

ان لغات بَني آدم كلّها جميعاً قابلة للارجاع والرد الى أصلٍ حيواني ليس من العسير إِعادة صياغته وتشكيله على ضوء ما بين أيدينا من معارف لَغَوية بمقدورها ان تكشف النقاب عن هذا الأصل الطبيعي لِما أصبح فيما بعد مُغرِقاً في لاطبيعيّته تطوراً وارتقاءً. فاللغة التي كان يتحدّث بها أسلافنا الأواخر لم تكن الا لغةً حيوانية نشأت مُحاكاةً لأصواتٍ كانت آذانهم تألفها في الطبيعة من حولهم. الا ان الماضي الحيواني للانسان اذ يكون بمقدوره التعليل لنشأة اللغة الانسانية الأولى فانه عاجزٌ تماماً عن التعليل لتطور وارتقاء هذه اللغة انتهاءً الى ما آل اليه مآلها اليوم من بعد ظهور آلاف اللغات الانسانية خلال السنوات الثمانية آلاف الأخيرة. فلغات الحيوان طبيعية مقارنةً بلُغات بني آدم التي وان كانت قد نشأت نشأةً طبيعية إبان ماضينا الحيواني الموغل في القِدَم فانها سرعان ما اتَّخذت لها وجهة غير طبيعية وذلك بشهادة تعقيدها الفنّي والمُكوِّناتي الذي لا سبيل للمقارنة بينه وبين أية لغة حيوانية نشأت وتطورت وارتقت في ظل تسلُّط الطبيعة. فلغة الانسان تشهد له بأنه ذو ماضٍ لاحيواني غير طبيعي جعل منها تتطور ارتقاءً الى صيَغ تعبيرية غير قابلة للرد الى مُقابِلات صوتية متوارَثة او مُقلَّدة. فالحيوان عموماً يولد بلغته الخاصة به تُميِّزه عن غيره من أنواع الحيوان الأخرى، وهو لا يملك ان يُطوِّر لغته المتوارَثة على ضوء المستجدّات والمتغيّرات التي تزخر بها بيئته. أما آخر أسلاف الانسان فلقد استطاع ان يُطوِّر لغةً فريدة أفادت من موروثه الصوتي في محاكاة الأصوات التي كان يسمعها حوالَيه في الطبيعة. فلقد كان بمقدور أسلاف الانسان اولئك ان يُقلِّدوا جميع ما كان يتناهى الى أسماعهم المُرْهَفة من أصواتٍ حيوانية أو فيزيائية كالأصوات المُصاحبة للحركة بأنواعها. كما كان بوسعهم ان يُطوِّروا نظام اتِّصال فائق التعقيد بالمقارنة مع أنظمة الاتِّصال التقليدية التي كان غيرهم من أنواع الحيوان

الاخرى قادراً على التفاهم بوساطتها. ان الدماغ الضخم الذي نُشّئ وحُمّل في رؤوس أسلافنا الأواخر أعانهم على مُحاكاة أصوات كثيرة من حولهم ومكّنهم من تطوير منظومة الأصوات المُقلَّدة هذه تطويراً جعل بمستطاعهم صياغتها في تشكيلاتٍ جديدة خارجة على سياقها التقليدي الذي كانت لا تَرِد حواليهم الا من خلاله. الا ان دماغهم الضخم هذا لم يستطع ان يجعل من لغتهم المعقَّدة تلك تواصل تطورها وارتقاءها فلا تستقر على قمّةٍ ليس من رُقي بعدها! فلقد توقَّفت لغتهم عن التطور من بعد تحقُّق وصولها الى أقصى مدى بامكانها ان تبلغه وأصبحت لغةً حيوانية مستقرة بالامكان توريثها تعليماً لا وراثةً بايولوجية. ان تلك اللغة التي كان أسلافنا الأواخر يتفاهمون بوساطتها بمقدورنا ان نبذل جهداً يسيراً فنتمكّن من حل شفرتها وترجمة مفرداتها وذلك طالما كان بالامكان استخلاص لغتهم البسيطة من لغتنا المُعقَّدة. فلقد كانت لغتهم لغةً طبيعية يسهُل ردُّها وارجاعها الى اصولها الصوتية في الطبيعة حيوانية كانت ام فيزيائية. الا ان ظهور الانسان الاول مُمثَّلاً بآدم جعل من هذا الموروث الصوتي الطبيعي يغادر استقراره والى الأبد! فلقد شرع بنو آدم بتطوير هذه اللغة الطبيعية التي تعلّمها آدم من أبويه وقومه وذلك من بعد انفراط عقل الانسان بخروجه على قوانين الطبيعة. ان تطور وارتقاء اللغة الطبيعية التي توارثناها عن أسلافنا الأواخر لا يمكن التعليل لهما الا استناداً الى هذا العقل الخارق الذي تفرَّد به الانسان فجعل منه الكائن البايولوجي الوحيد الذي يملك هكذا نظام اتّصال بين أفراد نوعه على أعلى درجاتٍ من التعقيد الفني والكفاءة الوظيفية. ان نشأة وتطور اللغات الانسانية دليلٌ قاطعٌ بأن الانسان لم يستمر وفياً لأصله الحيواني الذي ما كان له ان يجعل منه صاحبَ أعقد دماغٍ بايولوجي في الوجود.

٧ ـ ٥ الحلقة المفقودة والابادة الجماعية لأشباه الانسان!

لقد اضطر التطوريّون اللاخَلقيّون الى القول بوجود حلقةٍ مفقودة في سلسلة تطور وارتقاء النوع الانساني وذلك في محاولةٍ من جانبهم للتغلُّب على مشاكل معرفية نجمت بسببٍ من نقصٍ في المعلومات التي لابد من توفُّرها ليُصار الى استكمال جميع مفردات قصة ظهور الانسان. الا ان هؤلاء التطوريين يواجهون مأزقاً حقيقياً في العثور على دليلٍ واقعي يؤسّسون بواسطته

لزعمهم بوجود هذه الحلقة المفقودة! فأين الأحافير التي تُعزّز طرحهم الافتراضي هذا؟! لقد اختفت عظام الحلقة المفقودة وآثارها. فأين اختفت ولماذا؟ يخبرنا هذا الكتاب ان الأسلاف الأواخر للإنسان الأول كانوا قد أبيدوا عن بكرة أبيهم على أيدي الملائكة الذين أفنوهم بالكامل فلم يُبقوا منهم على شيء رُفاتاً كان أم اثاثاً! وهذا الافناء الكُلّي لم يكن حدثاً فريداً لم يتكرَّر من بعد. فلقد ذكر الله في قرآنه العظيم أمثلةً لأقوام كثيرين تمت إبادتهم بتدخُّل إلهي مباشر عن طريق تسليط قوى الطبيعة عليهم او بارسال الملائكة المتخصِّصين بانزال العذاب بالقوم الظالمين. ان قوم لوط أبيدوا على أيدي هؤلاء الرُسُل الذي سلَّطوا عليهم ما لم يُبقي على أحدٍ منهم إلا لوطاً وآله إلا امرأته. لقد تم تشعيع القوم الظالمين فلم يذر منهم ذلك الإشعاع شيئاً فاختفت عظامهم وتلاشت هباءً منثوراً. تدبّر الآيات الكريمة التالية:

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٧ ـ ٣٩]، ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [النمل: ٥٠ ـ ٥٣]، ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ [النمل: ٥٧ ـ ٥٨]، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل: ٦٩]، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨]، ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٤]، ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٤٢]، ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [فصّلت: ١٥ ـ ١٨]، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ۖ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ [الحاقّة: ٤ ـ ١٠]، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [سورة الفيل].

٧ ـ ٦ آدم والحلقة المفقودة في سلسلة الارتقاء الانساني!

ان تدخُّل الله في تخلُّق آدم جنيناً لم يعمل على تقييد النشاط العدواني لمناطق العدوان المتضرّرة في دماغه وإطلاق المجال للنشاط العقلي الفائق فحسب ولكن نجم عنه حدوث تغيُّر في البُنية الجسمية كذلك. لقد جعل هذا التغيُّر البُنيوي من آدم خَلقاً جديداً يختلف شكلاً وهيكلاً وجسماً عن أبيه وامه وباقي أفراد قبيلته. الا ان السجل الأحفوري لم يحفظ لنا ما كان عليه اسلافنا الاواخر من شكلٍ جسماني وهيئةٍ بنيوية وذلك بسببٍ من الابادة الجماعية التي تعرَّضوا لها على أيدي الملائكة الذين لم يؤمروا بالابقاء على أحد منهم خلا آدم وزوجه! لقد نجم عن فنائهم هذا تلاشي كل أثر لأجسادهم؛ اذ لم يتم الابقاء على شيء منهم قط بل تم تدميرهم بالكامل فلم يتبقَّ منهم ما يدل عليهم من عظام أو مَتاع!

٧ ـ ٧ س: الإنسان، هل هو أُحادي الماضي؟ ج: الانسان جسدٌ واحد برسالتين!

يمكن النظر الى مادة الحياة التي يتم بواسطتها استقدام افراد جُدُد يُرفد بهم موجود نوعٍ حيواني مُعيَّن على انها اكسيرُ الحياة وذلك طالما كانت هي الوسيلة التي أبدعها الله لجعل الحيوان، ذكراً وانثى، يخلُد! وهي، بعدُ، المادة الخارقة التي تستطيع الطبيعة ان تتجدَّد بواسطتها وتحافظ على بقائها. اما الانسان فليس من الممكن تخليد الذات الفردية له بوساطةٍ من تشارُكه في العمل الجنسي مع

آنثاه!! فالانسان يختلف عن والديه؛ حيث لا يوجد اثنان من بني الانسان متشابهَين تماماً. ان بني الانسان يختلف واحدهم عن الآخر في حين ان الحيوان لا توجد له ذاتٌ حقيقية تُميِّزه عن الآخرين حتى يتم له التشارك جنسياً مع الآخر بُغية تخليد ذاته هذه! ان الخلود في عالم الحيوان هو للنوع وليس للأفراد! اننا نستطيع ان نقول عبارةً من مثل: (حفاظاً على النمر السيبيري من الانقراض) ولا نستطيع القول: (حفاظاً على اينشتاين من الانقراض)! فكل انسان يختلف عن الآخر اختلاف اينشتاين عن سلفادور دالي! اما الحيوان فأفراد نوعه لا تمايُز بينهم يستدعي التخليد الفردي عوضاً عن تخليد النوع!

ان الكيان الانساني عبارةٌ عن تواجُد كائنين مختلفين في الرسالة التي حُمِّل كلٌّ بها. فالجسد الانساني يحمل برنامجاً شبيهاً بالبرنامج الحيوي Bioprogramme الذي يحمله الحيوان والذي يجعل منه يحرص على النمو والانتشار والتشارُك في تكثير أفراد النوع. والكائن الآخر هو ذلك الذي تواجد معنا من بعد ان تمَّت تسويتنا انساناً؛ حيث أصبحنا نعيش في وادٍ وجسدنا في واد! فالكائن الوافد الدخيل هذا هو نِتاج الثورة التقنية التي أحدثها الله في منظومات الدماغ الانساني وذلك عندما تدخّلَ وجعل منه انساناً في أحسن تقويم بعقلٍ خارق ذي ذكاء فائق قادرٍ على ان يكفل للانسان تحقيق صلةٍ واعية بربّه واتّصالٍ عملياتي بروحه. لقد انحدرنا عن مقام أحسن تقويم ولكننا لم نفقد هذه الثنائية التكوينية التي وُلدنا بها والتي تجعل منا نعي جسدنا كما لو كنا شيئاً آخر غير هذا الجسد الذي نراه ونسمعه ونلمسه ونعجب من تواجده معنا في حيِّزٍ واحد هو كياننا الانساني هذا! فوعي الانسان بذاته صورةٌ باهتة من ذاك الوعي الذي كنا عليه يوم كان آدم واعياً بصلته بربّه وباتّصاله بروحه وبتواجد جسده معه! ان هذا الوعي بالذات هو احساسٌ انساني خالص لا حيوانية تُخالطه او تَشوبه! فالحيوان لا يعي ذاته كما يعيها هذا الانسان الذي يعجب اذ يرى جسده ينمو ويكبر ويتحوّل من طفلٍ الى مراهق ومن شاب الى كهل عجوز! لقد كفل إصلاح الله للبُنية التي كان آدم الجنين عليها ان اصبح بمستطاع الانسان الأول ان يعي ذاته وذلك بوساطةٍ من النظام البايوالكتروني المعجز الذي نشأ إثر هذا التدخُّل الالهي المباشر في نظام عمل المنظومات البايوالكترونية المتضرِّرة في دماغه الذي

ورثه عن أسلافه الأواخر. الا ان الوعي الانساني بالذات لا علاقة له بكون الانسان ذي روح تُساكنه وتتواجد معه كما يتوهّم البعض! فهذا الوعي الخارق ما هو الا فعاليةٌ بايوالكترونية خارقة جعلت بوسع العقل الانساني التمتُّع بميِّزة وعيٍ فائق بذاته!

يتجلّى الماضي الحيواني للإنسان أيَّما تجلٍّ في كونه ذي نشاطٍ جنسي توارثه عن أسلافه الأوائل الذين شرع الله لهم شِرْعَة التزاوج بُغية رفد النوع بأفراد جُدُد تحقيقاً للهدف الالهي الرامي الى نشر وتكثير تجلّيات الحياة البايولوجية بثّاً وانتشاراً في أرجاء الوجود الحي كافة. فالانسان البالغ يستشعر داخلاً منه حاجةً ماسة Urge تدفعه للتشارُك في هذه العملية الهادفة لخدمة النوع حقيقةً وباطناً وان تستَّرت بقناعٍ زائف ينظر اليه الانسان على انه الوجه الحقيقي لرغبته الجنسية هذه التي لا يرىَ فيها الا جوعاً ذاتياً ينبغي له إسكاته! ان هذا الجوع الجنسي هو الذي يدفع الانسان الى التشارك مع الآخر في عملية توارثَها عن ماضيه الحيواني تقنية وادواتٍ! فأصل العمل الجنسي في عالم الانسان حيوانيٌّ بالتأكيد. لقد حمل الانسان أمانةَ النوع الانساني داخل منظومته الجنسية كما تحمل الحيوانات أماناتها. لذا فان الانسان يعجب لنفسه كيف توزَّعت وانشطرت فِرقتَين! فمن جهة يتحسَّس الانسان وجودَ أنا داخله تُطالبه بتحقيق وجودٍ فردي مستقل عن الآخرين ومن جهة اخرى فهو يستشعر وجودَ شخص آخر داخله أيضاً يطالبه بالعمل وفقاً لما يحمله من رسالةٍ مُوجَّهة من قِبَل النوع لا علاقة لها بأناه هذه. ان هذه الازدواجية لا يُعاني منها الحيوان الذي لا يوجد داخله الا برنامج النوع والذي يلتزم بتنفيذه حرفياً من دون ان يكون له وجودٌ فردي مستقل يحرص عليه بمعزل عن أهداف هذا البرنامج! فالحيوان لا أنا داخله حتى يكون له هكذا وجود انساني! ان واحداً من أقوى تدخُّلات الماضي الحيواني للإنسان في حياته يتجلّى في جوعه الجنسي الذي يجعل منه يعود، عودةً شائهة، الى ماضٍ غابر موغل في القِدَم كان أجداده فيه يتدافعون ويستقتلون، ولكن من دون ان يقتل أحدهم الآخر، للقيام بواجبهم تجاه النوع. الا ان مما يجب التشديد عليه ها هنا هو ان الجوع الجنسي للإنسان قد أصبح، من بعد أكله من تلك الشجرة، جوعاً لا علاقة له بما هو موجود عند الحيوان؛ حيث تحوَّل الانسان الى كائنٍ جائع

جنسياً على الدوام. فالحيوان لا يستشعر وجوداً لهذا الجوع الا في فصل السِفاد والتزاوج! والآن، ما السبب في تفرُّد الانسان بأناه التي لا يمتلكها أيُّ حيوان على الاطلاق؟ كيف تسنّى له ان تكون له أنا داخله تُشعره بوجودها المستقل عن وجوده الساعي وراء خدمةٍ مُشوَّهة للنوع؟ ان هذه الأنا تجعل منه أحياناً يتنازل عن خدمته الشوهاء الخرقاء هذه حفاظاً عليها أو تنفيذاً لقرارات أملتها عليه بسببٍ من تعلُّقها بقائد ما. كما انه قد ينجح أحياناً اخرى في جرِّها الى الجري وراء الجنس من بعد تحويله عن الوجهة المولود بها الى وجهة اخرى تتجلّى فيها هذه الأنا على حقيقتها؛ ذاتاً مستقلّة لا تنظر الى العمل الجنسي الا من زاوية الرؤية الفردية الخاصة بها والتي لا علاقة لها بالنوع بتاتاً!! ما علينا؛ فهذا موضوع لا ينتهي بسطورٍ قلائل! عودةً عاجلة الى الأسئلة أعلاه. ان السبب في تميُّز الانسان عن الحيوان بأنا مُتفرِّدة مستقلة عن وجوده كخادم للنوع وحامل لرسالته التكثيرية ـ الانتشارية، هذا الوجود الذي ورثه عن ماضيه الحيواني، يعود الى ما نجم عن التدخُّل الالهي المباشر في خلْقه من انفراط العقل لديه! فلقد أدى انفراط عقْد العقل الانساني الى توسُّعه وتضخُّمه الى الحد الذي ما عاد معه عقلاً مقتصراً على مجرد العمل على تنفيذ برنامج النوع، كما هو الحال مع الحيوان، بل تجاوزه وتعدّاه الى امتلاك تفكيرٍ مستقل غير موجود لدى الحيوان. أصبح الانسان، بعقله الخارق هذا، كائناً مفكِّراً متفكِّراً ذا وجود ذاتي مستقل وليس مجرد أداة لخدمة النوع! لقد أراد الله بهذا الانسان ان يكون مخلوقاً له لا للنوع ولا لأي شيء آخر ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. ان تحرير الله لانسانه من رِبقة أسر النوع له وعبوديته لبرنامجه التكثيري ـ الانتشاري، والذي وضعه الله داخل باقي الكائنات البايولوجية ليتسنّى لها القيام بدورها في بث الحياة البايولوجية في ربوع الكون واصقاعه، كان إشعاراً بولادة خلْقٍ جديد لم يُخلَق لغير الله مباشرةً! فلقد خلق الله الحيوان والنبات ليكونوا مفرداتٍ في عالم حجاب الأسباب وخُلِق الانسان ليكون مفردة فريدة في عالمٍ إلهي يتجلّى الله له فيه بلا وساطةٍ من هذا الحجاب. لذا لم يكن للإنسان ان يبقى أسير ماضيه الحيواني وهو مُطالَب بأن يكون لله لا لأحد آخر سواه! فأسْر النوع للإنسان كان سيجعل منه مفردةً حيوانية اخرى تُضاف الى باقي مفردات عالم الطبيعة الذي خلقه الله ليكون حجابَه ومحلَّ تدخُّله غير المباشر في مجريات اموره خلقاً

وتسييراً وفعلاً وتفاعلاً. لقد حرَّر الله الانسان من ماضيه الحيواني بجعله كائناً ذا صلة وصلٍ واتِّصال واعٍ به. فالانسان لم يُخلق للتزاوج بُغية نشر أفراد النوع كما هو الحال في عالم الحياة البايولوجية غير الانسانية. لقد أراد الله ان يكون لكل فرد من أفراد النوع الانساني وجوده المتفرِّد المستقل عن باقي الأفراد. فلم يكن الانسان نوعاً بل أفراداً! فالحيوان لا وجود فردياً لأيٍّ من أفراده؛ بل هو وجود الكل في الواحد والواحد في الكل! فالفرد في عالم الحيوان ليس بمتميِّز عن باقي أفراد النوع؛ فهو مثل أيِّهم وأيُّهم مثله. فلا وجود مستقلاً لفردٍ حيواني في عالم الطبيعة. ان الفردية الحقّة لا وجود لها في الطبيعة! فالفردية انسانية لامحالة.

لنتدبّر الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾ [الأعراف: من ١٧٢]. يظن البعض من مفسِّري القرآن العظيم ان هذه الآية الكريمة تصف حدثاً تم في عالم روحي وذلك قبل ان يتم نفخ الأرواح في أجسادها. الا ان هذا التفسير يتعارض مع إقرار الآية الكريمة بأن الذرية الانسانية قد تم اخذها من ظهور بني آدم في اشارةٍ واضحة الى ماء الأب الذي يخرج من صُلبه والذي خلق الله منه الذكر والانثى. تدبّر الآيات الكريمة:

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ﴾ [النساء: من ١]، ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧]، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٣]، ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السَّجدة: ٨]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [فاطر: من ١١]، ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٧٧]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [المؤمن: من ٦٧]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ﴾ [الحُجرات: ١٣]

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النَّجم: ٤٥ ـ ٤٦]، ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٧ ـ ٣٩]، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الدّهر: ٢]، ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَـٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المُرسَلات: ٢٠ ـ ٢١]،

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عَبَس: ١٧ - ١٩]، ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق: ٥ - ٧]، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العَلَق: ٢].

فالذرية ها هنا هي شيءٌ مادي لا علاقة له بعالم الأرواح. ولكن اذا لم تقع أحداث هذا الإشهاد في عالم الأرواح، فأين جرت اذاً؟ لنتدبّر الآيات الكريمة:

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: من ٩٤]، ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ۝٧٩ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: ٧٩ - ٨٠]، ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥].

ان خلْق الله للانسان حدثٌ فَردي بين الانسان وربّه. فالانسان لا يُخلق انساناً الا بتدخُّل الله مباشرةً في تخلُّقه الجنيني وذلك بتسوية الله له ونفخه فيه من روحه. وهاتان مرحلتان لاحقتان تعقبان خلْق الله للانسان جنيناً بتدخُّل غير مباشر وذلك عند التقاء ماء الذكر ومادة الانثى ومرور الانسان بمراحل الخلق التي يتحوّل فيها من نطفة الى عَلَقة، بامتزاج المادة الجنسية للأب والأم، فمضغة فعظام يكسيها الله لحماً. فالانسان من بعد حصوله على البُنية الانسية، بلحمها وعظمها، يُحوَّل خلقاً آخر بتدخُّل الله المباشر بلا وساطةٍ من حجاب الأسباب. ان هذا التدخُّل الالهي المباشر حدثٌ فَردي خاص ليس من أحد آخر هناك يشارك فيه الانسان تفاصيله كاملةً الا الله الذي سوف يخاطبه، من بعد نفخه فيه من روحه، فيسأله السؤال، الذي يُوجَّه لبني آدم كلهم جميعاً على انفراد؛ ألستُ بربِّك؟ ان أول ما يفتتح به الانسان وجوده هو اجابته: (بلى شَهِدتُ). ان هذه الافتتاحية الغامضة سوف تُنسى من بعد ان ينمو دماغ الانسان داخل بطن امه فيفقد، ببدء ظهور آثار التضرُّر الدماغي الموروث عن آدم الآكل من الشجرة، صلته الواعية بربّه وتواصله مع الروح داخله. فالانسان لن يتذكّر من بعد ظهور هذه الآثار ما كان قد حدث له عندما نفخ الله فيه من روحه وهو لما يزل جنيناً ليس له من العُمُر غير أسابيع معدودة!

ان هذه الآية الكريمة دليلٌ قاطع بأن للإنسان صلةً واعية بربّه وانه يفقدها

بتطوره داخل بطن امه وتحوّله من مخلوق شبيه بآدم الجنين الى مخلوق شبيه بالانسان في أسفل سافلين! ان الانسان في بطن امه يُعيد تاريخ الخلْق الحيواني بتطوره وفق ذات السياق الذي اتَّخذته رحلة النشوء والتطور والارتقاء التي قامت بها الكائنات الحية من أدناها تعقيداً الى أعظمها. لذا فليس غريباً ان يُعيد كلُّ انسان قصة آدم وهو لمّا يزل في بطن امه! فاذا كان آدم قد تدخّل الله في تخلُّقه الجنيني فسوّاه ونفخ فيه من روحه فان الانسان سوف يشهد على ما شاهده، وهو بعدُ جنينٌ في مرحلة مبكِّرة من تخلُّقه، من تدخُّل اِلهي مباشر في خلقته. ان نسيان الانسان شهادته هذه ومشاهدته لما حدث قبلها أمر مفهوم طالما كان ابناً لآدم الآكل من تلك الشجرة. لذا كان اِشهاد الذُرية شهادةً اِلهية بفردية الخِلْقة الانسانية!

لقد خلق الله الانسان فرداً متفرِّداً في ذاته مستقلاً عن الغير متميزاً عن الكل وكفل له ان تكون له هو بالذات صلة وصْل واتِّصال واعٍ به هو ذاته! فكل انسان ألزمه الله صلة وصْلٍ كهذه لو انه استعادها!!! لقد أرادَ الله للإنسان ان يكون له وجودٌ فردي حتى يكون وجوده هذا له هو وليس لأحد غيره! فلم يخلق الله الفردية الانسانية لتكون للانسان مُلكاً صِرفاً يحافظ عليه ان شاء ويهبه لغيره ان شاء!! لقد خلق الله هذه الفردية لتكون للإنسان في علاقته التعبدية مع الله. الا ان الانسان خُيِّل اليه انه اذ يستشعر فرديّته هذه فانه حرٌ طليق لا يتوجَّب عليه تقديم طقوس الولاء لأحد! لقد خلق الله الانسان ليكون فرداً في علاقته به متفرِّداً بهذه العلاقة مستقلاً عن السوى والأغيار. فهل رعى الانسانُ فرديّته هذه حق رعايتها ام حملها ولم يرعها حق رعايتها؟! لقد أبَت السموات والأرض والجبال ان يحملن هذه الأمانة؛ أمانة الفردية والاستقلال. الا الانسان فقد حملها ولم يُشفق منها! لقد ظن الانسان انه ولد حراً Born To Be Free! وهذا وهمٌ كبير. فحرية الانسان هبةٌ له من الله ليعود بها اليه لا لينفقها كيفما اتّفق! أفلا يجدر بالانسان ان يتدبَّر في امره فينظر الى حريته هذه ويتساءل عن الذي حباه بها وعن مَقصده من وراء هبته هذه؟! ان الانسان لَيفرح بفرديّته وهو ينظر الى ما حوالَيه فلا يرى أحداً آخر يستمتع بحرية مثيلة حيواناً كان أم نباتاً أم جماداً. أفلا ينبغي عليه ان يعجب لكونه ذي فردية مستقلة وشخصية حرّة؟! أم تراه يظن ان فرديّته

هذه لا تستوجب التفكُّر والتدبُّر في أمرها ومصدرها والغاية من وراء وجودها عنده وقد افتقدها فيما حواليه من موجودات هذا العالم الطبيعي الذي لا فردية فيه على الاطلاق؟! ان الانسان هو الكائن البايولوجي الوحيد الذي يمتلك فردية مستقلّة تهدف لخدمة وجوده الخاص به لا وجود النوع! أفلا يجدر بالانسان ان يسأل عن سبب تفرُّده بهذه الفردية اذا ما كان حقاً هو ذو ماضٍ حيواني ليس الا؟!

٧ ـ ٨ عقل الانسان وازدواجية الماضي الإنساني Doubledness of Human Past!

لقد تبينا قبل قليل ان الفردية الانسانية ميِّزةٌ فريدة لم يكن للإنسان ان يتمتّع بها لولا تدخُّل الله تدخلاً مباشراً في تخلُّقه دونما وساطةٍ من حجاب الاسباب. فلم يكن للفردية ان تظهر في الطبيعة حيث لا وجود للفرد إلا لخدمة النوع. فلا يوجد عند الحيوان احساسٌ بالفردية التي ليس هناك من حاجة لها ليستقيم أمر حياته التي مُنِحها ليقوم بدور محدّد مرسوم من قبلُ لا علاقة له بشخصه هو! لقد نجم عن التدخُّل الالهي المباشر في تخلُّق الانسان ظهورُ العقل الانساني، الذي لا يُشابهه عقلٌ بايولوجي آخر اطلاقاً. فالعقل الحيواني لا يهدف الا الى تمكين الحيوان من القيام بواجباته تجاه النوع تكثيراً لأفراده ورفداً لموجوده منهم وانتشاراً على أوسع رقعة ممكنة من الأرض أو المجال الحيوي Lebensraum. لذا لم يكن للحيوان ان يظهر عنده عقلٌ خارق تتجاوز قدراته وامكانياته حدود هذه الواجبات التي لا علاقة لها بفرديّته وشخصيّته المستقلّة اللتين ليس لهما من وجود في عالم لا يحتاج اليهما لتحقيق الأهداف التي خُلِق ليعمل كل ما بوسعه للوصول اليها. ان العقل الحيواني مزوّدٌ بكل ما يجعل من الحيوان بمقدوره المحافظة على حياته، اغتذاءً واحتماءً ودفاعاً، لأطول مدة ممكنة كيما يكون بمستطاعه الإسهام بأكبر نسبة بامكانه الاشتراك بها خدمةً للنوع. ان عقل الحيوان لا يهدف الا لتمكين النوع من البقاء والانتشار. فالفرد في عالم الحيوان لا وجود له الا للمحافظة على نوعه! لذا لم يكن للفردية من وجود حقيقي في الطبيعة طالما لم يكن لها من دور تقوم به خدمةً للنوع! اما الانسان فليس لعقله الخارق من دورٍ يتوجّب عليه القيام به خدمةً للنوع يُلزِمه بأن يكون على هذه

الدرجة من الخارقية! فالمحافظة على النوع ونشر نفوذه ورفده بأفراد جُدُد لا يلزم عنه وجوب ان يكون العقل الانساني خارقاً على هذا النحو العجيب للغاية! ان العقل الانساني يتجاوز، بقدراته وامكانياته، الحدود التي يفرضها عليه الماضي الحيواني للإنسان والتي تجعل منه محدّداً بواجب ليس له ان يتعدّاه الا وهو دوره في النشر والتكثير والرفد! فعقل الانسان يبدو كما لو انه قد ظهر ليُعين صاحبه على القيام بدورٍ يتجاوز هذه الحدود الحيوانية. فالانسان يجد نفسه مُلزَماً بدورٍ ليس له نظير حيواني طالما كان هذا الدور متجاوزاً حدود النوع! ان العقل الانساني هو أداة الانسان لتحقيق فرديّته؛ بل هو مظهر هذه الفردية والدليل على وجودها لديه. فكيف يكون هذا العقل ناشئاً عن الماضي الحيواني للإنسان اذا كانت قدراته تتجاوز الحدود المفروضة عليه من قِبَل ماضيه هذا؟! ان هذا التجاوز يدل على لاطبيعته وعلى عدم انتمائه للطبيعة. ان هذه اللاانتمائية التي تتجلّى في خروج العقل الانساني على القوانين المفروضة عليه من قِبَل ماضيه الحيواني تبرهن بصورة لا تقبل أي شك على ان هذا العقل، غير المنتمي للطبيعة والخارج على قوانينها، لا يمكن ان يكون نتاج هذا الماضي الحيواني الذي ينبغي التوقّف عن النظر اليه على انه كاملُ الماضي الإنساني! ولكن، اذا لم يكن العقل الانساني نتاج ماضيه الحيواني أفلا يقودنا هذا الى وجوب التفكير بماضٍ آخر تشارك معه في صنع وصياغة هذا العقل؟!!! وما يكون هذا الماضي الآخر غير ذاك الذي أوردته الوثيقة الدينية وعبَّر عنه أبلغ تعبير القرآنُ العظيم الذي جاءنا بخبر وقَصَص آدم ونشأته الخارقة إِثر تدخُّل الله في تخلُّقه جنيناً؟! ان الازورار عن الحل القرآني للغز ظهور العقل الانساني الخارق ولتمتّع الانسان بفرديةٍ خارجة على قوانين النوع متجاوزة حدود الطبيعة لا يعني الا الاستمرار بالمكوث في الظلُمات بعيداً عن النور! فلا حلَّ آخر بمستطاعه تفسير نشوء هذا العقل المعجز الخارق! ان القرآن العظيم بتقديمه هذا الحل انما يُعيننا على فهم أشد جوانب الحقيقة الانسانية استعصاءً على الفهم مُمثَّلة باحساس الانسان بفرديّته وشخصيّته المستقلّة وبوجوده المنفصل، ضرورةً، عن النوع الانساني! ان الانسان كائنٌ حي مزدوج الطبيعة Double-Natured Organism؛ فهو من جهة يحمل رسالة من ماضيه الحيواني ومن جهة اخرى يحمل رسالة من ماضيه الآدمي. وكمثال على ازدواجية Doubledness الانسان هذه لنأخذ نشاطه الجنسي الذي

يتبيّن لنا جلياً من إمعان النظر فيه انه نشاطٌ ذو هدف مزدوج. فالانسان يهدف من وراء نشاطه الجنسي عادةً تحقيق مكاسب ذاتية فردية لا علاقة لها بغير حصوله على اللذة والمتعة! كما انه يسعى أحياناً آخَر للحصول على ذرية ونسل لتخليد اسمه ولإشعاره، والآخرين، بأنه انسان منتِج غير عقيم ذو دورٍ فاعلٍ في الحياة! ان الفردية الانسانية تتجلّى في كل تفاصيل حياة هذا الكائن العجيب الذي تنازل عن فرديّته لغير الله خالقه فاستحالت حياته، بسببٍ من ذلك، جحيماً ليس بوسعه ان يفارقه ويُزحزَح عنه الا باسترجاعه لها وعمله على تكريسها خالصةً لربّه لا لأحد آخر أبداً.

ان الانسان واهمٌ اذ يظن انه نِتاج ماضيه الحيواني وهو ينظر الى عالم الطبيعة فلا يرى حيواناً واحداً غيره ذا فردية! فمن أين له هذه الفردية وهي معدومة في عالم الحيوان؟! ان الانسان صنيعةُ ماضٍ حيواني، هو فعل من أفعال التدخُّل الالهي غير المباشر، ونتاج ماضٍ آدمي، هو فعل من أفعال التدخُّل الالهي المباشر متجلّياً بـ كُن فيكون. لنتدبّر الآية الكريمة: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمَر: ٥٠]. ان الأمر الالهي هذا هو التدخُّل الالهي المباشر بـ كُن فيكون لتنفيذ الارادة الالهية التي ليس من زمان يتطلّبه تحقيقُ مبتغاها. تدبّر الآيات الكريمة:

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣]، ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النّحل: ٤٠]، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [المؤمِن: ٦٨].

فالتدخّل الالهي المباشر في سير أحداث هذا العالم لا يستغرق الا لحظةً تطرف فيها العين حتى اذا ما ارتد اليها طَرْفها كان الشيء المُراد من قِبَل الله قد تحقّق بـ ﴿كُن فَيَكُونُ﴾. ان كُن فيكون شهادةٌ قرآنية بفورية التدخّل الالهي المباشر

الذي هو تدخُّل آني فوري لَحَظي.

٧ ـ ٩ التدخُّل الالهي المباشر: فعْل اعجازي وتجلٍّ ربّاني!

لقد خلق الله الوجود وتكفَّل بأن تسير جميع فعالياته الطاقية بواسطةِ من الوَقود الالهي الذي ليس كمثله شيء! وكيف يكون وهو النور الذي يوقَد من شجرة مباركة لا نظير لها في كل عوالم العالمين يكاد زيتها يُضيء ولو لم تمسسه نار؟! ان هذا الوَقود المعجز ليس كأي وَقود نعرفه؛ فهو لا ينضب ولا يفنى اذ هو من لدن الفاعل الحقيقي الذي لا موجود بحق سواه. الا ان الله اختار ان يتلطَّف حتى لا يُشعِر به أحداً من الخلق الا مَن سعى جاهداً اليه واختاره طوعاً على كل شيء. فلقد تخفّى الله من وراء حجابٍ أقامه بين المخلوقات جميعاً وبينه؛ فاختفى عنهم ولم يختفوا عنه! فهو يُدرِكُ الأبصار ولا تدركه الأبصار. ولقد جعل الله هذا الحجاب حاجزاً بين المخلوقات وبينه يحول دون ان يروه وليس هو بمانعهم منه. فهو حجاب يسمح بالرؤية من طرف واحد! لقد استقام الوجود على حاله المنضبط بقوانين الله التي أقامه بواسطتها وجعل من مادة هذا الوجود تسير بوساطةٍ ممّا بثّه فيه من أسباب ظاهرية تكفّلت قوانينه المُحكَمة بتنظيم متشابك علاقاتها وبما يجعل ممّا يجري فيه من أحداث وظواهر يُخيَّل الى غير العارف انها لا تحتاج تدخلاً مستمراً من لدُن حكيم خبير طالما كانت واضحةً علاقاتُ الأشياء بعضها ببعض أسباباً ونتائج! ان هذا الوجود يسير بطاقة إلهية لو توقّف إمدادها له لحظةً واحدة لزال من فوره ولأضحى خراباً تعيث فيه الفوضى فساداً ويرفرف عليه شبح الخواء! تدبّر الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ [فاطر: من ٤١]. فماكنة الوجود لا حياة لها بغير نور الله: وَقودها الدافع الوحيد. لذا فاننا وقعنا في وهم كبير؛ اذ نُشِّأنا ورُبّينا على الايقان بأن الوجود لا يحتاج لتسييره غير ما يتفاعل داخله من طاقات وقِوى هي كل ما هنالك من أسباب تكفي لتفسير حركة هذا الوجود خلقاً وفناءً! ولقد تركنا الله فرحين بما عندنا من علم ظَنّي خُيِّل الينا انه قادر على الاحاطة بكل شيء معرفةً وخبرة! ولم يكن هذا بالأمر العسير طالما كان الله هو اللطيف لما يشاء الذي يفعل ويُخفي فِعله على مَن هم وراء الحجاب من الذين ليس بمستطاعهم ان ينظروا الى غير هذا العالم على ما هو ليس عليه

فيرونه بعين الظن والوهم متحرّكاً بذاته سائراً بقوّته! وتكفّلت القوانين الالهية المعجزة بجعلنا أسرى هذا الوهم طالما لم يكن لدينا من همّة حقيقية نسعى بها لاستكناه حقائق الامور ولا من رغبة صادقة في خرق الحجاب وكشف المستور. فنحن نرى الشمس تشرق وتغرب والأرض تخضر اذا ما أمطرت عليها السماء والسفن تجري في البحر بقوة الرياح، فنظن انها احداث تجري بطاقةٍ من داخل النظام؛ بمعنى ان هذه الأشياء لا غيرها هي المسؤولة عمّا يحدث! الا ان الله لم يكن ليذرنا على ما نحن عليه من خوض في دياجير هذا الوهم الكبير فلا يمد الينا يد العون علّنا ننجح في التشبُّث بها فنرتقي بها خارج ظلمات الجهالة هذه فنخرج الى نور الحقيقة والمعرفة الحقّة! ولقد تمثّلت يد العون الربّاني هذه بتلك الظواهر المعجزة التي يتجلّى فيها الله خالقاً فاعلاً واحداً وحيداً لا شريك له من أسبابٍ جعلها حجابه الذي اختفى به عن أعين مَن اختاروا الحجاب على مَن هو وراءه! فالمعجزات أفعال إلهية لا تقبل التفسير الا بالله! فظهور الله في الفعل الإعجازي على حقيقته الحقّة، فاعلاً لا يحتاج الأسباب قادراً على الانجاز بدونها، برهان لذوي الألباب على انه بحق الخالق الأوحد والصانع الوحيد لكل ما نعلم وما لا نعلم! ان تجلّي الله في المعجزة الالهية، بتغييبه الأسباب التي اختارها حجاباً يتلطّف به متخفّياً عن ناظري أهل الحجاب، دليل قاطع بصحة كونه خالق كل شيء؛ اذ كيف استطاع التسلُّط على أسباب هذا الوجود فغيّبها عن الوجود ان لم يكن هو حقاً مَن خلق هذا الوجود ورفده بأسباب الحركة والحياة؟ فتسلُّطُ اللهِ على الوجود يكشفُ النقابَ عنه هذا الفعلُ الاعجازي الذي اختار ان يُظهره للعَيان، بلا وساطةٍ من عاديات الأسباب وظواهر متشابكتها، ليكون حدثاً إلهياً نراه على حقيقته بلا غشاوة من حجاب الأسباب! ان إسقاط الله لهذا الحجاب الذي يتستَّر به عن أعيننا كفيل بجعلنا ننظر الى الفعل الاعجازي فلا نراه الا فعلاً الهياً مادمنا ننظر بعين العقل السليم ابستمولوجياً! فزوال حجاب الأسباب، بظهور المعجزة، ما هو الا احتراق هذه الأسباب بنور الله الذي جعل تجلّيه للجبل من موسى يخر صعقاً وهو ينظر الى الجبل كيف جعله ربّه دكّاً! فالمعجزة لا تُبقي من أسباب الظاهر شيئاً وان كانت كالجبال قوّة ورسوخاً. ان تجلّي الله في المعجزة كفيل بتوقّف جميع الأسباب ذات العلاقة عن العمل وذلك حتى يظهر السبب الحقيقي فقط! ان تعطيل هذه الأسباب عن العمل بتجلّي الله

في المعجزة سوف لن يُبقي لنا من حجّة نتذرّع بها للهروب من الله الى سواه طالما استحال هذا السوى فناءً وعدماً! لذا كانت المعجزة آيةً من الله يبرهن بها على انه الله الخالق الذي لا اله الا هو. فالمعجزة لا تُبقي للانسان ذريعة يُسوِّغ بها لفراره من الله وممَّن يدعونه اليه مِمَّن اختارهم رسلاً للتبليغ عنه. ان المعجزات براهين قاطعة وشهادات دامغة لا تقبل أي تفسير سببي الا ذاك الذي ليس هناك ما هو غيره؛ الا وهو: تجلّي الله فيها! ان الحياة دون هذا الحجاب وأسفلاً منه حياة في ظل سيادة هذه الأسباب الظاهرية التي لم تُخلَق لتُضِلّنا عن الله الذي لم يخلقنا لنضل بها عنه! لذا فان يد العون الالهي الممتدّة من وراء الحجاب تدعونا للعمل على اختراقه وصولاً الى الحياة التي لها وليس لسواها خلقنا الله. ان الحياة وراء هذا الحجاب هي حياة مع الله بلا أسباب! فالواصل الى مقام إِسقاط الحجاب يجعله الله لا ينظر الى شيء الا ويراه على حقيقته شيئاً عبداً لله لا حول له ولا قوّة الا به. ان الحياة بلا حجاب هي حياة مع الله في تسلُّطه على كل شيء وسيادته على هذا الوجود؛ حياة بلا أوهام؛ معجزات على الدوام! فالتدخُّل الالهي المعجز في امور هذا العالم لا يحدث دوماً طالما لم يكن هناك ما يستدعي ذلك وذلك لعدم وجود شيء يستحق ذلك! ان الله يُرينا تفرُّده والوهيّته في فِعله المُعجِز الذي يظهر بوجود مَن يستأهل ذلك. لقد كشف الله في وثائقه الدينية النقاب عن كثير من المعجزات التي أظهرها آياتٍ أيَّد بها مَن اختارهم ليكونوا رسله الى الناس ليعودوا بهم اليه فأبى أكثرهم الا نفوراً من الله وكفراً به! لذا لم يكن الله ليُظهِر معجزاته من بعد ان كفر بها الأوّلون على الرغم من استيقانهم بأنها حقاً من الله وليست من سواه! ولكنه هذا الدماغ المُلتاث الذي يأبى ان يتَّبع الحق وإن علم ان الحيود عنه سيؤدّي به الى عذاب الجحيم! أمّا من صدَّق الرسل واتّبع النور الذي انزله الله معهم فقد أدركوا بأن العيش مع الحجاب لا مبرر له مادام الله قد كشف عن نفسه باسقاطه هذا الحجاب وتجلّيه سيداً أوحداً لهذا العالم في الفعل الاعجازي الذي نظروا اليه فرأوا ان لا حياة لهم بعيداً عن الطريق الذي هداهم اليه؛ طريق العودة الى الله حيث لا حجاب يحول دون الجمعية مع الله والوجود عنده. لقد أدرك القوم هذا اذ تبيّنوا ان مَن بمستطاعه ان يفعل هذا الاعجاز مرة فبمقدوره ان يفعله على الدوام! لذا فلا سير الا اليه ارتحالاً عمّن سواه ورحيلاً الى حيث التواجد الحق

مع الله بلا حجاب؛ حيث الفعل الاعجازي هو القاعدة لا الاستثناء. وبعد هذا التفصيل الضروري للمُعجزة وما تختلف به عن الظواهر المستقرّة لهذا الوجود لابد لنا من عودة سريعة الى ما جاء في القرآن العظيم بهذا الخصوص. لقد بيّن الله في آياته القرآنية الكريمة انه، في علاقته بهذا الوجود، يلجأ أحياناً الى التدخُّل المباشر في سير عمل هذا الوجود لهذا السبب أو ذاك؛ تدخلاً فورياً لَحظياً خارقاً ليس بالمعتاد. فنظام الله في الطبيعة قائم على استقرارٍ طاقي تكفَّلت به، اقامةً وانشاءً وإدامة، طاقةُ النور الالهي المنتشر في عموم السموات والأرض والمتخفّي عن الأنظار والمتلطّف عن الادراك لفرط قربه من كل شيء وعميق اختراقه لقلب الوجود من أصغر موجوداته جُرماً الى أعظمها حجماً! الا ان الله قادر على ان يتدخّل في سير هذا النظام الطبيعي أنّى يشاء ولحظة يشاء. ولقد كشف الله النقاب عن هذا التدخُّل الفوري الآني اللَحظي المباشر في العديد من آيات القرآن العظيم مبيِّناً ان عاقبة تدخُّله هذا سوف تكون تحقق المُراد الالهي تواً وفي اللحظة! ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]. يتّضح لنا بتدبُّرنا لهذه الآية الكريمة ان الله اذ يتدخَّل آنياً في سيرِ عملِ مفردةٍ من مفردات هذا الوجود فانه لا يحتاج من الزمان غير لحظة واحدة ليتم له بها إنجاز مراده! فهو يُنجز المُراد فور قوله للشيء كُن فيكون. ان جميع المعجزات التي وردت في القرآن العظيم كانت عبارة عن تدخلات فورية مباشرة لم تستغرق من الزمان لحظةً واحدة لتظهر نتائجها الخارقة التي لا يستطيع العقل السليم الا ان يسجد لها كما سجد سحَرة فرعون لعصا موسى! اننا لو تدبّرنا جميع ما ورد في القرآن العظيم من معجزات للأنبياء وكرامات للصالحين فلن نرى فيها الا أفعالاً الهية تمّت بتدخُّل مباشر من لدن الله ولم تستغرق من الزمان بُرهة! لنتدبَّر بعضاً من الآيات القرآنية العظيمة التي كشف الله بها النقاب عن تقنيته الاعجازية (تقنية كُن فيكون):

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠]، ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥ ـ ٥٦]، ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ

﴿كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠]، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣]، ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧]، ، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١٧]، ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۝٣٨ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٨ـ ٣٩]، ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

ان المُلاحَظ على جميع أفعال الله الاعجازية التي تمّت بتدخُّله المباشر وإسقاطه لحجاب الأسباب انها لم تتّبع ما ألِفه الوجود من سُنن الله فيه تطوراً تدريجياً وارتقاءً من نشوء وابتداء حتى الاكتمال والانتهاء! فعصا سيدنا موسى تتحوّل آنياً الى حية حقيقية بدون مرور بملايين السنين من النشوء والتطور والارتقاء! ومريم تحمل بسيدنا عيسى بلا رجل ومن دون إبطاء! وعرش ملكة سبأ في اليمن يجده سيدنا سليمان مستقراً عنده قبل ان يرتد اليه طرْفُه وهو في الأرض المقدَّسة (القُدُس) أرض خليفة الله داود! ان التدخُّل الالهي اللَحظي بـ كُن فيكون هو البرهان القاطع بحقانية كون الله هو الاله الواحد الأوحد الذي لا اله الا هو. ولقد عرفنا في صفحات سابقة من هذا الكتاب ان الله سوف يخلق العالم الجديد يوم القيامة بـ كُن فيكون من دون انتظار مئات الملايين من السنين كما حدث عندما بدأ أول خلق! والآن لنعد الى أول خليفة له في الأرض: أبينا آدم! فلقد تبيّن لنا ان الله كان قد تدخَّل في تخلُّقه تدخلاً مباشراً استثناءً من القاعدة التي كانت ستجعل من هذا الجنين مَسخاً لا مصير ينتظره الا الابادة مع قومه أجمعين. ان آدم، وكل أفراد الجنس الانساني معه، صنيعة كُن فيكون! فلولا تدخُّل الله بـ كُن فيكون لما ظهر الانسان الأول ولما ابتدأت رحلة الخليفة صعوداً

وإهباطاً وانتهاءً بالانسان كما نعرفه! ولكن لماذا تدخَّل الله في مسار تخلُّق آدم جنيناً فأنقذه من براثن الهلاك الأبدي وارتقى به الى مقام أحسن تقويم؟ هذا ما سنراه ان شاء الله بعد قليل.

٧ ـ ١٠ التدخُّل الالهي المباشر في خلق الانسان الأول (الخلق الاعجازي لآدم)!

يقول التطوريّون اللاخَلقيّون بأن الانسان كائن طبيعي ناشئ عن هذا الواقع وفق قوانين النشوء والارتقاء كما أوردتها الوثيقة العلمية. الا ان هذا الواقع يشهد بأن هكذا نشوء يتناقض مع قوانينه التي لا تَوافُق بينها وبين القوانين التي فسَّر بها التطوريّون الظاهرة الانسانية! فالانسان لا ينتمي لهذه الطبيعة كما تنتمي الحيوانات والنباتات اليها. لذا فان الانسان لا يمكن اعتباره نِتاجاً لهذا الواقع الذي لا يكفي لتفسير الظاهرة الانسانية بكامل مفرداتها. فلو ان هذا الواقع تُرِك من دون ان يتدخَّل واقع آخر فيتسلَّط عليه، على قدر تعلُّق الأمر باصلاح ما كان قد تضرَّر، لما ظهر الانسان! ان التطوريين يظنون بأن الطبيعة صنعت الانسان كما صنعت غيره من كائناتها الحية الاخرى. ولكن لو ان هذا هو ما حدث حقّاً، فلماذا تعجز هذه الطبيعة عن تفسير الظاهرة الانسانية استناداً الى ذات القوانين العلمية التي نجحت بواسطتها في تفسير الظاهرة الحياتية في عالَمي النبات والحيوان؟! لقد رأينا أن الأسلاف الأواخر للإنسان الأول كانوا قد آصيبوا بما كان كفيلاً بجعلهم يواجهون الانقراض والفناء شأنهم في ذلك شأن أية كائنات شاذة انحرفت عن المسار الطبيعي وخرجت على قوانين الطبيعة بسببٍ من تعرُّضها لما هو غير طبيعي مما لا ينتمي لهذه الطبيعة. الا ان الله تدخَّل فأنقذ آدم وزوجه من ذلك المصير وذلك بأن جعل منهما أول البشر! فلو لم يتدخّل الله باصلاحه بُنية آدم لما نشأ الانسان! لذا كان الانسان كائناً خارقاً منذ البداية! فقد تكفَّل هذا التدخُّل الالهي بجعل آدم خارجاً على الطبيعة وبجعل الظاهرة الآدمية ظاهرة خارقة! ان الطبيعة التي خلقها الله لم يكن لينشأ عنها كائن خارق لقوانينها خارج عليها كالانسان الأول! لقد خلق الله ذلك الانسان من مادة هذه الطبيعة وسار به في تطور وارتقاء أسلافه تحت ظل وارف من قوانينه التي أقام بها بنيان الطبيعة المتقن البديع المُحْكم حتى انتهى ذلك المسار الطبيعي باصابة أسلاف الانسان الأواخر بما جعل منهم يخرجون على تلك القوانين مما

استدعى ضرورة ابادتهم كلّهم جميعاً الا خليفة أبقى الله عليه لأنه كان قد سبق وان تدخّل في تخلُّقه، جنيناً، فجعل منه انساناً في أحسن تقويم. لذا فان هذا الكتاب لا يقول كما يقول اتباع مذهب التطور بأن الانسان ما هو الا نتاج عملية تطور طبيعي تكفي قوانين الحياة، التي فسَّروا بها تجلّياتها النباتية والحيوانية، لتفسيره! فلو لم يُصَب الأسلاف الأواخر للإنسان بما جعل منهم يخرجون على قوانين الله في الطبيعة لاستمروا في حياتهم غير الانسانية حيواناتٍ شأنهم شأن أية كائنات حية اخرى ولما كان بوسعهم ان ينشأ عنهم كائن خارق للطبيعة كالانسان الأول أو هذا الانسان! فلم يكن لهم ان يُنجبوا الا مَن هو على شاكلتهم حيواناً شبيهاً بالانسان الا ان الشُقَّة بينه وبين الانسان بعيدة بُعد المشرقين. ان الطبيعة عاجزة تماماً عن انتاج كائن كهذا الانسان يخرج على قوانين الله فيها! لذا لم تكن الطبيعة لتنجح في صناعة الانسان بقوانينها التي أقام الله بها بنيانها على هذا الصورة المُعجزة الرائعة. كان الأمر ليتطلَّب استقدام قوانين اخرى لا تنتمي لمجموعة القوانين الالهية العاملة ضمن نطاق الطبيعة. ولقد تكفَّل الله، بتدخُّله المباشر في خلق الانسان تسويةً ونفخاً فيه من روحه، بتوفير هذه القوانين المتسلِّطة على قوانينه العاملة في الطبيعة. لقد تدخَّل الله مباشرة في تخلُّق الانسان من دون وساطةٍ من أسباب مخلوقة من قِبَله. ان هذا التدخُّل الالهي الاعجازي هو الذي يجعل من الانسان صنيعة الله المباشرة بتحوُّل الجنين المسخ الى انسان في أحسن تقويم! ان القرآن العظيم يكشف النقاب عن هذا السر العظيم في الآية الكريمة ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عِمران: ٥٩]. فالمسيح عيسى بن مريم كلمة الله. تدبّر الآيتين الكريمتين: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عِمران: ٤٥]، ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]. فلقد خُلق المسيح من مادة امه مريم بلا وساطةٍ من ماء رجل؛ اذ ألقى الله كلمته الى مريم فكان لِزاماً على مادتها الانثوية ان ينشأ عنها جنين امتثالاً لأمر الله وتدخُّله المباشر. ان الخلق بالتدخُّل الالهي المباشر هو خلق بكلمة ﴿كُن﴾ التي تخترق العوالم ما ظهر منها وما بطن وتتسلَّط على كل قوانين الله في السموات

والأرض التي سبق وان بثَّها الله فيهما. فهذا التدخُّل الالهي المباشر حدث خارق لكل قوانين الله في الطبيعة متسلِّط على كل خلْق الله فيها. فقانون الله في الطبيعة يقضي بأن لا تحمل انثى البشر الا من بعد ان يُخالِط مادتها ماءُ ذكر. الا ان الله تجلّى بكلمته لمادة مريم فكان ان حملت بابنها المسيح من دون ان يختلط بها بشر! وكذا ما حصل لآدم جنيناً؛ فقد تدخَّل الله مباشرةً في تخلُّقه في بطن امه فسوّاه ونفخ فيه من روحه. فلو لم يتدخَّل الله مباشرةً لما كان بامكان مريم ان تحمل بابنٍ بلا وساطةٍ من ماء بشر! ولو لم يتدخَّل الله مباشرةً لما كان بالامكان ان يخرج من بطنٍ واحدةٍ من اولئك الأسلاف الأجلاف واحد كآدم: انسان في أحسن تقويم! لقد قال الله للجنين المسخ ذاك: كُن انساناً في أحسن تقويم، فكان كما أراد الله. كما ان الله قال لمريم ليكن لك ابن بلا أب فكان ما أراد الله! لقد خلق الله من مادة الانثى داخل مريم انساناً في أحسن تقويم اسمه المسيح عيسى بن مريم. فلم يخلق الله المسيح من عدم ولم يخلقه من لدنه فيها بل خلقه منها ومنها فقط. لذا فان الذين يقولون بأن المسيح ابن الله قد فاتهم ان المسيح لم يكن الا ابناً لوالدته فحسب؛ نشأ عنها وخُلِق من مادتها من دون ان يكون فيه شيء من الله. ان الطفل الانساني، المخلوق من التقاء وتخالط ماء الذكر ومادة الانثى، يحمل صفات لأبيه وامه. وما ذلك الا لأن ما أخذه عن أبيه كان مسطوراً في مائه المهين وما أخذه عن امه كان مُحمَّلاً على مادتها. فما خرج من الأب يحمل عنه صفاتٍ له كثيرة اما ما خرج عن الله من كلمة وروح فلا يحمل عنه شيئاً يُشابهه وذلك لأن ما من شيء بينه وبين الله تشابُه حتى وان كان قد صدر من لدنه سبحانه! فما صدر عن الله فليس بينه وبين الله الا ما بين الخالق والمخلوق ولكن مع تفاوتٍ في القدسية عظيم ما بين ما يصدر عن الله وكل ما هو سواه. ان الله ليس كمثله شيء على الاطلاق حتى وان كان هذا الشيء صادراً عنه تعالى كلمةً كانت أم روحاً! لذا فلم يكن في المسيح من الله شيء ولم يكن فيه الا ما هو من والدته! فالمسيح ابن تام لأمه. وهو في هذا خلق فريد؛ اذ ليس لبشر غيره ان يكون كل ما فيه من امّه! ان الله اذ تدخَّل في خلق المسيح من مادة الانثى داخلاً من مريم فانه لم يجعل فيها منه شيئاً صادراً عنه وان كان قد القى اليها كلمته ونفخ في فرجها من روحه. فكلمة الله ليست من الله في شيء وان كانت هي كلمة منه سبحانه. ان الله لا شبيه له اطلاقاً؛

فكيف يظن القوم بأن بالامكان ان يَلِد الله ابناً وهو الذي ليس يصدر عنه ما هو شبيه به؟! فالانسان يخرج منه ما هو شبيه به، لذلك كان الابن شَبَه أبيه. اما الله فليس له شبيه وان صدر عنه من لدنه شيء. فكل ما سوى الله ليس من الله في شيء. فالله أحد لم يلِد ولم يولد ولم يكن له كفُواً أحد.

لقد تبيّن لنا اذاً ان الله قادر على ان يُخِلَّ بتسلسل الأسباب التي بثَّها فجعل منها القوانين المُحكَمة التي أقام بها طبيعته التي خلقها منضبطةً بهذه القوانين من غير ان يلزم عن هذا الانضباط ان لا تطيعه اذ يأمرها بخلاف ما تأمرها به قوانينه التي سبق وان خلقها بها. فالله ليس يعجزه شيء في السموات والأرض حتى وان كان قانوناً سلَّطه على مخلوقاته. فالنار تُحرق البشر لامحالة الا نار ابراهيم التي قال الله لها ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾. فهذا التدخُّل الالهي المباشر إعجاز خارق للاعجاز الذي يتجلّى في خلق الله في الطبيعة! لذا كان خلق الله للانسان إعجازاً خارقاً لاعجازه المتجلّي في الطبيعة. فلقد خلق الله الانسان الأول بلا وساطةٍ من قوانين الطبيعة. اذ ان تلك القوانين لم تكن لتجعل من أم آدم تلد الا كائناً مثلها مسخاً خارجاً على الطبيعة بخروجه على قوانين الله فيها طغياناً وظلماً. فكما لم يكن بوسع مريم ان تلد طفلاً الا بماء ذكر لولا ان تدخّل الله مباشرةً فجعل منها تحملُ المسيح امتثالاً لأمره ونزولاً عند كلمته، فان أم آدم لم يكن بمقدورها ان تلد انساناً في أحسن تقويم. ان الله خلق المسيح من مادة امه بكلمة ﴿كُن﴾ كما سبق وان خلق آدم من مادة أبيه وأمّه بكلمة ﴿كُن﴾.

لنتدبّر ما جاء في القرآن العظيم من وثيق علاقة للنفخ من روح الله بحدوث عجائب خارقة لم يسبق لها مثيل. فلقد نجم عن نفخ الله من روحه في آدم ومريم، وهما الوحيدان اللذان ذكر الله في قرآنه العظيم انه قام بالنفخ فيهما من روحه، ما نجم من خلقٍ للانسان في أحسن تقويم مُمثلاً بالانسان الأول (آدم) وخلقٍ لأول انسانٍ كاملٍ منذ نعومة أظفاره (المسيح عيسى بن مريم)! الا ان نفخ الله من روحه في مريم لم يكن قياماً بخلق المسيح ابناً لها وذلك من غير وساطة أب. فلقد حملت مريم بابنها المسيح فور تبلُّغها بهذا الأمر على لسان روح الله الأمين سيدنا جبريل عليه السلام. الا ان نفخ الله من روحه فيها لم يكن الا برهاناً على كونها قد حملت بانسان مما يحتّم ان يُصار الى تحميله أمانة الروح

وذلك بأن يُنفخ فيه من روح الله. فلو لم تحمل مريم بابن لها انساناً لما نُفخ فيها من روح الله. فالنفخ فيها من روح الله كان نفخاً في ابنها المسيح من روح الله. فالمسيح ابنها الجنين كان مخلوقاً انساناً يجب ان يحمل روحاً من روح الله. ان مريم لم تحمل بالمسيح ابناً لها بالنفخ فيها من روح الله؛ بل حملت به بكلمةٍ من الله القاها اليها؛ كلمة (كُن) المقدسة. فنفخ الله من روحه فيها كان برهاناً من لدنه على انها كانت حاملاً بانسان جنيناً يجب ان ينفخ الله فيه من روحه. ولقد قال الله في هذا ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عِمران: ٥٩]. لقد نفخ الله من روحه في آدم فكان أول انسان يتشرَّف بحمل هذه الأمانة المقدَّسة وكان بها بحق خلقاً آخر لم يسبق وان أظهره الله من قبل في العالمين. ولقد نفخ الله من روحه في مريم، في المسيح الذي كان في بطنها جنيناً، فكان بحق انساناً في أحسن تقويم.

٧ ـ ١١ الانسان: حيوانٌ ترقّى أم آدمٌ تدنّى؟!

لا يمكن التعامل مع الانسان على انه حيوان وعلى انه نِتاج رحلة تطورية ترقّى خلالها هذا الحيوان حتى انتهى به الأمر ليُصبح انساناً وذلك طالما كان ما بينهما من تناشزات واختلافات يفوق ما بينهما من تشابهات وتناظرات! وهذا الأمر لم يُعره الباحثون في مجال التطور الانساني ما يستحقه من أهمية بالغة تُحتِّمها حقيقةُ كون الانسان الحالي هو نِتاج تدنٍّ من بعد ترقي وليس صنيعة ترقٍّ من بعد تدني!! فالحيوان لم يترقَّ ليُصبح انساناً طالما لم يكن الانسان، بشكله وواقعه الحاليين، كائناً راقياً كما يحلو للكثيرين تصوُّره. ان الترقّي الحيواني انتهى بظهور اشباه الانسان من أسلافه الأواخر. فلم يكن بوسع الحيوان ان يترقّى ليصبح انساناً. فكل ما بمستطاع الحيوان ان يتطور اليه، وفق قوانين هذه الطبيعة، لن يكون الا حيواناً آخر! ان تطور الحيوان الى انسان وهمٌ كبير طالما كان واقع هذا الانسان كما نعرفه يختلف تماماً عن الواقع الحيواني. فالانسان لم يكن نِتاج تطور ارتقائي جرت وقائعه في عالم الحيوان! ان الحيوان لم يكن ليصل تطوراً وارتقاءً الا الى حيوان آخر وان كان هذا شبيهاً بالانسان! لقد نشأ الانسان نتيجةً للتدخُّل الالهي المباشر في الواقع الحيواني المتضرِّر الذي كان عليه أشباه الانسان من أسلافه الأواخر. وهو بهذا يمثِّل ارتقاءً تطورياً من

الحيوان الى الانسان ولكن ليس كما يقول به علماء التطور! فالتطوريّون يظنون ان هذا الارتقاء تم وفقاً لقوانين تعمل ضمن نطاق الطبيعة؛ وهذا وهم كبير! اذ لا قدرة للطبيعة على انتاج انسان من عالم الحيوان. ان تطور الانسان من حيوان شبيه بالانسان الى انسان كامل في أحسن تقويم لم يكن ليحدث في الطبيعة من دون تدخّل خارجي لا علاقة له بقوانينها التي ليس لأحد من خلْق الله الذين بثَّهم فيها ان يخرج عليها الا خروجاً منها الى خارجها موتاً وإفناءً أو سحباً من واقع آخر وارتقاءً به اليه! كما ان الانسان الحالي لم يكن نِتاج تقدُّم بل تقهقُر طالما لم يبقَ في أحسن تقويم بل رُدَّ أسفل سافلين. لذا لم يكن الانسان الا نتاج حيود عن مسار الطبيعة سواء بنشأته الخارقة انساناً في أحسن تقويم أم بردّته الخارقة انساناً حالياً أسفل سافلين!

ان جميع تلك النظريات التي نظر صائغوها الى الانسان فلم يروه الا حيواناً ترقّى لا يمكن الا ان تكون قد صنَّفت نفسها ضمن خانة لا علاقة لها الا بما هو من قبيل روايات الخيال العلمي! فكيف نرجو ان تصل بنا هكذا نظريات الى بر الحقيقة اذا ما كانت قد اَسَّست لبنيانها المعرفي على افتراضٍ مؤدَّاه ان الانسان حيوان مترقٍّ بشهادةٍ من ماضيه؟! ان نظريات كهذه لا تنظر الى الانسان على انه كائن مزدوج الماضي ناشئ عن الطبيعة ابتداءً لا انتهاءً! فهي تظن انه طالما كان قد نشأ من تربة هذا الواقع فلابد وان يكون كل ما له صلة به من مفردات تُشكِّل حقيقته الانسانية ممكن التفسير بدلالة ماضيه الترابي هذا! ان الانسان كائن لا يمكن ان يكون احادي الماضي طالما كان واقعه بهذا التعقيد الذي تعجز هذه النظريات، مهما حاولت، عن التعليل له استناداً الى مقولة الماضي الاحادي هذا! فالانسان لا ينبغي النظر اليه الا ضمن السياق الحقيقي الذي لا يمكن له ان يتواجد خارجاً عنه! فالماضي الانساني لا يمكن ان يكون احادياً حيوانياً بالكامل مادام الانسان بهذا التعقيد الذي لا تستطيع هذه الطبيعة كما نعرفها التعليل له وفقاً لقوانينها التي تتناغم معها باقي كائناتها ومفرداتها كلها جميعاً. اذاً فلا مُبرِّر هناك يدعونا للتشبُّث بنظريات كهذه مادامت هي تنظر للانسان فلا تراه الا حيواناً قد ترقَّى فتقطع بيقين بلا برهان بأنه ما من ماضٍ هناك لهذا الانسان الا ماضيه الحيواني الذي يكفي وحده للتعليل لجميع مفردات

ظاهرته الانسانية! ألا ان هكذا خَرْص بعيد عن الحقيقة بُعد السماء عن الأرض! ان هذه النظريات عاجزة تماماً عن النظر الى الانسان في محيطه الحقيقي الذي لا تَواجُد له الا به فلماذا لا تكون عاجزة بالتالي عن رؤيته بماضيه المزدوج؟! فازدواجية الماضي الانساني محكوم عليها بأن تبقى غيباً لا يتجاسر العلم التقليدي على الالتجاء اليه والاحتماء به طالما لم تكن من تلك الغيوب الوهمية التي يريد هذا العلم، المحايد النزيه، ان يُقسرنا على الايمان الغيبي بها دون برهان حتى اذا ما ألححنا ولججنا جاءنا ببراهين ما لها من سلطان! ان العلم المعاصر لا ينظر الى الانسان الحاضر في بيئته الحقيقية التي لا يمكن ان يُرى على حقيقته خارجها! فكيف نأمل اذاً ان يقودنا علم ضال كهذا فنهتدي به من الجَهالة الى الحقيقة؟! فالانسان كيان لا يسهل رد ظواهره ومفرداته الى ما نراه منه واقعاً متحقِّقاً فيها! لقد برهنت البارامانية Paramannism على ان ما يتواجد على مقربة من الانسان غير بعيد عنه لا يمكن اغفاله اذا ما أريد للواقع الانساني الخارق ان يكون مفهوماً مُفسَّراً بالحق لا بالباطل! ان الظواهر الخارقة التي تتوهّم الباراسايكولوجيا التقليدية ان بامكانها التعليل الناجح لها استناداً لمفردات الظاهرة الانسانية فحسب قد برهنت البارامانية لنا انها ظواهر مزدوجة يتشارك فيها ما هو انساني وما هو غير انساني وانها لا يمكن ان تكون نتاج فعل انساني صِرف. إلاّ ان علماء الخوارق يجزمون بكل يقين بأن هذه الظواهر بالمستطاع تفسيرها وفقاً لما هو انساني فحسب وان لا داعٍ هناك لاستقدام ما هو غير بشري للتعليل لها! لذا فليس بعجيب على الاطلاق انْ ينظر العلم المعاصر الى الانسان فلا يراه الا ذا ماضٍ احادي حيواني يكفي للتعليل لجميع مفرداته وظواهره كما يُجلّيها واقعه الانساني هذا! ان الظواهر الانسانية الخارقة لا يمكن ان تظهر للوجود الا بوساطةٍ من تواجُد شيء آخر على مقربة من الانسان؛ فهي ظواهر مزدوجة غير احادية كما ان الظواهر الانسانية التي تتجلّى كمفردات للواقع الانساني كما نعرفه لا يمكن ان يكون لغير الماضي المزدوج للإنسان المقدرة على التعليل لوجودها! ان اجتزاء الظاهرة الانسانية، خارقة كانت ام مألوفة، من بيئتها واخذها بعيداً عنها لا يمكن ان يؤدِّيا الا الى ابتعادنا عن النظر الى الانسان على ما هو عليه حقاً بماضيه المزدوج الذي لا قدرة لغيره على التعليل لمألوف ظواهره وحاضره المزدوج الذي يعجز غيره عن تفسير خارق ظواهره! لقد وقع

في ظن العلم المعاصر ان الانسان لا يمكن الا ان يكون المسؤول الأول والأخير عن ظواهره وانه لا تَواجُد هناك لما هو غيره بحيث يتشارك معه في التعليل لظواهره. ان العلم التقليدي ينظر الى الحاضر الظاهر فلا يرى الا هذا الانسان ويُحملِق في ماضيه الغابر فلا يراه الا حيواناً لن يكون يوماً شيئاً آخر! لقد اقتطع العلمُ الانسان من ماضيه واقتلعه من حاضره واخذه بعيداً عنهما ليدرسه! فهل هو عيِّنة من سائل تُؤخَذ بعيداً عن انائه لتُفحَص ملياً تحت المجهر؟! ان الانسان لا يكون انساناً الا في السياق الحقيقي الذي لا نستطيع خارجاً عنه ان ننظر الى هذا الانسان فنعرفه كما هو حقيقةً وعلى ما هو عليه حقاً. وهذا السياق الحق لا يمكن ان يكون ما نعرفه من ماضيه الحيواني او ما نراه من ظاهر حاضره الانساني. فلا الماضي الحيواني هو كل ماضي الانسان ولا الظاهر الانساني هو كل ما هنالك في حاضره. ان الانسان ذو ماضٍ مزدوج بدونه لا تفسير هناك لما هو غير خارق من حاضره وهو، بعدُ، ذو حاضرٍ مزدوج لا يمكن التعليل بدونه لما هو خارق فيه!

٧ ـ ١٢ القرآن العظيم والأصل الفضائي للظاهرة الانسانية!

لقد رأينا عبر صفحات هذا الكتاب ان الانسان كائن متمرِّد على بيئته الأرضية هذه خارج على قوانين الطبيعة التي نُشِّأ منها ثائر على واقعه الذي يأبى الا ان يُحدِّده كما يُحدِّد كل الكائنات الحية التي ارتضته عالمها ومجال حياتها Lebensraum. فالانسان لا ينتمي لهذه الأرض اذاً طالما لم يكن مُتناغماً مع بيئتها كما يشهد بذلك عجزه عن ان يكون على وِفاقٍ معها. فهذه البيئة، التي تتناغم معها كل الكائنات الحية الاخرى، لا يمكن ان تكون بيئته التي نُشِّأ ليكون مُفردةً من مفرداتها ومكوِّناً من مُكوِّناتها! ان كل ما في الانسان يشهد بهذا اللاانتماء الانساني Human Outsiding للطبيعة. فأنت اذا ما نظرت الى الظاهرة الانسانية، كما يُجلِّيها على حقيقتها الواقعُ الانساني مُمثَّلاً بهذا الانسان المتمرِّد على البيئة والخارج على قوانين واقعه، فانك واجد نفسك لامحالة وجهاً لوجه مع ظاهرة غريبة لا يمكن إرجاعها الى تطور ارتقائي حدث داخل منظومة الطبيعة كما نعرفها على هذا الكوكب! فالظاهرة الانسانية تقولها صراحةً بأن الانسان لا يمكن ان يكون قد نشأ، على ما هو عليه الآن، في ظل قوانين هذه الطبيعة التي لم نعرف

أحداً آخر من كائناتها ومكوّناتها قد خرج عليها كما خرج عليها هذا الانسان بعدوانيّته الفائقة ونشاطه الجنسي المُفرط وعقله ذي الذكاء الخارق وخَبالاته وعِلله وأسقامه وجنونه!

ان حضارة الانسان تشهد له بهذا اللاانتماء للطبيعة كما نعرفها على هذه الأرض. فهذه الحضارة الغريبة لا يمكن ان تكون نِتاجاً لتطور ارتقائي حدث في ظل الطبيعة التي لم تكن لتسمح بنشوء هكذا حضارة خارجة على قوانينها التي جعلت من كل ما يحدث فيها مُقيّداً منضبطاً بما لا سبيل له للخروج عليه عصياناً وتمرُّداً. فكل ما يحدث في الطبيعة مُسَيطر عليه تماماً من قِبلها؛ فلا وجود لما هو ليس تحت السيطرة Under Control. فكيف يكون الانسان أرضياً منتمياً لهذه الطبيعة غير خارج على قوانينها وهو صاحب هذه الحضارة العجيبة التي لا يمكن ارجاعها الى أصل أرضي نشأ وتطور وارتقى في ظل هذه القوانين الطبيعية؟! وكيف لا يكون الانسان أرضياً وهو يشترك مع باقي الكائنات الحية التي تعيش على هذه الأرض ببايولوجيّته؟ ما هي حقيقة هذا الكائن الهجين المُولّد من تراب هذا الواقع الأرضي ومن أرض واقع آخر لابد لنا من افتراضه مادام هذا الواقع الأرضي غير قادر على التعليل لمفردات ظاهرته كما يُجلّيها سلوكُه ونظامُ حياته؟ وما يكون ذلك الواقع الآخر الواجب افتراضه تعليلاً للظاهرة الانسانية كما يُجلّيها لنا واقعُه كما نعرفه؟ يُقدِّم لنا القرآن العظيم قبساً من نور أنباء الغيب يُعلِّمنا به ما لم نكن نعلمه بخصوص أصل الانسان كما لا نعرفه. فالانسان كما أزاح القرآن العظيم النقاب عن حقيقته هو كائن بايولوجيّته أرضية النشأة والتطور والارتقاء وذلك على قدر تعلّق الأمر بما هو قابل منها للمقارنة بما يناظره من بايولوجيات أسلافه أوائلاً كانوا أم أواخر. والانسان، منظوراً اليه بمنظار القرآن العظيم، ليس كائناً أرضياً فحسب؛ اذ يحمل الانسان داخله آثاراً من ماضٍ فضائي وماضٍ آخر ليس بالأرضي ولا بالفضائي تشاركا مع ماضيه الحيواني في صياغته على ما هو عليه الآن! فالانسان ليس حيواناً حتى يكفي ماضيه الحيواني للتعليل لجميع مفردات ظاهرته الانسانية الخارقة التي لا تنتمي للطبيعة التي ينتمي اليها أسلافه الحيوانات انتماءً كاملاً لا يخرجون معه على قوانينها أبداً كما يخرج هو! والانسان بعدُ لابد وان يكون ذا ماضٍ غير أرضي ليُصبح على ما هو عليه: حيواناً

خارجاً على قوانين الطبيعة كما نعرفها على هذه الأرض! فلابد من افتراض تدخُل فضائي جعل من ماضيه الحيواني غير قادر على الاستمرار في الامساك بدَفَّة سفينة تطوره وارتقائه ممّا جعل منه يحيد عن مساره الطبيعي الى مسار آخر غير طبيعي جعل منه يخرج على قوانين الطبيعة كما تعرفها هذه الأرض. كما ان بقاء الانسان وعدم انقراضه بالرغم من إصابته الفضائية بما جعل منه خارجاً على قوانين الطبيعة دليلان قاطعان بوجوب القول بأن تدخُّلاً آخر لا أرضياً ولا فضائياً يتوجّب افتراضه تعليلاً لعدم قيام الطبيعة بالتخلُّص منه مادام قد أصبح غير مُنتم اليها خارجاً على قوانينها متمرِّداً عليها!! فالطبيعة اذ آنَسَت من هذا الكائن غَير الطبيعي شذوذاً وفسوقاً وخروجاً على مألوف قوانينها وأنماط تجلّيات الحياة فيها فانها لابد وان تقوم باطِّراحه خارجاً عنها مادام هذا الكائن المسخ قد خرج عليها ثورةً وتمرُّداً وعصياناً وشذوذاً! فلماذا لم يحدث ذلك؟ ألا يُحتِّم ذلك الإبقاء على هذا الكائن غير الطبيعي ضرورة ان نقول مع القرآن العظيم بأن الله هو الذي تدخَّل تدخلاً مباشراً فأبقى على هذا الكائن المُصاب بعلَّةٍ من الفضاء وذلك بأن قام باصلاحه بُنيةً وتقويماً فخلقه في أحسن تقويم؟ ان المنطق لا يستبعد ما بيّنه القرآن العظيم من الماضي الغامض لهذا الانسان مادام الماضي الانساني لا يمكن ان يكون حيوانياً بالكامل كما يتوهّم ذلك القائلون بالتطور اللاخَلقي! فالماضي الغامض للانسان حقيقةٌ يبرهن عليها عجزُ ماضيه الحيواني كما بيّنه هؤلاء العلماء عن ان يُعلِّل بنجاح تام لكامل مفردات الظاهرة الانسانية مُتجلّيةً بواقعه الذي لا ينتمي للطبيعة كما ينتمي اليها أسلافه الحيوانات!

والآن، ماذا يقول القرآن العظيم في الانسان؟ ان القرآن العظيم يقول في الانسان ما ليس بمستطاع أحد غيره ان يقوله فيه؛ فالظاهرة الانسانية، كما كشف عنها القرآن العظيم النقاب، لا تنتمي الى الطبيعة ولم تنشأ عنها بمفرداتها الخارقة الخارجة على القوانين الطبيعية. لقد قدَّم القرآن العظيم صورة متكاملة لهذا الذي حدث فجعل من الانسان كائناً خارقاً غير منتم لهذه البيئة، بينما لم يخطر ببال وجهات النظر الاخرى شيء من هذا القبيل؛ حيث لم يدُر بخُلد أيٍّ منها أن هناك في الظاهرة الانسانية شيئاً يستدعي وجوب النظر الى الانسان على انه كائن لا ينتمي للطبيعة خارج على قوانينها!

لذا فلا مناص من أن نقول مع القرآن العظيم بأن الانسان ذو ماضٍ مزدوج فِرقتَيه تدخُّل إلهي غير مباشر، تجلّى في نشأته من مادة الطبيعة كما نعرفها وتطوره وارتقائه في ظل قوانينها كما نعرفها واصابته وتضرُّره إثر هجوم فضائي وافدٍ من خارج هذه الطبيعة، وتدخُّل إلهي مباشر تجلّى في قيام الله باصلاح ما تضرّر منه وفيه وخلقه في تقويم جديد خلقاً آخر هو التقويم الأمثل الذي لم تكن الطبيعة لتنتجه خلقاً بما بثّه الله فيها من أسباب إلهية هي عماد عالمها المحكوم بقوانين التدخُّل الالهي غير المباشر. ان قوانين التدخُّل الالهي السريع هي المسؤولة عن ظهور الانسان في أحسن تقويم. الا ان القرآن العظيم أبان لنا عن شقٍ آخر في الجديلة الفضائية لفِرقة التدخّل الالهي غير المباشر وذلك عندما ذكر قَصَص اصطفاء الله آدم وزوجه خليفةً أسكنهما الجنة! فالجنة التي أسكنها آدم وزوجه هي كوكب آخر غير هذه الأرض التي يظن كثير منّا ان الله لم يخلق في السموات أرْضين مشابهة لها!! لقد أُسكن آدم وزوجه الجنة وعاشا فيها رغداً على سطح ذلك الكوكب البعيد عن هذه الأرض والقابع في أعماق الفضاء السحيقة. ولكنهما لم يلبثا ان أعيدا الى هذا الكوكب الأرضي، الذي أخِذا منه الى الفضاء، وذلك إثر أكلهما من شجرة فضائية نُهيا عن الاقتراب منها فلم ينتهيا! ان الانسان اذاً يحمل داخلاً من بُنيته الانسية ذات البايولوجية الأرضية مادةً فضائية تسرَّبت الى بايولوجيّته بأكل آدم وزوجه من تلك الشجرة الفضائية.
لقد تسبَّبت تلك الأكلة الفضائية في إرجاع الانسان الذي خُلِق في أحسن تقويم الى ماضٍ غابر كان قد ولّى بإبادة الملائكة لآخر مَن كان يُمثّله من أسلافٍ أواخر للانسان! رُدَّ الانسان اذاً أسفل سافلين فعادت اليه عدوانية الأسلاف وخَبالهم وتضررت جميع مناطق العلاقة بالآخر داخل دماغه المُلتاث ففقد صلته بروحه وبربّه واكتسب عقلاً خارقاً لم يستعن به على العودة الى الماضي الفردوسي المفقود بل جعله أداةً للكفر والعصيان والخروج على كل القوانين التي خُلِقت لتُطاع لا لِتُعصى! الا ان هذه المادة الفضائية لم تكن وَبالاً مطلقاً. فلقد نجم عن فعلها في مادة الدماغ الانساني الذي خُلِق في أحسن تقويم، ورُدَّ بها أسفل سافلين، ان نشأ، اضافةً الى مُوَلِّدات العدوان الظالم على الآخر والخَبال والسقم والاعتلالات النفسية كلّها جميعاً، العقل الانساني الخارق! لقد نشأ عن هذا العقل كل ما أبدعته يدا الانسان من مفردات حضارية بلغت أوجها في

عصرنا الأميركي هذا!! اذاً فالانسان فضائية حضارتُه طالما كانت المادة المسؤولة عن إطلاق العنان للدماغ الانساني كيما يُنشئ عقلاً خارقاً كعقلنا هذا هي مادة تلك الشجرة الفضائية التي آهبطنا الأكلُ منها الى هذه الأرض من جديد! فحضارة الانسان الفضائية أصلها داخلنا يكمن في تلك المادة التي سرَّبها الينا أبوانا آدم وزوجه يوم ان أكلا من تلك الشجرة! أفليس عجباً ان نحمل داخلنا مادةً فضائية من غير هذه الأرض وينكر معظمنا وجود حياة خارج أرضنا هذه؟!

٧ ـ ١٣ جنة المَلأ الأعلى: هل هي جنة المأوى أم جنات عدن ام جنة اخرى؟

قد يعجب البعض لوجود شجرةٍ حاملة فايروسات في الجنة التي أسكن الله آدم وزوجه! اذ لا ترتبط الجنة في أذهاننا الا بما ليست له علاقة بأسباب الشقاء والتعاسة كما نعرفها هنا على الأرض. لذا فقد يسارع هذا البعض الى الحكم باستحالة ان تكون هناك في تلك الجنة هكذا شجرة حاملة فايروسات! الا ان هذا الاعتراض يدحضه ما جاء في القرآن العظيم بخصوص تلك الشجرة؛ اذ ان الله حذَّر آدم وزوجه من أن يأكلا منها ونهاهما عن الاقتراب منها. ألا يدل هذا على ان في تلك الشجرة شيئاً ما كفيلاً بإحداث ضررٍ وايقاع اذىً بهما؟! ان الله ما نهاهما عن تلك الشجرة الا لأنها كانت قادرة عليان تُلحق بهما ما لا تُحمد عُقباه من وخيم النتائج الكارثية. فأي ضير اذاً في أن تكون تلك الشجرة حاملة فايروسات؟! ان هذا ليصلح ان يكون مدخلاً للبحث في ماهية تلك الجنة. فهل هي الجنة التي وعد الله عباده المؤمنين؟ أم تراها تكون جنة اخرى غير جنة المأوى التي عرّفها الله لنا في قرآنه العظيم عندما ذكر جانباً من وقائع رحلة معراج سيدنا محمد صلّى الله تعالى عليه وسلّم؟ وماذا بشأن الجنة التي أُدخِلها ذلك الرجل المؤمن في سورة يس المباركة؟ وهل هي الجنة التي يُدخل الله مَن يُقتل في سبيله؟ ان الجنة التي ذكر الله انه اسكن آدم وزوجه لا يمكن ان تكون الجنة التي لن يخلقها الله الا من بعد طيِّه للسماء وتبديله لها باخرى غيرها يوم القيامة. تدبّر الآيتين الكريمتين:

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

ان أية جنة من الجنات غير الاخروية التي وردت في القرآن العظيم لا يمكن، بداهةً، ان تكون هي جنة الخُلد؛ اذ ان الجنة الاخروية تحتوي السموات والأرض مساحةً. تدبّر الآيتين الكريمتين:

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

الا ان جنة آدم قد تكون أياً من هذه الجنات الوارد ذكرها، تصريحاً أو تلميحاً، في النص القرآني المقدَّس. فقد تكون هي الجنة التي انتهى معراج سيدنا محمد صلّى الله تعالى عليه وسلّم بها: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾ [النّجم: ١٣ - ١٥].

وقد تكون هي الجنة الوارد ذكرها في سورة يس المباركة. تدبّر الآيتين الكريمتين:

﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦ - ٢٧].

وقد تكون هي جنة مَن يُقْتَل في سبيل الله. تدبّر الآيات الكريمة:

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١]، ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ﴾ [الحج: ٥٨ - ٥٩].

وقد تكون غير هذه الجنات جميعاً: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ

﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠]. الا انها بالتأكيد ليست الفردوس الذي وعد الله عباده المؤمنين في الآخرة. فلم يكن الله ليجعل في فردوس الخلود شجرة ينهى عن الاقتراب منها مَن أدخله فيها! لقد وقع في ظن مفسِّري الوثيقة الموسوية ان جنة آدم وزوجه التي أسكِناها هي جنة عَدْن. لذا فلقد توهَّموا انها شجرة المعرفة (معرفة الخير والشر)؛ اذ كيف يكون لشجرة خبيثة غير مقدَّسة ان تستقر في جنة عَدْن؟! ان القرآن العظيم واضح في تحديده جنات عدن بأنها جنات الآخرة التي تحتويها جنة الخُلد داخلاً منها. تدبّر الآيات الكريمة:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]، ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [الرّعد: ٢٣]، ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣١]، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣١]، ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١]، ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٦]، ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٣]، ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص: ٥٠]، ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المؤمن: ٨]، ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الصف: ١٢]، ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البيّنة: ٨].

أما جنة آدم وزوجه فلم تكن غير كوكب مأهول بالحياة غير هذه الكرة الأرضية عُرِج بهما اليه في الوقت الذي كان الملائكة يُكمِلون على قومهما إجهازاً وإبادةً. فلقد صدر أمر الله بافناء اولئك القوم الظالمين الشاذّين وكان على

آدم وزوجه ان يغادرا الأرض الى مكان آخر شبيه بها Earth-Like طالما لم يكن بالامكان ان يتواجدا عليها والملائكة يقومون بتشعيعها بذلك النور المختص بتدمير اسلافنا الأواخر دون غيرهم من خَلْق الله. فما كان لآدم وزوجه ان يُفلِتا من طوق تلك الطاقة التدميرية الرهيبة التي كان بمقدورها افناؤهما أيضاً وذلك بسببٍ من كونهما وثيقَي صلة بقومهما مادةً وتكويناً. كانت الجنة التي غادر اليها آدم وزوجه كوكباً آخر بعيداً عن نظامنا الشمسي هذا! ولكن قد يعترض البعض فيقول ان القطع يقيناً بوجود أرضٍ اخرى، غير هذه الأرض، صالحةً للحياة، وللحياة الانسانية تحديداً، لا يسنده دليل على الاطلاق! اننا في هذا الكتاب سوف لن نُعنى بايراد ما بامكان العلم ان يُدلي به بهذا الخصوص؛ اذ ليس يعنينا هنا الا ما جاء في القرآن العظيم من دليل يقطع بصحة وجود حياة راقية خارج هذه الأرض. لنتدبّر الآيتين الكريمتين التاليتين:

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٥]، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩].

يتبيّن لنا بتدبّرنا ما جاء في هذه الآيات الكريمة ان هناك في السموات حياة لا تختلف في شيء عن الحياة على هذه الأرض وان هناك أيضاً مخلوقات كهذه التي نعرفها حوالينا في الطبيعة من نبات وحيوان. فالدابّة هي كل كائن بايولوجي يدب ويتحرّك، والخبء هو كل ما تُنبته الأرض من بذرٍ وغلّة. اننا لو تدبّرنا الآية الكريمة ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ والتي أبان فيها الله عن كون الماء هو مادة خلْق كل الكائنات البايولوجية فاننا سنخرج لامحالة بنتيجة مفادها ان كل ما في السموات من كائنات بايولوجية (من دابة) قد خلقها الله لا كما يتوهّم ويتخيّل منظّرو وثيقة الخيال العلمي Science Fiction ولكن كما نعرف عن خلْقه على هذه الأرض! اذاً فوجود كواكب حية اخرى، غير الأرض، في السموات (الفضاء الخارجي) أمر حتمي أكّده القرآن العظيم. فلماذا اذاً لا تكون جنة آدم وزوجه واحداً من هذه الكواكب؟! بل ان جنة آدم، كما وردت في القرآن العظيم، هي الدليل القرآني القاطع المُعجِز على وجود حياة على غير هذه الأرض

في مكان ما في الفضاء الواسع!

ولكن، اذا كان العقل البشري فائق الذكاء قد نشأ بسببٍ من التدخّل الإلهي، الذي أراد به الله إصلاح ما نجم عن إصابة الدماغ الحيواني لأشباه الإنسان من الأسلاف الأواخر بذلك الفايروس الذي تسلّل الى داخل المنظومات البايوالكترونية المسؤولة عن تحديد مَديات العلاقة بالآخر، فماذا بشأن أيِّ عقل بايولوجي خارق آخر؟ هل بوسعنا ان نجزم فنقول باستحالة وجود عقل بايولوجي خارق آخر طالما لم يكن هنالك في الطبيعة كما نعرفها عقل يوازي عقل الإنسان بذكائه الفائق؟! هل يسوِّغ لنا عدم عثورنا في هذه الأرض على كائن بايولوجي آخر ذي ذكاء خارق ان نقطع بعدم وجود أي شكل آخر من أشكال الذكاء البايولوجي الخارق في غير هذه الأرض؟ وماذا بشأن الكائنات الفضائية؟ هل يُشترط الشكل الإنساني وجوباً كيما يكون بوسع أيٍّ من هذه الكائنات ان تمتلك ذكاءً نابعاً عن عقلٍ بايولوجي خارق؟ هل لنا ان نقول بوجود أشكال حياة بايولوجية اخرى بوسعها ان تمتلك عقلاً خارقاً؟! ولكن، اذا كان العقل الخارق المرتبط بمادة بايولوجية لامجهرية (ماكروية) لم ينشأ الا بتطور مادة الدماغ الحيواني الى هذا الشكل البشري فائق التعقيد والذي لم يكن ليتطور فيصبح عقلاً خارقاً لولا تلك الاصابة الفايروسية المُدمِّرة التي عاثت في ربوع منظوماته البايوالكترونية فساداً والتي كانت ستجعل من مادة الدماغ الحيواني تلك يؤول أمرها في النهاية الى الموت السريع لولا ان تدخّل الله فأعاد النظام اليها وأبدلها ما كان قد أتلِف وحصّنها ضد أية اصابة فايروسية مشابهة وهيّأ لها ان يكون بمقدورها الاستلام منه والارسال اليه فجعلها ذات بنيان بايوكيميائي - بايوالكتروني لم يسبق وان ظهر على الأرض من قبلُ كان نتيجته ظهور العقل البشري الذي تمّت خِلْقته هذه ليكون في أحسن تقويم، فاذا كان هذا العقل قد نشأ وظهر وفق ما ذُكِر من مراحل تعاقبت على مدى مئات الملايين من السنين فهل يجب على أي عقل فضائي، بايولوجي المادة، ان يمر بذات ما تقدّم من مراحل قبل ان يصبح عقلاً خارقاً يماثل أو يفوق العقل الانساني؟ ان أساس أي عقل بايولوجي خارق هو التعقيد الذي يجب ان تكون عليه مادة دماغه وذلك على قدْر تعلّق الأمر بالتطور الذي وصلت وارتقت اليه منظوماتها البايوالكترونية.

وهذا التعقيد البنيوي يرتبط حتماً بكون مادة ذلك الدماغ ذات حجم ووزن معيّنين وجوباً؛ حيث لا يمكن ان تُظهِر أية مادة بايولوجية تقل تعقيداً بايوالكترونياً عن حد معين، مرتبط لِزاماً بما هي عليه من وزن وحجم، أيةَ فعالية يمكن وصفها بأنها تنم عن ذكاء خارق فائق! وهذا يستدعي ان يكون الشكل البايولوجي للكائن الذي وصل دماغه الى هكذا درجة من التعقيد البايوالكتروني على هيئة الانسان وجوباً! ان أي ذكاء بايولوجي خارق خارج الكرة الأرضية يجب ان يكون مرافقاً لشكل مشابه للشكل الإنساني كما نعرفه! ولكن، ماذا بشأن التفاصيل الفنية الدقيقة التي تم وصفها بأنها ميزات انسانية تكوَّن بها الإنسان بسبب من نشأته العجائبية آنفة الذكر فيما تقدّم؟ هل تُشترط الإصابة الفايروسية لوصول العقل البايولوجي الفضائي الى عتبة العقل الخارق؟ ولكن الا يتطلّب ذلك تدخّلاً الهياً مماثلاً للتدخّل الالهي في خلق الإنسان بعقل خارق؟ وماذا بشأن باقي مفردات القصة الإنسانية صعوداً وسُكنى وإهباطاً؟ هل حدث شيء من هذا القبيل في مكان آخر غير هذه الأرض فأدى الى ظهور عقل بايولوجي خارق آخر مرتبط بشكل مشابه لشكلنا البشري هذا؟ ان المنطق ليُجوِّز ان يكون ظهور هذا العقل الفضائي البايولوجي الخارق قد تم وفق سياق ليس من الضروري ان يكون متطابقاً غاية التطابق مع سياق نشأة وظهور عقلنا الإنساني الخارق هذا. فليس من المُحتَّم ان يكون التدخُّل الالهي في نشأة وظهور ذلك العقل الفضائي الخارق مرتبطاً وجوباً باصابة مادة دماغه بفايروس مشابه للفايروس الأرضي! ان ارادة الله هي قانون الخلق الوحيد! ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]. فارادة الله هي خلْق لا مجرد ارادة. ان الله قادر على ان يخلق بشراً من طين في غير هذه الأرض وان يجعل هذا البشر ليس كانسان هذه الأرض منحدراً عن سلالة مجرمة! فانسان السماء يجب ان يكون ذا شكل بشري وليس من الضروري ان يكون جوهره بشرياً أيضاً! فالله قادر على ان يتدخّل فيجعل من مادة دماغ العقل الفضائي، ذات التعقيد المشابه للتعقيد الذي كانت عليه مادة دماغ أسلاف الإنسان الأرضي الأواخر، تتحول الى مادة خارقة الذكاء قد تفوق مادة دماغنا خارقية وذلك من دون ان يستدعي ذلك ان تسبق هذا التدخُّل إصابتها بفايروس فضائي مماثل لفايروسنا اياه! ان المنطق لَيُجوِّز أيضاً ان تكون تلك المخلوقات البشرية الفضائية قد وصلت، بفضل ما آتاها الله من عقل خارق، الى

درجة من الرقي الحضاري والمقدرة التقنية تفوق ما وصلت اليه حضارتنا الأمريكية المعاصرة! ان هذا ليس بالأمر المُستبعد طالما لم يُصبهم ما أصاب أسلاف الإنسان من دمار عالجه الله ثم عاد مع عصيان آدم وزوجه لأمره! ان سُكان الفضاء هؤلاء سوف لن يكونوا غير حيواناتٍ انسانية فائقة الذكاء لا تخرق قوانين الطبيعة الا بعقلها الخارق الذي هو كل ما خرجت به مادة دماغها على الطبيعة؛ اذ لم يكن لديها عدوان خارق ولا جنون خارق! ان الأشكال الفضائية المرعبة المخيفة التي خرجت بها علينا هولي وود Holly Wood لا وجود لها طالما لم تكن أشكالاً لكائنات بايولوجية فضائية! اذاً فانسان الفضاء، قد يكون، هو الإنسان كما كان سيظهر على هذه الأرض لولا ذلك الفايروس الذي أدى الى قطع وصل سلسلة تطور وارتقاء أشباه الانسان الى القمة التطورية البشرية؛ تلك القمة التي يبدو انها لم يكن لها ان تتحقّق الا بعيداً عن الأرض في أعماق الفضاء!

ان اشتراط كون العقل البايولوجي الفضائي الخارق قد نشأ وفق مسار نشوء وارتقاء وتطور عقل الانسان بدءً بالخلق من طين وانتهاءً باهباط الله لصاحبه على هذه الأرض لا يعدله حمق غير اشتراط ان يتم ظهور الانسان مرة اخرى من جديد يوم القيامة وفق السياق نفسه الذي كانت قد اتَّبعته عملية خلْقه اول مرة! ان الله قادر على ان يخلق انساناً فضائياً ذا عقل خارق فائق الذكاء من غير ان يكون مُلزّماً بتكرار ذات السياق اياه الذي كان قد اتّبعه في خلْقه لانسان هذه الأرض؛ أي من دون ان تكون هناك اصابة فايروسية وخليفة يتم اصطفاؤه وجنة يُنقل اليها وشجرة تُعيده وترُدّه الى أسفل سافلين! كما ان الله قادر على ان يخلق انساناً يوم الآخرة من دون مرور بما مر به الإنسان كما نعرفه من تخليقٍ في أطوار متعاقبة استغرقت مئات الملايين من السنين. فانسان القيامة يخلقه الله في ثوانٍ معدودات!

٧ ـ ١٤ الجذر الفضائي للإصابة الفايروسية!

ان الفايروس الذي أصاب أسلافنا الأواخر فجعل منهم يخرجون على قوانين الطبيعة لم يكن فايروساً أرضياً من نِتاج الطبيعة على الأرض. كما انه لم يكن نتاجاً للطبيعة في مكان آخر وكوكب آخر! فالطبيعة ليس لها ان تسمح بوجود

هكذا كائنات ضمن تعدادها. ولكن، من أين اذاً جاء ذلك الفايروس العجيب؟ لقد تم تخليق هذا الفايروس على أيدي كائناتٍ فضائية وذلك لغايةٍ في نفسها. فقد قامت تلك الكائنات الفضائية باصابة اسلافنا الأواخر عن عمْد بذلك الفايروس بُغية القضاء عليهم دون غيرهم من الكائنات الحية التي كانت تعيش على هذه الأرض. يبدو انها كانت تخشى ان يستمر تطور وارتقاء أشباه الإنسان حتى يصل الأمر بهم الى ان يصبحوا كالانسان عقلاً خارقاً وذكاءً فائقاً! اذاً كانت تلك الاصابة الفايروسية لأسلافنا الأواخر أول حربٍ فايروسية تشهدها هذه الأرض وذلك قبل ان يقوم أحفاد اولئك الأسلاف بتخليق فايروس الأيدز! ان هذا لَيُسلِّط الضوء على التقدّم التقني الهائل الذي كانت تلك الكائنات الفضائية قد حقّقته بتطويرها هكذا أسلحة بايولوجية انتقائية. ان الحرب الفايروسية هي أنجع وسيلة للقضاء التام والمُبرم على كائنات بايولوجية تتميز بمقدرتها على التحرُّك بعيداً عن سُوح القتال التقليدي! فكائنات كأسلافنا لم يكن بامكان السلاح التقليدي ان يقوم باستأصالهم عن بكرة أبيهم حتى لا يبقى منهم أحد بوسعه اعادة النسل من جديد! لقد ظن اولئك الغزاة الفضائيّون انهم قد أبادوا أسلافنا الأواخر بالكامل عندما تسبَّبوا بإحداث تلك الاصابة الفايروسية؛ اذ لم تكن الا مسألة وقت حتى يفنى كل القوم بأيدي بعضهم البعض. الا ان الله كان قد قرّر ان يتدخّل مباشرةً لصناعة الانسان في أحسن تقويم فكان ان خلق آدم انساناً خارقاً بمعنى الكلمة!

٧ ـ ١٥ الاصابة الفايروسية الاولى: أول مؤامرة في التاريخ!

لقد تبيّن لنا اذاً ان كائناتٍ فضائية كانت وراء اصابة الأسلاف الأواخر للانسان الأول بذلك الفايروس الذي تم ارساله الى الأرض ليقضي عليهم كلّهم جميعاً. ولكن، لماذا قرّرت تلك المخلوقات غير الأرضية ان تُبيد أشباه الإنسان اولئك عن بكرة أبيهم؟ لنتدبّر الآيات الكريمة التالية:

﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٧٠) إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ

﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [ص: ٦٩ ـ ٨٥].

ان هذا الحدث الجلَل الذي شهده الملأ الأعلى فجعل منهم يختصمون في أمر هذا المخلوق، الذي أخبرهم الله انه قرّر ان يُسجدهم له حال اكتمال خِلْقته من طين وتسويته ونفخه فيه من روحه، قد تسرَّبت أنباؤه على يد مَن يسّمعون الى الملأ الأعلى من كائنات غير مرئية الى آخرين ممَّن لم يشهدوا ما حدث هناك. تدبّر الآيات الكريمة التالية:

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ﴿٨﴾ دُحُورٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ﴿١٠﴾ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ﴾ [الصافات: ٦ ـ ١١].

لقد استقر قرار البعض من تلك الكائنات على ان يكيدوا لهذا الانسان وان يعملوا كل ما بمقدورهم للحيلولة دون ان يتسلّط عليهم هذا الذي هو مخلوق من طين! لذا فلقد وجدوا ان لا سبيل هناك، لتحقيق هدفهم الخبيث ذلك الا بقطع سلسلة تطور وارتقاء هذا الانسان وذلك بأن يعملوا على ابادة أشباهه كلّهم أجمعين. ولم يكن هناك ما بمقدوره ان يُعينهم على ذلك الا استخدامهم للسلاح الفايروسي اياه والذي كان كفيلاً بابادتهم فلا يبقى منهم من أحد يكون بمقدوره ان ينتهي به الأمر تطوراً وارتقاءً الى ذلك الانسان الذي سيتوجّب عليهم السجود له. اذاً فالمؤامرة كانت تهدف الى منع ظهور الانسان حتى لا يحدث ما توهّمه أصحابها من سيادة له عليهم. ولقد فات المتآمرين ان يذّكروا بأن الله ما كان ليعجزه من شيء في السموات والأرض وانه غالب على أمره وانه اذا أراد شيئاً فانما يقول له كُن فيكون! لذا فلقد ظن هؤلاء الحمقى بأنهم قد نجحوا اذ أصابوا أشباه الانسان بذلك الفايروس الرهيب، وما دروا انهم قد فعلوا ما كان حقيقاً ان يجعل من الله يتدخَّل مباشرة بـ كُن فيكون ليجعل من الانسان الذي تآمروا عليه

قبل ولادته أمراً واقعاً وكياناً متحقّقاً!

ان ذلك التآمر لم يكن فريد نوعه على الاطلاق. فلقد كشف الله في القرآن العظيم عن تآمر مماثل قام به فرعون ومَن لف لفّه كيداً منهم للرجل الذي أخبروا من قِبل الكهنة والمُسَّمِعين ان هلاك فرعون سوف يكون على يديه! حيث قام فرعون بقتل جميع أطفال بني اسرائيل الذين وُلِدوا تحت شمس ذاك العام الذي شهد مولد سيدنا موسى قاتل فرعون! الا ان المتآمرين في كلتا الحالتين فاتهم ان يدركوا ان تآمرهم هذا هو الذي سيجعل من المقدور يتحقّق وعلى الوجهة التي كانوا يخافون! فلقد مهّدت تلك الاصابة الفايروسية لظهور آدم الجنين مُصاباً بها والذي ما كان ليتم له الفوز بتدخُّل الله في تخلّقه بما عاد عليه بالخلْق في أحسن تقويم لولاها كما ان موسى ما كان له ان يفر الى الله وليكلّمه الله عند طور سينين لولا قرار فرعون بقتل أبناء بني اسرائيل وما أعقب ذلك من خوف امه عليه طفلاً وايحاء الله لها ان تقذفه في النيل ليأخذه عدو لله وله وقتله لواحد من أعداء شيعته! فلقد مكر المتآمرون بآدم قبل ان يولد كما مكر من بعدهم فرعون وجمْعه بموسى من قبل ان يولد؛ فكانت عاقبة مكرهم ان خلق الله الانسان في أحسن تقويم وأهلك فرعون وجنوده في اليم!

٧ ـ ١٦ البيئة الحقيقية للإنسان!

يتميز الانسان بكونه الكائن البايولوجي الوحيد الذي لا يسأم من الضجر والملل والاحساس بالرتابة! فالحيوان لا يعاني من هكذا مشاعر هدّامة غير بنّاءة بمقدورها ان تعصف بالوجود من حواليه فتذره خواءً فارغاً من كل معنى مليئاً بكل ما من شأنه ان يجعل منه لا يستشعر غير اللاجدوى ويبصر فلا يرى الا العدم! ان الانسان لا يستطيع ان يبقى بعيداً عن هكذا أحاسيس مهما حاول ان يهرب منها! فهي تُلاحقه ولا تني تطارده حتى توقع به في قبضتها فتجعل منه اسيرها الذي ليس بمستطاعه ان يفر منها الا اليها! ولكن، كيف نستطيع ان نعلل للملل الانساني استناداً الى ماضيه الحيواني الذي يقول العلماء انه كل ماضيه؟! ان الحيوان لا يشعر بالضجر والسأم الا في حديقة الحيوان! فهو في بيئته الطبيعية لا يستشعر هكذا أحاسيس يفرضها عليه القفص البشري الذي يجعل منه اسير بيئة لم يُخلَق لها وعبداً لبرنامج لم يتم تنظيم منظومات دماغه وفقاً لمفرداته! فالحيوان

خُلِق ليعيش حراً في الطبيعة لا ليحيا في أسرٍ ذليلٍ! ان مشاعر الضيق والملل التي يعاني منها الحيوان في الأسر يعود سببها الى عدم قدرته على فهم ما يحدث له طالما لم يكن برنامجه ليجعل منه مُهيَّئاً لحياة خارج الطبيعة بعيداً عن قوانينها. وهذا الذي يجعل من الحيوان يسقط ضحية للضجر والسأم داخل قفص حديقة الحيوانات بمستطاعه ان يجعل منا نستبين السبب الحقيقي وراء احساس الانسان الدائم بالملل والرتابة! فاذا كان الحيوان يضيق ويضجر بسببٍ من ابتعاده عن بيئته الحقيقية، التي لها خُلِق ولم يُخلَق ليحيا في بيئة اخرى بديلة عنها ليس بوسعه ان يتكيَّف مع قوانينها مادامت هذه القوانين هي ذاتها خارجة على قوانين الطبيعة، فان سبب الملل الانساني لابد وان يكون راجعاً الى ابتعاده عن بيئته الحقيقية التي خُلِق ليحيا فيها وليعيش في ظل قوانينها! ولكن اذا لم يكن الانسان قد ترقَّى فأصبح انساناً بسبب من رحلته التطورية داخل الطبيعة كما نعرفها، فان بيئته الحقيقية لا يمكن بالتالي ان تكون هذه الطبيعة! فما تكون البيئة الحقيقية للإنسان اذاً؟ ان الملل الانساني بمقدوره ان يكون الدليل القاطع بصحة القول بعدم انتماء الانسان للطبيعة كما نعرفها وبوجوب انتمائه لبيئة اخرى غير هذه الطبيعة التي يشهد لها احساس الانسان الدائم بالملل فيها انها ليست ببيئته الحقيقية التي تمّت برمجته ليحيا وفقاً لقوانينها! ان الملل الانساني نذير يُخطِر الانسان بوجوب شروعه بالبحث عن بيئته الحقيقية التي لا نجاة له من ملله هذا الا بعودته اليها ليحيا في ظل قوانينها. ولكن اذا كان الماضي الحيواني للإنسان ليس بذي نفع في لجوء الانسان اليه تشبُّثاً به علَّه يكون وسيلته للخلاص من ملَله وسأمه وضيقه وضجره، فان لما تبقّى له من ماضيه المقدرة على انقاذه من شقائه هذا اذا ما هو استعان به ليفرَّ اليه! فالانسان ذو ماضٍ مزدوج لا يُمثِّل الحيواني منه الا جانباً بسيطاً مقارنة بالآدمي منه. لذا فان بوسع الماضي الآدمي للإنسان ان يُعيننا على تفهُّم حاضره الشقي التعس وذلك على قدر تعلُّق الأمر بكونه المفتاح المفقود الذي سيفتح باب معرفتنا بالبيئة الحقيقية التي كان الانسان الأول يحيا في ظل قوانينها والتي خُلِق ليعيش فيها لا في غيرها! ان معرفتنا بالماضي الآدمي للإنسان بمقدورها ان تقول لنا الكثير جداً عن حاضره المليء بالملل. فلقد عرفنا في مواضع كثيرة من هذا الكتاب ان الله كان قد خلق الانسان ليكون له لا لأحد آخر؛ معه لا مع شيء آخر؛ به لا بشيء آخر سواه هو! ولقد تمَت برمجة

الانسان بموجب هذا البرنامج الالهي الذي خُلِق الانسان بعقل فائق الذكاء ليكون بمستطاعه العمل على تحقيق ما يتطلّبه منه. فلم يُخلَق الانسان ليكون كالأنعام وباقي الحيوان يأكل ويشرب في راحة ودعة! فليس برنامج الانسان ان يكون جزءاً من الطبيعة ومفردة من مفرداتها. لقد خلق الله الانسان ليكون جزءاً من عالم اِلهي لا ينتمي لهذه الطبيعة الا قليلاً! اذاً فالبيئة الحقيقية للإنسان كانت البيئة الالهية التي خُلِق ليسعد في عيشه في ظل التزامه بقوانينها. الا ان الانسان أشقى نفسه، والآخرين، بخروجه على قوانين الله، المُنظِّمة لعلاقته الواعية المباشرة به، والتي خُلِق ليتناغم معها كما يتناغم الحيوان مع قوانين الله في الطبيعة والتي خُلِق ليتناغم ويتوافق معها ولينتظم وينضبط بها في علاقته اللاواعية غير المباشرة بالله! فالبيئة الالهية هي بيئة الانسان لا الطبيعة. والبيئة الالهية هي البيئة الحقيقية للإنسان الذي سيشقى بابتعاده عنها شقاء الحيوان في سجنه القفصي في حديقة الحيوان المُؤنسَن بابتعاده عن الطبيعة: بيئته الحقيقية! ان عودة الانسان الى بيئته الحقيقية برجوعه الى الله هو الحل الذهبي الوحيد الذي بمقدوره اِنقاذه من الغرق في بحر اليأس والبؤس والشقاء والخروج به من ظلمات الملل والسأم والضجر الى الراحة الحقيقية والسعادة الحقة. ان المرء ذا العقل السليم لَيحزن لرؤية الحيوان أسير قفصه في الحديقة الخبيثة اياها وانه ليفرح لرؤيته طليقاً في الطبيعة التي خُلِقت له وخُلِق لها. وهو، بعدُ، قد يفعل كل ما بوسعه للعمل على اطلاق سراح هذا الحيوان من أسره. لذا فليس من العجيب على مَن كان ذا عقل سليم ان يُحزنه شقاء الانسان في سجنه الاختياري بعيداً عن الله! افلا يُعذر هذا المرء سليم العقل اذا ما هو قام، بكل ما اوتيه من قوة، بالعمل على محاولة جر الآخرين ليعودوا الى بيئتهم الحقيقية فلا يشقى منهم أحد من بعد ذلك؟! ان الصياد الحق هو الذي يصطاد الحيوان في بيئته غير الحقيقية ليعود به الى الطبيعة وهو أيضاً مَن يصطاد الانسان في أسره بعيداً عن الله ليرجع به الى البيئة الالهية. فالسعادة الانسانية الحقيقية لا وجود لها الا بالعيش في بيئتنا الحقيقية التي خُلقنا لها لا لغيرها. لقد برهنت لنا الظواهر فائقة الخارقية للطريقة على ان بمستطاع البيئة الالهية ان تجعل من جسم الانسان الذي أتاح لها ان تقترب منه لمدة قصيرة يكتسب قدرات خارقة ليس بوسعه، ان يحصل عليها بحيث يعجز كل احد عن التأثير عليها، الا بوساطتها. أفلا يكفي لنا هذا دليلاً على قدرة البيئة الالهية

(البارامانية) على ان تنظِّم كل ما يحتاج الى اعادة ضبط وتنظيم في البُنية الانسية؟ ان البيئة الالهية هي الحل الوحيد لإصلاح ما هو متضرِّر في البُنية الانسية وهذا ما يمكن فهمه من الآية الكريمة ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريات: ٥٦]. فالانسان خُلِق ليعبد الله وذلك بأن تكون علاقته به علاقة مباشرة ليست كعلاقة أحد آخر من أقرباء ماضيه الحيواني!

(الجزء الأول)

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ﴾

كأسُ الشِفاء المُقدَّسة طَلْعُ الشجرةِ الطيِّبة

٨ ـ ١ الإيمان والعمل الصالح أداتا إِصلاح البُنية الإنسية!

ان الصفة التي وصف الله بها آدم لملائكته يوم ان قرّر ان يُبقي عليه ويُهلِك قومه المجرمين كانت «خليفة في الأرض». ولقد رأينا ان اصطفاء آدم خليفةً في الأرض قد تم من بعد ان تدخّل الله في مسار حياته فأصلح ما أفسدته الإصابة الفايروسية وذلك بأن سوّاه وخلقه في أحسن تقويم استوجب، من بعدُ، اضافة الروح اليه بنفخها فيه من روح الله. ان في هذا التفصيل لمعنى كون آدم خليفة في الأرض تبياناً للمواصفات الواجب الحصول عليها اذا ما أراد الإنسان، أي انسان، ان يكون خليفةً في الأرض! فالخليفة في الأرض يجب ان يصل اذاً الى القمّة التطورية للنوع الإنساني؛ تلك القمة التي انحدرنا عنها من بعد ان أكل آدم وزوجه من الشجرة التي نهاهما الله عنها. وهذه القمة التطورية هي التي كان عليها الإنسان الأول الذي خلقه الله في أحسن تقويم. ومن بين ما يعنيه هذا ان يكدح الإنسان للوصول الى هذه القمّة بالإيمان والعمل الصالح وذلك ليتم له باذن الله إِصلاح ما أفسده أكلُ أبوينا آدم وزوجه من تلك الشجرة العجيبة. فالخليفة في الأرض اذاً هو مَن وصل الى هذا المقام المتميز بكونه مقام آدم قبل العصيان. لقد سوّى الله آدم فأصلح دماغه إِصلاحاً كفل له الخلاص من آثار الإصابة الفايروسية التي أخلّت بنظام عمل مراكز السلوك مع الآخر فيه. ان آدم لم يتم اصطفاؤه خليفةً في الأرض الا من بعد ان سوّاه الله وخلقه في أحسن تقويم. لذلك فان وصول الإنسان الى مقام الاصطفاء خليفةً في الأرض يتطلّب ان تختفي جميع العيوب التي أصابت

دماغه بسببٍ من وراثته عن آبائه وأجداده ما ورثوه بدورهم عن آدم وزوجه!

ان إِهباط الله لآدم وزوجه من الجنة لم يكن مجرد عقوبة لهما على عصيانهما أمر الله بأن لا يقربا تلك الشجرة! فلقد تلقّى آدم من ربّه الرحيم كلمات من بعدها فتاب الله عليه وهداه السبيل الى العودة اليه. الا ان اصابة آدم وزوجه بالتسمم جرّاء الأكل من تلك الشجرة أوجب عليهما، وقد أضحيا انسيين من بعد الأكل من الشجرة، ان يقوما بعبادة الله وفق المنهاج الذي تلقّاه آدم كلماتٍ من ربّه وذلك ليتوب الله عليهما. اذاً فالعبادة أوجبها الله اصلاحاً للبُنية الانسية وليس انتقاماً من البشر؛ رحمةً بهم وانقاذاً لهم وليس تعسيراً عليهم امور حياتهم! ان كون الانسان إِنسيٌّ يلزم عنه وجوب تقيّده بالآية الكريمة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريات: ٥٦]. ان مغادرة الانسان معشر الانس، باصلاحه تلك المناطق المتضرّرة من دماغه والتي أُدخل فيهم بسببها، لن يتم الا بواسطةٍ من عبادته لله وفق المنهاج الذي شرعه الله طريقاً هادياً اليه.

لقد كان بامكان الله ان يُبقي آدم وزوجه في الجنة من بعد أكلهما من الشجرة اياها لو ان الأمر لم يكن ليعدو عصيان الأمر ليس الا! الا ان الأمر تعدّى مجرد عصيان أمر الله وتجاوزه الى الآثار الكارثية التي نجمت عن أكل آدم وزوجه من الشجرة العجيبة تلك. فلقد رأينا ما أدى اليه ذلك الأكل من إِخلالٍ بنظام عمل المراكز الدماغية المسؤولة عن تنظيم السلوك العدواني والنشاط الجنسي وسقوطٍ لشعر الجسم وتدنٍ في كفاءة نظام المناعة ضد الفايروسات والميكروبات، ناهيك عن الفوضى التي أخذت تضرب بأطنابها في عموم مناطق الدماغ؛ تلك الفوضى التي نجم عنها فيما بعد ظهور الإعتلالات النفسية بفنونها وصنوفها. اذاً لم يقتصر عصيان آدم وزوجه للأمر الإلهي بأن لا يقربا تلك الشجرة العجيبة على مجرد كونه عدم اطاعة وسوء أدب من قِبَل العبد تجاه الرب بل لزم عنه سقوط آدم وزوجه في مهاوي أسفل سافلين من بعد أن خلقهما الله في أحسن تقويم! لم يكن إِهباط آدم وزوجه بعد ذلك عقوبةً بقدر ما كان نتيجةً لما آل اليه حالهما بسببٍ من أكلهما مما نُهيا عنه! ان إِبقاء آدم وزوجه في الجنة من بعد ذلك كلّه كان سيشكّل خرقاً لقوانين الحياة في تلك الجنة. فنحن لا يصعب علينا تصوّر نتائج بقائهما من بعد تلك السقطة والردّة! ان الذرية الآدمية كانت ستعيث في الجنة فساداً وسفكاً للدماء كما

كان دأب أجدادها الأولين على الأرض. لذا فانه ليس من العسير علينا ان نتفهَّم ذلك الإهباط من الجنة، التي نُقِل اليها آدم وزوجه لأنهما استحقّا ذلك من بعد جعْل الله لهما خليفةً في الأرض بإهلاكه قومهما المجرمين، من بعد اصابتهما بما جعل منهما لا يستحقان ان يبقيا في تلك الجنة. اذاً لقد تحتّم عليهما العودة الى الماضي؛ الى الأرض التي غادراها يوم أبيد قومهما الظالمين!

لقد سبق وان حذّر الله آدم وزوجه من مغبّة أكلهما من تلك الشجرة وذلك عندما بيّن لهما ان ذلك سيجعل منهما يجوعان ويضحيان ويشقيان ويعريان، كما رأينا من قبلُ وذلك عندما قرأنا الآيات الكريمة: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٧ ـ ١١٩].

اذاً لم يُبيّن الله لهما ذلك كلّه لمجرد الترهيب والتخويف لئلا يبادرا الى العصيان! لقد كشف الله لهما عمّا سيحدث في حال أكلهما ممّا نُهيا عنه؛ وهذا كل ما في الأمر. فالله لم يعاقب آدم وزوجه؛ بل قام بتنفيذ الحكم الذي أصدراه على نفسيهما هما لا غيرهما! وتكشف المسيرة الدموية لذرية آدم من بعد إهباطه وزوجه الى الأرض، التي منها خُلقا وتحتّم عليهما ان يموتا فيها ويُبعثا منها مرةً اخرى، عن بشاعةٍ وقسوةٍ لا يوجد لها نظير. ان التدبُّر في ذلك الإهباط، الذي حتّمه الرجوعُ الى الماضي الإجرامي الذي كان عليه أسلاف الإنسان الأول، في ضوء ما حدث منذ ان قتل ابن آدم أخاه بدون أي مبرر عقلاني وحتى يومنا هذا، كفيل بجعلنا نرى في إرجاع أبوينا الأولين الى هذه الأرض النتيجةَ الطبيعية لخروج الإنسان على قوانين الطبيعة وسقوطه في مهاوي أسفل سافلين؛ ذلك السقوط الذي جعل من معظم الجنس البشري لا يستحقّون الا ناراً أبدية تكافئ نار أنفسهم التي تستمرئ إهراق الدم من دون مبرر ولا تجد غَضاضة في هدر كل حياة بلا حق! ألم يقل الله في قرآنه العظيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [سورة العَصْر]. ان الطريق الإلهي الى الله هو طريق العودة الى أحسن تقويم خلق الله الإنسان فيه؛ وهو لذلك طريق الخلاص من مهاوي أسفل سافلين التي رُدَّ اليها الإنسان فأُخرج من تلك الجنة وأُهبط هذه الأرض التي يشهد له تاريخها بأنه ابنها

العاق المجرم المتمرّد الضال! ان العودة الى الله لا تتحقّق الا بالخلاص من أسفل سافلين وذلك بالإستعانة بالإيمان والعمل الصالح واللذين لا يقدر عليهما أحد الا مَن اجتهد في تحقيق الغاية الوحيدة من خلْق الله له: عبادته سبحانه وتعالى؛ وقليل ما هُم! اذاً فليس من اليسير ان يكون الإنسان خليفةً في الأرض طالما استلزم ذلك قيامه برحلة ناجحة من مهاوي درَك أسفل سافلين، مقام البشر كلّهم أجمعين الا مَن رحم ربّي، الى مقام أحسن تقويم!

ان السير على الطريق الإلهي الى الله، وفق ضوابط المسير التي حدّدت الطريقةُ تفاصيلها ودقائقها بما يكفل للسائر وصوله الى الهدف المنشود والذي هو تحقيقه للغاية من خلْق الله له شَريطة التزامه بهذه الضوابط، كفيل بجعل مَن نجح من بعد سيره هذا في الوصول الى الله يعبر الى بر الأمان من بعد استحقاقه قيام الله باصلاح خِلقته وتسويتها وبما يجعل منه يجتاز القدَر الذي فرضه علينا كلّنا جميعاً معشر الانس أكلُ آدم وزوجه من الشجرة التي نهاهما الله عنها. فكما أصلح الله من شأن آدم وذلك بتسويته، وهو جنين في بطن اُمّه، تسويةً أهّلته لأن ينفخ فيه من روحه وجعلت منه خَلقاً آخر لا يُشابه بني قومه، الذين يُفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، وذلك باصلاح الله لدماغه الذي أصابه ما كان قد أصاب بني قومه إصلاحاً نجم عنه اختفاء العدوانية المفرطة وظهور العقل الخارق فان الله سوف يصلح من شأن الواصل اليه وبما يجعل منه خلقاً آخر: انساناً كاملاً خارقاً ليس بعدواني كما هو شأن بني البشر! ان هذا يعني ان الإيمان كفيل بعلاج العيب الوراثي الذي توارثناه عن آبائنا الأقدمين عن آدم عن أسلاف الإنسان الأواخر والذي جعل منا ومنهم مجرمين مفسدين في الأرض سفّاكين للدماء! أي ان الإيمان بامكانه ان يُغيّر من بايوكيميائية الدماغ وذلك عن طريق اعادة تنظيم بايوالكترونياته ذات العلاقة بالعدوانية المفرطة. كما ان المرء لا يغالي اذا ما هو سارع الى الإستنتاج بأن الله سوف يكافئ الواصل اليه بما يماثل ويُشابه ما قام به من نفخ في آدم من روحه من بعد تسويته له. فكما نفخ الله من روحه في آدم الذي سوّاه فأصلح من شأنه من بعد تخلُّقه جنيناً في بطن امه التي كانت واحدة من القوم المجرمين فان الله سوف ينفخ من روحه في الواصل اليه نفخاً ليس كالنفخ الأول الذي حصلنا به على نسخة جسدنا الأبدية ولكن نفخاً يؤهّلنا للفناء فيه عمّن سواه.

والآن، ماذا بشأن ذرية ونسل مَن وصل الى الله فأصلح له شأنه وجعل منه خلقاً آخر؛ انساناً كاملاً؟ هل تخرج هذه الذرية سليمةً مُعافاة من العيب الوراثي اياه؟ هل يعني هذا ان أبناء الأنبياء والصالحين سوف لن يرثوا عن آبائهم الا حالهم الذي تم إصلاحه على يد الله؟ ان التغييرات البايوكيميائية ذات الأساس البايوالكتروني والتي يُحدثها الله إصلاحاً في المادة الدماغية لعقل الواصل اليه وبما يجعل منه انساناً كاملاً وذلك عِبر القضاء على مناطق العدوانية المفرطة وعلاج المناطق ذات العطب المؤدّي الى الإعتلالات النفسية؛ ان هذه التغييرات الخارقة سوف تقتصر على مادة دماغ الواصل الى الله وحده ولن تتعدّاه الى مَن هم سواه من نسلٍ وذرية حيث لن يجري ترسيخها وراثياً بالصورة التي تجعل منها قابلة لأن تورَّث للأجيال المُقبلة. وهذا يعني ان ذرية الأنبياء والصالحين سوف تولد مُصابة بذات العيب الوراثي الموغل في القِدَم والذي نجح آباؤهم في القضاء عليه واصلاحه بوساطةٍ من تشبُّثهم بحبل الإيمان والعمل الصالح والذي جعل منهم يستحقون ان يتدخّل الله لعلاج العيب اياه. ان ذرية الأنبياء سوف يتوجّب عليها ان تخوض ذات الحرب ضد النفس، الموروثة عن آدم عن أسلاف الإنسان الأواخر، اذا ما هي أرادت ان تكون ذرية صالحةً. ان العيب الوراثي الذي يحمله الإنسان عن هذا الماضي السحيق لن يختفي بمجرد نجاحه في القضاء على آثاره داخلاً من كيانه؛ اذ سوف يبقى هذا العيب الوراثي رسالةً يتم نقلها بكل أمانة بوساطة أدوات التوريث التناسلية الى الأجيال اللاحقة. ان التغييرات التي تصاحب وتعقب الوصول الى الله بالإيمان والعمل الصالح ليس بالمستطاع جعلها تُغيّر مضمون رسالة النوع الإنساني؛ تلك الرسالة القديمة قِدم الإنسان الأول (آدم)! ولكن، اذا كانت زوج آدم قد خُلِقت من نطفته فلماذا وُلِدت سليمةً سالمةً من الموروثات ذات العلاقة بالعدوانية المفرطة والإعتلال النفسي؟ ان هذا يعني ان التغييرات التي أحدثها الله في خِلقة آدم تسويةً كانت قويةً للغاية وبما يجعل منها قابلة للتوريث. وهذا هو عين ما حدث؛ فلقد وُلِدت زوج آدم من نطفته التي حملت التغييرات التي نجمت عن إصلاح الله للخِلقة الآدمية بالتسوية التي أعقبها نفخُ الله فيه من روحه! ولكن هل يعني هذا شيئاً غير ان زوج آدم قد وُلِدت بلا عدوانية مفرطة ومن غيرما اعتلالات نفسية؟ ان التغييرات التي نجمت عن أكل آدم وزوجه من الشجرة التي نهاهما الله من الإقتراب منها لم يكن تأثيرها

محصوراً ضمن نطاق هذه الأسرة ثنائية العدد؛ اذ كانت هذه التغييرات، بايوالكترونية الأساس، قويةً الى الحد الذي جعل منها قابلة لأن يتم توريثها والى يومنا هذا! ان الإصلاحات التي أحدثها الله في مادة دماغ آدم تسويةً، والتي تم توريثها لزوجه عبر خَلقها من نُطفته التي حملت رسالةً تم تصحيحها من بعد التسوية أيضاً، قد تمّت وهو بعدُ جنينٌ ابنٌ لوالدين من الكائنات المنحرفة (أسلاف الإنسان الأواخر). لقد تميزت هذه الإصلاحات الإلهية بأنها أجريت على مادة دماغ آدم الجنين الذي ورث عن أسلافه الأواخر تلك العيوب الوراثية من عدوانية مفرطة ونفس مُعتلّة؛ وهي بذلك تختلف عن الإصلاحات الإلهية التي يجريها الله على مادة دماغ الأنبياء والصالحين من عباده وذلك لأن هذه الإصلاحات الأخيرة قد تم اجراؤها على مادة نشأت، وراثةً، من بعد أكل آدم من الشجرة اياها. أي ان العيب الذي اعتور مادة دماغ آدم من بعد هذا الأكل المُحرَّم كان يختلف بصورة تامة عن العيب الذي كان دماغ آدم الجنين يعاني منه نتيجة انحداره عن أسلاف الإنسان الأواخر.

٨ ـ ٢ شجرة الخُلد بين الحقيقة والخيال!

ان كل ما نجم عن أكل أبوينا آدم وزوجه من الشجرة التي نهاهما الله عنها من كوارث طالت معظم مراكز الفعاليات الدماغية المسؤولة عن تنظيم علاقة الإنسان بذاته وبالآخر، ذكوراً كانوا أم اناثاً، وبالبيئة التي عليه ان يحيا فيها، لَيجعل من تلك الشجرة أبرز وأهم علامة في مسار نشوء الإنسان كما نعرفه! كانت تلك الشجرة بحق هي أم الشرور كلّها؛ فلولا تلك الشجرة الأعجوبة لما غادرنا الجنة ولما حل بنا ما حلَّ من تغيّرات كارثية حادت بنا عن الطريق الإلهي الى الله. ان المادة الكيميائية التي احتوت عليها ثمرة تلك الشجرة لابد وان تكون مادةً على درجةٍ مَهولة من المقدرة على التأثير في بايوكيمياء وبايوالكترونيات الدماغ البشري. لقد طال ذلك التأثير الرسالة الوراثية التي حملتها جينات Genes أبوينا الأولين وبما نجم عنه انتقال الآثار الكارثية الناجمة عن تلك المادة الى ذرية آدم وزوجه! لقد قامت تلك المادة العجيبة بإحداث أخطر طفرة وراثية Mutation في تاريخ الحياة البايولوجية! ان البارامانيات Paramannics ، بمقدرتها العجائبية على تغيير ردود أفعال كثير من الفعاليات

البايولوجية والفسلجية، كما يتّضح من خلال ما يحدث في ظواهر الشفاء الاستثنائي للجروح المتعمَّد إِحداثها في الجسم، تبرهن على حقانية وجود مادةٍ كتلك التي نجم عنها تكوّن الإنسان كما نعرفه! كما ان ابليس كان قد ذكر لآدم ما مَفاده ان الله لم ينهَهما هو وزوجه اذ نهاهما عن تلك الشجرة الا لأنها شجرة الخُلد Immortality وذلك لئلا يكونا خالدَين. ألا يُجوِّز لنا ذلك ان نعتقد بوجود هكذا شجرة؟ فورود ذكر هذه الشجرة على لسان ابليس لا يحتِّم ضرورةَ ان تكون وهماً وسراباً وبما يوجب علينا بالتالي ان لا نتخيّل لها وجوداً! فقد يكون هناك حقاً هكذا شجرة تحتوي ثمرتها على مادةٍ كيميائية بمستطاعها إِحداث تغييرات بايولوجية - فسلجية تعمل محصلتها النهائية على تحويل انسان هذه الحياة الدنيا الى انسانٍ لا يموت بسهولة كما هو الحال مع الغالبية العظمى من أبناء بني آدم؟ فان لم تكن شجرة فمادة من الممكن ان يتم تخليقها مختبرياً؟! لقد قامت المادة الكيميائية التي احتوت عليها ثمرة شجرة الجنة التي تسبّبت في طرد آدم وزوجه منها بإِحداث ما استدعى ان يتم طردهما فلماذا لا نتصوّر وجود مادة كيميائية اخرى بوسعها إِحداث ما يجعل من جسم الإنسان ذا مناعةٍ فائقة في وجه الهرم والشيخوخة؟! ان هذا ليس ضرباً من الخيال العلمي أو نزوعاً الى الولوغ في أحلام اليقظة وهلوسات مُتعاطي العقاقير المُخدِّرة! فلقد ورد في القرآن العظيم ان الله قد جعل من نوح يبقى في قومه ألف سنة الاّ خمسين عاماً! ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [العَنْكَبوت: ١٤].

اذاً فاكسير الشباب وماء الحياة ليسا مجرد حلم آخر من أحلام الفلاسفة! فالشباب الدائم ما هو الا تمتُّع خارق للغاية بمناعة متفوِّقة ضد عوامل الهرم والكِبَر والشيخوخة! ان السر في الحياة لمدة طويلة جداً بشبابٍ يدوم بدوامها يكمن في هذه المناعة الفائقة التي كانت السبب في شباب نوح وهو في سن الـ ١٩٥٠! فلو لم يكن نوح شاباً قوياً فهل كان بمقدوره ان يصنع الفُلك؟ ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هُود: ٣٨]. ولنا، مرة اخرى، في ظواهر الشفاء الاعجازي للجروح المُتعمَّد إِحداثها في الجسم خير دليل على وجود مناعة فائقة لا يمتلكها الجسم

البشري بصورة طبيعية وذلك على الرغم من ان بوسعه ان يحصل عليها عند خضوعه لقوانين الطريقة! ان الطريقة هي الطريق الى التمتُّع بمناعةٍ فائقة من الطراز الذي يكفل للسائر على الطريق الإلهي الى الله وفق قوانينها ان يكون ذا شبابٍ يُديمه الله عليه طوال سنين حياته التي قد تطول مئات ومئات من الأعوام اذا ما هو نجح في الفوز بالاذن الخاص والاجازة التي تُخوِّله تجاوز الحد العام لأعمار بني آدم!

ان الطريق الوحيد لتحقيق الحلم الانساني القديم بشبابٍ دائم وحياة طويلة لن يكون الا بالسير في ظل الظواهر الطبية الخارقة التي بمستطاع الانسان اظهارها باجازةٍ من الطريقة. لقد بيّنت هذه الظواهر المُعجزة ان لا عائق طبياً يقف بوجه طاقة الطريقة التي هي قبس من النور الالهي تجتاز به الطريقة المستحيلات في طب الجروح المتعمَّد إِحداثها في الجسم. ان الإرتقاء بنظام المناعة الانساني الى نظام متفوِّق يكفل له التصدّي الحازم لكل الكائنات الحية غير المرئية هو السبيل الوحيد للوصول الى صحة انسانية مثالية لا تعرف المرض والسقم على الاطلاق. وهذا أمر لن يتحقّق الا بالسير في ظل الطريقة! ان نظام مناعة متفوِّق كهذا هو أول خطوة على الطريق الى حياة شابّة طويلة. فإكسير الحياة والشباب الدائم ليس بالمستطاع تخليقه بعيداً عن طاقة عظيمة كطاقة الطريقة بوسعها ان تخترق النظام البايولوجي الانساني بكل مقدرة وذكاء! ان هذا النظام المناعي المتفوِّق هو وسيلة الانسان الوحيدة للنجاح في التعايش السلمي مع كافة الكائنات الحية غير المرئية من جراثيم وفايروسات! هذا التعايش الذي ليس هناك من سبيلٍ آخر سواه لنجاح الانسان في الاستمتاع بشباب دائم وحياة طويلة. اذ ما نفع هكذا حياة تهدّدها على الدوام هجمات قد تقوم هذه الكائنات بشنِّها عليه؟! ان الانسان الاكسيري الحق هو انسان يتمتّع بنظام مناعي متفوِّق وشباب دائم وحياة طويلة!

٨ - ٣ البارامانيّات والقدرات الخارقة للانسان المُستقبلي!

لقد رأينا ان آدم لم يكن ليُصبح انساناً في أحسن تقويم لولا إِصابة أبويه بذلك الفايروس العجيب الذي جعل من أسلاف الانسان الأواخر خارجين على قوانين الله في الطبيعة؛ اذ ان تدخُّل الله لعلاج ما تم الإضرار به في دماغ آدم

جنيناً، جرّاء نسله من الماء المَهين لأبيه، نجم عنه انفراط مناطق العقل لديه انفراطاً جعل منه خارق الذكاء فائقه ممّا يسّر له ان يكون على صلة واعية بالله مهّدت السبيل له ليحظى بنفخ الله فيه من روحه. والآن اذا كان العلاج الالهي للأضرار الناجمة عن تلك الاصابة الفايروسية قد أدّى الى ظهور الانسان في أحسن تقويم، فلماذا لا يكون علاج الله للأضرار التي تسبّب فيها الأكل من تلك الشجرة الفضائية كفيلاً بارجاع الانسان الى ما كان عليه من أحسن تقويم؟ ان الانسان الجديد، الذي جاء القرآن العظيم ليبشّر به، هو الانسان العائد الى أحسن تقويم! ولكن، هل بالمستطاع القول بأن تلك الشجرة كانت حاملة لفايروسات فضائية في مادة ثمرتها التي أكل منها آدم وزوجه فجعلت منهما يُعانيان أعظم انتكاسة في تاريخ التطور الطبيعي تجلّت في رد الله الانسان من أحسن تقويم الى أسفل سافلين؟ ان تغييرات كارثية كتلك التي نجمت عن الأكل من تلك الشجرة الفضائية ليس باليسير إرجاع السبب من ورائها الى مادة كيميائية تقليدية. فهكذا مادة ليس بوسعها ان تتسلّل الى أعماق سحيقة غير تقليدية داخلاً من البُنية الإنسية وذلك حتى يكون بمستطاعها التغلغل داخلاً من المنظومات البايوالكترونية للدماغ الانساني. ان الفايروسات كائنات فائقة المجهرية تتميز بكونها مواد كيميائية غير تقليدية بمستطاعها التغلغل داخل النظام البايوكيميائي للكائن الحي غير المجهري. فالفرق بين الجراثيم والفايروسات يرجع الى حقيقة كون الاولى لا تتميز بحجم فائق المجهرية يتيح لها ان تنفذ عبر الدفاعات القوية للجسم الى داخل نظامه المَناعي، بله الى داخل الخلية الحية وعلى مقربة شديدة للغاية من أدق أسرارها ممثّلة بمادتها الجينية Genetic Material. ومن هنا كانت الفايروسات أشد خطورة من المايكروبات التي بالامكان محاربتها والقضاء عليها بمواد كيميائية تقليدية، مايكروية: مجهرية. أما الفايروسات فليس بالمستطاع، حالياً على الأقل، القضاء عليها وذلك بسببٍ من عدم قدرتنا، حتى الآن، على تخليقٍ ناجح لمواد كيميائية فائقة المجهرية غير تقليدية تنافسها حجماً ومقدرة على اختراق الخلية الحية ولكن من دون ان ينجم عن اختراقها للنظام الحيوي للجسم Biosystem نتائج كارثية تلحق بغير الفايروسات الوافدة الدخيلة. ان أشد الفايروسات خطورةً في الوقت الحاضر هو ذاك المسؤول عن ظهور وباء الأيدز. ان هذا الفايروس وبسببٍ من كونه فائق المجهرية Super Microscopic وبإمكانه

اختراق واصابة الجهاز المناعي Immune System للانسان فليس بالمستطاع القضاء عليه حالياً على الأقل. ان الحل الوحيد للقضاء على هذا الفايروس، الذي أخذ بالانتشار في معظم أرجاء الكرة الأرضية بشكل كارثي مهدِّداً عموم الجنس البشري بالفناء التام والانقراض الكامل والابادة الجماعية، هو بالتوصل الى تخليق مادة فائقة المجهرية يكون بمقدورها اللَحاق به داخل النظام المناعي للجسم، وداخل الخلية الحية، لتحجيمه وافنائه وبما لا ينجم عنه إلحاق أي ضرر، حاضراً ومستقبلاً، بالجسم. ان البارامانيات Paramannics اذ تتميز بكونها مواد كيميائية فائقة المجهرية، تعمل على إحداث مناعات فائقة وردود أفعال خارقة، تمثِّل أمل البشرية في القضاء على هذا الفايروس القاتل! ان Paramann هو الحل للوصول الى الانسان الجديد الذي لن يعود بمقدور نظامه المناعي المتفوّق ان يُظهر عجزاً وضعفاً في وجه اي هجوم فايروسي وجرثومي!

لقد كان الحل الذي صاغه الله للقضاء على الأضرار الناجمة عن الاصابة الفايروسية الاولى حلاً بارامانياً Paramannic تمثَّل بالتداخل الجراحي الروحي الذي قام به الله أثناء تخلُّق آدم جنيناً في بطن امه. فهذا التداخل الجراحي الروحي كان عبارة عن جراحة فائقة المجهرية Super Microscopic Surgery تمت بتخليق مواد كيميائية غير تقليدية فائقة المجهرية جعلت من هذا الجنين اول انسان في أحسن تقويم! لقد أدى هذا الحل البارامانى الى ظهور العقل الانساني الخارق والصلة الخارقة بالله وبالروح داخلاً من الانسان. أفلا يحق لنا بالتالي ان نأمل بأن يكون الحل البارامانى هذه المرة، والذي سيُضطر الى اللجوء اليه والأخذ به كل مَن يريد تفادي الكارثة القادمة على ظهور خيول الايدز المتوحِّشة، قادراً على إظهار وخلْق قابليات خارقة عند الانسان الجديد في المستقبل؟

٨ ـ ٤ الانسان الجديد: جسم سليم ودماغ سليم!

ان خروج الانسان على قوانين الله في الطبيعة، بسبب ممّا حدث بأكل الانسان الأول من تلك الشجرة، جعل منه الكائن الحي الأكثر أمراضاً وإمراضاً على وجه الأرض. فلقد نجم عن تضرُّر آدم جرّاء تلك الأكلة ان أصبح جسمه ذا نظام مناعة متدنٍّ للغاية مُقارنةً بالمناعة المتفوّقة التي يتمتَّع بها الحيوان في الطبيعة. لذا فان مَن يعتقد بأن الانسان ما كان ليمرض لولا تواجده وسط خضم

هائل من جيوش الجراثيم والفايروسات لَهو على وهم كبير! فالحيوان يحيا في هذا العالم ويتواجد مع الانسان في ذات هذه البيئة التي تملؤها تلك الكائنات غير المرئية فلماذا اذاً لا يقع الحيوان فريسة لهذه الكائنات كما يقع الانسان؟! ألا يدل هذا التفرُّد المرضي الانساني على كون الانسان أدنى مناعةً من الحيوان؟ لماذا نلقي باللوم على الفايروسات والجراثيم ولا نقول الحق؟! وبعد هذا كلّه يجرؤ الانسان على القول بأنه والحيوان قد وُلدا لأم واحدة وتطورا في ظل ظليل من قوانينها! فاذا كان الانسان حقاً نتاجاً خالصاً للطبيعة مُمَثَّلة بهذا الواقع كما نعرفه فهل لهذا الانسان ان يبيِّن لنا السبب في كونه الحيوان الأدنى مناعةً وبما يجعل منه الكائن الحي الأكثر عُرضة للإصابة بما ليس باليسير احصاؤه من الأوبئة والأمراض؟! لماذا يتميز الانسان بمرضٍ وبيل كالسرطان؟ ان السرطان لا يختلف في شيء عن غيره من الأمراض التي تصيب الجسم الانساني بسببٍ من تدنّي نظامه المناعي. فالخلية السرطانية يمكن النظر اليها على انها كائن حي مجهري كأي من الكائنات الحية الاخرى غير المرئية التي تنشأ الأمراض بسببٍ منها! فالخلية السرطانية خلية متمرّدة على قوانين الجسم خارجة على النظام الداخلي الذي تنضبط بأوامره ونواهيه الخلايا الاخرى السليمة. ان وقوع الانسان صريعاً بالسرطان يعود الى ضعف نظامه المناعي الذي لو كان قوياً كنظام المناعة عند الحيوانات لما استطاعت هذه الخلايا المتمرِّدة ان تُكوِّن لها وجوداً داخل جسمه! ولكن لماذا لا تخرج على قانون الجسم الانساني هذه الخلايا السرطانية وتتمرّد عليه اذا ما كان الانسان هو ذاته قد سبقها وتمرَّد على قانون الله في الطبيعة! ان السبب في إِصابة الانسان بالأمراض لا يعود الى حقيقة كون هذه الكائنات الحية غير المرئية قوية وبما لا قدرة له على مقاومتها والتغلُّب عليها ولكن الى واقع كونه ذي نظام مناعي ضعيف للغاية يعجز معه عن التصدّي الحازم لها والوقوف بقوة في وجهها وبما يكفل عدم نجاحها في فرض قانونها عليه. ان نظام المناعة الإنساني هو المسؤول الأول والأخير عن تردّي صحة الانسان بهذا الشكل المخيف. فلو اننا تدبّرنا في حال الانسان مقارنةً بحال الحيوان لوجدنا بأن الحيوان ذو صحّة مثالية يندر ان يوجد لها نظير في عالم الانسان. وما ذلك الا لأن نظام المناعة الحيواني هو نظام طبيعي سليم لم يتضرّر كما تضرّر نظيره الانساني. ان نظام المناعة الانساني يتميز بكونه على

أعلى درجات الهشاشة والضعف حتى في ظل غياب أيّ هجوم فايروسي وجرثومي. فهذا النظام المتدنّي هو عُرضة للتدنّي المفاجئ الى مستويات منخفضة جداً وذلك عند تعرُّض الانسان لصدمات عاطفية او ضغوط نفسية او اجهاد وتوتّر شديدين! وهذا ما يجعل من نظام المناعة الانساني غير قادر، بهكذا دفاعات ركيكة على صد أية هجمة خارجية وذلك عند سقوط الانسان فريسة لمشاعر نفسية غير مُعتادة. ان شدّة تأثُّر هذا النظام الدفاعي بالحالة النفسية للإنسان دليل قاطع بصحة الترابط العضوي ما بين المناطق التي تضرّرت جرّاء أكل الانسان الأول من تلك الشجرة. والآن لنعُد الى السرطان! اننا نعرف الآن ان الحيوان لا يقع فريسة للسرطان من دون وساطة من تدخّل انساني يعمل على إحداث تغييرات بنيوية في جسمه تجعل منه في مواجهة عدو لم يتبرمج على التصدّي الفاعل له. فالسرطان الحيواني مرض دخيل على عالم الحيوان أحدثه الانسان فيه بادخاله المواد والعوامل المُسرطِنة قسراً في جسمه. ان الحيوان ذو نظام مناعي مُبرمَج بما من شأنه ان يكفل له التصدّي الناجح لأي هجوم خارجي تقوم بشنّه عليه الجراثيم والفايروسات الا قليلاً وبما يتيح لهذه الكائنات الحية غير المرئية ان تجد فيه ما تقتات وتغتذي عليه! الا ان برنامجه الدفاعي ليست له القدرة على مواجهة هذه المواد والعوامل المُسرطِنة التي أبدعها الانسان. وهذا هو ما يجعل منه يسقط صريعاً بالسرطان. ان السرطان الذي يحدث بدون تدخّل انساني لا وجود له في عالم الحيوان! اما السرطان الانساني فليس من الضروري ان يكون هناك تدخّل انساني بوساطةٍ من مواد وعوامل مُسرطِنة كيما يتسنّى له ان يُوقِع الانسان صريعاً بقبضته القاتلة!! فالانسان ذو نظام مناعي متدنٍ يكفل له الوقوع ضحية هجوم تشنّه عليه خلاياه السرطانية المتمرِّدة حتى وان لم يكن هناك في الخارج ما يسبِّب الاصابة بالسرطان! ان السرطان، الذي لا تسبِّبه المواد والعوامل المسرطِنة، مرض انساني لا وجود له الا في عالم الانسان. والآن لنأخذ مثالاً آخر على ضعف وتدنّي النظام المناعي الدفاعي لجسم الانسان. ان الأمراض الجنسية لا وجود لها في عالم الحيوان! وهذا بكل تأكيد راجع الى كون نظام المناعة الحيواني غير متضرِّر كحال نظيره الانساني. الا ان هناك أمراً آخر بهذا الخصوص يجب الانتباه اليه. فالحيوان يعيش في ظل انقياده التام للقوانين التي بثّها الله في الطبيعة لتعمل على جعل كائناتها تنعم بصحّة مثالية تتيح

لها التمتُّع بالقدرة على تنفيذ الواجبات المُلقاة على عاتقها والمهام المُناطة بها. لذا فان الحيوان لم يكن ليُسمَح له بالتمتُّع بجنسية مفرطة تجعل منه يواظب على الاتّصال الجنسي حتى وان انتفت الضرورة القصوى اليه من بعد نجاحه وانثاه في امتحان الاخصاب والحمل! ان كون النشاط الجنسي للحيوان على أعلى درجات الانضباط والتنظيم والتقنين يكفل له ان لا يسقط فريسة للأمراض التي تنتقل بالاتّصال الجنسي مادام نظامه المناعي قوياً بما يجعل منه سليم البدن صحيح الجسم مثالي الصحّة! ان الأمراض الجنسية خلْقٌ انساني صرف لم تعهده الطبيعة في عالمها الموزون المُحكَم الدقيق. فالإفراط الجنسي الذي يتفرَّد به الانسان هو الذي أدّى الى ظهور الأمراض المنتقلة بالجنس Sexually Transmitted Diseases. فلو لم تكن هناك بغايا ومَن لفَّ لفَّهن من بائعات الهوى لما تسنّى لهذه الأمراض ان تظهر الى حيز الوجود! ان انعدام البغاء Harlotdom بكل أشكاله في عالم الحيوان هو السبب الرئيس في عدم وجود أمراض جنسية لدى الحيوان. فالبغاء ظاهرة شاذَّة غير سوية لا وجود لها في عالم منضبط متوازن مُحكم الصنع كعالم الحيوان. لقد نجم عن الاتّصالات الجنسية المتكرِّرة من قِبَل أشخاص عديدين بانثى واحدة وعلى مدار الساعة وعلى مدى أيام طويلة ان توَفَّرت فرصة ذهبية نادرة للجراثيم لكي تنمو وتعيش في ظلٍّ ظليل من هذه البيئة المثالية التي لم يسبق وان تعرَّفت الى ما يناظرها في الطبيعة من قبل! فالحيوان في الطبيعة لا يلجأ الى ممارسة الجنس تلذُّذاً واستمتاعاً وهروباً وخيبةً كما يفعل البشر. ان الأمراض الجنسية لم تكن لتنشأ لو ان الانسان لم يعمل على ايجاد البغاء كوسيلة شاذّة دنيئة للتعبير عن عدائه الفطري المتأصِّل لكل ما هو حق! ان القضاء على هذه الأمراض الجرثومية لن يتم الا اذا ما قام الانسان بتحرير نفسه من أسر البغاء ليعود صحيح الجنس بلا اعتداء! ان البغاء هو المسؤول المباشر عن كل الأمراض الجنسية التي جعلت من الجنس في عالم الانسان نقمة لا نعمة. فهل للإنسان ان يفخر على الحيوان ببغاياه وبأمراضه الجنسية التي أدخلها ببغيه وعدوانه الى الطبيعة؟!

على أي حال فان سبب ابتعاد العلماء والأطباء عن اعطاء وايلاء النقص المناعي الذي يرثه الانسان وجوباً عن والديه عن أبيه الأول آدم ما يستحقّه من

اهتمام علمي يعود الى انهم يتوهّمون بأن الانسان لا يختلف عن الحيوان في شيء سوى انه أكثر منه رقياً وتطوراً! فالانسان، وفقاً لما درجوا على الاعتقاد به، كائن طبيعي شأنه شأن الحيوان ونظام المناعة الانساني لا يختلف في شيء عن نظيره الحيواني طالما كان الاثنان قد وُلدا لأم واحدة هي هذه الطبيعة! لذا فهم لا يعتقدون بأن نظام المناعة للجسم الانساني هو السبب في سقوط الانسان فريسةً لأمراض شتى لو انهم انصفوا واتّقوا لقالوا بأنها أمراضٌ لا عهد للطبيعة بمعظمها! ان اهتمام العلماء مُنصَبٌّ على محاربة الفايروسات والجراثيم بدلاً من ان يكون متوجّهاً صوب محاولة تحسين وتطوير نظام المناعة الانساني الذي هو السبب المباشر في ظهور ونشوء وتطور الأمراض في عالم الانسان. ان الانسان كائن غير طبيعي، وهذا ما يجب على العلماء ان يأخذوا به حتى يكون بمستطاعهم انقاذه من براثن المرض! فليس الانسان نتاج الطبيعة حتى يكون طبيعياً نظامُ مناعته! فلو ان هذا كان هو حال الانسان حقاً لما كان أكثر أهل هذه الأرض أسقاماً وإسقاماً. ان إقرار العلم بأن النظام المناعي للجسم الانساني هو نظام غير طبيعي سوف يكون خطوة حاسمة على الطريق الى تخليص الانسان من أمراضه المتنوّعة المتعدّدة! ان استمرار العلم في النهج القائم على ملاحقة ومطاردة الجراثيم والفايروسات بُغية الوصول الى تحقيق الصحة الانسانية المثالية لَهو ابتعاد عن البحث عن السبب الحقيقي لسقوط الانسان فريسة لهذه الكائنات الحية غير المرئية. فالوسيلة الوحيدة للقضاء على الأمراض الانسانية لن تكون الا بتطوير نظام مناعي جديد للجسم الانساني يكفل له ان تكون دفاعاته ضد الهجمات الفايروسية والجرثومية قادرة على ايقاف تسللها داخله ونجاحها في تدميره. ان العودة بالنظام المناعي للجسم الانساني الى ما كان عليه عند أسلافنا الحيوانات هي أول ما يجب ان ينشغل به العلم المعاصر لحضارتنا الحالية وذلك ليتسنّى له بالتالي الارتقاء بهذا النظام المناعي وصولاً به الى مرحلة جد متقدّمة تتمثّل في جعله عصياً على جميع الكائنات الحية غير المرئية بحيث لا تتمكّن أية هجمة فايروسية كانت أم جرثومية من أن تُلحِق بالانسان أي أذى مهما كان ضئيلاً! ان تحقيق هذا كلّه يتطلّب من العلم ان يتعمّق بدراسة نظام المناعة الانساني مقارناً نتائج دراساته هذه بنتائج البحث في نظام المناعة الحيواني. كما ان النجاح في العودة بالنظام المناعي الانساني الى ما كان عليه يوم ان كنا

حيوانات وتطوير هذا النظام الى آخر يكفل للإنسان التمتُّع بنظام مناعة فائق الجودة ليسا بالأمر اليسير اذا ما نحن ازَّاورنا عن البحث في مجال البارامانيات Paramannics التي بامكانها وحدها ان تصل بنا الى نظام مناعة خارق. Super Immune System (SÛIÛS) ان هذا النظام المناعي الفائق هو السبيل للقضاء على أية أسباب تعمل في غيابه على نشوء المرض في عالم الانسان. ومن هنا يصبح بامكاننا ان نفهم قول الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم: (لكُلِّ داءٍ دواءٌ)؛ فهذا القول المُعجز يفيد الإطلاق والتعميم. ان الوصول الى هكذا مرحلة من التمكُّن والقدرة على القضاء على كل أسباب نشوء الأمراض لن يتم بالقضاء على جميع الجراثيم والفايروسات بل بأن يكون نظام المناعة للجسم الانساني فائق الجودة خارقاً بحيث لا ينجح أيٌّ من هذه الكائنات غير المرئية في التأثير سلباً عليه. ان الدواء المتوفِّر على الدوام والكفيل بالقضاء على كل داء هو نظام مناعي فائق الجودة كهذا الذي بشَّر به سيدنا محمد صلّى الله تعالى عليه وسلَّم. ان كل انتاجات مختبرات الانسان من الجراثيم والفايروسات لن تستطيع ان تفعل شيئاً في انسان جديد بهكذا نظام مناعة فائق الجودة. فلقد تبيّن لنا ان الطريق الوحيد الذي بمستطاع انسان هذه الحضارة ان يلتزم به وصولاً الى التمتُّع بصحّة مثالية لا يعود معها بوسع أية هجمة جرثومية او فايروسية ان تنال من دفاعاته الحصينة القوية هو بالتعمُّق في دراسة نظام المناعة للجسم الانساني وبما من شأنه ان يكشف النقاب عن مواطن الضعف فيه، وذلك مقارنةً بمواطن القوة في نظام المناعة الحيواني المناظرة لها، وصولاً الى تحسين النظام المناعي الجديد هذا، والذي تم التوصل اليه بجعل النظام المناعي للجسم الانساني الحالي يعود الى الطبيعة، ليصبح بمقدوره الوقوف بقوّة واقتدار لا نظير لهما في وجه أية هجمات محتملة قد يجد هذا الانسان نفسه في مواجهتها وهو يحيا في عصر تخليق كائنات حية غير مرئية لا عهد للطبيعة بها! ان أية كائنات من هذا القبيل يتم استحداثها وتخليقها في مختبرات الحرب الفايروسية والجرثومية سوف لن يكون بمقدورها ان تؤثِّر في الانسان الجديد الذي تم جعل نظام المناعة الجسمي لديه متفوّقاً بفضل استخدام التقنيات التي بامكان العلم المعاصر تطويرها داخل مختبرات برنامج بارامان. ان هذا الانسان ليس ترفاً يمكن الاستغناء عنه بل ضرورة يجب السعي بكل السبل لجعلها واقعاً متحقِّقاً وبأقرب وقت ممكن! الا

ان الارتقاء بانسان هذا العصر الجديد الى هكذا امكانيات جسمية خارقة لن يُجديه نفعاً اذا ما فاته ان يعمل على إِصلاح المناطق المتضرِّرة في دماغه والتي توارثناها عن الماضي الانساني السحيق. فالأمراض النفسية لا علاقة لها من قريب او بعيد بالأمراض الجسمية حتى يكون الجسم السليم ذو المناعة المتفوِّقة Super Immunity قادراً على الحيلولة دون وقوع الانسان ذي النظام المناعي المتفوِّق هذا فريسةً للاعتلالات النفسية التي لا يستطيع أي انسان ان يحيا بعيداً عن براثنها وأنيابها ومخالبها التي تُوسِعه تمزيقاً وتقطيعاً وتعذيباً كل ساعة بل كل دقيقة من عُمُره الشقي التعس! ان الانسان يعاني من هذه الخَبالات لا بسببٍ من ضعف نظامه المناعي ولكن نتيجةً حتمية لذلك القصور الدماغي المتوارَث الذي ليس بوسعه تفاديه مهما حاول واستعان بأحدث تقنيات العلاج النفسي! ان إِصلاح هذا العيب الدماغي، المتوارَث حتماً، ليس بالأمر اليسير طالما كان السبيل للنجاح في ذلك يتطلَّب إِعادة النظام البايوالكتروني للمناطق الدماغية المتضرِّرة المسؤولة عن نشوئه الى العمل بصورة طبيعية. لقد تبيّن لنا استحالة ان يصل الانسان بمفرده الى احراز أي نجاح كهذا طالما كان الأمر يستدعي معرفةً ليس بالامكان الاحاطة بها مادام الانسان محدوداً بهذا العقل العاجز عن اصلاح ما تضرّر من دماغه! ان الطريق الوحيد الذي بمقدوره ان يصل بالانسان الى التمتُّع بدماغ سليم ذي منظومات بايوالكترونية تعمل بصورة طبيعية، تجعل من المستحيل عليه الوقوع في قبضة أية اعتلالات نفسية وتعمل على ان يكون سلوكه مع الآخر لا ينبع من نفسٍ مريضة بِوَلَه العدوان الظالم على الآخر، هو الطريق الإلهي الى الله. فالطريق الإلهي الى الله بمستطاعه ان يصل بمَن يلتزم بالسير عليه وفق قواعد المسير والسلوك كما جاءت عنه تعالى، الى درجات شديدة القرب من الله حيث يسقط عندها ما بينه وبين ربِّه من حجاب يحول دون تعرُّضه لنوره وطاقته. هذا النور الذي لن يُبقي المُتعرِّض له على حاله أبداً! فالمُتعرض لنور الله، بزوال الحجاب الحاجز الذي يفصله عن ربه، سوف يلمس آثار رحمة واسعة من لدنه تعالى تحيط به وتخترقه وتتغلغل داخله متسلِّلةً الى أعمق أعماقه حتى تصل الى تلك المنظومات المعطوبة المعيوبة المصابة فتعمل على اعادتها الى العمل بصورة طبيعية لا تشوبها أية شائبة. ان الطريق الإلهي الى الله كفيل بايصال السائر الملتزم عليه الى هكذا درجة من القرب الشديد من الطاقة الأعظم

في هذا العالم: طاقة الله الذي ليس كمثله شيء. فلا اصلاح بالمستطاع تحقيقه طالما كان السعي لذلك بعيداً عن هذا الطريق الذي لن يُجدي المُبتعد عنه نفعاً ان يعمل على الاخلاص لغيره! ان الاقتراب الشديد من الله، بنجاح السائر على الطريق اليه في إِسقاطه الحجاب الطاقي الفاصل بينه وبين ربّه، هو وحده الكفيل بانجاح مساعي الانسان الراغب في الخلاص من دماغه الانساني المتضرِّر والحصول بدلاً عنه على دماغ سليم يؤمِّن له التمتُّع بسعادة لا نظير لها على الاطلاق. فدرجة القرب الشديد من الله هذه تتيح للانسان الواصل اليها ان تُشرق عليه طاقة النور الالهي الذي وحده بمقدوره ان يتغلغل الى داخل الدماغ الانساني فيصل الى جذور المشكلة الانسانية فيقتلعها ويستأصلها بالكامل. ان الانسان مُقدَّر عليه ان يرث عن ماضيه الانساني السحيق نفساً مريضة ودماغاً معطوباً غير سليم. الا انه مُقدَّر عليه أيضاً ان يكون بامكانه النجاح في سعيه الجاد وعمله الدؤوب المخلص للخلاص من هذا القَدَر واستبداله بقَدَر آخر غيره يتيح له الحصول على دماغ ذي منظومات بايوالكترونية سليمة. لقد خلق الله الانسان ليعبده فيصل، بوساطةٍ من عبادته هذه له، الى اقصى درجات القرب منه حتى يكون بوسعه عندها ان يجتاز كلٍ عائق يحول دون عبوره اليه تعالى. ان نجاح الانسان في العبور الى النور يتطلّب منه ان يكون في أحسن تقويم. وليس هناك من سبيل لارتقاء الانسان الى مقام أحسن تقويم هذا الا بإحكام سعيه وجعله مُسدِّداً خُطاه صوب الهدف الأوحد: العودة الى ما كان عليه آدم قبل الهبوط! لقد تبيَّن لنا الآن ان ما من طريق الى الوصول الى هذا الانسان الجديد، ذي الجسم السليم صحّةً والدماغ السليم عملاً، الا باتِّخاذ وجهة سير مخالفة تماماً للسير الحالي للانسانية والذي لن ينتهي بها الا الى الانتقال من حالها المأساوي هذا من الخوض العابث الماجن في أسفل سافلين الى الاستقرار الأبدي في الدرك الأسفل من النار الأزلية التي تفغر فاها منتظرة اياها على أحر من الجمر! ان خرافة العقل السليم في الجسم السليم Mens Sana In corpore Sano لا تحتاج منا الآن ان نلتفت اليها لنُبيّن الوهم القاتل الذي تنطوي عليه وجوباً! يكفينا ان نعي استحالة نجاح الانسان في الوصول الى دماغ سليم بغير إِصلاح جذري لمادته! كما يكفينا ان نعلم بأن الصحة المثالية للجسم الانساني، حتى وان تم لنا الوصول اليها عن طريق الباراماتيكس، فلن يكون

بوسعنا عندها ان نحظى بدماغ سليم طالما لم يكن مِن أحد بمستطاعه ان يُصلح حال دماغنا الا خالقه! ان الطريق الإلهي الى الله هو وحده الكفيل باصلاح البُنية الانسية، جسماً ودماغاً وعقلاً! فحتى البارامانيكس ليس هناك من وسيلة للحصول عليها الا بالبحث العلمي الجاد في الظواهر الطبية الخارقة التي بمقدور الطريق الإلهي الى الله ان يُجلّيها! ان طاقة الطريقة هي المسؤولة عن ظواهر طبية خارقة من مثل الشفاء الاستثنائي للجروح المُتعمَّد إحداثها في الجسم. وهذه الطاقة، المُشتقَّة من طاقة النور الالهي، هي المصدر الوحيد للبارامانيات والتي ليس بالمستطاع الحصول عليها بعيداً عن الطريقة وظواهرها الطبية الخارقة مهما حاول الانسان! اذاً فلا إصلاح لبُنية ابن آدم الا بالسير على الطريق الإلهي الى الله وبالاقتراب الشديد من الله والتعرُّض لطاقة نوره. فالطريق الإلهي الى الله كفيل باصلاح الجسم غير الطبيعي للانسان، وذلك بواسطة طاقة من الله هي تلك المُتجلية في طاقة الطريقة كما تجلّيها ظواهرها الطبية الخارقة، وباصلاح دماغه المتضرِّر وذلك بسيره على هذا الطريق الذي وحده بمقدوره ان يُقرِّبه من أعظم طاقة في الوجود ليس بامكان غيرها ان تقوم بما هي قادرة عليه من تدخُّل طاقي لا نظير له. ان الانسان الجديد هذا هو السوبرمان Superman الذي كان حلماً راود أصحاب الرؤى من المفكِّرين والفلاسفة والذي لن يولد أبداً بعيداً عن الطريق الإلهي الى الله!

٨ ـ ٥ المرض الإنساني: مشكلة جَماعية حلّها فردي!

لقد تبيّن لنا ان كل بني آدم من أفراد النوع الإنساني قد ورثوا عن أبيهم المشترك تضرُّراً دماغياً شديداً وان لا سبيل لتفادي هذا الارث القدري الذي يجري فينا مجرى الدم في العروق. كما وتوضَّح أماماً من ناظرينا ان لا وسيلة للتخلُّص من هذا الحمل الباهض الثقيل الا بالنهج على الطريق الإلهي الى الله وذلك بُغية الاقتراب الطاقي من أعظم طاقة في هذا الوجود كيما يكون بالمستطاع التعرُّض لها والاستفادة من قدرتها على بث روح النظام في ربوع مناطقنا الدماغية التي ضربت فيها الفوضى أطنابها. الا ان نجاح الانسان في التخلُّص من إرثه الآدمي، الذي أنقض ظهر أبينا الأول حتى تداركته رحمة من ربِّه فتاب عليه وهدى، لن يجعل بمقدوره توريث دماغه السليم، الذي نجح في الحصول عليه

بسيره مُتعرِّضاً للنور الالهي على الطريق الإلهي الى الله، الى ذريّته من بنين وحفدة من بعده! فالنور الالهي اذ يقوم باصلاح المنظومات البايوالكترونية للدماغ المُتضرِّر العائد للسالك المتعرِّض له فانه يُحجم عن التدخُّل في الرسالة الوراثية التي يحملها هذا الانسان داخلاً من منظومته الجنسية والتي يتحتَّم عليه توريثها كما استلمها سالمةً من كل إخلال بمضمونها الآدمي المتضرِّر الموغل في القِدَم! ان الحل الذي استطاع بواسطته هذا الانسان القضاء على آثار الماضي الانساني السحيق غير قابل للتوريث جينياً. فكل انسان مُلزم بوجوب ان يجاهد بنفسه لتخليص بُنيته من تضرُّرها وارجاعها الى مقام أحسن تقويم. وهذا يستدعي منه ان لا يركن الى نجاح أبويه في التخلُّص من ارثهما الآدمي المشترك وارتقائهما الى أحسن تقويم! فالانسان الجديد الذي نجح في تحقيق الغاية من خلْق الله له عاجز تماماً عن التدخُّل في الرسالة الوراثية المتضرِّرة التي تناقلتها الأجيال منذ الأكل من تلك الشجرة. ان تلك الأكلة كانت بحق المأدبة الجماعية المشتركة التي لم تَفُت أيَّ واحد من أفراد النوع الانساني! لذا فان ابن الانسان الجديد (الانسان الكامل) لا يُشترط ان يولد كاملاً متخلِّصاً من التضرُّر الدماغي إياه. ان مجتمع الانسان الجديد لن يكون مجتمعاً خالياً من الأمراض النفسية والأسقام والعلل الجسمية طالما استحال على هذا الانسان ان يُنجب ذرية خالية من هذه العيوب. ان كل طفل في مجتمع المستقبل سوف يتوجَّب عليه ان يسير على الطريق الإلهي الى الله، كما سار عليه والداه قبله، وذلك حتى يكون بامكانه الوصول الى نقطة إسقاط الغطاء الذي يعميه عن التعرُّض للنور الالهي الذي ليس بمقدور شيء غيره ان يُصلِح ما بداخله من أضرار وعطب! ان المشكلة التي يعاني منها النوع الانساني برمَّته لا حل جماعياً لها غير هذا الحل الفردي الذي يتحتَّم على كل فرد من أفراده ان يلجأ اليه متمثِّلاً ما قاله سيدنا علي كرَّم الله تعالى وجهه: (ليسَ الفتى مَنْ قالَ كانَ أبي إنَّما الفتى من قال ها أنا ذا). ان القرآن العظيم حافل بالعديد من الآيات الكريمة التي تُبيِّن بكل جلاء ان لا وراثة للكمال الانساني على الاطلاق! فحتى أبناء الأنبياء قد يكون مصيرهم عذاب الخزي في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة يحل عليهم عذاب جهنّم المقيم؛ وما ابن نوح منّا ببعيد! لقد بيَّن القرآن العظيم ان الطريق الذي يتوجَّب على الانسان شقَّه الى الله بمفرده هو الطريق الوحيد القادر على النجاة به من الهاوية العظمى

التي رُدَّ اليها يوم أكل من الشجرة. لقد تدخَّل الله فأصلح بنوره الذي ليس كمثله شيء ما كان قد تضرَّر في دماغ آدم الجنين جرّاء اصابة قومه بتلك الفايروسات الفضائية. ان ذلك التدخُّل الالهي كان الرحمة العظمى التي انتشلت آدم الجنين من الانتهاء الأبدي الى التراب وارتقت به الى مقام أحسن تقويم! ولقد مَنَّ الله على آدم مرة اخرى من بعد ان سقط في أسفل سافلين بأكله من تلك الشجرة الفضائية وذلك عندما عاد به من جديد الى مقامه السابق في أحسن تقويم. ان ولادة انسان أحسن تقويم لم تكن لتتحقّق لولا تلك الكارثة الفايروسية التي استدعت تدخُّل الله بنوره ورحمته للارتقاء بآدم من المصير الترابي الذي كان ينتظره الى الجنة! وكذلك فان العودة الى أحسن تقويم ليس لها ان تتحقّق لولا اننا كُنّا قد أكلنا من تلك الشجرة! ان الطريق الى أحسن تقويم هو طريق الايمان والعمل الصالح اللذين وحدهما يجعلان بالامكان الخلاص من قدَر أسفل سافلين الى قدَر الانسان الجديد: الانسان الكامل. ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ١ ـ ٦]. فلا حلَّ أمام الانسان الا الطريق الإلهي الى الله وذلك اذا ما هو أراد الخلاص من قدَره الذي يُحتِّم عليه ان يرث عن والده نفسه المريضة التي توارثها بدوره عن الآباء والأجداد والتي لن تختفي من جيناته وان نجح في قتلها باصلاح ما تضرّر في دماغه. لذا فان قتل الانسان نفسه المريضة بنفسه بسيفٍ ذؤابتَيه الايمان بالله والعمل الصالح هو الحل الوحيد لخلاصه من أمراضه النفسية التي يرثها عن الماضي الانساني المشترك كما يرث استقامته في مشيه وعريه! فالحل أما يكون جذرياً يستأصل الداء من عروقه والا فلا!

٨ ـ ٦ ظواهر الدرباشة: رسالة خارقة متعدِّدة المضامين!

لقد برهنت طاقة الطريقة، كما تتجلّى في ظواهر الدرباشة، على قدرتها على الارتقاء بنظام مناعة الجسم الانساني وجعله خارقاً متفوِّقاً مخالفاً لما هو مُعتاد وذلك على قدْر تعلُّق الأمر بشفاء الجروح المتعمَّد إحداثها في الجسم شفاءً استثنائياً لم يكن ليتحقّق بوجود نظام مناعي تقليدي يعجز عن ردع جحافل الجراثيم التي تشرع بمهاجمة الجسم متسلِّلة عبر البوابات الذهبية التي فُتحت على

مصراعيها بمفتاح الآلات التي يقوم الدرويش باستعمالها ليُحدِث في جسمه تلك الجروح. ان هذا الذي تجلّى في ظواهر الدرباشة كافٍ ليجعل منّا نسارع الى الانكباب على البحث في نتائج الدراسات التجريبية ـ الاختبارية التي بمستطاعنا القيام بها مستفيدين من هذه الفرصة الذهبية النادرة التي اتاحتها لنا طاقةٌ لا تنتمي لعالمنا الذي تواضعنا واصطلحنا على اعتباره العالم الوحيد! ان البوابة الذهبية التي يُمثّلها جرح الدرويش لِذاته هي ليست معبر الجراثيم والفايروسات الى جسمه فحسب ولكنها الجسر الذي بامكاننا العبور عليه الى عالم النور علماءَ دارسين وذلك اذا ما عجزنا عن ان نكون دراويش عابدين! ان الرسالة التي تُوجّهها ظواهرُ الدرباشة الى كل عقلٍ سليم ابستمولوجياً هي رسالةٌ ذات مضامين متعدّدة! وكيف لا وهي الوثيقة الخارقة التي يندر ان يوجد ما يُناظرها خارقية، تكراراً وخضوعاً تاماً وعن طَواعية لمعايير التجريب والاختبار العلميين، في عالمنا المادي هذا؟! انها بحق جسر البوابة الذهبية Golden Gate Bridge الذي بمستطاعه ان يعبر بنا الى النور الذي اشتُقّت منه طاقة الطريقة فتجلّى لنا منها ما جعل بالامكان النظر الى جروح الدرويش لنرى فِعلها المعجِز كيف يقول لنا ما تعجز عن قوله آلاف الكتب! فاذا كان هذا القبس من طاقة الطريقة، المقتبسة بدورها من النور الالهي الذي ليس كمِثله شيء، قد جعل منا نشهد ظاهرةً معجزة برهنت لنا على امكانية وجود دواء لكل داء وفتحت لنا كُوَّة الأمل بالتوصل الى انسانٍ جديد ذي نظام مناعي متفوّق وصحة مثالية فائقة فما بالنا بطاقة الطريقة ذاتها وبالنور الالهي ذاته؟ أليس بمقدور هذا النور ان يصل بالانسان ذي الدماغ الملتاث الى أحسن تقويم ليصبح انساناً كاملاً لا ينقصه شيء؟ وكيف ينقصه شيء وقد أصلح الله ما كان به من نقص وجعله من بعد ذلك في نوره تحتاجه الأشياء ولا يحتاجها؟ أليس الكمال نقيض النقص وضَديده؟ فهل يحتاج الانسان الذي أصبح في نور الله شيئاً والله مدَدُه وأقرب الكل اليه؟ فالكمال الانساني لا سبيل للفوز به الا بالله استغناءً عمّن سواه وفناءً فيه عمّا سواه.

ان تحسين نظام المناعة الانساني وصولاً به وارتقاءً الى ما يجعل منه قادراً على التصدّي الرادع لأية هجومات تقوم بشنّها عليه الكائنات الحية غيرالمرئية من جراثيمٍ وفايروسات ليس هناك من سبيل اليه الا بالدخول من الباب الذي تُمثّله

ظواهر الدرباشة. فالمناعة الفائقة التي تتجلّى في هذه الظواهر والتي تتمثّل بقدرةٍ خارقةٍ للنظام المناعي لجسم الدرويش، اثناء وبعد ممارسته لفعاليات الدرباشة، هي الطريق الى معرفة ما نحتاجه لكي نرتقي بنظام المناعة التقليدي الى مستوٍ مُناظِرٍ مُشابِهٍ لما يكون عليه جسم هذا الدرويش وهو تحت تأثير طاقة الطريقة. ان التعمُّق في دراسة ما يُميِّز النظام المناعي لجسم هذا الدرويش عن النظام المناعي التقليدي كفيل بجعلنا نعثر ان شاء الله على الوسيلة الناجعة لجعل هذا النظام يتخلَّص من عَيبه الوراثي ويعود الى ما كان عليه قبل أكل آدم من تلك الشجرة. وقد يكون بامكاننا من بعدها ان نَفيد من دراسةٍ مقارنة للنظام المناعي للحيوان في الوصول الى جعل نظامنا المناعي الجديد هذا متفوِّقاً على أي نظام مناعة آخر في الطبيعة. ان هذا النظام الجديد للمناعة الانسانية هو السبيل الوحيد للحصول على الصحّة المثالية في عالم لا نستطيع فيه ان نأمل بالقضاء على الفايروسات طالما كان تحقيق ذلك رهناً بقضائنا على الانسان ذاته! ان تخليص الانسانية من أمراضها، ذات المَنشأ الفايروسي والجرثومي، لن يكون بالاستمرار في ملاحقة هذه الكائنات الحية غير المرئية بُغية قتلها! فهذا أمر ليس باليسير على الاطلاق. ان خلاص الانسان من أمراضه هذه رهن بتوقّفه عن الجري اللاهث وراء الفايروسات والجراثيم وتوجّهه الى الداخل ليعمل على تطوير نظام مناعته ضدّها كلّها جميعا! ان أمراض الانسان لن تزداد بمضي الزمن وتقدُّم الحضارة الانسانية الا سوءاً طالما كان ثمن هذا التقدّم تردّي مناعته لامحالة! فلقد تكشَّف أماماً من أعيننا ما لهذا التقدّم من آثارٍ ضارّة طالت نظام المناعة الانساني وجعلت من الانسان في هذا العصر الحضاري المُعجِز أشقى انسان على مر التاريخ طالما أصبح نظامه المناعي ضعيفاً فوق ضعفه الانساني الذي توراثناه عن آدم! فلا أمل هناك على الاطلاق الا بإطلاق يد البحث العلمي تصول وتجول وتكر ولا تفر في ميادين المناعة الانسانية بشقَّيها التقليدي والباراماني!

ان هذا الأمل الذي فتحت ظواهر الدرباشة بواباته الذهبية على مصراعيها بقرب الوصول الى نظام مناعي جديد يتمكّن بواسطته انسان العالم الجديد من التعايُش السِلمي مع الجراثيم والفايروسات ليس حلماً مستحيل التحقيق. فوجود الدرويش أماماً من وسائل البحث التجريبي - الاختباري كفيل بإقناع أعتى العقول

تكبّراً وغروراً بأن نظام مناعة انساني متفوّق هو المسؤول عن القدرة الخارقة التي يُبديها جسمه على مواجهة الجراثيم الوافدة من خلال الجروح التي يقوم باحداثها عمداً فيه. ان ظواهر الدرباشة تُبرهن لنا بعدُ ان حلماً انسانياً آخر طالما راود أذهان أصحاب الرؤى والخيال بالمستطاع الآن الشروع في العمل على تحقيقه! فالشفاء الاستثنائي لجروح الدرويش ظاهرة خارقة بمقدورنا البحث في مضامينها الطبية تجريباً واختباراً ومقارنةً وذلك وصولاً الى استنباط التقنيات الكفيلة بالاستفادة من عملية تسريع وتعجيل الشفاء هذه في التوصل الى ما من شأنه تنشيط عملية تجديد الخلايا بُغية تأجيل وصول الجسم الانساني الى أعتاب الهرم والكبر والشيخوخة. ان الطب الجديد القائم على دراسة ظواهر الدرباشة يختلف عن الطب التقليدي وعن جميع طرائق الطب غير التقليدي بأنه لا ينطلق من إقرار غير مُسوَّغ له بأن الانسان كما نعرفه ما هو الا ظاهرة طبيعية، كما هو الحيوان والنبات، وان الأمراض والعلل التي يعاني منها البعض من أفراد النوع الانساني لا علاقة لها بعيب متوارث تناقلته الأجيال الانسانية Human Generations منذ هبوط أبينا آدم على هذه الأرض من الفضاء. فالمرض الانساني ظاهرة خارقة! كما ان هذا الطب الجديد لا يقبل بالواقع الانساني كما نعرفه على انه كل ما بالامكان. فهو يؤسِّس بُنيانه المعرفي على قاعدة مُحكَمة من الاعتقاد الراسخ بأن الانسان كما نعرفه ما هو الا ظاهرة شاذَّة غير طبيعية وان الوصول الى انسان جديد لا نعرفه الآن أمر بالمستطاع تحقيقه انطلاقاً من البحث العلمي الرصين في مفردة المرض الانساني على ضوء حقيقة ما هو عليه نظام مناعة جسم الانسان الحالي. ان جسماً انسانياً جديداً بنظام مناعة جديد متفوِّق وقدرة دائمة على تجديد خلاياه وتسريع عمليات الشفاء والتعويض هو بانتظار مَن ينطلق مِن هذا الرفض العلمي للواقع الانساني كما نعرفه! لقد أصبح من الواضح الآن ما بامكان ظواهر الدرباشة ان تهبه لهذا الطب الجديد الذي تدعو الى اقامته البارانورمالوجيا بدعوتها الى العمل على التحرُّر من النظام الانساني القديم الذي كبَّلنا طوال آلاف السنين بقيود فرضها على جسدنا وعقلنا ودماغنا وعلاقاتنا بكل مَن وما في الوجود ابتداءً بالله وانتهاءً بالطبيعة. ان نظاماً انسانياً جديداً ينتظر أوان استبداله بهذا النظام الانساني القائم والسائر الى حتفه رغم أنفه! فلنُسرع اذاً الى دفع هذا النظام العفن الى هاوية الجحيم حتى يجيء أوان النظام الانساني المُنتظَر!

٨ ـ ٧ عودة الروح مفتاح العودة الى الله!

ان بني آدم لَيُفاخرون بنأيهم عن الله واستمرار انقطاعهم الى غيره وتشاغلهم عنه ونسيانهم وجوب رأب صلتهم الواعية به واعادتها الى ما كانت عليه يوماً ما ليس بعيداً عندما كان أبوهم آدم طفلاً صغيراً يتعلّم من الله ويتلقّى منه ما جعل منه بحق انساناً! ان البشر لا يملكون ان يفيدوا من الروح التي نفخها الله فيهم من روحه طالما لم يعملوا على اعادة صلتهم الواعية بالله الى ما كانت عليه عند آدم جنيناً! فآدم الخليفة كان قد استفاد من تلك الروح وذلك بجعلها حبل الوصل والصلة بالله امتداداً لما بمستطاعه تحقيقه بعقله الفريد! الا ان جُل بني آدم قد هجروا الروح داخلهم فلم يلتفتوا اليها ولم يعملوا على الافادة الواعية منها، بل اكتفوا بأن يكون جُل حظّهم منها قيامها، مضطرةً مأمورة، بتوثيق هذا الغباء منهم والذي يتجلّى في استمرارهم بالابتعاد عن الله وبسعيهم الجاد لجعل هذا الابتعاد انقطاعاً أبدياً وذلك باقترافهم لكل ما من شأنه ان يعمل على تدمير ما تبقّى من أدمغتهم التي هي قلوبهم التي جعلها الله أوعية لأرواحهم! أما كان يجدر بهم ان يفيدوا من الروح فيهم بوصلهم ما انقطع من صلة بالله ابتداءً وذلك باصلاحهم ما كان قد تضرّر في دماغ أبوينا آدم وزوجه ولزم عنه ان نرث آثاره الكارثية ونتائجه التدميرية! ان الطريق الى الاستفادة من الروح فينا، بدلاً من الاكتفاء باللهو عنها بينما تؤدّي هي دورها في ترصّد وتعقّب وتدوين كل صغيرة وكبيرة من مفردات حياتنا، يبدأ بالعمل من فورنا على التوقّف عن ابتعادنا عن الله ورجوعنا تائبين اليه ليتسنى لنا من ثم اصلاح أدمغتنا لنعود الى الله بقلب سليم! ان بدء اشتغال المنظومات البايوالكترونية للعقل البشري، من بعد تحقّق إصلاح ما تضرّر من مادته الدماغية بسبب الوراثة عن أبينا آدم، سوف يجعل منا على صلة واعية بالله وسوف يكفل لنا بالتالي ان يكون بوسعنا الاستفادة من المنظومات الفوتوالكترونية التي تتكون منها الروح فينا وذلك لتعميق وتمتين أواصر هذه العلاقة الواعية بالله. ان الروح فينا مخلوق غير مرئي فائق المجهرية فوتوني المادة فوتوالكتروني الفعالية. وهذه الصفة تجعل من الروح على صلة وعي متبادل بالدماغ البشري السليم؛ حيث يصبح بامكانه، من بعد تحوّله من دماغ آدمي متضرّر الى دماغ سليم، ان يعي بها كما تعي هي به تدويناً وتوثيقاً! ان تحقيق الاتّصال بين الدماغ

البشري السليم، ذي المنظومات البايوالكترونية المُستصلَحة، وبين الروح بمنظوماتها الفوتوالكترونية سوف يجعل من الانسان كائناً خارقاً بحق! اذ يبدأ عندها بالعمل بوجودَيه: المادي الحي والروحي فيُحلّق بعدها بجناحين اثنين! فالانسان اذا ما لم ينجح في استعادة صلته الواعية بالله فانه لن يكون ذا وجودَين: مادي حي وروحي! فالانسان في أسفل سافلين في انقطاع عن صلته بالله وانقطاع عن الروح فيه! فلا سبيل للعودة الى الوجود الحق بالروح والتواجد الحقيقي معها، في تعاون على الوصول الى الله بدلاً من التعاون على الوصول الى النار، الا بالسير على الطريق الإلهي الى الله! ان روح الانسان محجوبة عنه وهو ليس عنها بمحجوب؛ وكيف يُحجَب عنها وهي تُشبعه تدويناً وتوثيقاً وأرشفةً؟! فسقوط الحجاب بيننا وبينها هو الذي يكفل لنا ان نفيد منها في الوصول الى الله وذلك لأن الحجاب الساقط بينها وبيننا لن يعمل الا على جعلنا عُراة من كل ما من شأنه ان يصل بنا الى غير جهنم وبئس القرار! لقد كذب من قال بأن الانسان روح وجسد ولم يكذب من قال بأن آدم الخليفة روح وجسد وان الانسان هو ابن آدم! فهل من عودة الى الله تسبقها عودة الى الروح فينا؟!! ان تكاملنا روحاً وجسداً لن يتحقّق الا بالله وذلك بسعينا على الطريق اليه! لنكُن اذاً روحاً وجسداً متّصلين في الطريق الإلهي الى الله بدلاً من روح وجسد متنافرَين في الطريق الى جهنم وبئس المصير! فبالله يكون الانسان روحاً وجسداً يعي كلٌّ الآخرَ ويشدُد به أزره!

(الجزء الثاني)

﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾

آدم يعود إلى ربه

٨ ـ ٨ التوبة الانسانية: فرضُ عينٍ أم فرضُ كِفاية؟!

لنتدبّر الآية الكريمة: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣] . ان كلمة (جميعاً) في هذه الآية الكريمة تدل على ان سُم المعصية الذي سرى في جسم أبوينا آدم وزوجه بتناولهما من تلك الشجرة قد تغلغل الى داخل عوامل التوريث المُحتواة في المَني ومادة بذرة الانثى! فهذه الكلمة تُبرهن على ان تأثير المادة اياها لم يكن ليقتصر على آدم وزوجه بل تعدّاهما الى كل ذرية لهما كانت ستنشأ عنهما لاحقاً. فالإضرار الذي أحدثه الأكل من الشجرة لم ينتهِ بآدم وزوجه بل امتد فطال كل ما تسنّى لهما انجابه من بنين وبنات! لذا فقد أصدر الله أمره بوجوب خروج آدم وزوجه من الجنة طالما لم يكن ما قاما به ليؤثر عليهما وحدهما وطالما استحال على ما قاما به ان لا يجعل من الذرية التي كان بمقدور الصُلب منهما والترائب الاتيان بها بمنأى عن تأثير المادة المدمرة التي احتوت عليها ثمرة تلك الشجرة العجيبة! اذاً لم يكن قرار إخراج ابوينا من الجنة ليستند الى مجرد عقوبة الله لهما على الفعل الذي قاما به؛ فلقد أخرج الله أبوينا مما كانا فيه من نعيم بسببنا نحن! نعم، نحن الذين كان علينا ان نُعاني من جرّاء سريان تلك المادة في عروق أبوينا. فلو لم تكن الانثى الاولى قد خلقها الله زوجةً لآدم لما توجّب عليهما ان يخرجا من الجنة من بعد ان تلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه وهدى! تدبّر الآيتين الكريمتين: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢].

لقد كانت ذرية آدم هي السبب في إخراجه وزوجه من الجنة طالما لم يكن

بوسعه غير ان يتوب هو وحده ويهتدي هو وحده؛ اذ ليست التوبة ولا الهداية عملاً جماعياً وهما ليسا فرض كفاية حتى يكفي آدمُ ذريته كلها اذا ما هو قام عنها بما هو واجب عليه وعليها؛ بل هما فرض عين يتعيّن على ذريّته كلها جميعاً ان تقوم بها حتى يتوب الله عليها! لقد خرجنا جميعاً من الجنة لأننا جميعاً كنا قد أصِبنا بما حتّم علينا ان لا نبقى في الجنة!

لنتدبّر ما قاله حضرة سيدنا عبد القادر الكيلاني قدّس الله سرّه العزيز: «قد أذنبتم كما أذنب أبوكم آدم؛ فتوبوا كما تاب. لمّا أكل هو وزوجته من الشجرة التي نهاهما ربّهما عن الأكل منها عاقبهما بالبعد وأعراهما من خِلَع كرامته؛ تركهما عريانَين، وأخذا من ورق الجنة ثم يبست الأوراق وتساقطت عنهما وبقيا عريانين ثم هبطا الى الأرض. جرى كل ذلك بسبب المعصية والمخالفة. سُم المعصية دبَّ في جسميهما فأبعدَهُما ثم لقّنهما الله عزَّ وجل التوبةَ والإستغفار فتابا واستغفرا فتاب عليهما وغفر لهما».

٨ ـ ٩ الروح والحياة البايولوجية!

لقد رأينا ان التدخّل الالهي المباشر في تخلُّق الانسان، والذي نجم عنه انشاء الله له خلقاً آخر، وذلك بتسويته ونفخه فيه من روحه، لم يكن الا فعلاً إلهياً خارقاً للقوانين الالهية التي خلقها الله عَمَداً وأعمدة لعالم حجاب الأسباب. فلقد أدى هذا التدخُّل الى ظهور خلق جديد، كل الجِدَّة، لم تكن الطبيعة قادرة، بما بثّه الله فيها من قوانين، على إظهاره نتاجاً صِرفاً لمفرداتها البايولوجية التي ليس ينجم عن تفاعلها وعلاقاتها بعضها ببعض الا ما هو غير خارج على قوانينها. فالمخلوقات البايولوجية الطبيعية هي صنيعة أيدي الله العاملة في عالم حجاب الأسباب الذي هو مَظهر تجلّيات التدخُّل الالهي غير المباشر في مجريات وقائعه. اما الانسان فليس بالامكان تصنيفه على انه مفردة تنتمي للطبيعة مادام ظهوره لم يكن ليتحقّق لولا تدخُّل الله المباشر بلا وساطةٍ من أسباب عالم الحجاب. فالانسان نِتاج التدخُّلَين ومظهر التجليَيَن وجامع المادتَين ومجمع النقيضين! ان عالماً كعالم حجاب الأسباب لا يحتاج تدخلاً الهياً مباشراً لتسيير اموره طالما كان الله هو المُحرِّك الحق من وراء هذا الحجاب. لذا لم يكن بمقدور هذا العالم ان يجعل من الناظر اليه يراه على غير ما هو عليه حقاً

وحقيقة: عالماً حجاباً لا قدرة له، اشارةً ام عبارة، تلميحاً أو تصريحاً، على البرهان على وجود مَن اختفى بواسطته عن الأنظار لا البصائر! فالله شاء ان يتلطّف بحجاب أسبابه التي خلقها وبثّها في العالم وجعلها آيات لأولي الأبصار يستعينون بها في الرحلة الى الله عبوراً من ظلمات الوجود بعيداً عنه الى نور التواجد في حضرته. فآيات الله في عالم الحجاب اذ لا قدرة لها على الاشارة الى وجود مَن هو مُتخَفٍّ وراء هذا الحجاب فانها لا تستطيع ألاّ تأخذ بيد مَن استعان بها، عصاً يتوكّأ عليها في سيره على الطريق الإلهي الى الله، فتوصله الى منتهى مقصده وغاية سُؤله شَريطة ان ينظر به اليها، ليراها على ما هي عليه حقاً، لا ان ينظر بها اليه فلا يراها ولا يراه!! فالنظر، لا يكون الاّ، بالله الى سواه والا فلا رؤية، هناك، الا لما هو ليس بوسعه ان يكون غير حجاب يحول بينك وبين الله. ان الطبيعة لن تقودك الى الله مادُمْتَ لا تنظر اليها بالله لتراها على ما هي عليه حقاً: مخلوقاً عاجزاً عن ان يسير بك الى خالقكما! ان السائر على الطريق الإلهي الى الله يستعين بآيات الله المبثوثة في عالم حجاب أسبابه لا لتُبرهن له على حقّانية وجود الله ولكن لتُذكّره بوجوب استمراره في السير على الطريق بكل تفانٍ واخلاص. فآيات الله في الطبيعة بوسعها ان تُعين مَن لم يبتدئ بها رحلة سيره الى الله على الاسراع بعيداً عمّا ليس بمقدوره ان يَجُرَّ الا الى الجحيم. فهي لا تني تجعل منه يتثبَّت من أن وعْد الله حق وان مَن خلق العالم مرةً لابد وان يكون قادراً على خلقه مرات وان حُجج وبراهين أهل الدنيا على استحالة وجود آخرة يأتي بها الله تدحضها كلّها جميعاً قدرتُه الخارقة على الخلق كما تتجلّى في إخراجه الحي من الميت. الا ان عالم الحجاب لا يمكن ان يقود مباشرة الى الله مَن لم ينظر اليه على ما هو عليه حقاً من عجز تام عن الدلالة على مَن هو مُتخَفٍّ من وراء حجابه! فآثار التدخُّل الالهي غير المباشر في هذا العالم ليس بوسعها ان تكون عَوناً لمَن أراد ان ينظر بها الى الله ليراه على ما هو عليه حقاً وحقيقة: الفاعل الأوحد والمُحرِّك الوحيد لكل ما يجري فيه من وقائع وأحداث. فهذه الآثار ليس بمقدورها ان تتجاوز قدَرها، الذي خُلِقت كي لا تتعدّاه أبداً، فيكون لها ان تقول ما لا ينبغي قوله من أن الله هو الفاعل الصانع الخالق لها! فهي عَون لمَن عرف الله وأراد ان ينظر به اليها ليراها من ثم آيات بيِّنات بوسعها توطيد أركان ايمانه الغيبي بالله الذي لم يره. فما دامت

أحداث عالم حجاب الأسباب هي نتاج التدخُّل الالهي غير المباشر فيه فلن يكون بمقدورنا أبداً ان ننظر اليها فنرى فيها آيات على وجود الله الذي لن يكشف النقاب عن وجهه الحقيقي في هكذا عالم خُلِق ليكون حجاباً ليس الا! ان أحداثاً لا تنتمي لهذا العالم الحجابي وحدها بمقدورها ان تكون البرهان الحق على وجود الله فاعلاً فيه من وراء حجاب الأسباب. فالتدخُّل الالهي المباشر في سير أحداث ووقائع هذا العالم قادر على جعلنا ننظر الى آثاره فنراها أدلةً على ان القائم بها الآن هو مَن سبق له وان قام بخلق هذه الأحداث وهذا العالم بِكُلِّيته. ان عصا الطبيعة تبقى على حالها أداةً ميتةً ليس بمستطاعها وحدها ان تقود الى الله مَن كان لا يستطيع ان ينظر الى الوجود فيرى الله لفرط عجزه عن النظر الى سواه؛ طبيعةً كانت أم بشراً! الا ان الله قادر على ان يجعلنا ننظر الى هذه العصا وقد أصبحت كائناً حياً بوسعنا ان نتَّكِل عليه ليقودنا، وحده، الى الله! فالله قادر على ان يُحوِّل هذه العصا الميتة فيجعلها ذات حياة فيجعل بذلك منّا عاجزين عن ان ننظر اليها فلا نراها على هيئتها الجديدة آيةً بيِّنةً نستدل بها عليه وليست كما كانت من قبل، في سيرتها الاولى، أداةً نعجز عن النظر بها اليه. ان التدخُّل الالهي المباشر في الطبيعة قادر على جعلها تستحيل آياتٍ بيِّناتٍ اذا ما نحن نظرنا بها الى الله كان بمقدورها ان تُرينا إياه إلهاً واحداً أحداً ليس كمثله شيء! وبعد هذه المقدمة الضرورية نعود الى حيث انقطع بنا الحديث عن الانسان. فالجسم الانساني مخلوق بايولوجي كانت مادّته الأم نتاجاً صِرْفاً لتفاعلات عالم الحجاب. فالحياة البايولوجية Biological Life صنيعة من صنائع الله تجلّت بتدخّله غير المباشر في عالم حجاب الأسباب. الا ان هذا لا يعني ان لا حياة بايولوجية في عالم الحجاب إلا بتدخُّل إلهي غير مباشر فيه! فلقد حفل القرآن العظيم بأدلّة كثيرة على تدخُّل إلهي مباشر في وقائع وأحداث العالم نجم عنه خلق حياة بايولوجية استثناءً من كل قيد أو شرط يوجبهما ما لاحظناه من تَلازُم بين الحياة البايولوجية والخلق التطوري الذي يحتاج الى ملايين من السنين ليتم له الوصول ارتقاءً الى ثعبان ونشأةً من ماء مثلاً! تدبّر الآيات الكريمة:

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل

﴿لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧]، ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عِمران: من ٤٩]، ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ [المائدة: من ١١٠]، ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝٢٠ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾ [طه: ٢٠ ـ ٢١]، ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩]، ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الشُّعراء: ٣٢].

على ان قدرة الله على التدخُّل المباشر في هذا العالم وبما من شأنه ان يؤدّي لظهور حية من عصا من الخشب او طير من طين او انسان من أم بلا أب لا يلزم عنها ضرورة ان لا تكون هناك حياة بايولوجية من دون وساطةٍ من تدخُّل إلهي مباشر! اذاً فالمألوف الالهي والخارق الالهي لا يستبعد واحدهما الآخر. الا ان هذا العالم قائم على المألوف الالهي طالما كان عالماً حجاباً ولكن من غير ان يعني ذلك تحديد قدرة الله على التدخُّل فيه تدخُّلاً مباشراً يعصف بقوانينه كلّها جميعاً فلا يتقيَّد بشرط زماني ولا يتحدّد ببُعد مكاني. لذا كانت الحياة البايولوجية مألوفاً إلهياً طالما كانت هذه الحياة واحدة من أعظم مفردات عالم حجاب الأسباب! ان كون الحياة البايولوجية نِتاج التدخُّل الالهي غير المباشر في هذا العالم يلزم عنه ان تكون هذه الحياة فعالية من مجمل ما يحدث فيه من فعاليات لا تستدعي تدخُّلاً إلهياً مباشراً لحدوثها. لذا لم يكن للروح من دور في تحوُّل المادة الميتة الى مادة حية كما يتوهّم البعض! فالروح هي نفخة من روح الله تقتحم هذا العالم الحجابي بتدخُّل إلهي مباشر في شؤونه الداخلية. وتدخُّلها الخارجي هذا لا يمكن ان يكون المقصد من ورائه تسييراً لأموره التي استقامت

بتدخُّل الله غير المباشر فيه منذ ان جعل منه حجابه الذي تخفّى من ورائه. فهذا العالم لا يحتاج الروح في شيء طالما كانت هذه الروح تعبر اليه من عالم آخر يقع من وراء الحجاب. فلا دور حجابياً اذاً للروح، بصفتها الخارقة هذه والمخترقة عالم الحجاب من خارج، تؤدّيه في هذا العالم الحِجابي. لذا لم يكن إدخالها هذا العالم الا لدور توجَّب عليها القيام به ليتسنّى لصاحبها العبور بها الى عالم آخر يقع من وراء برزخ مكاني يفصله عن عالمنا الحجابي هذا بانتظار مَقدم العالم الجديد الذي خُلِقت لتخترق عالمنا هذا فتعبره اليه! فالروح اذاً ليست صنيعة عالم الحجاب حتى لا تكون الحياة البايولوجية الا بهذه الروح. فالروح هي كيان مباشر من عند الله لا من نتاج عالم الحجاب هذا. والروح لا فائدة واقعية تُرتجى منها اذا ما هي لم تكن الا قادمةً من وراء الحجاب. لذا كانت الحياة البايولوجية لا قيام لها بشيء قادم من وراء الحجاب. فالروح اذاً كيان لا ينتمي لهذا العالم حتى يكون لها فيه دور يتوجّب عليها القيام به. فالمادة الحية لا تحيا بنفخ الروح فيها كما يتوهّم البعض! ان الحياة في عالم البايولوجيا شأن داخلي بحت لا يستدعي تدخُّلاً يخرق قوانين الواقع الالهي غير المباشر الذي تنتمي له. فلا مِن مُتدَخِّلٍ في عالم حجاب الأسباب الا الله؛ تدخُّلاً الهياً غير مباشر دُبِّر به مألوف أمره وتدخلاً مباشراً قُضي به كل ما هو خارق لقوانينه. فلم تنشأ الحياة الا من مادة هذا الواقع الحجابي المألوف ولم تأتِ اليه وافدةً من عالمٍ يقع وراء حجاب الأسباب التي خلقها الله وبثَّها فيه لتدبير أموره. والقرآن العظيمُ واضح في تقريره وتبيانه ان نشأة الحياة تمَّت داخل هذا العالم الالهي غير المباشر ومن مادّته المألوفة التي خلقها وبثَّها فيه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: من ٣٠]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النّور: ٤٥].

فالحياة البايولوجية نشأت من ماء هذا الواقع الحجابي ولم تَفِد اليه من خارجه مع الروح! لذا فان للروح دوراً ينبغي لنا التعرُّف اليه من بعد اتِّضاح زيف وبطلان دورها الموهوم المزعوم الذي اوكِل اليها من قِبل أدعياء الدين! لقد سبق وان عرفنا ان الروح اذ لا تنتمي لهذا العالم الحجابي، لتحقُّق قدومها اليه من

خارجه نفخاً إلهياً مباشراً في المادة الحية لجنين الانسان، فان دورها الذي يتوجَّب عليها القيام به في حِلِّها المؤقَّت المأجول في هذا العالم ينبغي ان لا تكون له علاقة الا بعالمها الذي وفدت منه. فاذا لم تكن الروح هي السبب في حياة المادة الحية، كما ثبُت حقاً ويقيناً لدينا، فان دورها الذي تم تكلفيها بالقيام به لابد وان يكون دائراً في فلك عالمها الالهي المباشر! وهذا هو ما تم لنا التعرُّف اليه وذلك عندما نظرنا الى الروح فرأيناها أداة للعبور الى العالم الآخر الذي سيخلقه الله خلقاً مباشراً، من دون أسباب، يوم القيامة. فلا قدرةَ للإنسان على اجتياز بوابتَي الموت الفردي والفناء الجَماعي الا بوساطةٍ من الروح. فالسيرة الفردية الخاصة بكل انسان تُحفَظ في صفحات كتاب غير مرئي لا ينتمي لهذا الواقع الحجابي وذلك ليتم له الانتقال، بنسخته الأرشيفية غير المرئية هذه، بصغيرها وكبيرها، الى الآخرة يوم العبور. فالروح اذاً هي هذا الكتاب التوثيقي غير المرئي الذي يتم بواسطته تدوين واستنساخ وكتابة وحفظ وتسجيل وأرشفة كامل تفاصيل سيرة حياة الانسان، كل انسان، وذلك ليكون بمقدوره الوصول، بنسخته غير المرئية هذه، سالماً الى عرَصات يوم العرض الأكبر: يوم تعود هذه النسخة غير المرئية فتتمثَّل للناظر اليها بشراً سوياً! الروح اذاً أداة عبور الى العالم الأبدي الذي لا وصول اليه الا بها. الا ان كون الروح أداة عبور الى العالم الالهي المباشر لا يعني وجوب ان يقتصر دورها العبوري على تمكين الانسان من العبور بها الى يوم الحساب. فالعابرون الى العالم الالهي المباشر، حيث المُلك لله الواحد القهّار، زوجان اثنان فاما هم عابرون طَوعاً واما هم عابرون كَرهاً! فالعابرون كَرهاً يعبرون الى مملكة الله التي ستُخلق خلقاً مباشراً يوم التجلّي الالهي الأعظم ليكونوا حصَب جهنّم ووَقودها هُم والحجارة؛ تشابهت قلوبهم فهُم سواء! والعابرون طَوعاً الى الله يعبرون اليه في هذه الحياة الدنيا وذلك باختراقهم حجاب الأسباب وخروجهم الى نور الله الملك الحق. فالعالم الالهي المباشر، حيث ما من سيادة الا لـ [كُن فيكون] قائم في هذه الحياة الدنيا من وراء حجاب الأسباب وذلك قبل تسلُّطه وتفرُّده وازاحته لعالم الحجاب يوم تُشرق الأرض بنور ربّها لا بالشمس والقمر! وهذا العالم حقيقة واقعة بامكان مَن يشاء ان يتثبَّت من وجوده اذا ما هو تزوَّد بخير الزاد وعبر الى الله بوساطةٍ من روحه وذلك من بعد استعادته لصلة وصْله واتِّصاله الواعي بها بنجاحه في قطع الطريق

الإلهي الى الله وبتفانيه في السير على هذا الطريق وفقاً لقواعد السير والسلوك كما بيّنها الله. فالروح اذاً أداة عبور؛ يعبر بها مَن نجح في استعادتها والتواصل معها الى الله في هذه الحياة الدنيا ليكون من الذين أنعم الله عليهم من شهود تجلّيه بلا حجاب وأسباب إلهاً واحداً أحداً ليس كمِثلِهِ شيء ولم يكن له كُفُواً أحد. والروح أيضاً أداة عبور؛ يعبر بها مَن لم يستعد صلة وصْله واتّصاله الواعي بها الى جهنّم يوم تقوم الساعة. ان العبور الى الله طوعاً، في هذه الحياة الدنيا، هو الحل الوحيد للنجاة من جهنّم التي سيعبر اليها كَرهاً وحتماً كلُّ مَن لم يَسِر على الطريق الإلهي الى الله وفقاً لما حدّده الله فعجز عن ان تكون روحه عوناً له بدلاً من ان تكون شاهدةً لله عليه. ان يوم العبور آت لامحالة والعاقل مَن اختار الله طوعاً هدفاً يعبر بالروح اليه بدلاً من جهنّم التي سيعبر اليها كرهاً وحتماً. وللعبور الى الله قوانين تُمكّن الساعي الى الله من تحقيق الوصول الى الله اذا ما هو التزم بها اطاعةً وتنفيذاً. وقوانين العبور الى الله مُتَضمَّنة بين ثنايا العبادة التي شرعها الله لعباده وأوجبها عليهم أداةً ووسيلة يتمكّنون بواسطتها من العبور اليه في هذه الحياة الدنيا وذلك قبل مجيء يوم العبور في الآخرة. فالعبادة هي الوسيلة لاستعادة الصلة بالله؛ تلك الصلة التي فقدناها مع أبينا آدم الآكل من الشجرة. لذا كانت العبادة شرط النجاح في الوصول الى الله. فالعبادة لا تكفل للعابر ان يستعيد صلته المفقودة بالله فيصبح بها على صلة وصل واتّصال واعٍ بالله فحسب ولكنها تجعل منه قادراً على تمتين أواصر هذه الصلة بالله وبما يُمكّنه من الاقتراب منه وصولاً الى أدنى درجات القرب التي أجاز الله للإنسان الوصول اليها. لذا لم تكن العبادة مأجولة بأجل تسقط بانقضائه؛ فهي واجبة بحق العابد مادام حياً. فالانسان اذا ما هو استعاد صلته المفقودة بالله بواسطة العبادة فانه، وبواسطتها أيضاً، يستطيع ان يفيد من صلته المُستعادة بالله في الاقتراب منه ليصبح من عباده المُقرَّبين. لذا كانت العبادة لا تُقضى حتى يأتي العابدَ اليقينُ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحِجر: ٩٩]. لقد جعل الله العبادة الوسيلة الوحيدة التي يستطيع بواسطتها الانسان إصلاح دماغه الذي تضرَّر بأكل آدم من الشجرة واستعادة صلته بروحه وبربّه وليصبح بمستطاعه الوصول الى مقام أحسن تقويم. ان العبور الى هذا المقام الكريم لا سبيل لتحقيقه الا بالروح من بعد استعادة الانسان صلة وصْله واتّصاله الواعي بها بواسطة العبادة وليس بشيء

آخر أبداً!

٨ ـ ١٠ الفناء في الله: فناء كل حجاب بين العبد والله!

ان الفناء في الله لا يعني تحوّل الانسان من مادّته غير الالهية الى مادة إلهية كما يتوهّم البعض!! فهذا كفر بيّن وإشراك صريح. لكن الفناء في الله وصول الى الله بعبور من ظلمات البعد عن الله، حيث لا ضياء من الله الا بصيصَ نورٍ ينجذب اليه مَن آثروه على ظلمات الحجاب، الى حيث لا نور الا الله. فالعابرون الى الله مواطنون في دولته التي ليس يحكمها أحد سواه. فهم مواطنو دولة ﴿كُن فيكون﴾ حيث لا حجاب ولا أسباب ولا من قانون الا قانون ﴿المُلك لله الحق﴾. فزوال الحجاب ما بين العبد العابر الى النور وبين الله هو هذا الفناء في الله. فالفناء في الله هو فناء السوى والأغيار وتجلّي الله الواحد القهّار لمَن آثره على سواه ولم ينظر بقلبه الى أحد آخر غيره. فليس الفناء الا إفناء الحجاب بفناء كل تعلُّق للعبد بغير الله وبزوال الحجاب الفاصل بينه وبين الله؛ هذا الحجاب الذي بوسعه اختراقه عبوراً الى الله اذا ما هو تفانى في سبيل الله.

٨ ـ ١١ الفعل الانساني بين الجريمة والعقاب!

لقد خلق الله العبادة لتكون الوسيلة الوحيدة للخلاص من آثار تلك الأكلة التي توارثنا كلنا جميعاً آثارها السلبية بقدْرٍ متساوٍ من التضرُّر الذي طال معظم فعاليات الدماغ الانساني. ولقد أمرنا الله ان نسارع الى اغتنام الفرصة قبل الفوت الأعظم وذلك باتّباع الطريق اليه؛ ذلك الطريق الذي يكفل لمن يسلكه بالتزام واخلاص وتفانٍ ان يُوقف تردّيه وتهاويه المستمرَّين وان يقضي على ما كان قد تضرَّر في دماغه وان يستبدل المناطق المتضرِّرة باخرى سليمة. ان استمرار الانسان في النهج بعيداً عن الله سوف يجعل منه فريسةً لتفاقم آثار ذلك التضرُّر الدماغي وبما من شأنه ان يعمل على تحويله كياناً لا مثيل له في الإجرام والخَبال. فالتضرُّر الدماغي المتوارَث لن يقف عند حد ولن يكتفي بالقدْر المشترك بين جميع أفراد النوع الانساني والذي وُلدنا به أجمعين! فالانسان اذا ما لم يبادر الى التشبُّث بالله وبحبله المتين فانه لن يجد نفسه الا وقد استحال وحشاً جباراً لا يستحق غير أشد العذاب في الدنيا والآخرة. ان إعراض الانسان

عن السير على الطريق الإلهي الى الله سوف يجعل من دماغه الملتاث ينطلق بأقصى سرعة بعيداً عن أية فرصة للاصلاح والخلاص من المصير المأساوي المُنتظَر! فالمنظومات البايوالكترونية للمناطق الدماغية المُتضرِّرة اذا ما لم يبادر الانسان الى اصلاحها بالعودة بها الى الله لتتعرَّض لطاقة نوره فانها سوف تقوم بالعمل على جعل الانسان الفار من الله يهوى في بئر لا قرار لها من الخراب الأبدي. فهذه المنظومات البايوالكترونية اذا لم تعمل بصورة صحيحة فانها لن تعمل الا على الاضرار بالدماغ الانساني وايصاله الى أقصى درجات الخَبال الكامن والذي قد يتفجّر في أية لحظة جنوناً مطبقاً وإجراماً لا نظير له وطغياناً كبيراً وإفساداً في الأرض! ان ترك الدماغ الانساني على حاله، بعيداً عن الله، لن يجعل منه يقف عند حد معيّن فيحجم عن التدهور الى حال أدنى من حاله يوم ان خرج الانسان الى هذه الحياة الدنيا من بطن امه. ان الغالبية العظمى من أبناء آدم هم على هذا الحال من التدنّي المستمر بعيداً عن الله في المهاوي السحيقة لأسفل سافلين. فهم لا يعملون ما هو متميز خيراً أو شراً! لذا فان مناطقهم الدماغية سوف تبقى متشابهة لا تختلف عن بعضها البعض الا قليلاً.
الا ان النوع الانساني لم يعدَم آحاداً من أفراده خرجوا على القانون العام الذي تقيّدت به النسبة العظمى من البشر. فلقد خرج على القاعدة أفراد تميزوا، عن الجماعة الانسانية السادرة في غيّها العقيم، بصدق السعي للخلاص من الجهل الحقيقي الى المعرفة الحقّة فتوجّهوا الى الله بعيداً عن الجَهالة والجُهّال! وخرج أيضاً على القاعدة أفراد آخرون تميزوا عن الجمع بأنهم أطغى خلْق الله ظلماً وعدواناً وفساداً فكانوا بحق طواغيت العصور الذين لم تشهد الانسانية المُعذَّبة نُظراء لهم الا قليلاً! لقد تميزت هذه القلّة التي خرجت على الاجماع العام للنوع الانساني على قدْر تعلّق الأمر بالظلم الانساني المشترك بكون أفرادها اولي أدمغة ملتاثة لا نظير لواحدها يوازيه خراباً بايوالكترونياً وبما يجعل منه نظيراً له في القدرة على التعبير عن هذا الضرر الدماغي الذي ليس له مثيل ظلماً كبيراً وإفساداً عظيماً. ان أي انسان بمستطاعه ان يخرج على الجماعة فيتّجه صوب احدى القلّتين ليكون إما من الذين عادُوا الى الله فأصبحوا خير البرِية واما من الذين عادَوا الله فعاداهم ولعنهم وأعدّ لهم عذاباً لا يعذّبه أحداً من العالمين طالما كانوا هم شر البرية! ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ

وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البيّنة: ٦ ـ ٧].

فالانسان بمقدوره ان يختار واحداً من ثلاث خَيارات رئيسة: فإما بقاء مع الجماعة الانسانية بدماغ ملتاث لن يكسب ببقائه مع أفرادها غير الايغال في النأي مبتعداً عن الله ونوره وإما خروج عليها وذلك بأن يصبح أشد أفرادها إجراماً وأكثرهم قسوة وأعظمهم إفساداً وإما فرار الى الله وذلك بالسير على الطريق اليه بكل ما اوتي من قوة. ان الانسان مُخيَّر ليسير على أيٍّ من هذه الطرق الثلاث يشاء ويختار! فالله يختار مَن اختاره ويُعرِض عمَّن اختار سواه.

لقد كشف القرآنُ العظيم النقاب عن وجود عذاب خاص خصَّصه الله لأفراد من بني آدم تفرَّدوا بكونهم هم الأشد طغياناً وكفراً. لنتدبَّر الآيات الكريمة التالية:

﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ [هُود: ٩٩]، ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [القَصَص: ٤٢]، ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [المؤمن: من ٤٥ ـ ٤٦].

لقد وردت هذه الآيات الكريمة بحق فرعون، وآله، الذي لم يشهد التاريخ القديم طاغية يفوقه أو يماثله ظلماً وإجراماً وإفساداً وتعذيباً. فلقد قام هذا الطاغية الذي ظن بنفسه انه الاله الذي لا يعرف إلهاً آخر غيره بجرائم لا نظير لها كشفت عن مقدار ما ألحقه بدماغه من أذى فوق الأذى الذي وُلِد به. لنتدبَّر الآيات الكريمة التالية:

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩]، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَاۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٣ ـ ١٢٤]، ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ

فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٤١]، ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: ٨٣]، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٦]، ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ [طـه: ٧١]، ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]، ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء: ٤٩]، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤]، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨]، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [المؤمن: ٢٦]، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [المؤمن: ٣٦ ـ ٣٧]، ﴿فَحَشَرَ فَنادى. فَقالَ أنا رَبُّكُمُ الأعلى. فَأَخَذَهُ الله نَكالَ الآخِرَةِ وَالأُولى﴾ [النّازعات: ٢٣ ـ ٢٥].

يتّضح لنا من تدبُّرنا هذه الآيات الكريمة ان هذا الطاغية لم يكتفِ بأن ادّعى الالوهية بل قام بقتل كل مَن خالفه في الرأي فلم يذهب مذهبه ولم يدين له بالعبودية المطلقة التي فرضها على شعب مصر وبني اسرائيل من نسل يعقوب وبنيه. فلقد قام فرعون بقتل ابنائهم واعتدى على نسائهم وعذّب حتى الموت امرأته المؤمنة وقطع أيدي وأرجل سحرته الذين سجدوا لإله موسى وهارون. ان طاغية مجرماً كهذا لم يكن الله ليعذّبه في الدنيا قبل ان يتوفّاه ملَك الموت فيكتفي

بهذا القدْر من العقاب وذلك بانتظار مجيء يوم القيامة ليُلقي به في نار جهنّم وبئس المصير! ان دماغاً ملتاثاً كدماغ فرعون قد حمَّل روحه من الإجرام ما كان حقيقاً على الله ان يجعل من هذه الروح تُعذَّب في الدنيا من بعد موت هذا الدماغ عذاباً جهنمياً في واحدٍ من تلك الكواكب التي أقام الله عليها جحيماً نسخةً مُصغَّرة عن جهنّم العظمى التي سيخلقها يوم القيامة. ان هذا العذاب العظيم مصير كل روح طغى صاحبها في حياته على هذه الأرض طغياناً خرج به على الطغيان المُميِّز للاجماع الانساني. فالجماعة الانسانية يؤجِّل الله عذابها حتى يجيء يوم البعث فيخرجون من كتاب الله الى جهنّم ليمكثوا فيها ابداً. تدبّر الآيات الكريمة:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٣٧]، ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥١ ـ ٥٢]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠]، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ (٥٥) وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٥ ـ ٥٦]، ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾ [ق: ٣ ـ ٤].

ولقد ورد في القرآن العظيم ما يَفيد بأن آخرين غير فرعون وآله قد أُدخلوا جهنّم الصغرى في هذه الحياة الدنيا. لنتدبَّر الآيات الكريمة التالية:

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (١١٤) قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٢ ـ ١١٥]، ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

﴿اَلا اِنَّ عاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ اَلا بُعْداً لِعادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هُود: ٦٠]، ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نُوح: ٢٥].

يُفهم من هذه الآيات الكريمة ان قوم نوح قد أدخلوا ناراً وذلك عقب إغراقهم مباشرة وان عاداً لُعِنوا في هذه الدنيا لعنةً باقية الى يوم القيامة وان الله قد توعَّد الحواريين بأن يُعذِّب مَن يكفر منهم، من بعد إنزاله عليهم ما طلبوه ليُثبِّت به الايمان في صدورهم مائدةً من السماء، عذاباً لا يعذِّبه أحداً من العالمين. فكما ان هناك جنة صغرى في هذه الحياة الدنيا هي غير تلك الجنة الكبرى في الآخرة فان جهنّم الصغرى هي نسخةٌ دنيوية من جهنّم العظمى! ولقد مرَّ بنا من قبل في هذا الكتاب ان مَن يُقتل في سبيل الله يُدخله الله جنةً في هذه الحياة الدنيا.

٨ ـ ١٢ الانسان التائه !Flying Homo sapiens

لقد نجم عن اصابة الأسلاف الأواخر للإنسان الأول بذلك الفايروس الفضائي ان فقدت تلك الحيوانات المُصابة القدرة على ان تكون على صلة وصل واتّصال ببرنامج النوع داخلاً منها؛ ذلك البرنامج الذي كانت تتقيَّد بموجبه، قبل اصابتها تلك، فلا تعصي له أمراً! ولقد أدى فقدان الإتّصال ذلك الى تخبُّطٍ واضح في سلوك وتصرُّفات وفعاليات أشباه الانسان اولئك تجلّى في عدم قدرتهم على توجيه أفعالهم وفقاً للضوابط التي كانت تُنظِّم مسار حياتهم من قبلُ فتجعل منهم يتصرَّفون كأحسن ما يكون التصرُّف. وكيف لا وهم لم يكونوا، قبل تلك الإصابة، الا حيوانات كهذه الحيوانات التي ننظر اليها حوالَينا فلا نرى في سلوكها الا تنفيذاً حرفياً وطاعةً عمياء وانقياداً أعمى للطبيعة وبرنامجها الذي خلقه الله ليكون عاصماً لها من التخبُّط والتشتُّت والضياع! فلم تقتصر النتائج الكارثية لتلك الإصابة على تضرُّر مناطق العلاقة بالآخر داخل أدمغة تلك المخلوقات الشبيهة بالانسان بل تجاوزتها الى قطع صلة الوصل والاتّصال ببرنامج الطبيعة الذي لا نجاح للكائن الحي الا بحُسن تقيُّده به اطاعةً والتزاماً. لذا فقد أصبحت تلك الكائنات المتضرِّرة في حيرةٍ تامّة من أمرها فلم تدرِ ماذا تعمل وماذا لا تعمل ولم يكن بمستطاعها ان تتعرَّف على الوجهة الواجب اتّخاذها ليتسنّى لها النجاة من الوقوع في فوضى غياب التوجيه وفقدان الاتّصال

بالقيادة! لقد فقدت تلك المخلوقات القدرة على الانصات والاستماع لنداء الغريزة ممّا جعل منها لا تُحسن تصرُّفاً على الاطلاق. ان أهم ما يُميِّز الحيوان انضباطه التام بتنفيذ الأوامر والتعليمات والتوجيهات الصادرة اليه من قيادته؛ تلك القيادة التي يعجز عن ان يستقلَّ عنها فيكون له وجود غير معتمدٍ عليها في كل صغيرة وكبيرة من تفاصيل حياته. وهذا الانقياد الأعمى من قِبَل الحيوان لما يصدر اليه عن قيادته هو ما يجعل منه لا يُخطئ التصرُّف مادام الواقع الخارجي لا يختلف كثيراً عن النسخة التي تم اعداد برنامج الأفعال وردود الأفعال نسبةً اليها. الا ان اصابة تلك المخلوقات ما قبل الانسية بفقدان صلة الوصل والاتّصال بالقيادة مُمثَّلةً ببرنامج الطبيعة المزروع داخل أدمغتها جعل منها مضطرةً لمواجهة الواقع الخارجي في ظل غيابٍ تام لأية تعليمات وتوجيهات وأوامر تصدر عن القيادة ممّا أوقعها في مشاكل لم يسبق وان عانت منها من قبلُ. لقد أدّى ذلك الفايروس الى جعلها حيوانات بلا قيادة! لذا فان الفناء الجماعي كان بانتظارها عاجلاً وعاجلاً جداً! الا ان الله اصطفى آدم جنيناً من نسل هذه الكائنات غير الانسانية فقام بخلقه بشراً انساناً في أحسن تقويم. ولم يترك الله أمر انقطاع الصلة بين هذا الانسان وبين القيادة بلا تدخُّلٍ مباشر من لدنه! فهو لم يتركه بلا قيادة من الطبيعة، مُمثَّلةً ببرنامجها الذي فقد قومُه المقدرة على اتِّباعِ أوامره، كما انه لم يُعِد اليه القدرة على الاتِّصال بالطبيعة انقياداً لها والتزاماً حرفياً ببرنامجها! فالانسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم لم يكن ليُوكَل أمر قيادته الى مخلوق مثله! لذا فلقد تولّى الله مباشرة مهمّة قيادة خلْقه الجديد هذا وجعل منه على صلة واعية به قائداً له وآمراً! لقد تحرَّر الانسان من واجب اتِّباع الطبيعة لأنه لم يَعُد حيواناً كما كان أسلافه الأواخر قبل اصابتهم الكارثية تلك! ان تلك الاصابة لم تكن شراً بالنتيجة كما سبق وان لاحظنا. فلقد مهّدت اصابة أشباه الانسان بما جعل منهم مقطوعي الصلة بالقيادة لوصول الانسان الأول، جنيناً، الى حالة من الخَواء القيادي يَسَّرت له الارتقاء الى حالة من المقدرة على الانقياد للقيادة الجديدة مُمثَّلة بالله القائد الذي جعل من آدم منقاداً اليه بالكامل. ان آدم بصلته الواعية بالله أصبح مخلوقاً بايولوجياً فريداً؛ اذ لم يسبق لأيِّ حيوانٍ ان كان على هكذا صلة بالله طالما لم يكن بمقدوره غير ان يكون على صلة وصل واتّصال غير واعٍ ببرنامج الطبيعة داخل دماغه. لقد كان آدم بحق خلقاً

متميزاً عن مَن سبقه وكيف لا وهو الآن لا يتَّبع أحداً الا الله مباشرة دونما وساطة من حجاب الأسباب؟ فالحيوان والنبات كلاهما يتَّبع الله بصورةٍ غير مباشرة طوعاً لا كرهاً. ان لا اله الا الله قانون يلتزم به حرفياً كلُّ خلْق الله من غيرما وعي منهم الا مَن أسقط الله عنه حجابه وتجلّى له من وراء حجاب أسبابه فرآه على حقيقته إلهاً لكل شيء! ان صلة الوصل والاتّصال الجديدة هذه كفلت لآدمَ ان يكون على وعي بصلته بالله قائداً له ومُسيِّراً. الا ان آدمَ لم يكن في انقياده لله كالحيوان في انقياده لبرنامج الله الطبيعي داخل دماغه. فآدمُ كان جديدَ عهدٍ بهكذا صلة على خِلاف الحيوان الذي استقر على صلته ببرنامج ربّه داخلاً منه عبر ملايين من السنين كفلت لتصرُّفاته وعلاقاته مع العالم الخارجي من حوله ان تكون مُنضبطةً بقانون الله في الطبيعة انضباط خلايا جسمه واعضائه بهذا القانون كما يتجلّى (هذا الانضباط) في النظام الرائع البديع الذي يسير وفقاً له جسمه وظائفاً داخلية وفعاليات. فلقد كان آدم حراً في علاقته بالله قادراً على نسيان أوامره! وهذا ما لا يستطيعه الحيوان. فالحيوان ليس مُخيَّراً بل هو مُسيَّر لا يملك ان يكون حراً في علاقته ببرنامج الله داخل دماغه! ان الحيوان اذ يتجلّى له الله من وراء حجاب الأسباب لا يملك غير ان تكون علاقته بالله علاقة غير مباشرة وذلك عبر وساطة القوانين الالهية التي بثَّها الله في الطبيعة وألزمه بالانضباط التام بها انصياعاً لها وحُسن اطاعة. أما آدم فلقد تجّلى له الله بلا حجابٍ من أسباب ممّا جعل بامكانه ان تكون علاقته بالله علاقةً مباشرة مُمثَّلة بصلته الواعية به؛ وصلاً واتّصالاً؛ إرسالاً واستقبالاً. ان من بين أهم سِمات العلاقة المباشرة بالله ان يكون المُتعلِّق ذا ارادةٍ حرة يفعل بها ما يريد بلا قَسر او جبر بل عن اقتناع واطاعة واعية مبصرة. الا ان آدم كان حديث عهد بهكذا علاقة ممّا جعل منه عديم العزم على عدم نسيان الأمر الالهي القاضي بأن لا يأكل من تلك الشجرة وان لا يسمع لغير الله وان لا يتَّبع خطوات الشيطان! تدبّر الآية الكريمة ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

لقد نجم عن تلك الحرية، التي أنعم بها الله على آدم، ليكون متحرّراً في علاقته به حراً من كل قيد خلا اطاعته عن اختيار وارادة ورغبة، ان أخرج من الجنة وأهبطَ الأرض مقطوع الصلة بربِّه. الا ان الله لم يكن ليترك آدمَ على ما هو

عليه من بعد ان استدرك خطأه وعاد نادماً تائباً الى ربِّه راجياً الصفح والغفران. فلقد تاب الله على آدم واعاد صلة وصْله واتِّصاله به الى ما كانت عليه قبل الأكل من الشجرة وذلك من بعد ان عانى آدم شقاءً لم يعهده من قبلُ بفقدانه الصلة بقيادته وتخبُّطه في ظلمات البعد والنأي عن الله قائده الوحيد. الا ان بني آدم ورثوا عن أبيهم ما كان قد نجم جرّاء أكله من تلك الشجرة من فقدان صلة الوصل والاتّصال هذه بالله! فأصبح الانسان من بعدها في ضَلال مبين بغيابه عن قيادته وانقطاع صلة وصْله واتّصاله بقائده. لذا فاننا ننظر الى الانسان فنراه حائراً تائهاً لا يدري ماذا يفعل ولا يفعل الا ما هو كفيل بجعله دوماً يعض أيادي الندم. وكيف لا وهو لم يَعُد حيواناً تُملي عليه الطبيعة ماذا يتوجَّب عليه ان يفعل ولا يفعل؟! لقد أصبح الانسان ابناً للطبيعة ضالاً شارداً تائهاً لا يستقر له قرار. فالانسان لم يُخلَق ليكون له قائد غير الله! فكيف يريد الانسان ان يهنأ له عيش وهو مقطوع الصلة بقائده الوحيد؟! من هنا جاء الدين عن الله بقانون لا إِله الا الله الذي يمثِّل للانسان برنامجه الخَلقي الذي خُلق بموجبه مُنقاداً الى قائده الوحيد. ولهذا لم تكن دعوة كل رسل الله إِلا عودة بالناس الى الله ليتسنّى لهم الخلاص من ظلمات فقدان صلة الوصل والاتصال بالله الى نور الانقياد لله. ان الانسان، كأي كائن حي آخر، لا يستطيع العيش بدون قيادة وفي ظل غياب القائد. والقائد الذي ليس للإنسان ان يضل عنه لا يمكن ان يكون الا الله الذي أحل نفسه محل طبيعته التي خلقها لتكون حجاب أسبابه بين خلْقه، من حيوان ونبات وآخرين لا يعلمهم الا الله، وبينه! اما الانسان فان الله لم يخلقه ليجعل مَن سواه قائداً له ينقاد اليه! فكيف يطمح هذا الانسان ان يكون سعيداً في هذه الدنيا وهو بعيد عن قائده؟! انظر الى الحيوان تراه يرفل في سعادة الانقياد لبرنامج الله في الطبيعة داخلاً منه ثم انظر الى الانسان تراه شقياً بلا قائد تائهاً دونما قيادة حائراً من غير انقياد! ان أهم ما يُميِّز الانسان هو تشوُّقه للقائد وبحثه عنه حوالَيه في كل ما ينظر اليه ويراه! وهذا سر شقاء الانسانية التي عذَّبها هذا التيه عن القائد الحقيقي واشقاها هذا الاتباع لغير الله قائدها الحق. ان كل ما في الانسان ينطق بهذا التعطُّش للقائد الذي يجعل منه لا يتوانى في البحث عنه حوالَيه حتى اذا لم يجده في واحدٍ من القُوّاد الذين توزّعوا الدنيا وعوالمها سياسةً وعلماً وفلسفة وفناً وشغباً واجراماً. . . الى آخره، حتى اذا لم يجد في

أيِّهم مَن هو أهل لينقاد اليه جعل مِن هَواه هو ذاته قائده الذي يتحتَّم عليه الانقياد اليه! الا ان بحث الانسان عن القائد، خارجه وداخله، تخلُّصاً من الخَواء القيادي، الذي يحرق احشاءه حرقاً، لن يجعل منه اذا ما هو وقع على أيٍّ من هؤلاء، الذين أوهموا الآخرين بأن واحدهم هو القائد الحق الفذ الضرورة، يغادر خواءه هذا الا الى عالم من الفوضى القيادية طالما لم يكن هذا الذي وقع عليه الا واحداً من كثيرين يطالبون جميعهم بانقياد الكل اليهم! فالكل ينعق بأنه مَن يجب ان يقود الجماعة! وهذا لَعَمْرُكَ أمر عجيب! فكيف يتشوَّق الكل الى القائد وتنظر الى الكل فتراه يظن واحده بأن واحده هو ذاك القائد؟! ان الناظر بعين سليمة وعقل سليم الى الجماعة الانسانية على قدْر تعلُّق الأمر بهَوَسها بالقائد، داخلاً وخارجاً، سوف لن يُطيل التدبُّر والتفكُّر ليصل الى نتيجة مَفادها انَّ الانسان اذا لم يجد في نفسه القدرة على قيادة الآخرين فانه سيسارع الى الخارج بحثاً عن قائدٍ ينقاد اليه! وهذا هو حال الغالبية من أفراد النوع الانساني الذين لا يجدون في هوى أنفسهم ما يوجب عليهم ان يجعلوا منه القائد المُراد. اما مَن استطاع ان يجد في نفسه القدرة على جعْل آخرين ينقادون اليه فسيقع في وهم كونه هو القائد الذي يتوجّب عليه، هو أيضاً، ان ينقاد اليه!! وهذا هو حال الأقلية من أفراد النوع الانساني ممَّن نصَّبوا من أنفسهم القُوّاد الأفذاذ الواجب على الكل الانقياد اليهم مادام هناك مَن ينقاد اليهم وماداموا هم أنفسهم ينقادون اليهم! لقد تحوَّل الشوق الانساني الأصيل الى القائد، والذي هو احساس نبيل ينم عن تعطُّش حقيقي الى الله الذي فقدنا مع أبينا الآكل من الشجرة اياها صلة وصلنا واتّصالنا به، الى طيف مَهول من الاعتلالات النفسية التي وجدت في مرابع مناطق الدماغ الانساني المُتضرِّر خير مرتع لها لتنمو وتتسرطن وتستحيل أنواعاً شتّى من الانقياد الى قوّاد زائفين! لقد وقع الانسان في قبضة آلهة غير حقيقيّين، لا يملكون ان يقودوا مَن ينقاد اليهم الا الى جحيم في الدنيا والآخرة، توهّموا أنفسهم قادة وما هم كذلك! ان النزعة الانسانية الصافية للبحث عن القائد قد تشوَّهت بفعل كسل الانسان وتقاعسه عن النظر السليم الى مَن يدَّعون انهم قُوّاد ويدعون الآخرين، كل الآخرين، لينقادوا اليهم. فلو انه أحسن الحكم على مَن هم حواليه لما أوقع نفسه في فخ قاتل نصبه له هؤلاء القوّاد المرضى بعشقهم لذواتهم وانقيادهم لهواهم! لقد أضاع الانسان من بين يديه فرصة ذهبية للعودة

الى القائد الحقيقي اذ توجَّه الى آخر مثله يرجو ان يجد عنده ما لم يعثر عليه في نفسه! ان الانسان واهِم اذ يعتقد ان مَن يتَّبعه هو القائد الذي سوف يجعل منه انقياده اليه يطفئ نار تعطُّشه للقائد؛ ذلك التعطُّش الذي وُلِد به وورثه عن أبيه آدم. اذ سرعان ما سيجد ان مَن اتَّبعه واتَّخذه قائداً له لم يكن ليستحق منه ان ينقاد بكّلِّيته اليه؛ فتراه يُقلِّب كفَّه على ما أنفق من جهد في سيره الضال ذاك! لذا كان الانسان سريع التقلُّب من قائد زائف لآخر لا يقل عنه زيفاً! لقد أتعب الانسانُ نفسه وما أراحها اذ اتَّخذ من غير الله له قائداً لا يستطيع ان يقوده الا الى ظلمات أشد حُلكة من تلك التي كان فيها قبل انقياده اليه. فالانسان لن يجد ضالّته المنشودة وقائده الذي فقده الا بسيره على الطريق الإلهي الى الله لا بابتعاده عنه تخبُّطاً في متاهات التعلُّق بغيره مِمَّن لا حول لهم ولا قوة ليقودوه الى غير هلاكه دنيا وآخرة! والانسان قد يدفع حياته ثمن تخبُّطه هذا دفاعاً عن قائد لا يستحق ان يُدفع الا الى الجحيم. فترى القوم يتهالكون في سبيل مَن لا يملك لهم ضرّاً ولا نفعاً الا بإذن الله القائد الحق الذي ضلَّ عنه مَن انشغل بسواه واتَّبع هواه. انك لَتنظر الى الانسان فتعجب لأمره اذ تراه ما ان يتَّبع قائداً من هؤلاء حتى يجعل من نفسه تابعه المخلص الذي ليس لأحد ان يُدانيه اخلاصاً له وصدقاً في اتّباعه! لذا تراه سرعان ما يتحوَّل عنده هذا الانقياد ليُصبح انقياداً الى قائده مشوباً بقيادة الآخرين اليه ليكونوا اتباعاً له لا لقائده! وما الغرابة في ذلك؟! أليس هو وقائده شخصاً واحداً وحالة واحدة؟! لذا ترى الانسان وقد تحوَّل عنده هذا التعلُّق المريض بغير الله، انقياداً واتِّباعاً لسواه، الى تعلُّق بهواه هو واتِّباع لنفسه هو وانقياد أعمى لها وهو يظن كل الظن انه انما ينقاد لقائده الذي اختاره على كل شيء! حقاً ان الانسان سريع الوقوع في هوى نفسه شديد التعلُّق بها يبحث عنها في غيره، طالما لم يكن بمستطاعه ان ينظر اليها مباشرة فيراها، حتى اذا ما وجدها عنده تحوَّل عنه اليها واكتفى بها قائداً له يتَّبعه ولا يخالف عن أمره ابداً! ان الانقياد للآخر هو انقياد للهوى مادامت النفس لم تُطوَّع ولم يتم التخلُّص منها! ان شقاء الانسان بقائده الوهمي هو قدَره الحتمي وذلك طالما لم يتَّبع غير هواه اذ اتَّخذه له قائداً! فالانسان اذ يبحث عن القائد لشوقٍ حقيقي داخله اليه فانه سرعان ما يقوم بايهام نفسه ان هذا القائد موجود حوالَيه في شخص هذا او ذاك من جحافل القُوّاد الزائفين؛ حتى اذا ما عثر عليه وأخذ

بالانقياد اليه تدخَّلت نفسه لتجعل منه يُدخلها من شباك خلفي لتشارك قائده الوهمي قيادته لتابعه المخلص الأمين هذا حتى اذا ما اطمأنت الى نجاحها في تسلُّلها الى حيث لا يسهل تشخيصها بوجهها الحقيقي أخذت بحَرف انقياد صاحبها وجَرفه نحوها شيئاً فشيئاً حتى لا يتبقّى من القائد الأصلي الا اسمه ومن وجوده داخلاً من صاحبها الا رسمه فيستحيل تابعاً لها لا يجد في عبادتها امراً نُكراً مادام هو تابع أمين لقائده الذي لم يدرك بعدُ ان تابعه الأمين قد تحوَّل عنه اليها وفقده الى الأبد بقيادتها له! فيا لحماقة مَن يظن ان بوسعه ان يحصل على اتباع حقيقيّين واتّباع صادق مِن قِبَل مَن هم مِن بني آدم ممّن لم ينجحوا بالقضاء على هذه النفس الخائنة! ان أياً من القادة الزائفين لن يحصل على تابع واحد حقيقي طالما كان الانسان، على شدّة تعطُّشه للقائد الحقيقي، شديد التعلُّق بنفسه وهواها! وكيف لا وقد ورَّث آدم الآكل من الشجرة ما جعل من بَنيه أسرى دماغ مُلتاث متضرِّر لا يظن ان هناك مَن هو أهلٌ للانقياد اليه الا هذه النفس التي ظهرت الى الوجود بتضرُّر النظام البايوالكتروني للدماغ الانساني تضرُّراً جعل من هذا الكيان حقيقةً واقعة لها فعل وتأثير ووجود مستقل عن الجسم الانساني ورسالة خاصة بها وبرنامج لا يعترف بأي برنامج آخر!! ان هذه النفس كيان حقيقي موجود داخلنا لم يظهر الى هذا الوجود الا من بعد أكل آدم من الشجرة!

ان النفس ليست كياناً غيبياً كما يعتقد البعض؛ فهي ليست كالروح التي هي كيان غير مرئي فائق المجهرية. فالنفس التي يُطالَب الانسان بمجاهدتها ومحاربتها ومقاتلتها وقتلها هي مجموع المناطق المُتضرِّرة في دماغه والتي توارثها عن الانسان الأول بعد الهبوط الى هذه الأرض. فهذا العيب الوراثي في الدماغ الانساني هو الاسم العلمي للنفس الانسانية. والنفس هذه اذا ما كانت غيباً كياناً غير مرئي فان ذلك مردَّه الى حقيقة كونها فعالية بايوالكترونية تجري في تلك المناطق المُصابة من الدماغ البشري ليس الاّ! فالمنظومات البايوالكترونية كينونات فائقة المجهرية تتواجد في الدماغ. ومناطق الدماغ الانساني التي تضرّرت نتيجة الاصابة الفايروسية اياها لا تعمل الا وفقاً لقوانين البايوالكترونيك شأنها في ذلك شأن باقي مناطق الدماغ. ان النفس الانسانية هي مجموع كل هذه المناطق غير السليمة والتي تجعل من الانسان يخرج على

قوانين الله في الطبيعة ظلماً وعدواناً وإفساداً وخَبالاً وجنوناً. لذا فان النفس هي شيء نتوارثه من آبائنا عن الانسان الأول بعد الهبوط. والنفس الانسانية هذه ليس من أحد بمستطاعه القضاء عليها باصلاح منظوماتها البايوالكترونية المتضرِّرة الا الله وذلك بأن يتدخّل للقيام بذلك شَريطة التزام مَن يروم الخلاص من شر نفسه بالسير على الطريق اليه وفقاً لما جاءنا منه تعالى على لسان مَن بعثهم رحمةً وحُجّةً. فهذه النفس عبارة عن ما تضرَّر من دماغنا فأصبح له وجود مستقل عن الجسم لا يعترف به سيداً له وملكاً عليه. ان الأمر هنا يشبه ما يحدث في روايات الخيال العلمي عندما يتحوَّل الكومبيوتر من تابع خادم الى كيان ذي وجود مستقل يطالب المخدوم بأن يقوم هو الآن بخدمته! فالنفس ليست الا كياناً فائق الذكاء لا تلجأ الى كشف وجودها المستقل حتى ينكشف أمرها اماماً من ناظرَي الانسان بدماغه ذي الشطرين هذا! لذا تراها تقوم بكل ما من شأنه ان يجعل من وجودها المستقل داخله مستتراً خفياً ليس باليسير اكتشافه. ان النفس لن تجعل من صاحبها يقع فريسة انقياده اليها بتجلّيها له بوجهها الحقيقي في خضم بحثه عن القائد الذي فقده مع أبيه الآكل من الشجرة! فهي تعلم انها لا تملك الا ان تتنكَّر بوجه آخر غير وجهها اذا ما هي أرادت ان تنجح خطّتها في السيطرة على صاحبها وإخضاعه لها. لذا فانها تلجأ الى التخفّي تحت قناع القائد الوهمي الذي خُيِّل الى صاحبها انه القائد الذي ان اتَّبعه فان سيتخلَّص من شعوره المُمِض بالعطش الى القائد! حتى اذا ما تمكَّنت تجلّت وحلّت محل هذا القائد الأخرق لتكون هي القائد الذي سوف يتعيّن على صاحبها أن يتّبعه الى الجحيم! ان الحل الوحيد للخلاص من الفوضى القيادية والخواء القيادي في ظل وجود هذه النفس المتربِّصة للوثوب على عرش القيادة داخلاً منّا هو بالرجوع الى الله القائد الحقيقي الذي جعل منّا فقدانُنا صلة وصلنا واتّصالنا به نتيه في الأرض بحثاً عنه في الآخرين لا بحثاً عنه بدونهم وخارجاً عنهم!

الا ان الانسان لا يستطيع، بحالته المرضية هذه والتي ورثها عن آدم الآكل من الشجرة، ان يكون قائده الله الذي لا اتّصال له به مادام هو بدماغ مُعتَل فاقد الصلة بروحه فما بالك بربّه! فلا حل اذاً الا بالانقياد لِمن نجح في العودة الى

الله واتّصل به فأصبح مُنقاداً منه اليه. ان القائد الذي بوسعه ان يقودنا الى الله القائد الحق هو ذلك الذي وصل الى الله واتّصل به من بعد نجاحه باستعادة صلة وصله واتّصاله بربّه. فالانسان غير الواصل الى الله لا يستطيع ان يكون على صلة وصل واتّصال بربّه وهو لا يستطيع ان يتحجَّج بهذه الصلة المقطوعة حتى يبقى على غيّه وفي ضلاله بعيداً عن الله. ان وجوب السير على الطريق الإلهي الى الله يستدعي الانقياد الى مَن نجح في استعادة صلة الانقياد الى القائد الحقيقي فأصبح بمقدوره قيادة مَن يرغب ويريد ان يصل هو الآخر الى استعادة هذه الصلة. اننا عاجزون عن ان نكون على صلةٍ واعيةٍ بالله ولكننا لسنا بعاجزين عن ان نتَّبع قائداً الى الله منقاداً منه اليه يقودنا ليصل بنا الى استعادة ما فقدنا مع أبينا يوم ان أكل من تلك الشجرة!

٨ ـ ١٣ القائد الوقتي والقائد الحقيقي

ان السير على الطريق الإلهي الى الله دون الالتزام بقوانين السير والسلوك كفيل بجعل السائر يقع في ذات الفخ الذي يقع فيه كل مَن يتوهَّم أياً من اولئك القوّاد الزائفين على انه القائد الحقيقي! فقوانين السير والسلوك هذه تكفل للسائر الملتزم بها ان يكون سعيُه للوصول الى القائد الحقيقي، هذا السعي الذي هو مبعث ذلك التعطُّش القيادي الذي يُعاني منه كل انسان من بني آدم والذي ينقلب الى توهُّم يُخيَّل معه اليه بأنه هو ذاك القائد المُفتَقَد اذا ما هو تعلَّق بغير الله، خالياً منَ نقاط الضعف التي تبحث النفس عنها بكل شراهة بُغية التسلُّل عبرها الى الموقع القيادي لتحُلَّ محلَّ الهدف الذي يسعى اليه الانسان! وهذا الوقوع في الفخ اياه هو ما نلاحظه على النسبة الغالبة من السائرين على الطريق الإلهي الى الله دونما التزام حرفي بقوانين السير والسلوك! فالمُلاحَظ على غالبية مَن ساروا على هذا الطريق بحثاً عن القائد الحقيقي ان واحدهم قد أحلَّ، على جَهالة منه وعدم دراية، النفسَ محل الهدف المنشود فأصبح سعيه للوصول الى الله يُخالطه هوى هذه النفس التي نجحت في إزاحة صاحبها والحيود به عن الطريق المستقيم ليُصبح كأيٍّ من اولئك الذين ضلَّ سعيهم في بحثهم عن القائد الحقيقي وهم يحسبون انهم يُحسنون صنعاً اذ نَحّوا الهدف جانباً واتَّخذوا اِلههم هواهم فما استطاعوا ان يصلوا اِلا الى قعر الظُلمة في الدنيا والآخرة. ان السير على الطريق

الإلهي الى الله يجب ان يكون عودةً اليه خالصةً من كل شائبة تُخالطها وتُفرَض عليها من قِبل النفس التي لن تَعدِم وسيلةً لدفع السائر على هذا الطريق، دونما التزام تام بقوانينه، خارجاً عنه الى مَهاوي التهلُكة. ان تواجد هذه النفس مع صاحبها في سعيه على هذا الطريق الشاق للوصول الى القائد الحقيقي كفيل بجعله يتوهّمها عاجلاً أم آجلاً على انها مَن يروم ويقصد وهي لن تغفل عن أية فرصة تُتيح لها الوثوب عليه لتأخذ الدفَّة منه وتسير من ثم به الى جهنّم وبئس المصير. ان السائر على الطريق الإلهي الى الله من غير انضباط تام بقوانين السير والسلوك لن يكون الا واحداً من اولئك الساعين الى حتفهم بأيديهم مِمَّن بحثوا عن القائد الحقيقي وخُيِّل اليهم انهم عثروا عليه وهم ما وجدوا الا قائداً غير حقيقي سرعان ما سينقلب تعلُّقهم به الى تعلُّق بالنفس وهم لا يعلمون انهم ما عادوا يتّبعون قائدهم الوهمي هذا! وهذا هو السبب في كثرة القُوّاد الزائفين الذين بالامكان العثور عليهم متناثرين على جانبَي الطريق الإلهي الى الله! فالكل يدَّعي وصلاً بِليلى وهي لا تُقِرُّ لأيِّهم بذاكا! فالكل متوهِّم بانه نائب القائد الحقيقي وخير مَن يقود الجماعة بأمان اليه! ان المرء لَيعجب من كثرة الداعين Preachers الى القائد الحقيقي مِمَّن لا يدْعون أحداً الا الى أنفسهم وهم لا يشعرون! فانك ما ان تُبدي رغبتك في السير على الطريق الإلهي الى الله حتى يتهافت عليك الدُعاة من كل جانب وكلُّهم يدَّعي ما يدَّعيه أيُّهم من كونه المُعلِّم Teacher الحق الذي بمستطاعه ان يأخذ بيديك ويوصلك الى الله بأسرع وقت وأقصر طريق وأقل جهد وأدنى تكاليف! فكيف السبيل للنجاة من تكالبهم هذا الذي سوف يشغلك عن السبيل للنجاة الى الله؟! كيف يكون بمقدورك ان تستبين الغثَّ من السمين فلا تضل مع مَن ضل وهو يحسب انه من المهتدين، بله الهادين؟! ان القوم أصحاب لسان وأرباب قلم فكيف تختار من بينهم مَن هو بحق الاستاذ Master الذي تحقّق له الوصول الى الله وأصبح بمقدوره الوصول بالآخرين اليه؟ لقد تبيّن لنا قبل قليل ان الانسان لا يستطيع ان يكون مُنقاداً من قِبَل الله طالما لم يصل بعد الى إصلاح جهاز اتِّصاله بالله، استقبالاً وارسالاً، وان السعي الى القائد الحقيقي الذي هو ليس أحداً آخر الا الله يتطلَّب تواجد أحدٍ بوسعه تولّي أمر قيادته الى الله مادام ليس بوسع الانسان ان يسير على الطريق الإلهي الى الله بمفرده وبعقله الذي فقد منذ زمن بعيد القدرة على ان يكون قائده المباشر هو

الله. ان هذا الأحد الذي ينبغي ان يكون متواجداً كقائد وقتي ريثما يصل الانسان، بسيره على الطريق الإلهي الى الله ويده بيد هذا القائد، الى إصلاح جهاز اتّصاله بالله، فيكون من ثم بمقدوره استعادة صلة وصله واتّصاله بالله القائد الحقيقي، هو الوحيد الذي بمستطاعه ان يأمنه على مصيره فلا يخاف دَرَكاً من نفسه ولا يخشى! ولكن هل الى هكذا قائد من سبيل؟ هل نستطيع ان نعثر على أحد بهكذا مواصفات ليكون لنا قائداً وقتياً الى الله لا الى نفسه ومن ثم معها ومعه الى الجحيم؟! وكيف لنا ان نطمئن الى ان الذي اتَّبعناه هو هذا القائد الوقتي الذي لن نضل بسعينا على الطريق الإلهي الى الله ويدنا بيده مادمنا نلتزم بقوانين السير والسلوك فلا ندع للنفس من فرصة تتحيّنها لتنقضَّ علينا وتحُلَّ محل هذا القائد فتصل بنا الى الجحيم! ان القادة قد تشابهت علينا ونحن على مشارف الألف الثالث فهل لأحد ان يُبيِّن لنا ما هو هذا القائد الوقتي الذي لا يدعونا اليه بل يأخذ بأيدينا الى الله قائدنا الحقيقي؟ اليس هناك مِن أحد ليكون قائدنا الوقتي الى الله القائد الحقيقي؟

ان هكذا قائد يكشف عن نفسه بنفسه! فطالما كان موصول الصلة بالله متّصلاً به فلن تكون علاقته بغير الله الا علاقة استثنائية لا عهد لأحد، من غير الواصلين الى الله، بها! فهذا الموصول بالله لم يكن ليتّصل به الا بوصوله اليه من بعد انقطاعٍ بقلبه عمَّن هم سواه. فلا سوى ولا أغيار بل الله الواحد القهّار. وهذا الواصل الى الله ليس بمقدوره ان يكون، من بعد اتّصاله بالله، على صلة بسواه الا اذا كانت صلته هذه هي لله وبالله! وهو اذ يكون دائماً مع الله فانه لن يتَّصل بأحد غيره الا وتظهر عليه تجلّيات مُقتبسة من حُكم اتّصاله بالله. فالمتَّصل بالله لا يستطيع ان يكون على صلة بغير الله، انساناً كان أم شيئاً آخر، الا وتجلَّت على هذا الغير علامات هي من آثار رحمة الله التي تفضَّل بها على المتَّصل به من عنده. لذا كانت صلة المتَّصل بالله بأي شيء آخر صلةً فريدة كلّها عجائب وغرائب وخوارق! فهو لا يحل له ان يتَّصل بغير الله الا باجازةٍ من الله واذان منه! لذا كان هذا الأحد هو خير من يدعو الى الله طالما كان متّصلاً بالله وفي غنى عن سواه. فهو عديم النفس لا يبحث عن الآخرين ليُقدِّمهم وَقوداً لنارها التي قدَّم لها ذاته من قبل! ان المؤتمَن على المصائر هو مَن نجح في قطع

كل صلة له بغير الله فما عاد هناك له من شُغُل بشيء عداه. فهذا المتَّصل بالله ليست له نفس حتى يدعونا اليها وما ذلك الا لأنه ما وصل الى الله وما اتّصل به الا بانقطاعه عمَّن سواه؛ والنفس على رأس السِوى والأغيار! ان المتَّصل بالله هو الداعي اليه باذنه وما ذلك الا لأنه ليس بوسعه ان يدعو الناس الى الله الا بأن يكون على صلة بهم وهو ليس له ان يكون على صلة بغير الله الا باجازة من الله واذن منه. لذا فان التعرُّف على هذا الأحد الذي يصلح ان يكون قائدنا الوقتي الى الله قائدنا الحقيقي ليس بالأمر العسير طالما كان الشرط الرئيسي لتعريفه ومعرفته هو وجوب كونه متّصلاً بالله! فلقد عرفنا من قبلُ ان لا قائد وقتياً لنا، على الطريق الإلهي الى الله، الا مَن كان متّصلاً بالله مقطوع الصلة، في حقيقة الأمر، بسواه. فنحن لا نستطيع ان نكون على صلة وصل واتّصال بالله بسببٍ من كوننا أبناء لآدم كما اننا لا نستطيع ان نبقى بعيدين عن الله بذريعة عدم قدرتنا على ان نكون على صلة واعية به. لذا كان من الضروري ان نلجأ الى أحد متَّصل بالله بمستطاعه ان يكون على صلة واعية بنا ونكون نحن أيضاً على صلة واعية به. ان وجوب كون هذا الأحد متَّصلاً بالله يُحتِّمه عجزُ كلِّ مَن هو منقطع الصلة بالله عن ان يقود مقطوعاً آخر غيره الى الله! فالأعمى لا يقود الأعمى! لذا فان هذا الأحد لابد وان يكون موصولاً متّصلاً بالله واصلاً اليه لا الى سواه. وهذا الاتّصال من جانبه بالله يعود عليه لامحالة بتحلُّق العجائب والغرائب والخوارق من حوله شاء أم أبى! لذا كان هذا الأحد محاطاً بالعجائب والغرائب والخوارق والتي يستطيع ان يتبيَّنها كل مَن اتَّصل به من جانبه!

ان اتِّباع قائد وقتي الى الله القائد الحقيقي يتطلّب منّا وجوب التيقّن من كون هذا المتبوع مُلاحقاً ومُرافقاً ومُصاحَباً ومُتابَعاً بالعجائب والغرائب والخوارق شاء أم أبى شئنا أم أبينا! لذا فان خير وسيلة للبرهان على ان هذا الأحد هو بحق القائد الوقتي الى الله هي بأن نلاحقه بعقل سليم بحثاً عن هذه الخوارق فان وجدنا انها حقاً هناك متحلِّقة حواليه تلاحقه في حلِّه وترحاله فنحن مُلزمون حينها بأن نتَّبعه على انه مَن بمستطاعه ايصالنا الى الله لا الى شيء آخر سواه. ان القائد الوقتي لا يمتلك مجرد كلمات التقطها من هذا الكتاب وذاك يحفظها عن ظهر قلب ويعيدها ولا يمل اذ نمل من تكراره لها! فالقائد الى القائد الحقيقي لا

ينبغي ان تكون كلماته جوفاء خالية من الطاقة عديمة النور! فهذا هو حال المُعلِّم Teacher لا الاستاذ! Master فالاستاذ هو القائد الوقتي الى الله المتَّصل به المنقطع اليه عن سواه وهو لذلك لا يستطيع ان يكون ذا كلام كالذي بمقدورنا الحصول عليه من الكتب والموسوعات! ان صلته بالله، الطاقة الأعظم في هذا الوجود، كفيلة بجعله لا يملك مجرد العلم بل الطاقة أيضاً! فهو لا يأخذ علمه من الكتب بل من الله الذي يُسبغ عليه طاقة من لدنه. فاذا صدَّقنا بأن الله يُمدّه بطاقة من لدنه، بشهادة العجائب والغرائب والخوارق المتناثرة من حوالَيه، فلماذا لا نصدِّق بأن الله يُمدّه بعلم من لدنه أيضاً؟! ان هذا الأحد لا يأخذ علمه من الكتب بل يأخذه عن الله الذي يجود عليه به كما يجود عليه بالطاقة التي تتجلّى في هذه الخوارق التي لا تني تلاحقه. فالاستاذ بحر علم وطاقة Information and Energy. لذا فان خير وسيلة للكشف نستطيع بها التأكُّد من صدق مقالة الداعي الى الله بأنه حقاً كذلك هي بأن نتزاحم على بابه حتى اذا ما وجدنا ان الخوارق تزاحمنا لا البشر فقط تأكد حينها لدينا انه حقاً مَن يدَّعي والا فلا! فاذا كان العلم ليس باليسير تشخيصه على انه من لدن الله فلا نخال الطاقة التي تتجلّى عجائباً وغرائباً وظواهر خارقة يصعب إرجاعها الى مصدرها الوحيد: قائدنا الحقيقي! ان القائد الوقتي الى القائد الحقيقي لابد وان يتجلّى عليه قبس من النور الالهي بسببٍ من وجوب اتّصاله بالله الطاقة الأعظم في الوجود.

ان كل من نراه من قوّاد زائفين على الطريق الإلهي الى الله لا يملك واحدهم ان يكون على صلة بالله، وهو لا يلاحقه الا ما هو عادي غير خارق شأنه شأن غيره من البشر ممّن لم ينقطعوا الى الله فيتَّصلوا به! ان التدخُّل الالهي غير المباشر في حياة هؤلاء لن يتجلّى ظواهر خارقة وعجائب وغرائب حوالَيهم. فهذا التدخُّل نصيب الكل وهو ليس بحكرٍ على أحد! اما الاستاذ المتَّصل بالله حقاً فهو على صلة بالتدخُّل الالهي المباشر الذي يتكفَّل بجعل حياته عبارة عن سجلٌ خارقٍ من العجائب والغرائب. ان المتَّصل بالله يتدخَّل الله تدخلاً مباشراً في حياته وبما لا يدع مجالاً للشك بأن هذا الاحد هو بحق مقطوع الصلة بغير الله الا باذنه! لقد رأينا كم هو عجيب تدخُّل الله مباشرةً في سير أعمال هذا الوجود. لذا فان مَن لم تكن حياته سجلاً صفحاته عجائب وغرائب وظواهر

خارقة فهو ليس مُتَّصل بالله ليتدخَّل الله مباشرةً في حياته! ان القائد الوقتي الى الله يشهد له التدخُّل الالهي المباشر في حياته، جُملةً وتفصيلاً، بأنه بحق مَن بوسعه ان يقود الآخرين الى الله. لذا كانت الكرامات تُلاحق أساتذة الطريق الإلهي الى الله. فاستاذ الطريق الإلهي الى الله متَّصل بالله منقطع عمّن سواه الا باذنه؛ وهذه الصلة تُحتِّم عليه ان يكون انساناً غير عادي يُظهِر الله على يديه من العجائب ما هو كفيل بأن يشهد له بأنه حقاً القائد الوقتي الى الله. لذا كانت الكرامات هي الدليل القاطع بصحة أهلية هذا الأحد ليكون مَن يأمن له الانسان وهو يسير يده بيده على الطريق الإلهي الى الله. ان اشتراط مُلاحقة الكرامات للأستاذ القائد الوقتي يُحتِّمه وجوبُ كونه على صلةٍ وصلٍ واتِّصال بالله. ان العلم الذي بمستطاع الاستاذ ان يقودنا اليه هو ليس مجرد معلومات بالامكان الوقوع عليها في المكتبات! فهذا علم لا يشهد لصاحبه بأنه على صلة وصل واتّصال بالله! فالعلم الحق هو الذي يُعلِّمه الاستاذ من لدن الله؛ وهذا علم ليس بالامكان الوقوع عليه في أي مكان الا عند الله! لذا كان القائد الوقتي الى الله ذا علمٍ لدُنّي يُلاحقه مُلاحقةَ الكراماتِ له ويشهد له، كما تشهد هي له، بأنه حقاً موصول بالله متَّصل بسواه باجازة منه وإذن. اذاً فلا علم القائد الوقتي ولا الطاقة، المُتجلية حوالَيه ظواهر خارقة وعجائب وغرائب، هي من عنده هو بل هي من لدن الله. تدبّر الآية الكريمة: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

ان هذا العلم هو العلم اللدُني الذي يُختص به مَن كان موصولاً بالله. والعلم هذا ليس من سبيل الى الحصول عليه الا بالسير على الطريق الإلهي الى الله وفقاً لقوانين السير والسلوك. وأول هذه القوانين اتّخاذ السائر قائداً وقتياً الى الله. ان الدخول الى البيت لن يكون الا بأن يؤتى البيت من بابه. قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: [أنا مدينةُ العِلم وعليٌّ بابُها]. فعليٌّ هو مُظهر العجائب والغرائب كما هو معلوم! قال الاستاذ محمد عبد الكريم الكسنزاني قدَّس الله سرّهما العزيز: [محمّدٌ نورٌ وعليٌّ بابُهُ]. ان التدبُّر في جمع الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم للعلم اللدُني والنور الالهي على ضوء ما جاء في حديث الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم (أنا مدينةُ العلمِ وعليٌّ بابُها) كفيل

بجعلنا نتثبَّت من وجوب تلازُم العلم اللدُني والنور الالهي. فانك لن تجد مُعلِّماً بعلم لدُني اِلا والنور الالهي يتجلّى من حواليه كرامات عجيبة وخوارق غريبة! فلا سبيل لتدفُّق العلم اللدُني من فم الاستاذ من دون تدفُّق للنور الالهي حوله. لذا فانك لن يصعب عليك ان تتعرَّف على الاستاذ الحق اذا ما أنت لازمته فلم تجده مجرد معلِّم لا قدرة له على شيء غير النقل عن الآخرين! ان تواجدك على مقربة من الاستاذ كفيل بجعلك تتيقَّن من حقّانية كونه القائد الوقتي الى الله وذلك لأنك سوف تجد انك قد أصبحت، بسَيْرِك على الطريق الإلهي الى الله مُتَّبِعاً ارشاداته وتوجيهاته، مُلاحَقاً لا بما عُلِّمه هو من علم فعلَّمك اياه فحسب ولكن بسيلٍ جارف من ظواهر خارقة لا عهد لك بمثيل لها من قبل!

٨ ـ ١٤ الآدمولوجيا :Adamology المشكلة الانسانية والحل الالهي!

ان التراجيديا الانسانية لا يمكن فهمها أبداً ما لم يتم تدبُّر الماضي الآدمي المُتضرِّر تدبُّراً يجعل منّا نُقدِّره حق قَدره ونوليه من الاهتمام ما يستحقّه عن جدارة طالما لم يكن بالامكان التعليل الناجح لمفرداتها كلّها جميعاً الا بالاستناد التام الى فصوله وأصوله المُمتدّة عُمقاً في الزمان الى عهد الأسلاف الأواخر للإنسان الأول والمُبتعدة في المكان بعيداً عن هذه الأرض في أعماق سحيقة من الفضاء الخارجي! فالشقاء الانساني لغز يستعصي على الحل مادام سعينا لِحلّه ينطلق دونما اعتبار للماضي الآدمي هذا والذي يعجز كل سبب آخر غيره عن التعليل المقنع به. لذا فان هذا الكتاب اذ يتعمّق في دراسة فصول وأصول هذا الماضي فإنه يعي تماماً ان لا حل آخر هناك بمقدوره ان ينقذ الانسان من شقائه الفطري المتأصِّل غير الحل الذي بمستطاعنا ان نتلمّس آثاره في سيرة آدم ومَن صلح من ذريَّته مِمَّن ساروا على الطريق الإلهي الى الله ايقاناً منهم وادراكاً ان لا نجاة من الكارثة المُحدقة بنا، حاضراً ومستقبلاً، الا بالله الذي تسبَّب ابتعادنا عنه، مع آدم الآكل من الشجرة، في وقوعنا فريسة هذا الشقاء. ان نظرية المعرفة الجديدة، التي يدعو لصياغتها هذا الكتاب بوسع الدراسة الابستمولوجية للخوارق التي تحدث بوجود الانسان، وسطاً وقابلياتٍ لا طاقةً ومقدرات، ولما هو مألوف في الظاهرة الانسانية ان تُعيننا على تشكيل بنيانها المعرفي. الا ان هذه النظرية لا يمكن ان تكتسب بُعداً تجريبياً ـ اختبارياً الا بالاتكّاء على القرآن العظيم

والتوكُّؤ على عصا الطريقة وذلك ليُصبح بمقدورها ان تتدبَّر في الواقع الانساني فتنظر اليه بعقل سليم لا يرى فيه الا نتاجاً لماضٍ غابر موغل في القدم لم يكن لها ان تطَّلع عليه لولا ما أشهدها اياها منه القرآن العظيم الذي يكفل لها اذا ما هي التزمت بجانبه التطبيقي، كما تُعبِّر عنه الطريقة بعباداتها الملتزمة ومنهاجها التأديبي الصارم، ان تُقدِّم صياغةً معاصرة للحل الالهي للمشكة الانسانية! فنظرية المعرفة الجديدة هي الآدمولوجيا التي وجدت في آدم القرآني أساس كلٍّ من المشكلة الانسانية والحل الالهي. فلولا آدم، الآكل من الشجرة، ما كان هناك من شقاء ولولا آدم، العائد الى الله، ما عرفنا ان هناك حلاً لمشكلة الشقاء الانساني هذا! فآدم هو أساس المشكلة وهو أساس الحل. كان آدم قبل الأكل من الشجرة هو الخليفة الذي اصطفاه الله وأورثه الأرض وأسكنه وزوجه الجنة. ولم يكن بمقدور آدمَ ان يستعيد اسمه الذي أطلقه الله عليه (خليفة) الا بسيره على الطريق: طريق العودة الى الله. لذا كانت الطريقة، بنشأتها القائمة على أساسٍ آدمي متين، هي الطريق لاستعادة الانسان ذاك الاسم القديم الذي لا نجاة له من الآثار الكارثية للماضي الآدمي المتضرِّر الا به التزاماً تاماً بما يُمليه عليه هذا الاسم من ضوابط وتقييدات ليس هناك من سبيل لتحلّيه به الا بحُسن التزامه بها.
ان الآدمولوجيا إقرار معرفي رصين بعجز العلم، المعاصر والمستقبلي، عن التعليل الصائب للشقاء الانساني، الذي لا يتكشَّف واقع الانسان كما نعرفه الا عنه، وبعدم قدرة هذا العلم على تفسير الظاهرة الانسانية، مألوفها وخارقها، وباستحالة ان يكون هناك من تعليل لشقاء الانسان وتفسير لمفردات ظاهرته كلّها جميعاً الا انطلاقاً من القرآن العظيم الذي فسَّر بآدم الآكل من الشجرة غوامض الوجود الانساني كما نعرفه. كما ان الآدمولوجيا تقر بأن لا حلَّ هناك للتراجيديا الانسانية بعيداً عن القرآن العظيم الذي أزاح النقاب عن هذا الحل وجلاّه على حقيقته التي تجلّت لنا من ثم بوجهها الحقيقي: عبادةً خالصةً لله. ثم ان الآدمولوجيا ليس لها الا ان تُقر بأن الطريقة هي هذه العبادة الخالصة لله وذلك طالما كانت الطريقة بمنأى عن ان تكون تفسيراً للوثيقة الدينية، التي جاء بها القرآن العظيم، بما تهوى الأنفس وذلك مادام استاذ الطريقة هو القائم بمهام التعليم كما عُلِّم من استاذه فاستاذه... الى الاستاذ الأعظم سيدنا محمد صلّى الله تعالى عليه وسلّم الذي كان القرآن العظيم خُلُقه. على ان الآدمولوجيا لَتُقِر

بعدُ بأن الطريقة هي البرهان التجريبي ـ الاختباري على وجود عالم الغيب وذلك كما يتجلّى بكل وضوح في ظواهرها ذات الخارقية الفائقة والتي أوضحت البارامانولوجيا حقّانية كونها غير بشرية المصدر. لذا كانت الآدمولوجيا تتضمّن البارامانولوجيا بين ثنايا بُنيانها المعرفي وذلك لأن الآدمي لا يمكن الا ان يكون نتاجاً للباراآدمي (البارامانى) سواء كان الآدمي ظاهرةً انسانية مألوفة أم خارقة. فالانسان (الآدمي) لا يمكن ان يتم التعليل لواقعه كما نعرفه الا بدلالة ماضيه الآدمي المتضرِّر الذي لم يكن للإنسان من دورٍ في تشكيل مفرداته الخارجة على قوانين الطبيعة طالما لم يكن ذلك الماضي المتضرِّر الا صنيعة ما هو محيط بالانسان في بيئته الفضائية التي أكل فيها من تلك الشجرة! ثم ان الانسان لم يكن ليظهر كآدمي في أحسن تقويم لولا تدخّل الله مباشرة في تخلّقه بـ ﴿كُن فيكون﴾. ان هكذا تدخُّل لا يمكن الا ان يوصف بأنه باراماني: محيط بالانسان متواجد على مقربة منه. تدبّر الآيات الكريمة:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٣ ـ ٨٧].

لذا فلم يكن غريباً ان يكون آدم الخليفة هو المنطلق القرآني للتعرُّض للإنسان كما لا يجلّيه الواقع الانساني وان يكون الانسان الخليفة هو منطلق الطريقة للعودة بالانسان الى الله بعيداً عن هذا الواقع الأليم.

ان نظرية المعرفة الجديدة (الآدمولوجيا)، شأنها شأن أية نظرية معرفة اخرى، تؤسّس لبنيانها الابستمولوجي بالاستناد الى العقل الانساني كأداة معرفية فذّة لا يمكن للانسان ان يصل الا بوساطةٍ منها الى المعرفة؛ إبداعاً أم الهاماً. لذا فان دراسة هذا العقل الخارق بُغية تحديد كيفية نشوئه وتطوره وارتقائه ضرورةً لازمة لا غِنى عنها اذا ما نحن أردنا لنظرية المعرفة الجديدة ان تأتي بجديدٍ ليس لغيرها ان تأتي به. فالعقل الانساني الخارق ميّزة انسانية لا مُشابه لها بالامكان ايجاده والعثور عليه عند احد من الحيوانات. فهو عقل خارج على قوانين الطبيعة. لذا كان واحداً من اولى المنطلقات الابستمولوجية لنظرية المعرفة

الجديدة إِقرارها بأن العقل الانساني لا يمكن التعليل لخارقيّته بدلالة ماضيه الحيواني وان العلم لا يستطيع، الآن او في المستقبل القريب ام البعيد، ان يُفسِّر لنا السبب في ظهوره وخارقيّته استناداً الى قوانين الطبيعة التي خرج هذا العقل عليها بخارقيّته!! وحيث ان نظرية المعرفة الجديدة لا تزَّاور عن الالتجاء للقرآن العظيم استعانةً به لحل مشاكلها المعرفية فانها لم تجد، والحال هذه، غَضاضة في أخذها بما ورد فيه على انه الحل الوحيد الذي بمقدوره ان يُعيننا على فهم النشأة الغامضة للعقل الانساني الخارق. لذا كانت الآدمولوجيا هي نظرية المعرفة الجديدة هذه طالما كان آدم هو صاحب أول عقل بايولوجي خارق على كوكبنا الأرضي هذا!! فاذا كانت نظرية المعرفة، أية نظرية معرفة، لا حياة لها الا بالعقل، أداةً معرفية ونظاماً فكرياً، واذا ما كان هذا العقل آدمي النشأة لامحالة، مادام ليس بوسعنا ان نجد غير هذا القرآن العظيم ليأخذ بأيدينا الى الماضي السحيق الذي شهد نشأة هذا العقل، فان نظرية المعرفة ليس لها الا ان تكون آدمولوجية حتماً وضرورة! فلكي تعي نظرية المعرفة ذاتها، في أول خطوة ابستمولوجية يتوجّب عليها القيام بها وذلك قبل ان تبدأ عملها المعرفي، لابد لها من ان تتعرّف على العقل الانساني كأداة وحيدة للمعرفة. لذا كان على نظرية المعرفة ان تنطلق مع آدم طالما لم يكن للعقل الانساني ان يظهر لولا الظهور المعجز لآدم. لقد خلق الله آدم بعقل فائق الخارقية هو أصل هذا العقل الانساني كما نعرفه، أو لا نعرفه، فكيف لا تكون نظرية المعرفة الجديدة آدمولوجية وآدم هو مُبتدأ عقلها؟! ان الآدمولوجيا تجعلنا نعي حقيقة كون عقلنا الانساني لا علاقة له بغير الله نشأة خارقةً وتعليماً من لدنه. فكيف نريد ان تكون نظرية معرفتنا بمنأى عن الله اذا ما كان الله هو الذي تدخَّل مباشرة في خلقه أداتها المعرفية: العقل الانساني الخارق؟!! وكيف يكون بوسعنا صياغة نظرية معرفة بعيداً عن معرفتنا بظروف نشأة هذا العقل ولماذا نُشِّئ خارقاً؟! فهل يمكن لنا ان ننجح في صياغة نظرية معرفة صائبة اذا ما نحن لم نعرف ان العقل الانساني لم يخلقه الله ليكون غير أداة اتّصال واعٍ به؟! فالعقل الانساني لم يُخلق ليتيه بعيداً عن الله. وهذا أمر على جانب كبير من الخطورة اذا ما نحن أردنا ان تكون لنا نظرية معرفة نتمكّن بوساطتها من الوصول معرفياً الى الحقيقة. فالعقل الانساني الخارق يُمكِّنه الله من معرفة الكثير جداً من الحقائق التي لا يستطيع وحده ان

يحصل عليها. ان انقطاع صلة الوصل والاتّصال الواعي بالله جعلت من عقل الانسان عاجزاً عن التوصل الى الحقيقة. فكل ما يستطيع هذا العقل الخارق، بمفرده التوصل اليه، من معارف، لا يتجاوز ما هو غير مُغيَّب عنه وراء حجاب عالم الأسباب. فعلى الرغم من قدرة عقل الانسان، مقطوع الصلة بالله، على التوصل الى معرفة صائبة بالكثير ممّا هو مُغيَّب عنه من مخلوقات تتواجد معه ليس بمستطاعه الوعي بها وادراكها في عالم حجاب الاسباب، كما يشهد له بذلك علمُنا المعاصر وما أقرَّه مما سبقه من علم، الا انه عاجز تماماً عن التوصل الى معرفة صائبة بما هو غير مُنتمٍ لعالم الحجاب هذا! فهذا العقل الذي خُلق ليكون على صلة وصل واتّصال واعٍ بالله يوم ان كان آدمُ آدماً أصبح من بعد أكلِ آدمَ من تلك الشجرة عاجزاً عن الوَعي بالله ممّا جعل منه يستسهل الجزم بيقين متوهّم بأن لا وجود الا لما يراه! لقد خُيِّل للإنسان ان عقله الذي استطاع ان يكتشف الكثير من المخلوقات غير المرئية لعالم الحجاب كان بمستطاعه ان يكتشف الله لو انه بحق كان موجوداً في هذا العالم ممّا جعل منه يؤسِّس لانكاره وجود الله على هكذا أساس واهٍ بيِّن البطلان! فالله ليس بمتحيِّز داخل عالم الانسان (عالم حجاب الأسباب) حتى يكون الانسان مُحقّاً في زعمه انه اذ لا يستطيع ان ينظر فيرى الله، بعقله الذي استطاع ان ينظر فيرى الكثير من المُغيَّبات داخل عالم الحجاب، فان ذلك يعني انه لا وجود لله!! ان الله ليس بمنتمٍ لعالم حجاب الأسباب؛ فهو خالق هذا العالم والمخلوق لا يستوعب الخالق بداهةً! وهو بعدُ موجود في عالم الحجاب محجوباً عن الأنظار بحجاب خلَقَه هو فجعله حاجزاً بين الخلق فيه وبينه. فكيف يكون للإنسان بالتالي الحُجَّة على الله ولله الحُجَّة البالغة عليه فلو كان الانسان قادراً على ان يعبر الحجاب الى الله لرآه؟! فما هو مُغيَّب عن الانسان، لانتمائه لعالم هو غير عالم حجاب الأسباب، ليس بمستطاعه ان يُعمل عقله فيه فيصل اليه بواسطةٍ منه. فهذا الغيب اللاحجابي ليس من سبيل أمام العقل ليصل اليه الا تعليماً من لدُن الله. لذا اصطفى الله من عباده رسلاً اولي أدمغة استعادت صلة وصلها واتّصالها الواعي به فمكّنها بذلك من ان تتلقّى منه كلمات عرّفها بواسطتها بوجوده وبوجود يوم القيامة. فالعقل مهما حاول فلن يكون بمقدوره أبداً ان يصل الى اكتشاف وجود الله في عالم خلَقَه الله ليكون حجاباً بين مخلوقاته فيه وبينه. والعقل مهما اجتهد فلن يستطيع على

الاطلاق ان يعرف بوجود بعثٍ من بعد الموت وجنة وجحيم. فهذه مُغيّبات لاحجابية ليس للعقل ان يكتشف وجودها بمفرده دونما عون من الله. فالعقل قد يكون بمقدوره اكتشاف مُغيبات حجابية تنتمي لعالم حجاب الأسباب وليس لعالم ما وراء الحجاب. الا انه أبداً لن يكون بوسعه اكتشاف ما هو غير منتمٍ لعالم الحجاب. لذا توجّب على نظرية المعرفة الجديدة ان تكون على وعي بهذا كلّه ليتم لها الوقوع على السبيل للوصول الى المعرفة الضرورية للانسان وذلك بتحديدها الوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك. ان نظرية المعرفة الجديدة لا يمكن ان تنفصل وتستقل عن الوثيقة الدينية وذلك لأنها تجد فيها من العلم ما ليس لأحد من مخلوقات عالم الحجاب ان يرفدها به كما انها تعثر فيها على مفتاح باب مدينة العلم الذي يُمكّنها من الحصول على علم لا سبيل للوصول اليه الا بتمسّكها وإمساكها به. فباب مدينة العلم ليس بمنفتح الا بمفتاح العبادة الخالصة لله. هذه العبادة التي بمستطاعها ان تجعل من هذا الباب غير المرئي يتجلّى في هذا العالم الحجابي طريقاً ذهبياً الى مدينة العلم الذي لا ينتمي الى هذا العالم مصادرُه ومنابعُه. فنظرية المعرفة الجديدة تؤسّس بنيانها المعرفي على تقوى من الله ورضوان وذلك حتى لا تكون كباقي نظريات المعرفة التي أسَّست بنيانها على شفا جُرُف هارٍ فانهار بها في نار جهنّم. فنظرية المعرفة الجديدة تستند الى القرآن العظيم تأخذ عنه ما ليس بمستطاع أحد آخر غيره على الاطلاق ان يزودها به من علم حق ومعرفة حقيقية. وهي تتوكّأ على الطريقة التي هي العبادة الخالصة لله والتي لا سبيل للحصول على المعرفة المتجدِّدة الا بوساطةٍ منها. فهي التقوى التي أوجب الله ان تكون المخرج الذهبي من كل مشكلة معرفية والحل الذهبي القادم من حيث لا يحتسب مَن اتّقى الله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: من٢ ـ من ٣].

٨ ـ ١٥ (أ) نظرية المعرفة الجديدة: تمسُّك بالقرآن العظيم نوراً وكتاباً مُبيناً

ان نظرية المعرفة الجديدة لا قيام لها الا بالقرآن العظيم الذي ليس هناك من شروع في التعامل الابستمولوجي الصائب مع مفردات هذا الوجود بامكان العقل الانساني القيام به الا بالركون اليه؛ وثيقةً دينية لا يأتيها الباطل من بين يديها ومن خلفها مؤلَّفةً من كم هائل من المعلومات والمعارف التي ليس

بمقدورنا الوقوع عليها في مكان آخر ومنهاجاً معرفياً بمستطاعه ان يصل بمن يتّخذه نهجه ومسلكه الى باب مدينة العلم ليُصبح بمقدوره الحصول على معارف متجدِّدة من لَدُن الفتّاح العليم. فالقرآن العظيم ليس كتاباً كباقي الكتب؛ فهو لا يحوي معارف ومعلومات فحسب ولكنّه يتضمّن أيضاً المفتاح الذهبي الذي بامكان من يُحسن الامساك به ويعرف كيفية استعماله ان يصل بواسطته الى التزوّد من مَعين لا ينضب ماؤه ولا تنفد كلماته. فكلمات الله لانهائية العدد وليس هناك مَن بوسعه الاحاطة بها اِلماماً واِحصاءً. تدبّر الآيتين الكريمتين: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

ان ظاهر القرآن العظيم محدود بعدد سُوَره وآياته الكريمة؛ فهو كمٌّ معلوماتيٌ بالمستطاع الاحاطة به تدبُّراً وإحصاءً وعقلاً. الا ان القرآن العظيم ليس مجرد كتاب معرفة حتى يُصار الى تحديد قدراته المعرفية بحجم ما يحويه من معارف ومعلومات. فالقرآن العظيم وان كان ظاهر خزينه المعرفي ذا حجم معلوماتي مُعين ليس بمتجاوزه الا انه ذو باطن ثَر ليس بالامكان الوقوع عليه جملةً وتحديداً! فهو ليس مجرد رسالة معرفية تُقرأ بقراءة سطورها فحسب ولكنه المنهج الذي يُمكّن مُتّبِعه من الحصول على معارف ومعلومات ليست بمحتواة في سطور ظاهر نصّه. ان الباطن القرآني حق كما هو ظاهره. واذا كان ظاهر القرآن العظيم مُعجِزاً فليس بوسع جميع خلق الله ان يأتوا بمثله، ولو تعاونوا على ذلك، فما بالك بباطنه؟! تدبّر الآية الكريمة: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

ان نظرية المعرفة الجديدة اذ تستند الى الظاهر القرآني فتأخذ بكل ما فيه من معارف ومعلومات لا وجود لها في مكان آخر غيره فانها تنطلق منه أيضاً في رحلة بحث معرفية تستنير بنوره الباطني الذي بمقدوره ان يخترق كل حجاب وان يخرج بنا من قعر وقلب الظلمات الى النور. فالقرآن العظيم نور باطني لا يُرى الا وهو منعكس عن ما ليس يُرى الا به وكتاب مبين ليس لذي عقل سليم ابستمولوجياً ان لا يُعجزه ببلاغته المعرفية وصدقه المنطقي ورصانته الفكرية. فاذا

استحال على الانسان ان ينظر الى القرآن العظيم فيراه نوراً معرفياً مُبيِّناً، طالما لم يكن من أهل القلب السليم، فلن يستحيل عليه، اذا ما هو كان ذا عقل سليم، ان يراه كتاباً معرفياً مُبيناً! فنور القرآن العظيم أداة معرفية بوسعها ان تُبيّن وتكشف من الحقائق ما ليس بمحتوٍ في ظاهره من معارف ومعلومات وهذا هو الباطن القرآني الذي ظن البعض انه ليس الا تفسيراً آخر لظاهره قد يتناقض مع صريح نصّه؛ وهذا لعَمرُك خطأ منهم جسيم. اذ لا تفسير باطنياً هناك لظاهر آي الذكر الحكيم الذي بيّنه الله فلم يجعله الا ظاهراً لكل ذي عقل سليم. أما الباطن القرآني فهو السر المحجوب عن غير أهله من اولي الأيدي والأبصار من الذين استطاعوا ان يصلوا، بقلب سليم، الى المقدرة على رؤية نوره الذي ليس بوسع أحد ان ينظر اليه فيراه مادام نظره محدود المدى لا قدرة له على تجاوز هذا الواقع بأحداثه وناسه! لنتدبّر الآيات الكريمة:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]، ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: من ١٥٧]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [مُحمَّد: ٢٤]، ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التّغابُن: ٨].

يتّضح لنا بتدبّرنا هذه الآيات الكريمة ان للقرآن العظيم كياناً مُزدوجاً؛ فهو نور وكتاب مُبين: نوره مُستتِر عن أعين مَن لم يكونوا من أهل الله الذين كُشف لهم عن وجوده وكتابه واضح بيِّن ليس يعجز احد عن تبيُّنه اذا ما كان ذا عقل سليم يعرف الحق حين يراه ولا يُلبِس الحق بالباطل كما يفعل السفهاء! ان نظرية المعرفة الجديدة بمستطاعها ان تُعين الانسان على ان يُصبح بمقدوره النظر الى القرآن العظيم ليراه بعقل سليم كتاباً مُبيناً مُبيِّناً يقول الحق ويهدي سواء السبيل. فهي قادرة على إِصلاح العقل الانساني إصلاحاً ابستمولوجياً بجعلها له يتخلّى عن كثير ممّا ليس ينفع من ماضيه مقابل تزويده بما ينفع من وسائل وأدوات تعينه على التعامل المعرفي الصائب السليم مع مفردات الواقع كما ينقلها اليه نظامه المعلوماتي بوسائل حسّه الخمس. فالعقلُ الانساني السليم، الذي تم اصلاح

تضرُّره الابستمولوجي المُكتسَب تطبُّعاً وذلك بتدخُّل معرفي ليس لغير نظرية المعرفة الجديدة ان ينجح في القيام به، قادرٌ على التدبُّر في القرآن العظيم والنظر اليه ليراه على حقيقته: كتاباً لا يمكن ان يكون أحد غير الله هو مَن قام بتأليفه طالما كان الله هو الذي أوحاه وأنزل آياته الكريمة التي خرج هذا العقل السليم ابستمولوجياً من تدبُّره فيها بأن ليس هناك من أحد بمستطاعه إبداعها الا مَن قال فيها وبها إنه هو الذي أبدعها. ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النّساء: ٨٢]. الا ان نظرية المعرفة الجديدة عاجزة تمام العجز عن ان يكون بمقدورها أن تجعل الانسان، وقد تم إصلاح عقله وجعْله سليماً ابستمولوجيا فأصبح بمقدوره تبيُّن ظاهر القرآن العظيم على ما هو عليه حقيقةً ﴿كتاباً معرفياً مُبيناً﴾، قادراً على النظر الى القرآن العظيم ليراه نوراً فيكتمل له بذلك التعرُّف عليه ظاهراً وباطناً. فالنظر الى باطن القرآن العظيم، كينونته التي مادتها النور الخفي، يستلزم ما تعجز نظرية المعرفة الجديدة عن ان تقوم بغير الارشاد الى حيث يمكن الوقوع عليه. فاصلاح الدماغ الانساني هو السبيل الوحيد للوصول الى التميز بالمقدرة على النظر الى باطن القرآن العظيم ورؤية النور الذي يتألف هذا الباطن المُستتِر منه. لذا فان جُلَّ ما بمقدور نظرية المعرفة الجديدة ان تقوم به بهذا الخصوص لا يتجاوز الاشارة الى المنهاج الذي يتوجَّب على الانسان، ذي العقل السليم، التمسُّك به اذا ما هو أراد ان ينظر الى القرآن العظيم فيراه نوراً كما هو كتاب مُبين. فاصلاح الدماغ الانساني معضلة ليس بمقدور أحد الا الله حلّها. والطريق الإلهي الى الله هو اذاً الطريق الى الحل الذي وحده يملك ان يجعل من دماغ الانسان سليماً قادراً على النظر الى النور القرآني المستور عن غير أهله. والسير على هذا الطريق يستلزم التمسُّك بظاهر القرآن العظيم منهاجاً تعبُّدياً ونظاماً ضابطاً لكيفية المسير والسلوك. فالقرآن العظيم هو كتاب تعليمي أنزله الله ليأخذ بأيدي عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات على الطريق اليه فلا تضيع منهم القلوب والأبصار. والظاهر القرآني يحوي من العبادات ما إن تمسَّك بها الانسان مكّنته من أن يصبح بمقدوره ان ينظر الى القرآن العظيم فيراه على حقيقته الحقّة: نوراً موصولاً بالله يصل بالمتمسِّك به الى الله عبوراً ناجزاً بأسرع وقت وعلى أقصر طريق. ان معارف ومعلومات الظاهر القرآني بيننا وبينها حجاب بمستطاع كل مَن كان ذا عقل سليم

ابستمولوجياً ان يخترقه ليُصبح بمقدوره الاحاطة بها كتاباً معرفياً مُبيناً. أما الباطن القرآني فليس بوسع أحد اختراق ما بيننا وبينه من حجاب طاقي مادته نوره الخفي ما لم يكن من أهل العبور الذين وحدهم يستطيعون ان ينظروا اليه ويرونه نوراً حجابه النور. ان العبور الى الله يتطلّب طاقة لدُنية ليس بوسع الانسان ان يحصل عليها الا فضلاً من لدُن الله جزاء ما قام به من جهد صادق وسعي دؤوب جاد حثيث سائراً على الطريق الإلهي الى الله كما اراد الله. فطاقة العبور الى الله هي حبل الله المُمتَد منه الينا والذي ليست جدائله الا نوراً على نور. فالنور القرآني بوسعه ان يكون لنا طاقةً للعبور بنا الى الله اذا ما نحن اخترقنا الحجاب بيننا وبينه بعبّارة العبادات كما أجملها الظاهر القرآني العظيم. ولأننا لا نستطيع ان نفقه العبادات كما ينبغي تفصيلاً إلا تعلُّماً من مُعلِّم بدوره لذا كانت الطريقة مُمثَّلة بأستاذها المُعلِّم من قِبل استاذه المعلَّم من قِبل استاذه. . . الى المعلِّم الأعظم الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم هي الطريق لمعرفة التطبيق الأمثل للعبادات القرآنية التي حفل بها ظاهر القرآن العظيم. فأستاذ الطريقة يُعلِّم السائر على الطريق الإلهي الى الله ما هو كفيل بجعله يُحسن تطبيق العبادات التي جاء بها القرآن العظيم من صلاة وذكر وصبر وشكر وتوبة وإنابة وحسن ظن وتوكُّل وتقوى. وكيف لا وهو قد عُلِّمها من استاذه فاستاذه. . . الى سيدنا محمد صلّى الله تعالى عليه وسلّم المعلِّم الأعظم الذي قال في ربِّه (أدَّبني ربّي فأحسنَ تأديبي). فالعبادة جوهرها التأدُّب مع الله إطاعةً وحُسنَ ظن وتوكّلاً وصدقَ توبة وصحةَ إنابة. لذا تكفّلت الطريقة بجعل السائر على الطريق الإلهي الى الله يُلزِم نفسه بمنهاج تأديبي صارم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة في النفس الانسانية الا ولاحقها بعصا التهذيب والتشذيب المحمّدية. لقد أوجب الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم ضرورة التمسُّك بالقرآن العظيم منهاجاً تعبّدياً انضباطياً صارماً يُعلِّم العبد حُسن الأدب مع الرب وبعترته آل بيته صلّى الله تعالى عليه وسلّم أساتذةً مُعلِّمين هم القدوة والأسوة الحسنة ينظر اليهم الانسان ليتعلّم منهم حُسن الأدب مع الرب. قال رسول الله صلّي الله تعالى عليه وسلّم: **(إنّي تركتُ فيكُمُ الثَقلَينِ خَليفَتَينِ إن تمسَّكتُم بهما لن تَضِلُّوا بَعدي: كتابَ اللهِ حبلٌ مُمَدٌّ بين السماءِ والأرضِ وعِترتي أهلَ بَيتي ألا وانهما لن يفترقا حتى يرِدا عليَّ الحوض يوم القيامة).** فأستاذ الطريقة قرآن ناطق يتعلّم منه الانسان كيف ينبغي ان يكون مع الله على مدار الساعة. لذا كانت نظرية

المعرفة الجديدة تدعو الى التمسُّك بالطريقة دعوتها الى التمسُّك بالقرآن العظيم. فالطريقة هي الطريق الذي أسّس بنيانه التأديبي على ضوء المنهاج التعبُّدي الوارد في القرآن العظيم والذي جعل من استاذ الطريقة المثل المُقتدى به التزاماً تاماً بظاهر النص القرآني العظيم وتطبيقاً حرفياً لما جاء فيه من أوامر تعبُّدية وأحكام شرعية وتقيّداً بكل حرف فيه. ان العبور الى نور الباطن القرآني ليس بمتحقّق الا بالعبادة كما أرادها الله في قوله الكريم ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. لذا لم تكن نظرية المعرفة الجديدة الا دعوة خالصة صادقة للتمسُّك بظاهر القرآن العظيم منظومةً معلوماتية ـ معرفية ومنهاجاً معرفياً بوسعه ان يقود العقل السليم الى الله، اذا ما كان ساعياً حق السعي على الطريق اليه، والاستمساك بالعروة الوثقى مُمثَّلة بالعبادة كما جاء بها الظاهر القرآني العظيم جُملةً ووضّحها وبيّنها أساتذةُ الطريقة تفصيلاً وتطبيقاً وتبياناً. فالقرآن العظيم لا يكشف عن حقيقته ﴿نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥] الا لمن كان ذا عقل سليم وقلب سليم. وسلامة القلب ليس اليها من سبيل الا بالعبادة كما جاء بها نصُ الكتاب المبين (ظاهر القرآن العظيم). والنور القرآني، المستور عن غير أهله، ليس للتعرُّض اليه من سبيل الا بهذه العبادة الخالصة المُخلِصة المُخلَّصة التي جاءت الطريقة تبياناً تطبيقياً لها وبياناً لكل تفاصيلها تعلُّماً من معلِّم هو استاذها الذي ليس له الا ان يكون خير من يُطبِّق ظاهر النص القرآني العظيم ويلتزم به جُملةً وتفصيلاً. فنظرية المعرفة الجديدة لا يمكن ان تبدأ من فراغ! لذا كان لِزاماً عليها ان تتّخذ القرآن العظيم منظومة إحداثياتها المرجعية وحجر الزاوية لبُنيانها الابستمولوجي. فالقرآن العظيم هو أصدق وثيقة معرفية وقعت عليها يدا الانسان. وكيف لا والقرآن العظيم هو قول الله وذكره. تدبّر الآيتين الكريمتين: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. فلقد ثبت لدينا، عبر صفحات هذا الكتاب، ان السيرة الانسانية كما جلاّها القرآن العظيم هي قصّة الانسان الحقيقية التي لم يكن بوسعنا ان نُلِم ونحيط بها الا بتدبّرنا في آياته الكريمة. ان مَن يتدبَّر القرآن العظيم بقلبٍ ليس من قُفلٍ عليه لابد واجده كتاباً لم يكن لغير الله ان يأتي به. تدبّر الآيتين الكريمتين: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرونَ الْقُرآنَ أَمْ على قُلُوبٍ أَقْفالُها﴾ [مُحَمَّد: ٢٤]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾

[النّساء: ٨٢]. لذا لم يكن لنظرية المعرفة الجديدة ألاّ تستند الى القرآن العظيم بظاهره الذي هو نص الكتاب المُبين وباطنه الذي هو نور الله المُستتر عن أعين الناظرين الى سواه بقلوبهم. فظاهر القرآن العظيم يكفل لنظرية المعرفة الجديدة ان يكون بحوزتها كمٌّ معلوماتي موثوق تستند اليه مرجعاً معرفياً ودعامةً ارتكازية لبنيانها الابستمولوجي. وباطن القرآن العظيم يتكفَّل بجعلها، اذا ما هي أعدَّت للأمر عُدَّته، قادرة على الإفادة من نوره أداةً معرفية تتمكّن بواسطتها من سبر أغوار ما غُيِّب عن الوعي الانساني من مُغيَّبات حجابية تنتمي لعالمه ومُغيَّبات لاحجابية تنتمي لعالم ما وراء حجاب الأسباب. فنور القرآن العظيم هو أقوى أداة معرفية بامكان الانسان الحصول عليها اذا ما هو كان سليم القلب سليم الدماغ. ان النور القرآني المُقدَّس هو مفتاح العالم الالهي المحجوب عن الأبصار لفرط لُطفه واستخفائه. وهو مفتاح كل العوالم ما ظهر منها وما بطن. فالمعرفة الحقيقية هي المعرفة بنور القرآن العظيم الذي هو قبس من نور الله الذي وسع نوره السموات والأرض علماً وإحاطة وحِفظاً. لذا كانت نظرية المعرفة الجديدة داعيةً الى القرآن العظيم، باطناً وظاهراً؛ نوراً مُستتراً وكتاباً مُبيناً، كلماتٍ لا تنفد ونصّاً مُحدّداً بِسُوَرِهِ وآياته الكريمة كلّها جميعاً. فلا وصول الى القرآن العظيم الا بالقرآن العظيم. فباطن القرآن العظيم (**النور الالهي المستور عن غير أهله**) لا يُتاح للإنسان الوصول اليه والتعرُّض له الا بواسطةٍ من ظاهره. فالعبور الى النور لا يكون الا بعبّارة العبادة كما أجملها النص القرآني العظيم وكما فصّلتها الطريقةُ نهجاً على خُطى الاستاذ الأعظم سيّد العابرين الى الله سيّدنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم. لذا كانت نظرية المعرفة الجديدة داعية الى العبادة الجادّة المخلصة الملتزمة طالما لم يكن من وصول الى النور، مفتاح باب مدينة العلم، الا بها. لقد كان الله مُعلِّم آدم الأسماء كلّها: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: من ٣١]. والله هو الرحمن الذي خلق الانسان وعلّمه البيان: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١ ـ ٤]. ثم انه هو الذي علّم الانسان ما لم يعلم: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العَلَق: ٣ ـ ٥]. فالانسان مهما اجتهد بعقله فلن يكون أبداً بمستطاعه، وحده، ان يعرف الا ظاهراً من الحياة الدنيا لا علاقة له بمصيره

وماضيه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: من ٦ ـ ٧]. والانسان لن يستطيع يوماً ان يصل الى اكتشاف ما غُيِّب عنه من غيب في عالم الحجاب فما بالك بغيب ما وراء هذا العالم الحجابي؟! لذا فان الله الذي سبق وان علّم أبانا آدم الأسماء كلّها هو استاذنا الذي بوسعنا ان نأخذ عنه من العلم ما ليس بمقدورنا الوقوع عليه إلا عنده. لقد علّم الله الانسانَ ما لم يعلم؛ فعلَّمه ان له ربّاً وأنه سيحشره اليه ليحاسبه على أفعاله في حياته الدنيا وانه سيخلق جنة وجحيماً لهذا الغرض. فاذا كان الانسان قد عُلِّم كل هذا بالقلم الالهي، الذي خطّ صحُف ابراهيم وألواح موسى وسطر التوراة والأنجيل والقرآن العظيم، فلماذا لا يُسارع الانسان الى الله ليكون مُعلِّمه الذي سيُعلِّم من لدُنه ما يعجز عن الاحاطة به بعقله الخارق وان عاش آلاف السنين؟! ان الله الذي أرانا مقدار ما بوسعنا ان نحصل عليه من علم اذا ما نحن التجأنا اليه قادر على ان يُعلِّمنا من لدنه علماً لا وصول اليه الا به. فنظرية المعرفة الجديدة لا تملك الا ان تكون داعية الى الله طالما ثبت لديها عجز العقل الانساني عن الوصول الى الحقيقة بمفرده وطالما تكشَّف لها ان الله وحده هو مَن بوسعنا ان نتَّخذه استاذنا القادر على تعليمنا ما لا علم لنا به وما لا قدرة لنا على الوصول اليه وما ليس من سبيل لمعرفته الا بعلم من لدُنه. ان نظرية المعرفة الجديدة لا تملك الا ان تكون ابستمولوجيا مؤمنة بالله طالما لم يكن هناك الا الله وحده مَن يستطيع انقاذنا من جَهالتنا التي هي قَدَر عقلنا الانساني وتخليصنا من لاأدريّتنا التي وُلِدنا بها ولن نفقدها الا بتعرُّضنا لنوره الذي وَسِع كل شيء علماً. ان حل مشكلة اللاأدرية الانسانية لا يمكن ان يكون الا حلاً إلهياً مادام الله هو مَن خلق الانسان ومادام الانسان هو الذي أوقع نفسه بنفسه في هذه المشكلة وذلك بإعراضه عن الله الذي خلقه فسوّاه فعدَلَه! ان نظرية المعرفة الجديدة تدعو جَهاراً الى الله؛ أياساً من سواه وأملاً به، هو لا بغيره، وإيقاناً منها بأنه هو الذي يملك مفاتِح الغيب كلّها جميعاً.

٨ ـ ١٥ (ب) الحقيقة القرآنية: طاقة غيبية ونورٌ من أنباء الغيب

لنتدبّر الآيات الكريمة: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا

﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٨٠]. لقد أقسم الله بمواقع النجوم، التي تُقدَّر المسافات الفضائية ما بينها بالسنين الضوئية، على ان للقرآن العظيم باطناً مكنوناً محفوظاً في كتاب غير مرئي لا يستطيع ان يمسَّه ويقرأ فيه الا المُطهّرون الذين طهّر الله قلوبهم من العيب الانساني المتوارث عن آدمَ الآكل من الشجرة فجعل من أدمغتهم خالية من أية أضرار نجمت عن تلك الأكلة الكارثة. ان مَن يُفسِّر الكتاب المكنون المذكور في هذه الآيات الكريمة بأنه الكتاب الذي يحوي بين دفَّتيه النص القرآني المُقدَّس يريدنا ان نؤمن معه بأن القرآن الكريم هو مجرد كتاب ظاهر للعيان ليس الا! وهذا زعم باطل لا يتفّق مع ما ذكره الله في قرآنه العظيم من أن القرآن الكريم هو ﴿نورٌ وكتابٌ مُبينٌ﴾. فالقرآن العظيم هو كتابٌ مكنون وكتابٌ مُبين: كتاب لا يمسّه الا المُطهَّرون وكتاب مُيسّر للتدبُّر يبحث عن من يدَّكِر. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾. فالكتاب المُبين هو النص القرآني المقدّس المُؤلَّف من كامل آيات الذكر الحكيم. وهذا الكتاب المُبين هو كتاب ظاهر للعَيان بمستطاع كل من أراد الخروج من ظلُمات الجَهالة وأعدَّ لهذا الأمر عُدَّته ان يتدبَّر نصَّه المُقدَّس الذي بمقدوره ان يجعل منه مُتيَقّناً من ان الله هو مَن خطَّ كلماته المُقدَّسة بيمينه. والكتاب المكنون هو نوره المستور عن غير أهله من المُطهَّرين الذين طهَّرهم الله من كل آثار تلك الأكلة الكارثة. فالكتاب المكنون المستور المحفوظ هو بمنأى عن ان تصل اليه أيدي من أُغفل قلبه عن ذكر الله لفرط تشاغله عن ربه بسواه. فهو كتاب باطني غير ظاهر مستور عن الأبصار لا البصائر. فنور القرآن العظيم حق لا لبس فيه كما ان ما بين النجوم من مسافات شاسعة لا تُرى بالعين المجردة حقٌ لا مَراء فيه. فالناظر الى السماء ليلاً لا يُخيَّل اليه أبداً ان ما بين النجوم التي ينظر اليها بعين رأسه وبينه من بُعد مسافات لا قدرة له على تصوُّرها وتقديرها حق قَدْرها التي هي عليه حقيقةً. فهو لا يستطيع ان يتخيَّل انها لا تبعد عن بعضها البعض بمسافاتٍ ليس له القدرة على تصوّرها! فالمسافات الفضائية التي توجد بين النجوم ليس لانسان من غير علماء الفلك ان يُقدِّرها حق قدْرها فيعرفها على ما

هي عليه حقيقةً وواقعاً. والقرآن العظيم ليس لانسان لم يُطهِّره الله ان ينظر اليه ليراه على ما هو عليه حقيقةً: نوراً من لَدن الله نور السموات والأرض. فظاهر القرآن العظيم حقٌ مُبين لا قدرة لأحد بعقل سليم ابستمولوجياً على ألاّ يخرج من بعد تدبُّره فيه بنتيجةٍ مؤدّاها ومَفادها انه من عند الله حقاً وحقيقة. أما باطن القرآن العظيم فهو نور لا يستطيع ان يراه مَن لم يكن طاهراً من كل آثار أكلة أبينا آدم يوم ان كان في الجنة. فمادام الانسان لم يتطهَّر بعدُ من تلك الآثار فلن يكون بوسعه ان يمسَّ الكتاب المحفوظ بعيداً عن غير المُطهَّرين الذين طهَّرهم الله فجعلهم في أحسنِ تقويم ومكَّنهم من النظر الى ما حُجِب عن غيرهم ليروا ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطرَ على قلبِ بشر. فهذا الكتاب حافظ للسر القرآني العظيم يحول دون ان يصل اليه أحد من غير مَن طهَّرهم الله. فهو ليس الا واحداً من تلك الكتب التي من بيننا وبينها برزخ وحاجز وحجاب لا سبيل لاختراقه الا بالله. فالكتاب المكنون، الذي حُفظ فيه نور القرآن العظيم حتى لا يمسَّه الا المُطهَّرون، لن يستطيع ان يعثر عليه أحد مادام هو كنز الله الأعظم الذي لا قدرة لمن لم يكن من أهل الله على العثور عليه والعبور اليه. فنظرية المعرفة الجديدة اذ تدعو الى العبور الى نور القرآن العظيم فانها تدعو مَن أراد ان يعبر الى عالم الكتاب المكنون ان يكون من عباد الله الذين استحقّوا تدخُّله ليُطهِّرهم من كل تَضرُّر يحول بينهم وبين ان يكون بمستطاعهم مغادرة عالم الحجاب الى ما وراء هذا الحجاب.

ان المتدبِّر في القرآن العظيم لا يمكن ان يخرج الا بأنه كتاب من عند الله. فليس لأحد الا الله ان يعلم أنباء الغيب الذي غُيِّب عنّا لفرط ابتعاده عنّا زماناً ومكاناً وتجلّياً. فهل هناك من أحد الا الله بوسعه ان يعرف قصَص آدم مثلاً؟ فالعقل السليم ابستمولوجياً ليس بمستطاعه ان ينظر الى القرآن العظيم فلا يراه كتاباً اِلهياً مُبيناً ناطقاً بأن الله هو الذي أنزله بالحق. والقلب السليم بايوالكترونياً لا قدرة له على ألاّ تنعكس عنه طاقة نور الله المُلازِمة لظاهر نص القرآن العظيم وبما يجعل منه عاجزاً عن ان يرى في آثار هذا النور الالهي وهي تتجلّى حواليه ظواهراً مُعجزة غير برهان قاطع بأن هذا النور هو بحق نور الله المُبين لأهله والمكنون عن غير أهله. فكما ان كلام القرآن العظيم لا يمكن ان يكون من عند

غير الله فكذلك نوره المكنون لا يمكن ان يكون الا من الله. فالنور القرآني المكنون هو من الله كما ان الروح التي ينفخها الله في الانسان هي من روحه وكما ان الكلام الالهي هو كلام الله. ان النور القرآني المكنون هو السبب الفيزيائي لحدوث الظواهر المعجزة التي ترافق مَن يواظب على قراءة القرآن العظيم ومَن لا ينقطع عن ذكر الله والأوراد التي استخرجها اساتذة الطريقة من آيات القرآن العظيم. ان علم التصوّف مستند الى الحقيقة الباطنية للقرآن العظيم. أما التصوّف فهو القيام بما يتوجّب على الانسان العابد القيام به تجاه القرآن العظيم من التزام تام بالتطبيق الحرفي لظاهر نص كتابه المُبين عبادةً وسلوكاً وخُلُقاً وذكراً. فالتصوّف هو التطبيق الأمين لشريعة القرآن العظيم وعلم التصوّف هو العمل بنور القرآن العظيم. ان كثيراً من فروع علم التصوّف (الجَفْر الجعفري مثلاً) تقوم على هذا الاساس؛ فهي تستند الى النور القرآني المكنون في التجلّي ظواهراً معجزة بأيدي مَن يُحسن تسليط هذا النور العظيم على الوجود ومفرداته الواقعية. تدبَّر الآية الكريمة: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] والآية الكريمة: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]. لقد دُكَّ جبل موسى بتجلّي الله له بنوره الأعظم كما تصدَّع الجبل الذي أنزل عليه القرآن العظيم خاشعاً لنوره المكنون. ان هذا دليل قاطع بأن النورين هما نورٌ واحد هو نور الله الذي ليس كمثله شيء. ان تصدُّع الجبل لفرط ثِقل النور القرآني المكنون الذي سُلِّط عليه بتنزيل الله القرآن العظيم عليه حقيقةٌ بوسعها ان تُرينا مقدار القوّة الالهية القاهرة المكنونة في هذا النور المُصاحِب للكتاب المُبين الذي يحسبه الجاهلُ مجرد كلماتٍ اكتُتِبت، استغفر الله وحاشا لله! ان للنور القرآني المكنون طاقةً عظيمةً بمقدورها ان تنسِفَ الجبال نسفاً فتجعلها قاعاً صَفصَفاً لا ترى فيها عِوَجاً ولا أَمتاً.

٨ ـ ١٦ استاذ الطريقة: القائد الضرورة على الطريق الإلهي الى الله

يجب ان ننتبه جيداً لنتبيّن الفرق بين الوصول الى الله والنجاة من عذاب

الله. فالنجاة من عذاب الله ليست رهناً بالوصول الى الله فلا تتم ولا تتحقّق الا به. ان الوصول الى الله مرحلةٌ متقدمة على الطريق الإلهي الى الله وهو هدف لا يتوجّب على الانسان ضرورة السعي لتحقيقه. فالانسان مُطالَب بالعبادة الجادة المُلتزمة وذلك ليتسنّى له إصلاح بُنيته الإنسية المتضرِّرة حتى لا تكون عاقبةُ أمره خُسراناً مُبيناً في الدنيا والآخرة. والنجاة من عذاب الله لا تتطلّب تحقُّق الوصول الى الله. فالانسان العابد بوسعه ان يسير على الطريق الإلهي الى الله فيقطع من المرحل التعبّدية ما هو ضروري لوصوله الى النجاة من عذاب الله بتحقُّق إصلاحه لبُنية دماغه المُتضرِّر. والانسان العابد بمقدوره أيضاً ان يُتابع التقدُّم والترقّي الى أعلى على الطريق الإلهي الى الله حتى يصل الى الله عبوراً من وجوده بقوانين الله في عالم حجاب الأسباب الى وجوده بالله في عالم ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ حيث لا قانون الا الله فاعلاً بلا حجاب من قوانين أو أسباب. الا ان هذا العبور الى الله ليس بمطلوب من الانسان اذا ما هو لم يسعَ اليه بارادته واختياره ورغبته. فما هو مطلوب منه ليس بمتجاوزٍ قيامه بالضروري من العبادات التي بوسعها ان توصله الى النجاة من عذاب الله. لقد يسَّر الله للانسان الطريق اليه فجعله طريقاً بمستطاعه ان يسير عليه شريطةَ التزامه بقوانين السير والسلوك تأدُّباً معه وحُسن انقياد اليه. ولقد جعل الله هذا الطريق مُيسَّراً لكل مَن اجتهد وسعى مُجاهداً في الله اليه. فالانسان بمقدوره ان يصل الى الخلاص من عذاب الله بجهدٍ فردي وسعي ذاتي اذا ما هو جدَّ حقاً واجتهد في سيره على الطريق الإلهي الى الله من بعد تقيُّده بقواعد المسير وتأدُّبه بضوابط السير والسلوك. الا ان قدرة الانسان على قطع مراحل الوصول الى الخلاص من عذاب الله بسيره على الطريق الإلهي الى الله لا تعني تمكُّنه من القيام بذلك على الوجه الأمثل وحده وبمفرده! فقواعد المسير والتأدُّب والانضباط على الطريق الإلهي الى الله تُلزِم الانسان الراغب في السير الى الله بوجوب اتّخاذه استاذاً مُعلِّماً مُعلِّماً يضع يده بيده ويتعلَّم على يديه. وهذا الاستاذ لا يُشترَط ان يكون حاضراً ظاهراً في حياة الانسان. فقد يكون نبياً توفّاه الله من بعد ان ترك في أمّته كتاب الله الذي أُنزل معه ليكون لهم نوراً وضياءً وكتاباً مُبيناً. فالنبي في أُمته استاذهم ومعلّمهم الذي يُعلِّمهم ممّا علَّمه الله من علم اختُص به حتى اذا ما توفّاه الله ولم يخلفه نبيٌّ من بعده كان حقيقاً على أُمته ان تتمسَّك بكتاب الله وبما عُلِّموه من قِبَل آستاذهم قبل توفّيه من قِبَل الله.

لذا كان النبي من بعد توفّيه استاذاً غائباً بجسده حاضراً بكتاب الله الذي أنزل معه وهو بين ظهرانيهم وما سنّه لهم من خُلُقٍ يتوجّب عليهم ان يتمسّكوا به تمسُّكهم بكتاب الله المُنزَّل عليه. كان اذاً على مَن يرغب في السير الى الله مُتَّخذاً من هذا النبي المتوفي استاذاً له ان يتمسَّك بخليفتَيه من بعده: كتاب الله الذي أنزل معه وسُنَّته التي كان بها النبي في حياته أسوةً حسنةً وقدوةً مُثلى. لذا كان الاستاذ الخفي هذا حاضراً في كتاب الله ما بقي كتاباً لا تصل اليه يدُ من يُحرِّفون الكَلِم عن مواضعه ومَن يجعلونه قراطيس يُبدون كثيراً منها ويُخفون كثيراً! وكان الاستاذ الخفي هذا غير غائب مادام خُلُقه باقياً غير مُندرِس ومادامت سُنَّته قائمةً ليست بمندثرة! كان على السائر الى الله ان يتمسَّك بهذا الكتاب وتلك السُنّة بكل ما في قلبه من قوة وذلك ليتم له الوصول الى الخلاص من عذاب الله بجهده وتعبه وجهاده. الا ان القابض على دينه من أُمة النبي المتوفّى كان كالقابض على جمرة من نار طالما لم يكن هناك من نبي يخلف نبيّه المتوفّى وطالما كان البشر سريعي العودة الى ماضيهم العَفِن ما ان يُخلَّوا وشأنهم دونما قيادة من نبي ظاهرٍ حاضرٍ شاهدٍ عليهم بشخصه وجسمه! الا ان صعوبة الوصول الى الخلاص من عذاب الله لم تكن لتعني استحالة تحقيق ذلك مادام السائر الى الله قد تمسَّك بخليفتَي نبيّه واجتهد بكل ما في قلبه من عزم واخلاص ان لا يُخلّي نفسه وهواها. لذا كان مَن يصل الى الخلاص من عذاب الله هم النسبة الأقل من أقوام الأنبياء السابقين مادام الانسان، أي انسان في كل زمان ومكان، لا يستصعب شيئاً قدر التزامه بالعهد والبيعة صدقاً واخلاصاً وثباتاً! الا ان ظهور الرسول محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم كان ايذاناً بفجر عصر جديد من العلاقة بين الانسان وربّه وذلك من بعد نجاح الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم في العبور الى الله وصولاً الى قاب قوسين أو أدنى وفناءً في الله تحلّياً بصفات العبد المثلي الذي أطاع الله فكان مثله يقول للشيء ﴿كُن فَيَكُونُ﴾. لقد بدأ هذا العصر الجديد الذي افتُتح بالرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم سيّداً للعابرين الى الله واستاذاً للفانين فيه لفرط عشقهم لمن هو ليس كمثله شيء. فعصر الفناء في الله حلَّ بولادة سيّدنا محمد صلّى الله تعالى عليه وسلّم فجر يوم الجمعة ٢/ ٥/ ٥٧٠ م ولم يختفِ بمفارقته صلّى الله تعالى عليه وسلّم هذا العالم الحجابي بالجسد. فعصر العبور الى الله ظلّت بوابته الذهبية مُشرعةً تنتظر مَن يغُذ السير على الطريق الإلهي الى

الله مجتهداً مجاهداً في الله على هذا الطريق الذهبي الذي شقّه سيدنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم بحُسن تأدُّبه مع الله كما لم يفعل أحدٌ من باقي خلق الله. لقد شُقّ هذا الطريق الذهبي ليكون الطريق الى الوصول الى الله عبوراً وفناءً وتواجداً معه بلا وساطةٍ من حجاب القوانين الالهية التي سلّطها الله على خلْقه في عالم الحجاب. لذا لم يكن الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم ليترك فينا ما تركه من قبله أنبياءُ الله في أممهم. فالرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم لم يترك فينا كتاب الله وسنّته فحسب بل ترك فينا خليفةً آخر لم يكن بمقدور أحد من الرسُل قبله صلّى الله تعالى عليه وسلّم ان يجعل نظيراً له في قومه. فلقد ترك الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم فينا خليفتَين هما كتاب الله وعِترته من أهل بيته صلّى الله تعالى عليه وسلّم. فعترة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم هم المصطفون المُنتخبون المُختارون من آل بيته صلّى الله تعالى عليه وسلّم من الذين آختيروا ليكونوا خلفاء الاستاذ الأعظم صلّى الله تعالى عليه وسلّم يُعلّمون مَن يرغب بالسير على الطريق الإلهي الى الله ما تعلّموه عن استاذهم صلّى الله تعالى عليه وسلّم. لقد تدخّل الله تدخُّلاً مباشراً هذه المرة فلم يدَع كتابه الذي أنزلَه على صدر رسوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يُلاقي مصير الكتب التي سبقته! فلقد تعهّد الله كتابَه العظيم القرآن الكريم بالحفظ فكفل له ان يبقى بمنأى عن أيدي مَن كانوا سيُحرِّفونه كما فعل نُظراؤهم من أهل الكتاب من قبل! فالقرآن العظيم كتاب ذكْرٍ تعهَّد الله بأن يكون له حافظاً فلا تصل اليه أيدي الناس. فلو لم يكن على هذا القرآن العظيم من الله حافظ لكان مصيره مصير الكتب التي أرسلها الله الى الناس أمانةً فلم يرعَوا الأمانة اذ بادروا الى تحريف الكَلِم من بعد مواضعه فور توفّي الله أنبيائهم! لقد جعل الله من قرآنه العظيم برهاناً ساطعاً على حقّانية موجوديّته إلهاً فاعلاً في الدنيا من وراء حجاب الأسباب قادراً على التأثير والتدبير تدخُّلاً مباشراً في سير أعمال عالم الحجاب هذا. فلو لم تكن على هذا القرآن العظيم من الله جنة لما كان ليبقى هذا القرآن الكريم بمنأى عن التحريف والقرطسة والاخفاء والحرق! لقد جعل الله آية آياته وتاج براهينه بقاء هذا القرآن العظيم سالماً من كل تدخّل بشري حاقد لئيم سليماً من كل تغيير كان ليقوم به مَن نصَّبوا من أنفسهم حُماة ظاهر نصّه، يُغيِّرون ما يرونه لا يُوافق ما تهوى أنفسهم وما لا يتّفق مع هوى الناس، لولا جنة الله ووقايته. ان المُتدبِّر في

مصير ومآل كتب الله التي أرسلها الله الى أهل الكتاب لابد وان يتلمَّس آثار تدخُّل الله المباشر في الحِفاظ على هذا القرآن العظيم من أن يكون مصيره ما آلت اليه تلك الكتب. فكتاب الله الأعظم (القرآن العظيم) يبرهن لكل مَن يتدبّره انه لا يمكن ان يكون من عند غير الله. والآن اذا كنّا لا نجد بين أيدينا كتاباً إلهياً الا وقد غُيِّر كُلِّيةً، جملةً وتفصيلاً، الا هذا القرآن العظيم فهل بوسعنا ألاّ نخرج بنتيجة واحدة مُؤدّاها ان هناك إلهاً قادراً فاعلاً، من وراء حجاب، تدخَّل ويتدخّل للمحافظة على هذا الكتاب الكريم من أن تقوم بتغييره أيدي الناس الذين لا يتغيَّرون مهما مرّت من أزمان ومهما جاءهم من رسول؛ فهُم هُم في كل زمان ومكان؛ تشابهت قلوبهم وتواصَوا به! فهم أكثر مَن في الأرض الذين إن تُطِعْهم يُضلّوك عن سبيل الله. اذاً يكفي بقاء القرآن العظيم تماماً كما انزله الله، بشهادة ما فيه من ظاهر علم لا سبيل للوقوع عليه في مكان آخر وباطن نورٍ لا وجود لظاهر نصّه الا به يرآه مَن كان مؤهّلاً للنظر الى الله بقلب لا يرى سواه، برهاناً على ان الله حقٌّ وان الذي حافظ على كتابه الكريم من أن يؤول به الأمر الى ما آل اليه حالُ كتُب الله السابقة لابد وان يكون هو الله الحق. كما ان الله لم يكتفِ بالمحافظة على قرآنه العظيم فحسب بل قام بالمحافظة على سُنَّة نبيّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم من أن تضيع وتندرس وتندثر لتُصبح أحاديث كما ضاعت سُنن الأنبياء السابقين. فلقد تكفَّل الله بجعل هذه السُنّة المحمّدية الشريفة محفوظةً في سيرة حياة كل واحد من أساتذة الطريق الإلهي الى الله من بعد الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم. فكل استاذ للطريق الى الله كان سُنّةً محمّدية ناطقةً وذلك لكونه القدوة المتأسّي بالقدوة الأعظم صلّى الله تعالى عليه وسلّم في سكناته وحركاته تأدُّباً مع الله عبادةً وذكراً وخُلُقاً. فلم يدَع الله سُنّة نبيّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم تضيع بل حفظها في هؤلاء الأساتذة الأطهار الذين تعلّموا على يد المُعلِّم الأعظم صلّى الله تعالى عليه وسلّم. لذا كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حاضراً فينا بكتاب الله المحفوظ بالله وبسنّته صلّى الله تعالى عليه وسلّم المحفوظة في سيرة حياة كل مَن خلفَه من بعده صلّى الله تعالى عليه وسلّم استاذاً للطريق الى الله. ولنا في ما بين أيدينا من كتُب تناثرت فيها السُنّة المحمّدية الشريفة خير دليل على كون هذه السُنَّة لم يحفظها الله في كتاب! فكيف تكون هذه الكتب كلّها جميعاً صادقةً وفيها الضعيف والمدخول والمنحول والمُصنّف

على انه من الاسرائيليات؟! فلو انها كانت حقاً حافظةً للسُنّة المحمّدية الشريفة لتجلّى ذلك في خلوّها من كل دخيل ولما كان يعتورها نقص ولا ضعف! لقد كفل الله لنبيّه صلّى الله تعالى عليه وسلّم ان يكون له خليفتان في أُمّته من بعده يُحافظ عليهما كليهما هما: القرآن العظيم واستاذ الطريق الإلهي الى الله. فكما حفظ الله قرآنه العظيم بتدخُّل مباشر من لدنه فلقد حفظ استاذ الطريق الالهي من أن يزل فلا يكون كما أراده رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم سُنَّته المحمّدية الناطقة بين الناس بالأفعال والخصال النبوية التي لا سبيل للتعرّف عليها عن كثب الا بالسير على الطريق الإلهي الى الله يداً بيد هذا الاستاذ المحمدي الخُلُق. ان السائر على الطريق الإلهي الى الله بوسعه ان يفيد من الاستاذ المحمّدي الذي جعله الله باباً للطريق اليه وذلك لأنه المُعلِّم الذي بمقدوره ان يُريه السُنّة المحمّدية الشريفة متجسدةً متجلّيةً بأفعاله وخصاله وأقواله وأحواله. كما انه ليس باباً للعلم المحمّدي فحسب يأخذ عنه من العلم ما ليس هو بواقع عليه في مكان آخر الا عنده تعلُّماً من باطن وظاهر ما عُلِّمه. فالاستاذ المحمّدي ذو اتِّصال بالرسول صلَّى الله تعالى عليه وسلّم الموصول بالله. ان اتصالاً طاقياً كهذا بمستطاعه ان يعبر بك الى الله اذا ما أنت استعنت على ذلك بالجهاد الأعظم في سبيل الله وذلك بقتالك النفس بسيف الإخلاص في العبادة والاستقامة في السير على الطريق الإلهي الى الله. فطاقة العبور الى الله لا سبيل للحصول عليها الا اتِّصالاً باستاذ عابر الى الله. فالحجاب الطاقي بينك وبين الله لا تعبره بعبادتك مهما اجتهدت وذلك لأن العبور الى الله يتطلّب طاقةً هائلةً ليست تجيء الا عبوراً اليك لتعبر من ثم بك. فالخلاص من عذاب الله شيء والوصول الى الله شيء آخر! فخلاصك من عذاب الله لا يتطلّب طاقةً طالما لم يكن هناك من حجاب طاقي يتوجّب عليك اجتيازه عبوراً الى بر النجاة!

٨ ـ ١٧ الاستاذ المحمّدي: نورٌ وسُنَّةٌ نبوية ناطقة

كان حلول عصر عبور النور ايذاناً بنشوء علاقة جديدة بين الانسان وخالقه. فالعلاقة التقليدية للعبد بربّه كانت مُحدَّدةً بنمط مُميَّز لا قدرة للانسان العابد على تجاوزه. فلم يكن هناك من مَطمح تعبُّدي ينبغي على الانسان ان يسعى جاهداً لتحقيقه يتعدّى وصوله الى حال دائم من التعلُّق بالله يكفل له قيامه

بواجباته التعبُّدية بقلب سليم من الآفات البشرية. لذا كان على مَن يروم السير الى الله ان يسعى جاهداً بُغية وصوله الى هذا الحال الذي لا نجاة من عذاب الله الا بالدوام والمواظبة عليه طالما لم يكن خلاص الانسان من ماضيه المُتضرِّر ممكناً الا بتقيُّده بضوابط التعلُّق بالله كما فصَّلتها الوثائقُ الدينية التي أرسلها الله مع رسله. كان بوسع الانسان في عصر العبادة التقليدية ان يصل الى النجاة من عذاب الله وذلك بحصوله على قلب سليم عن طريق تعلّقه بالله كما فصَّل أشواطه وشروطه رسُلُ الله. ولقد كان التعلُّق بالله قائماً على أساسٍ من ذؤابتي الرغبة والرهبة؛ رَغَباً في الفوز بنعيم الله وأنعُمه ورَهَباً من الوقوع تحت طائلة عذاب الله. لذا لم يكن هناك من داعٍ لوجوب ان يتعلَّق الانسان بمطمح يتجاوز نجاحه في إقامة علاقة تقليدية بالله وفقاً لما جاءت به الوثائقُ الدينية السليمة من ضوابطٍ توجَّب عليه الانضباط التام بها والعمل الدؤوب على القيام بما أملته عليه من ضرورة تعبُّده لله خوفاً وطمعاً؛ رَغَباً ورَهَباً. لقد كان بمستطاع الانسان في عصر العبادة التقليدية ان يصل الى الحصول على قلب سليم اذا ما هو التزم بتنفيذ كل ما جاءت به هذه الوثائق الدينية عن ربّها. ولم يكن هناك من ضرورة لوجوب ان يكون الانسان على علاقة مع أحد غير ما بين يديه من علم بالعمل الذي يتوجّب عليه معرفته اطّلاعاً مباشراً على ما جاءت به الوثائق الدينية أو سماعاً من ربّاني عالم بالكتاب وما جاء فيه. فالانسان في ذلك العصر كان مُحدَّداً بنمط تعبُّدي لم يكن مُلزَماً بتجاوزه مادام ليس هناك مِن أحد آخر غيره قد بَزَّه تعلُّقاً بالله بعلاقة غير تقليدية ليس قَوامُها التعبُّد خوفاً وطمعاً رَغَباً ورَهَباً. كان بمستطاع الانسان اذاً ان يتعلَّق بالله بتعلُّقه بالوثيقة الدينية السليمة تعبُّداً لله على ضوء ما جاء فيها من أوامر وتعليمات. الا ان انسان عصر العبادة التقليدية كان مُلزماً بأن ينتصر للحق الالهي اذا ما جاءه مَن يحمل منه شيئاً مُصدِّقاً لما معه من كتاب إلهي. فلم يكن له ان يزّاور عنه وقد تبيّن له انه من عند الله كما هو الذي بين يديه. كان هذا بياناً تفصيلياً موجَزاً بأهم ما اتَّسم به عصر العبادة التقليدية من صفات لعلاقة العبد بربّه. الا ان عصراً جديداً بزغ مع اطلالة فجر يوم الجمعة ٢/ ٥/ ٥٧٠م. فبولادة سيّدنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم وُلِد نمط جديد لعلاقة الانسان بخالقه تجلّى بتجاوزٍ للصيغة التقليدية للعبادة وذلك بقيامها على أساس جديد فوق ذلك الاساس القديم الذي تميزت به العبادة التقليدية بقيامها على دَعامتَي التعلُّق

بالله رَغَباً ورَهَباً. فقد قامت العبادة، بصيغتها اللاتقليدية الجديدة، على دعامتَي التعلُّق بالله رَغَباً ورَهَباً وعلى دعامة اخرى لم يسبق لها وان ظهرت من قبل ولادة سيدنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم. وهذه الدعامة الجديدة هي التعلُّق بالله عشقاً وحُبّاً! فلقد شقَّ الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم طريقاً لاتقليدياً لتعلُّق العبد بربّه يتجاوز نقطة الشروع، تعلُّقاً بالله خوفاً من عذابه وطمعاً في ثوابه، الى الانطلاق منها، ومنها فقط، لاقامة علاقة جديدة قَوامها العشق الالهي رحلةً الى الله عن كل ما عداه وفناءً فيه عن كل مَن هم سواه. كان بمقدور الانسان العابد في عصر العبادة التقليدية ان ينكبَّ على عبادته فَيَصل باخلاصه فيها وجهاده بها الى الفوز بقلب سليم يؤهّله للخلاص من عذاب الله والفوز برضى الله. ولم يتوجّب على ذلك الانسان ان يكون على علاقة بأحد، مُعلِّماً كان ام استاذاً، يتَّبعه ليصل به الى الفوز بالقلب السليم هذا. كما ان الاستاذ لم تكن له من ضرورة في عصر لم يكن هناك من تعلُّق يستوجب مدّ يد العون القلبي لترتفع بالانسان من قعر بئر عالم الحجاب الى خارجه. ولكن ماذا عن الانسان في عصر العبادة اللاتقليدية الذي حل، رغم انوفنا، بين ظهرانينا ونحن عنه غافلون؟ هل يستطيع الانسان في هذا العصر المتجدّد أبداً ان يكون على علاقة تقليدية بالله؟ وهل يكفيه هذا وسيلةً لوصوله الى الفوز بالقلب السليم: أداة النجاة من عذاب الله؟ كان انسان العصر التقليدي للعبادة قادراً على الاتّكال على جهده الفردي ليصل بوساطةٍ منه الى القلب السليم فهل يكون بمستطاع انسان هذا العصر التعبُّدي الجديد ان يحذو حذوه فيكون بمقدوره الحصول على قلب سليم من دون اتّباعٍ لمعلم استاذ؟ كان الانسان قبل هذا العصر التعبُّدي المتجدِّد يكتفي بالوثيقة الدينيّة السليمة ليكون على علم بالعمل الذي يتوجّب عليه القيام به إثباتاً لصدقه في تعلُّقه الرَغَبي ـ الرَهَبي بالله فهل يستطيع انسان عصرنا هذا ان يكتفي بما بين يديه من علم بالعمل الكفيل بانقاذه من النار؟ كان الانسان مكتفياً بما لديه من علم كافٍ بالعمل الكفيل بجعله يفوز بقلب سليم فهل يستطيع انسان العصر التعبُّدي الجديد ان يكون كذلك مكتفياً بما بين يديه من الوثيقة الدينية، ممثَّلةً بالقرآن العظيم، ليُصبح بمقدوره الوصول بها الى الفوز بقلب سليم شريطة التزامه الحرفي بما جاء فيها من أوامر وتعليمات؟ ان الجواب على هذه الأسئلة جميعها: نعم بكل تأكيد. فالقرآن العظيم هو العُروة الوثقى التي ان تمسَّك بها

الانسان العابد كان في ذلك خلاصه من عذاب الله. ولكن ما فائدة الاستاذ اذاً طالما لم يكن هناك من موجب يستدعي اتِّباع غير ما جاء في القرآن العظيم؟ تقول الطريقة بأن الاستاذ ضرورة لابد منها اذا ما أراد الانسان العابد ان يصل الى القلب السليم. فكيف نوفِّق اذاً بين القرآن العظيم منهاجاً تعليمياً كافياً وبين الاستاذ قدوةً تطبيقية؟ ان الانسان قادر اذا ما هو اتّبع القرآن العظيم حق الاتِّباع ان يصل بمفرده الى الفوز بالقلب السليم. ولكن هل اذا ما كان الانسان قادراً على ان يتَّبع القرآن العظيم حق الاتِّباع فانه سيعمل حقاً على اتِّباعه حق الاتِّباع؟ ان تميز القرآن العظيم بالقدرة على ان يصل بمن يتَّبعه حق الاتِّباع الى الفوز بقلب سليم لا يعني ضرورة ان يقوم الانسان باتِّباعه! فلقد برهنت الايام على ان القرآن العظيم، المُيسَّر للذكر، في وادٍ ومَن يظنون انهم يتَّبعونه حق الاتِّباع في وادٍ آخر! والا فهل من تفسير لهذا الاختلاف العقائدي العجيب المُميِّز لأمة القرآن العظيم؟! لقد ولغنا في دم بعضنا البعض منذ عصر الاسلام الأول وكلّنا يدّعي انه يتَّبع القرآن العظيم حق الاتِّباع! فأين الحق اذاً؟ الحق مع مَن يتَّبع القرآن العظيم حق الاتِّباع وقليل ما هم! فهذا هو شأنهم دوماً أبد الدهر! فالكثرة باغية وان غلبت والقلّة ناجية وان غُلِبت. اذاً لقد برهنت الأحداث والوقائع على ان الانسان العابد لا يستطيع ان يبتدئ رحلته الى الله وحده طالما كان معظم مَن ابتدأوا السير قبله ضلّوا وما وصلوا! وكيف يكونون قد وصلوا القلب السليم وهم ما غادروا أنفسهم لحظة واحدة؟! تُلجِأنا الطريقة الى التاريخ نتدبّره لنخرج بنتيجة واحدة مَفادها ان القرآن العظيم لا قدرة له على جر من يزّاور عنه وان مَن يدّعي وصلاً بليلى ليس بصادقٍ حتى تُقِرَّ له ليلى بذاكا! اذاً تقول الطريقةُ لك إنَّ القرآن العظيم وحده قادر على جرِّك الى الله اذا، واذا فقط، ما أنت جررت نفسك الى الالتزام به لا كما يفعل السفهاء بل كما هو حقيق بك ان تفعل وانت لا مُنقذ لك الا هو. فما عليك من القوم وما يدّعون وما يدْعون وما يَدَعون! فهم في شِقاق والله كفيل بأن يكفيكهم اذا، واذا فقط، ما انت اتَّبعت قرآنه العظيم كما أمرك: حق الاتِّباع. الا انك واجد لامحالة ان اتِّباعك للقرآن العظيم حق الاتِّباع سوف يقودك حتماً الى مَن هو أعلم منك به وأعمل منك به. وهذا الذي سيقودك اليه نورُ القرآن العظيم من بعد اتِّباعك ظاهر نص كتابه المُبين حق الاتّباع حتى يأتيك اليقين هو الاستاذ الذي سوف لن تَعْدِم وسيلةً للتعرُّف اليه ولو كان بينكما بُعد

المشرقين مادام القلبُ صادقَ السعي الى الله! كان انسان عصر التعلُّق التقليدي بالله رَغَباً ورَهَباً لا يستطيع ان يهتدي بنور ما بين يديه من كتاب اِلهي الى استاذ غير متعلِّق بالله رَغَباً ورَهَباً؛ وما ذلك الا لأن هكذا استاذ لم يكن موجوداً في زمانه طالما لم يَحِن بعدُ عصر العبور الى الله بعبّارة العشق الالهي. الا ان نور القرآن العظيم كفيل بايصالك الى باب استاذ عاشق لله فانٍ فيه اذا ما أنت عملت بظاهر نص كتابه المُبين وذلك لأن عصرك هذا هو عصر العشق الالهي مادام هناك فيه مَن تعلَّقوا بالله عشقاً له وفناءً فيه. لقد تلازم القرآن العظيم والاستاذ المحمّدي خليفتين من بعد رسول الله صلّى الله تعالى عيله وسلّم. وأنت اذا ما تعذّر عليك ان تجد في مَن هم حواليك الاستاذ الخليفة الحق، لكثرة مَن يدَّعي وصلاً بليلى، فما عليك غير ان تلتزم القرآن العظيم، تتدبّره وتدَّكره كما أُمرت بظاهر نصِّه، وهو كفيل بنوره الالهي ان يقودك الى هذا الاستاذ الذي أُمِر بتيسير أمرك وجعلك تصل بكل سهولة الى مطمحك. فان كنت تريد القلب السيلم فهو معلِّمك ايسر السُبُل الى الفوز به. وان كنت تريد الله عشقاً له وفناءً فيه فهو استاذك الذي بمقدورك ان ترتقي بوساطته الى خارج بئر عالم الحجاب شريطة تفانيك في حب الله وصدقك في تعبُّدك له. فاستاذ الطريقة نور بحكم اتِّصاله باستاذه باستاذه بالرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم الذي من نور الله هو نوره كما ان القمر من الشمس نوره. واستاذ الطريقة سُنَّة نبوية ناطقة بالعمل المحمّدي الكفيل بجعلك تصل الى الفوز بقلب سليم ما ان تلتزم الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم اسوتك الحسنة في التعلُّق بالله عبادةً وأدباً. لقد منَّ الله علينا برسوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم نوراً وسُنَّةً نبوية. فنوره صلّى الله تعالى عليه وسلّم باقٍ من بعد رحيله الى ما وراء عالم الحجاب وهو ظاهرٌ على مَن خلَّفه استاذاً منيراً بنوره. كما ان سُنَّته النبوية الشريفة صلّى الله تعالى عليه وسلّم باقيةٌ الى يوم القيامة ينطق بها هذا الاستاذ بسكناته وحركاته ظاهراً وباطناً. فاذا كان الانسان العابد في عصر العبادة التقليدية لا يجد له من بني آدم مَن بوسعه ان يُعينه مِن بعد رحيل النبي فان الانسان العابد في عصرنا التعبُّدي المتجدِّد لَواجدٌ خير معين في هذا الاستاذ الآدمي الذي خُلِّف من بعد رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم مِنَّةً من الله وفضلاً عظيماً من لدنه على مَن شاء ان يتَّخذ الى ربِّه سبيلاً. فاذا كنت واجداً هذا الاستاذ لامحالة مادمتَ تتّبع القرآن العظيم كتاباً مُبيناً حق الاتِّباع

فلماذا يعجب القوم اذا ما أنت دعوتهم الى استاذك اذ تدعوهم الى اتِّباع القرآن العظيم؟! فاذا كان الانسان لا مناص له من ان يتَّبع القرآن العظيم حق الاتِّباع ليصل الى الفوز بقلب سليم ينجو به، وبه فقط، من عذاب الله واذا كان اتِّباعه هذا لظاهر نص الكتاب لابد وان يقوده، بنوره القرآني المكنون، الى الاستاذ المحمّدي لامحالة، فهل انت تُغالي اذ تدعو هذا الانسان الى القرآن العظيم والاستاذ المحمّدي كليهما ليبدأ السير على الطريق الإلهي الى الله ويده بيد استاذه الذي ان شاء ان يتثبَّت من حقّانية محمّديّته فما عليه غير ان يُلازمه حتى ينظر الى أحواله فلا يراها الا وقد تشكَّلت بنورٍ لا يمكن ان يكون مرجعه لغير ما وراء عالم الحجاب؟! لازِم استاذك الذي إن لازمته وجدت حياتك وقد أعيد تشكيل مفرداتها بطاقةٍ ليست منتمية لعالمك الذي كنت تألفه قبل شروعك باتِّخاذ الطريق الإلهي الى الله كل حياتك!

٨ ـ ١٨ الحقيقة المحمّدية (الاستنارة المحمّدية): حقيقة تجريبية ـ اختبارية!

لقد حلت تباشيرُ عصر العبور الى النور بولادة سيّدنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم فجر يوم الجمعة ٢/ ٥/ ٥٧٠م وذلك لأن الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم كان أول مخلوق على الاطلاق يتم له تجاوز الحدود الحجابيّة المفروضة عليه بسببٍ من خِلقته داخلاً من عالم الحجاب. فكل خلْق الله قاطبةً يفصل بينهم وبين الله حجابٌ خفي يجعل من العسير عليهم ان ينظروا عِبره ليروا الله. الا ان الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم استطاع ان يعبد الله كما لم يكن بمقدور أحد من خلْق الله أن يعبده فكان أن استحق ان تُمدَّ اليه يدُ الله من بعد تحقُّق وصوله الى مقام تعبُّدي لم يسبقه اليه أحد قبله. لقد مُدَّت يد الله الى يد سيّدنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم فأخرجته من عالم حجاب الأسباب الى حيث لا وجود الا لله. لقد منَّ الله على الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم بتمكينه من العبور اليه وليصبح بذلك أول العابرين الى النور؛ فكان سيّدنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم بحق سيّد العابرين من أُمته الذين شرعوا من بعدُ في اللحاق بأُستاذهم العابر الأول صلّى الله تعالى عليه وسلّم. ان رحلة العبور المحمّدي الى النور كانت البرهان التجريبي على ان الانسان بمستطاعه ان يصل بوساطةٍ من عبادته لله الى اختراق الحدود الحجابيّة التي يقبع داخلاً منها جميع خلْق الله من

روح وملائكة وجن وانس وحيوان ونبات. لقد عبر الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم الى النور على الرغم من خِلقته الطينية التي لم تَحُل بينه وبين ان يكون مع الله وحدهما حيث لا أحد آخر من الخلْق سواهما. ان العبور المحمّدي الى النور لم يتم الا بواسطة عبّارة العبادة العشقية التي أسِّس بنيانها التعبُّدي على دعامتَي التعلُّق الابراهيمي بالله رَغَباً ورَهَباً. فالعشق الالهي حبٌّ فريد بين العبد وربّه يبلغ ذروته في فناء المحب في المحبوب فناءً يُغيِّبه عن كل أحد سوى الله محبوبه الأوحد. وهذا الحب المحمّدي لله هو هديّة الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم لكل انسان يرغب في التعلُّق بالموجود الوحيد الحق. فلقد شقَّ سيّدنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم طريق العشق الالهي بصادق تعلُّقه بالله حبّاً له شديداً وفناءً فيه بالكُليّة وشرع هذا الطريق هديةً من لدُنه لكل مَن يرغب في السير عليه ليصل الى الله عبوراً يخترق حجاب الاسباب الى عالَم النور الالهي الذي لا يتواجد فيه مع الله شيءٌ من خلْقه الا مَن سبق وان عبر بيد الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم. فعالمنا الحجابي هذا هو العالم الذي يتواجد فيه الله وخلْقُه العاجزون عن ان ينظروا اليه فيروه. والانسان اذا ما هو أراد ان ينظر الى الله فيراه، وهو لمّا يعبر بعد الى الله، فما عليه الا ان يسير على الطريق المحمّدي ليكون بمقدوره عند تحقُّق عشقه لله ان ينظر الى ما حوالَيه فلا يرى حينها الا الله لعجْزه عن النظر الى سواه. لقد أحب الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم ربّه حتى مكَّنه الله من العبور يداً بيد اليه. ان العبور المحمّدي الى الله قد فتح الباب أمام كل مَن يود اللحاق بالله عاشقاً لربّه فانياً فيه حق الفناء وذلك لأن الله قد أنعم على حبيبه صلّى الله تعالى عليه وسلّم بطريقةٍ تُمكِّن مَن استقام عليها من العبور اليه؛ فهي طريقة العبور الى الله يداً بيد المصطفى صلّى الله تعالى عليه وسلّم. لذا كانت الطريقة هي طريقة العبور هذا الى الله. فالطريقة هي مسار الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم ابتداءً وشروعاً بالعبادة التقليديّة، تعلُّقاً بالله رَغَباً ورَهَباً، وانتهاءً بالعبور الى الله حيث لا أحد الا النور أصلاً اِلهيّاً وصوراً له منعكساً عمَّن سبق له وان عبر الى الله. فالنور اذ ينعكس عن رجال النور فهو نور كما ينعكس ضياء الشمس نوراً عن سطح القمر جاعلاً منه نوراً! فالله نور السموات والأرض والرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم نور من نور الله طالما كان من بعد عبوره اليه في حضرة نوره الذي لا يتعرَّض اليه أحد متواجداً معه الا

وانعكس عنه ليُصبح هو الآخر نوراً. فالنور الالهي اذ ينعكس عن المتواجد معه في حضرته فانه لا يتشكَّل الا وفقاً لما انعكس عنه وهو مَن غادر عالم الحجاب بمن فيه من خلَق الله كلّهم جميعاً فأصبح بعبوره الى الله فانياً فيه فاقداً لكل ما كان يُميِّزه قبل شروعه بالسير على الطريق الى النور. لذا فالنور الالهي لن يجد في مَن ينعكس عنه الا عبداً صقيلاً لا هوية له ولا خصائص تجعل من النور ينعكس حاملاً منها شيئاً! فالنور الالهي لا ينعكس الا عن العبد الصقيل الذي لم تعُد له من شخصيّة خاصة به لفرْط فنائه عشقاً في الله. لذا كان العبور الى النور كفيلاً بجعْل العابر نوراً بانعكاس النور الالهي عنه اَما وقد فقد بعبوره الى الله كل هوية له الا ما يُميِّزه من فناء في الله عنه وعن كل أحد آخر سواه! فالانسان لا يصل الى هذه المقدرة على جعْل النور الالهي ينعكس عنه الا بتحوُّله ليُصبح عبداً صقيلاً لا تضاريس له تُميِّزه. فهو قد فقد كل ما بمستطاعه ان يحول دون انعكاس النور الالهي عنه نوراً اِلهياً كذلك وذلك بفقدانه بشريّته وشيئيّته واكتسابه عبديّةً مطلقة لا سيادة لغير الله عليه معها. لذا لم يكن لغير العشق المحمّدي لله ان يصل بالانسان العابد الى النور مادام العبور الى النور يتطلّب منه ان يكون عبداً محمّدياً لله لا وجود في قلبه الا لله. فالعبد المحمّدي لله لا وجود له الا بالله ولا حياة له الا مع الله ولا نظر له الا الى الله ولا أحداً يراه اذ ينظر اليه بعينه الا الله. ان فقدان الشيئيّة باكتساب العبديّة المطلقة وذلك بالتحلّي بالعشق المحمّدي لله كفيل بجعل العابد العاشق يعكس النور الالهي كما هو وذلك طالما كان هذا النور المقدّس لا ينعكس الا كما هو. لذا كان العابرُ الى الله عابراً الى النور الالهي عاكساً له. فالعابر الى النور هو نور من نور الله طالما لم يكن له من وجودٍ شيئي يجعل من النور الالهي يأبى ان ينعكس عنه. فكل وجوده عبارة عن عبديّة مطلقة تجعل من هذا النور يُسارع الى التجلّي له لينعكس عنه نوراً ليس بمتميّزٍ عن النور الالهي. ان حقيقة سيدنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم هي هذه الاستنارة التي تحوّل بها من الطين الى النور. فالرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم كان انساناً بشراً مخلوقاً من طين الا انه عبدَ الله عشقاً له وفناءً فيه حتى عُبِر به صلّى الله تعالى عليه وسلّم اليه بالنور الالهي المقدّس فأصبح في حضرته نوراً اذ انعكس عنه صلّى الله تعالى عليه وسلّم نور الله الذي لا يكون أحد في حضرته متواجداً معه الا وانعكس عنه جاعلاً منه نوراً كما هو نورٌ. فالرسول

صلّى الله تعالى عليه وسلّم من بعد عبوره الى النور أصبح نوراً وذلك بانعكاس النور الالهي عنه حيث لا وجود في حضرة نور الله الا لمن لم يتبقَّ من وجوده شيء الا عبديته المطلقة لله. والرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم هو العبد الحق لله؛ يشهد له صلّى الله تعالى عليه وسلّم اسمه الكامل: محمّدٌ عَبْدُ الله! فالعبد الحق لله هو عبده العاشق له الفاني فيه، وسيّدنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم أول عبد عاشق لله؛ اذ لم يسبقه أحد الى عشق الله بقلب عبدٍ لا سيادة لأحد عليه الا لله. لقد عبر الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم وترك فينا ما إن تمسّكنا به أوصلنا اليه ليكون واحدُنا هو الآخر نوراً في حضرة الله: النور الأعظم. ان الطريقة هي طريق الانسان العابد العاشق الذي لن يجد نفسه الا وقد أصبح في حضرة الله نوراً من نوره طالما فنى عن نفسه في الله فلم يتبقَّ له منه شيء على الاطلاق الا عبديّته المطلقة لله. وبعدُ هل من كلام آخر في حضرة سيّدنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم؟ ان الحقيقة المحمّديّة هي هذه الاستنارة لا شيئاً آخر! فبشريّة الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم لا تتعارض مع ما تم لنا تبيانه بخصوص ما أصبحه سيّدنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم بعبوره الى الله. فبعبوره صلّى الله تعالى عليه وسلّم الى النور أصبح هو أيضاً نوراً. فهل هناك من داعٍ لأن نقول كما يقول الغُلاة من مُحبّي الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم بأنه كان نوراً منذ الأزل؟! وما الداعي الى القول بأن الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم هو من الله وليس مخلوقاً كباقي خلْق الله؟! لقد أحب الله سيّدنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم كما لم يحب أحداً من خلْقه. فهل كان الله ليحب مَن هو منه؟ وكيف يحب الله ذاته؟ لقد أحب الله سيدنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم لأنه عاشقُه وخير مَن عبدَه وتعلّق به ولم يُحبَّه لأنه من ذاته! والمسيح عيسى بن مريم لم يكن الا عبداً لله مخلوقاً ليس الا، وسيّدنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم لم يكن الا عبداً مخلوقاً الا انه خير خلْق الله كلهم جميعاً طالما كان أكثرهم تعلّقاً به. وكيف لا وهو عاشقه الفاني فيه عن كل ما هو سواه؟ تدبّر الآية الكريمة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجرات: من ١٣]. فكيف لا يكون خيرُ خلْق الله سيّدنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم هو أتقى خلْق الله جميعاً؟ ان مَن يبالغ في الظن بالرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم غير الحق يظن انه لا يفعل الا ما ينبغي على العاشق أن يقوم به من تضخيم لشخص

المحبوب، وهذا أمر مفهوم في عالم العشق والعُشّاق! الا ان ما يعنينا هنا هو ان نتبيّن حقيقة الحقيقة المحمّديّة لا كما توهّمها العشّاق ولكن كما يتوجّب على مَن يروم اللحاق بمعشوقه صلّى الله تعالى عليه وسلّم. فما هو في غياهب الأزل مُغيَّب عنّا ببرزخ زماني لا نستطيع له نقْباً. وما هو في غياهب الغيب ممّا غُيِّب عنا لفرْط جَهالتنا ونأينا عن الله لا يستحيل علينا ان نُعلَّمه اذا ما نحن تذرَّعنا بالتقوى أساس العلم وأداته المعرفيّة الحقّة. فالله قادر على ان يُعلِّمنا من لدُنه علماً نعرف به حقيقة الحقيقة المحمّديّة وذلك بالقدْر الذي نستأهل ونستحق. ان كل ما هو حق وحقيقة قابل لأن يكون مشهوداً له كذلك من قِبَل الاختبار والتجربة. فهل الحقيقة المحمّديّة قابلة لأن تشهد لها التجربة ويشهد لها الاختبار بأنها حق؟ لقد قدَّمت الطريقةُ الطريق التجريبي ـ الاختباري للبرهان على ان الحقيقة المحمّدية حقٌ، وأيّم الحق، وذلك بتقديمها الطريق المحمّدي للوصول الى الله، بالسير على الطريقِ الى الله، وسيلةً للتيقُّن من أن الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم هو بحق نورٌ من نور الله.

٨ ـ ١٩ النور المحمّدي: نورٌ أزلي أم نورٌ أبدي؟ الحقيقة المحمّدية بين الأزلية والأبدية

ان للرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم نوراً مُشتقّاً من النور الالهي. وهذا النور المحمّدي حقيقةٌ بالامكان التثبُّت والتيقُّن منها شريطة اتِّباع المنهج التجريبي ـ الاختباري سيْراً على الطريق الى الله كما حدَّد معالمه وشرائطه سيّدُنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم. فالطريق الى الله نهايتُه في عالم الحجاب يبلغُها السائر عليه بوصوله الى الفناء في الله؛ حيث لا استمرار على هذا الطريق من بعد تحقُّق فناء العبد العاشق في ربِّه ولكن انتقال وعبور الى طريق آخر الى الله؛ طريق لا يسير عليه العابر اليه الا مع الله نوراً بنور. أما بداية الطريق المحمّدي الى الله فهي ارتحال الى الله عن النفس والأغيار وهي كبيرة الا على مَن أيقن تمام الايقان ان الله هو الحق وما دونه هو الباطل. والسائر على هذا الطريق المستقيم بصدق واخلاص وتفانٍ لابد وان يتعرَّض لانعكاس النور المحمّدي عنه انعكاساً يتجلّى ظواهر خارقة تشرع بالتحلُّق من حواليه وبملاحقته أينما حلَّ. وهذه الخوارق المحمّدية حقيقةٌ بالامكان التثبُّت والتيقُّن منها وذلك بملاحقة هذا

الانسان الذي صدق في سيره على الطريق المحمّدي الى الله. فالسائر على هذا الطريق، ملتزماً بضوابطه وصارم منهجه، لابد وان يستشعِر تدفُّق هذه الظواهر الغريبة وتفجُّرها من حوله. فهو لن يَعدِم وسيلةً للتأكُّد من انه مُلاحَقٌ وللتحقُّق من ان هناك مَن لا يَني يلاحقه في حلِّه وترحاله!! لذا كان تثبُّتنا من الحقيقة المحمّديّة، نوراً فاعلاً في هذا الوجود لطيفاً لما يشاء، ليس بالامر العسير. فما علينا الا ان نُلازِم مَن لا تَني تلاحقه الخوارقُ المحمّديّة لصدْقه في سيره على الطريق المحمّدي الى الله! ان مَن يُلازم مَن يسير على هذا الطريق متأدِّباً بخُلُقه لابد وان يعجب أيّما عجب وهو يركض لاهثاً خلف هدفه الذي تستبق معه اليه عجائبٌ وغرائب لم يسبق له وان التقاها وجهاً لوجه. لذا كانت الحقيقة المحمّدية حقيقةً تجريبيةً ـ اختبارية بامكان مَن يروم التحقُّق منها ان يجد في السائر على الطريق المحمّدي الى الله كل ما هو كفيل بجعْله يسارع الى مشاركته حياته في ظل هذا النور المحمّدي العجيب الذي لا يكف عن الانعكاس عنه على ما حواليه ظواهراً لا تفوقها خارقيّةً أيّةُ خوارق أخرى بامكانه الوقوع عليها في أي مكان آخر! ان الطريق المحمّدي الى الله هو الطريق الذي شقَّهُ الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم عبادةً خالصةً لله وتعلُّقاً عاشقاً به. وهذا الطريق هو الذي توارثه اساتذة الطريقة يداً بيد ونوراً بنور. لذا كانت الطريقة هي هذا الطريق المحمّدي الى الله بعباداته المخلصة وتعلُّقه العاشق بالله. فالنور المحمّدي ينعكس عن اساتذة الطريقة نوراً محمّدياً لا يني يتحلّق حواليهم. وكيف لا وهم أكثر خلْق الله حباً لله ورسوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم؟ فالحب هو آلة العبور. فبالحب يعبر اليك نورُ استاذك الذي هو انعكاس أمين للنور المحمّدي. وهذا النور العابر اليك من وراء حجاب عالم الأسباب هو السبب في ما تراه وتتلمَّسه حواليك من آثار لوجود الله ونور نبيّك صلّى الله تعالى عليه وسلّم. فالطريقة سلسلةٌ متَّصلةٌ حلقاتُها نوراً بنور ويداً بيد. فالنور الذي يعبر اليك منعكساً عن استاذك هو النور المحمّدي المنعكس عن سيّدنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم الذي هو في حضرة النور الالهي نوراً في عالم لا يوجد فيه الا النور. ان السير على الطريق المحمّدي الى الله، وفقاً لما جاءت به الطريقةُ من ضوابط وحدود، كفيل بجعل مَن يروم ان يعبر النورُ اليه يتيقَّن بعقله قبل قلبه من أنه قد اتَّخذ الى ربّه سبيلاً لا نظير له طالما كان هذا الطريق لا ينافسه طريق آخر الى الله غزارةَ

آياتٍ ووفرة دلالات تنطق كلّها جميعاً بأن عبور النور حقيقة واقعة وان النور المحمّدي حق واقع لا ريب فيه. والآن أما وقد تبيَّنت السبيل للبرهان على حقّانيّة التدخُّل المحمّدي بالنور الالهي في أحداث هذا العالم فهل الى التثبُّت من أزلية النور المحمّدي من سبيل؟ فنور الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم الذي اكتسبه بعشقه الله، تعلُّقاً فانياً فيه حق الفناء عمّا سواه، هو انعكاس للنور الالهي على وجوده العابر الى الله من ظلُمات عالم الحجاب. أمّا ان يكون النور المحمّدي أزلياً أزلية الله فهذا غُلوٌ لا مبرِّر له وذلك طالما كان الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم هو النور الأبدي بتحقُّق وصوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم الى حضرة النور في أعظم رحلة معراج تسنّى لمخلوق ان يقوم بها عبوراً من طين عالم الحجاب الى عالم النور. فلماذا نظن غير ظن الحق بالنور المحمّدي وهو قَبَسٌ من النور الالهي صارَه ولم يَكُنه؟ اذاً فالحقيقة المحمّدية هي حقيقة هوية الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم كما يكشفها السيرُ على الطريق المحمّدي الى الله: نورٌ محمّدي هو الانعكاس الأمين للنور الالهي. فسيّدنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم هو الصادق الأمين في حياته بين أهل عالم الحجاب وفي حياته صلّى الله تعالى عليه وسلّم نوراً في العالَمين: عالم حجاب الأسباب وعالم النور. فليست الحقيقة المحمّدية ان يُظَن بالرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم انه كان موجوداً منذ الأزل مع الله! فهذا قولٌ يناقض حقيقة النور المحمّدي كما برهنت عليها الطريقةُ التي هي الطريق المحمّدي الى الله. فلسيّدنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم وجود فاعل مؤثّر في مسار أحداث عالمنا الحجابي مُتسلِّط عليه تسلُّط السيد المالك على العبد المملوك طالما كان السيد المالك الحق هو مَن لا يُعصى اذا ما هو أمر وطالما كان أمره اذا أراد شيئاً ان يقول له كُن فيكون. فالرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم هو الفاعل في هذا الوجود بفعل كُن فيكون تدخلاً مباشراً بنور الله المنعكس عنه نوراً محمّدياً نسخةً صادقةً أمينةً منه. وهذا الفعل المحمّدي المُتسلِّط حق لا مَراء فيه وذلك طالما كان بامكان الطريقة ان تبرهن على تشابُكه وتغلغله في مفردات الوجود كافة. فبوساطةٍ من مفاتيح الفعل المحمّدي الخارق (الإمداد والادراك والاغاثة والتصرُّف) تبرهن الطريقة على اعجازيّة النور المحمّدي الذي لم تكن لتظهر أيَّةُ خوارق لولا تدخُّله نجدةً وغوثاً ومدداً ودَرَكاً وتحلُّق عجائب وملاحقة غرائب للسائر على طريق رسول الله

صلّى الله تعالى عليه وسلّم مقتدياً بخُلُقه الكريم وتأدُّبه العظيم مع الله. فالحقيقة المحمّديّة هي الوجه المخفي للطريقة. ان وجه الطريقة الظاهري هو الكرامات المحمّدية؛ تلك العجائب والغرائب التي بامكانها اقامة الحُجّة وتقديم البرهان على ان وجهها المخفي هو الحقيقة المحمّدية كما تبيَّنت بوجهها الحق نوراً محمّدياً من نور الله. فالحقيقة المحمّديّة بالامكان اقامة البرهان عليها مادامت هي حقيقة! والحقيقة المحمّدية، بعدُ، قابلة لأن يُبرهن عليها تجريبياً طالما كانت هي حقيقة الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم؛ أي حقيقة وجوده فاعلاً بنور الله في هذا الوجود فعل كُن فيكون. اذاً فأبديّة النور المحمّدي، والتي هي جوهر الحقيقة المحمّدية، هي الحق الذي ليس بحاجة لأن يُسبَّب بغير الحق فيُصار الى افتراض أزليةٍ للنور المحمّدي لا برهان للقائلين بها عليها الا اتّباع الظن. ان مَن يظن ان الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم بحاجة لأزليةٍ تُظَن بنوره ليس يعلم من حقيقته المحمّدية شيئاً! اذ كيف يُظن انه صلّى الله تعالى عليه وسلّم يحتاج هذه الأزلية وهو النور الأبدي الفاعل في هذا الوجود بنور الله؟! ان العارف بحقيقة وحق قدْر الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم من بعد عبوره الى النور لا تكبُرُ في عينه أزليةٌ كهذه التي يُريدنا القائلون بها ان نظنّها حقاً وحقيقةً! كما ان القائلين بهذه الأزليّة المُدَّعاة ينسون انهم يخالفون ظاهر نص الكتاب المُبين الذي بيّن الأمر حق التبيان وذلك عندما كشف النقاب عن ماضي الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم فلم يُظهر ما ادَّعاه القائلون بالأزلية! فلم يكن للرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم من وجود في حياة مَن سبقه من الأنبياء والصدّيقين والصدّيقات حتى يكون له وجود في ماضٍ سحيق لا يعلمه الا الله! لنتدبَّر الآيات الكريمة التالية:

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤]، ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: من ١١٣]، ﴿تِلْكَ مِنْ أنباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا فاصْبِرْ إنَّ العاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: ٣]،

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢]، ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٤٤ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٤٥ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٤ ـ ٤٦].

يتبيّن لنا بتدبُّرنا هذه الآيات الكريمة ان سيدنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم لم يكن له وجود قبل ان يولد بشراً يتيماً لا يعلم شيئاً من أنباء الغيب. فكل ما عرفه الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم من أنباء الغيب عُرِّف بها مِن لَدُن الله ومن الله. غير انه اذا كان القرآن العظيم لم يذكر شيئاً عن أزلية النور المحمّدي فانه لم يتضمَّن ما يتناقض مع أبدية هذا النور المقدَّس! فالقول بأزلية النور المحمّدي يُناقض ظاهر القرآن العظيم بينما لا يتعارض القرآن العظيم مع القول بأبدية النور المحمّدي طالما لم يَرِد فيه ما يقطع بعدم جواز ان يكون للنور المحمّدي وجود وان يكون هذا الوجود أبدياً. الا ان هذا ليس كل ما في الأمر. فالقرآن العظيم نورٌ وكتاب مُبين. واذا كانت الحقيقة المحمّدية هي ممّا غُيِّب في باطن الكتاب المكنون الذي لا يمسّه الا المُطهَّرون فان هناك وسيلةً للوصول الى التثبُّت من ان القرآن العظيم هو البرهان القاطع بأن الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم هو نور أصبحه بفنائه في الله. فاذا كان الكتاب المُبين للقرآن العظيم لا يذكر شيئاً بهذا الخصوص، ولا يعارضه في ذات الوقت، فان نور القرآن العظيم كفيل بالبرهان على ان للرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم نوراً هو هذا النور الحاضر في حياتنا ما حيينا بذكر القرآن العظيم تعبُّداً لله كما أمرنا به ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: من ١٥]. ان هذه الآية الكريمة هي البرهان القرآني المعجز على ان الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم هو نور أصبحه من بعد تحقُّق فنائه في الله عشقاً له وتعلُّقاً حقيقياً به. فنور القرآن العظيم هو النور الالهي الذي ينعكس عن الوجود المحمّدي العابر الى الله نوراً محمّدياً بظاهره هو النسخة الصادقة الأمينة لنور الله؛ هذا النور الذي لا يني يلاحق كل مَن اختار اللحاق بالله مادام سائراً على الطريق المحمّدي الى الله والذي يتجلّى

ظواهراً خارقة لا تشهد لها خارقيّتُها الا بأنها صنيعةُ الله حقاً. ان الطريق الى مَس النور القرآني العظيم الذي يحويه كتابه المكنون هي بأن يكون الانسان من المُطهَّرين. وحتى يكون المرء منهم فهو لابد وان يسير على الطريق المحمّدي الى الله؛ هذا الطريق القويم الذي بمستطاعه تطهير القلب من النفس والأغيار لِيُصبح بمقدوره من ثمَّ ان يُطهَّر بنور الله فينظر الى القرآن العظيم فيراه كتاباً مُبيناً بعقله السليم كما يراه كتاب الله المكنون الذي ما مسَّه الا لأنه أصبح من المُطهَّرين ذا قلبٍ سليم. ان القرآن العظيم يكشف النقاب عن الحقيقة المحمّديّة لكل انسانٍ استطاع ان يصل، بسيره على الطريق المحمّدي الى الله، الى التعرُّض لنوره الالهي؛ هذا النور المبين الذي لا سبْر لأغوار حقيقة الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم الابوساطةٍ منه. لذلك فان الطريقة؛ مادامت هي التطبيق التعبّدي الامثل لشِرعة الله كما فصّلتها آياتُ القرآن العظيم، بمستطاعها ان تُقدِّم منهاجاً تعليمياً تعبُّدياً يأخذ بيد مَن يروم اكتشاف الوجه الحقيقي للحقيقة المحمّدية ليصل به الى التيقُّن من ان للرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم نوراً أبدياً هو الحق الذي لاشك فيه.

٨ ـ ٢٠ الايمان بين الإدِّعاء وشهادة ليلى!

لا يُماثل مُنظِّري الوثيقة العلمية كثرةً وادِّعاءً الا مَن يقولون آمنّا بأفواههم ولم تؤمِن قلوبُهم! فكثير ممّن يحسبون أنفسهم علماء العصر وجهابذته لا يُداخلهم أي شك بأنهم يعرفون العالم كما لا يعرفه أحد غيرهم وان العلم لا يكشف النقاب عن وجهه الحقيقي الا لهم وليس لأحد غيرهم! وكثير آخرون ممّن قالوا آمنا ولمّا يدخل الايمان قي قلوبهم لا يشكّون لحظةً أنهم أحبّاء الله واصفياؤه وان ليس لأحد آخر سواهم الحق في ادِّعاء أيّة صلة وصْل بربِّهم ومعبودهم وإلههم الذي يظنون انه شيء خاص بهم فلا يحقُّ لغيرهم منازعتهم فيه! والانسان اذ لا يستطيع العيش بعيداً عن هؤلاء العلماء ولا عن أولئك المؤمنين فانه لا يملك آلا ينساق وراء بُوقَي العلم الرسمي والايمان الرسمي طالما لم يكن هذا الانسان ممَّن حباه الله بنعمة المُخالفة عن أمر الجماعة مادام ليس هناك ما يدعوه قسراً الى اتِّباع غير صوت المنطق التجريبي ـ الاختباري الذي يُطالب المُدّعي بأن يأتي ببيِّنة على ما يدّعي؛ مؤسِّساً لإيمانه المُطلق بهذا

المنطق بما ورد في القرآن العظيم من تبيان للحُجّة التي آتاها الله مَن اوتي الحكمة وهو يُطالب المُدَّعين بأن يأتوا ببرهانهم ان كانوا صادقين: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: من١١]. فنظريات العلم مُطالَبة بتقديم البرهان التجريبي ـ الاختباري على صحّة وصواب ما تدعونا الى الايمان الغيبي به، كما ان مَن يريدنا ان نؤمن له ونُصدِّق معه بأنه حقاً مؤمن بربِّه حق الايمان مُطالَب هو الآخر بأن يُخرج لنا أثارةً من علم أو ان يأتينا ببرهان تجريبي ـ اختباري بوسعه ان يجعل مَن ينظر اليه يرى فيه ما لا يستطيع ان يراه في غيره من تجلٍّ لتعلُّقه بالله صادق التعلّق كما يدَّعي! لذا كان المنهج التجريبي ـ الاختباري المتطرِّف هو السبيل الوحيد للفصل بين المُتنازعين سواء كان النزاع علمياً أم ايمانياً! فمُدَّعي الوصل بالحقيقة مُطالَب بأن تشهد له الحقيقة على صلة وصله بها وذلك بأن يظهر عليه من تجلّيها له ما لا يظهر على غيره ممَّن لم تتجلَّ له. ان الحقيقة اذ تتجلّى للعالِم المُدَّعي وصلاً بها فانها تكشف عن تجلّيها هذا وذلك بأن تأتي التجارب والاختبارات مُوافقةً له فيما ذهب اليه. والتجارب هذه لا يمكن ان تكون تلك التي انطلق من نتائجها هذا العالِم فأسَّس لبُنيانه النظري على هذه النتائج تفسيراً ميتافيزيائياً وتأويلاً فلسفياً لا علاقة له بما هو مرئي ملموس محسوس! فهذه التجارب بمستطاع مَن يخالفه الرأي ان ينطلق هو الآخر من نتائجها فيصل الى إقامة بُنيانه النظري الخاص به والمُناقِض بطبيعة الحال لنظرية صاحبنا! فهي تجارب غير فاصلة ليس لها ان تقطع وتشهد لصاحبنا بأنه على حق وان العالِم الآخر على باطل! ان التجارب التي تملك فَصل الخِطاب هي تلك التي ليس لأحد خلا صاحبنا القدرة على استيعابها مفرداتٍ لازمة داخلاً من بنيانه النظري. فهي تجارب حِكْرٌ على صاحبنا لا قدرة لغير نظريته على الاحاطة بنتائجها تفسيراً وتأويلاً. ان الغالبية العظمى من تجارب العلم المُعاصر لا تملك ان تكون متميزة بالحسم وفَصْل الخِطاب! فهي تجارب مُشاعة لا تملك ان تشهد لنظريةٍ بتفوُّقها على غيرها صواباً واقتراباً من الحقيقة. ان التجارب التي يتوجَّب على مَن يروم ان نُصدِّق معه انه مُحِقٌ في ادِّعائه تفرُّد بنيانه المعرفي بالقدرة على تفسيرها يجب ألا يكون لغير بنيانه المعرفي هذا ان يُفسِّر ما نجح هو في تفسيره! فتجارب لا تملك ان تشهد لصاحبنا بأنه على حق وان الآخرين على باطل هي ليست التجارب التي نريد. لذا لم يكن للعلم المُعاصر ان يُفاخر بكونه قد اسَّس

لبنيانه المعرفي على أساسٍ قويم من التجارب والظواهر التي لا يُداخل أيّها شيءٌ مما لا ينتمي للواقع! فعلمنا المُعاصر يظن انه قد انطلق من الواقع متحرِّراً من كل شائبة لا تنتمي اليه لذا كان لِزاماً ألا تصل به انطلاقتُه الواقعية هذه الا الى الحقيقة! فالتجارب التي انطلق هذا العلم من نتائجها في تأسيسه لبُنيانه المعرفي لا تملك ان تكون شهادةً قاطعة له بأنه على صواب فيما ذهبت اليه نظرياتُه التي أقامها على نتائج هذه التجارب. ان مجرد قيام العلم بالانطلاق من التجارب هذه لا يعطيه الحق ليصف منهجه العلمي بأنه تجريبيٌ اختباري! فهو لم يقُم الا بتأجيل الممازجة ما بين التجربة (الفيزيائية) والنظرية (الميتافيزيائية) من خط الشروع الى مرحلةٍ لاحقة لم يكن له ان يتقدَّم خطوة واحدة بعدها من دون قَولَبة نتائج التجربة داخلاً من بنيان نظري لا علاقة له بالواقع الذي انطلق منه ويده بيد التجربة! ان العلم المُعاصر بعيد عن ان يكون تجريبياً ـ اختبارياً مادامت مادته الخام هي ليست تجارباً خالصةً من شوائب النظرية ومادامت هذه التجارب لا تملك ان تقطع له بصواب بُنيانه المعرفي الذي أقامه بالاستناد الى نتائجها التي لا تملك بدورها ان تكون خالصةً له وذلك من دون ان يُشاركه فيها علمٌ منافسٌ بمقدوره ان يستوعبها هو الآخر داخلاً من بُنيانه المعرفي تفسيراً وتأويلاً. فالعلم الجديد عليه ان يخلف علمنا السائد حالياً وذلك بأن تكون جُلَّ مادته الخام هي التجارب الصافية من كل اثر للنظرية مادامت هذه غير قادرة على ان تقف لها تجاربٌ لا قدرة لأيّة نظرية منافسة على ان تستوعبها داخل بنيانها المعرفي تفسيراً وتأويلاً. علينا اذاً ان نطالب العلم، أي علم، بأن تشهد له بالصدق والصواب تجاربٌ لا قدرة الا له على التعليل المعرفي لها وتفسيرها ابستمولوجياً. يبدو ان هكذا علم صعب المنال حالياً وذلك طالما لم يكن بمقدورنا ان نعثر على هذه التجارب المُعجزة! والآن، اذا كنّا لا نقنع من العلم الا بتجاربه الخالصة من كل شائبةٍ نظرية وذلك بانتظار حلول زمان يجيئنا بعلمٍ تجاربه لا شَراكة لعلمٍ منافس له فيها فهل يتوجَّب علينا بالتالي ان نقنع مِمَّن يدَّعون الايمان بغير ما بينَ أيديهم من حقائق؟! ان هذه الحقائق لا ينبغي لنا ان نشاركهم توهُّمهم حيالها بأنهم هم الأوصياء عليها وانهم وحدهم مَن بمقدورهم ان يُعلِّلوا لها ليُظهِروا لنا حقيقة صلتهم بها وشهادتها لهم بصدق دعاويهم هذه! فما يؤسِّسون لبُنيانهم الايماني بوساطةٍ منه لا يملك ان يكون شاهداً لهم على صدق إدِّعائهم! فظواهر العالَم

الحجابي لا تملك ان تشهد لهم بشيء طالما كانت ظواهراً يشاركهم فيها العلمُ تعليلاً لها وتأويلاً يناقض ما يتوجَّب عليهم الاقرار به تصديقاً للوثيقة الدينية التي بين أيديهم. كما انهم لا يملكون ظواهراً ليس لأحد ان يشاركهم فيها تعليلاً لها وتفسيراً يُخالف ما يدَّعونه. ان المؤمن مُطالب بالبيِّنة على ادِّعائه الايمان وبالبرهان على وجود مَن يؤمن به. فهل بمقدور مَن يدَّعي الايمان ان يُقدِّم البيِّنة على صدق وصحة تحقُّق ايمانه بالله! وهل هو قادر من باب أولى على الاتيان ببرهانٍ على حقّانية وجود الإله الذي يؤمن به؟! ان العالِم غير مُطالب بأن يُبرهن على وجود العالَم الذي يدرس ظواهره والواقع الذي يبحث وقائعه طالما كان كلاهما حقاً واقعاً وحقيقة متحقِّقة. الا انه مطالَب بالبرهان على صواب نظريته التي جاء بها للتعليل لظواهر العالم وأحداثأحداث الواقع. اما الذي يدَّعي وصلاً بالله فهو مُطالَب بالبرهان على وجود معبوده وعلى صدقه في ادِّعائه الوصل به. والآن هل الى البرهان ذي الشقَّين هذا من سبيل؟ إن العالَم الحجابي لا قدرة له على ان يشهد للمؤمن بصدقه في مقالته بأن هناك إلهاً هو خالق هذا العالم. كما وان هذا المؤمن لا قدرة له على ان يُقوِّل العالَم ما ليس بمستطاعه ان ينطق به طالما لم يكن مِن أهل الإنطاق باذن الله من الذين أنعم الله عليهم بالقدرة على إنطاق الظواهر لتشهد لله بأنه موجودٌ بحق ولهم بأنهم مُؤيَّدون بصلته بهم. ان أهل الإنطاق بإذن الله هم المؤمنون حقاً؛ اذ لا يشهد الواقعُ لهم بأنهم على صلةٍ بالله فحسب بل يؤيِّدهم في دَعواهم بأن الله حقٌ. لذا لم يكن المؤمن الا داعياً الى الله بإذنه شاء أم أبى! فهو بإيمانه بالله لا يملك ان يحجب تجلّي الله له نوراً ينعكس عنه ظواهراً خارقةً ليس لها ان تشهد الا بأن الله حقٌ شهادتها بأنه حقاً على صلة بعبده المؤمن هذا. ان الظواهر المُعجزة هذه لا مهرب للمؤمن الحق منها وذلك لأنها شهادةُ الله لعبده بأنه على صلةٍ به وشهادتُه لهذا العبد أيضاً بأنه حجّةٌ لله على الناس. فالظواهر المعجزة لا تحدث للمؤمن الا لأنها قدَره مادام هو على الطريق الى الله الذي ما تعرّض لنوره شيءٌ الا وجعله دكّاً! ان الله بتجلّيه للواقع، الذي يعيشه المؤمن، نوراً إلهياً خارقاً سوف يُزلزل أركانه ويهز أسسه ويتسلّط عليه كما حدث للجبل الذي تجلّى له الله فأصبح دكّاً. لذا كان الطريق الى الله يبرهن للسائر عليه ايماناً واحتساباً انه بحق طريقٌ لا يقود الا الى الله وذلك بوساطةٍ من ظواهر معجزة لا تحدث الا لمن يسير عليه ولا قدرة لنظامٍ

معرفي على تفسيرها مادام هذا النظام لا يُقر بالتدخُّل الالهي المعجِز! ان هذا التدخُّل بمستطاعه ان يكون البرهان التجريبي - الاختباري على صحة إدِّعاء المؤمن الحقيقي بأن الله حقٌ وانه، بصلته به، بمقدوره اثبات ذلك. لذا لم يكن للمؤمن الحقيقي اَن لا يكون داعياً الى الله بإذنه مادامت صلته بالله لابُدَّ لها وان تنكشَّف فتتجلّى ظواهراً مُعجزة! فاذا كان للرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم نورٌ أبدي اكتسبه بعبوره الى النور الأعظم فان هذا النور المحمّدي يتجلّى لكل مَن سار على الطريق المحمّدي الى الله ظواهراً مُعجزة لم يكن لها ان تحدث الا بانعكاسه عن السائر على هذا الطريق. ان النور المُنعكس عن هذا المؤمن المحمّدي حقيقةٌ لاشك فيها مادام بوسع البرهان التجريبي - الاختباري ان يجد في الظواهر المحمّدية المعجزة، والتي لا يستطيع ان يقع عليها خارجه، الدليل القاطع على ان هذا النور هو قَبَسٌ منعكس عن النور المحمّدي المنعكس بدوره عن النور الأعظم. لنتدبَّر الآيات الكريمة التالية:

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الانعام: من ١٢٢]، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النُّور: من ٤٠]، ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾ [الحديد: ١٢]، ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد: ١٩]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨]، ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التَّحريم: من ٨].

يتبيّن لنا بتدبُّرنا هذه الآيات الكريمة ان للمؤمن الحقيقي نوراً وان هذا النور حقٌ لا مراء فيه.

ان الطريقة هي البرهان التجريبي - الاختباري على انعكاس النور المحمّدي عن المؤمن الحقيقي انعكاساً يتعاظم قوةً وسطوعاً بتعاظم فنائه في الله عشقاً وحباً وتعلُّقاً. فنور المؤمن الحقيقي العابر الى الله أشد سطوعاً من نوره قبل العبور.

فالنور بعد العبور الى الله أقوى منه قبل العبور وذلك لأن المؤمن العابر ذو قلب أشد صقلاً منه عندما كان في طريقه الى العبور. لذا يدعو المؤمنون ربّهم يوم القيامة ان يُتمِّم لهم «نورهم» وذلك بجعْله لهم أشد صقلاً كيما يكون بمقدورهم ان ينعكس عنهم نوراً الهياً أعظم ممّا كان ينعكس عنهم قبلاً. لقد نجح اساتذة الطريقة في العبور الى النور الأعظم فأصبحوا في نور الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. يقول الاستاذ حسين الكسنزاني قدَّس الله سرّه العزيز: (أصبحنا في نورالله فلا خوف علينا بعدُ). ان هذا الارتباط الحتمي بين الإيمان الحقيقي والنور الالهي بمستطاعه ان يُلقي الضوء على السبب الذي يجعل مِمَّن فارقنا بجسمه من المؤمنين حق الايمان لا يتجلّى جَهاراً فيتمثَّل لنا بشراً سوياً الا والنور من حوالَيه. ولقد وثَّق المأثور الصوفي هذه الحقيقة خير توثيق كما ان الرسّامين الأوّلين قد نقلوا لنا ما كان متداولاً بين الناس بخصوص هذا الظهور بالنور لأهل الله المُقرَّبين وذلك عندما خطُّوا صوَراً عن تلك التمثُّلات البشريّة والنور يتفجّر حوالَيها. ان الصور المنسوبة لسيدنا أمير المؤمنين حضرة الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله تعالى وجهه تُظهر جليّاً هذا التلازم ما بين التمثُّل البشري والنور الالهي المنعكس عن وجود المؤمن العابر الى الله بشدّة فنائه فيه عشقاً خالصاً وتعلُّقاً صادقاً. ان كلَّ نورٍ تفجّر حوالَي تَمثُّلٍ بشري لمؤمنٍ بالله حق الايمان هو من نور الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم وذلك لأنه لا طاقة لبشر غيره صلّى الله تعالى عليه وسلّم على حمل هكذا أمانة من النور الأعظم. فالمؤمن الحقيقي لا طاقة له بأن ينعكس عنه النور الالهي مباشرة بتجلّي الله له! فهذا أمر قد سبق وان جرَّب استحالته سيّدنا موسى وذلك عندما خرَّ صعِقاً لتجلّي الله للجبل! ان النسبة من نور الله التي تشرَّف خير خلْقه صلّى الله تعالى عليه وسلّم بحملها وعكسها تجعل بامكان السائر على الطريق المحمّدي الى الله ان يتعرَّض لها دون ان يؤدّي ذلك به الى الانصعاق الموسوي. لذا كان نور الايمان محمّدياً بالضرورة. قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم (أنا مدينةُ العلمِ وعليٌّ بابُها). قال الاستاذ محمّد عبد الكريم الكسنزاني قدّس الله سرّهما العزيز (محمّدٌ نورٌ وعليٌّ بابُه). ان السائر على الطريق المحمّدي الى الله، بشروطه كما فصّلتها وبيّنتها الطريقةُ تطبيقاً أميناً لشريعة القرآن العظيم، لابد وان يتعرَّض لقبسٍ من النور المحمّدي ذي شدّة تتناسب ومقدار الجهد الذي يبذله في تفانيه في سبيل الله

فناءً فيه وتعلُّقاً عاشقاً. وهذا القدْر من النور الالهي المنعكس عن قلب السائر على الطريق الى الله هو السبب في تميُّز واقع مَن يسير على هذا الطريق بدلالات تقطع بأنه حقاً في طريقه الى الله. ان تعاظُم هذا النور باقتراب المؤمن المحمّدي من بوابّة العبور الى الله كفيل بجعْله يتمتّع بوجودٍ روحي فاعل في هذا الوجود فعْلاً لا علاقة له بقوانين الجسم الانساني كما نعرفه. حتى اذا ما أصبح جسداً بموت جسمه موتاً بايولوجياً كان وجوده الروحي مُمكّناً له من الاستمرار في الفعل المؤثّر في عالمنا هذا بكلمة كُن فيكون!

٨ ـ ٢١ كُن فيكون: حضارةٌ جديدة لانسانٍ جديد!

ان هذا العالم الذي نعيش فيه بعيد عن ان يكون العالم المثالي وذلك في نظر الجميع؛ سواء مَن كان كافراً بالله لفرْط ايمانه بما يراه أو مَن كان مؤمناً بالله كافراً بسواه! فالبشر يُعانون الأمرَّين جرّاء عيشهم وفق قوانين هذا العالم؛ هذه القوانين التي فُرِضت عليهم فرضاً خُيِّل اليهم معه ان ليس هناك من تغيير بمستطاعه ان يُزلزل أركان هذا الواقع الا اذا كان تغييراً واقعياً صِرفاً يتمُّ بمفردات واقعية تنتمي لهذا العالم وتنضبط بقوانينه التي ليس هناك من قوانين خارجه بإمكانهم التفكير فيها كحلول انقاذ عجائبية بمستطاعها التدخُّل الفوري مُتسلِّطةً على هذا الواقع وكياناته الواقعية فتنسفها نسفاً! ان الغالبية العظمى من أفراد النوع الانساني لا تؤمن بأن هناك واقعاً آخر بامكانه التسلُّط على واقعنا المُعاش هذا بقوانين لا تنتمي لهذا العالم كما نعرفه. والعجيب ان مُعظم مَن يظنون بأنهم مؤمنون بالله يُشاطرون الكافرين بالله اعتقادهم بالتسلُّط المطلق لهذا الواقع وتفرُّده مُستبعدين كل الاستبعاد ان يكون هناك واقع آخر بمقدوره ان يُهيمن على واقعنا ويتسيَّد عليه! فالمؤمنون الواقعيون يظنون انهم يُخالفون الكافرين بالله من أهل هذا الواقع فلا يذهبون مذهبهم في الاعتقاد بأن الواقع لا يحتاج لافتراض وجودٍ لا ينتمي اليه وذلك للتعليل لمُجرياته وأحداثه. فهم يؤمنون بأن الله هو الفاعل الحقيقي الذي لا يحدث شيء الا بتدخُّله. كما انهم واثقون من أن هذا الايمان هو كل ما ينبغي على المؤمن التحلّي به تمييزاً لنفسه عن الكافر بالله! فلا موجب هناك اذاً لافتراض تدخُّلٍ عجائبي بمقدور الله ان يقوم به تسلُّطاً على هذا الواقع وخروجاً على القوانين الالهيّة السائدة فيه! ولكن هل هذا

الايمان يكفي للتفريق بين الجماعتين؟! ان المؤمن الحقيقي هو مَن آمن بأن الله الذي خلق هذا العالم وبثَّ فيه قوانينه الالهية واختفى من وراء حجابها بعيداً عن ان تُدركه الأبصار قادرٌ على ان يتدخَّل فيوقف العمل بهذه القوانين بتجلّيه المباشر من دون وساطةٍ من حجاب الأسباب هذا. فعلى الرغم من عيشه في عالم القوانين الالهيّة السائدة في هذا الواقع المألوف مؤمناً حقَّ الايمان بأن هذه القوانين هي من وضع الله فان المؤمن الحقيقي أبداً لا يستبعد حدوث تدخُّلٍ إلهي مباشر يتسلَّط على هذا الواقع ويتسيَّد عليه! فالقانون الالهي الحق هو ألاَّ قانون هنالك مادام الله هو القاهر فوق قوانينه وعباده. ان مقياس الايمان هو مقدار تعلُّق الانسان العابد بالواقع الالهي المباشر مع ايمانه المطلق بالواقع الالهي غير المباشر وصبره الجميل عليه واعتقاده الراسخ بأنه صنيعة الله وان كُلاً من عند الله. فالايمان بالله هو التوكُّل على الله والتوكُّل على الله يعني الأمل بالله وحُسن الظن به مع انتظار تدخُّل الله مباشرةً بـ ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ وذلك من دون اعتراض على الواقع الحالي الذي هو واقع التدخُّل الالهي غير المباشر. فأعظم أمل هو الأمل بالله كما ان أعظم حلم هو الحلم في سبيل الله. لذا كان الأمل بالله، توكلاً عليه وحُسنَ ظنٍّ به، هو جوهر التوكُّل على الله؛ ذلك التوكُّل الذي جعله أساتذة الطريقة مقاماً يسبق التوبة. فالتوكُّل على الله هو حبل الله الذي يجب على الانسان العابد ان يتشبَّث به لينجوَ، به وبه فقط، الى الله. ان الأمل بالله، توكلاً عليه وحُسنَ ظنٍّ به، لا يتحقَّق الا بالاعتقاد الراسخ بامكانية تحقُّق التدخُّل الالهي المباشر في أيّة لحظة. فنصر الله اذ يجيء فانه لا يجيء مُتسبباً بأسباب عالم الحجاب؛ فهو يأتي مهيمناً عليها ودافعاً بها لتتشكَّل من جديد وبما من شأنه ان يُجلّي التدخُّل الالهي فيجعله ظاهراً ليس يستره حجاب! فالتوكُّل على الله يعني اذاً الأمل بالله من دون اعتراض على الواقع الحالي بل قبول به ورضى طالما كان هو من عند الله. ان هذا الايمان الصادق بالله، أملاً به وتوكّلاً عليه، هو الذي يُميِّز الانسان العابد عن الانسان السادر في غي أسفل سافلين. فالانسان في أسفل سافلين هلوع جزوع يؤوس قَنوط لا أمل له بالله طالما لم يكن ليؤمن الا بما يراه وطالما لم يكن بوسعه ان يرى الله مادام قلبه لا ينظر الا الى سواه. ان المؤمن الحقيقي آمِلٌ بالله واثقٌ من وجوب تحقُّق وعده ومجيء نصره بتجلّي ﴿كُن فَيَكُونُ﴾. فهو يعلم حق العلم ان ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ هو

الأمل الأعظم وان التجلّي الالهي بـ ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ هو الله في أعظم تجلّياته. فما أجملها عيشةً في عالم ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ الذي هو أغرب من الخيال طالما كان هو عالم العجائب والغرائب! ان حياة الانسان انتظاراً لِمَقدم هذا العالم الغرائبي - العجائبي هي الحياة الأجمل طالما كانت قائمةً على الأمل بالله الذي يملك وحده ان يتدخَّل فوراً ليُغيِّر الواقع المفروض من حالٍ الى حال. فحتى اذا لم يكن بمقدور الانسان العابد ان يعيش في عالم ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ فان مجرد انتظاره لتدخُّل الله الذي قد يحدث في أيّة لحظة كفيل بجعْله متميزاً عن مُعظم البشر الذين لا ينتظرون من غدهم الا الغدر ومن يومهم الا الفقر! ان الايمان الغيبي بإمكانية تدخُّل الله المباشر في وقائع وأحداث هذا العالم هو العاصم الحقيقي من الوقوع فريسة الكفر بالله حتى وان تخفّى تحت قناع زائفٍ من الايمان بأن الله هو سيد هذا الوجود لا قوانين الطبيعة! فمَن لم يكن مؤمناً بأن الله قادرٌ على التدخُّل الفوري في أحداث هذا الوجود قدرته على إحداث وقائعه والتسبُّب فيها فهو ليس الا كافراً بالله كفرَ مَن أنكر الوجود الالهي المُتسبِّب في قيام الوجود على ما هو عليه!! ان الانسان المؤمن المستند الى أمله بالله والواثق بإمكانيّة تدخُّله مباشرةً بـ ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ ليُغيِّر بها الواقع المألوف هو الوحيد الذي لن يتفاجأ يوم القيامة؛ يوم تسقط الأسباب ويتجلّى الله بـ ﴿كُن فَيَكُونُ﴾. لذا يجب على الانسان العابد ان يكون مع الله في هذه الحياة الدنيا عابراً الى الله بإيمانه بـ ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ مُستنداً الى ايقانه الغيبي بأن يوم زوال حجاب الأسباب وتجلّي الله بلا وساطةٍ من أية أسباب ودونِ اي حجاب لابد وان يأتي مهما طال الانتظار! فالمؤمن الصادق هو مِن ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ فتعرَّضوا لنفحات ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ وهم لمّا يزالوا في هذه الحياة الدنيا. لذا فانه لن يكون غريباً عليه يوم القيامة ان يتعرَّض لتجلّي الله بجلاله الأعظم وجماله الذي ليس له مثيل. فيوم القيامة هو يوم ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ بتجلّي الله مباشرةً دون حجاب وبلا أسباب. فهو يوم السيادة الالهيّة المطلقة والتسلُّط الربّاني التام؛ يوم المُلك لله الواحد القهّار؛ يوم تُشرقُ الأرضُ بنورِ ربِّها وتزول الأسباب ويتمزَّق الحجاب. ان الانسان مَدعو ليكون من المتعرّضين لتجلّي الله بـ ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ شاء أم أبى! فهو لابد وان يُعرَض على الله يوم الحساب؛ يوم سيادة ﴿كُن فَيَكُونُ﴾. فلماذا اذاً لا يُسارع الانسان الى التعرُّف على عالم ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ وهو لمّا يزل في هذه الدنيا

قبل مجيء يوم القيامة وزوال الأسباب وسقوط الحجاب؟ لقد سبق وان عاش من البشر أنبياؤهم ورسلهم في عالم ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ فكان ان تعرَّضوا لسيلٍ متفجِّرٍ من العجائب والغرائب لاحقتهم في حلِّهم وترحالهم، فلماذا لا نبادر الى الاقتداء بهم ليتسنّى لنا ان نتعرَّض لقبسٍ ممّا تعرَّضوا له حتى لا يُفاجأنا يومُ القيامة بتسلُّط الله وتجلّيه ملِكاً واحداً قهّاراً بـ ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ فيكون مصيرنا مصير مَن ستأخذه صاعقةُ الدهشة ذلك اليوم الى جهنّم وبئس المِهاد! ان انسان هذا العصر مدعو ليكون مواطناً في دولة ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ وذلك بأن يكون من الذين أنعم الله عليهم فأرجعهم الى نور أحسن تقويم وخلَّصهم وأنقذهم من ظلمات أسفلِ سافلين. فالحضارة الانسانية الجديدة هي حضارة ﴿كُن فَيَكُونُ﴾؛ حضارة التدخُّل الالهي المباشر. وهذه الحضارة تتطلَّب انساناً جديداً؛ انساناً في أحسن تقويم.

٨ ـ ٢٢ العالم الجديد: انسانٌ جديد بقلبٍ سليم وعقل سليم!

ان تحوُّل العالم القديم الى آخر جديد لن يتم بتحديث وتجديد العالَم كما يتوهَّم البعض! فالعالَم الجديد لن يُصنَع الا على أنقاض الانسان القديم: انسان عالمنا الحالي! فلكي نشهد عالماً جديداً لابد لنا أولاً من التخلُّص من انساننا الذي جعل من عالمه عالم البؤس والشقاء وذلك بخروجه على قوانين الله تمرّداً وطغياناً وعصياناً وظلماً وإفساداً. لذا فلا قيام لعالم جديد الا بالارتقاء الى انسان جديد يخلف انسان عالمنا المُعاصر وذلك بتحلّيه بقلبٍ سليم من آثار تلك الشجرة التي قام العالم الحالي على أساسها الخبيث وبحمله لعقلٍ سليم من خَرْص العلم المُعاصر وجذوره الفلسفية الخبيثة التي لا قيام له الاّ بها! فما للعالم الجديد والانسان القديم بصيغته المعاصرة هذه؟! ان الانسان المعاصر لا قدرة له على ان يكون رائد العالم الجديد مادام قلبه ينتمي للعالم القديم. فالانسان الجديد هو الخليفة التي سيَرِث الانسان الحالي لأنه أقدر منه على مواجهة التحدّي القادم وشيكاً لامحالة مع حلول تباشير صبح العالم الجديد الذي سيخلف عالمنا المعاصر. ان الدعوة الى اقامة عالم جديد، بقلب شجاع Brave Heart ، يجب ان تسبقها وتُمهِّد لها دعوة للارتقاء بانساننا المعاصر هذا الى انسانٍ جديد كل الجدّة. ولنا ان نستشهد بالعهد الجديد الذي قال: لِمَ تضع زيتاً جديداً في دِنان عتيقة؟ ضع الزيت الجديد في دِنان جديدة واكسر الدِنان القديمة!

٨ ـ ٢٣ تعالَ معي الى الله وسوف ترى!

ان هذا الكتاب لا يوافق المُتديّنين الواقعيين فيما يزعمون بأن كل ما نراه في هذا الوجود دليل على ان الله موجود، ويتّفق مع العلماء المَلاحدة القائلين بأن لاشيء ممّا نراه في هذا الوجود يُدلِّل على ان الله موجود! الا ان هذا الكتاب يقول أيضاً بأن هناك عالماً آخر هو عالم التدخُّل الالهي المباشر بإمكانه ان يبرهن على وجود الله. فكما ان النار اذ تُحرق في عالمنا فنقول إنَّ النار أحرقت، فكذلك اذا ما حدث شيء في عالم التدخُّل الالهي المباشر؛ نقول إنَّ الله فعل هذا أو ذاك مما لا قدرة لشيء في عالمنا المألوف على ان يتسبَّب فيه! ان هذا الفعل الالهي المباشر سيكون دليلاً على وجود الله. لذا فان نظرية المعرفة الجديدة اذ تُجاهر بالدعوة الى الله فانها لا تدعو الناس الى الايمان بكيان غيبي غير قابل لأن يتم البرهان عليه! فهي تدعوهم الى كيان غيبي لا يمكن ان يُرى لاستحالة النظر اليه الا انه ليس كياناً لا يمكن الاتيان بالدليل عليه. فالله بوسعنا ان نتيقَّن من وجوده، كياناً غيبياً غائباً عن الابصار لا البصائر، وذلك بأن يُغادر الانسان هذا العالم الحجابي المألوف الى عالم التدخُّل الالهي المباشر! فالعابر الى عالم التدخُّل الالهي المباشر بقوانين كُن فيكون وليس بقوانين عالم الحجاب سوف يرى الله متجلّياً في آثار تسلُّط نوره على مفردات ذلك العالم الذي لا أسباب فيه الا الله!

ان نظرية المعرفة الجديدة اذ تدعو الى الله فإنها لا تُنظِر الناس الى يوم القيامة حتى يعلموا انما تدعوهم اليه هو الحق! فوجود الله حقيقة بالامكان البرهان عليها في هذه الحياة الدنيا وذلك شَريطةَ الالتزام بقوانين العالَمين: عالم الوجود الالهي غير المباشر وعالم الوجود الالهي المباشر. ان البرهان على وجود الله يستلزم الاستعانة بعالم الوجود الالهي المباشر وذلك طالما كان ما يحدث في عالم الوجود الالهي غير المباشر لا يستطيع ان يشهد لله بأنه المُتسبِّب الحقيقي في حدوث ما يحدث! لذا كان التصوّف، خُلُقاً وطريقة، هو السبيل الوحيد للوقوع على مثل هكذا برهان طالما كانت الطريقة هي مسار الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم الذي لم يتّخذه انسانٌ طريقه الى الله الا ولاحقته البراهين والدلائل التي ليس لها الا ان تشهد بوجود الله شهادتها بأن هذا هو الطريق الحق

اليه. ان التصوّف قائم على الحقائق التجريبية ـ الاختبارية التي بمقدور كل مَن سار على ضوء الطريقة ان يستعين بها للتثبُّت والتيقُّن من حقانية كونه الكلام الحق الذي يدعو الناس الى الله بالظواهر الالهية المعجزة التي هي مادته الارشادية ولُغتُه التي ليس ينطق الا بها. فاذا كان التصوّف يدعو الى اقامة علاقة غير تقليدية بين الانسان العابد وبين الله فهل من المُستغرب ان تتمخَّض هذه العلاقة، حال نشوئها، عن تفجُّر الواقع حوالَي هذا الانسان المُتعلِّق بالله، فناءً فيه وعشقاً، ظواهراً مُعجزة وآياتٍ ليس لها الا ان تشهد بـ أن لا اله الا الله وان محمّداً رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم.

٨ ـ ٢٤ العبادة: خط شروع واحد وخطوط نهايات مُتعدِّدة

شرع الله العبادة ليتمكَّن بنو آدمَ من استعادة ما كانوا قد فقدوه، مع أبيهم الآكل من الشجرة، من قدرة على ان يكونوا على صلة وصْل واتِّصال واعٍ بالله وذلك بسببٍ من تضرُّر مناطق العلاقة بالآخر داخل أدمغتهم. فالعبادة هي الوسيلة السببية الوحيدة لاصلاح هذا التضرُّر الدماغي المُميِّز لأفراد النوع الانساني قاطبةً. فبها، وبها فقط، يستطيع الانسان إعادة النظام المفقود الى ربوع تلك المناطق من دماغه التي عاد عليه تضرُّرها جرّاء أكل آدم من تلك الشجرة بأفدح الخسائر دنيا وآخرة. الا ان هذا لا يعني ان الله لا يستطيع ان يتدخَّل من دون وساطةٍ من أسباب عالم الحجاب لاصلاح هذه المناطق المُتضرِّرة. فلقد تدخَّل الله وأصلح دماغ آدم جنيناً وتدخَّل مرة اخرى وجعل من المسيح يخرج الى الدنيا بدماغٍ سليم للغاية أهَّله ليكون عبداً لله دون سابق عبادة. كما ان العبادة اذا كانتْ هي الوسيلة السببية الوحيدة لاصلاح البُنية الإنسية فان هذا لا يُلزمها بأن تكون مقيَّدة بهذا الهدف! فالعبادة لم يفرضها الله على الإنس لمجرد ان تعود بهم الى الله مُصلَحين خالين من كل آثار تلك الاصابة الشجرية. لقد جعل الله العبادة لُبَّ السبيل الى الخلاص من عذابه وعُمدة الطريق المُؤدّي الى بابه. لذا فانه لم يُسقطها عن أحد من عباده الذين نجحوا بها في الوصول الى النجاة من عذابه. فلقد أرادهم ان يصلوا بها مرة اخرى الى عتبة بابه. فالانسان اذا ما نجح بالعبادة في استعادة صلته المقطوعة بالله فانه يستطيع بها ايضاً ان يعمل على تمتين أواصر علاقته بالله وذلك ليتسنّى له الاقتراب أكثر فأكثر من الله. فليس هناك من

اقتراب من الله الا بوساطةٍ من العبادة التي هي السبب من وراء خلق الإنسان. فلقد خلق الله الإنس ليعبدوه. فالله لم يخلق آدم ليكون مجرد ساكن في تلك الجنة لا عمل له الا الأكل منها! فلقد خلق الله آدمَ ليعبده لا لشيء آخر. فإسكان الله آدمَ الجنة لم يكن ليعني انه لن يُكلَّف يوماً ما بالعبادة! لقد خلق الله الإنس ليعبدوه سواء كان آدم في الجنة أم خارجها! فوجود آدم في الجنة كان عبادةً لله ما قام آدمُ لله بالعبادة له اطاعةً لأمره والتزاماً بنهيه. ألم يأمر الله آدم وزوجه ان لا يقربا تلك الشجرة؟ ألم ينههما عنها ويقل لهما إنَّ الشيطان لهما عدو؟ لقد أمر الله آدم وزوجه بعبادته اذ أمرهما بأن لا يقربا تلك الشجرة. لذا كان آدمُ يعبد الله في الجنة بإطاعته الأمر الالهي بألاّ يأكل من تلك الشجرة. ولقد خرج آدمُ من الجنة فاقداً صلة وصله واتِّصاله الواعي بربّه بخروجه على الأمر الالهي وعدم قيامه بالعبادة كما علَّمه الله إطاعةً له وامتثالاً لأوامره. ان عدم تكليف الله آدم بغير ان يعبده إطاعةً وسماعاً لأوامره اذ أسكنه وزوجه الجنة لا يُحتِّم ان كلَّ حظ آدم من العبادة لم يكن ليتجاوز ما أُمِر به قُبيل ادخاله الجنة! فالله لم يكن لِيَذر آدم على ما هو عليه من دون ان يُعلِّمه فيُبيِّن له السبيل الكفيل بايصاله الى أقرب ممّا كان عليه رَشَداً. ان مَن يُنكر ما دُفِعنا الى استنتاجه ها هنا لَينسى ان الله قد صرَّح في قرآنه العظيم بأنه ما خلق الإنس الا ليعبدوه. ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ولنا في المسيح عيسى بن مريم خير دليل وآية. فلقد قال المسيح إنَّ الله أوصاه بعبادته مادام حياً ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مَرْيَم: ٣١].

فالعبادة هنا ليست للاصلاح بل للتقرُّب من الله أكثر فأكثر. لذا لم يكن من حدٍّ تتوقَّف عنده العبادة مادام هناك نَفَسٌ يُعين الانسانَ على الاقتراب من الله الذي تفصل بيننا وبينه مسافات دونها ما بين النجوم من أبعاد ومسافات لا يعلمها الا الله. فما بين العبد وربّه أبعاد لانهائية ليس بمتجاوزها وإن عبدَه منذ الأزل الى الأبد! الا ان الاقتراب من الله أكثر فأكثر كفيل بتحقيق الانسان الغاية من خلْق الله له. فالانسان ليس له ان يتوقَّف عن العبادة مادام الله قد خلقه لها ولها فقط. فاللهُ أدرى لِمَ كان يتوجَّب على هذا الانسان ان لا يتوقَّف عن عبادته. ان كل ما في هذا الوجود يسعى الى الطاقة حتى اذا ما تحقّق له الحصول عليها لم

يكتفِ بالقدر الذي قُيِّض له الحصول عليه منها وأخذ يطالب بالمزيد. والانسان ليس باستثناء! فهو ان كان ذا عقل سليم ابستمولوجياً فانه سيُدرك لامحالة ان ليس من سبيل أمامه يتَّخذه مسار حياته الا سبيل الحصول على الطاقة والاستزادة منها. وهو اذا ما عُرِّف بالطريق الإلهي الى الله طريقاً الى الطاقة الأعظم في هذا الوجود فانه لن يتوانى عن السير عليه بكل ما اوتيه من عزم وقوّة خاصةً من بعدما تبيّن له انه الطريق الحق بشهادة الظواهر المُعجِزة التي لن تتوقَّف عن الجري عقبه وملاحقته باضطراد يتعاظم تفجُّراً وزخماً بقيامه لله بالعبادة أكثر فأكثر. فاذا كان سيرُه على الطريق الإلهي الى الله كفيلاً بجعله يُلاحَق من قِبل طاقة الله التي سوف تزداد وضوحاً من حوالَيه لاخلاصه في العبادة أكثر فأكثر فَلِم يتوقّف عن متابعة السير ولِمَ يكُف عن العبادة، والاستزادة منها، طالما كان السير على هذا الطريق والعبادة متلازمَين تلازُم الحياة والنفَس؟! ان العاقل مَن ادرك ألاّ سبيل الا بالسير على الطريق الإلهي الى الله بكل قوة مادام الهدف هو الله ومادام الله لانهائية هي الأبعاد التي تفصلنا عنه! ان الباحث عن الطاقة لا طريق بوسعه ان يسلكه الا الطريق الإلهي الى الله مادام هذا هو الطريق الى الطاقة الأعظم. ان الانسان الباحث عن الطاقة العُظمى مَدعوٌ الى الطريق المحمّدي الى الله طالما كان هذا الطريق قائماً على العبادة التي لا تتوقَّف بتوقُّف دقّات قلب السائر عليه عند موت جسده! فلقد شقَّ سيدنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم طريقاً الى ربّه ليس الترقّي عليه بمقتصر على حياة الانسان بهذا الجسم. فباب الترقّي الروحي شُرِع بعبور الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم الى الله فأصبح بوسع الانسان ألاّ تكون غاية حظّه من العبادة مشروطةً بحياة جسمه. فلقد أصبح بمقدور الانسان العابد ان يستمر بالعبادة وذلك من بعد توقُّف دقّات قلبه وانتقاله الى ما وراء عالم الحجاب. ان هذا العبور الى ما وراء عالم الحجاب لن يتمّ الا والانسان العابد حيٌّ جسمُه. فهو اذ يعبر الى النور وقلبه يدق فانه لن يموت عندما يموت هذا الجسد بتوقُّف دقّاته بل سيحيا في عالم النور الذي سبق وان عبر اليه. وهو لن يحيا فيه الا عابداً كما كان قبل عبوره بروحه اليه.

٨ ـ ٢٥ شجرة آدم وشجرة المسيح!

ان السبب الفيزيائي وراء التضرُّر الآدمي المتوارَث يعود الى أكل آدم من

تلك الشجرة الفضائية. فشجرة آدم كانت السبب في عصيان آدم أمر ربّه؛ ذلك العصيان الذي توجَّب على النوع الانساني ان يحمل آثاره الى يوم القيامة. لذا كانت هذه الشجرة الفضائية هي السبب الحقيقي في نشأتنا بشراً في أسفل سافلين. لنقارن هذه الشجرة بالنخلة التي شهدت مولد المسيح عيسى بن مريم: الانسان الكامل! ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مَرْيَم: ٢١ ـ ٢٥]. لقد شهدت هذه الشجرة المباركة ولادة أول انسان خالٍ من الآثار الضارّة التي الحقتها بآدم وبَنيه تلك الشجرةُ الفضائية. لذا فان شجرة المسيح تُمثِّل الأمل الذي يجب ان نتعلَّق به ونحن نسير على الطريق الإلهي الى الله؛ الأمل في الخلاص من ماضينا الانساني المشترَك والنجاة من آثار تلك الأكلة الكارثة. لقد كانت شجرة آدم هي السبب في ظهور الانسان كما نعرفه: الانسان الحالي ذي الدماغ المتضرِّر الملتاث. فلتكن لكل منّا شجرة كريسمس خاصة به تُمثِّل له الأمل بالنجاة والخلاص. فهذه الشجرة المباركة قد شهدت ولادة الانسان الناجي؛ فلتُذكِّرنا اذاً بالنجاة التي يجب علينا ان نأمل بها على الدوام مادمنا على شفا حفرة من النار. فكلٌّ منّا يجب ان يسعى جاهداً ليولد من جديد انساناً ناجياً خالياً من كل أثر ضار لتلك الأكلة الكارثة. ان شجرة الكريسمس هذه يجب ان تشهد ولادة هذا الانسان الجديد الخالي من آثار تلك الشجرة التي جعلت من الانسان يتهاوى الى أسفل سافلين. فهذه الشجرة يجب ان تذكِّرنا دوماً بما يتوجَّب علينا تحقيقه من ولادة جديدة بكل ما تعنيه الولادة من خروج الى عالم جديد لن نستطيع ان نجعله مختلفاً تمام الاختلاف عن عالمنا هذا الا بتحوّلنا وولادتنا بشراً جديدين! فالانسان الجديد هو الانسان الذي يجب ان يولد عن الانسان القديم وذلك بقيام هذا الأخير باصلاح دماغه المتضرِّر جرّاء تلك الشجرة. لقد شهدت النخلة المباركة مولد الانسان الناجي عيسى بن مريم. وهذا هو السبب في احتفالنا بها كل عام في ذكرى مولد المسيح وذلك على الرغم من تحويل البشر النخلة الى شجرة سَرو كما هو دأبهم دائماً

كلما أعوزهم عدم وجود شيء ما الى اختلاق بديل يحل محلّه! على أي حال فلتكن شجرة السرو هي رمز أملنا بالنجاة من ماضينا الانساني البشع والذي أثقلت كاهلنا به تلك الشجرةُ الفضائية منذ ان امتدت اليها يد أبينا آدم وأكل منها! فشجرة الكريسمس تُذكِّرنا بالمسيح الانسان الناجي لعلّنا ان نسعى نحن أيضاً للنجاة كما نجا هو! ولمَن يسأل لماذا لا نكون اذاً مسيحيين نقول: وما الدليل على ان ما قاله المسيح عن الطريق الإلهي الى الله قد وصل الينا حقاً؟ هل بوسعك ان تجزم بأن الوثيقة الدينية المسيحية هي الانجيل الذي أنزله الله فيه هدىً ونور؟ ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

أين نور الانجيل الذي يدّعي متَّبعو هذه الوثيقة التي بين أيدينا انها هي هو بكل تأكيد؟! ان الانجيل الحقيقي غائب مادام ما بين أيدينا من أناجيل لا تملك ان يشهد لها مضمونُها بأنها من عند الله وان يكون لها نورٌ يشهد لها بأن نورَ الله قد مازجها واستقر كامناً في مكنون كتابها! لذا فان الانسان العاقل غير مُلزَم باتّباع هذه الأناجيل مادامت التجربة عاجزة عن ان تشهد لها بأنها حقاً من عند الله. فأنت اذا ما اتَّبعت ما تُلزِمك هذه الأناجيل بالايمان به فلن تجد ما يبرهن لك على انك قد اتَّخذت الى الله سبيل الحق وذلك لأنك لن ترى حواليك ظواهراً معجزة ما كان لها ان تحدث لولا سيرك متّبعاً هُداها!! ان الوثيقة المحمّدية المقدّسة (القرآن العظيم) تشهد لها التجارب بأنها حقاً من عند الله وذلك طالما لم يكن ما فيها من أنباء الغيب موجوداً في مكان آخر عداها وطالما كان بوسع مَن سار على الطريق المحمّدي الى الله على ضوء هُداها ان يجد حوالَيه كل الأدلّة التي تشهد لها بأنها الحق الوحيد. ان للوثيقة المحمّدية المقدّسة نوراً بالامكان التثبُّت منه وكتاباً اِلهياً مُبيناً يستطيع من يتدبَّره ان يجده من عند الله حقاً. فهل يستطيع مَن ينكب بكل اخلاص على الأناجيل التي بين أيدينا ان يخرج بنتيجة مشابهة؟!!

ان عدم وجود النور الالهي فيما بين أيدينا من أناجيل دليل قاطع بأن الطريق الذي سلكه المسيح وسار عليه الى الله لا يمكن أبداً ان يكون أياً من هذه

الطرق المتفرِّقة التي يريدنا الاناجيليون ان نصدق معهم انها هي كلام الرب الاله!

ان شجرة الكريسمس تكفي لنا دليلاً وبرهاناً على عدم قدرة الجماعة الانسانية على التمسُّك بالحق طويلاً! فلقد تحوَّلت النخلة التي شهدت مولد المسيح عيسى بن مريم الى شجرة سَرو وأخذنا نحتفل كل سنة بمولد المسيح متَّخذين من هذه الشجرة رمزاً احتفالياً مقدَّساً ونحن لا نعرف السبب وراء هذا التقديس! ان الشجرة الحقيقية لم يَعُد لها وجود وحلَّت محلّها شجرة بديلة لا علاقة لها بـ النخلة من قريب أو بعيد. وهكذا فقد أخذ الناس بتقديس البديل ونسوا الشجرة الأصلية كما نسوا الإنجيل وتشاغلوا عنه بأناجيل مُنتحَلة. ولقد غاب الانجيل كما غابت النخلة ليحلَّ محلهما أناجيل وأشجار كريسمس!

٨ ـ ٢٦ الآخرة.. الحقيقة القرآنية المَنسيّة

لماذا ارسل الله الرُسُل؟ وما هي مفردات الرسالة الالهية التي بلَّغها رُسُل الله على مر العصور؟ يكشف القرآنُ العظيم النقاب عن حقيقة بهذا الخصوص مفادها ان الله ارسل رُسُلَه برسالةٍ اِلهية كانت ترمي لتحذير الناس من يوم قادم يبغتهم فجأة هو يوم يجمع الله الأولين والآخرين ليُرَوا اعمالهم في الحياة الدنيا؛ هذه الحياة التي غرَّت أهلها وزيَّنت لهم الظن الواهم بأن لا بعث هناك و لانشور ولا حساب ولا جنة ولا جحيم، بل هي هذه الحياة الدنيا فحسب! ولقد حفل هذا القرآن بذكر ما يُدلِّل على ان الرسالة الالهية على مر الدهور كانت رسالة اِنذار شديد الله‌جة اراد لها الله ان تبلغ مسامع كل الناس لئلا يكون لهم عليه حجة يوم القيامة انهم لم يُبلَّغوا ولم يُعرَّفوا بهذا اليوم الرهيب ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]. ان جوهر الرسالة الالهية واحدٌ وإن تعدَّدت الرسل المُبلِّغين لهذه الرسالة بتعدُّد الازمان والأماكن والأقوام. فآيات القرآن العظيم تُبيِّن هذا الجوهر الواحد واضحاً جلياً لا قدرةَ لأحد على ان يتغافل عنه لغموضٍ مزعوم قد يتجاسر على اِلحاقه بها! لنتدبّر الآيات القرآنية الكريمة التالية: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨]، ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]. الا يتجلّى لنا بيّناً

بتدبُّرنا لهذه الآيات الكريمة ان الله ما ارسل رُسُله الا بخطابٍ أخروي أراد له ان يبلُغ الناس واضحاً جلياً لا غموض فيه؟ فالرسل كانوا مبشِّرين ومُنذرين؛ مُبشِّرين مَن آمن وعمل صالحاً بجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابداً ومحذِّرين مَن أعرض عن الله واتَّبع هواه من يوم يُرجَع فيه الى ربّه فيُحاسبه ويُدخله نار جهنم خالداً فيها ابداً. لذا فان الاعتقاد بـ «دنيوية» الخطاب الالهي ينتفي له ايُّ وجود في ضوء هذه «الأخروية» التي لا قدرة لأحد على ان ينظر الى هذا الخطاب فيراه الا مقتصراً عليها حتى وهو يُبيِّن ما ينبغي على الانسان ان يقوم به في هذه الحياة الدنيا تزوُّداً واستعداداً ليوم الحساب فحسب. لقد أكَّد القرآن العظيم وشدَّد على هذه الاخروية المُميِّزة للخطاب الإلهي وذلك كما بوسع كل مَن يروم التأكُّد من ذلك الخروج به والوقوع عليه اذا ما هو بادر الى تدبُّر هذا القرآن. فهذا القرآن كفيلٌ بجعْل المتدبِّر له يخرج لامحالة بنتيجة واحدة مؤدّاها انه كتابٌ تحذيري ما انزله الله الا برهاناً على واسع رحمته اذ توجّه بخطابه عبر صفحات كتابه هذا مُبشِّراً الذي آمنوا وعملوا الصالحات بالجنة ومنذراً الكافرين والمنافقين والفاسقين ومَن لفَّ لفهم بجهنم ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الاسراء: ٩ ـ ١٠]. ان هذا الخطاب التحذيري هو جوهر الرسالة الالهية التي تضمّنتها الصُحُف الالهية الاولى؛ صحُف ابراهيم وموسى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨ ـ ١٩]. فموسى تلقّى أول ما تلقّى من ربّه التشديد الالهي على وحدانيته مشفوعاً بتشديدٍ إلهي على حتمية يوم القيامة ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طـــــه: ١٤ ـ ١٥]. وهذا التلازُم المُبين بين الحقيقتين الخالدتين «لا إله إلا الله» و«يوم الحساب يومٌ لا ريب فيه» قد كُشف عنه النقاب في هذا القرآن بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، بتنويعات عديدة. كما ولقد شدّد الله على تلازُم آخر هو تلازم الايمان بالله بالايمان باليوم الآخر، لنتدبّر الآيات الكريمة التالية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البــقــرة: ٨]، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى

﴿رَّسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ولقد اراد الله ان يُبيّن للانسان انه جادٌ في خطابه التحذيري له وذلك برفْده لهذا الخطاب بكل ما من شأنه ان لا يجعل منه يتوهّم غير الحق فيظن انه ما حُذِّر الا قولاً فحسب وان الله لن يبعثه من بعد الموت وحتى لو صدق المُرسلون وبُعث من بعد موته فانه واجدٌ نفسه لامحالة في خير مُقام! ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾ [فصلت: ٥٠]، ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا﴾ [الكهف: ٣٥ ـ ٣٦]. ان الانسان العاقل لن يَعجز عن ملاحظة هذا التشديد الإلهي على حتمية اليوم الآخر في القرآن العظيم؛ هذا التأكيد الذي اتّخذ من التنويعات ما هو كفيل بجعْله يُسارع الى الفرار الى الله من كل احدٍ آخر سواه. فيوم القيامة لم يرد له ذكر بهذه الصياغة فحسب بل بصياغات اخرى عديدة اتَّخذت لها تجلّيات لا ريب في تحلُّقها حوالَي هدف واحد هو هذا التشديد الإلهي على الاهمية القصوى لهذا اليوم القادم عمّا قريب. فيوم القيامة هو يوم الدين ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، يوم الخروج ﴿يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ﴾ [ق: ٤٢]، ويوم البعث ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٦]، ويوم الحسرة ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]، ويوم الجمع ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]، ويوم التغابن ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التغابن: ٩]، ويوم الفصل ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصافات: ٢١]، ويوم الخلود ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ﴾ [ق: ٣٤]، ويوم الحساب ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص: ١٦] ويوم الوعيد ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٠]، ويوم الوقت

المعلوم ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٧ ـ ٣٨]، ويوم التلاق ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [المُؤمن: ١٥]، ويوم الآزفة ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [المؤمن: ١٨]، ويوم التناد ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۝٣٢ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [المؤمن: ٣٢ ـ ٣٣]، واليوم الآخر ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الاحزاب: ٢١]، ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٦]. هذا ناهيك عن الصياغة التقليدية يوم القيامة ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]. كما انه يومٌ فُصِّلت احداثه بذكر ما سيحدث فيه من وقائع وأحداث؛ فهو: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ۝٢٥ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ۝٢٦ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٥ ـ ٢٩]، ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢]، ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٢]، ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤].

كما ان القرآن العظيم عادةً ما يُشير الى الحياة يوم القيامة بصفتها الحقيقية «**الحياة الآخرة**» وذلك كما تُبيِّنه وبكلِ وضوح الآيات الكريمة ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ [آل عمران: من ١٥٢]، ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: من ٧٧]، ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢]، ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٧ ـ ١٨].

وفي أحايين اخرى يذكر القرآنُ العظيم الحياة الدنيا دون ان يذكر الحياة الآخرة وذلك لأن ذكر الواحدة منهما يستدعي الى الذهن لامحالة ذكر ﴿وَمَا

﴿ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آل عمران: من ١٨٥]، ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٌ وَلَهۡوٌۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٦].

اما اول ساعة من ساعات ذلك اليوم الخالد ابداً، والتي هي في حقيقة الامر الساعة الخالدة هي الاخرى ابداً، فلقد ذكرها الله بصياغات اخرى فهي: «الواقعة» ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ① لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ② خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ③ إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ④ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ⑤ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا﴾ [الواقعة: ١ ـ ٦]، و«الطامّة الكبرى» ﴿إذا جاءَتِ الطامَّةُ الكُبْرى. يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإنْسانُ ما سَعى. وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرى﴾ [النازعات: ٣٤ ـ ٣٦]، و«الصاخة» ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ㉝ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ㉞ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ㉟ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ㊱ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [عبس: ٣٣ ـ ٣٧]، و«الآزفة» ﴿أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ㊼ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٧ ـ ٥٨]، و«القارعة» ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ① مَا ٱلۡقَارِعَةُ ② وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ③ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ④ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ١ ـ ٥]، و«الحاقّة» ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ① مَا ٱلۡحَآقَّةُ ② وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ ـ ٣]. كما أسهب القرآن العظيم بذكر تفاصيل طي الله للسموات والارض إعداداً وتمهيداً لحلول يوم القيامة ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ⑱ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ⑲ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا﴾ [النبأ: ١٨ ـ ٢٠]. ولقد ذكر الله في قرآنه الكريم الكثير الكثير من تفاصيل ما سيحدث قبل واثناء حلول هذا اليوم الحق؛ يوم القيامة: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ⑧ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ⑨ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ⑩ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ⑪ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ⑫ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ﴾ [المرسلات: ٨ ـ ١٣]، ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ. تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦ ـ ٧]، ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ① وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ② وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ③ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ④ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ⑤ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [الزلزلة: ١ ـ ٦].

أفبعد هذا كله يُقال عن القرآن العظيم ان رسالته شيءٌ آخر غير الدعوة لتذكُّر اليوم الآخر؟!! على أي حال فاذا كنا قد نسينا هذه الحقيقة القرآنية

واستعضنا عنها بتأويلٍ لآيات القرآن العظيم توهّمنا معه، ما اردنا ان نصدِّقه فلا نصدق خلافه، بأن هذا القرآن إنما جاءنا بشريعة إلهية تُنظِّم حياتنا هذه في مجتمعٍ من المؤمنين بهذه الحياة الدنيا وبها فقط، فان الامم السابقة لم تفعل الا ما توهمنا اننا قد سبقنا الأولين والآخرين به اذ اعرضنا عن جوهر هذا القرآن بإعراضنا عن ما تضمّنته آياتُه البيّنات كلها جميعاً من دعوة لعدم نسيان اليوم القادم عما قريب؛ يوم الحساب العظيم!! فأقوام الانبياء المُرسَلين واجهوا انبياءهم بالاعتراض على ما جاؤهم به من تبيان لما سيحدث يوم القيامة. وكان أول ما اعترضوا به على الله هو التذرُّع باستحالة ان يتحقَّق البعث من بعد الموت وارادوا ان يُسوِّغوا لهذا الإعراض والاعتراض بحُجج كلها خَبال وخَرص. ولقد حفل القرآن العظيم بذكر تفاصيل هذا الاحتجاج الانساني على الرسالة الالهية وذلك بشهادة الآيات القرآنية التالية: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد: من ٥]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤]، ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩]، ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ [مريم: ٦٦]، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الملك: ٢٥]. وكانت الحجج الالهية المُضادّة كفيلة بجعْل القوم يُسارعون الى الفرار الى الله لو انهم لم يكونوا الا، وكما وصفهم القرآن العظيم، قوماً مجرمين لا ينظرون الى الحق الا على انه باطل ولا ينظرون الى الباطل الا على انه الحق. لقد ذكر القرآن العظيم الكثير جداً من الادلّة على ان البعث من بعد الموت واقع لامحالة وانه ليس بالامر المستحيل على الله الذي يُحيي ويُميت وهو على كل شيء قدير. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧]، ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٦٧]، ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق: ٥ ـ ٨]. ولكنه الانسان يأبى ان يطيع غير هواه مادام يدعوه الى العبودية لغير الله إلهه الحق! فهل من عجبٍ بعدُ ان تكون جهنم هي مصير الغالبية العظمى من بني آدم؟!

ان الغالبية العظمى من أفراد النوع الانساني يؤثرون الضَلالة على الهُدى. وهذا ما بيّنه القرآنُ العظيم حقيقةً يُصدّقها ويشهد لها بأنها حقُّ الواقعُ الانساني! فهذا القرآن يُبيِّن حقيقة هذا الواقع: كثرةٌ ضالّة سادرة في غيِّها مجتهدة في تخبُّطها سائرة بكل قوّتها الى الجحيم وِقلّةٌ مؤمنة مُهتدية لم ترضَ ان تشارك الكثرة واقعها ومصيرها فعادت الى الله. لنتدبّر الآيات الكريمة التالية: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: من ٢٤٣]، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٣٧]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: من ١٧]، ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: من ٨٩]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الزخرف: من ٧٨].

ان الكثرة من بني آدم لا تريد ان ينقذها الدينُ الحق من واقعها المريض ومصيرها الذي سيجعل من جهنم لا يرتوي لها عطشٌ مهما ألقي فيها من بشر: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]. فجهنم هي المصير الحتمي للغالبيّة العظمى من أفراد النوع الانساني الذين لم يدركوا ان واحدهم على شفا حفرة من النار وان لا منقذ له من هذه النار الا الله الذي يمد له يد العون فلا يُلاقي منه الا الإعراض والازورار والجحود وسوء الادب؛ فحسْبُه جهنّم وساءت مصيراً. ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ [فاطر: ٤٥].

٨ ـ ٢٧ الحقيقة المحمدية رحمةٌ مُهداة

يظن كثيرٌ من الناس، أعراباً كانوا ام أعاجم، مسلمين ام مستشرقين ام غير ذلك، ان الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم بشرٌ كسائر مَن خلق الله بشراً. فهو صلّى الله تعالى عليه وسلّم، في نظرهم، انسانٌ كباقي بني آدم لا يَفْضُلهم في شيء الا بما هو حقيقٌ على مَن اختصّه الله بالنبوّة والرسالة ان يتفرّد به دون غيره من أفراد النوع الآدمي. ان هذه النظرة «الانسانية» المفرطة تُعارضها نظرةٌ تفرّد بها نفرٌ من الامة المحمدية قالوا بأن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم بشرٌ

وإنْ كان ليس كالبشر؛ فهو انسانٌ الا ان هذا غير كافٍ لتعريفه صلّى الله تعالى عليه وسلّم. فليس لانسان، من افراد الجماعة الانسانية كما نعرفها، ان يتّصف بما تفرّد به، دون كل البشر، رسولُ الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم. وهذا «التفرُّد المحمدي» بخصائص لا توجد عند غيره من بني آدم هو ما يُطلق عليه اسم الحقيقة المحمدية. فالحقيقة المحمدية هي حقيقة الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم كما لم يكن للواقع المحمدي ان يكشف النقاب عنها، على ما هي عليه حقيقةً، بتواجده صلّى الله تعالى عليه وسلّم بين البشر. وهذه الحقيقة المستترة هي التي تجعل من العسير على القائلين بها ان يؤمنوا بخلاف ما تسنّى لهم الوقوع عليه من تجلّياتها في عالَم الشهادة هذا. فالرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم ليس، كباقي بني آدم، ذا وجود واقعي فحسب وذلك طالما كان له وجودٌ آخر غير ذلك الذي كان معروفاً به صلّى الله تعالى عليه وسلّم بين أفراد قومه. وهذا الوجود المحمدي الآخر قد تأتّى للرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم ان يتفرّد به بسببٍ من قُرباه من الله؛ تلك القُربى التي تسنّى له صلى الله تعالى عليه وسلّم الفوز بها. وهنا انقسم القائلون بالحقيقة المحمدية طائفتين: طائفة أرجعتها لماضٍ أزلي موغل في القدم شهد انبثاق الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم نوراً من الله، واخرى سبَّبت لها بماضي الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم وحياته بين قومه؛ ذلك الماضي الذي كانت مفرداته عبادات لم يسبق لعبدٍ لله وان تقرّب لله بها تقرُّباً أهّله صلّى الله تعالى عليه وسلّم لاختراق كل حجاب خلقه الله وستر به تواجده بين الخلْق. على أي حال فان هاتين الطائفتين، على هذا الاختلاف بينهما في السبب الذي جعل من الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم ذا حقيقةٍ لا يكفي واقعُه المحمدي لمعرفتها كما يكفي واقعُ كل آدمي، من المنتمين للقطيع الانساني، لمعرفة حقيقته التي لا فرق بينها وبين حقيقة اي فرد آخر من أفراد هذا القطيع، تشتركان في نظرة الى الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم توحّد بينهما. فالرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم أبدي الوجود لا انتهاء لتواجُده في الوجود بانتهاء حياته الواقعية على ارض الواقع. وهذه الابدية لم يسبق الرسولَ صلّى الله تعالى عليه وسلّم اليها احدٌ من بني آدم. فالرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم وحده من بين جميع بني آدم الذين سبقوه «ظهوراً واقعياً» على هذه الارض، تميز بهذه المقدرة على قهر الزمان فلا يُمكّنه من جعل قانونه

يسري عليه صلّى الله تعالى عليه وسلّم هو ايضاً سريانه عليهم. ولقد كفل هذا القهر المحمدي للزمان ان يكون رسولُ الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم خالداً في الدنيا لا عيشاً على ارض الواقع كما يعيش البشر ولكن تواجداً في الحضرة الالهية بكامل الوعي نوراً في حضرة النور دون حجاب. وهذا التواجد المحمدي، نوراً في حضرة النور الالهي من غير حجاب يفصل بين الوجودين المحمدي والالهي، هو الذي جعل للرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم حضوراً دائمياً ابد الدهر. فلأن لا حجاب بين الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم وبين الله فان النور المحمدي لا فرق بينه وبين النور الالهي مادام هذان النوران متواجدَين وحدهما دون وساطةٍ من حجاب. ان تواجد نور الله ونور الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم بهذه الكيفية قد كفل للرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم ان يكون مع الله الى الابد مادام ليس هناك من حجاب اسباب يُحتِّم تواجدُه ان يكون هناك قوانين الهية تجعل من المستحيل على النور المحمدي ان يكون نسخةً من النور الالهي. فزوال الحجاب بين النورَين هو الذي كفل للنور المحمدي هذه المقدرة على التواجد في حضرة الله دون ان يكون معهما احدٌ ومن غير ان يكون هناك من سريانٍ لقانون الهي الا قانون التواجد في حضرة النور الالهي دون حجاب. لذا فان رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قد تمكّن من قهر الزمان رجوعاً الى ماضٍ ازلي كان الله فيه وحيداً دون اي احد من الخلْق وانطلاقاً الى مستقبل ابدي لم يسبق الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم اليه من الخلْق احد. وهذا ما يجعل للرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم تواجداً في الزمان لا نفقه له كيفيةً ابداً. فمادام الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم قد اصبح نوراً ابدياً في حضرة النور الالهي فهو نورٌ من نوره؛ هذا النور الازلي الابدي. وهذا ما جعل للرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم تواجداً مع الله في الازل تواجده معه الى الابد.

اذاً هنالك حقيقة بخصوص أبدية الحقيقة المحمدية مفادها ان للرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم كياناً ثنائي الواقع وذلك بخلاف الكيان الانساني كما نعرفه آحاديَّ الانتماء لواقعٍ وحيد هو واقعه الذي لا نعرف غيره. وثنائية الواقع المحمدي هذه هي جوهر الحقيقة المحمدية. فالواقع المحمدي المعروف لا

يختلف كثيراً عن الواقع الانساني وان كان هذا الواقع هو ذاته على تجليين. وهذان التجليان هما: التجلّي الشائع والتجلّي النادر. فالغالبية العظمى من بني آدم لا تملك الا هذا الكيان الانساني الذي يُعرف به الانسان وذلك مقارنةً بالكيان الانساني غير التقليدي؛ ذلك الكيان النادر الذي هو حكْر على قلة قليلة من أفراد النوع الانساني اختارت الفرار الى الله سيراً على الطريق الالهي اليه. وهذا الفرار سيراً على طريقٍ محفوف بأعظم طاقة في الوجود لابد وان تكون له آثار تمس الجسم الانساني للسائر على هذا الطريق. وهذه الآثار هي التي تجعل من جسم السائر على الطريق الالهي الى الله جسماً فريداً ذا مواصفات استثنائية نعجز عن الوقوع عليها في اجسام غير السائرين على هذا الطريق ذي الطاقة العظمى. لذا كان الكيان الانساني للسائر على الطريق الالهي الى الله مجالاً لتجلّي آثار هذه الطاقة الالهية وبالشكل الذي يجعل منه كياناً بايولوجياً فريداً من نوعه. كما ان الفرار الى الله سيراً على هذا الطريق المُنار بالنور الالهي كفيلٌ بجعْل العجائب والغرائب لا تني تُلاحق السائر عليه تحلُّقاً حواليه في حلِّه وترحاله ليلَ نهار. وهذا ما يجعل من الانبياء، وغيرهم من الذي آثروا الفرار الى الله على الخوض بعيداً عنه في متاهات العبودية لسواه، لا حياة لهم الا وهذه الظواهر الخارقة للعادة والمألوف تتحلَّق من حولهم. الا ان هذا الواقع الانساني غير المألوف إنْ كان يكفي لتعريف الواقع المحمدي المعروف فانه ابداً لا يكفي لتعريف الواقع المحمدي على ما هو عليه في حقيقة الامر! فاذا كان للرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم كيانٌ نبوي، كباقي انبياء الله، يجعل منه ذا مواصفات بايولوجية استثنائية غير مألوفة ويُحتّم على العجائب والغرائب ان لا تكف عن ملاحقته صلّى الله تعالى عليه وسلّم، فان هذا الكيان النبوي لا يستطيع ان يجعل المتدبّر في الحقيقة المحمدية يصل به لمعرفة الواقع المحمدي الآخر؛ ذلك الواقع الذي تفرّد به الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم فلم يسبقه اليه احدٌ من الانبياء او غيرهم من خلْق الله من السائرين على الطريق الالهي اليه. فلم يسبق رسولَ الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم أحدٌ بوسعه ان يقهر الزمان ويطوي المكان كما فعل صلّى الله تعالى عليه وسلّم بعبوره الى الله. ان العبور المحمدي الى الله حدثٌ جليل في مسار الارتقاء الانساني تعالياً على هذا الواقع الطيني الذي منه خلقنا الله. فهذا العبور الى النور هو الاجابة الالهية على اعتراض ابليس على الله

اذ أمَره بالسجود لآدم المخلوق من طين! والا فكيف استطاع مخلوق طيني من بني آدم ان يعبر الى الله مخترقاً كل حجاب تعجز ملائكة السموات عن الاقتراب، مجرد الاقتراب، منه؟! لقد برهن العبور المحمدي الى الله على ان الخِلْقة الطينية لا تُحتِّم وجوب بقاء الانسان أسير هذا الواقع الطيني فلا يغادره عبوراً الى خالقهما. ان هذا العبور المحمدي الى النور هو جوهر الحقيقة المحمدية.

وهذا العبور المحمدي من الطين الى النور يفتح بوابة الامل على مصراعيها امام الانسانية جمعاء وذلك شريطة التزام الفرد منها بضوابط السير على الطريق الالهي الى الله؛ هذه الضوابط التي فصّلتها شريعةُ الله كما نزل بها قرآنه العظيم. لذا فان الحقيقة المحمدية لا تخص الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم فلا تتعداه لسواه. فالحقيقة المحمدية هي حقيقة الانسان في أقصى تجليات وجوده تواجداً مع الله دون وساطةٍ من حجاب الاسباب؛ هذا الحجاب الذي يتكفّل بجعل الوجود مستقراً على ما هو عليه بتواجد الله فيه باطناً لا ظاهراً. ان الحقيقة المحمدية هي الحقيقة الانسانية مادام الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم انساناً عبر الى الله انطلاقاً من خط شروعٍ طيني وانتهاءً بالنور الالهي مروراً بحجاب الاسباب تواجداً في هذا العالم مَع الله وخلْقه. وهذا التطابق ما بين الحقيقة المحمدية والحقيقة الانسانية هو جوهر النظرة الصوفية الى الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم؛ هذه النظرة التي توهّمها البعض من مُحبِّي الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم مُطالِبَةً لهم بوجوب القول بأزلية الوجود المحمدي لا أبديته. ان القول بأزلية الوجود المحمدي جوهراً للحقيقة المحمدية لن يعود على الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم بما من شأنه ان يكشف النقاب عن عالي مقامه صلّى الله تعالى عليه وسلّم عند الله! فأن يكون للرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم وجودٌ أزلي فهذا يعني ان كل كلام عن مجاهدته صلّى الله تعالى عليه وسلّم للعبور الى الله سوف يكون غير ذي معنى في ظل التواجد المحمدي مع الله منذ الأزل والى الأبد! لذا فان القول بلاازلية الوجود المحمدي هو وحده ما يجعل للكلام حول مجاهدته صلّى الله تعالى عليه وسلّم هذه معنى. كما ان القول بأبدية التواجد المحمدي مع الله جوهراً وحيداً للحقيقة المحمدية يلزم عنه القول بأن

الباب للعبور الى عالَم الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم مُشرَعٌ امام كل مَن يروم الالتحاق بالنور الالهي سيراً على الطريق المحمدي الى الله. الا ان القول بأبدية التواجد المحمدي مع الله لا يحتّم اطّراح القول بأزلية النور المحمدي وذلك شريطة ضبط النفس حتى لا تجنح بأجنحة الخيال بعيداً عن واقع الحقيقة المحمدية! فمادام الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم قد أصبح نوراً في حضرة النور الاعظم بعبوره الى الله فان هذا العبور قد كفل له ان يكون ذا نورٍ اِلهي بماضٍ هو الماضي الأزلي لهذا النور الذي لا ابتداء له ولا انتهاء! لقد كفل العبور المحمدي الى الله لنور الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم ان يكون في حضرة النور الالهي الى الابد، وهذا ما جعل له المقدرة على الامتداد الى الماضي الازلي للنور الالهي. لقد عبر الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم الى الله وأصبح في حضرته الى الابد، لذا فهو صلّى الله تعالى عليه وسلّم معه منذ البداية نوراً أزلياً اكتسبه صلّى الله تعالى عليه وسلّم بفوزه بالنور الالهي الى الابد. ان النور الالهي الذي تعرَّض له الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم قد انعكس عنه نوراً محمدياً تكفّل بجعْل الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم متواجداً مع الله الى الابد. وهذا التواجد في حضرة النور الالهي الى الابد هو الذي يجعل للرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم ازليةً مادام قد اصبح بعبوره هذا الى الله نوراً اِلهياً ومادام ماضي النور الالهي هو الازل. فالنور الالهي للرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم نور أزلي أبدي. والرسول صلّى الله تعالى عليه وسلّم اصبح ذا نورٍ أزلي بفوزه بالنور الالهي الى الابد تواجداً في حضرته بعبوره من طين هذا الواقع الى الله.

٨ ـ ٢٨ الحضارة المحمدية حضارة الآخرة في الحياة الدنيا

كيف تُعرِض الحضارة الحالية عمَّن بوسعه ان يُقدِّم لها مشروعاً حضارياً كفيلاً باستخلاص خير ما فيها من علمٍ نافعٍ وتقنيةٍ مفيدة في الوقت الذي ينقذها فيه من كل ما من شأنه ان يُدمِّرها منَ الداخل من مفرداتها التي لا نفع فيها؟! وهل لها ان تزاور عمَّن يُقدِّم لها هذا كله مشفوعاً بمفرداتٍ حضارية لا قدرة لها على الوقوع عليها وإن امتد بها العُمُر ملايين السنين لفرْط انتمائها لعالَم ليس بوسعها ان تعبر اليه مادامت عاجزةً عن الإقرار بوجوده ناهيك عن الاستعانة به

واللجوء اليه؟! ان الحضارة التي بين ايدينا نتاج هذه الحياة الدنيا وذلك بشهادة هذا العجْز الكامن في صُلْب منظومتها المعرفية عن التعامل مع ما يتجاوز هذا الواقع من وقائع تنتمي لواقع آخر كما هو الحال مع الظواهر الخارقة للعادة؛ هذه الظواهر ثنائية الانتماء لواقعين في الوقت نفسه. وهذه الحضارة وان كانت بعيدة عن ان يكون بالامكان وصفها بأنها حضارة لم تُشارك الواقعَ المألوف في صياغته لها مفرداتٌ لا تنتمي اليه بالكامل، الا انها حضارة لا يمكن ان توصَف الا بأنها زهرة الحياة الدنيا وإن كان الماء الذي سقاها قد نزل عليها هطولاً من واقعٍ آخر وذلك بشهادة الكُتُب الالهية التي انزلها الله مع انبيائه المُرسَلين بالرحمة والحكمة من عنده الى الناس.

لذا فان الحضارة الجديدة هي الحضارة المحمدية التي سترث بإذن الله هذه الحضارة لابد وان تكون حضارةَ آخرة مادامت حضارتنا المعاصرة هذه عاجزةً عن ان تؤمن بغير هذه الحياة الدنيا حياةً! فحضارة الآخرة في هذه الحياة الدنيا هي الحضارة الجديدة القائمة على أساسٍ من تقوى الله ايماناً راسخاً بأن الآخرة حق وانها قادمة لامحالة. ان حضارةً كهذه التي بين ايدينا اليوم حضارة دنيا لا حضارة آخرة، وهذا ما يُحتِّم عليها وجوب الاتصاف بكل ما من شأنه ان يتعارض والقول بوجود يوم آخر مجموع له الناس للحساب! وهذا ما يجعل من المُحتَّم على الحضارة الجديدة ان لا تقوم لها قائمة الا على اساسٍ من الايقان التام بأن هذه الحياة الدنيا حياةٌ على الطريق الى الحياة الآخرة وانَّ اليوم الآخر حقيقة واقعة عمّا قريب. ان هذا الايقان المميّز للحضارة الجديدة سيجعل منها حضارةً لم يسبق للانسانية وان شهدت مثيلاً لها من قبل. فالحضارة الغربية، بتقنيتها المعاصرة فحسب لا بشيء آخر على الاطلاق، حضارةٌ بامكانها ان تفيد من تقوى الله في الانطلاق صوب آفاق لا وصول اليها بغير التقوى ابداً. ان حضارةً جديدة بمعنى الكلمة تنتظر حضارتنا الحالية اذا ما بادر الانسان المعاصر الى الفرار الى الله سيراً على الطريق الالهي اليه متزوِّداً بخير الزاد: التقوى. فهل تُرانا نستجيب لمَن يدعونا لتأسيس أعظم حضارة شهدتها الانسانية؟! ام اننا سننظر الى دعوة للفرار الى الله كهذه بعين آبائنا الأولين فلا نراها الا كما رأوها من قبل دعوةً لهجْر الاباطيل والأوهام والابتعاد عن الظلم والظُلُمات واطِّراح كل

ما هو كفيل بجرّنا معه الى جحيم الدنيا وجهنم الآخرة؟! ولكن ماذا علينا لو اننا اتّقينا الله؟!

ان حضارة الآخرة لا قيام لها على انقاض هذه الحياة الدنيا كما يتوهّم مَن لم تغادر الدنيا قلبه وإنْ غادرها ببدنه هجْراً للمجتمع يُخيَّل اليه معه بأنه علامة على صدق طلبه لله بانقطاع كل صلة وصْل له بالماديات! فهجْر الدنيا شيءٌ والفرار الى الله منها ومن كل احد آخر سواه شيءٌ آخر! ان الفار الى الله بقلبه لا صلة وصْل لقلبه بغير ربّه وإن كان بدنه يحيا بين الناس ومعهم. فحضارة الآخرة قوامها الفرار القلبي الى الله انشغالاً بكل ما من شأنه ان يعمل على توثيق صلة الفار بقلبه الى الله بربه وذلك بتعامله مع الدنيا كما هو جديرٌ بمَن انشغل عنها بالله! ان هجْر الدنيا فرارٌ من الله لا اليه وذلك طالما كان في هذا تنصُّلاً من المسؤوليات التي القاها الله على عاتق الانسان يوم ان خلقه للعبادة لا لشيء آخر مادامت هذه العبادة تتطلّب وجوب التواجد بين أهل الدنيا دعوةً لهم للسير على الطريق الالهي الى الله. فحضارة الآخرة في هذه الدنيا لا قيام لها الا على اساسٍ من تقوى الله بتواجد الانسان في الدنيا لا خارجها! لذا فان هجْر الدنيا ما هو الّا فرارٌ من الله اليها. ان الدنيا مادةٌ خام لا قدرة لها على ان تقودك الى شيء اِن انت لم تُسلِم لها قيادك. فان انت استعملتها لله خدمتك بكل ما تملكه من طاقة وإن انت استعنت بها للفرار من الله اعانتك على الوصول سالماً الى الجحيم غانماً حياةً ابدية في نيرانها! لذا فان حضارة الآخرة في الدنيا لن تقوم لها قائمة الا بحُسن التعامل مع هذه الحياة الدنيا استعمالاً لمفرداتها في التزوّد من خير الزاد التقوى. فالحضارة الجديدة لا علاقة لها بالدنيا تقطع صلة وصْلها بالآخرة! ان حضارة الآخرة في الدنيا حضارة جديدة لأنها بعيدة، كل البُعد، عن الانشغال الحقيقي بهذه الدنيا مادام القلبُ منها دائم الانشغال بالله. فهي وإن كانت لا قيام لها الا على ارض هذه الدنيا الا انها ابعد ما تكون عن الانشغال عن الله بأية مفردة من المفردات الدنيوية؛ هذه المفردات التي لا تملك ما يجعل لها سلطاناً على اهل الدنيا ما لم يخضعوا لها بملء ارادتهم! ان التعامل الصائب مع هذه الحياة الدنيا رهنٌ بحُسن التعامل مع الله. فليس بمقدور الانسان ان يفيد من الدنيا الا بما من شأنه ان يُمكّنه من الانقطاع عنها الى الله! وهذا امرٌ لن

يقدرعليه الا مَن انشغل بالله صادقَ الانشغال لا زائفَه. لذا فلا استفادة من الدنيا حقاً الا بالتعامل معها وفقاً لضوابط التقوى؛ هذه الضوابط التي جعلها الله اساس العلاقة التي ينبغي على الانسان ان يُقيمها معه. ان الفار الى الله بقلبه وحده القادر على تطويع وتسخير الدنيا لتدفع به الى امام على الطريق الالهي الى الله لا الى جهنم، وبئس المصير، كما هو الحال مع مَن لم يستعن عليها بالله لفرْط تأليهه لهواه؛ هذا الهوى الذي حتّم عليه وجوب الخضوع للدنيا مادام الفرار من الله ليس له الا ان يدفع بالانسان الى التمرُّغ في ظُلُمات الانشغال بالعبودية لغير الله. لذا فان الحضارة الجديدة لن تكون حضارة دنيا مادامت تُحسن الامساك بدفَّتها بيد قلبٍ خائفٍ من الله على الدوام لا تغيب الآخرة عن ناظرَيه وان كانت عيناه تنظران الى الدنيا! فهاتان العينان ابداً لن يكون بمقدورهما ان تُبصرا ما هو كفيلٌ بجعْلهما ينشغلان عن الله بشيء من زائل هذه الحياة الدنيا. ان حضارة الآخرة حضارةٌ قلبُها في الآخرة وقدماها في الدنيا! لذا فهي حضارة الآخرة في هذه الحياة الدنيا.

ولكن كيف السبيل الى هذا كله؟ فالحضارة الحالية لا يبدو ان هنالك مَن بمقدوره ان يُناجزها فينجح في إرغامها على ما تأباه. ان الطريق الى حضارة جديدة اساسها تقوى الله، خوفاً ورهبةً لابد منهما للتمكُّن من مجاهدة النفس والانتصار على هواها، قد بيّنه القرآنُ العظيم جلياً فلا يُحتاج معه الى مَن يجعله اكثر وضوحاً. فهذا القرآن مفتاح الانتصار على النفس انتصاراً يُخضِع الآخر للحق شاء أم أبى اذا ما نحن التزمناه كتابَ دينٍ وحضارة آخرة لا مجرد كتاب تفاخرٍ اذا ما الناس عنَّ لهم ان يتفاخروا بآلهتهم وأديانهم! ان الحضارة الجديدة قرآنية المعرفة لا غير ذلك. فالقرآن العظيم يكفل لهذه الحضارة التي بين ايدينا، اذا ما هي التزمته كتابها المعرفي آخرةً ودنيا، ان يكون بمقدورها الانتفاع من خير مفرداتها المعرفية وذلك من بعد اعانته لها على التخلُّص مما ليس بنافعٍ من علومها ومعارفها. والقرآن العظيم بمقدوره بعدُ ان يتكفّل بتزويد الحضارة الحالية بعلمٍ قرآني وتقنية قرآنية ليس بوسع هذه الحضارة ان تقع عليهما في مكان آخر حتىً ولو استغرقها البحث كامل مدة هذه الحياة الدنيا. فالقرآن العظيم بإعجازه المعرفي المُبين لن يكتفي بتمكين حضارتنا الحالية من إِعادة النظر بكثير جداً من

مفردات منظومتها المعرفية وبما يُؤمّن لها تشخيص ما هو نافع ممّا هو ليس بنافع من هذه المفردات، بل سيقوم برفْد هذه الحضارة بعلوم جديدة كل الجدة وبتقنيات لن يكون بمقدورها التوصل اليها بدون وساطته. أن الاعجاز المعرفي لهذا القرآن قادر على تخليص الحضارة الحالية من كل خَبالات العلم النظري المعاصر وخيالاته وذلك في خطوة صائبة على طريق التأسيس لعلوم جديدة تستقي مادتها من هذا الواقع، وكل واقع آخر بالامكان التعامل المعرفي معه وفقاً لقوانين التداخل ما بينه وبين واقعنا هذا، مستظلّةً بنور هذا الاعجاز المُبين. فالسايكولوجيا القرآنية والبايولوجيا القرآنية والفيزياء القرآنية علوم جديدة بجديد الوقائع التي سيتعيّن عليها التوجُّه لدراستها وبجديد النظرة الى الوقائع المألوفة التي عانت من سوء تأويل العلوم النظرية للحضارة الحالية لها وبما جعل منها تفقد كل صلة بالواقع لفرْط إدغامها في واقع تخيُّلي افترضته خَبالات العلم النظري المعاصر واحلّته محل واقعنا هذا! كما ان القرآن العظيم بمقدوره ان يُمهّد السبيل امام الحضارة الحالية للاستفادة من تقنياتٍ جديدة طاقتها لم يسبق وان تمّت دراستها من قبل. فتقنيات التداخل ما بين هذا الواقع وكل واقع آخر يجاوره ويُداخله سوف تكفل لحضارتنا الجديدة ان تنعم بطاقات عجائبية بوسعها ان تجعل من هذه الحضارة الحضارة التقنية الاعظم. كما ان تقنيات التدخُّل الالهي المباشر سوف تكون بمتناول ايدي حضارة الآخرة في هذه الحياة الدنيا وذلك شريطة التزام انسانها بالسير على الطريق الالهي الى الله بضوابطه القرآنية. وهذه التقنيات، بطاقتها الالهية اللانهائية، سوف تجعل من الحضارة الجديدة حضارةَ آخرة بكل معنى الكلمة. فالحضارة المحمدية هي حضارة العصر الجديد: حضارة الآخرة.

ان القرآن العظيم قادرٌ على انقاذ حضارتنا الحالية من تخبُّطها هذا في ظلُمات الجَهالة الى نور الله في هذه الحياة الدنيا؛ هذا النور الالهي الذي بمقدوره ان يُمكِّن هذه الحضارة من التفرُّغ لله انشغالاً بكل ما من شأنه ان يجعل منها عاجزةً عن السير وراء سرابٍ لطالما كانت تحسبه ماءً! فهل تعي الحضارة الحالية هذا ام تُراها عاجزة عن النظر الى هذا القرآن بغير عين كفار قريش ومنافقي أهل الكتاب؟!

٨ ـ ٢٩ العصر الانساني الجديد: عصر الاخوة الانسانية في الله!

لقد رأينا الانسان في هذا الكتاب عاجزاً عن ان يكون في علاقته بأخيه الانسان مخالفاً لنص الآية الكريمة ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ وذلك لاستحالة تخلُّصه مما يدعوه الى العدوان الظالم على الآخر مادام دماغه متضرِّراً مُلتاثاً من جرّاء تلك الأكلة الفضائية الموغلة في القِدَم. ولقد عرفنا بأن الانسان غير قادر على إصلاح دماغه المتضرِّر هذا وذلك حتى وان استعان لتحقيق ذلك بأحدث التقنيات العلاجية مادامت هذه العلاجات تعجز عن التعامل الجذري مع اصول المشكلة الانسانية الضاربة بجذورها عميقاً داخل دماغه غير السليم هذا. كما تبيّن لنا ان السير على الطريق الإلهي الى الله هو الكفيل باصلاح البُنية الإنسية المُتضرِّرة مادام السائر على هذا الطريق، بشروطه وأشراطه وشرائطه، لابد وان يتعرَّض لطاقة النور الالهي التي بمستطاعها ان تتغلغل داخلاً من الأعماق البايوالكترونية للدماغ الانساني لتُعيد اليه نظامه المفقود وتجعل منه يستعيد صلته بروحه وبربّه؛ تلك الصلة التي فقدها بأكله مع ابيه من تلك الشجرة. ان انصلاح البُنية الانسية كفيل بجعل الانسان المُستصلَح ينقلب انساناً جديداً بقلبٍ سليم من الآفات الانسانية؛ قلب يؤهِّله لأن يكون مع أخيه الانسان على علاقة أخوية خالصة من كل الأكدار التي تشوب علاقة البشر بعضهم ببعض وهذا هو العصر الذي طال انتظار الخيِّرين له على مدى التاريخ. فاذا صح ما تناقلته الأخبار عن هؤلاء الذين طال انتظارهم من ان عصراً ذهبياً قد أوشك أوان حلوله وظهوره وانه سيخلُف عن قريب عصرنا السقيم هذا وانه عصر الدلو الذي سيحيا فيه البشر اخواناً بلا احقاد ولا عداوات، فان هذا العصر الجديد القادم لابد وان يكون العصر الذي انسانه هو هذا الانسان السائر على الطريق الإلهي الى الله بقلب ساعٍ الى التخلُّص من التركة القديمة التي أثقلت ظهورنا كما أثقلت ظهر أبينا آدم من قبل ان يتوب الله عليه ويهديه اليه. فعصر الدلو هذا هو عصر الاخوة الانسانية في الله بسير البشر كلّهم جميعاً على الطريق الإلهي الى الله ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عِمران: ١٠٣].

ولكن اذا ما كان البشر غالبيّتهم العظمى لا تختار الا ان تُعادي الحق، فهل لنا ألاّ نتصوَّر السائرين هؤلاء فلا نتخيَّلهم الا القلّة القليلة التي كانت أبد الدهر دائماً هي مِلاك الحق وكامل نِصابه!! فعصر الدلو هذا هو عصر الطريق الإلهي الى الله الذي قال فيه سيّدنا أمير المؤمنين حضرة الامام علي كرّم الله تعالى وجهه: (لا تستوحِشْ طريقِ الهُدى لِقِلَّة مَن يَسلُكَهُ). وعصر الدلو هذا هو العصر الذي لن يحلَّ أبداً الا باتِّباع منهج رسول الله سيّدنا محمّد صلّى الله تعالى عليه وسلّم.

اللهُمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدِ الوصفِ والوحي والرِّسالةِ والحكمةِ وعلى آلِهِ وصحبِه وسلِّم

❖ يتطرق هذا الكتاب الى المشكلة الانسانية استقصاءً لأصولها وتدبُّراً في الحل الذي جاءنا به الدينُ الإلهي تبياناً لما من شأنه أن يُخرج الانسان من ظلمات هذه المشكلة الى نور هذا الحل.

❖ وفي سعيه هذا، فان أسئلةً وألغازاً ذات صلة بالماضي المجهول للانسان قد وجدت لها حلولاً في سياق هذا المسعى. ومن بين أهم هذه الأسئلة ـ الألغاز: لماذا فقدَ الانسان غطاءه الشعري فأصبح عارياً الا من شعر خفيف لا يكاد يقيه برداً؟ ولماذا يتميز الانسان بعدوانية مفرطة تتجلى في هذا التاريخ الذي سطرته دماء الأبرياء؟ ولماذا كان الانسان متميزاً بهذا النشاط الجنسي المفرط كما يتجلى في انتفاء وجود موسم معين للتزاوج كما هو الحال عند الحيوان؟ ولماذا كان الانسان، على الرغم من شديد تشابهه مع الحيوان، مختلفاً عنه في الوقت عينه والى الدرجة التي تجعل من العسير علينا أن نتصور أن له ماضياً حيوانياً، كما يقول بذلك داروين وغيره من علماء التطور؟




ISBN 9953-63-183-2 9-9417
9 789953 631837 7

توزيع
دار العلم للملايين
بيروت ـ لبنان